فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري

رحمه الله

(دراسة دعوية من أول الصحيح إلى نهاية كتاب الوضوء)

تأليف

الدكتور خالد بن عبد الرحمن القريشي

المحاضر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام - قسم الدعوة والاحتساب

الجزء الأول

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده ا الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا ا الله وحده لاشريك له،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) .

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (٣) . (٤)

أما بعد : فقبل الدخول في أهمية هذا الموضوع نذكر طرفاً من التعريفات لمفردات عنوان هذه الدراسة ، وذلك على النحو الآتي :

---

(١) – سورة آل عمران، آية : ١٠٢ .

(٢) – سورة النساء، آية : ١ .

(٣) – سورة الأحزاب آية : ٧٠، ٧١ .

(٤) – قال الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني : هذه الخطبة تسمى عند العلماء بـ (خطبة الحاجة) وهي تشرع بين يدي كل خطبة، سواء كانت خطبة جمعة أو عيد أو نكاح أو درس أو محاضرة.(سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/١ . الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ . ط المكتب الإسلامي، بيروت) .

أولاً – فقه الدعوة : جملة تتكون من جزئين الفقه، والدعوة :

فالفقه لغة : العلم بالشئ والفهم له، والفطنة، والجمع فقهاء، وفَقِهَهُ كعلمه: فهمه. وتفقَّهه: تفهمه. وفقَّهه تفقيهاً، وأفقهه: علَّمه، والفقه أخص من العلم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ (١)، وقال عز وجل: ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾(٢).

ويقال : فقِه الأمر، فَقَهاً، وفِقهاً، أحسن إدراكه (٣) .

وقيل : الفقه، إدراك معنى الكلام، أو فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل (٤) .

والفقه اصطلاحاً : عرفه الفقهاء بتعريفات متقاربة، منها :

١- العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية (٥) .

٢- العلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية الفروعية،بالنظر والاستدلال (٦).

٣- يقول الشيخ محمد بن عثيمين – حفظه الله – عن الفقه : (وفي الشرع : معرفة أحكام الله، عقائد وعمليات .

فالفقه في الشرع ليس خاصاً بأفعال المكلفين، أو بالأحكام العملية، بل يشمل

---

(١) – سورة الحشر : ١٣

(٢) – سورة التوبة : ١٢٢ .

(٣) – انظر : لسان العرب لابن منظور، ٣٤٥٠/٦، مادة : فقه، طبع دار المعارف، بيروت . وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، ٢١٠/٤، بصيرة في فقع وفقه وفك، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، طبع دار النهضة، القاهرة . والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد الفيومي ٤٧٩/٢، مادة : فقه، طبع المكتبة العلمية ببيروت .

(٤) – انظر : حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، للشيخ عبدالرحمن بن قاسم،٤٥/١، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

(٥) – شرح البدخشي لمنهاج الوصول في علم الأصول (للقاضي البيضاوي)، لمحمد بن الحسن البدخشي، بدون تأريخ طبع، ط مطبعة محمد علي صبيح، مصر .

(٦) – الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين علي بن محمد الآمدي، ٨/١، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت .

حتى الأحكام العقدية، حتى إن بعض أهل العلم يقولون : إن علم العقيدة هو الفقه الأكبر)[١] .

الدعوة لغة : من دعا الرجلَ دعواً ودعوة ودعاءً ودعوى : ناداه، والإسم الدعوة . ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته . وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا . ودعاه إلى الأمير : ساقه[٢] .

الدعوة اصطلاحاً :

هي: (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة)[٣].

وقيل : هي (البيان والتبليغ لهذا الدين أصولاً، وأركاناً، وتكاليف، والحث عليه، والترغيب فيه)[٤].

وإذا أضيفت لفظة (**فقه**) إلى لفظة (**الدعوة**) أصبح لتعبير (**فقه الدعوة**) مدلول خاص يلخصه الباحث في الآتي :

استنباط وفهم تاريخ الدعوة وأسبابها وأساليبها ووسائلها وأركانها وأهدافها ونتائجها من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح،استنباطاً وفهماً يمكن الدعاة إلى الله ﷻ من عرضها بأحسن طريقة، وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم الدعوة في مختلف بيئاتهم، ومتعدد أجناسهم، ومتباين ألسنتهم ولغاتهم، عملاً بقول الله ﷻ : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾[٥].

---

(١) – الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١١/١، الطبعة الأولى، ط مؤسسة آسام، الرياض .

(٢) – انظر : لسان العرب لابن منظور، ١٣٨٦/٣، مادة (دعا) . المصباح المنير، للفيومي، ١٩٤/١، مادة (دعوت)، والمعجم الوسيط، مجموعة من علماء اللغة، ٢٨٧/١، مادة (دعا) .

(٣) – المدخل إلى علم الدعوة ، للدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني ، ص٤٠ ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤) – فصول في الدعوة الإسلامية، للدكتور/ حسن عيسى عبدالظاهر ، ص٢٦، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، طبع دار الثقافة ، قطر، الدوحة .

(٥) – سورة يوسف : ١٠٨ .

ثانياً - الإمام البخاري وصحيحه [١] :

الإمام البخاري : هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَردِزبَة - ومعناها الزراع - بباء موحدة مفتوحة ثم راء ساكنة ثم دال مهملة مكسورة ثم زاي ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم هاء، البخاري . [٢]

صحيح البخاري : لقد اشتهر صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - قديماً وحديثاً، في أشهر كتب الفقه والتفسير . وأكثر شروح الحديث، وسائر كتب الفنون الأخرى، وعلى ألسنة معظم الناس وجمهرة العلماء باسم : (صحيح الإمام البخاري).

ولكن اسم الكتاب الذي وضعه له مؤلفه، هو (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) [٣] .

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه أن النسخة المعتمدة في هذه الدراسة، هي آخر طبعة للكتاب عند إعداد هذا المخطط، والتي طبعت عام ١٤١٤هـ، بدار الفكر ببيروت، والتي جاء عليها أنها (طبعت محققة على عدة نسخ،وعلى نسخة فتح الباري التي حقق أصولها وأجازها الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، حفظه الله)[٤] .

---

(١) - إن الكلام عن ذلك الإمام الأجل وصحيحه، لأعظم من أن نحيط ونعرف بهما في هذه المقدمة، لذا سيؤخر الباحث الكلام عنهما بالتفصيل إلى مدخل الدراسة . (انظر ص ١٧، من هذا البحث).

(٢) - انظر : تهذيب الأسماء واللغات، للحافظ أبي زكريا محيي الدين النووي، ٦٧/١، طبع إدارة الطباعة المنيرية . وسير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ٣٩١/١٢، الطبعة الرابعة، طبع مؤسسة الرسالة . والبداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء ابن كثير، ٢٤/١١، طبع مكتبة المعارف ببيروت . وهدي الساري مقدمة فتح الباري، للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ص٥٠١، طبع المكتبة السلفية، القاهرة .

(٣) - انظر : هدي الساري، ص١٠ .

(٤) - ذكر الشيخ عبدالعزيز بن باز - حفظه الله - أنه لم يكمل تحقيق الكتاب إنما وصل فيه إلى كتاب الحج ولم يكمل الباقي لانشغاله بأعمال أخرى . انظر : فتح الباري ٧٣١/٣ بعنوان (تنبيه واعتذار)، طبع المكتبة السلفية، القاهرة .

أهمية الموضوع :

ما خلق الله سبحانه وتعالى الجن و الإنس إلا لعبادته، إذ يقول الله عز وجل : ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١)، ولهذا أرسل الله الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ (٢)، فكان كل كتاب لكل أمة ينزله الله سبحانه وتعالى، للفصل بين المختلفين في الأصول والفروع، وهذا هو الواجب عند التنازع والاختلاف، أن يُرد إلى الله ورسوله ﷺ. ولولا أن في كتابه، وسنة رسوله ﷺ، فصل النزاع، لما أمر الله بالرد إليهما (٣)، إذ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (٤) .

هذا وإن ارتباط الدعوة بالكتاب والسنة - دراسة وتأصيلاً - يأتي من قول الله سبحانه وتعالى، لنبيه ﷺ : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (٥)، فالدعوة يجب أن تكون على بصيرة، ولا تكون على بصيرة إلا إذا كانت على علم وبيان من كتاب

=

واعتذار)، طبع المكتبة السلفية، القاهرة .

(١) - سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) - سورة البقرة : ٢١٣ .

(٣) - انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ١٦٨/١، ١٤٠٨هـ، طبع دار المدني .

(٤) - سورة النساء : ٥٩ .

(٥) - سورة يوسف : ١٠٨ .

الله وسنة رسوله ﷺ .

يقول الشيخ محمد بن عثيمين - حفظه الله -: أي على بصيرة فيما تدعو إليه، وعلى بصيرة بحال المدعو، وعلى بصيرة في كيفية الدعوة [(١)]، حيث يجب علينا أن نعرف طريقنا جيداً، ونسير فيها على بصيرة وإدراك ومعرفة، لا نخبط ولا نتحسس ،ولا نحدس، فهو اليقين البصير المستنير .

لذا رأى الباحث لهذه الأهمية أن تكون دراسته الدعوية للدكتوراة في هذا الموضوع المهم، وأن تكون في السنة النبوية الشريفة . ولاتِساع السنة وكثرة كتبها رأى الباحث أن يختار منها كتاباً واحداً أجمع العلماء على صحته، فوجد أنهم اتفقوا على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم العزيز، الصحيحان، صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم [(٢)] - رحمهما الله - ومن هذين الكتابين اخترت صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - وذلك لأن كتاب البخاري كما يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث) [(٣)] . ويقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عن صحيح البخاري - رحمه الله -: (والبخاري أرجح -من صحيح مسلم- لأنه اشترط في إخراجه الحديث في كتابه هذا : أن يكون الراوي قد عاصر شيخه وثبت عنده سماعه منه، ولم يشترط مسلم الثاني، بل اكتفى بمجرد المعاصرة . ومن هاهنا ينفصل النزاع في ترجيح صحيح البخاري على مسلم كماهو قول الجمهور،

---

(١) - دروس وفتاوى في الحرم المكي، إعداد بهاء الدين آل دحروج، ص٨، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ط مكتبة شمس، الرياض .

(٢) - انظر : مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم، ص١٤، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ، ط دار الفكر، بيروت . واختصار علوم الحديث، لأبي الفداء ابن كثير، مع شرحه الباعث الحثيث، لأحمد شاكر، ص٢٢، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، طبع دار الكتب العلمية ببيروت .

(٣) - مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم، ص١٤ .

خلافاً لأبي على النيسابوري شيخ الحاكم، وطائفة من علماء المغرب) [١] .

ومن هنا أيضاً يكتسب هذا الموضوع أهمية أخرى، وهو ارتباطه بأصح كتاب في السنة، وأكثرها فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة .

وإدراكاً لهذه الأهمية فقد شرع قسم الدعوة والاحتساب في الكلية في إعداد موسوعة دعوية متكاملة تعتمد هذا الكتاب أساساً ومنطلقاً لها، وكان نصيبي بفضل الله – سبحانه وتعالى – دراسة القسم الأول من الصحيح والذي حدده القسم ليكون من أول الصحيح إلى نهاية كتاب الوضوء، ومجملها (١٨٧) حديثاً [٢] .

وتبرز أهمية كتب دراستي في الأمور التالية :

● كتاب بدء الوحي فيه (٧) أحاديث لها صلة كبيرة ومهمة بعلم الدعوة تحتاج إلى دراسة وتمحيص كحديث « **إنما الأعمال بالنيات** ..» وحديث : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي ...) وحديث هرقل مع أبي سفيان رضي الله عنه .

فبداية هذا الدين ونبوة رسول الله ﷺ تظهر من خلال أحاديث هذا الكتاب العظيم، لأخذ العبرة والدروس الدعوية منها، فكل داعية إلى الله له بداية في دعوته، وبلا شك أنه سوف يستفيد فائدة كبيرة من خلال دراسته واطلاعه على أحاديث هذا الباب .

● وكتاب الإيمان اشتمل على مجموعة من الأحاديث غير المكررة بلغ عددها : (٤٥) حديثاً فيها كثير من الفقه الدعوي المتعلق بأخلاق الداعية وصفاته، والمتعلق بموضوع الدعوة كحديث : « **بني الإسلام على خمس** ... » . وحديث: « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه** ... » . وحديث :« **ثلاث من كن فيه** ...» .

● أما كتاب العلم فقد اشتمل على (٦٣) حديثاً، فيها كثير من الفقه الدعوي المتعلق بالوسائل والأساليب، كحديث : « **ويل للأعقاب من النار** ... ». وحديث :

---

(١) – اختصار علوم الحديث، مع شرحه الباعث الحثيث، لأحمد شاكر، ص٢٢ .

(٢) – انظر تفصيلها في ص١٧ وما بعدها من هذا البحث .

« **إن من الشجر شجرة** ... »، وحديث : (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة ..) .

● وأما كتاب الوضوء فقد اشتمل على (٧٤) حديثاً فيها كثير من الفقه الدعوي المتعلق بالداعية كحديث : « **أن رجلاً رأى كلباً يلهث** ... » وأيضاً فيها فقه دعوي يتعلق بالوسائل والأساليب كحديث : (أتى رسول الله ﷺ فأخرجنا له ماء في تور من صفر، فتوضأ ، فغسل وجهه ثلاثاً ...)، وفي أحاديث هذا الكتاب فقه دعوي يتعلق بالمدعو، كحديث : (جاءت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فقالت ...) وأما الفقه الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة فهو الحديث عن الوضوء وسننه وأحكامه .

ومما يبين أهمية هذا البحث، النقاط الآتية :

١- إن الحديث النبوي الصحيح هو أساس مادته، وهذا يعني الأخذ من النبع النقيّ الصافي الذي يتصف بالثبات والاستقرار، لأنه يستقي مادته من أعظم كتب السنة الصحيحة .

٢- الاقتداء بشخص الرسول ﷺ وفي ذلك عبادة لله تعالى وهداية منه، وتنفيذ لأمره، يقول سعيد بن إسماعيل الزاهد [1] : من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة، لأن الله ﷻ يقول : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ [2] .

٣- الجمع بين الشمول والعالمية، فالشمولية لأن البحث يتطرق إلى كافة ميادين الدعوة، وأصولها وقضاياها . والعالمية لأن حديث الرسول ﷺ ودعوته لكل الناس في كل زمان، وفي كل مكان، ومنهجه ودعوته هي منهج ودعوة كل داعية في أي بقعة من الأرض يعيش عليها، وفي أي زمان هو فيه، يقول الله ﷻ : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو**

---

(١) - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ١/٨٠ .

(٢) - سورة النور : ٥٤ .

إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [١] ، ويقول الله ﷻ: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ [٢]، ويقول ﷻ : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [٣] .

أسباب اختيار الموضوع :

هذا وقد دعا الباحث إلى اختيار هذا الموضوع، عدة أسباب منها :

١–رغبة الباحث في أن يتصل بالسنة النبوية المشرفة،وخصوصاً منها كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري (رحمه الله) وذلك للاقتداء برسول الله ﷺ ، وفي ذلك عبادة لله تعالى وهداية منه،وتنفيذ لأمره،يقول الله ﷻ:﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ [٤] .

٢– كثرة الفوائد والمعارف في صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - كما ذكر ذلك العلماء [٥] .

٣– تقديم دراسة في علم الدعوة، حديثها ومادتها شخص رسول الله ﷺ الذي أمرنا بالاقتداء به والذي لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وذلك بدراسة أصح كتاب عنه دراسة دعوية، ليكون في متناول طلاب العلم والدعاة إلى الله ﷻ .

٤– تقديم علاج لما قد يحدث من خلاف وتنازع في بعض قضايا الدعوة ومناهجها .. وذلك من خلال الردِّ إلى سنة رسول الله ﷺ التي أمرنا عند الاختلاف والتنازع بالعودة والردِّ إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، وإلى سنة رسوله ﷺ، وذلك على ضوء فهم السلف الصالح لهما، يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - رحمه

---

(١) – سورة يوسف : ١٠٨ .

(٢) – سورة الأحزاب : ٢١ .

(٣) – سورة الأنبياء، آية : ١٠٧ .

(٤) – سورة النور : ٥٤ .

(٥) – انظر : مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم، ص١٤ .

الله - : (وهذا هو الواجب عند التنازع والاختلاف، أن يُرد إلى الله ورسوله ﷺ .

ولولا أن في كتابه، وسنة رسوله ﷺ، فصل النزاع ، لما أمر الله بالرد إليهما ، إذ يقول الله ﷻ : ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (١)) (٢).

أهداف الدراسة :

١- تقديم دراسة تأصيلية في علم الدعوة .

٢- كشف الفوائد والمعارف والفقه الدعوي في الجزء المحدد للباحث من صحيح الإمام البخاري.

٣- تأصيل مبدأ الرجوع إلى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة وفق فهم السلف الصالح عند كل قضية، وبخاصة في قضايا الدعوة التي تكاثر فيها رجوع الناس إلى آراء فرقتهم شيعاً .

موضوع الدراسة :

إن أعظم كتاب بعد كتاب الله ﷻ للتأصيل والتوثيق، هو صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - لمنزلته العظيمة بين العلماء والدعاة ، وهذا الكتاب ذكر فيه مؤلفه ما صح من سنة رسول الله ﷺ ، وأدرج فيه شيئاً من فقهه من خلال عناوين كتبه وأبوابه .

فبدراسة أحاديث هذا الكتاب دراسة دعوية، نخرج منها بالتأصيل والتوثيق واستنباط الفقه والأحكام والقواعد الدعوية، وعلاج الخلاف والنزاع الذي قد يحدث حول بعض قضايا الدعوة إلى الله ﷻ ، مما يساعد على نجاح الدعوة وتحقيق النتائج المرجوة منها .

---

(١) - سورة النساء : ٥٩ .

(٢) - انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ١٦٨/١ .

تساؤلات الدراسة :

س١- ما الفقه الدعوي في جهود الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ؟

س٢- ما الفقه الدعوي في أحاديث موضوع الدراسة ؟

س٣- ما المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة المتعلق بالداعية ؟

س٤- ما المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة المتعلق بالمدعو ؟

س٥- ما المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة المتعلق بموضوع الدعوة ؟

س٦- ما المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة المتعلق بالوسائل والأساليب؟

منهج الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على **المنهج الاستدلالي الاستنباطي** :

إذ سيقوم الباحث باستخدام هذا المنهج الذي هو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو من عدة قضايا معلومة، أو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة . فهو إذاً عملية عقلية منطقية ينتقل فيها الباحث من قضية أو عدة قضايا إلى قضية أخرى تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى تجربة (١) .

ضوابط الدراسة ومنهجها :

هناك مجموعة من الضوابط التي سوف يلتزم الباحث بمراعاتها أثناء دراسته للجزء المحدد له من صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - وهي على النحو الآتي :

١- ترجمة للرواة من الصحابة ﷺ مع التركيز على الجانب الدعوي في سيرهم ويكون ذلك في الهامش على أن لايزيد ذلك على الصفحة الواحدة .

---

(١) - انظر : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص١٤٩ الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، ط دار القلم دمشق . والبحث العلمي ومناهجه النظرية - رؤية إسلامية - د/سعد الدين السيد صالح، ص٢، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، ط مكتبة الصحابة جدة .

٢- شرح المفردات الغريبة في الحديث .

٣- دراسة دعوية لنص كل حديث وفق معنى (فقه الدعوة) المذكور في مقدمة هذا البحث .

٤- يلتزم الباحث بدراسة جميع أطراف الأحاديث الواردة في صحيح الإمام البخاري (رحمه الله) .

٥- ما يتوصل إليه الباحث من دلالات دعوية ينبغي أن تكون موثقة ومبنية على شروح أهل العلم المعتبرين .

هذ وإن المنهج الذي سلكه الباحث في دراسته يتلخص في الآتي :

١ - أبدأ أولاً بذكر اسم الباب، وإن لم يكن له اسم فأكتفي برقمه .

٢ - إذا كان الباب تحته أكثر من حديث، أكتفي بذكر اسم الباب فقط عند شرح أول حديث .

٣ - أذكر الحديث كاملاً بسنده، ولا أذكر الأطراف إلا إذا كان فيها زيادة عن الرواية الأولى .

٤ - أذكر تخريج أطراف الحديث من الصحيح في الهامش، وأخرجه من صحيح الإمام مسلم - رحمه الله - إذا كان متفقاً عليه .

٥ - أترجم في هذه الدراسة فقط لراوي الحديث من الصحابة ﵃ ، والأعلام الوارد ذكرهم في متن أحاديث الدراسة، والأعلام الذين في سند الحديث ممن لهم صلة بفائدة من فوائد الحديث .

تقسيم الدراسة :

المقدمة : وتتضمن الآتي :

١- التعريفات .

٢- مدخلاً للموضوع وأهميته .

٣- أهداف الدراسة .

٤- أسباب اختيارها .

٥- تحديد موضوع الدراسة وتساؤلاتها .

٦- المنهج المستخدم في الدراسة .

٧- ضوابط الدراسة .

● **مدخل للدراسة :**

- ترجمة موجزة للإمام البخاري (رحمه الله تعالى) .
- التعريف بصحيح الإمام البخاري (رحمه الله تعالى) .
- التعريف بكتب موضوع الدراسة في الصحيح، وأبوابها، وأحاديثها، وجهود الإمام البخاري (رحمه الله تعالى) فيها .

● **القسم الأول : الدراسة الدعوية للأحاديث الواردة في موضوع الدراسة :**

الفصل الأول : كتاب بدء الوحي .

الفصل الثاني : كتاب الإيمان .

الفصل الثالث : كتاب العلم .

الفصل الرابع : كتاب الوضوء.

● **القسم الثاني : المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة :**

الفصل الأول : المنهج الدعوي المتعلق بالداعية .

الفصل الثاني : المنهج الدعوي المتعلق بالمدعو .

الفصل الثالث : المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة.

الفصل الرابع : المنهج الدعوي المتعلق بالوسائل والأساليب .

- الخاتمة،
- الفهارس .

شكر وتقدير

الحمد والشكر والثناء كله لله ﷻ، الذي وفقني ويسر لي كتابة هذا البحث، وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبله مني وأن يجعله في ميزان أعمالي، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

وأول من أتقدم له بالشكر والدعاء : والدي الكريمين على ما بذلاه وهيآه لي ، حتى وصلت إلى هذه المرحلة من العمر والتعليم ، فأسأل الله ﷻ ، أن يُطيل في عمرهما على الطاعة ، وأن يمتعهما بالصحة والعافية ، وأن يجعل عاقبتهما جنة عرضها السموات والأرض ، ثم أتقدم بالشكر الجزيل للمشرف على هذه الدراسة، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / زيد بن عبد الكريم الزيد، على جهوده الكبيرة في توجيهي وإرشادي إلى كل ما يخدم البحث، وعلى مابذله من جهد ووقت ومؤازرة وتشجيع، ومهما قلت من الشكر له فهو قليل في حقه، ولكن ما أقول له إلا جزاك الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعةِ الإمـامِ محمدٍ بنِ سعود الإسلامية، وبخاصة كلية الدعوةِ والإعلام، والمسؤولين فيها وعلى رأسِهم فضيلة عميد الكليةِ ووكيليه، على كلِّ مابذلوه ويبذلونَه لطلاب العلمِ من علمٍ وجهدٍ وإعانةٍ وتوجيه .

كما أتقدم بالشكرِ والعرفانِ إلى كلِّ من وقفَ معي وساعدني في هذا البحثِ، وهم كثيرٌ جداً، منهم أساتذةُ كليةِ الدعوةِ والإعلامِ، والزملاء في الكلية، والزملاء في الموسوعة الحديثية، وإن كنت لم أذكرِ الأسماء فذلك لكثرتِهم وخشيةَ أن يفوتَني منهم أحدٌ له فضلٌ كبيرٌ علي بعد فضلِ الله ﷻ .

هذا والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

مدخل للدراسة

- ترجمة موجزة للإمام البخاري (رحمه الله تعالى) .

- التعريف بصحيح الإمام البخاري (رحمه الله تعالى) .

- التعريف بكتب موضوع الدراسة في الصحيح، وأبوابها، وأحاديثها، وجهود الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - فيها .

- ترجمة موجزة للإمام البخاري (رحمه الله تعالى).

نسبه : هو أبوعبدا لله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرِدِزبَة - ومعناها الزراع - بباء موحدة مفتوحة ثم راء ساكنة ثم دال مهملة مكسورة ثم زاي ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم هاء، البخاري . (١)

مولده، ونشأته : ولد أبو عبد ا لله في شوال بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من سنة أربع وتسعين ومائة، ببخارى، ومات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر أمه (٢) .

هذا وقد كانت نشأته - رحمه ا لله - منذ صغره تدل على نبوغه وتفوقه على أقرانه، بل وبعض شيوخه، إذ روى الإمام الذهبي - رحمه ا لله - بسنده إلى محمد بن أبي حاتم، قال : قلت لأبي عبدا لله : كيف كان بدء أمرك ؟

قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب .

فقلت : كم كان سنك ؟

قال : عشر سنين، أو أقل . ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره . فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس : سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت له : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له : ارجع إلى الأصل : فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لي : كيف هو ياغلام ؟ قلت : هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، وقال : صدقت . فقيل للبخاري:

---

(١) - انظر : تهذيب الأسماء واللغات، للحافظ أبي زكريا محيي الدين النووي، ٦٧/١ . وسير أعلام النبلاء، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ٣٩١/١٢ . والبداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء ابن كثير، ٢٤/١١ . وهدي الساري مقدمة فتح الباري، للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ص٥٠١ .

(٢) - انظر : تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٦٨/١ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٩٢/١٢ . والبداية والنهاية، لابن كثير، ٢٥/١١ . وهدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر، ص٥٠١ .

ابن كم كنت حين رددت عليه ؟ قال : ابن إحدى عشرة سنة . فلما طعنت في ستّ عشرة سنة . كنت قد حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، يعني أصحاب الرأي، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت، رجع أخي بها . وتخلفت في طلب الحديث . (١)

قال أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ – رحمه الله – : (سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري، قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها، وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لهذا، وإسناد هذا المتن لهذا، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث، ليلقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم، فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: لاأعرفه. وسأله عن آخر، فقال : لا أعرفه، وكذلك حتى فرغ من عشرته . فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون : الرجل فهم . ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز، ثم انتدب آخر، ففعل كما فعل الأول . والبخاري يقول : لا أعرفه . ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لايزيدهم على: لا أعرفه . فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال : أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فردَّ كل متن إلى إسناده . وفعل بالآخرين مثل ذلك . فأقر له الناس بالحفظ . فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : الكبش النّطاح) . (٢)

شيوخه : رحل الإمام البخاري – رحمه الله – إلى المراكز المهمة التي حوت كبار المحدثين في بلاد المسلمين، واستفاد من الشيوخ الذين هم محل الثقة والأمانة ، إذ روي عنه أنه قال : (كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث) (٣) . وقال أيضاً – رحمه الله – : (لم أكتب إلا عمّن قال الإيمان قول

---

(١) – سير أعلام النبلاء، ٣٩٣/١٢ . وانظر : هدي الساري، لابن حجر، ص٥٠٢ .

(٢) – انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٠٨/١٢،٤٠٩ .

(٣) – هدي الساري، لابن حجر، ص٥٠٣ .

وعمل) (١) . وهذا هو شأن الدعاة إلى الله ﷻ، وطلبة العلم الموفقين، إذ أنهم يحرصون على الدقة في اختيار شيوخهم من العلماء الصالحين في عقيدتهم وسلوكهم، الذين هم على منهج أهل السنة والجماعة، فالعلم دين، لذا ينبغي أن يعرف الإنسان ممّن يأخذ دينه .

هذا وقد قسم الحافظ ابن حجر - رحمه الله - شيوخ الإمام البخاري - رحمه الله - إلى خمس طبقات، فقال :

الأولى : من حدثه عن التابعين - يعني أتباع التابعين - مثل : محمد بن عبد الله الأنصاري حدثه عن حميد، ومكي بن إبراهيم حدثه عن يزيد بن أبي عبيد، وأبي عاصم النبيل حدثه عن يزيد بن أبي عبيد، وأبي نعيم حدثه عن الأعمش .

الثانية : من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين، كآدم بن أبي إياس، وأبي مسهر، وسعيد بن أبي مريم، وأمثالهم .

الثالثة : هي الوسطى من مشايخه، وهم من لم يلق التابعين، بل أخذ من كبار تبع الأتابع، كسليمان بن حرب، وقتيبة بن سعيد، ونعيم بن حماد، وعلي بن المديني، ويحيى ابن معين، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وهذه الطبقة قد شاركه الإمام مسلم - رحمه الله - في الأخذ عنهم .

الرابعة : رفقاؤه في الطلب، ومن سمع قبله قليلاً، كمحمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي، وعبد بن حميد، وإنما يُخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه، أو ما لم يجده عند غيرهم .

الخامسة : قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة كعبد الله ابن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي (٢) .

ومن شيوخ الإمام البخاري - رحمه الله - وطبقاتهم نخرج بفائدة دعوية، وهي الحرص على طلب العلم وجمعه من جميع مظانه، وذلك بالحرص على علو السند، فإن

---

(١) - نقلاً عن : هدي الساري، لابن حجر، ص٥٠٣ .

(٢) - انظر : المرجع السابق، ص٥٠٣ .

لم يوجد فالأدنى، حتى ولو نزل الإنسان إلى من هو أقل منه رتبة ومنزلة في العلم، يقول الإمام وكيع - رحمه الله -: (لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه)[١]. وقال الإمام البخاري -رحمه الله-: (لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه) [٢] .

تلاميذه : أخذ عن الإمام البخاري الحديث خلق كثير، حتى قيل : سمع منه كتابه الصحيح، سبعون ألف رجل ، وقيل تسعون ألفاً [٣] . بل ورد أنه اجتمع في مجلسه ما يقارب العشرين ألف طالب [٤]، وهذا كله يدل على حرصه -رحمه الله- على تبليغ العلم ، ونشره بين الناس ، مما جعل طلاب العلم يتسابقون على مجلسه .

ومن أبرز تلاميذه وأعيانهم : الإمام مسلم ابن الحجاج، والإمام الترمذي، والإمام أبو زرعة الرازي، والإمام أبو حاتم الرازي، والإمام النسائي، والإمام ابن خزيمة، وغيرهم كثير [٥] .

ذكر شيءٍ من عبادته وورعه : لقد كان الإمام البخاري - رحمه الله - إماماً في عبادته وورعه، كما أنه إمام في علمه وفقهه، فما وصل إلى هذه الدرجة من العلم والحفظ والقبول عند الناس وبركة العلم، إلا بالعبادة والتقوى، والبعد عن معصية الله ﷻ، فقد ذكر العلماء - رحمهم الله - شيئاً كثيراً عن حاله في العبادة والتقوى، يدل على عظم منزلته، وصدقه مع ربه ﷻ، يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله - عن مقسم بن سعد : كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة،

---

(١) - نقلاً عن : هدي الساري، لابن حجر، ص٥٠٣ .

(٢) - المرجع السابق، ص٥٠٣ .

(٣) - انظر : البداية والنهاية، لابن كثير، ١١/٢٥ . وهدي الساري، لابن حجر، ص٥٠٣ .

(٤) - انظر : تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١/٧٠ .

(٥) - انظر : المرجع السابق، ١/٦٩،٧١ . وهدي الساري، لابن حجر، ص٥١٦، ٥١٧ .

ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة [١] .

وقال الإمام البخاري – رحمه الله – : (إني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبني أني اغتبته . فذُكر له التاريخ، وما ذَكر فيه من الجرح والتعديل وغير ذلك . فقال : ليس هذا من هذا، قال النبي ﷺ : « **ائذنوا له، فلبئس أخو العشيرة** » [٢]، ونحن إنما روينا ذلك رواية، و لم نقله من عند أنفسنا) [٣] .

وحكى أبو الحسن يوسف بن أبي ذر – رحمه الله – : (أن محمد بن إسماعيل مرض، فعرضوا ماءه على الأطباء، فقالوا : إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى، فإنهم لا يأتدمون، فصدقهم محمد بن إسماعيل وقال : لم آتدم منذ أربعين سنة، فسألوا عن علاجه ؟ فقالوا : علاجه الآدم، فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم، فأجابهم إلى أن يأكل مع الخبز سكرة) [٤] .

وعن محمد بن منصور – رحمه الله – أنه قال : (كنّا في مجلس أبي عبد الله البخاري فرفع إنسان من لحيته قذاة وطرحها إلى الأرض، فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأيته مدّ يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها وطرحها على الأرض، فكأنه صان المسجد عمّا تصان عنه لحيته) [٥] .

وقال الإمام البخاري – رحمه الله – يوماً (لأبي معشر الضرير اجعلني في حل يا أبا معشر، فقال من أي شيء، فقال رويت حديثاً يوماً فنظرت إليك وقد أعجبت به

---

(١) – انظر : هدي الساري ، ص٥٠٥ .

(٢) – صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، برقم ٦١٣١، ١٣٣/٧ .

(٣) – نقلاً عن : البداية والنهاية، لابن كثير، ٢٦/١١ . وانظر : ما تمس إليه حاجة القاري لصحيح الإمام البخاري، للنووي، ص٢٥ . بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الكتب العلمية، بيروت. وهدي الساري، لابن حجر، ص٥٠٤ .

(٤) – نقلاً عن : المرجع السابق، ص٥٠٥ .

(٥) – نقلاً عن : المرجع السابق، ص٥٠٥ .

وأنت تحرك رأسك ويديك فتبسمت من ذلك، قال : أنت في حل يرحمك الله يا أبا عبد الله) (١) .

وقال أبو سعيد بكر بن منير – رحمه الله – : (حُمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حفص، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم : انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، وقال : إني نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين فدفعها إليهم، وقال : لا أحب أن أنقض نيتي) (٢) .

فهذه أحرف من عيون مناقب الإمام البخاري – رحمه الله – وصفاته ودرر شمائله وحالاته، أشرت إليها إشارة، تغني اللبيب عن الإطالة .

محنته ووفاته : استمر –رحمه الله – في طلب العلم وتعليمه والتأليف فيه، وخاصة في بلده بخارى، حتى أصبحت مكانته عظيمة عند أهل بلدته، وفي يوم من الأيام بعث أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلي إلى البخاري أن احمل إليّ كتاب الجامع، والتاريخ وغيرهما لأسمع منك ، فقال الإمام البخاري – رحمه الله – لرسوله : أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كانت لك إلى شيءٍ منه حاجة، فاحضرني في مسجدي ، أو في داري ، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من الجلوس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم، فكان ذلك سبب الوحشة بينهما (٣) .

يقول أبو بكر بن أبي عمرو – رحمه الله – : فاستعان الأمير ببعض فقهاء المدينة عليه، فتكلم فيه، فنفاه من البلد، فدعا الإمام البخاري – رحمه الله – عليهم فقال : اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهليهم . قال : فأما خالد فلم يأت عليه أقل منه شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان،

---

(١) – نقلاً عن : هدي الساري، ص٥٠٤ .

(٢) – نقلاً عن : المرجع السابق، ص٥٠٤ .

(٣) – انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٢/٤٦٤ . وهدي الساري، لابن حجر، ص٥١٨ .

وآل به الأمر إلى الذل حتى توفي وهو بالحبس، وكل من آذاه رأى في نفسه أو ولده، أو أهله البلايا [١] .

قال عبد القدوس بن عبد الجبار – رحمه الله – : فخرج الإمام البخاري – رحمه الله – إلى مدينة (خرتنك) [٢] ، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، قال : فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه : اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك . قال : فما تم الشهر حتى قبضه الله ﷻ[٣]. وذلك ليلة السبت ليلة الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين . وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً . [٤]

ثناء العلماء عليه : هذا وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه : فقال الإمام أحمد – رحمه الله –: ما أخرجت خراسان مثله . [٥]

وقال الحافظ ابن كثير عن البخاري – رحمهما الله –: إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه . [٦]

وقال الإمام الدارمي – رحمه الله – رأيت العلماء بالحرمين والعراقين فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل البخاري . [٧]

وقال عمرو بن القلاس – رحمه الله – : (حديث لا يعرفه البخاري ليس

---

(١) – انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٢/٤٦٤ . وهدي الساري، لابن حجر، ص٥١٨ .

(٢) – قرية من قرى سمرقند، انظر : هدي الساري ص٥١٨ .

(٣) – انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٢/٤٦٤ . وهدي الساري، لابن حجر، ص٥١٨ .

(٤) – انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١/٦٧ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٢/٤٦٨ . والبداية والنهاية، لابن كثير، ١١/٢٧ . هدي الساري ، لابن حجر، ص٥١٨ .

(٥) – نقلاً عن : البداية والنهاية، لابن كثير، ١١/٢٥ .

(٦) – المرجع السابق، ١١/٢٤ .

(٧) – نقلاً عن : تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر، ٩/٤٥ .

بحديث) [١] .

وقال عبد الله بن محمد المسندي – رحمه الله –: (محمد بن إسماعيل إمام، فمن لم يجعله إماماً فاتهمه) [٢] .

وقال يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقِيّ، ونعيم بن حماد – رحمهما الله –: (محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة) [٣] .

وقال يحيى بن جعفر – رحمه الله – : (لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت ، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم) [٤] .

ويقول سعيد بن جعفر – رحمه الله – : (سمعت العلماء بالبصرة يقولون : ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح) [٥] .

ويقول محمد بن بشار – رحمه الله – : (دخل اليوم سيد الفقهاء) [٦] .

---

(١) – نقلاً عن : تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٦٩/١ .

(٢) – نقلاً عن : المرجع السابق، ٦٩/١ .

(٣) – نقلاً عن : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤١٩/١٢ و ٤٢٤ .

(٤) – نقلاً عن : المرجع السابق، ٤١٨/١٢ .

(٥) – نقلاً عن : المرجع السابق، ٤٤٢/١٢ .

(٦) – نقلاً عن : ما تمس إليه حاجة القاري لصحيح الإمام البخاري، للنووي، ص٢٦ .

مصنفاته :

١ – كتاب الجامع الصحيح : المسمى : (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) وهو الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث .

٢ – كتاب الأدب المفرد، وهو مطبوع عدة مرات ، من آخرها طبعة محققة تحت عنوان صحيح الأدب المفرد وضعيفه ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله تعالى – (١).

٣ – جزء القراءه خلف الإمام، وهي رسالة مشهورة للإمام البخاري – رحمه الله – أثبت فيها القراءة خلف الإمام ورد على أدلة المخالفين (٢) .

٤ – جزء رفع اليدين في الصلاة، وهو من رواية محمود بن إسحاق الخزاعي، وهو مطبوع ومحقق، باسم جلاء العينين بتخريج روايات البخاري في جزء رفع اليدين، لمحمد بديع الدين السندي (٣).

٥ – كتاب خلق أفعال العبد، ورواه عنه يوسف بن ريحان بن عبد الصمد، والعلامة الفربري، وفيه رد على الجهمية والمعطلة بالآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين، وهو مطبوع (٤) .

٦ – كتاب التاريخ الكبير، وهو التاريخ الذي ألفه الإمام البخاري حينما كان في الثامنة عشرة من عمره، وذلك في الليالي المقمرة في المسجد النبوي، ولما رآه إسحاق

---

(١) – طبع مكتبة الدليل، الجبيل، المملكة العربية السعودية .

(٢) – انظر : الإمام البخاري وصحيحه الجامع، لأحمد فريد، ص٧٣، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الدعوة السلفية، الاسكندرية.

(٣) – انظر : المرجع السابق، ص٧٢ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ص٧٢ .

ابن راهوية فرح به وقدمه إلى الأمير عبد الله بن طاهر الخراساني، وقال له : ألا أريك سحراً (١) . وقد استوعب هذا الكتاب من روى عنهم الحديث من الصحابة ﷺ، والتابعين، وأتباع التابعين، مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء (٢) .

٧ – كتاب التاريخ الأوسط، ولم يطبع هذا الكتاب (٣) .

٨ – كتاب التاريخ الصغير، وهو مطبوع من رواية أبي محمد بن زنجوية، وقد ذكر فيه الإمام البخاري مشاهير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وسني وفاتهم، ونسبهم ولقاءهم، ورتب تأليفه على السنوات (٤) .

٩ – كتاب برِّ الوالدين (٥) .

١٠ – كتاب الهبة (٦) .

١١ – كتاب الجامع الكبير.

١٢ – كتاب المسند الكبير.

١٣ – كتاب التفسير الكبير .

١٤ – كتاب الأشربة .

١٥ – كتاب العلل .

١٦ – كتاب أسامي الصحابة .

---

(١) – انظر : هدي الساري، لابن حجر، ص٥٠٧ .

(٢) – انظر : سيرة الإمام البخاري، لعبد السلام المباركفوري، ص١٤٦، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ط الدار السلفية، بومباي، الهند . والإمام البخاري وصحيحه الجامع، لأحمد فريد، ص٧١ .

(٣) – انظر : الإمام البخاري وصحيحه الجامع، لأحمد فريد، ص٧٢ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ص٧٢ .

(٥) – هذا الكتاب وما بعده من الكتب، بعضها ما زال مخطوطاً وبعضها في عداد المفقودة . انظر : هدي الساري، لابن حجر، ص٥١٦، ٥١٧ . وسيرة الإمام البخاري، لعبد السلام المباركفوري، ص١٤٦–١٥٥ . والإمام البخاري وصحيحه، لأحمد فريد، ص٧٣ .

(٦) – هذا الكتاب وما بعده إلى رقم ٢٠ ، انظر : فتح الباري ، لابن حجر ، ص٥١٦،٥١٧ .

١٧ - كتاب الوحدان .

١٨ - كتاب المبسوط .

١٩ - كتاب الكنى .

٢٠ - كتاب الفوائد .

- التعريف بصحيح الإمام البخاري (رحمه الله تعالى) .

اسم الكتاب : لقد اشتهر صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - قديماً وحديثاً، في أشهر كتب الفقه والتفسير . وأكثر شروح الحديث ، وسائر كتب الفنون الأخرى ، وعلى ألسنة معظم الناس وجمهرة العلماء باسم : (صحيح الإمام البخاري).

ولكن اسم الكتاب الذي وضعه له مؤلفه، هو (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) [1] .

موضوعه : قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في مقدمته لفتح الباري، عن كتاب صحيح الإمام البخاري : إنه التزم فيه الصحة، وأنه لايورد فيه إلا حديثاً صحيحاً، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) . [2]

شرطه في صحيحه : (شرط البخاري - رحمه الله - أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، ويكون سنده متصلاً غير مقطوع، وإن كان للصحابي راويان فصاعداً فحسن، وإن لم يكن إلا راو واحد، وصح الطريق إليه كفى) [3] .

عدد أحاديثه : قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في مقدمة كتابه فتح الباري : (قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح فيما رويناه عنه في علوم الحديث، عدد أحاديث صحيح البخاري : (٧٢٧٥) سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون

---

(١) - انظر : هدي الساري، ص١٠ .

(٢) - المرجع السابق، ص١٠ . وانظر : مكانة الصحيحن، لخليل إبراهيم ملا خاطر، ص٥٩، الطبعة الثانية ١٤١٥، ط دار القبلة للثقافة الإسلامية .

(٣) - هدي الساري، لابن حجر، ص١١ . وانظر : الحطة في ذكر الصحاح الستة، لأبي الطيب السيد صديق حسن القنوجي، ص١٦٨، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت .

بالأحاديث المكررة، وبإسقاط المكرر : (٤٠٠٠) أربعة آلاف . هكذا أطلق ابن الصلاح وتبعه الشيخ محيي الدين النووي) [١].

ولكن الذي حرره الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن عدد أحاديث صحيح الإمام البخاري – رحمه الله – **أن المتون الموصولة بلا تكرار** ألفا حديث وستمائة حديث وحديثان (٢٦٠٢) . ومن **المتون المعلقة المرفوعة** التي لم يوصلها في موضع آخر من الجامع المذكور : مائة وتسعة وخمسون حديثاً فجميع ذلك : ألفا حديث وسبعمائة وواحد وستون حديثاً (٢٧٦١) . [٢]

ثم ذكر – رحمه الله – أن جملة ما في الكتاب من **التعاليق** : ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون حديثاً (١٣٤١) وأكثرها مكرر مخرج في الكتاب أصول متونه ، وليس فيه من **المتون التي لم تخرج في الكتاب** ولو من طريق أخرى، إلا مائة وستون حديثاً (١٦٠) . إلى أن قال : وجملة مافيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات : ثلاثمائة وواحد وأربعون حديثاً (٣٤١) . [٣]

وقال –رحمه الله- في موضع آخر : فجميع أحاديثه **بالمكرر سوى المعلقات**، على ماحررته وأتقنته : سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً (٧٣٩٧). فقد زاد على ماذكروه مائة حديث واثنين وعشرين حديثاً (١٢٢). [٤]

ثم قال – رحمه الله – : **فجميع مافي الكتاب على هذا بالمكرر**، تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً (٩٠٨٢) . وهذه العدة خارجة عن **الموقوفات** على الصحابة، **والمقطوعات** عن التابعين فمن بعدهم . وقد استوعبت وصل جميع ذلك في كتاب (تغليق التعليق) . [٥]

---

(١) – هدي الساري، لابن حجر ، ص٤٨٩ .

(٢) – المرجع السابق، ص٥٠١ .

(٣) – المرجع السابق، ص ٤٩٣ .

(٤) – المرجع السابق، ص٤٩٢ .

(٥) – وقد ذكر حاصل كلام ابن حجر – رحمه الله – كل من صاحب كتاب : مفتاح السنة، محمد =

ثم ذكر - رحمه الله - سبب هذا التفاوت فيما حرره من عدد أحاديث الصحيح، وماحرره غيره كابن الصلاح وغيره، فقال : ماعرفت من أين أتى الوهم في ذلك - أي العدد - ثم تأولته على أنه يحتمل أن يكون العادُّ الأول الذي قلدوه في ذلك كان إذا رأى الحديث مطولاً في موضع ومختصراً في موضع آخر يظن أن المختصر غير المطول، إما لطول العهد به أو لقلة المعرفة بالصناعة . ففي هذا الكتاب من هذا النمط شيء كثير . وحين إذن يتبين السبب في تفاوت ما بين العددين . (١)

أما عدد أحاديث الكتاب التي توصل إليها الباحث (٢)، فقد بلغ : (٢٦٠٥) أحاديث، وهذا العدد قريب من عدد الحافظ ابن حجر - رحمه الله - لأحاديث الصحيح بغير المكرر، الذي ذكر قبل قليل .

في بيان تقطيعه للحديث واختصاره وفائدة إعادته له في الأبواب وتكراره : إن الإمام البخاري - رحمه الله - يُورد الأحاديث في صحيحه، أحياناً كاملة، وأحياناً مختصرة مكتفياً بموضع الشاهد، وأحياناً كثيرة يكرر الحديث في أكثر من موضع، وعن سبب صنيعه ذلك يقول الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي - رحمه الله - : (اعلم أن البخاري - رحمه الله - كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع، ويستدل به في كل باب بإسناد آخر، ويستخرج منه بحس استنباطه، وغزارة فقهه، معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه، وقلما يورد حديثاً في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان نذكرها والله أعلم بمراده منها : فمنها أنه يخرج

=

عبدالعزيز الخولي ص٤٠، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ، طبع دار الكتب العلمية ببيروت . وصاحب كتاب : الباعث الحثيث، أحمد محمد شاكر، ص٢٣ . وصاحب كتاب : الإمام البخاري وصحيحه، الدكتور/ عبدالغني عبدالخالق ص١٨٧، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، طبع دار المنارة السعودية بجدة.

(١) - هدي الساري، ص٥٠٢ . وانظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة، لصديق حسن القنوجي، ص١٧٥.

(٢) - توصل الباحث إلى عدد أحاديث الدراسة، بمعونة إخوانه المسجلين في الموسوعة الدعوية الحديثية، وبالاعتماد على النسخة المعتمدة في هذه الدراسة، والتي وضع أرقامها الاستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي، وميّز المكرر من غير المكرر في كتابه : (قرة العينين في أطراف الصحيحين، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ط دار الحديث، القاهرة) .

الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر، والمقصود منه أن يخرج الحديث عن حدّ الغرابة، وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة، وهلم جرا إلى مشايخه، فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار، وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة.

ومنها أنه صحح أحاديث على هذه القاعدة، يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة، فيورد في كل باب من طريق غير الطريق الأولى .

ومنها أحاديث يرويها بعض الرواة تامة، ويرويها بعضهم مختصرة، فيوردها كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقليها .

ومنها أن الرواة ربما اختلفت عباراتهم فحدث راو بحديث فيه كلمة تحتمل معنى، وحدث به آخر فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر فيورده بطرقه إذا صحت على شرطه، ويفرد لكل لفظه باباً مفرداً .

ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال، ورجح عنده الوصل فاعتمده وأورد الإرسال، منبهاً على أنه لا تأثير له عنده في الوصل .

ومنها أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك .

ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلاً في الإسناد، ونقصه بعضهم، فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر، ثم لقي الآخر فحدثه به، فكان يرويه على الوجهين.

ومنها أنه ربما أورد حديثاً عنعنه راوية، فيورده من طريق أخرى مصرحاً فيها بالسماع على ما عرف من طريقته في اشتراط ثبوت اللقاء في المعنعن، فهذا جميعه فيما يتعلق بإعادة المتن الواحد في موضع آخر أو أكثر .

وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى، فذلك لأنه إن كان المتن قصيراً أو مرتبطاً بعضه ببعض، وقد اشتمل على حكمين فصاعداً، فإنه يعيده بحسب ذلك مراعياً مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية، وهي إيراده له عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك كما تقدم تفصيله، فنستفيد بذلك تكثير الطرق لذلك الحديث، وربما ضاق عليه مخرج الحديث حيث لا يكون له إلا طريق واحدة فيتصرف حينئذ فيه، فيورده في موضع موصلاً وفي موضع معلقاً، ويورده

تارة تاماً، وتارة مقتصراً على طرفه الذي يحتاج إليه في ذلك الباب، فإن كان المتن مشتملاً على جمل متعددة لا تعلق لإحداها بالأخرى فإنه يخرج كل جملة منها في باب مستقل فراراً من التطويل، وربما نشط فساقه بتمامه فهذا كله في التقطيع) (١) .

إذن فالإمام البخاري - رحمه الله تعالى - لا يعيد الحديث إلا لفائدة تتعلق بالإسناد، أو المتن، أو على أقل تقدير لأجل مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية (٢) .

---

(١) - نقلاً عن : هدي الساري، لابن حجر، ص١٧. وانظر: الحطة، لصديق حسن، ص١٧١ .

(٢) - انظر : المرجع السابق، ص١٨ .

- التعريف بكتب موضوع الدراسة في الصحيح، وأبوابها، وأحاديثها، وجهود الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- فيها .

إن القسم الأول من صحيح الإمام البخاري - المحدد للباحث من القسم المختص بالكلية - يبدأ من أول الصحيح بكتاب بدء الوحي، ثم كتاب الإيمان، ثم كتاب العلم، وينتهي بنهاية كتاب الوضوء .

هذا وقد رتب الإمام البخاري - رحمه الله - هذه الكتب، وجميع كتب الصحيح وأبوابها وأحاديثها، بعناية فائقة، وفقه عظيم، مقتدياً فيه بحديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه : « **بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** » (١)، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : اعلم أن الإمام البخاري - رحمه الله - كان مع جلالة قدره وديانته، وما وُصف به من الإتقان والحفظ والعناية، متمسكاً أحسن تمسك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة ﷺ، معتنياً بالتنقيب عن ظواهر الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، إذ أنه بدأ الكتاب بمقدمة في بيان ابتداء الوحي، الذي هو منبع الخيرات، وبه قامت الشرائع، وجاءت الرسالات، ومنه عُرف الإيمان وسائر العلوم، ثم عقبه بذكر كتاب الإيمان الذي هو ملاك الأمر كله، إذ الباقي مبني عليه، مشروط به، وبه النجاة في الدارين، ثم عقبه بكتاب العلم، لأن مدار الكتب التي تأتي بعده كلها عليه، وبه تُعلم وتُميز وتُفضل، وبعد الإيمان تأتي الصلاة والتي هي مقدمة على سائر العبادات، ولا يتوصل إليها إلا بالطهارة، فلهذا قدم كتاب الوضوء على سائر الكتب، وهكذا سار الإمام البخاري -رحمه الله- في سائر كتبه التي في

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم لقوله تعالى : ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ برقم ٨، ١/٩ .

الصحيح (١) .

هذا وقد سلك الإمام البخاري – رحمه الله – **في ترتيبه للأبواب** مسلكاً يدل على فقهه، وحسن ترتيبه، وعِظم عنايته بكتبه وأبوابها، إذ وضع لها التراجم التي ضمنها كثيراً من فقهه، (ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء : فقه البخاري في تراجمه) (٢)، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحاً : ثم رأى أن لايخليه من الفوائد الفقهية، والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة) . (٣)

بل ذكر بعض العلماء – رحمهم الله – : أن من أسباب تفضيل صحيح الإمام البخاري، على صحيح الإمام مسلم – رحمهما الله – ما ضمن أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار، وأدهشت العقول والأبصار (٤) .

هذا وقد ذكر العلماء – رحمهم الله – أن **جملة تراجم أبوابه تنقسم أقساماً كثيرة** (٥)، سوف يكتفي الباحث بذكر أمثلة منها ، وهي :

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٦٩/١، ٢/٢، ١٦٨/٢، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت . وهدي الساري، لابن حجر، ص٤٩٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١٠١/١، ٢/٢، ٢٢٥/٢، بدون تاريخ ورقم الطبعة، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت . وفيض الباري مختصر شرح صحيح البخاري، للإمام النووي، اختصار محمد بن ياسين بن عبد الله، ص٤٢، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط المكتبة التجارية، مكة المكرمة .

(٢) – هدي الساري، لابن حجر، ص١٦ .

(٣) – المرجع السابق، ص١٠ .

(٤) – انظر : تراجم البخاري، للقاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، ص٩٥،٩٦، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر .

(٥) – للمزيد، انظر : المتواري على تراجم البخاري، لناصر الدين أحمد بن محمد، المعروف بـ (ابن المنير)، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ط مكتبة المعلا، الكويت . وتراجم البخاري، للقاضي بدر الدين =

– أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد من الحديث، وهذه فائدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة، كأنه يقول : هذا الباب الذي فيه كيت وكيت [١] .

– أنه يترجم بحديث مرفوع ليس على شرطه، ويذكر في الباب حديثاً شاهداً له على شرطه [٢] .

– ومنها أنه يترجم بمسألة اختلفت فيها الأحاديث، فيأتي بتلك الأحاديث على اختلافها ليقرب للفقيه من بعده أمرها [٣] .

– ومنها أنه قد تتعارض الأدلة، ويكون عند الإمام البخاري –رحمه الله– وجه توفيق بينها، يحمل كل واحد على محمل، فيترجم بذلك المحمل إشارة إلى التوفيق [٤] .

– ومنها أنه قد يترجم بلفظ الاستفهام، وذلك حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين، وغرضه أن يبقى للنظر مجالاً [٥] .

– ومنها أنه كثيراً ما يترجم على الحديث، ودلالة الترجمة في الطريق الأخرى،

= محمد بن إبراهيم بن جماعة . وهدي الساري، لابن حجر، ص١٥:١٦ . والحطة، لصديق حسن، ص١٧٣-١٧٥ .

(١) – مثال ذلك : في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، أورد فيه حديث : « **المسلم من سلم ..** » . (انظر : صحيح البخاري، ٢٤/١) .

(٢) – مثال ذلك : في كتاب الإيمان، قال : باب قول النبي ﷺ : « الدين : النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »، وقوله تعالى : ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾، ثم ساق حديث جرير ﷺ، الذي على شرطه كشاهد له . (انظر : صحيح البخاري، ٢٤/١) .

(٣) – مثاله : في كتاب الوضوء ، قال : باب خروج النساء إلى البراز ، وذكر فيه حديثين مختلفين . (انظر: صحيح البخاري ٥٢/١) .

(٤) – مثاله : في كتاب الإيمان، قال : باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر . ثم ذكر فيه حديث : « **سِبابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ** » . (انظر : صحيح البخاري، ٢١/١) .

(٥) – مثاله : في كتاب العلم، قال : باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم . (انظر :صحيح البخاري، ٣٩/١)

وهذا لأجل تنبيه الناظر في كتابه على الاعتناء بتتبّع طرق الحديث [١] .

أما الأمثلة على بديع ترتيبه للأبواب وأحاديثها، فمنها :

أولاً – في كتاب الإيمان أورد باباً قال فيه : (باب ظلم دون ظلم) [٢]، ثم عقبه بالباب الذي قال فيه : (باب علامة النفاق) [٣]، وعن هذا الترتيب يقول محمد بن إسماعيل التيمي – رحمه الله – عند شرحه لجملة من حديث الباب، وهي قول الله ﷻ : ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ : (خلط الإيمان بالشرك – الأكبر – لا يتصور، فالمراد أنهم لم تحصل لهم الصفتان، كفر متأخر عن إيمان متقدم، أي لم يرتدوا، ويحتمل أن يراد أنهم لم يجمعوا بينهما ظاهراً وباطناً، أي لم ينافقوا . وهذا أوجه، ولهذا عقبه المصنف بباب علامات المنافق، وهذا من بديع ترتيبه) [٤] .

ثانياً – في كتاب الإيمان أورد باباً قال فيه : (باب الدين يُسر) [٥]، بعد مجموعة من الأبواب التي ذكر فيها مجموعة من الأحاديث التي تدل على أن العمل من الإيمان، وعن مناسبة هذا يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (إيراد المصنف لهذا الحديث عقب الأحاديث التي قبله، ظاهرة من حيث أنها تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد، فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع . ثم عاد إلى سياق

---

(١) – مثاله : في كتاب العلم، قال : باب السمر في العلم، ثم أورد حديثاً لابن عباس رضي الله عنهما، بطريق ليس فيها تصريح بالسمر في العلم، إنما التصريح جاء من طريق أخرى – في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب } ، برقم٤٥٦٩، ٢٠٦/٥ – عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فيها : (..فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعةً ثم رقد ..)

(٢) – صحيح البخاري، ١٦/١ .

(٣) – المصدر السابق، ١٦/١ .

(٤) – نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ١١١/١ .

(٥) – صحيح البخاري، ١٨/١ .

الأحاديث الدالة على أن الأعمال الصالحة معدودة من الإيمان فقال: باب الصلاة من الإيمان) [١] .

ثالثاً – في كتاب العلم، بعد أن ذكر باباً قال فيه : (باب الاغتباط في العلم والحكمة) [٢] ، عقبه بباب قال فيه : (باب ما ذكر في ذهاب موسى ﷺ، في البحر إلى الخضر) [٣] ، وعن هذا الترتيب يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن ما يغتبط به تحتمل المشقة فيه، ولأن موسى عليه الصلاة والسلام ، لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البر والبحر لأجله، فظهر بهذا مناسبة هذا الباب لما قبله) [٤] .

رابعاً – ختم كتاب العلم بباب قال فيه : (باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله) [٥]، وعن ذلك يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (ختم البخاري كتاب العلم بباب من أجاب السائل بأكثر مما سأل عنه إشارة منه إلى أنه بلغ الغاية في الجواب عملاً بالنصيحة، واعتماداً على النية الصحيحة، وأشار قبل ذلك بقليل بترجمة : من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه [٦] ، إلى أنه ربما صنع ذلك، فأتبع الطيب بالطيب بأبرع سياق وأبدع اتساق رحمه الله تعالى) [٧] .

خامساً – في كتاب الوضوء بعد ذكره لأبواب الاستنجاء، ساق ترجمة قال فيها:

---

(١) – صحيح البخاري، ١١٨/١ .

(٢) – المصدر السابق، ٣٠/١ .

(٣) – المصدر السابق، ٣١/١ .

(٤) – فتح الباري، ٢٠٢/١ .

(٥) – صحيح البخاري، ٤٨/١ .

(٦) – انظر : المصدر السابق، كتاب العلم، ٤٦/١ .

(٧) – فتح الباري، ٢٧٩/١ .

(باب الوضوء مرة مرة) [(١)]، وعن ذلك يقول العلامة العيني - رحمه الله -: (وجه المناسبة بينه وبين الأبواب التي قبله ظاهرة، وهو أن تلك الأبواب في أحكام الاستنجاء، وهذا في بيان حكم الوضوء، ولا شك أن الوضوء يتلو الاستنجاء) [(٢)] .

إذن فالإمام البخاري - رحمه الله - كان له جهود كبيرة في ترتيب كتابه، سواء كان ذلك في الكتب، أو الأبواب، أو الأحاديث، تدل على عظيم فقهه، وسعة علمه وحفظه .

وقبل الشروع في القسم الأول من هذه الدراسة، أذكر هذا الجدول والذي يوضح أحاديث كل كتاب والمكرر منها، وغير المكرر :

رقم الكتاب	اسم الكتاب	مجموع الأحاديث	الأحاديث المكررة	الأحاديث غير المكررة (موضوع الدراسة)
١-	بدء الوحي	٧	-	٧
٢-	الإيمان	٥١	٦	٤٥
٣-	العلم	٧٦	١٤	٦٢
٤-	الوضوء	١١٣	٤٠	٧٣

إذن فمجموع أحاديث الدراسة = ١٨٧ حديثاً بغير المكرر، وأما عددها بجميع أطرافها داخل الصحيح = ٨٧٢ حديثاً .

أما أرقام أحاديث موضوع الدراسة في النسخة المعتمدة من صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - فهي على النحو الآتي :

(١) - صحيح البخاري، ٥٤/١ .

(٢) - عمدة القاري، ٢/٣ .

مسلسل	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر	اسم الكتاب
١-	١-	١	١- بدء الوحي
٢-	٢-	٢	-
٣-	٣-	٣	-
٤-	٤-	٤	-
٥-	٥-	٥	-
٦-	٦-	٦	-
٧-	٧-	٧	-
١-	٨-	٨	٢- الإيمان
٢-	٩-	٩	-
٣-	١٠-	١٠	-
٤-	١١-	١١	-
٥-	١٢-	١٢	-
٦-	١٣-	١٣	-
٧-	١٤-	١٤	-
٨-	١٥-	١٥	-
٩-	١٦-	١٦	-
١٠-	١٧-	١٧	-
١١-	١٨-	١٨	-
١٢-	١٩-	١٩	-
١٣	٢٠-	٢٠	-
١٤-	٢١-	٢٢	-
١٥-	٢٢-	٢٣	-
١٦-	٢٣-	٢٤	-
١٧-	٢٤-	٢٥	-
١٨-	٢٥-	٢٦	-
١٩-	٢٦-	٢٧	-
٢٠-	٢٧-	٢٩	-
٢١-	٢٨-	٣٠	-
٢٢-	٢٩-	٣١	-
٢٣-	٣٠-	٣٢	-
٢٤-	٣١-	٣٣	-
٢٥-	٣٢-	٣٤	-
٢٦-	٣٣-	٣٥	-

مسلسل	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر	اسم الكتاب
٢٧-	٣٤-	٣٦	٢- الإيمان
٢٨-	٣٥-	٣٩	-
٢٩-	٣٦-	٤٠	-
٣٠-	٣٧-	٤١	-
٣١-	٣٨-	٤٢	-
٣٢-	٣٩-	٤٣	-
٣٣-	٤٠-	٤٤	-
٣٤-	٤١-	٤٥	-
٣٥-	٤٢-	٤٦	-
٣٦-	٤٣-	٤٧	-
٣٧-	٤٤-	٤٨	-
٣٨-	٤٥-	٤٩	-
٣٩-	٤٦-	٥٠	-
٤٠-	٤٧-	٥٢	-
٤١-	٤٨-	٥٣	-
٤٢-	٤٩-	٥٥	-
٤٣-	٥٠-	٥٦	-
٤٤-	٥١-	٥٧	-
٤٥-	٥٢-	٥٨	-
١-	٥٣-	٥٩	٣- العلم
٢-	٥٤-	٦٠	-
٣-	٥٥-	٦١	-
٤-	٥٦-	٦٣	-
٥-	٥٧-	٦٤	-
٦-	٥٨-	٦٥	-
٧-	٥٩-	٦٦	-
٨-	٦٠-	٦٧	-
٩-	٦١-	٦٨	-
١٠-	٦٢-	٦٩	-
١١-	٦٣-	٧١	-
١٢-	٦٤-	٧٣	-
١٣-	٦٥-	٧٤	-
١٤-	٦٦-	٧٥	-

مسلسل	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر	اسم الكتاب
١٥-	٦٧-	٧٦	٣- العلم
١٦-	٦٨-	٧٧	-
١٧-	٦٩-	٧٩	-
١٨-	٧٠-	٨٠	-
١٩-	٧١-	٨٢	-
٢٠-	٧٢-	٨٣	-
٢١-	٧٣-	٨٤	-
٢٢-	٧٤-	٨٥	-
٢٣-	٧٥-	٨٦	-
٢٤-	٧٦-	٨٨	-
٢٥-	٧٧-	٨٩	-
٢٦-	٧٨-	٩٠	-
٢٧-	٧٩-	٩١	-
٢٨-	٨٠-	٩٢	-
٢٩-	٨١-	٩٣	-
٣٠-	٨٢-	٩٤	-
٣١-	٨٣-	٩٧	-
٣٢-	٨٤-	٩٨	-
٣٣-	٨٥-	٩٩	-
٣٤-	٨٦-	١٠٠	-
٣٥-	٨٧-	١٠١	-
٣٦-	٨٨-	١٠٢	-
٣٧-	٨٩-	١٠٣	-
٣٨-	٩٠-	١٠٤	-
٣٩-	٩١-	١٠٦	-
٤٠-	٩٢-	١٠٧	-
٤١-	٩٣-	١٠٨	-
٤٢-	٩٤-	١٠٩	-
٤٣-	٩٥-	١١٠	-
٤٤-	٩٦-	١١١	-
٤٥-	٩٧-	١١٢	-
٤٦-	٩٨-	١١٣	-
٤٧-	٩٩-	١١٤	-

مسلسل	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر	اسم الكتاب
٤٨-	١٠٠-	١١٥	٣- العلم
٤٩-	١٠١-	١١٦	-
٥٠-	١٠٢-	١١٧	-
٥١-	١٠٣-	١١٨	-
٥٢-	١٠٤-	١٢٠	-
٥٣-	١٠٥-	١٢١	-
٥٤-	١٠٦-	١٢٣	-
٥٥-	١٠٧-	١٢٥	-
٥٦-	١٠٨-	١٢٦	-
٥٧-	١٠٩-	١٢٧	-
٥٨-	١١٠-	١٢٨	-
٥٩-	١١١-	١٣٠	-
٦٠-	١١٢-	١٣٢	-
٦١-	١١٣-	١٣٣	-
٦٢-	١١٤-	١٣٤	-
١-	١١٥-	١٣٥	٤- الوضوء
٢-	١١٦-	١٣٦	-
٣-	١١٧-	١٣٧	-
٤-	١١٨-	١٣٩	-
٥-	١١٩-	١٤٠	-
٦-	١٢٠-	١٤١	-
٧-	١٢١-	١٤٢	-
٨-	١٢٢-	١٤٤	-
٩-	١٢٣-	١٤٥	-
١٠-	١٢٤-	١٤٦	-
١١-	١٢٥-	١٥٠	-
١٢-	١٢٦-	١٥٣	-
١٣-	١٢٧-	١٥٥	-
١٤-	١٢٨-	١٥٦	-
١٥-	١٢٩-	١٥٧	-
١٦-	١٣٠-	١٥٨	-
١٧-	١٣١-	١٥٩	-
١٨-	١٣٢-	١٦١	-

مسلسل	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر	اسم الكتاب
-١٩	-١٣٣	١٦٥	٤- الوضوء
-٢٠	-١٣٤	١٦٦	=
-٢١	-١٣٥	١٦٧	=
-٢٢	-١٣٦	١٦٨	=
-٢٣	-١٣٧	١٦٩	=
-٢٤	-١٣٨	١٧٠	=
-٢٥	-١٣٩	١٧٢	=
-٢٦	-١٤٠	١٧٣	=
-٢٧	-١٤١	١٧٤	=
-٢٨	-١٤٢	١٧٥	=
-٢٩	-١٤٣	١٧٦	=
-٣٠	-١٤٤	١٧٩	=
-٣١	-١٤٥	١٨٠	=
-٣٢	-١٤٦	١٨٢	=
-٣٣	-١٤٧	١٨٥	=
-٣٤	-١٤٨	١٨٧	=
-٣٥	-١٤٩	١٨٨	=
-٣٦	-١٥٠	١٩٠	=
-٣٧	-١٥١	١٩٣	=
-٣٨	-١٥٢	١٩٤	=
-٣٩	-١٥٣	١٩٨	=
-٤٠	-١٥٤	٢٠١	=
-٤١	-١٥٥	٢٠٢	=
-٤٢	-١٥٦	٢٠٤	=
-٤٣	-١٥٧	٢٠٧	=
-٤٤	-١٥٨	٢٠٨	=
-٤٥	-١٥٩	٢٠٩	=
-٤٦	-١٦٠	٢١٠	=
-٤٧	-١٦١	٢١١	=
-٤٨	-١٦٢	٢١٢	=
-٤٩	-١٦٣	٢١٣	=
-٥٠	-١٦٤	٢١٤	=
-٥١	-١٦٥	٢١٦	=

مسلسل	مسلسل عام	رقم الحديث غير المكرر	اسم الكتاب
٥٢-	١٦٦-	٢١٩	٤- الوضوء
٥٣-	١٦٧-	٢٢٠	-
٥٤-	١٦٨-	٢٢٢	-
٥٥-	١٦٩-	٢٢٣	-
٥٦-	١٧٠-	٢٢٤	-
٥٧-	١٧١-	٢٢٧	-
٥٨-	١٧٢-	٢٢٨	-
٥٩-	١٧٣-	٢٢٩	-
٦٠-	١٧٤-	٢٣٣	-
٦١-	١٧٥-	٢٣٤	-
٦٢-	١٧٦-	٢٣٥	-
٦٣-	١٧٧-	٢٣٧	-
٦٤-	١٧٨-	٢٣٨	-
٦٥-	١٧٩-	٢٣٩	-
٦٦-	١٨٠-	٢٤٠	-
٦٧-	١٨١-	٢٤١	-
٦٨-	١٨٢-	٢٤٢	-
٦٩-	١٨٣-	٢٤٣	-
٧٠-	١٨٤-	٢٤٤	-
٧١-	١٨٥-	٢٤٥	-
٧٢-	١٨٦-	٢٤٦	-
٧٣-	١٨٧-	٢٤٧	-

القسم الأول

الدراسة الدعوية للأحاديث الواردة في موضوع الدراسة :

الفصل الأول : كتاب بدء الوحي .

الفصل الثاني : كتاب الإيمان .

الفصل الثالث : كتاب العلم .

الفصل الرابع : كتاب الوضوء .

الفصل الأول

كتاب بدء الوحي

١ - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

١ - ١ - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه (١) عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ** »(٢).

---

(١) – هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح القرشي العدي أسلم رضي الله عنه بمكة قديماً وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً والمشاهد كلها، وهو أول من سمي بأمير المؤمنين من الخلفاء، ولي الخلافة عشر سنين وخمسة أشهر، أو ستة أشهر، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي يوم الأربعاء في أربع بقين من ذي الحجة، أو لثلاث، سنة ثلاث وعشرين، وتوفي في مستهل المحرم لسنة أربع وعشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة مثل سن النبي ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه على الصحيح، ودفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في حجرة عائشة رضي الله عنها، صلى عليه صهيب رضي الله عنه، ومن مناقبه رضي الله عنه : أنه أول من اتخذ دار الدقيق، والسويق، والتمر، والزبيب، وما يُحتاج إليه، يعين به المنقطع، وأعاد بناء المسجد النبوي، وزاد فيه ووسعه وفرشه بالحصباء، وهو أول من كتب التاريخ الهجري، وأول من اتخذ بيت المال، وأول من ضرب في الخمر ثمانين، وأول من اتخذ الديوان، وأول من اتخذ الدرة ولقد قيل بعده : لدرة عمر أهيب من سيفكم، وأول من مصر الأمصار . (انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ١/١٦ ، ١٧. وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – عهد الخلفاء الراشدين –، للإمام الذهبي، ص٢٥٣ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ط دار الكتاب العربي بيروت . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ٧/٧٤ ترجمة رقم ٥٧٣١، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، ط مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة . وتاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطي، ص١٠٨، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت) .

(٢) – أطرافه : **الأول** : في كتاب الإيمان، باب ماجاء أن الأعمال بالنية، برقم٥٤ . **والثاني** : في كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق، رقم الحديث ٢٥٢٩ . **والثالث** : في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ ،رقم الحديث٣٨٩٨، **والرابع** : في كتاب النكاح، باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله مانوى، برقم ٥٠٧٠ . **والخامس**: في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة، رقم الحديث ٦٦٨٩ . **والسادس** : في كتاب الحيل، باب في ترك الحيل، رقم الحديث ٦٩٥٣ .

=

وفي رواية : أَنَّ رَسُولَ ا للهِ ﷺ قَالَ : « **الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ا للهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى ا للهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ** »(١) .

وفي رواية : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ وهو يَخْطُبُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ا للهِ ...** » (٢) .

شرح غريب الحديث :

« **الأعمال** » – جمع عمل وهو مصدر قولك عمل يعمل عملاً، قال ابن حجر – رحمه ا لله –: والمقصود الأعمال الصادرة من المكلفين (٣) .

« **النيات** » – جمع نية من نوى ينوي نية، واختلف في تفسير النية، فقيل : هي القصد إلى الفعل، وقيل : هي قصدك الشيء بقلبك وتحري الطلب منك له، وقيل : النية القصد وهو عزيمة القلب . (٤)

« **هجرته** » – الهجرة : الترك، والهجرة إلى الشيء : الانتقال إليه عن غيره، وفي الشرع : ترك ما نهى ا لله عنه، وقد وقعت في الإسلام على وجهين :

الأول – الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة .

الثاني – الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان، وذلك بعد أن استقر النبي

=

وأخرجه : الإمام مسلم، في كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ « إنما الأعمال بالنية »، رقم الحديث ١٩٠٧، ٣/١٥١٥،١٥١٦، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(١) – كتاب الإيمان، باب ماجاء أن الأعمال بالنية والحسبة، رقم الحديث ٥٤ .

(٢) – كتاب الحيل، باب ترك الحيل، رقم الحديث ٦٩٥٣ .

(٣) – انظر : فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ١/١٩ .

(٤) – انظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان الخطابي، ١/١١٢ . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ط جامعة أم القرى . والكواكب الدراري، للكرماني، ١/١٧ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٩ . وعمدة القاري، للعيني، ١/ ٢٣ .

ﷺ بالمدينة وهاجر إليه من أمكنه من المسلمين (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الخطابة في الدعوة إلى الله .

ثانياً– حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاقتداء برسول الله ﷺ في دعوتهم للناس .

ثالثاً – أهمية اتصاف الداعية بالإخلاص .

رابعاً– الحثُّ والترغيب في الهجرة إلى الله تعالى .

خامساً – التنبيه على خطر الدنيا، وتخصيص المرأة منها لبيان شدة خطرها .

سادساً – فوائد تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

سابعاً – أهمية الحذر من الإقدام على فعل، أو الأمر به أو النهي عنه إلا بعد معرفة حكمه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فعلى النحو الآتي :

أولاً : أهمية الخطابة في الدعوة إلى الله :

وذلك يظهر من أن هذا الحديث العظيم الذي عليه مدار كثير من الأحكام، نقل إلينا وانتشر عن طريق الخطبة، فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاله على المنبر في خطبة له متأسياً في ذلك برسول الله ﷺ عندما خطب به حين قدم المدينة مهاجراً، وإن كان لم يصح بذلك خبر صريح، ولكن كما قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله-: إن الرواية التي وقعت في صحيح البخاري - رحمه الله - في باب ترك الحيل بلفظ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يا أيها الناس إنما الأعمال بالنية..** » فيها إيماءٌ إلى أنه كان ﷺ في حال خطبة (٢). وهذا لعله فُهم من قوله : « **يا أيها الناس** ».

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر ، ٢٣/١ .

(٢) – انظر : المرجع السابق ، ١ / ١٦ .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ الحرص على استخدام الخطابة في دعوته، وأن يعطيها من الاهتمام بها وحسن الاستعداد لها، الشيء الكثير، لأنها من أبرز الوسائل الدعوية التبليغية، وذلك لما يرجى أن تحدثه من تأثير فوري في المستمعين، ثم لنا أن نُلفت أنظار الدعاة إلى ما تتميز به الخطبة من اهتمام بالغ بها، وتأكيد من الشارع الحكيم على الحضور و الإنصات والاستماع وأخذ الزينة لها . فهذا مما يُيسر على الداعية مهمته ويساعده على نشر دعوته بين المدعوين على اختلاف أحوالهم وأنواعهم.

ثانياً : حرص الصحابة ﷺ على الاقتداء برسول الله ﷺ في دعوتهم للناس :

فمما سبق ذكره في الفائدة الأولى بأن عمر ﷺ قال هذا الحديث على المنبر وهو يخطب، وما ذكره ابن حجر -رحمه الله- من الإيماء الذي في رواية كتاب الحيل من أن رسول الله ﷺ كان في حال خطبة، يُلمَسُ فيه حرص عمر ﷺ على الاقتداء برسول ﷺ في طريقة تبليغه لهذا الحديث على المنبر وهو يخطب، فالصحابة ﷺ كانوا يحرصون أشد الحرص في دعوتهم للناس على الاقتداء برسول الله ﷺ في دعوته وتربيته لهم،ومما يشهد لذلك أن ابن مسعود ﷺ لما قيل له: يا أبا عبدالرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم . قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا . (١)

فلذا يُقال للدعاة إلى الله ﷻ : إذا أردتم النجاح والتوفيق في دعوتكم؛ فعليكم بسنة رسول الله ﷺ ومنهجه وهديه في دعوته، يقول الله ﷻ : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (٢) .

ثالثاً : أهمية اتصاف الداعية بالإخلاص :

النية في كلام العلماء تقع بمعنيين : **أحدهما** تمييز العبادات بعضها عن بعض،

(١) - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، برقم ٧٠، ١/٣٠ .

(٢) - سورة يوسف، آية : ١٠٨ .

كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز رمضان من غيره، أو تمييز العبادات من العادات كتمييز الغسل من الجنابة عن غسل التبرد والتنظيف ونحو ذلك .

والثاني : بمعنى تمييز المقصود بالعمل وهل هو خالص لله وحده لاشريك له أم لله وغيره، وهذا المعنى هو المراد في غالب كلام رسول الله ﷺ وسلف هذه الأمة عن النية (١) . ومما ورد في السنة من تسمية هذا المعنى الأخير بالنية فكثير جداً، فمن أمثلة ذلك ما جاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى** » (٢) .

وفي حديث هذا الباب يبين رسول الله ﷺ أن من شرط صحة الأعمال : النية الصالحة « **إنما الأعمال بالنيات** »، وأن الأجر على العمل يكون بقدر نيته لهذا العمل وتعظيمه « **وإنما لكل امرئ مانوى** »، لذا فإن الإخلاص في عمل الداعية إلى الله أمر ضروري لنجاح دعوته، فالدعوة لا يوجد لها أثر إيجابي في الداعي أو في المدعو ما لم تقترن بالإخلاص لله سبحانه وتعالى .

هذا وقد أوحى الله إلى كل نبي ثم إلى محمد ﷺ بالإخلاص وأن الأعمال بالنيات (٣)، إذ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾(٤)، وذلك لما للنية من أثر كبير في نجاح الداعية أو فشله، وقبول عمله، يقول ﷺ : « **من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا**

---

(١) - انظر : جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص ١٥، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ط دار الفرقان، الأردن .

(٢) - سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب من غزا في سبيل الله، ولم ينو من غزاته إلا عقالاً، برقم ٣١٣٨، ٢٤/٦، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ط دار البشائر، لبنان . (وقال عنه الألباني :حسن . انظر صحيح سنن النسائي، ٦٥٨/٢، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت . وللمزيد من الأحاديث في هذا المعنى، انظر : في كتاب : جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص ١٦ - ١٨) .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٦/١ .

(٤) - سورة البينة، آية : ٥ .

ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع ا لله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة » [١] . يقول داود الطائي : (رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية، وكفاك بها خيراً وإن لم تنصب) [٢]، واستحضار النية يحتاج من الداعية إلى جهد ومتابعة، يقول سفيان الثوري : (ما عالجت شيئا أشد عليّ من نيتي لأنها تتقلب عليّ) [٣] .

رابعاً : الحثّ والترغيب في الهجرة إلى الله ﷻ :

فمن قوله ﷺ :« **فمن كانت هجرته إلى ا لله ورسوله فهجرته إلى ا لله ورسوله**» يظهر الاتحاد بين لفظ الشرط والجزاء ،والمبتدأ والخبر، وهذا في اللغة يفيد المبالغة في التعظيم، نحو : أنا أنا، وشعري شعري، ومن قصدني قصدني [٤] . وهذا يظهر منه : الحثّ والترغيب في الهجرة التي تكون لله ورسوله ﷺ، وحديث هذا الباب وإن كان سبب مورده خاصاً [٥] ولكن العبرة بعموم اللفظ، فتشمل جميع أقسام الهجرة، من الفرار بالدين من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، أو من أرض الخوف إلى أرض الأمن والأمان[٦]. روى الإمام مسلم -رحمه ا لله- عن أبي سعيد ﷺ أن أعرابياً سأل رسول ا لله ﷺ عن الهجرة ؟ فقال: « **ويحك إن شأن الهجرة لشديد**» [٧].

---

(١) - سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد، باب الهم في الدنيا، رقم الحديث ٤١٠٥، ١٣٧٥/٢، بدون تاريخ ورقم الطبعة، ط دار الكتب العلمية، بيروت . (وقال عنه الألباني : صحيح، انظر : صحيح سنن ابن ماجة، ٣٩٣/٢، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت) .

(٢) - جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص ١٨ .

(٣) - المرجع السابق، ص١٨ .

(٤) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٣/١، وعمدة القاري، للعيني، ١/ ٢٥ .

(٥) - اشتهر أن سبب هذا الحديث قصة مهاجر أم قيس، فعندما خطبها وهو في مكة وهي في المدينة، أبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجها . انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٦/١، وعمدة القاري، للعيني، ١/ ٢٨ .

(٦) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٣/١، وعمدة القاري، للعيني، ١/ ٢٩ .

(٧) - كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، برقم ١٨٦٥، ١٤٨٨/٤.

فالمسلم الذي يهاجر من بلده لله ﷻ، يُقدِم على عمل عظيم، وشأنٍ كبير، فهو يفرُّ بدينه إلى حيث يُعبد الله ﷻ ، بأمن وأمان ويدعو إلى دينه وينشره في بيئة جديدة تكفل مناخ الحرية للدعوة الإسلامية .

خامساً : التنبيه على خطر الدنيا، وتخصيص المرأة منها لبيان شدة خطرها :

فمن قوله ﷺ : « **فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » بيان بأن العمل إذا كان للدنيا - ومنها المرأة - ولم ينو فيه لله ﷻ نية طيبة لم ينل صاحبه عليه الأجر والثواب في الآخرة من الله ﷻ، وتحقيراً لهذه النية الدنيوية وتنبيهاً على ضعفها وخطرها، لم يكررها الحديث كما كرر النية التي لله ورسوله ﷺ في العبارة الأولى (١)، لذا يجب على الداعية أن يَحذر من الدنيا فهي إذا خالطت نيته وحرص عليها أفسدت عليه دينه، وثبطت عزيمته في مجال الدعوة، يقول رسول الله ﷺ محذراً من ذلك : « **ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** » (٢) .

وذِكرُ رسول الله ﷺ المرأة وتخصيصها من سائر أمور الدنيا (٣) . تأكيداً على شدة خطرها وفتنتها للرجل (٤)، يقول ﷺ : « **ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على**

---

(١) - انظر : جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص١٩ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١/ ٢٧ .

(٢) - سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب رقم ٤٣، حديث رقم٢٣٧٦، ٥٠٨/٤، وقال عنه : حديث حسن صحيح. وقال عنه الألباني : صحيح . (انظر صحيح سنن الترمذي ، ٢٨٠/٢) .

(٣) - اختلف في النساء هل هن من الدنيا أم لا، والصحيح أنها من الدنيا لقوله ﷺ : « **حبب إليّ من الدنيا : النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة** »، سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء ، برقم ٣٩٣٩ ، ٦١/٧ . ولقوله ﷺ : « **الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة برقم ١٤٦٧ ، ١٠٩٠/٢ .

(٤) - انظر : إكمال إكمال المعلم، لمحمد بن خليفة الأبي، ٦٥٧/٦، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت . ومكمل إكمال الإكمال، لمحمد بن محمد السنوسي، ٦٥٧/٦، الطبعة =

الرجال، من النساء » (١) .

سادساً : فوائد تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد احتسب رسول الله ﷺ بالقول على الرجل الذي هاجر بنية نكاح المرأة، وبأي نية دنيوية أخرى، فخطب في ذلك وبين الفرق بين من كانت هجرته لله ﷻ ، ورسوله ﷺ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، ولم يصرح باسم الرجل المحتسب عليه، ويذكره بشخصه .

وفي ضوء ذلك ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ : **معرفة أحوال مجتمعاتهم** ، وما يقع فيها من منكرات للاحتساب عليها وإنكارها وإزالتها . فرسول الله ﷺ لو لم يكن على معرفة بأحوال أصحابه ﷺ، وما يجري بينهم، لما عرف مثل هذه النية وسبب هذه الهجرة .

ثم على الدعاة أن يعلموا أن الإنكار والاحتساب على الأخطاء والمنكرات يجب أن يكون **بحكمة وفقه لقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، فالتصريح بالأسماء، والتشهير بالأشخاص الذين وقع منهم المنكر، كثيراً ما يكون لا فائدة فيه بل قد يكون الأثر فيهم عكسياً، مما يجعل المدعوين يتمادون في منكرهم ويُصرّون عليه، ولعل هذا من العوامل التي جعلت الرسول ﷺ لا يصرح باسم الشخص المقصود ؛ لأن القصد هو إزالة هذا المنكر وعدم تكراره منه أو من غيره.

ثم نجد في هذا الحديث فائدة أخرى، وهي أن رسول الله ﷺ **لم ينه عن الخطأ فقط، بل نهى عنه وبين الطريق الصحيح**، نهى عن الهجرة بقصد الدنيا وهذا خطأ، وبين الصحيح وهي الهجرة بقصد الآخرة، فرسول الله ﷺ لم يقل : « **فَمَنْ كَانَتْ**

=

الأولى ١٤١٥هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت . عون الباري، لصديق حسن القنوجي ٣٤/١، طبعة ١٤٠٤هـ، ط المطبعة العربية الحديثة، القاهرة .

(١) – متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، ١٥١/٦، برقم ٥٠٩٦ . ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، ٢٠٩٧/٤، برقم ٢٧٤٠ .

هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » فقط، بل بين الشق الآخر الصحيح وهو : « **فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ا للهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى ا للهِ وَرَسُولِهِ** » . لأن الداعية عندما يذكر العوض، أوالبديل، أو الصحيح، عند النهي أوالتحذير من الخطأ، يساعد على ترك الخطأ واجتنابه، فبعمله هذا يسد باب المحظور، ويفتح باب المباح، فمثال هذا الطبيب الناصح يحمي العليل عما يضره، ويصف له ماينفعه، فهذا هو شأن أطباء الأديان والأبدان [١] . وهذا هو شأن خُلق الرسل - عليهم السلام - وورثتهم من الدعاة إلى ا لله ﷻ .

سابعاً : أهمية الحذر من الإقدام على فعل، أو الأمر به أو النهي عنه إلا بعد معرفة حكمه :

يقول الإمام ابن حجر - رحمه ا لله - : (واستدل بهذا الحديث على أنه لايجوز الإقدام على العمل قبل معرفة الحكم، لأن فيه أن العمل يكون منفياً إذا خلا عن النية، ولا يصح نية فعل الشيء إلا بعد معرفة حكمه) [٢] .

فعندما يلتزم الداعية بهذا الأمر، يقل خطؤه ويصح عمله، وتكون دعوته على منهج رسول ا لله ﷺ إذ يقول ا لله ﷻ : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ [٣] .

---

(١) - إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ٣ / ٤٧، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ، ط دار الفكر، بيروت .

(٢) - فتح الباري، ٢٥/١ . وانظر : عون الباري، لصديق حسن القنوجي ٣٤/١ .

(٣) - سورة يوسف، آية : ١٠٨ .

٢ - باب

٢ - ٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها (١) أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ** » قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا (٢) .

وفي رواية : أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ قَالَ : « **كُلُّ ذاكَ يَأْتِينِي الْمَلَكُ أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ**

---

(١) - هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنها، وأمها أم رومان زينب بنت عامر بن عويمر رضي الله عنهما، تكنى بأم عبدالله، كناها رسول الله ﷺ بابن أختها عبدالله بن الزبير، خطبها النبي ﷺ وتزوجها بمكة في شهرشوال سنة عشر من النبوة، وقيل غير ذلك، وأعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة، ولها تسع سنين، وبقيت معه تسع سنين، ومات عنها ﷺ ولها ثماني عشرة سنة، ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت من أكبر فقهاء الصحابة، عالمة، فصيحة، فاضلة، كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب وأشعارها، روت عن خلق من الصحابة رضي الله عنهم، ورووا عنها، وكانت أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية، روى لها ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث، اتفق الإمامان البخاري ومسلم - رحمهما الله - على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد الإمام البخاري بأربعة وخمسين، والإمام مسلم بثمانية وخمسين، ماتت رضي الله عنها، بعد الخمسين إما سنة خمس، أو ست، أو سبع، أو ثمان، في رمضان وقيل في شوال، وصلى عليها أبوهريرة رضي الله عنه، ودفنت ليلاً بالبقيع . (انظر : تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٢/٣٥٠، ٣٥٢ . وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - عهد معاوية رضي الله عنه - للإمام الذهبي، ص٢٤٤ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، وبذيله كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر ابن عبدالبر، ١٣/٤١،٤٢، ترجمة رقم : ٧٠١ . وعمدة القاري، لبدر الدين العيني، ١/٣٨).

(٢) - طرفه في : في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، برقم ٣٢١٥، ٤/٩٣،٩٤.

وأخرجه: الإمام مسلم، في كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، رقم الحديث ٢٣٣٣، ٤/١٨١٦ .

مَا قَالَ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ وَيَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ أَحْيَانًا رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُول»(1).

شرح غريب الحديث :

- « **صلصلة** » : صوت الأشياء الصلبة إذا وقع بعضها على بعض، وقيل هو الصوت المتدارك الذي لا يفهم أول وهلة (2) .
- « **الجرس** » : هو الجلجل الذي يعلق في رأس الدواب، أو صطل في داخله قطعة نحاس معلق منكوساً (3) .
- « **فيفصم عني** » : أي يُقلع (4) .
- « **ليتفصد عرقاً** » : أي جرى عرقه كما يجري الدم من الفصاد (5) .

الدراسة الدعوية للحديث :

ومن هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – اهتمام السلف الصالح بتعليم أقاربهم وأهل بيتهم .

ثانياً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

ثالثاً – أسلوب ضرب المثل لتقريب المعاني و إيصالها للذهن .

رابعاً – ضرورة تحلي الداعية بالصبر .

---

(1) – كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، برقم ٣٢١٥، ٩٤،٩٣/٤ .

(2) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٨/١٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧/١. وعمدة القاري للعيني،٤٠/١ .

(3) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٧/١. وعمدة القاري للعيني،٤١/١ .

(4) – انظر : النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير مادة (فصم)، ٤٥٢/٣، بدون تاريخ، ط أنصار السنة المحمدية، باكستان .

(5) – انظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان الخطابي، ١٢١/١ . وجامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، ٢٨٢/١١، طبعة ١٣٩٣هـ، ط مكتبة الحلواني، ومطبعة الملاح، ومكتبة دار البيان. وفتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٢٩/١ . وعمدة القاري، لبدر الدين العيني،٤١/١ .

خامساً – أهمية كون الداعية من جنس المدعوين ويشابههم في اللغة واللباس .

سادساً – أهمية تفريغ المدعو من الشواغل .

سابعاً –اهتمام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بملاحظة أحوال النبي ﷺ،وبيانها للأمة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً : اهتمام السلف الصالح بتعليم أقاربهم وأهل بيتهم :

لقد كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم مثالاً عظيماً في الدعوة إلى الله ونشر سنة رسول الله ﷺ بين الناس وخاصة بين أقاربهم وأهل بيتهم، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تحدث بهذا الحديث وغيره [1] لابن أختها عروة بن الزبير[2] رضي الله عنهما، فقد كان ملازماً لها، يقول الإمام الذهبي – رحمه الله – : (حدث – عروة بن الزبير – عن خالته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولازمها وتفقه بها) [3] .

وأيضاً نجد في هذا الحديث أن عروة – رحمه الله – وعى هذا الدرس جيداً، وهو الاهتمام بالأقارب والأهل بالدعوة والتعليم، فحرص على تعليم ابنه هشام [4] – رحمه الله – هذا الحديث .

لذا ننبه الدعاة إلى الله تعالى ، إلى الاهتمام والعناية بالأهل والأقارب في الدعوة والتعليم، فالله عز وجل، يقول لنبيه ﷺ : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [5] . (الذين هم

(١) – انظر : الحديث رقم٣ ، ص٦٥ من هذا البحث .

(٢) – هو : عروة بن حواريّ رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية، الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، الإمام، عالم المدينة، أبو عبدالله القرشي الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/٤٢١) .

(٣) – المرجع السابق، ٤/٤٢١ .

(٤) – هو : هشام بن عروة بن الزبير، الإمام الثقة، شيخ الإسلام، أبو المنذر القرشي، الأسدي، الزبيري، المدني، ولد سنة إحدى وستين، وتوفي سنة ست وأربعين ومئة ببغداد . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/٤٢١) .

(٥) – سورة الشعراء، الآية : ٢١٤ .

أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي، وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس .

كما إذا أُمِرَ الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له : أحسن إلى قرابتك . فيكون هذا الخصوص دالاً على التأكيد، وزيادة الحث .

فامتثل ﷺ هذا الأمر الإلهي، فدعا سائر بطون قريش، فعمم وخصص، وذكرهم ووعظهم، ولم يُبقِ ﷺ، من مقدوره شيئاً، من نصحهم، وهدايتهم، إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض) [1] .

ثانياً - أهمية أسلوب السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

يقول العلامة العيني - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث : (فيه أن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يسألونه عن كثير من المعاني وكان عليه السلام يجمعهم ويعلمهم، وكانت طائفة تسأل وأخرى تحفظ وتؤدي وتبلغ حتى أكمل الله تعالى دينه) [2] . ومن هنا يظهر أهمية هذا الأسلوب في الكشف عن كثير من المعاني والعلوم وذلك عن طريق تسليط الضوء عليها بالسؤال عنها . ومن السؤال لرسول ﷺ في هذا الحديث نخرج **بفوائد** تتعلق بهذا الأسلوب، منها :

١- ينبغي للداعية إجابة من سأله عن أمر من أمور الدين .

٢- جواز السؤال عن أحوال الأنبياء من الوحي وغيره مما يخفى .

٣- أن السؤال عن الكيفية لطلب الطمأنينة لايقدح في اليقين .

٤- أن المسؤول عنه إذا كان ذا أقسام يذكر المجيب في أول جوابه ما يقتضي التفصيل وذلك يستفاد من قوله:« **أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ**..». [3]

---

(١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، ٣/٤٨٨ .

(٢) - عمدة القاري، ١/٤٦ .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٣٠ . وعمدة القاري، للعيني،١/٤٣-٤٤،٤٦ . وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للزرقاني، ٢/١٣، بدون تاريخ، ط دار الفكر، بيروت .

ثالثاً : أسلوب ضرب المثل لتقريب المعاني و إيصالها للذهن :

لقد ضرب الله ﷻ، ورسوله ﷺ، الأمثال للناس، وذلك لما للمثل في الكلام من مكانة مهمة ووظيفة لاتنكر، إذ أنه له تأثير عجيب في الآذان، وتقرير غريب لمعانيها في الأذهان .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - عن ضرب الأمثال إنها: (لتقريب المراد، وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير. ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق، أمر لايجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته) (١) .

وفي هذا الحديث يستخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب، الذي قال عنه العلامة الكرماني - رحمه الله -: (إنه ﷺ كان معتنياً بالبلاغة مكاشفاً بالعلوم الغيبية وكان يوفر على الأمة حصتهم بقدر الاستعداد فإذا أراد أن ينبئهم بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها أمثلة من عالم الشهادة ليعرفوا بما شاهدوه ما لم يشاهدوه، فلما سأله الصحابي ﷺ عن كيفية الوحي، وكان ذلك من المسائل العويصة ضرب لها في الشاهد مثلاً بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شيء تنبيهاً على أن إتيانها يرد على القلب في لبسة الجلال فيأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلوب، ويلاقي من ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك، فإذا كشف عنه وجد القول المنزل بيناً فيُلقى في الروع واقعاً موقع المسموع وهذا معنى قوله : « **فيفصم عني وقد وعيت ..**» (٢).

---

(١) - انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٢٣٩/١، ٢٤٠ .

(٢) - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ٢٩/١ وانظر : إكمال إكمال المعلم، لمحمد بن خليفة =

رابعاً : ضرورة تحلي الداعية بالصبر :

إن الصبر من أعظم صفات الداعية التي لا يستغني عنها في دعوته للناس واختلاطه بهم، فهو لابد أن يلاقي من بعضهم الصدود والإعراض، إن لم يلاق الأذى والعذاب والاضطهاد، فبالصبر يمضي في دعوته ولا يبالي بما يلاقيه في سبيلها من مشقة وصعاب.

يقول الإمام الخطابي - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث : (وجملة الأمر فيما كان يناله من الكرب عند نزول الوحي هي شدة الامتحان له ليبلو صبره ويحسن تأديبه، فيرتاض لاحتمال ما كلفه من أعباء النبوة، وحسن الاضطلاع للنهوض به إن شاء الله) (١) . فالداعية العالم - وريث الأنبياء في أخلاقهم وعلمهم ودعوتهم - لزاماً عليه أن يتحلى بالصبر ويتخلق به لكي تنجح دعوته، وتسير في مواجهة الصعاب والأعباء التي لا بد أن تلاقي كل من سار في هذا الطريق ومشى فيه .

خامساً : أهميه كون الداعية من جنس المدعوين ويشابههم في اللغة واللباس :

إن مما يساعد على تقبل المدعوين للداعية، والأنس به، وما يأتي به، أن يكون منهم، ويتكلم بلغتهم، ويلبس لباسهم، ويمارس عاداتهم - بشرط أن لا تخالف أيٌّ من هذه الأمور الشريعةَ، يقول الله ﷻ : ﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليُبيّنِ لهم ﴾ (٢) .

وفي هذا الحديث ما يدل على أهمية هذا الأمر، حيث يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - عن أنواع الوحي في هذا الحديث : (النوع الأول أشد عليه من النوع الثاني، وذلك لأن الفهم من كلام مثل صلصلة الجرس أشكل من الفهم من كلام

=

الأبي، ٦٦/٨ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٨/١ . وعمدة القاري، للعيني ٤٤/١ . وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين أحمد القسطلاني، ٥٨/١، الطبعة السادسة ١٣٠٤هـ، ط المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر .

(١) - أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، ١٢٢،١٢١/١ . وانظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني، ٢٩/١ . وعمدة القاري، للعيني ٤٣/١ .

(٢) - سورة إبراهيم، الآية : ٤ .

الرجل المتكلم على الطريقة المعهودة عند التخاطب، أو لأن سنة الله لما جرت من أنه لابد من مناسبة بين القائل والسامع حتى يصح بينهما التحاور والتعليم والتعلم، فتلك المناسبة إما باتصاف السامع بوصف القائل لغلبة الروحانية عليه، وهو النوع الأول، أو باتصاف القائل بوصف السامع، وهو النوع الثاني، والدليل عليه تمثله رجلاً كما أن الدليل على الأول كونه قسيماً له، ثم لاشك أن الأول أشد، وقد تبين وجه الحصر فيهما من هذا التقدير) (١) .

لذا ينبغي للمسؤولين عن الدعوة وإعداد الدعاة، أن يهتموا بكون الدعاة من أهل البلاد التي تكون فيها الدعوة، حتى لا ينفروا منهم، ويبتعدوا عنهم، أو على أقل تقدير لا يأنسوا بهم مما يُضعف نتائج الدعوة المرجوة .

سادساً : أهمية تفريغ المدعو من الشواغل :

يقول الإمام النووي - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث : (قال العلماء : والحكمة في ذلك -أي شدة الوحي وقوة صوته- أن يتفرغ سمعه ﷺ ولا يبقى فيه، ولا في قلبه مكان لغير صوت الملك) (٢) .

فمن هنا ينبغي التأكيد على أهمية احتياط الداعية بتنبيه المدعوين وإحضار قلوبهم وصرف الشواغل عنها، وذلك يكون برفع الصوت، أو إسكات الناس، أوصرف الشواغل الأخرى - كزخرفة المساجد، أو أن يكون حاقناً (٣)، وغيره - فإن هذا الأمر مما يساعد الداعية بشكل كبير على التأثير في المدعوين، وإيصال الرسالة إليهم.

سابعاً -اهتمام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بملاحظة أحوال النبي ﷺ وبيانها للأمة :

يظهر من خلال هذا الحديث مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - في ملاحظتها

---

(١) - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ٢٨/١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٩/١.
(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٨/١٥ . وانظر : شرح السيوطي على سنن النسائي، ١٤٧/٢، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ط دار البشائر، لبنان .
(٣) - الحاقن : هو الحابس لبوله . (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ٤١٦/١) .

لأحوال النبي ﷺ ومن ثَمَّ نَقلُ هذه الأحوال والعلوم إلى الأمة - إذ تقول في هذا الحديث : (وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا) .

هذا وقد روت عائشة رضي الله عنها، أحاديث كثيرة حتى عُدت من المكثرين الرواية عن رسول الله ﷺ، وذلك كله منها طلباً للفائدة منها، ولتسير على هديه ﷺ، ومن ثم لُتفيد الآخرين وتفوز بشرف الدعوة لهذا الدين .

٣ - باب

٣ - ٣ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ، الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ . فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ - قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : (اقْرَأْ) . قَالَ : « **مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ** : (اقْرَأْ) . **قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ** : (اقْرَأْ) **فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي** . **فَقَالَ**: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾(١). فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها (٢) فَقَالَ : « **زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي** » فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ : « **لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي** ». فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِالْعُزَّى (٣) . ابْنَ

---

(١) - سورة العلق، آية : ٣،٢،١ .

(٢) - هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي أم أولاده كلهم إلا إبراهيم فمن مارية رضي الله عنها، أقامت معه أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر، ولم يتزوج غيرها قبلها، ولا عليها حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين . (سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٠٩/٢- ١١٧ . عمدة القارى، للعيني، ٦٣/١).

(٣) - هو : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب القرشي، يقول النووي - رحمه الله - : وهذا الحديث ظاهر في إسلامه واتباعه وتصديقه . ويقول ابن قيم الجوزية : وأسلم القس =

عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ ا لله أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ . فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ ا لله ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ ا لله عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ . فَقَالَ رَسُولُ ا لله ﷺ : « **أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ** » . قَالَ : نَعَمْ لم يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ) (١) .

وفي رواية :(.. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ قَالَ : وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ...) .

وفيها : (تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ) بدلاً من (يرجف فؤاده) .

وفيها : (... فَوَا لله لَا يُخْزِيكَ ا لله أَبَدًا فَوَا لله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ...) .

وفيها:(.. وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ ا لله

=

ورقة بن نوفل . (انظر : تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١٤٤/٢، ترجمة رقم ٢٢٨ . وزاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية ٢١/٣، الطبعة الخامس عشر ١٤٠٧هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت . وعمدة القاري، للعيني، ٦٢/١) .

(١) – أطراف الحديث : **الأول** : في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله : { واذكر في الكتاب موسى..}، رقم الحديث ٣٣٩٢، ١٤٩/٤ . **الثاني** : في كتاب تفسير القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، رقم الحديث ٤٩٥٣، ١٠٥/٦ . **الثالث** : في كتاب تفسير القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، رقم الحديث ٤٩٥٥، ١٠٧/٦ . **الرابع** : في كتاب تفسير القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، رقم الحديث ٤٩٥٦، ١٠٧/٦ . **الخامس** : في كتاب تفسير القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، رقم الحديث ٤٩٥٧، ١٠٧/٦ . **السادس** : في كتاب التعبير، باب وأول ما بدئ به رسول ﷺ، رقم الحديث ٦٩٨٢، ٨٧/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ، رقم الحديث ١٦٠، ١٣٩/١.

أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ: خَدِيجَةُ يَا عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ ..).

وفيها : (.. قَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لم يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ) (١) .

وفي رواية : (.. ثُمَّ لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا . فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ) (٢) .

شرح غريب الحديث :

- (**الرؤيا**) : على وزن فعلى كحبلى، يقال رأى رؤيا بلا تنوين، وجمعها: رؤى، وهي مختصة برؤيا المنام (٣) .
- (**الخلاء**) : هو الخلوة، يقال خلا الشيء يخلو خلوا، وخلوت به خلوة، وهو هنا بمعنى الاختلاء أو الخلاء الذي هو المكان الذي لاشيء به (٤) .
- (**غار حراء**) : الغار هو : النقب في الجبل، وهو الكهف، و(حراء) بكسر الحاء وفتح الراء ومد الألف، جبل بينه وبين مكة نحو

---

(١) - كتاب تفسير القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، رقم الحديث ٤٩٥٣، ١٠٥/٦ .

(٢) - كتاب التعبير، باب وأول ما بدئ به رسول ﷺ، رقم الحديث ٦٩٨٢، ٨٧/٨ . (وقال ابن حجر -رحمه الله- : إن القائل فيما بلغنا هو الزهري، ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة، وهو من بلاغات الزهري، وليس موصولاً - وقال- قال الكرماني: هذا الظاهر، ويحتمل أن يكون بلغه بالإسناد المذكور . انظر : فتح الباري، ٣٧٦/١٢).

(٣) - عمدة القاري، للعيني، ٤٨/١ .

(٤) - انظر : المرجع السابق، ٤٨/١ .

ثلاثة أميال عن يسارك إذا سرت إلى منى [١] .

- « **غطني** » : يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - كأنه أراد ضمني وعصرني، والغط حبس النفس، ومنه غطه في الماء [٢].
- « **زملوني** » : التزميل و(التدثير) : واحد، وهو التغطية والتلفف في الثوب [٣] .
- (**الروع**) : موضع الفزع من القلب [٤] .
- (**تحمل الكل**) : أي تعين الضعيف المنقطع، ويدخل في حمل الكل، الإنفاق على الضعيف، واليتيم، والعيال، وغير ذلك، و (**الكل**) من لا يستقل بأمره [٥] .
- (**تكسب المعدوم**) : أي تعطي غيرك المال المعدوم تبرعاً، وقيل تعطي الناس ما لايجدونه عند غيرك من معدومات الفوائد ومكارم الأخلاق [٦] .
- (**تعين على نوائب الحق**) : كلمة جامعة لأفراد ما تقدم من مكارم الأخلاق ولما لم يتقدم . والنائبة هي : الحادثة والنازلة [٧] .
- (**الكتاب العبراني**) : أي التوراة والإنجيل [٨] .
- (**الناموس**) : صاحب سر الملك الذي لا يحضر إلا بخير، ولا يظهر إلا بالجميل ، وسمي جبريل عليه السلام ناموساً، لأنه مخصوص

---

(١) - انظر : عمدة القاري، للعيني، ٤٨/١ .

(٢) - فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٣٣/١ .

(٣) - جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لابن الأثير، ٢٧٨/١١.

(٤) - عمدة القاري، للعيني، ٥٠/١ .

(٥) - المرجع السابق، ٥١،٥٠/١ .

(٦) - المرجع السابق، ٥١/١ .

(٧) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٥١،٥٠/١ .

(٨) - انظر : فتح الباري، ٣٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٥٢،٥١/١ .

بالوحي والغيب الذي لا يطلع عليهما أحد من الملائكة سواه[١] .

- (**جذعاً**) : الجذع هاهنا : كناية عن الشباب، يقول يا ليتني كنت شاباً عند ظهورك لأنصرك وأعينك [٢] .
- (**ثم لم ينشب**) : أي لم يلبث، والمعنى فجاءه الموت قبل أن ينشب في فعل شيء [٣] .
- (**ترجف بوادره**) : تخفق، و (**بوادره**) جمع بادرة، وهي اللحمة تكون بين عنق الإنسان ومنكبه، وكذلك غير الإنسان [٤] .
- (**يتردى**) : التردي : الوقوع من موضع عال [٥] .
- (**الشواهق**) : الجبال العالية، واحده : شاهق [٦] .
- (**أوفى**) : أشرف على الشيء و (**ذروة**) كل شيء أعلاه [٧] .
- (**الجأش**) : القلب . [٨]

الدراسة الدعوية للحديث :

فمن هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية التدرج في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – أسلوب التشبيه وأهميته في توضيح وتقريب المعنى .

---

(١) – جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لابن الأثير، ٢٧٨/١١ .

(٢) – المرجع السابق، ٢٧٩/١١ .

(٣) – عمدة القاري، للعيني، ٥٣/١ .

(٤) – جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لابن الأثير، ٢٧٩/١١ .

(٥) – المرجع السابق، ٢٧٩/١١ .

(٦) – المرجع السابق، ٢٧٩/١١ .

(٧) – المرجع السابق، ٢٧٩/١١ .

(٨) – جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لابن الأثير، ٢٧٩/١١ .

ثالثاً – أهمية الإعداد النفسي والروحي للداعية .

رابعاً – أخذ الأسباب لا ينافي التوكل .

خامساً – أهمية قول الداعية إلى ا لله لما لا يعلمه : (لا أدري) .

سادساً – أسلوب تكرار التعليم ثلاث مرات .

سابعاً – أهمية العلم والتعليم وفضلهما .

ثامناً – التدريب على الاجتهاد في أمور الدعوة وأخذها بقوة والصبر عليها .

تاسعاً – وظيفة الزوجة الصالحة .

عاشراً – من وسائل الدعوة تقديم الداعية بين يديه من يعرف به .

الحادي عشر – سماع القضية من صاحبها أوقع أثراً في زيادة فهم السامع .

الثاني عشر – حتمية وجود عداء للدعوة وصاحبها .

الثالث عشر – من سنن الأمم الظالمة إخراج الدعاة إلى ا لله من أوطانهم وصعوبة ذلك على نفوسهم .

الرابع عشر – أهمية مرحلة الشباب في طريق الدعوة والجهاد، مع الخبرة وطول التجربة .

الخامس عشر – فرح الداعية وسعادته بالدعوة وما يلاقيه فيها .

السادس عشر – من تاريخ الدعوة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فعلى النحو الآتي :

أولاً : أهمية التدرج في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى :

قال العلماء –رحمهم ا لله–: إنما ابتدأ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغته فلا تحتملها قوى البشرية، فبُدِئَ بتباشير الكرامة وصدق الرؤيا ليأنس ويستعد لعظيم ما أريد به حتى لا يأتيه الملك إلا بأمر عنده مقدماته [1] .

---

(١) – أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان الخطابي، ١٢٨/١،١٢٩ . و الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني، ٣١/١ . وإكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، =

يقول الملا علي القاري - رحمه الله - عن هذه الأحوال إنها : (مقتضى الأمور التدريجية في الأمور الدينية والدنيوية) [١] .

فالتدرج أمر يجب على الداعية أن لا يغفل عنه، فالنفوس بحاجة إلى سياسة وخطوات حتى تغير ما اعتادت ونشأت عليه، فلا يفجأهم بكل ما عنده، أو يطالبهم مرة واحدة بكل شرائع الدين وأحكامه من دون أن يتدرج معهم من أمر إلى آخر، حتى يصل بهم إلى ما يريد من كمال والتزام .

كما ينبغي للداعية أيضاً أن يتدرج مع نفسه في إعدادها، فهو : أولاً يبدأ بطلب العلم، وتعلم هذا الدين ووحي الله سبحانه وتعالى المنزل على رسوله ﷺ، ثم بعد ذلك يبدأ بدعوة الأهل والأقارب، ثم ينتقل إلى مجتمعه، وأهل المسجد والحي الذي يسكن فيه، ثم تكون دعوته على مستوى مدينته، وهكذا يتوسع وينتقل من مرحلة إلى أخرى بتدرج من الأدنى إلى الأعلى - دون تركٍ للأدنى - ومن الأصغر إلى الأكبر -دون تركٍ للأصغر- وهكذا في جميع مراحل الدعوة .

ثانياً - أسلوب التشبيه وأهميته في توضيح وتقريب المعنى :

في هذا الحديث تشبيه بين رؤيا النبي ﷺ، وفلق الصبح، وهذ يحتمل أموراً منها :

١- أن يكون معناه وضوح الرؤيا حين يراها وهو قائم كوضوح فلق الصبح لا تخليط فيها كما في رؤيا غيره، بل يراها في النوم كما يراها في اليقظة .

٢- أن يكون في وضوح مطابقة المناسبة لمثالها الواقع في اليقظة، أي لا شك أن ما وقع في اليقظة مثل المرئي في النوم كما لاشك في فلق الصبح .

٣- أن يكون في صدقها وعدم التخلف عنها وهو قريب من الذي قبله، أي مآل أمرها مثل فلق الصبح [٢] .

=

للأبي، ٤٥٦/١ . وفتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٣١/١ . وعمدة القاري، لبدر الدين العيني، ٦٠/١ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٦١/١، ٦٢ .

(١) - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٠/ ١٠١، ١٠٢ ،طبعة ١٤١٤هـ، ط دار الفكر، بيروت.

(٢) - انظر : مكمل إكمال الإكمال بشرح صحيح مسلم، للسنوسي، ٤٥٧/١ .

وكل هذه الاحتمالات لقوة التشبيه ودقة اختياره، فتشبيه رؤيا النبي ﷺ، بفلق الصبح دون ضوء الشمس أو غيره من الأنوار، وإن كان أقوى، يظهر منه عدة فوائد منها:

١- أن الرؤيا ابتداء أنوار النبوة فكانت كالفلق الذي هو ابتداء ضياء النهار .

٢- أنه نور تتبين به الأشياء من غير إذاية شعاع، ولا حرٌ .

٣- أنه أول تمييز نور الحق من ظلمة الباطل، كما أن الفلق أول بياض النهار من سواد الليل .

٤- ومنها الإشارة إلى النعمة العظمى، والرحمة الكبرى، وهي الإخراج من سواد الكفر والتخلص من حيرة الخبط في ظلمة الجهل إلى نور الإيمان والهداية إلى الصراط المستقيم .

٥- التنبيه على شرف رؤياه ﷺ والاعتناء بها، كما اعتني بهذا الوقت حتى جعل محلاً لصلاة الفجر، والمواهب الجسام ونادياً للملأ الأعلى، والملائكة الكرام صلوات الله وسلامه على نبينا وعلى سائر النبين والملائكة أجمعين (١) .

فمن هنا يظهر لنا بوضوح أنه عندما يقوم الداعية باستخدام أسلوب التشبيه الجيد الموفق، فإنه يصل إلى هدفه من تقريب المعنى والإقناع والعمل به . إذن فعلى الدعاة إلى الله ﷻ، أن لا يَغفلوا عن هذا الأسلوب، وأن يُولوه من الاهتمام والعناية الشئ الكثير في دعوتهم إلى الله تعالى .

ثالثاً - أهمية الإعداد النفسي والروحي للداعية :

يقول أبو سليمان الخطابي - رحمه الله -: (والخلوة يكون معها فراغ القلب، وهي معينة على الفكر، وقاطعة لدواعي الشغل، والبشر لا ينتقل عن طباعه، ولا يترك ما ألفه من عاداته إلا بالرياضة البليغة، والمعالجة الشديدة، فَلطَف الله تعالى لنبيه ﷺ في

(١) - انظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي ، ٤٥٧/١، ٤٥٨ .

بدء أمره، فحبب إليه الخلوة، وقطعة عن مخالطة البشر ليتناسى المألوف من عاداتهم، ويستمر على هجران ما لايحمد من أخلاقهم، وألزمه شعار التقوى، وأقامه مقام التعبد بين يديه ليخشع قلبه، وتلين عريكته [١] لورود الوحي، فيجد فيه مراداً سهلاً، ولا يصادفه حَزْناً وعْراً) [٢] .

وأما عن الاختلاف في أفضلية الخلوة، والخلطة، يقول الملا على القاري - رحمه ا لله -: (والصحيح أن كل واحدة بشروطها المعتبرة في محلها هي الأفضل والأكمل للمصلحة المترتبة عليها) [٣] .

فالخلوة بالعبادة وهجران الناس والابتعاد عنهم في بعض الأوقات - كآخر الليل، والاعتكاف في شهر رمضان - زاد للداعية يتقوى به نفسياً وروحياً، في دعوته إلى ا لله سبحانه وتعالى، وبه يصبر، ويتغلب على ما يواجهه من عقبات ومشكلات في طريق الدعوة، حيث يزداد الإيمان با لله والثقة بالنفس والانطلاق بها فوق الماديات وصعوبة الحياة . وهذا هو شأن الأنبياء والصالحين - قدوة الدعاة إلى ا لله - إذ يقول ا لله ﷻ : ﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً * إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾ [٤] ، يقول العلامة الألوسي - رحمه ا لله-: (فإنه - أي القرآن الكريم - لما فيه من التكاليف الشاقة، ثقيل على المكلفين، سيما على رسول ا لله ﷺ، فإنه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة،

---

(١) - (العريكة) الطبيعة، يقال فلان لين العريكة، إذا كان سلساً، مطاوعاً، منقاداً، قليل الخلاف والنفور. انظر : لسان العرب، لابن منظور، مادة (عرك) ٢٩١١/٥، ٢٩١٢ .

(٢) - أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، ١٢٧/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٨/٢ . وإكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، للأبي، ٤٥٦/١ . والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني، ٣٢/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣١/١ و ٥٤٦/٨. وعمدة القاري، للعيني،٦٠/١ . وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ٦٢/١ .

(٣) - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٠٢/١٠، طبع ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت .

(٤) - سورة المزمل ، الآيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ .

وهذه الجملة المؤكدة معترضة بين الأمر بالقيام، وتعليله الآتي، لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام، كأنه قيل أنه سيرد عليك في الوحي المنزل تكاليف شاقة، هذا بالنسبة إليها سهل، فلا تبال بهذه المشقة وتمرن بها لما بعدها) [(١)] .

فلذا ينبغي للداعاة إلى ﷻ، التمرن على الدعوة ومشاقها، بالصلاة وقيام الليل وسائر العبادات، وخاصة منها ما يكون في السر والخلوة .

رابعاً - أخذ الأسباب لا ينافي التوكل :

إن تزود رسول الله ﷺ بالطعام والشراب في غار حراء فيه دليل على أهمية أخذ الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله، بل كما قال رسول الله ﷺ : للرجل الذي قال : أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل ؟ قال:« **اعقلها وتوكل** »[(٢)]. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عند شرحه لحديث الباب : (ويؤخذ منه إعداد الزاد للمختلي إذا كان بحيث يتعذر عليه تحصيله لبعد مكان اختلائه من البلد مثلاً، وأن ذلك لا يقدح في التوكل وذلك لوقوعه من النبي ﷺ بعد حصول النبوة له بالرؤيا الصالحة) [(٣)] .

فعلى الدعاة إلى الله ﷻ، أن يعلموا أن التوكل على الله ﷻ، لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب، من التنظيم، والتخطيط، واستخدام الوسائل والأساليب المشروعة . لأن التوكل يقوم على ركنين، وهما : اعتماد القلب على الله ﷻ والثقة به، والأخذ بالأسباب المشروعة .

خامساً - أهمية قول الداعية إلى الله : (لا أدري) لما لا يعلمه :

يقول العلامة السنوسي - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث : (وفيه أيضاً

---

(١) - روح المعاني، ١٣٠/١٥، طبعة ١٤٠٨هـ، ط دار الفكر بيروت .

(٢) - سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم ٦٠، برقم ٢٥١٧، ٥٧٦/٤ .(وقال عنه الألباني : حسن . انظر : صحيح سنن الترمذي، حديث رقم ٢٠٤٤، ٣٠٩/٢) .

(٣) - فتح الباري، ٥٨٨/٨ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٦٢/١ .

بيان أن السنة في حق من سئل عما لم يعلم أن يصرح بعدم الدراية، ولا يأنف من ذلك، ولهذا قال الإمام مالك - رحمه الله - : جنة العالم لا أدري، فإذا أخطأها أصيبت منه المقاتل) (١) . لذا يجب على الداعية إلى الله إذا سئل عن شئ ،وهو لا يعلمه أن يقول: لا أدري، أو لا أعلم، فالقول على الله بغير علم من أخطر الأعمال وأضرها على الداعية والمدعو، فهي تُصيبُ المقاتل، يقول ﷺ : « **إنَّ الله لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَم يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** » (٢) . إذن فعلى الداعية أن يتنبه لخطورة هذه القضية وضررها العظيم، وأن لا يقول على الله بغير علم.

سادساً - أسلوب تكرار التعليم ثلاث مرات :

عندما غط جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ ثلاث مرات، انتزع العلماء - رحمهم الله - من ذلك فائدة دعوية، وهي : أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم، والإحضار بمجامع قلبه (٣)، وذلك بتكرار العلم ثلاث مرات، وخصوصاً لما فيه مشقة، سواء كانت تلك المشقة في صعوبة العلم وأهميته - كعلم العقيدة - أو كانت في ضعف إدراك وفهم المتعلم - كالصبي - يقول الإمام النووي -رحمه الله- (وكرره ثلاثاً - أي غَطُّ الوحي - مبالغة في التنبيه) (٤) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (ويؤخذ منه - أي الغطُّ ثلاث مرات - أن من يريد التأكيد في أمر، وإيضاح البيان فيه أن يكرره ثلاثاً) (٥) .

ويقول العلامة العيني - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث : (فيه الحض على

---

(١) - مكمل إكمال الإكمال بشرح صحيح مسلم، ٤٦٨/١ .

(٢) - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، رقم الحديث ١٠٠، ٣٩/١ .

(٣) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٩/٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٣٤/١ .

(٤) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٩/٢ .

(٥) - فتح الباري، ٥٨٩/٨ .

التعليم ثلاثاً بما فيه مشقة كما فتل الشارع أذن ابن عباس رضي الله عنهما في إدارته على يمينه في الصلاة(١)، وانتزع شريح القاضي-رحمه الله- من هذا الحديث أن لايضرب الصبي إلا ثلاثاً على القرآن كما غط جبريل محمداً عليهما الصلاة والسلام) (٢).

سابعاً - أهمية العلم والتعليم وفضلهما :

إن مما يبين أهمية وفضل العلم والتعليم، نزول أول آيات من القرآن الكريم فيها حضٌّ على القراءة والأمر بها، بل وكرر الأمر فيها بالقراءة تنبيهاً على التزام أقوى أسباب السعادة (٣) ثم ذُكر القلم إبرازاً لمكانته وأهميته في حفظ العلم وتبليغه، قال العلامة السنوسي - رحمه الله - نقلاً عن بعض الشيوخ :(مقصد السورة والله أعلم إخبار رسول الله ﷺ بأن الله تعالى اصطفاه بأن جعله إنساناً أولاً، وفضله على بني جنسه من المصطفين وغيرهم بما خصه به من العلوم والمعارف الموجبة منزلة القرب، وأنه خلقه للانقطاع لعبادته، وضمن له ما يهمه من أمر عدوه، فقيل له في فاتحتها : اقرأ فنبه على أعلى أسباب القرب وهو العلم، وحض في خاتمتها على نتيجة العلم وهو العمل المقرب إليه جلّ وعلا، فقيل له اسجد واقترب، وحاصله علم واعمل) (٤).

ثامناً-التدرب على الاجتهاد في أمور الدعوة، وأخذها بقوة، والصبر عليها :

في غطّ جبريل عليه السلام للنبي ﷺ إشارة إلى أن نيل معالي الأمور لا يكون إلا بالصبر على ما يكره الإنسان، وتحمل المشاق العظيمة، بحسب تلك المعالي، فهذه سنة الله سبحانه وتعالى في عباده (٥)، إذ يقول الله عز وجل : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ (٦) ويقول

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، رقم الحديث ١٨٣،٦١/١.

(٢) - عمدة القاري، ٦٢/١ .

(٣) - مكمل إكمال الإكمال بشرح صحيح مسلم، ٤٧٠/١ .

(٤) - المرجع السابق، ٤٧٠/١ .

(٥) - انظر : إكمال إكمال المعلم في شرح الإمام مسلم، للأبي، ٤٨٠/١ .

(٦) - سورة مريم، آية : ١٣ .

ﷻ : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ (١) . يقول العلامة العيني- رحمه الله - عن الحكمة في غطّ جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ ثلاث مرات : (ليظهر في ذلك الشدة والاجتهاد في الأمور، وأن يأخذ الكتاب بقوة، ويترك الأناة، فإنه أمر ليس بالهوينا، وكرره ثلاثاً مبالغة في التثبت) (٢) . فطريق الدعوة والانتساب إليها من أعظم درجات المعالي ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ (٣) .

فلذا ينبغي لمن يريد الالتحاق بركب الدعاة إلى الله ﷻ، أن يبذل الجهد في تحصيل العلم النافع والدعوة إليه، وأخذ الأمور بقوة وحزم، والصبر على ما يلاقيه من أذى و متاعب .

تاسعاً - وظيفة الزوجة الصالحة للداعية، وعظم أثرها عليه :

لقد قامت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها - زوجة الداعية - بعمل عظيم في نصرة الدعوة وتشجيع الزوج - الداعية - على الاستمرار في طريق الدعوة إلى الله، وتحمل المشاق والصعاب والمسؤوليات الدعوية، فمن هذا الحديث، وموقفها مع رسول الله ﷺ عندما جاءها فزعاً خائفاً، تظهر **مجموعة من القضايا والفوائد الدعوية**، التي ينبغي لكل داعية إلى الله ﷻ ، وخصوصاً المرأة المسلمة أن تستفيد منها، وهي :

١- مراعاة أحوال المدعو :

فخديجة رضي الله عنها لم تبادر إلى الاستفسار والسؤال عما جرى لرسول الله ﷺ وهو الحبيب الغالي بل سلكت مسلكاً يدل على عظيم قدرها ورجاحة عقلها، حيث راعت الحالة النفسية التي هو فيها، وعمدت إلى إزالتها وتهدئتها بتزميله وتدفئته، ثم بعد ذلك

---

(١) - سورة الأنبياء، آية : ٧٣ .

(٢) - عمدة القاري، ٦١/١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٥٨٩/٨ .

(٣) - سورة فصلت، آية :٣٣ .

عرفت منه الخبر، وتصرفت معه بالحكمة، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (إن الفازع لا ينبغي أن يسأل عن شئ حتى يزول عنه فزعه) [١] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يتنبه لهذا الأمر، فالمدعو إذا كان في حالة خوف وفزع يقوم بتهدئته وتطمينه، حتى يستطيع التعامل معه، وهو في نفسية مستقرة ثابته تعي ما تقول وتفعل . ولذا قال الإمام مالك - رحمه الله - : (إن المذعور لايلزمه بيع ولا إقرار ولا غيره) [٢] .

٢- جواز مدح المدعو للمصلحة :

إذا كان المدح للمدعوين فيه مصلحة، لإزالة يأس أو خوف، أو قنوط، أو فيه تشجيع على طاعة، وثبات على برّ، أو فيه حثّ لغيره للاقتداء والتأسي به، فعلى الداعية أن لا يغفل عنه، وليعلم أن ذلك لا يتعارض مع النهي الوارد بحثو التراب في وجوه المداحين [٣] ، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث : (وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه لمصلحة تطرأ، وليس بمعارض لقوله ﷺ :« **احثوا في وجوه المداحين التراب** » [٤] إذ هو فيما مدح بباطل، أو يؤدي إلى باطل) [٥].

وقال الإمام النووي - رحمه الله- في شرحه لأحاديث النهي عن المدح من صحيح الإمام مسلم - : (ذكر مسلم - رحمه الله في هذا الباب الأحاديث الواردة في النهي عن المدح وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه، قال العلماء : وطريق الجمع بينها أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في

---

(١) - عمدة القاري، ٦٣/١ .

(٢) - المرجع السابق ، ٦٣/١ .

(٣) - انظر : صحيح الإمام مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط، برقم٣٠٠٢، ٢٢٩٧/٤ .

(٤) - صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، إذا كان فيه إفراط، برقم : ٣٠٠٢، ٢٢٩٧/٤ .

(٥) - الكواكب الدراري، ٣٧/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠٢/٢ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٧٦/١ .

الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله، ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحباً) [١] .

٣- استحباب تأنيس وتبشير من حصلت له مخافة، أو أمر أهمه وأشغله وذكر أسباب السلامة له :

إن هذا الأسلوب الدعوي الذي سلكته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، مع رسول الله ﷺ عندما جاءها مرعوباً خائفاً مما جرى له، فقالت (كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم ...) فيه درسٌ للدعاة ليسلكوه مع من شابهه في الحالة والصورة، حيث ينبغي تأنيسه وتبشيره وذكر أسباب السلامة له فيه [٢] . لأنه جاء يبحث عن علاج، فلا أقل من التأنيس والتبشير، لتهدئة نفسه، وإداخل الطمأنينة والسرور عليها.

٤- أهمية استشارة أهل الخبرة، والرأي، والصلاح :

إن الداعية إذا واجه مشكلةً أو أمراً أهمَّه ينبغي له أن لا يكتمه، بل يستحب له أن يُطلع عليه من يثق بنصيحته وصحة رأيه كما نص على ذلك أهل العلم [٣] .

وذلك لغرضين، وهما :

أ - التنفيس عن النفس، فالمشكلة المكتومة تكبر في النفس وتنمو، وتأخذ أكبر من مكانها، وتشغل صاحبها أكثر مما تستحق، فإذا نَفَّسَ عن نفسه بالحديث خفَّ ما يجد في نفسه من هم وكدر، وخصوصاً إذا كان المُخْبَرُ ممن يشاركه ويحمل ويتفاعل معه ومع مشكلته، فإن هذا أمر مشاهد مدرك لمن جربه، فرسول الله ﷺ في هذا

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٦/١٨ .

(٢) - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠٢/٢. وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٧٦/١. والكواكب الدراري، للكرماني، ٣٧/١ وفتح الباري، لابن حجر، ٣٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٣/١ .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٣/١ .

الحديث بادر في هذا الأمر الذي أهمه وأفضى به إلى خديجة ﵂ لتشاركه هذا الهم، وتسعى معه في علاجه، وإزالته .

ب- الاستفادة من النصيحة التي سيقدمها له من استشاره، ولذا ينبغي له أن يحدث ويستشير من يثق بنصحه ورجاحة عقله، حتى لا يؤدي إلى نتائج عكسية من إشاعة هذا الأمر وهو يرغب في حصره في دائرة محدودة . إذ نجد في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ، حدث خديجة ﵂، وأخبرها بما جرى له وقد كانت في المنزلة الكبيرة من رجاحة العقل وحسن الرأي،يقول الإمام الكرماني -رحمه الله- عند شرحه لهذا الحديث : (وفيه أبلغ دليل على كمال خديجة ﵂ ، وجزالة رأيها وقوة نفسها وعظم فقهها،وقد جمعت ﵂ جميع أنواع أصول المكارم وأمهاتها فيه ﷺ) [1].

٥- اتصاف الداعية بمكارم الأخلاق سبب لعون الله له :

إن اتصاف الداعية وحرصه على مكارم الأخلاق وكثرة الخير والإحسان إلى الناس، سبب لعون الله له في دعوته، وانتشارها، وردٍّ كيد خصومها، لذلك قالت أم المؤمنين خديجة ﵂ : (**كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ...**) حيث استدلت على قسمها بما عند رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق وجميل الصفات وذكرت ضروباً منها، فخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء، والمكارم سبب لدفع المكاره، ومن كثر خيره حسنت عاقبته، ورجي له سلامة الدين والدنيا [2] .

٦- من أدب الداعية احترام الكبير وتوقيره :

إن قول أم المؤمنين خديجة ﵂ : (**يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ**) فيه تلطفٌ

---

(١) – الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ٣٧/١ .

(٢) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠٢/٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٣٧/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٣/١ .

منها واحترام وتوقير للكبير، مما يوجب إقباله على رسول الله ﷺ بجميع فكره وكمال نصحه إذ جعلته عماً له ولها ، كما في رواية الإمام مسلم - رحمه الله - [(١)].

يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - (وجعلته عماً لرسول الله ﷺ احتراماً على سبيل التجوز) [(٢)] .

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يتخلق بهذا الخلق الرفيع مع الكبار بتوقيرهم واحترامهم ومخاطبتهم بما يستحقون من الألفاظ والكلام الجميل، لِيَجدَ منهم الإقبال عليه والاستجابة لما يدعوهم له .

عاشراً - من وسائل الدعوة تقديم الداعية بين يديه من يعرف به :

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إن هذا الحديث : (فيه إرشاد إلى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يعرف بقدره ممن يكون أقرب منه إلى المسؤول، وذلك مستفاد من قول خديجة : لورقة (**اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ**) أرادت بذلك أن يتأهب لسماع كلام النبي ﷺ وذلك أبلغ في التعليم) [(٣)] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، إذا أراد أن يتحدث مع قوم لا يعرفونه، أو إذا أراد أن يتكلم في موضوع مهم، أن يستعين بمن يعرف به، أو بالموضوع الذي يريد أن يتكلم عنه حتى تكون القلوب متشوقة له ولما سوف يقول .

الحادي عشر - سماع القضية من صاحبها أوقع أثراً في زيادة فهم السامع :

إن الداعية إذا أراد أن يتحدث في موضوع، وتطرق لقضية باشرها غيره ثم ترك صاحب القضية ليتحدث عنها، فهذا يكون أوقع أثراً على المدعوين، وأقوى في زيادة فهمهم للموضوع، يقول العلامة السنوسي - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث :

---

(١) - صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث ١٦٠، ١٣٩/١ . وانظر : إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، للأبي، ٤٨٢/١ .

(٢) - الكواكب الدراري، ٣٨/١ .

(٣) - فتح الباري، ٣٤/١، ٣٥ .

(فقرائن الأحوال عند سماع القضية من صاحبها لها أثر عظيم في زيادة فهم السامع، ولهذا رأينا بعض شيوخنا الأكابر - رحمهم الله - يزجر من ينقل له سؤال سائل مع حضوره) [١] .

الثاني عشر - حتمية وجود عداء للدعوة وصاحبها :

فمن قول ورقة ﷺ : (**لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ**) يتبين لنا أمر مهم جداً، وهو أن الداعية إلى الله ﷻ، لابد أن يواجهه أعداء وخصوم، عندما يزاول عمل الدعوة، ويصدع بها بين الناس، فالعداوة معلم من معالم طريق الدعوة يقول الله ﷻ : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ [٢] ، ويقول الله ﷻ : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ [٣] .

الثالث عشر - من سنن الأمم الظالمة إخراج الدعاة إلى الله من أوطانهم وصعوبة ذلك على نفوسهم :

إن الهجرة إلى الله ومفارقة الوطن من أصعب الأشياء على النفوس لذا عندما قال ورقة - رحمه الله - لرسول الله ﷺ : (ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك) قال له: « **أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ** »، فتحرَّك نفسِ الرسول ﷺ، عند ذكر الخروج من الوطن ؛ لشدة مفارقته، لا سيما حرم الله [٤] .

وفي كلام ورقة السابق وجواب رسول الله ﷺ عليه : إشارة إلى أن التكذيب والإخراج للدعاة إلى الله ﷻ، من أوطانهم، سنة من سنن الأمم السابقة مع من يدعوهم إلى نبذ عاداتهم التي تخالف شرع الله ومراده، كما قال الله ﷻ ، عن قوم

---

(١) - مكمل إكمال الإكمال بشرح صحيح مسلم، ٤٨٢/١ .

(٢) - سورة الأنعام، آية : ١١٢ .

(٣) - سورة الفرقان، آية : ٣٦ .

(٤) - انظر : إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، للأبي، ٤٨٦/١ .

شعيب عليه السلام : ﴿ لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ (١)، وكما قال سبحانه وتعالى، عن قوم لوط عليه السلام : ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ (٢)، وقال عز وجل : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ﴾ (٣) .

الرابع عشر - أهمية الشباب في طريق الدعوة والجهاد ، مع الخبرة وطول التجربة :

إن في قول ورقة - رحمه الله - (**يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا**) دلالة على أهمية الشباب في نصرالدعوة، يقول العلامة ابن الأثير - رحمه الله - : (الجذع هاهنا : كناية عن الشباب، يقول يا ليتني كنت شاباً عند ظهورك لأنصرك وأعينك)(٤) . ويقول العلامة السنوسي - رحمه الله - عند شرحه لقول ورقة - رحمه الله - **وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا** - : (كمال النصرة إنما يكون باجتماع الأمرين، حسن المعرفة بالأمور لطول التجربة وممارسة الخطوب، وقوة الجسد، لتقع النكاية بها في الحروب . ورب رأي أنفع من جيش عظيم كل منهم قوي شجاع، وقد حصل لورقة الأول من الأمرين، فتمنى أن يحصل الثاني منها) (٥) . فعلى الشباب من الدعاة إلى الله، الاستفادة من رأي أهل الخبرة وطول التجربة، كما أنه على أهل الخبرة وطول التجربة الاستفادة من الشباب في الدعوة إلى الله وخدمة هذا الدين . فإنه باجتماع الأمرين يحصل الخير الكثير، والنصر العظيم .

---

(١) - سورة الأعراف، الآية : ٨٨ .
(٢) - سورة النمل، الآية : ٥٦ .
(٣) - سورة إبراهيم، الآية : ١٣ .
(٤) - جامع الأصول، ٢٧٩/١١ .
(٥) - مكمل إكمال الإكمال، ٤٨٤/١ .

الخامس عشر - فرح الداعية وسعادته بالدعوة وما يلاقيه فيها :

إن من صفات الداعية إلى الله ﷻ، الفرح والسرور والسعادة بما هو فيه من عمل عظيم، وهو الدعوة إلى الله ﷻ ، والانتساب إليه، والاتباع والاقتداء بنبيه ﷺ : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ [١]، ويقول الله ﷻ : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ [٢] . فرسول الله ﷺ فرح بالنبوة والدعوة إلى الله جلّ وعلا، مع ما يترتب على ذلك من تكليف ومشقة وامتحان وابتلاء، ذكر العلامة السنوسي -رحمه الله - أن بعض الشيوخ قال : (ويحتمل عندي أن رجف فؤاده ﷺ إنما كان فرحاً وسروراً بما أوتي من الوحي يقظة، وماعلم من العلم، وما استشعر من إعطاء الله سبحانه له ما لم يعط بشر . والفرح قد يرعد كما يرعد الفزع، ولا يرد هذا قوله : « **لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي** » لأنه قد يخشى أيضاً على النفس من شدة الفرح . . . ويدل على عظيم سروره ﷺ وابتهاجه بما رأى، ما كان يفعله بنفسه ﷺ عند فترة الوحي وغيبة جبريل عليه السلام عنه) [٣] .

السادس عشر - من تاريخ الدعوة (بداية دعوة النبي ﷺ) :

في هذا الحديث إشارة إلى **بداية تاريخ دعوة النبي ﷺ**، وكيف بدأت النبوة، حيث ذُكر في الحديث المراحل الأولى التي مرت بها، فأولى مقدمات نبوة محمد ﷺ، كانت الرؤيا الصالحة التي تأتي كفلق الصبح ، يقول عبيد بن عمير[٤] -رحمه الله-: (رؤيا الأنبياء وحي) ثم قرأ : ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ [٥]، وحبُّ العزلة عن الناس، والخلوة في غار حراء، والتعبد فيه الليالي ذوات العدد،

---

(١) - سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .
(٢) - سورة يونس، الآية : ٥٨ .
(٣) - مكمل إكمال الإكمال بشرح صحيح مسلم، ٤٧٢/١، ٤٧٣ .
(٤) - صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، ٥٠/١ .
(٥) - سورة الصافات، آية : ١٠٢ .

وإنما هذه أسباب ومقدمات أرهصت لنبوته، وجعلت مبادىء لظهورها [١] .

ثم بعد هذه المقدمات بدأ الوحي بنزول أول آية على القول الصحيح من كلام أهل العلم[٢]، وهي قوله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [٣] .

ثم بعد ذلك ذكرت عائشة رضي الله عنها ما جرى لرسول الله ﷺ مع زوجه خديجة رضي الله عنها وابن عمها ورقة بن نوفل رضي الله عنه، من حوار يظهر فيه عظم منزلة خديجة رضي الله عنها، ورجحان عقلها باستدلالها على صدق رسول الله ﷺ بمكارم أخلاقه، واستشارة ابن عمها ورقة بن نوفل رضي الله عنه ثم بعد ذلك فتر الوحي .

---

(١) - انظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان الخطابي، ١٢٦/١ .

(٢) - انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط، ٨٤/١ .

(٣) - سورة العلق، آية : ١ .

٣- باب

٤- ٤ - قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ (١) رضي الله عنهما، قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : « **بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي** » فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾(٢) فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ . (٣)

وفي رواية : عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيُ فَتْرَةً، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،**

---

(١) - جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن عمرو بن سواد الخزرجي الأنصاري السلمي، أبو عبدالله، أحد الستة المكثرين الرواية، روي له عن النبي ﷺ ١٥٤٠ حديثاً، اتفق الشيخان على ٥٨ حديثاً، انفرد البخاري بـ ٢٦ حديثاً، كان لجابر رضي الله عنه حلقة في المسجد النبوي، يؤخذ عنه العلم، روى عنه جماعات من أئمة التابعين، منهم سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، ومحمد الباقر، وعطاء، وسالم بن أبي الجعد، وعمرو بن دينار، وخلائق، ومناقبه كثيرة، غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، هو وأبوه وخاله من أصحاب العقبة، مات بعد أن عمي، سنة ثمان أو أربع أو تسع وسبعين، وكان عمره أربعاً وتسعين سنة . (انظر : تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٣٥٠/٢، ٣٥٢ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٤٥/٢، ترجمة رقم : ١٠٢٢ . وعمدة القاري، لبدر الدين العيني، ٦٥/١).

(٢) - سورة المدثر، الآيات : من ١إلى ٥ .

(٣) - أطرافه : **الأول** : في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم (آمين)، رقم الحديث ٣٢٣٩ . **والثاني، والثالث، والرابع، والخامس، والسادس** : في كتاب تفسير القرآن، (سورة المدثر) الأبواب رقم ٢،٣،٤،٥، أرقام الأحاديث : ٤٩٢٢، ٤٩٢٣، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦ . **والسابع**: في كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، رقم الحديث ٤٩٥٤ . **والثامن**: في كتاب الأدب، باب رفع البصر إلى السماء، رقم ٦٢١٤ .

وأخرجه: الإمام مسلم، في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم ١٦١، ١٣٩/١ .

فَجُئِثْتُ مِنْهُ، حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ .. » (١) .

وفي رواية : عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾، قُلْتُ يَقُولُونَ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، عَنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ الَّذِي قُلْتَ . فَقَالَ جَابِرٌ : لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ . فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا** » قَالَ : « **فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا** » قَالَ : فَنَزَلَتْ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ (٢) .

شرح غريب الحديث :

- « **جِوَارِي** » : المجاورة، أراد بها : لزوم المكان والاعتكاف فيه (٣) .
- ﴿ الرُّجْزَ ﴾ : هي الأوثان في قول الأكثرين، وقيل الشرك، وقيل الذنب . وحقيقة الرجز في اللغة العذاب، وتأويله على هذا كأنه قال : ما يؤدي إلى عذاب الله فاهجر (٤) .
- (**فَحَمِيَ الْوَحْيُ**) : أي جاء كثيراً (٥) .
- « **فَجُئِثْتُ** » : كلمة بمعنى فزعت، ورجل مجؤث أي مذعور (٦) .

---

(١) – كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم (آمين)، رقم الحديث ٣٢٣٩ .

(٢) – كتاب تفسير القرآن، (سورة المدثر) باب رقم ١، رقم الحديث : ٤٩٢٢ .

(٣) – جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لابن الأثير، ٢٨١/١١ .

(٤) – أعلام الحديث ، للخطابي، ١٩٣٦/٣ .

(٥) – فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٣٨/١ .

(٦) – انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ،لابن الأثير،٢٨١/١١. وعمدة القاري،لبدر الدين العيني،٦٦/١.

الدراسة الدعوية للحديث :

ومن هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الجد والنشاط في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – أهمية الاستعداد للدعوة إلى الله ﷻ .

ثالثاً – جلوس الداعية على مكان مرتفع أثناء التعليم، والتزام التؤدة والوقار والهيئة الحسنة .

رابعاً – أسلوب ملاطفة المدعو وتأنيسه في الكلام .

خامساً – الحث على العلم والتعليم، والصبر عليه .

سادساً – التدرج في الدعوة إلى الله ﷻ .

سابعاً – من تاريخ الدعوة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فعلى النحو الآتي :

أولاً - أهمية الجد والنشاط في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن المتأمل في قول الله ﷻ : ﴿ قم فأنذر ﴾ يلمس منه الحث على الجد وقوة العزم في الدعوة إلى الله ، يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (وقوله تعالى : ﴿ قم فأنذر ﴾ أي : شمر عن ساق العزم وأنذر الناس) [1] . ويقول العلامة ابن سعدي - رحمه الله - : (﴿ قم ﴾ أي : بجد ونشاط فأنذر الناس) [2] .

فلذا ينبغي للداعية أن يتنبه لذلك الأمر، وأن يُقْدِم على الدعوة إلى الله ﷻ، بجد وقوة ونشاط، فطريق الدعوة طويل ومليء بالصعاب والعقبات، لا يسير فيه ويثبت

---

(١) – تفسير ابن كثير، ٤/٤٤١ .

(٢) – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٥/٣٣١ .

عليه إلا أصحاب القوة والنشاط والهمم العالية .

ثانياً - أهمية الاستعداد للدعوة إلى الله ﷻ :

إن الله ﷻ - في سورة المدثر - بعد أن أمر نبيه ﷺ بالنذارة والدعوة إليه، أمره بأخذ الاستعداد لذلك من خلال الأمور الآتية :

١- أمره بتكبير ربه فقال ﷻ : ﴿ **وربك فكبر** ﴾ فإن كل أحد، وكل شئ، وكل قيمة، وكل حقيقة .. صغير، والله وحده هو الكبير المتعال، فهو توجيه لرسول الله ﷺ ليواجه نذارة البشرية، ومتاعبها وأهوالها وأثقالها، بهذا التصور، وبهذا الشعور، فيستصغر كل كيد، وكل قوة، وكل عقبة .

٢- أمره بتطهير ثيابه فقال ﷻ : ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾، يقول العلامة ابن سعدي - رحمه الله - : (يحتمل أن المراد بالثياب، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق، وعجب، وتكبر، وغفلة وغير ذلك مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته، ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال - إلى أن قال - ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصاً عند الدخول في الصلوات . وإذا كان مأموراً بطهارة الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن) [1] . فملابسة الإنذار والتبليغ، ومزاولة الدعوة في وسط التيارات والأهواء والمداخل والدروب، وما يصاحب هذا ويلابسه من أدرانٍ ومقاذرٍ وأخلاطٍ وشوائبٍ، تحتاج من الداعية إلى الطهارة الكاملة كي يملك استنقاذ الملوثين دون أن يتلوث، وملابسة المدنسين من غير أن يتدنس .

٣- وأمره بهجران الشرك فقال ﷻ : ﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ ورسول الله ﷺ

(١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٥/٣٣١ .

كان هاجراً للشرك ولموجبات العذاب حتى قبل النبوة، ولكن هذا التوجيه يعني التأكيد على هذا الأمر وخطورته، ويعني المفاصلة وإعلان التميز الذي لا صلح فيه ولا هوادة، بين طريق الإيمان والتوحيد، وطريق الكفر والشرك . فهما طريقان مفترقان لا يلتقيان .

٤- وأمره بترك المن بما يقدمه من الجهد، أو استكثاره واستعظامه فقال ﷻ : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ فمن سلك طريق الدعوة إلى الله ﷻ، لابد أن يعرف أنه سيبذل الكثير، وسيلقى الكثير، وسيقدم الكثير من الجهد والتضحية والعناء، وهذه الدعوة لا تستقيم في نفس تحس بما تبذل فيها، فالبذل من الضخامة بحيث لا تحتمله النفس إلا حين تنساه . بل حين لا تستشعره من الأصل، فكل ما تقدمه هو من فضل الله وعطاياه، الذي يستحق الشكر، لا المن والاستكثار .

٥- ويأمره أخيراً بالصبر فيقول ﷻ : ﴿ ولربك فاصبر ﴾ وهي الوصية التي تتكرر عند كل تكليف بهذه الدعوة، والصبر هو الزاد الأصيل في هذه المعركة الشاقة بين الإيمان والتوحيد، والكفر والإلحاد .

وكل هذه الأوامر وإن كان المخاطب بها رسول الله ﷺ، فالدعاة تبعاً له حيث يقول الله ﷻ: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (١).

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الاستعداد للدعوة بهذا الزاد لتتحقق أعظم النتائج والآثار المرجوة.

ثالثاً - جلوس الداعية على مكان مرتفع أثناء التعليم، والتزام التؤدة والوقار والهيئة الحسنة :

إن في جلوس الملك عليه السلام على الكرسي لا سيما وهو مرتفع بين السماء والأرض، بحيث لا يحتاج إلى ارتفاع على الكرسي، دليلاً على جلوس العلماء والدعاة للتعليم على الكرسي ليستمع الناس منهم، وليكونوا على السواء في مواجهته، والأخذ

---

(١) - سورة يوسف، آية : ١٠٨ .

عنه، لا سيما إن كثروا، ومن ثم شرع المنبر في الجمع والأعياد ومحل الخطب . والملك وإن كان مستغنياً عن الكرسي بإمكان ثبوته في الهواء كما ثبت معه فيه، لكنه تعليم وإشارة إلى التزام المعلم التؤدة والوقار والهيئة الحسنة (١) .

رابعاً - أسلوب ملاطفة المدعو وتأنيسه في الكلام :

إن في خطاب الله ﷻ، لنبيه ﷺ، في بداية سورة المدثر بـ : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر . . . ﴾(٢) . فيه ملاطفة وتأنيس له، يقول العلامة السنوسي - رحمه الله - : (ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها، كقوله ﷺ لحذيفة ﷺ : « **قم يا نومان** » (٣) . ولعلى ﷺ : « **قم أبا تراب** » (٤) . ولو ناداه سبحانه في حالة كربه هذه باسمه أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لهاله ذلك، ولكن لما بدأ ﴿ يا أيها المدثر ﴾ أنس وعلم أن ربه راض عنه) (٥) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، مراعاة هذا الأسلوب مع المدعوين وملاطفتهم وتأنيسهم في الكلام، وخصوصاً مع من كان فزعاً، أو خائفاً، أو غاضباً . فإن ذلك أدعى لإقباله عليه، والاستجابة لما يدعوه إليه .

خامساً - الحث على العلم والتعليم، والصبر عليه :

في هذا الحديث حثٌّ على طلب العلم والصبر عليه ، وذلك يظهر من خلال صبر الرسول ﷺ على ما كان يلاقيه من نزول الوحي عليه من مشقة، وخوف، حتى أنه

---

(١) - انظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٤٩٢/١ .

(٢) - سورة المدثر، الآيات : ٣،٢،١ .

(٣) - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم الحديث ١٧٨٨، ١٤١٥/٣ .

(٤) - صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب على بن أبي طالب ﷺ، برقم٣٧٠٣، ٢٤٧/٤ .

(٥) - مكمل إكمال الإكمال بشرح صحيح مسلم، للسنوسي، ٤٩٣/١ .

كان يتلفف في الثياب ويتدثر بها من شدة ما يجد، يقول العلامة السنوسي - رحمه الله- فيه : (إشارة إلى التحريض على التزام العلم فإنه يوصل صاحبه إلى المراقي العلية من الكرسي والمنابر ونحوها، في الدنيا والآخرة ... أي إن صبرت على مشاق التعليم من غيرك، ارتفعت إلى مثل هذا المقام لتعلم غيرك) [١] .

سادساً : التدرج في الدعوة :

سبقت الإشارة في الحديث رقم (٣) [٢] ، إلى أهمية التدرج في الدعوة إلى الله، وفي هذا الحديث ما يؤكد على هذا ويبين أهميته، فالوحي لم ينزل على رسول الله ﷺ - مع ملاحظة أن هذا بعد النبوة والرسالة، فكيف بغير رسول الله ﷺ - مرة واحدة وعلى حالة واحدة، بل على مراحل وخطوات ودرجات، حتى حمي وتتابع .

فالتدرج شأنه عظيم، وله أهمية كبيرة في النقل والتغيير من حال إلى حال، ومن دين إلى دين ..

سابعاً : من تاريخ الدعوة (بداية دعوة النبي ﷺ) :

في هذا الحديث يحدث جابر رضي الله عنه عن فترة الوحي، وكيف برز الملك لرسول الله ﷺ في السماء وكلمه، فيرعب منه النبي ﷺ حتى ينطلق لأهله ويقول: «**زملوني**»، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **يأيها المدثر . .** ﴾ ثم بعد ذلك حمي الوحي وتتابع، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن قول جابر رضي الله عنه : إن هذه الآية أول ما نزل (إن المراد بالأولية في قوله : أول ما نزل سورة المدثر . أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر بالإنذار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة، فكأن من قال : أول ما نزل ﴿ اقرأ . . ﴾ أراد أولية مطلقة، ومن قال: إنها المدثر، أراد بقيد التصريح

---

(١) - مكمل إكمال الإكمال بشرح صحيح مسلم، ١/٤٩٢

(٢) - انظر : ص٧٠ من هذا البحث .

بالإرسال)[١].

بل في هذا الحديث –حديث جابر رضي الله عنه– ما يدل على هذا، حيث جاء فيه « **ثُمَّ فَتَرَ عَنِّي الْوَحْيُ فَتْرَةً – إلى أن قال – فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ** .. » فدل على أنه نزل عليه الملك – جبريل عليه السلام – في غار حراء بالوحي أولاً ثم فتر عنه، ثم نزل وتتابع [٢] .

---

(١) – فتح الباري، ٥٤٦/٨ .

(٢) – انظر : تفسير ابن كثير، ٤٤١/٤، تاريخ الطبع ١٤٠٧هـ، ط دار الفكر ببيروت .

٤ - باب

٥ - ٥ - حدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا مُوسَى ابْنُ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (٢) . قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ:سَعِيدٌ أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾(٣). قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (٤)، قَالَ : فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (٥) . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ (٦) .

---

(١) - هو عبدالله بن عباس، ابن عم النبي ﷺ، وأمه لبابة بنت الحارث، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل : خمس عشرة سنة، كان حبر هذه الأمة وعالمها، كان يقال له : البحر، لكثرة علمه، دعا له النبي ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : نعم ترجمان القرآن ابن عباس، وهو أحد العبادلة الأربعة، وهو أحد الستة من الصحابة الذين هم أكثر رواية عن رسول الله ﷺ، وكان عمر بن الخطاب يقربه ويشاوره بين أجلة الصحابة، وكف بصره في آخر عمره، ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير رضي الله عنه، وهو ابن إحدى وسبعين سنة . وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين .(انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٢٧٤/١، ٢٧٥، ٢٧٦. وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٣١/٣-٣٥٩ . والإصابة، لابن حجر، ١٣١/٦، ترجمة رقم : ٤٧٧٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٠/١) .

(٢) - سورة القيامة، الآية : ١٦ .

(٣) - سورة القيامة، الآية : ١٦، ١٧ .

(٤) - سورة القيامة، الآية : ١٨ .

(٥) - سورة القيامة، الآية، ١٩ .

(٦) - أطرافه : **الأول**، و**الثاني**، و**الثالث**: في كتاب تفسير القرآن، (تفسير سورة القيامة)، برقم ٤٩٢٧، =

وفي رواية : (.. وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ الْآيَةَ الَّتِي فِي لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ قَالَ : عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قَالَ فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ) (١) .

شرح غريب الحديث :

- (**يُعَالِجُ**) : أي يحاول من تنزيل القرآن عليه شدة، ومنه ملاطفة المريض، أي ملاطفته بالدواء، والمعالجة الملاطفة في المراودة، وقيل : محاولة الشئ بمشقة (٢).

- (**أَنْصِت**) : من نصت ينصت إنصاتاً، إذا سكت واستمع . (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة : التطبيق العملي والتمثيل بالفعل .

ثانياً – من صفات الداعية : الحرص على العلم النافع .

ثالثاً – جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة .

رابعاً – ضمان الله سبحانه وتعالى، جمع القرآن وبيانه .

=

ورقم٤٩٢٨، ورقم٤٩٢٩. و**الرابع**: في كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة،برقم٥٠٤٤.
و**الخامس**: في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:{ لا تحرك به لسانك }، برقم ٧٥٢٤ .
وأخرجه : الإمام مسلم، في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقرآة، رقم الحديث ٤٤٨، ١/ ٣٣١ .

(١) – كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة القيامة، حديث رقم ٤٩٢٩، ٦/٩١ .

(٢) – انظر : عمدة القاري، لبدر الدين العيني، ١/٧١ .

(٣) – انظر : المرجع السابق، ١/٧١ .

خامساً – أهمية السنة النبوية في فهم القرآن الكريم .

سادساً – من آداب المدعوين : الاستماع والإنصات .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة : التطبيق العملي والتمثيل بالفعل :

إن في تطبيق ابن عباس رضي الله عنهما، بتحريك شفتيه كما كان رسول الله يحركهما، درساً للدعاة في أهمية هذا الأسلوب ، ونقله للصورة ، وتقريبها للأذهان، وزيادة البيان(١)، يقول الإمام الكرماني -رحمه الله- (وفيه أنه يستحب للمعلم أن يمثل للمتعلم بالفعل ، ويريه الصورة بفعله ، إذا كان فيه زيادة على بيان الوصف بالقول)(٢).

وهذا الحديث يسمى بالمسلسل، لأن ابن عباس رضي الله عنهما، نقلَ فِعل الرسول ﷺ، بتطبيقه لمن رواه عنه، والراوي أيضاً فعل كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما (٣) . وهذا النوع من الأحاديث فائدته كما قال الإمام العيني – رحمه الله – (اشتماله على زيادة الضبط، واتصال السند، وعدم التدليس) (٤) .

ثانياً – من صفات الداعية : الحرص على العلم النافع :

في هذا الحديث يظهر لنا مدى حرص رسول الله ﷺ على تلقي الوحي وحفظه، حتى أنه صار من شدة الحرص يقرأه مع الملك عليه السلام، إلى أن نزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾، فالله عز وجل، بين له : أن عليه التأني وعدم العجلة في ذلك، يقول الإمام الكرماني

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٩/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٣/١ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٦٩/١ .

(٢) – الكواكب الدراري، ٤٧/١ .

(٣) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ٧٣/١ .

(٤) – المرجع السابق، ٧٣/١ .

- رحمه الله - (وكان رسول الله ﷺ إذا لقن الوحي، نازع جبريل عليه السلام القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ، وخوفاً من أن يتفلت منه، فأمر بأن ينصت له، ملقياً إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضى إليه وحيه - إلى أن قال - كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى معاً كما ترى بعض الحراص على العلم) (١) .

ويقول الإمام البيضاوي - رحمه الله - عند شرحه لهذه الآيات : (إن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو من أهم الأمور وأصل الدين، فكيف بها في غيره) (٢) .

ومن أهم العلوم التي يحصلها الداعية حفظ كتاب الله، وتلاوته، وتدبر معانيه فهذا رسول الله ﷺ يجتهد في ذلك حتى نزل عليه الوحي يطمئنه بجمع ذلك له . فعلى الدعاة إلى الله الاقتداء برسول الله ﷺ في حرصه على العلم والهدى والنور، بشرط عدم العجلة، والتأني في أخذه وتحصيله .

ثالثاً - جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة .

إن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع عند الكل، إلا من جوز تكليف ما لايطاق، وأما تأخيره عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، فاختلفوا فيه، فذهب الأكثرون، إلى جوازه مستدلين بقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ . (٣)

فلذا ينبغي على الداعية إلى الله إذا تحدث في موضوع ما أن لا يخرج عنه بالتفصيل في كل ما يرد في حديثه من موضوعات ما لم تدع الحاجة إلى ذلك .

فلذا رأينا الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أخّر الحديث عن تفسير الآيات الواردة في هذا الحديث إلى مكانها الذي يناسبها، فقال : (والكلام في تفسير الآيات المذكورة، أخرته إلى كتاب التفسير فهو موضعه) (٤) .

---

(١) - الكواكب الدراري، ٤٨/١ .

(٢) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٥٤٨/٢، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٤٨/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٣/١ .

(٤) - فتح الباري، ٤٠/١ .

رابعاً - ضمان الله سبحانه وتعالى، جمع القرآن وبيانه :

في هذه الآيات الواردة في هذا الحديث بشارة من الله عز وجل، لهذه الأمة بأن القرآن باقٍ بحفظ الله سبحانه وتعالى له، وأن الله عز وجل، قد تكفل بجمعه ومن ثم بيانه للناس، سواء ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو في غيره من الأزمان، وذلك بوجود الحفاظ العلماء الدعاة إلى الله - ورثة الأنبياء - يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١) .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، الحرص على تبليغ هذا القرآن، وإيصاله للناس، مع اطمئنانهم بأن الله عز وجل، حافظ لكتابه، جامعٌ مبينٌ له ولو كره الكافرون.

خامساً - أهمية السنة النبوية في فهم القرآن الكريم :

إن حاجة الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، للسنة النبوية حاجة ماسة، فهي الشارحة للقرآن المفسرة لما أجمل منه، بها يُفهم القرآن ومراد الله فيه، يقول العلامة ابن سعدي - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ : (أي : بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه، وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون - إلى أن قال - وفيها : أن النبي صلى الله عليه وسلم كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه) (٢) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، التصدي لمن دعا لفصل القرآن عن السنة، لأنها دعوة لهجر القرآن والبعد عن مراده ومعانيه .

سادساً - من آداب المدعوين : الاستماع والإنصات :

يظهر في الحديث تنبيه على خُلق له أهمية كبيرة، لطالب العلم والمستمع له، وهو حسن الاستماع والإنصات للمتحدث ، يقول العلامة ابن سعدي - رحمه الله - :

---

(١) - سورة الحجر، الآية : ٩ .

(٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٣٤١/٥ .

(وفي هذه الآية - ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ . . . ﴾ - أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم للعلم، قبل أن يفرغ المعلم من المسألة، التي شرع فيها، فإذا فرغ منها، سأله عما أشكل عليه . وكذلك إذا كان في أول الكلام، ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، قبل الفراغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق وباطل، وليفهمه فهماً يتمكن فيه من الكلام فيه على وجه الصواب) [١] .

---

(١) – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٣٤١/٥ .

٥ - باب

٦ - ٦ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ. ح و حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ نَحْوَهُ قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) (١) .

وفي رواية : (... وكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) (٢) .

شرح غريب الحديث :

- (**أَجْوَدَ**) : هو أفعل التفضيل، من الجود، وهو العطاء، أي أعطى ما ينبغي، لمن ينبغي (٣) .
- (**يَنْسَلِخَ**) : يقال : سلخت الشهر، إذا أمضيته، وصرت في آخره، وانسلخ الشهر من سنته، أي خرج منها (٤) .

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، برقم١٩٠٢ ، ٢٧٩/٢. **والثاني** : في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، برقم٣٢٢٠ ، ٩٧/٤. **والثالث** : في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم٣٥٥٤ ، ٢٠٠/٤ . **والرابع** : في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، برقم٤٩٩٧ ، ١٢٣/٦.

وأخرجه : الإمام مسلم، في كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، رقم الحديث ٢٣٠٨، ١٨٠٣/٤ .

(٢) - كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان، رقم الحديث ١٩٠٢ ، ٢٧٩/٢.

(٣) - عمدة القاري، للعيني، ٧٥/١ .

(٤) - انظر : لسان العرب لابن منظور، مادة سلخ، ٢٠٦٣/٤ .

- (الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ): أي المبعوثة لنفع الناس، أو من الريح المرسلة للرحمة.(١)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية الجود والكرم .

ثانياً – حاجة الداعية لمراجعة علمه وحفظه على يد العلماء، وملازمتهم، والتنظيم في ذلك .

ثالثاً – أهمية اختيار الأوقات المناسبة للحفظ والمذاكرة .

رابعاً – أهمية زيارة الصالحين وأهل الفضل ومجالستهم .

خامساً – من أساليب الدعوة : التشبيه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

أولاً - من صفات الداعية الجود والكرم :

ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يتحلى بصفة الجود والكرم، ويجتهد في اكتسابها بالبذل والعطاء في سبيل الله ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ (٢)، لأن الناس جبلت على حبِّ من أحسن إليها، وعليه أن يقتدي في ذلك برسول الله ﷺ أجود الناس الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وفي هذا الحديث إشارة إلى اتصاف رسول ﷺ بهذه الصفة والحثّ عليها (٣)، يقول العلامة العيني -رحمه الله-: إن (المناسبة بين الجمل الثلاث - الواردة في الحديث - وهي قوله : **كان ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ . وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ . و فَلَرَسُولُ الله ﷺ** الخ . ظاهرة لأنه أشار بالجملة

---

(١) – انظر : عمدة القاري، للعيني ،١/٧٥ .

(٢) – سورة محمد، الآية : ٣٨ .

(٣) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/٦٩ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٤١ . وعمدة القاري، للعيني ١/٧٦ . وحاشية الإمام السندي على سنن النسائي، ٤/١٢٥ .

الأولى إلى أنه ﷺ أجود الناس مطلقاً، وأشار بالثانية إلى أن جوده في رمضان يفضل جوده في سائر أوقاته، وأشار بالثالثة إلى أن جوده في عموم النفع والإسراع فيه كالريح المرسلة) (١) . فجود رسول الله ﷺ وكرمه ليس له مثيل بين الخلق، كيف لا وهو ينزل عليه القرآن، الذي فيه حث على مكارم الأخلاق .

ثانياً - حاجة الداعية لمراجعة علمه وحفظه على يد العلماء، وملازمتهم، والتنظيم في ذلك :

إن مراجعة الداعية لحفظه وما يتعلمه، سبب لرسوخ هذا العلم، والتثبت منه، وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله ﷺ - مع مكانته العظيمة في العلم والحفظ - يراجع القرآن على جبريل عليه السلام ، ويدارسه فيه، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - : (وفائدة درس جبريل عليه السلام، تعليم رسول الله ﷺ بتجويد لفظه وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها، وليكون سنة في حق الأمة، كتجويد التلامذة على الشيوخ وقراءتهم) (٢).

فلذا ينبغي لطالب العلم أن يحرص على ملازمة العلماء، و أخذ العلم عنهم، وأن لا يكتفي بقراءة الكتب، وحفظ المتون فقط، بل لابد من دراستها وحفظها عند أهل العلم والفقه بالدين، كما فعل رسول الله ﷺ في هذا الحديث بمدارسته على جبريل عليه السلام . كما ينبغي على الداعية أن ينظم وقته، وطريقة حفظه وتحصيله للعلم، فالداعية المنظم غير الداعية المندفع ثم المنقطع، فهذا رسول الله ﷺ قدوة الدعاة يدارس جبريل عليه السلام القرآن في كل ليلة من رمضان كل عام جزءاً منه حتى ينتهي منه في آخر رمضان، إلا العام الذي توفي فيه، راجعه عليه مرتين .

ثالثاً - أهمية اختيار الأوقات المناسبة للحفظ والمذاكرة :

يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن مما يستفاد من قوله في هذا الحديث :

---

(١) - عمدة القاري، ٧٦/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٦٩/١٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١/١ . وحاشية الإمام السندي على سنن النسائي، ١٢٥/٤ .

(٢) - الكواكب الدراري بشرح البخاري، ٥١/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٦٩/١٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٦/١ .

(**وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ**) أن من أفضل الأوقات للمذاكرة والحفظ، وقت الليل ، لأنه مظنة ذلك ، ولما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية ، والدينية [١] .

فلذا ينبغي لمن أراد المذاكرة والحفظ - خاصةً لمن يريد حفظ كتاب الله ﷻ، وقراءته - الاهتمام بالأوقات المناسبة والمعينة على ذلك، كوقت الليل وبعد الفجر .

رابعاً - أهمية زيارة الصالحين وأهل الفضل ومجالستهم :

إن مما يستفاد من هذا الحديث ، استحباب زيارة المسلم للصالحين وأهل الفضل، ومجالستهم، وتكرار زيارتهم، ومواصلتها، إذا كان المزور لايكره ذلك ، للنفع الذي يعود عليه في الدنيا والآخرة ، يقول الإمام النووي - رحمه الله - إن من فوائد هذا الحديث: (زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم)[٢].

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يحرص على لقاء أمثال هؤلاء ومجالستهم لأنه لا يأتي منهم إلا الخير، كما قال ﷺ : « **مَثَلُ جَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً** » [٣] .

خامساً - من أساليب الدعوة : التشبيه :

إن من أساليب الدعوة، التي تقرب المعنى، وتزيد رسوخه في الذهن، وترغب فيه والعمل به، أسلوب التشبيه، يقول العلامة القسطلاني - رحمه الله - : (وفيه جواز المبالغة في التشبيه، وجواز تشبيه المعنوي بالمحسوس ليقرب لفهم سامعه، وذلك أنه أثبت

---

(١) - انظر : بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني، لأحمد عبدالرحمن البنا، ٥٦/١٨، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٦٩/١٥ . وانظر : الكواكب الدراري بشرح البخاري، ٥٢/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٧/١ .

(٣) - صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم الحديث ٥٥٣٤، ٢٨٧/٣ .

له أولاً وصف الأجودية، ثم أراد أن يصفه بأزيد من ذلك فشبه جوده بالريح المرسلة، بل جعله أبلغ منها في ذلك لأن الريح قد تسكن) [١] .

فلذا ينبغي للداعية إلى ا لله ﷻ، الحرص على هذا الأسلوب الدعوي، وذلك باستخدامه في دعوته، فتشبيه الشيء الجميل بالشيء الجميل، أو العظيم بالعظيم، أو الكبير بالكبير، أو الحقير بالحقير، يقرب المعنى، ويزيد في رسوخه، ويرغب فيه، أو ينفر منه .

(١) - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٧٢/١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٣٩/٤ .

٦ - باب

٧ - ٧ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ رضي الله عنه (١) أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ (٢) ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ . فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ . فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ، وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ . فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ : أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ . قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ : لَا. قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ . فَقُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ . قَالَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ

---

(١) - هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، رأس قريش وقائدهم يوم أحد، ويوم الخندق، ولكن الله تداركه بالإسلام يوم الفتح، فأسلم شبه مكره خائف، ثم صلح إسلامه ،وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، صهر رسول الله ﷺ، شهد معه غزوة حنين، وشهد قتال الطائف فقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت عينه الأخرى يوم اليرموك، وكان أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين . وعاش بعده عشرين سنة . وكان عمر رضي الله عنه يحترمه، وذلك لأنه كان كبير بني أمية. توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين.وقيل:سنه اثنتين أو ثلاث أو أربع وثلاثين، وله نحو التسعين . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٠٥/٢ -١٠٧ . وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٢٣٩/٢، ترجمة رقم ٣٥٨ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ١٢٧/٥، ترجمة رقم : ٤٠٤١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٩/١) .

(٢) - هو هرقل بكسر الهاء، وفتح الراء على المشهور، وحكى جماعة إسكان الراء، وكسر القاف، ملك الروم إحدى وثلاثين سنة، وفي ملكه مات النبي ﷺ، و قيصر لقبه ويطلق على كل ملك في الروم، كما أن كل ملك من الفرس يقال له : كسرى، والترك يقال له : خاقان، والحبشة : النجاشي . (فتح الباري، لابن حجر ٤٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٩/١) .

يَنْقُصُونَ . قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ . قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ . قُلْتُ : لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا . قَالَ : ولم تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ . قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ. قُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ . قَالَ : مَاذَا يَأْمُرُكُمْ . قُلْتُ : يَقُولُ اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ . فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ، فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لم يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ، وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمِ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لم أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ . ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ (١) . إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ،

---

(١) – هو دحية بفتح الدال وكسرها ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس الكلبي، كان من أجمل الصحابة وجهاً، ومن كبارهم، وكان جبريل عليه السلام يأتي أحياناً في صورته، أسلم قديماً، ولم يشهد بدراً، وشهد المشاهد بعدها بقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنه . (انظر : فتح الباري، لابن =

فَإِذَا فِيهِ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ .

سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١) .

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا . فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا : لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ (٢)، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ .

وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ (٣) صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ، يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ . فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ : قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ . قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ : إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . قَالُوا : لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ

=

حجر ١/٥٠ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٨٠) .

(١) – سورة آل عمران، الآية : ٦٤ .

(٢) – أراد به النبي ﷺ، وأبو كبشة رجل من خزاعة كان يعبد الشعرى، ولم يوافقه أحد من العرب على ذلك، اسمه وجز بن غالب، وسبب نسبة أهل الجاهلية للنبي ﷺ بأبي كبشة، للاشتراك في مطلق المخالفة لما عليه القوم.(انظر : فتح الباري، لابن حجر ١/٥٣ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٨٠).

(٣) – اسم أعجمي، معناه في العربية : حارس البستان .(فتح الباري ، لابن حجر ، ١/٥٣) .

فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ : هُمْ يَخْتَتِنُونَ . فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ . ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ . فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ. فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ . فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ . فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ) [1] .

وفي رواية : قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَوَجَدْنَا رَسُولَ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّأْمِ فَانْطُلِقَ بِي وَبِأَصْحَابِي حَتَّى قَدِمْنَا إِيلِيَاءَ فَأُدْخِلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ مُلْكِهِ وَعَلَيْهِ

---

(١) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الإيمان، باب رقم(٣٩)، رقم الحديث ٥١، ٢٢/١ .**والثاني:** في كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، برقم٢٦٨١، ٢١٦/٣ .**والثالث، والرابع، والخامس:** في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى { قل هل تربصون بنا إلا أحدى الحسنيين }، برقم٢٨٠٤، ٢٧٠/٣، وباب دعاء النبيﷺ الناس إلى الإسلام، برقم٢٩٤١، ٣/٤، وباب قول النبي ﷺ « نصرت بالرعب مسيرة شهر »، برقم٢٩٧٨، ١٦/٤ . **والسادس:** في كتاب الجزية والموادعة، باب فضل الوفاء بالعهد ، برقم٣١٧٤، ٨١/٤ . **والسابع** : في كتاب تفسير القرآن، باب { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله }، برقم٤٥٥٣، ١٩٧/٥ . **والثامن** : في كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، برقم٥٩٨٠، ٩٤/٧ . **والتاسع** : في كتاب الاستئذان، باب كيف يكتب الكتاب إلى أهل الكتاب برقم٦٢٦٠، ١٧٤/٧ . **والعاشر** : في كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، برقم٧١٩٦، ١٥٣/٨ . **والحادي عشر** : في كتاب التوحيد، باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها، برقم٧٥٤١، ٢٦٧/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم الحديث ١٧٧٣، ١٣٩٣/٣ .

التَّاجُ، وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ . فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ . قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا . قَالَ : مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . فَقُلْتُ : هُوَ ابْنُ عَمِّي وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِمَنَافٍ غَيْرِي..) (١) .

وفيها - (.. سَأَلَنِي عَنْهُ وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الْكَذِبَ عَنِّي فَصَدَقْتُهُ..)

وفيها - (.. قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ . قُلْتُ : لَا، وَنَحْنُ الْآنَ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ نَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَغْدِرَ . قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : ولم يُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا أَنْتَقِصُهُ بِهِ لَا أَخَافُ أَنْ تُؤْثَرَ عَنِّي غَيْرُهَا . قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمْ . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ . قُلْتُ : كَانَتْ دُوَلًا وَسِجَالًا يُدَالُ عَلَيْنَا الْمَرَّةَ وَنُدَالُ عَلَيْهِ الْأُخْرَى . قَالَ : فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ . قَالَ : يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ . فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ لَهُ : قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا . وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا . فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ قُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَمُّ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لم يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ . وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُم اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ . وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ . وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخلِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا يَغْدِرُونَ . وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ الْمَرَّةَ

---

(١) - كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبيﷺ الناس إلى الإسلام، برقم٢٩٤١، ٣/٤ .

وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ . وَسَأَلْتُكَ بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ . قَالَ : وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ ..) .

وفيها – قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَلَمَّا أَنْ قَضَى مَقَالَتَهُ عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ عُظَمَاءِ الرُّومِ، وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ، فَلَا أَدْرِي مَاذَا قَالُوا، وَأُمِرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا . فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي وَخَلَوْتُ بِهِمْ، قُلْتُ لَهُمْ : لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُهُ . قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : وَاللهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلًا مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ قَلْبِي الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهٌ..) .

وفي رواية – عن ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ قَالَ : انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّأْمِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ قَالَ : وَكَانَ دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ قَالَ فَقَالَ هِرَقْلُ : هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ..) [١] .

وفيها – (.. ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ قَالَ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ ..) .

وفيها – (.. ثُمَّ قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا ..) .

وفيها – (.. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ..) .

---

(١) – كتاب تفسير القرآن، باب { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله } ، برقم ٤٥٥٣ ، ١٩٧/٥ .

وفي رواية - (.. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُرِئَ فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ .

السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ ...) [(١)] .

شرح غريب الحديث :

- (**مادَّهم**) : أي صالحهم إلى مدة استقرت بينهم [(٢)] .
- (**إيلياء**) : معناه بيت الله، وهي بيت المقدس [(٣)] .
- (**ترجمانه**) : بفتح التاء، وضم الجيم، ويجوز ضم التاء اتباعاً، ويجوز فتح الجيم مع فتح أوله، والترجمان المعبر عن لغة بلغة. وهو معرب، وقيل عربي [(٤)] .
- (**سخطة**) : الكراهة للشيء وعدم الرضا به [(٥)] .
- (**سجال**) : هو جمع سجل، وهو الدلو الكبير، والمعنى الحرب بيننا وبينه، نوب لنا، ونوب له [(٦)] .
- (**بشاشة**) : انشراح القلب بالشيء، والفرح بقبوله،وأصله في اللقاء [(٧)].

---

(١) - كتاب الاستئذان، باب كيف يكتب الكتاب إلى أهل الكتاب ؟ برقم٦٢٦٠، ١٧٤/٧ .

(٢) - جامع الأصول، لابن الأثير، ١١/ ٢٧٢ .

(٣) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١/٥٢-٦٨، ٥٤/١٧ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٥/١. وعمدة القاري، للعيني،٨٢/١ .

(٤) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٥٤/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٥/١ .

(٥) - المرجع السابق ،٨٥/١ .

(٦) - المرجع السابق، ٨٥/١ .

(٧) - جامع الأصول، لابن الأثير، ١١/ ٢٧٢ .

- (**بصرى**) : مدينة بين الشام والحجاز [1] .
- (**الأريسيين**): جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس، بوزن فعيل، والأريس قيل: الفلاح، وقيل: الأمير،والمقصود هنا الفلاحون[2].
- (**بني الأصفر**) : هم الروم، سموا بذلك لما يعرض لألوانهم في الغالب من الصفرة [3] .
- (**أسقف**) : والأُسقف، والسُقُف، لفظ أعجمي، ومعناه رئيس دين النصارى [4] .
- (**بطارقته**) : جمع بطريق، وهم خواص دولة الروم [5] .
- (**حزّاءً**) : هو الذي يحرز الأشياء ويقدرها بظنه. ويقال للذي ينظر في النجوم: حزاء، لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره[6].
- (**رومية**) : مدينة معروفة للروم [7] . وهي الآن تعرف باسم : روما ، عاصمة دولة إيطاليا [8] .
- (**حمص**) :مدينة معروفة في الشام، وهي دار مملكة هرقل. وكانت في زمانهم أعظم من دمشق، فتحها أبو عبيدة ﷺ سنة ١٦هـ [9].
- (**دسكرة**) : واحدة الدساكر، وهي القصور [10] .
- (**فحاصوا حيصة**) : أي نفروا [11] .

---

(١) – عمدة القاري، للعيني، ١/٨٢ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٥١ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٨٧ .

(٣) – جامع الأصول، لابن الأثير، ١١/ ٢٧٣ .

(٤) – فتح الباري، لابن حجر، ١/٥٤ .

(٥) – عمدة القاري، للعيني، ١/٨٧ .

(٦) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٥٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٨٧ .

(٧) – فتح الباري، لابن حجر، ١/٥٦ .

(٨) – انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، ١/٨ .

(٩) – عمدة القاري، للعيني، ١/٨٣ . وهي : تقع الآن في حدود دولة سوريا العربية .

(١٠) – جامع الأصول، لابن الأثير، ١١/ ٢٧٤ . =

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أسلوب التأكيد على صحة نقل الكلام والرواية ، وأن خبر الجماعة أوقع من الواحد .

ثانياً – من أصناف المدعوين: (أصحاب السلطة، ضعفاء الناس، أهل الكتاب).

ثالثاً – شناعة الكذب .

رابعاً – شمولية موضوعات الدعوة، وأولياتها.

خامساً – أهمية اتصاف الداعية بمكارم الأخلاق .

سادساً – أهمية اختيار الدعاة، وأن يكونوا من أشراف الناس .

سابعاً – من أساليب دعوة الملوك والكبار: مخاطبتهم بألقابهم وتعظيمهم بما يستحقون .

ثامناً – أسلوب الترغيب والترهيب .

تاسعاً – التحذير من القدوة السيئة .

عاشراً – الابتلاء من سمات دعوة الأنبياء والصالحين .

الحادي عشر – محبة رسول الله ﷺ المحبة المقترنة بطاعته .

الثاني عشر – حقيقة خوف الكفار من المسلمين، وأن المسلمين نصروا بالرعب.

الثالث عشر – من وسائل الدعوة : الرسائل والسفراء، وكيفية الكتابة لأهل الكتاب وغيرهم .

الرابع عشر – من وسائل الدعوة : تفسير القرآن لغير الناطقين بالعربية .

الخامس عشر – دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم .

السادس عشر – من خصائص الدعوة الإسلامية، أنها عامة .

=

(١١) – عمدة القاري، للعيني،١/ ٨٧ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

أولاً - أسلوب التأكيد على صحة نقل الكلام والرواية ، وأن خبر الجماعة أوقع من الواحد :

إن التأكد من صحة الكلام، ونقل الرواية، تزيد ثقة المدعو في الحديث، والعمل والإيمان به، وذلك يظهر في هذا الحديث من جانبين، **الأول** : قول ابن عباس رضي الله عنهما: (**حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ قَالَ**)، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إنما لم يقل إلى أذني يشير إلى أنه متمكن من الإصغاء إليه، وغاية قربه من تحديثه (١) .

وأما **الجانب الآخر** فهو قول هرقل : (**قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ**) يقول الإمام الأبي -**رحمه الله**- عن ذلك : (وفيه أن خبر الجماعة أوقع في النفس من خبر الواحد، ولا سيما إن كانوا كثيراً بحيث يقع العلم بخبرهم) (٢) .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله تبارك وتعالى، الحرص على هذا الأسلوب، بذكر ما يُثبت صدق كلامهم وصحته، مما يجعل المدعوين أكثر قبولٍ لهم، وأحرى للعملِ بما يدعونهم إليه، كأن يقول عند ذكر الحديث من رواه من الأئمة الحفّاظ، كالبخاري ومسلم -رحمهما الله- أو بذكر من قال برأيه من العلماء المشهورين، أو بذكر من يشهد على صدقه من الحاضرين، وغير ذلك مما يعطي الحديث قوةً في ثبوته وصدقاً في حقيقته .

ثانياً - من أصناف المدعوين : (أصحاب السلطة ، ضعفاء الناس ، أهل الكتاب) :

في هذا الحديث ذِكرٌ لمجموعة من أصناف المدعوين، وهم :

١- أصحاب السلطة : وهم في هذا الحديث : هرقل، ووزرائه، وبطارقته وعظيم بصرى، ومن دوافع كفرهم، شدة تعلقهم بالملك والرياسة والحرص على السلطة، ولو ظهر لهم صدق رسول الله ﷺ ودينه، لذا قال بعض العلماء - رحمهم الله - عند شرحهم لهذا الحديث : إنما شح هرقل بالملك ورغب في الرياسة فآثرهما على الإسلام مع رجاحة عقله، وظهور صدق الرسول ﷺ له (٣) .

---

(١) - فتح الباري، ٦٣/٨ .

(٢) - إكمال إكمال المعلم، ٣٨١/٦ .

(٣) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٥/١٢ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٨١/٦ . وفتح
=

٢- **ضعفاء الناس** : وقد ورد ذكرهم في الحديث عندما سأل هرقل أبا سفيان ﷺ عن أتباع النبي ﷺ ،فـ(**قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ . فَقُلْتُ : بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ**) . يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (أما قوله أن الضعفاء هم أتباع الرسل، فلكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم- إلا من هداهم الله - والضعفاء لا يأنفون، فيسرعون إلى الانقياد، واتباع الحق) [(١)] .

إذن فعامة أتباع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - والدعوة إلى الله ﷻ، هم الضعفاء .

٣- **أهل الكتاب،** هم في هذا الحديث الروم، ولذا قال رسول الله ﷺ في كتابه لهم : ﴿ قل يا أهل الكتاب . . ﴾ يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله -: (إن كل من دان بدين أهل الكتاب ، كان في حكمهم في المناكحة والذبائح ، لأن هرقل هو وقومه ليسوا من بني إسرائيل، وهم ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وقد قال له ولقومه : ﴿ قل يا أهل الكتاب ﴾ فدل على أن لهم حكم أهل الكتاب ، خلافاً لمن خص ذلك بالإسرائيليين، أو بمن علم أن سلفه ممن دخل في اليهودية أو النصرانية قبل التبديل) [(٢)] .

ثالثاً - شناعة الكذب :

إن الكذب من الصفات الشنيعة، التي نهى عنها الشارع الكريم وحذر منها، وفي هذا الحديث ما يبين ذلك، فإذا كان مشركو العرب يرون أن الكذب مما يخدش الشرف في عرفهم، ويعاب عليه الإنسان، فنقول كيف يكذب المسلم الذي أُمر بمحاسن الأخلاق والبعد عن مساوئها، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - عن قول أبي سفيان ﷺ : - **فَوَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ** -

---

=

الباري، لابن حجر، ٤٤/١ - ٥٧ . وعمدة القاري، للعيني،٨٤/١- ٨٧ . و إرشاد الساري، للقسطلاني، ٧٧/١ .

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٥/١٢ .

(٢) - فتح الباري، ٥١/١ .

(معناه لولا الحياء من أن رفقتي يروون عني ويحكون عني في بلادي كذباً فأعاب به، لأن الكذب قبيح، وإن كان على العدو، لكذبت . ويعلم منه قبح الكذب في الجاهلية أيضاً) [(١)] .

رابعاً - شمولية موضوعات الدعوة، وأولياتها :

إن الحديث بعمومه وأطرافه يدل على شمول رسالة الإسلام، فقد ذكر التوحيد والإيمان، والعبادات، والأحكام، والأخلاق، وهذه أركان حياة العباد . يقول الإمام الكرماني - رحمه الله -:(ومحصله أنه ينهانا عن النقائص ويأمرنا بالكمالات، وهو معنى التكميل المقصود من الرسالة) [(٢)] .

وأيضاً يظهر لنا في هذا الحديث : أوليات الدعوة، إذ نجد أن أباسفيان ﷺ، ذكر في هذا الحديث ما ظهر له من اهتمام رسول الله ﷺ، في دعوته لهم من موضوعات، فلذا كان التوحيد وترك الشرك، أول ما بدأ به، فكرره وما يتعلق به لأهميته، بثلاث عبارات عندما قال : (قلت : **يَقُولُ اعْبُدُوا الله وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**) يقول الإمام الكرماني - رحمه الله -: (وإنما بالغ فيها حيث ذكرها بثلاث عبارات، لأنها كانت أشد الأشياء عليه، وأهم عنده) [(٣)] . فيجب على الدعاة إلى الله إعطاء هذا الموضوع - التوحيد والعقيدة - اهتماماً كبيراً في دعواتهم، وأن يأخذ الصدارة والأولية على كل أهدافهم وموضوعاتهم، ثم يأتي بعد ذلك باقي الموضوعات بحسب أهميتها ومكانتها في الدين .

خامساً - أهمية اتصاف الداعية بمكارم الأخلاق :

إن اتصاف الداعية بمكارم الأخلاق، هو عنوان دعوته، وسبب انتشارها، فهذا رسول الله ﷺ، لاتصافه بالصدق والعفاف والصلة وغيرها من مكارم الأخلاق شهد له الأعداء بذلك وأقروا له بالفضل ، قبل أن يؤمنوا به . فعندما سأل هرقل أبا سفيان

---

(١) - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ٥٥/١ .

(٢) - المرجع السابق ، ٥٧/١ .

(٣) - المرجع السابق ، ٥٧/١ .

- قبل إسلامه - عن ما يدعوهم إليه، وهل جربوا عليه الكذب أو الغدر ؟ أخبره بأنه يدعوهم لمكارم الأخلاق، وأنهم ما جربوا عليه الكذب، وأنه لا يغدر. فأعقبه هرقل بأن قال: (**فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ**) وفيه الرواية الأخرى قال : (**وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ**) .

سادساً - أهمية اختيار الدعاة، وأن يكونوا من أشراف الناس :

إن في هذا الحديث إشارة إلى أهمية اختيار الدعاة، وأن يكونوا من أشراف الناس وساداتهم وذلك لسببين :

الأول : لبعدهم عن تدنيس أنسابهم بما لا يليق، قال بعض أهل العلم - رحمهم الله - : في هذا الحديث دليل على أن ذوي الأحساب أولى بالتقديم في أمور المسلمين ومهماتهم الدينية والدنيوية، لأن ذوي الأحساب أحوط على عدم تدنيس أحسابهم بما لا يليق [(١)] .

الثاني : لأن عامة الناس أكثر انقياداً لهم، يقول الإمام النووي - رحمه الله - عن سبب كون الأنبياء في أشراف أقوامها : (الحكمة في ذلك أنه أبعد من انتحاله الباطل، وأقرب إلى انقياد الناس له) [(٢)] .

سابعاً - من أساليب دعوة الملوك والكبار : مخاطبتهم بألقابهم وتعظيمهم بما يستحقون :

إن حاجة الملوك والأمراء للتلطف معهم، وتأليف قلوبهم ببعض عبارات التعظيم، أشد من غيرهم، للمكانة التي هم فيها، ومن تعظيم أتباعهم لهم، فلذا ينبغي للدعاة أن يراعوا هذا الجانب أثناء دعوتهم لأمثال هؤلاء من السادة والقادة والأشراف، فرسول الله ﷺ عندما خاطب هرقل قال له : « **مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ** » . قال العلماء - رحمهم الله -: ولم يقل (هرقل) فقط، بل أتى بنوع من التعظيم الذي فيه ملاطفة، فقال : « **عَظِيمِ الرُّومِ** » أي الذي يعظمونه، ويقدمونه،

---

(١) - انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٨٢/٦ . وعمدة القاري، للعيني، ١٠٠/١ .

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٥/١٢ .

وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يُدعى إلى الإسلام، فقال: ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (١) ، (٢) .ولكن من سلك هذا الأسلوب من الدعاة، فعليه عدم المبالغة في التعظيم و الملاطفة، يقول الإمام النووي - رحمه الله -: عليه استعمال الورع فيه، فلا يُفْرط، ولا يُفَرِّط، ولهذا قال النبي ﷺ « إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ » ولم يقل ملك الروم، لأنه لا ملك له، ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام، ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ (٣).

ثامناً - أسلوب الترغيب والترهيب :

في هذا الحديث أسلوب من أساليب الترغيب والترهيب، فالترغيب بذكر مضاعفة الأجر له، والترهيب من عدم إيمانه بتحمله إثم قومه (٤) : « أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ». يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: (وقد اشتملت هذه الجملة على الترغيب بقوله: « تَسْلَمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ »، والترهيب بقوله : « فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ») (٥).

تاسعاً : التحذير من القدوة السيئة :

إن قول رسول الله ﷺ : « أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ »، فيه ترهيب وتحذير من القدوة السيئة، وأما شبهة أن الإنسان

---

(١) - سورة طه، الآية : ٢٤ .

(٢) - انظر: أعلام الحديث ، للخطابي، ١٣٦/١ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٨/١٢ . والكواكب الدراري، للكرماني ٦١/١ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٨٢/٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٥٠/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٩٩/١. و إرشاد الساري، للقسطلاني، ٧٩/١ .

(٣) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٨/١٢ .

(٤) - انظر : المرجع السابق، ١٠٩/١٢. الكواكب الدراري، للكرماني، ٦٢/١،٦٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٥٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٩٨/١ . و إرشاد الساري، للقسطلاني، ٨٠/١ .

(٥) - انظر : فتح الباري، ٥٢/١ .

لا يتحمل وزر غيره لقول الله ﷻ : ﴿ ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى ﴾ (١) فقد قال العلماء - رحمهم الله - في الرد عليها : إن المراد إثم الإضلال عليه، والإضلال أيضاً وزره كالضلال ؛ ولأن الضعفاء و عامة الناس على دين ملوكهم، والأصاغر، أتباع الأكابر (٢)، يقول الله ﷻ : ﴿ لِيَحْمِلُوا أوزارَهم كاملةً يوم القيامة ومِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٣)، ويقول ﷺ : « **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا** » (٤) .

عاشراً - الابتلاء من سمات دعوة الأنبياء والصالحين :

مما يجب على الدعاة معرفته، وأن يتربوا عليه، أن الابتلاء والمحن للدعوة والدعاة، من سمات دعوة الأنبياء السابقين ودعوة نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام، لذا ينبغي أن لا يأخذهم الحماس والتهور في مواجهة الابتلاء والمحن، إلى تصرفات تؤدي بهم، وبمن معهم في النهاية إلى الهلاك والخسران، يقول الله ﷻ : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (٥) . ويقول الله ﷻ : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ (٦) . وفي هذا الحديث

---

(١) - سورة الأنعام، الآية : ١٦٤ .

(٢) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/١٠٩ . الكواكب الدراري، للكرماني، ١/٦٢،٦٣. وفتح الباري، لابن حجر، ١/٥٢ . وعمدة القاري، للعيني،١/٩٨ . و إرشاد الساري، للقسطلاني، ١/٨٠ .

(٣) - سورة النحل، الآية : ٢٥ .

(٤) - صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم الحديث ١٠١٧، ٤/٢٠٥٩ .

(٥) - سورة البقرة، الآية ٢١٤ .

(٦) - سورة آل عمران، الآية : ١٤٢ .

إشارة إلى هذا الابتلاء الذي يتعرض له الأنبياء عندما قال هرقل في إجابته على كلام أبي سفيان ﷺ : (**وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلكُمْ، فزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ الْمَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ، وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ**) ، يقول الإمامان النووي والكرماني -رحمهما الله-: (يبتليهم الله بذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وبذلهم وسعيهم في طاعة الله تعالى) [١] .

فالعاقبة دائماً تكون للمؤمنين بصبرهم على الدعوة وما يلاقونه فيها، لذا أرشد رسول الله ﷺ خباب بن الأرت ﷺ - عندما شكا له ما يتعرضون له من ابتلاء وشدة- إلى الطريق الصحيح، وهو الصبر وعدم الاستعجال، فقال له : « **لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ زَادَ بَيَانٌ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ** » [٢] .

الحادي عشر - محبة رسول الله ﷺ المحبة المقترنة بطاعته :

إن قول قيصر النصراني : (**وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ**) تستدعي من المسلمين عامة ، والدعاة إلى الله خاصة ، تعظيم رسول الله ﷺ ومحبته محبة كبيرة - مع إنزاله منزلته البشرية، فلا تقصير ولا غلو - فإذا كان هذا قيصر عدو رسول الله ﷺ يقول هذا الكلام، مبالغة في التعظيم له والخدمة [٣] . فمن باب أولى أن نكون نحن المسلمين وخاصة الدعاة منا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له، محبة تقتضي الاقتداء والمتابعة، لا مجرد الادعاء والمخالفة، إذ يقول الله ﷻ : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٦/١٢ . الكواكب الدراري، ٥٩/١ .

(٢) - صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم الحديث ٣٨٥٢، ٢٨٨/٤ .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٤٩/١ .

فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (١) .

الثاني عشر - حقيقة خوف الكفار من المسلمين، وأن المسلمين نصروا بالرعب :

إن هذا الحديث فيه دلالة على حقيقة خوف الكفار من المسلمين، وشدة رعبهم منهم، فهذا ملك بني الأصفر على عظم ملكه وقوة دولته، يخاف من رسول الله ﷺ، ومن معه من المسلمين - على ضعفهم وقلتهم - فيقول لأبي سفيان ﷺ : (إِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ) ، فلذا بوب الإمام البخاري - رحمه الله - على هذا الحديث وغيره باباً في كتاب الجهاد والسير، قال فيه : باب قول النبي ﷺ : « **نصرت بالرعب مسيرة شهر** »، وقوله ﷻ: ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ﴾ (٢) ، (٣) . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: إن قول أبي سفيان (**إِنَّه يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ**) هو الغرض من ذكر هذا الحديث في هذا الباب (٤). ويقول - رحمه الله - : (وليس المراد بالخصوصية مجرد الرعب، بل هو، وما ينشأ عنه من الظفر بالعدو) (٥) . لذا فليبشر الدعاة إلى الله ﷻ، ومن معهم بالنصر من الله والظفر بعدوهم، وذلك بإيمانهم وصبرهم على الدعوة إلى هذا الدين والعمل له، وبه.

الثالث عشر - من وسائل الدعوة: الرسائل والسفراء، وكيفية الكتابة لأهل الكتاب وغيرهم :

إن من وسائل الدعوة التي ينبغي للدعاة أن يستفيدوا منها الكتابة إلى القادة، والدول، والقبائل، والأشخاص، وغيرهم . وإرسالها مع السفراء الدعاة، لتوضيحها ودعوة وتعليم القوم المرسلة إليهم، فرسول الله ﷺ كتب إلى الملوك وإلى كل جبار في

---

(١) - سورة آل عمران، الآية : ٣١ .
(٢) - سورة آل عمران، الآية : ١٥١ .
(٣) - الجامع الصحيح ، ١٦/٤ .
(٤) - فتح الباري، ١٥٠/٦ .
(٥) - المرجع السابق، ١٤٩/٦ .

الأرض يدعوهم إلى الإسلام(١). ومن كتابة ﷺ إلى هرقل مع دحية رضي الله عنه، استنبط بعض العلماء -رحمهم الله- مجموعة من الآداب والفوائد التي تتعلق بالكتابة لغير المسلمين، منها :

١- استحباب تصدير الكتاب بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، وإن كان المبعوث إليه كافراً.

٢ - أن قوله ﷺ في الحديث الآخر :(كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم) (٢) . المراد بحمدالله ذكر الله تعالى،وقد جاء في رواية بذكر الله تعالى (٣)، وهذا الكتاب ذا بال،بل من المهمات العظام وبدأ فيه بالبسملة دون الحمد.

٣- جواز السفر بالمصحف إلى أرض العدو، وأن النهي محمول على ما إذا خيف وقوعه في أيدي العدو .

٤- جواز مس الكفار لآية أو آيات يسيرة مع غير القرآن لمصلحة الدعوة .

٥- التوقي في المكاتبة، واستعمال الورع فيها، فلا يُفرِط، ولا يُفرِّط .

٦- استحباب البلا غة والإيجاز، وتحري الألفاظ الجزلة في المكاتبة (٤) . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب، على الأمر بقوله « **أسلم** »، والترغيب بقوله:

---

(١) - انظر : صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل ، برقم١٧٧٤، ١٣٩٧/٣ .

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، برقم ٨٦٨٦ ، ٣٥٩/٢ . والترمذي ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح ، برقم ١١٠٦ ، ٤١٤/٣ ، وقال عنه حسن صحيح غريب .

(٣) - سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب الهدي في الكلام ، برقم ٤٨٤٠ ، ٢٦١/٤ .

(٤) - انظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، ١٣٧/١ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٨/١ - ١٠٩ .والكواكب الدراري، للكرماني ٦٣/١ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٨٤/٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٥٠/١، ٦٨/٨ - ٧١، ٥٠/١١ . وعمدة القاري، للعيني،٩٩/١- ١٠٠. وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٧٩/١ . وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد المباركفوري، ٥٠٢/٧ الطبعة الثالث عشرة ١٤٠٧هـ، ط مكتبة ابن تيمية القاهرة. وبذل المجهود في حل سنن أبي داود، لخليل أحمد السهارنفوري، ٧٢/٢٠، بدون تأريخ، ط دار اللواء الرياض . وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لعبدالله الغنيمان، ٤٧٨/٢، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ط مكتبة لينه مصر، دمنهور .

«**تسلم ويؤتك**»، والزجر بقوله: «**فإن توليت**»، والترهيب بقوله: « **فإن عليك** »، والدلالة بقوله : « **يأهل الكتاب** » وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى، وكيف لا وهو كلام من أوتي جوامع الكلم ﷺ) [١]. فعلى الدعاة إلى الله ﷻ، الاقتداء برسول الله ﷺ، وذلك في حديثهم وكتابتهم بالإيجاز المبين، وتجنب الإطالة فيما لا يفيد .

الرابع عشر - من وسائل الدعوة : تفسير القرآن لغير الناطقين بالعربية :

لقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله - على هذا الحديث في كتاب التوحيد باباً قال فيه : (باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها، لقول الله تعالى : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ [٢]) [٣] . وعن العلاقة بين الترجمة وحديث الباب يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (ووجه الدلالة منه أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل باللسان العربي، ولسان هرقل رومي، ففيه إشعار بأنه اعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه) [٤] . فتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه لغير الناطقين بالعربية وسيلة مشروعة للدعاة إلى الله ﷻ، ليسهل فهم القرآن على هؤلاء، ولتصل معانيه إليهم .

الخامس عشر - دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم :

قال بعض أهل العلم - رحمهم الله - : إن مكاتبة الكفار لدعوتهم إلى الإسلام قبل قتالهم واجبة إن كانت لم تبلغهم دعوة الإسلام، وإن كانت بلغتهم كان مستحباً [٥].

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، المجاهدين في سبيله، الحرص على البدء بدعوة كل من يجاهدونهم في سبيل الله باللسان والبيان قبل القتال والسنان، وذلك لأن

---

(١) - فتح الباري، ٥٢/١ .
(٢) - سورة آل عمران، الآية : ٩٣ .
(٣) - الجامع الصحيح ، ٢٦٧/٨ .
(٤) - فتح الباري، ٥٢٦/١٣ .
(٥) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٨/١٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٦٣/١ .

المقصود من الجهاد هو هداية الناس ودخولهم في دين الله ﷻ، لا قتالهم واستغلال أرضهم وسبي نسائهم وذراريهم .

السادس عشر - من خصائص الدعوة الإسلامية، أنها عامة :

إن في إرسال النبي ﷺ بكتابه هذا وغيره دليل على عموم رسالته ﷺ، لجميع البشر، وأنها ليست خاصة بالعرب فقط . يقول الإمام الأبي - رحمه الله - : (رسالته ﷺ عامة لأهل الأرض، فيجب عليه تبليغ دعوته إلى جميعهم، ولا يتعين أن يكون مباشرة، بل هو أعم من أن يكون بالمباشرة، أو بالكتب، أو بخبر الواحد، ولما تعذرت المباشرة في هرقل، و لم يتصور فيه إلا الكتب، كتب إليه) [1] . فالدعوة الإسلامية عامة لكل الناس، في كل زمان، وفي كل مكان، ولا يسع أحد أن يدخل في دين غير الإسلام، يقول الله ﷻ : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [2] .

---

(١) - إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، ٦/٣٨٠ .

(٢) - سورة آل عمران، الآية : ٨٥ .

الفصل الثاني

كتاب الإيمان

٣- باب دعاؤكم إيمانكم لقوله تعالى :

﴿ قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ (١) .

٨ - ٨ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما (٢) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** » (٣) .

---

(١) - سورة الفرقان، الآية : ٧٧ .

(٢) - هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام القدوة شيخ الإسلام، أبو عبدالرحمن القرشي العدوي المكي، ثم المدني، أسلم وهوصغير، ثم هاجر مع أبيه وهو لم يحتلم، واستصغر يوم أحد، وأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأمه و (أم) أم المؤمنين حفصة، زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون رضي الله عنه جميعاً، روى علماً كثيراً نافعاً عن النبي ﷺ، وعن أبيه، وأبي بكر، وعثمان، وعلي، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم، وهو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية، وأحد العبادلة الأربعة، رُوي له ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على مائة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بواحد وثمانين، ومسلم بواحد وثلاثين، وهو أكثر الصحابة رواية بعد أبي هريرة، روى عنه جمع غفير من التابعين، قال عنه ابن مسعود رضي الله عنه : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدالله بن عمر، قال أبو سلمة بن عبدالرحمن : مات ابن عمر وهو في الفضل مثل أبيه، وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يذكر النبي ﷺ إلا بكى، وكان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ . توفي بمكة بعد الحج سنة أربع وسبعين هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢٠٣/٣ - ٢٣٩ . وتاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١٩٤/١، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ط دار العاصمة، الرياض . وتهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٢٧٨/١ - ٢٨١، ترجمة رقم : ٣٢١ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ١٦٧/٦ - ١٧٣، ترجمة رقم : ٤٨٢٥ . وعمدة القاري، للعيني، ١١٦/١) .

(٣) - طرفه : في كتاب تفسير القرآن (سورةالبقرة)، باب رقم (٣٠)، برقم ٤٥١٤، ١٨٤/٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ،برقم١٦، ٤٥/١ .

وفي رواية : أَنَّ رَجُلاً أَتَى ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحُجَّ عَامًا وَتَعْتَمِرَ عَامًا وَتَتْرُكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ ا للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رَغَّبَ ا للهُ فِيهِ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ : إِيمَانٍ بِا للهِ وَرَسُولِهِ وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ . قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ أَلا تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ ا للهُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾ (١) . ﴿ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ (٢). قَالَ : فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ا للهِ ﷺ وَكَانَ الإِسْلامُ قَلِيلا فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ إِمَّا قَتَلُوهُ وَإِمَّا يُعَذِّبُونَهُ حَتَّى كَثُرَ الإِسْلامُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ (٣) .

شرح غريب الحديث :

﴿ بَغَت ﴾ – من البغي وهو : الاستطالة والخروج عن الواجب في الدين، أو في العشرة. وقيل: أصل البغي الحسد،ثم سمي الظلم بغياً؛ لأن الحاسد ظالم، وكل من فعل فعلا ليس له أن يفعله ليؤذي به غيره، فقد بغى . وقيل : البغي : مجاوزة الحد، والفئة الباغية، هي الخارجة عن طاعة الإمام (٤) .

﴿ تَفِيءَ ﴾– ترجع (٥) .

---

(١) – سورة الحجرات، الآية : ٩ .

(٢) – سورة البقرة، الآية : ١٩٣ .

(٣) – انظر : كتاب تفسير القرآن (سورةالبقرة)، باب رقم (٣٠)، برقم ٤٥١٤، ٥/١٨٤ . ملحوظة : في النسخة المعتمدة طرف الحديث برقم : ٤٥١٥، وهذا خطأ والصواب هو ماجاء في قرة العينين لمحمد فؤاد عبدالباقي، برقم ٤٥١٤ لاتفاق المتن والراوي .

(٤) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، لمحمد بن أبي نصر الحميدي، ص٥٦٠، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ط مكتبة السنة، القاهرة . النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الباء مع الغين، ١/١٤٣ .

(٥) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، لمحمد بن أبي نصر الحميدي، ص٥٦٠ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أسلوب التشبيه وقوته في إيصال الدعوة والحث عليها .

ثانياً – من موضوعات الدعوة وأولياتها (الأركان الخمسة) .

ثالثاً – الحكمة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

رابعاً – أهمية القدوة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

خامساً – من صفات الداعية : المبادرة إلى العمل بالعلم وتطبيقه .

سادساً – من أساليب الدعوة : المناظرة في العلم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي:

أولاً - أسلوب التشبيه وقوته في إيصال الدعوة والحث عليها :

في هذا الحديث يشبه رسول الله ﷺ هذا الدين ببنيان له أركان يقوم عليها، لبيان أهمية وعظم منزلة هذه الأمور التي هي أركان الدين، ووجوب المحافظة عليها، فكل بناءٍ أهم شيء فيه أركانه التي يقوم عليها، وأركان الدين هي : « **شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** » .

يقول الحافظ ابن رجب – رحمه الله – : (المقصود تمثيل الإسلام ببنيانه ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء، نقص البنيان وهو قائم لا ينقص بنقص ذلك، بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعها بغير إشكال) [١] .

ويقول الإمام السندي – رحمه الله – عن هذا الحديث : (يريد أنه لابد من

---

(١) – جامع العلوم والحكم، ص٦٢ . وانظر: إكمال الإكمال ، للأبي، ١/١٤٣ عمدة القاري، للعيني،١/١٢٠ . و إرشاد الساري، للقسطلاني، ١/٩٠ – ٩١ .

اجتماع هذه الأمور الخمسة ليكون الإسلام سالماً عن خطر الزوال، وكلما زال واحد من هذه الأمور يخاف زوال الإسلام بتمامه، وللتنبيه على هذا المعنى، أتى بلفظ البناء، وفيه تشبيه الإسلام ببيت مخمسة زواياه، وتلك الزوايا أجزاؤه، فبوجودها أجمع، يكون البيت سالماً، وعند زوال واحد، يخاف على تمام البيت، وإن كان قد يبقى معيوباً) (١) .

فلذا ينبغي للداعية أن يحرص على استخدام هذا الأسلوب في دعوته إلى الله، بأن يُقرب الموضوعات التي يطرقها بتشبيهها ببعض الصور من الواقع الملموس، والأمثلة من الحياة اليومية، لتكون أقرب لأذهان المدعوين ، وأقوى في التأثير فيهم .

ثانياً - من موضوعات الدعوة وأولياتها (الأركان الخمسة) :

إن ذكر رسول الله ﷺ لهذه الموضوعات الخمسة، وعدها من أركان الدين، وتشبيهها بأركان البيت، يدل على أهميتها، وأن لها الصدارة والأولية بين موضوعات الداعية التي يدعو إليها، ويعمل بها، ويحافظ عليها، يقول العلامة العيني -رحمه الله- عن ذكر هذه الأمور مرتبة في هذا الحديث : (الحكمة في الذكر أن الإيمان أصل للعبادات، فتعين تقديمه، ثم الصلاة لأنها عماد الدين، ثم الزكاة لأنها قرينة الصلاة، ثم الحج للتغليظات الواردة فيه ونحوها، فبالضرورة يقع الصوم آخراً) (٢) .

لذا لما قال الرجل – في الرواية الأخرى – لابن عمر رضي الله عنهما: (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحُجَّ عَامًا، وَتَعْتَمِرَ عَامًا، وَتَتْرُكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله عز وجل وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رَغَّبَ الله فِيهِ) .

قال له : (يَا ابْنَ أَخِي بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : ..) مبيناً له أن سبب الترك هو أفضلية الحج، وأهميته، وأنه من أركان الدين، والجهاد ليس من أركان الدين، وإن كان فضله عظيماً وكبيراً، فلذا كان الحج مقدماً على الجهاد .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى – بصفة عامة – مراعاة هذه الأوليات في دعوتهم

---

(١) – شرح السندي على سنن النسائي، ١٠٨/٨ ،الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ط دار البشائر بيروت .
(٢) – عمدة القاري، ١٢٠/١ .

والاهتمام بها، فمثلا التوحيد والإيمان بالله ﷻ ، لا يُقدم عليهما شيء من الموضوعات مهما كان في الأهمية والمكانة، بل يكون بعدهما في الترتيب والأهمية، ثم يأتي بعدهما الأهم فالمهم بحسب الأحوال والظروف والأزمنة والأمكنة .

ثالثاً - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى :

إن في إجابة ابن عمر رضي الله عنهما على الرجل الذي قال له : (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحُجَّ عَامًا، وَتَعْتَمِرَ عَامًا، وَتَتْرُكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله ﷻ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رَغَّبَ الله فِيهِ) درساً للدعاة في كيفية الحوار والحكمة فيه، وأن لا يأخذهم الحماس والانفعال إلى أمور لا تنفع، بل قد تضر، فابن عمر رضي الله عنهما، أجابه بقول مختصر جمع فيه التعليل مع الدليل، مع البعد عن جدال حول قضية قد يطول الحديث والنقاش فيها، فهو لم يناقشه في شرعية أو ضرورة المشاركة في القتال الدائر بين المسلمين ذاك الوقت، لأن السائل قال له : إنك تحج وتعتمر، وتترك الجهاد ..، بل بين له أن تركه لهذا الأمر، بدليل من رسول الله ﷺ، حيث عدَّ الحج من أركان الدين، والجهاد ليس كذلك وإن كان أجره عظيماً . فالعلة هي أفضلية الحج، والدليل هو قول النبي ﷺ .

رابعاً - أهمية القدوة في الدعوة إلى الله تعالى :

يظهر في هذا الحديث مدى أهمية القدوة، وأن الناس تراقب العلماء والدعاة للاقتداء بهم، ففعل ابن عمر بالحج عاماً، والعمرة عاماً، وتركه للمشاركة في القتال، كان محل نظر الناس وتساؤلاتهم وإثارة اهتمامهم، فلذا سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن هذا الأمر فقال : (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحُجَّ عَامًا، وَتَعْتَمِرَ عَامًا، وَتَتْرُكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله ﷻ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رَغَّبَ الله فِيهِ) .

وما سأل هذا الرجل ابن عمر رضي الله عنهما إلا لأنه من صحابة رسول الله ﷺ، ومن العلماء الذين يعرفون أحكام الدين وما ورد فيه، لذلك قال له : (وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رَغَّبَ الله فِيهِ) .

فمن هنا نقول للدعاة إلى الله تعالى، أنتم محل نظر الناس وقدوتهم، فلا يرون منكم إلا ما شرع الله لكم، فأنتم دعاة لهم بأفعالكم قبل أقوالكم .

خامساً - من صفات الداعية : المبادرة إلى العمل بالعلم وتطبيقه :

يظهر من قول الرجل المذكور في الحديث لابن عمر رضي الله عنهما : (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحُجَّ عَامًا وَتَعْتَمِرَ عَامًا ..)، وجواب ابن عمر رضي الله عنهما عليه بقوله : (يَا ابْنَ أَخِي : بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ ..) مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم ومنهم ابن عمر رضي الله عنهما على العمل بما تعلموه من رسول الله ﷺ، فالإسلام بُني على هذه الأركان الخمسة لذا فهو يعمل بها جميعاً لأنها كلها أركان للدين.

فمن هنا تظهر أهمية كون الداعية من الذين يسارعون إلى تطبيق ما تعلموه في هذا الدين فهو من هدي سلفنا الصالح ومما جاءت النصوص الشرعية في الحث عليه، يقول الله عز وجل: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (١) .

ويقول الله سبحانه وتعالى في معرض ثنائه على المؤمنين : ﴿ ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ (٢) .

سادساً - من أساليب الدعوة : المناظرة في العلم :

إن في قول الرجل المذكور في الحديث لابن عمر رضي الله عنهما : (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَحُجَّ عَامًا وَتَعْتَمِرَ عَامًا ..)، وجواب ابن عمر رضي الله عنهما عليه بقوله : (يَا ابْنَ أَخِي بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ ..) ومن ثَم قول الرجل له : (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ أَلا تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ ..) . ثم قول ابن عمر رضي الله عنهما له : (فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ الإِسْلاَمُ قَلِيلا فَكَانَ الرَّجُلُ ..)، يظهر من هذا كله أهمية الحوار في العلم، فابن عمر رضي الله عنهما من خلال حواره مع هذا الرجل استطاع أن يبين له أن سبب تركه للجهاد مع ما ورد من الترغيب فيه، وحجه عاماً وعمرته عاماً آخر، لأن الحج من أركان

(١) - سورة آل عمران، الآية : ١٣٣ .
(٢) - سورة آل عمران، الآية : ١١٤ .

هذا الدين، إذن فهو أفضل من الجهاد، وفعله من باب ترك المفضول إلى الفاضل .

وأمّا تركه للقتال في الفتنة مع ورود بعض الآيات التي تحث على مقاتلة البغاة بعد رفضهم للصلح وتحكيم كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، فلأنه يرى أن الواقع لا ينطبق عليه معنى الآية ومقصدها، فهم يريدون بالقتال الفتنة لا علاجها كما يقول ؓ .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ محاورة طالب العلم وبيان ما عنده من إشكالات وأخطاء حتى يعود إلى الصواب و يبتعد عن الخطأ والوقوع فيه .

٣- باب أمور الإيمان وقول الله تعالى :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . . ﴾ (١) .

٩ - ٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ (٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ** » (٣) .

شرح غريب الحديث :

« **بِضْعٌ** » – عدد مبهم، مابين الثلاث إلى التسع وقيل إلى العشر، يقال بضعة عشر

---

(١) – سورة البقرة، الآية : ١٧٧ .

(٢) – هو الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات ﷺ . اختلف في اسمه على أقوال جمه، ذُكر أن أرجحها هو : عبدالرحمن بن صخر، وهو أول من كني بهذه الكنية لهرة كان يلعب بها، كناه النبي ﷺ بذلك، وقيل والده، وكان عريف أهل الصفة، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، واسم أمه ميمونة أسلمت بدعاء رسول الله ﷺ، وهو أكثر الصحابة رواية بإجماع، حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لدعاء رسول الله ﷺ له بالحفظ وعدم النسيان، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، روى لأبي هريرة خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثمائة وخمسة وعشرين حديثاً، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين، ومسلم بمائة وتسعين حديثاً، روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع، منهم ابن عباس، وجابر، وأنس ﷺ . مات أبو هريرة ﷺ سنة تسع وخمسين هـ . (انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١٦٢/١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٧٨/٢ – ٦٣٢ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٢٧٠/١، ترجمة رقم :٤٣٦. والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ٦٣/١٢ – ٧٩، ترجمة رقم : ١١٨٠. وعمدة القاري، للعيني، ١٢٤/١) .

(٣) – **وأخرجه** : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، برقم ٣٥، ٦٣/١ .

في جمع المذكر، وبضع عشرة في جمع المؤنث . وهو خاص بالعشرات إلى التسعين (١) .

« **شُعْبَةً** » – بالضم أي قطعة، والمراد الخصلة أو الجزء (٢) .

« **الْحَيَاءُ** » – هو بالمد، وهو في اللغة تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه . وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أسلوب شد الانتباه بذكر العدد المبهم .

ثانياً – من صفات الداعية الحياء .

ثالثاً – أسلوب التشبيه وأثره الدعوي .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أسلوب شد الانتباه بذكر العدد المبهم :

إن ذكر رسول الله ﷺ لعدد شعب الإيمان، ثم لم يبين منها إلا القليل، فيه فائدة دعوية، وهي شدُّ الانتباه وإثارة الحافز على إحصائها وتتبعها والعمل بها، يقول الشيخ ابن عثيمين – حفظه الله – : (في هذا الحديث بيّن رسول الله ﷺ أن الإيمان شعب كثيرة ؛ بضع وستون، أوبضع وسبعون، ولم يبيّنها الرسول عليه الصلاة والسلام، لأجل أن يجتهد الإنسان بنفسه ويتتبع نصوص الكتاب والسنة، حتى يجمع هذه الشعب ويعمل بها، وهذا

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٦٧/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٥/١ .

(٢) – فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٦٧/١ .

(٣) – المرجع السابق، ٦٧/١ – ٦٨ .

كثير، أي أنه يكون في القرآن والسنة أشياء مبهمة، يبهمها ا لله ورسوله من أجل امتحان الخلق ليتبين الحريص من غير الحريص .

فمثلا : ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، أو السبع الأواخر من رمضان، لكن لا تعلم في أي ليلة هي، من أجل أن يحرص الناس على العمل في كل الليالي رجاء هذه الليلة، ولو علمت بعينها لا جتهد الناس في هذه الليلة وكسلوا عن بقية الليالي)[١].

وقال – حفظه ا لله –:(وعلى هذا فإن قول النبي ﷺ هنا: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**» ترك تعيينها من أجل أن نحرص نحن على تتبعها في الكتاب والسنة حتى نجمع هذه الشعب ثم نقوم بالعمل بها، وهذا من حكمة النبي ﷺ التي آتاه ا لله تعالى) [٢] .

لذا ينبغي للدعاة إلى ا لله ﷻ استخدام هذا الأسلوب والاستفادة منه، بذكر العدد والترقيم، وذلك لما له من فائدة، أو بذكر أمثال هذا الحديث، كقوله ﷺ : « **لله تسعة وتسعون اسماً،مائة إلا واحداً،لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة،وهو وتر يحب الوتر** »[٣].

ثانياً – من صفات الداعية الحياء :

إن هذا الحديث يبين صفة من صفات الدعاة، وهي الحياء، يقول الشيخ محمد بن عثيمين – حفظه ا لله – : والحياء صفة حميدة كانت خلق النبي ﷺ، فكان من خلقه ﷺ الحياء، حتى إنه كان أكثر حياءً من العذراء في خدرها عليه الصلاة والسلام، إلا أنه كان لا يستحي من الحق. فالحياء صفة محمودة، لكن الحق لا يستحى منه، فإن ا لله ﷻ يقول: ﴿ والله لا يستحي من الحق ﴾ [٤]، وقال ﷻ : ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما

---

(١) – شرح رياض الصالحين، ٢٩/٧، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ط دار الوطن، الرياض .

(٢) – المرجع السابق، ٣٠/٧ .

(٣) – رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب لله عز وجل مائة اسم غير واحد، برقم ٦٤١٠، ٢١٧/٧ .

(٤) – سورة الأحزاب ،الآية : ٥٣ .

بعوضة فما فوقها ﴾ (١) . فالحق لا يستحى منه، ولكن ما سوى الحق فإن من الأخلاق الحميدة أن تكون حيياً . ضد ذلك من لا يستحي، فلا يبالي بما فعل، ولا يبالي بما يقول . ولهذا جاء في الحديث : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » (٢) . (٣)

وأما كون الحياء خيراً كله، ولا يأتي إلا بخير، فقد يشكل على بعض الناس، من حيث أن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق، فيترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة،فكيف يكون هذا من الإيمان؟ فأجاب عن ذلك بعض العلماء-رحمهم الله - : بأن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو : عجز ومهانة، وإنما تسميته حياء، من إطلاق بعض أهل العرف، أطلقوه مجازاً لمشابهته الحياء الحقيقي، وأولى الحياء، الحياء من الله تعالى، وهو أن لا يراك الله حيث نهاك، وذاك إنما يكون عن معرفة ومراقبة (٤).

والحياء وإن كان غريزة إلا أن الداعية يستطيع أن يكتسبه ويتخلق به، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (إنما جعل الحياء من الإيمان، وإن كان غريزة، لأنه قد يكون تخلقاً واكتساباً، كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثاً على أفعال البر، ومانعاً من المعاصي) (٥) .

ثالثاً - أسلوب التشبيه وأثره الدعوي :

في هذا الحديث شبه رسول الله ﷺ الإيمان بشجرة ذات أغصان وفروع، لبيان أن

---

(١) - سورة البقرة، الآية : ٢٦ .
(٢) - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، برقم ٦١٢٠، ١٣١/٧ .
(٣) - شرح رياض الصالحين، ٢٠٤/٣ - ٢٠٥ .
(٤) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٩/١ .
(٥) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/٢ .

هذا الدين له فروع ودرجات ومنازل، يقول العلامة الكرماني - رحمه الله -:(وشبه الإيمان بشجرة ذات أغصان وشعب، كما شبه في الحديث السابق الإسلام بخباء ذات أعمدة وأطناب) [(١)] .

فإن مثل هذا التشبيه يَظهر أثره الدعوي على الإنسان بجده وسعيه على تحصيل هذه الدرجات والشعب ليكون كالشجرة الكاملة الفروع والأغصان، فالإيمان اسم يتشعب إلى أمور ذوات عدد، جماعها الطاعة، ولهذا صار من صار من العلماء إلى أن الناس مفاضلون في درج الإيمان، وإن كانوا متساوين في اسمه [(٢)] .

---

(١) - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ٨٣/١ .

(٢) - انظر : المرجع السابق ٨٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٨/١ .

٤- باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

١٠-١٠ - حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما (١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) - هو عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو محمد، وقيل أبو عبدالرحمن، القرشي السهمي رضي الله عنه . وليس أبوه أكبر منه إلا بإحدى عشرة سنة أو نحوها، وقد أسلم قبل أبيه . وله فضائل ومناقب ومقام راسخ في العلم، حمل عن النبي ﷺ علماً جماً، وكان أكثر الناس أخذاً للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ، ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله ﷺ مني، إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب، ولا أكتب . يبلغ ما أسند سبعمائة حديث، اتفق البخاري ومسلم على سبعة عشر، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين حديثاً . وإنما قلة الرواية عنه مع كثرة ما حمل، لأنه سكن مصر، وكان الواردون إليها قليلاً، بخلاف أبي هريرة فإنه استوطن المدينة، وهي مقصد المسلمين من كل جهة، وقد روى عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم منهم : أبو بكر، وعمر، ومعاذ رضي الله عنهم . وحدث عنه جمع غفير من التابعين، توفي سنة خمس وستين هـ .(انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي،١/١٨٠. سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/٧٩-٩٩. تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ١/٢٨١ - ٢٨٢، ترجمة رقم: ٣٢٣. والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ٦/١٧٦ - ١٧٨، ترجمة رقم:٤٨٣٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١/١٣) .

(٢) - طرفه : في كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، برقم ٦٤٨٤، ٧/٢٣٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، برقم٤٠، ١/٦٥ .

أولاً – بلاغة الرسول ﷺ في تبليغ الدين .

ثانياً – من موضوعات الدعوة: الحديث عن كف الأذى، وهجر المعاصي.

ثالثاً – من صفات الداعية الصفح وترك المؤاخذة، وهجر المعاصي .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - بلاغة الرسول ﷺ في تبليغ الدين :

في هذا الحديث يظهر لنا صفة من صفات رسول الله ﷺ البلاغية البيانية، فهو الذي أوتي جوامع الكلم ﷺ، وأفصح العرب . وأما خصه هاتين الجارحتين – اليد واللسان – من سائر الجوارح، فلأنهما أظهر الجوارح في الكسب [١] .

ونجمل ما في هذا الحديث من البيان والبلاغة، على النحو الآتي :

١– أسلوب الحصر الذي بمعنى التفضيل، ففي قوله ﷺ : « **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ...، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ ...** » يقول العلامة العيني – رحمه الله – عن ذلك أنه : يدل على الحصر لوقوع جزئي الجملة معرفتين، ولكن هذا من قبيل قولهم : زيد الرجل، أي زيد الكامل في الرجولة، فيكون التقدير : المسلم الكامل من سلم .. إلى آخره. وهذا من جوامع كلامه ﷺ وفصيحه، كما يقال المال الإبل، والناس العرب على التفضيل لا على الحصر .أويكون هذا وارداً على سبيل المبالغة تعظيماً لترك الإيذاء، كما كان ترك الإيذاء هو نفس الإسلام الكامل، وهو محصور فيه على سبيل الادعاء [٢].

٢– أسلوب تجنيس الاشتقاق، وهو من أنواع البديع، بمعنى أن يرجع اللفظان في الاشتقاق إلى أصل واحد، نحو قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين القيم ﴾ [٣] فإن أقم والقيم يرجعان في الاشتقاق إلى القيام [٤] .

---

(١) – انظر :إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١/٢٢٧ .

(٢) – انظر :عمدة القاري، ١/١٣٢ .

(٣) – سورة الروم، الآية : ٤٣ .

(٤) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ١/١٣٢ .

٣- دقة اختيار العبارة، التي تؤدي الغرض، فرسول الله ﷺ اختار كلمة اليد واللسان، لأنها أدق في التعبير على المقصود، وأشمل للمعنى، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفي التعبير باللسان دون القول نكتة، فيدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء . وفي ذكر اليد دون غيرها من الجوارح نكتة، فيدخل فيها اليد المعنوية، كالاستيلاء على حق الغير بغير حق) (١) .

فلذا ينبغي للدعاة الاستفادة من بلاغة رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله، بمحاكاتها، والاستشهاد بها، لإعطاء الكلام قوة وبياناً، يؤثر في الناس ويزرع فيهم الخير والهدى، والعمل بهذا الدين .

ثانياً - من موضوعات الدعوة : الحديث عن كف الأذى، وهجر المعاصي :

إن من أهم الموضوعات التي ينبغي للدعاة الحديث عنها، وطرقها بين الحين والآخر، كف الأذى، ودعوة الناس إلى أن لا يسب بعضهم بعضاً، ولا ينم بعضهم بعضاً، ولا يغتاب بعضهم بعضاً، ولا يسعى بعضهم بين بعض بأي نوع من أنواع الشر والفساد، لأن اللسان من أشد الجوارح خطراً على الإنسان (٢)، لذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: « **ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكُبُّ الناس في النار على وجوههم - أو - على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم** » (٣) .

وأيضاً من كف الأذى الذي يدعو الداعية إليه، أن يسلم الناس بعضهم من بعض، فلا يعتدي بعضهم على بعض بالضرب، أو الجرح، أو أخذ المال، أو ما أشبه ذلك .

وكذلك على الداعية أن يتحدث عن ضرورة هجر المسلم للمعاصي، والابتعاد عنها، فرسول الله ﷺ لم يكتف من أصحابه بمجرد حبه والهجرة إليه، وترك أوطانهم

---

(١) - فتح الباري، ١/ ٧٠ .

(٢) - انظر : شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٤/ ٦٢٩ .

(٣) - رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ماجاء في حرمة الصلاة، برقم ٢٦١٦، ٥/ ١٣، وقال عنه : حسن صحيح . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذي ، ٢/ ٣٢٩) .

وأهاليهم، بل دعاهم إلى ترك المعاصي وهجر ما نهى الله عنه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه) (١) .

ثالثاً - من صفات الداعية الصفح وترك المؤاخذة، وهجر المعاصي :

إن من أبرز صفات الداعية إلى الله ﷻ : أنه يصفح ويترك المؤاخذة، والانتقام لنفسه، لذا قال بعض العلماء - رحمهم الله - : إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الصفح وترك المؤاخذة أولى من المطالبة والمعاقبة ، ولما كان المراد بالمؤمن والمسلم الكاملين ، فمن الكمال تلقي ذلك الأذى من الآخرين، بالصفح وحسن المجاوزة يقول الله ﷻ : ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ (٢) ' ويقول تعالى : ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (٣) . (٤)

وفي هذا الحديث أيضاً بيان لحقيقة الهجرة التي يهاجرها الداعية ويتصف بها، وهي هجر ما نهى الله عنه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وهذه الهجرة ضربان : ظاهرة وباطنة . فالباطنة : ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، والظاهرة : الفرار بالدين من الفتن . وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه .. بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه، فاشتملت هاتان الجملتان على جوامع من معاني الحكم والأحكام) (٥) .

---

(١) - فتح الباري، ١/٧٠ .
(٢) - سورة البقرة، الآية : ٢٣٧ .
(٣) - سورة الشورى، الآية : ٤٣ .
(٤) - انظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١/٢٣١ .
(٥) - فتح الباري، ١/٧٠ . وانظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد العظيم آبادي، ٧/١١٣، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت .

٥- باب أي الإسلام أفضل

١١ – ١١ – حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه (١) قَالَ : قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الإِسْلامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ :« **مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ** » (٢).

الدراسة الدعوية للحديث :

ومن هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين وحاجاتهم وظروفهم وأزمنهم وأمكنتهم .

ثانياً – الحثُّ على كف الأذى .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) – هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري الفقيه المقرئ . وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ . أقرأ أهل البصرة، وأفقههم في الدين، وقد استعمله النبي ﷺ ومعاذاً على زبيد، وعدن . وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة، وكان مع من هاجر إلى الحبشة، وقدم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبي ﷺ، وحمل عنه علماً كثيراً . وهو الذي افتتح الأهواز، وأصبهان . له ثلاثمائة وستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على خمسين، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة عشر حديثاً . وهو أحد الحكمين بين علي ومعاوية رضي الله عنه، روى عنه من الصحابة رضي الله عنهم، أنس بن مالك، وأبو سعيد، وروى عنه جمع غفير من كبار التابعين – رحمهم الله أجمعين – مات سنة أربع وأربعين هـ . (انظر: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١٤٣/١. سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٨٠/٢ – ٤٠٢ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٢٧٠/١، ترجمة رقم : ٤٣٦ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ١٩٤/٦ – ١٩٦، ترجمة رقم : ٤٨٨٩ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣٥/١) .

(٢) – أخرجه الإمام مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، برقم ٤٢، ٦٦/١ .

أولاً - أهمية مراعاة أحوال المدعوين وحاجاتهم وظروفهم وأزمنتهم وأمكنتهم :

إن في إجابة رسول الله ﷺ لهذا الرجل بشيء، وإجابته لرجل آخر سأل السؤال نفسه بشيء آخر (١)، درساً للدعاة إلى الله ﷻ، وفائدة دعوية مهمة، وهي : مراعاة المدعوين وأحوالهم، وأعرافهم وأمكنتهم، وأزمنتهم **في حدود ما أذن به الشرع**، فما يقال لشخص، قد لا يقال لشخص آخر، وما يقال في مكان، قد لا يصلح أن يقال في مكان آخر، وهكذا تتغير موضوعات الدعوة وإجابات السائلين، بتغير الأحوال والظروف والأزمنة والأمكنة والأشخاص، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وعلى تقدير اتحاد السؤالين، جواب مشهور، وهو الحمل على اختلاف حال السائلين أو السامعين، فيمكن أن يراد في الجواب الأول تحذير من خشي من الإيذاء بيد أو لسان، فأرشد إلى الكف، وفي الثاني ترغيب من رجي فيه النفع العام بالفعل والقول، فأرشد إلى ذلك، وخص هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت، لما كانوا فيه من الجهد، ولمصلحة التأليف، ويدل على ذلك أنه عليه الصلاة والسلام، حث عليهما أول ما دخل المدينة (٢)) (٣) .

ويقول الإمام السنوسي - رحمه الله - : وفي اختلاف الجواب عن سؤال الواحد، دليل على أن المصالح تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأعراف، وحتى في الفتاوى، كما ذكره المتأخرون من أنها إذا كانت مبنية على العرف، ينبغي أن تتنوع بتنوعه، ولا يوقف فيها مع منصوص المتقدمين التي بنوها على عرفهم المنقضي، وهو تحقيق من النظر، وكذا ينبغي للواعظين أن ينوعوا الوعظ بحسب ما تدعوا الحاجة إليه . بتعليم الناس ما جهلوه، وتذكيرهم ما نسوه، وتحريضهم على ما أهملوه . قالوا : ولهذا جرت

---

(١) - انظر الحديث الذي يلي هذا الحديث برقم ١٢ .

(٢) - ولفظه: « **أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام** ».
سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب رقم ٤٢، برقم ٢٤٨٥، ٥٦٢/٤ .

(٣) - فتح الباري، ٧٢/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ١٣٩/١ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢٢٦/١ .

عوائد خطباء المشرق وقدماء الأندلس بتنويع الخطب، بحسب الحاجة الوقتية، للتنبيه على ما يفعل الناس لذلك، فيحصل للسامعين أعظم منفعة، أو أكبر فائدة، وأهمل هذا أهل الغرب، بل طالما أنكره وانتقده من ينتمي منهم للعلم، ولو علم هذا ما اشتملت عليه خطبه ﷺ، وخطب خلفائه ﷺ، وأئمة الصدر الأول من ذلك لما أنكره [(١)] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحرص على مراعاة أحوال المدعوين وظروفهم وأزمنتهم وأمكنتهم ومجتمعاتهم **في حدود ما أذن به الشرع**، لتحصيل أكبر فائدة للمجتمع، ونجاح وانتشار للدعوة .

ثانياً - الحثُّ على كف الأذى :

إن في إجابة رسول الله ﷺ على سؤال السائل عن أفضل الإسلام، بأنه من سلم المسلمون من لسانه ويده، تأكيداً وترغيباً في كف الأذى بِعدِّه أفضل الإسلام .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : وفي هذا الحديث، الحث على الكف عن ما يؤذي المسلمين بقول أو فعل، بمباشرة، أو سبب، والإمساك عن احتقارهم [(٢)] .

---

(١) - انظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢٢٦/١ .

(٢) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١١/٢ .

٦ – باب إطعام الطعام من الإسلام

١٢ - ١٢ – حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « **تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ** » (١) .

شرح غريب الحديث :

« **تَقْرَأُ** » – بمعنى تقول، تقول اقرأ عليه السلام، ولا تقول أقرئه السلام، فإذا كان مكتوباً قلت : أقرئه السلام أي اجعله يقرأه (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية السؤال في تحصيل العلم .

ثانياً – من صفات الداعية الكرم والترغيب فيه .

ثالثاً – إلقاء السلام وأثره الدعوي بين المجتمع .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية السؤال في تحصيل العلم :

إن العلم الذي وصل إلينا في هذا الحديث والذي قبله، وكثير من الأحاديث، كان جواباً لسؤال وُجِّهَ إلى معلم البشر رسول الله ﷺ، فالعلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل

---

(١) – طرفاه : **الأول** : في كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام، برقم ٢٨، ١٥/١ . **والثاني** : في كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة، وغير المعرفة، برقم ٦٢٣٦، ١٦٦/٧ .

وأخرجه :الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، برقم ٣٩، ٦٥/١ .

(٢) – فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٧٣/١ .

حسن السؤال نصف العلم [١]، وبالعلم يطرد الإنسان الجهل، فلذلك عندما أجاب بعض الصحابة في فتوى لهم، وكانت سبباً لموت المستفتي، قال رسول الله ﷺ : « **قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال** » [٢] .

فالداعية بالسؤال يُحصل العلم، ويسلم من الجهل والزلل، يقول عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: (خمس إذا أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة [٣]، أن يكون فهماً، حليماً، عفيفاً، صليباً، عالماً سؤلاً عن العلم) [٤] .

ولذلك أثنت عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار عندما كنَّ يسألن رسول الله ﷺ ، عن أحكام الدين ، فقالت : (نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) [٥] .

ثانياً - من صفات الداعية الكرم والترغيب فيه :

إن من صفات الداعية التي لها أثر كبير على المدعوين، صفة الكرم، فعندما يكون الداعية كريماً يستطيع أن يكسب قلوب الناس، ويجعلهم يحبونه ويقبلون عليه، وعلى ما يقول، حتى قيل : (ما وضع أحد يده في صحفة غيره إلا ذل له . ولا يقال : فإذا كان يورث الذل فينبغي أن يجتنب، وذلك مما يقدح في الترغيب في الإطعام المستفاد من الحديث، لأنا نقول مما جبلت عليه نفوس الأكثر قبول ما فيه نفع لها، ولا تبالي بما يحصل معه من ذل ونحوه، بل قد تتلذذ بذلك الذل لما اشتمل عليه من المنافع) [٦] .

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر العسقلاني ، ١٧٣/١ .

(٢) - رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب المجروح يتمم، برقم ٣٣٦، ٩٣/١. (وقال عنه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في كتابه تلخيص الحبير ١٤٥/١ : وصححه ابن السكن . وقال عنه الألباني: صحيح ، انظر : صحيح سنن أبي داود ،٦٨/١) .

(٣) - وصمة : أي عيباً، انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٤٦/١٣ .

(٤) - صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب متى يستوجب الرجل القضاء، ١٤١/٨ .

(٥) - المصدر السابق، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ٤٧/١ .

(٦) - مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢٢٤/١ .

هذا وقد أثنى الله على أهل هذه الصفة بقوله: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ [(١)] . يقول العلامة السنوسي - رحمه الله -: (والإطعام المرغوب فيه، هو ما كان لفائدة شرعية، من طلب ثواب الله جل وعلا، فلا يبالي حينئذ ما أعطى، ولا لمن أعطى،،أو دفع عن نفسه وعرضه وماله، أم لا . أما ما لا فائدة له، أو كانت الفائدة غير شرعية، كقصد المباهاة، وتكثير الانتفاع، والثناء الدنيوي ونحو ذلك، فليس بمقصود من الحديث، بل ربما كان بعضه حراماً، كالإطعام لبعض اللئام من الظلمة والفساق ممن يستعين بذلك على فساده، ويغريه على أموال الناس، وتبقى لهم سنة سيئة في أموال الناس على الدوام) [(٢)] .

إذن فينبغي للداعية إلى الله الحرص على إكرام المدعوين والقيام بضيافتهم، حتى يكسب قلوبهم ويحقق النجاح في دعوته ونشره لهذا الدين .

ثالثاً - إلقاء السلام وأثره الدعوي بين المجتمع :

إن من أهم الأساليب الدعوية التي يجب أن يحافظ عليها الداعية، ويدعو لنشرها في المجتمع المسلم، هو إفشاء السلام، فإن ذلك له أثر كبير على نشر الود والمحبة بين الناس، واجتماع كلمتهم، وقبولهم للداعية ومحبته، يقول الحافظ ابن حجر- رحمه الله - عن فوائد قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث : « **وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ** » : (تسلم على من لقيته، ولا تخص ذلك بمن تعرف، وفي ذلك إخلاص العمل لله، واستعمال التواضع، وإفشاء السلام الذي هو شعار هذه الأمة، وفيه من الفوائد أنه لو ترك السلام على من لم يعرف، احتمل أن يظهر أنه من معارفه، فقد يوقعه في الاستيحاش منه . وفي مشروعية السلام على غير المعرفة استفتاح للمخاطبة بالتأنيس ليكون المؤمنون كلهم إخوة فلا يستوحش أحد من أحد، وفي التخصيص ما قد يوقع في الاستيحاش،

---

(١) - سورة الإنسان، الآية : ٨ .

(٢) - مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١/٢٢٥ .

ويشبه صدود المتهاجرين المنهي عنه) [١] .

فبالتحية أيها الداعية تزرع المحبة والود في قلوب المدعوين، والإنس بك وبحديثك لهم، فقد يكون في قلب المحبين ضغن فيزول بالتحية، وقد يكون عدواً فينقلب بها صديقاً. (فبذل السلام يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الاحتقار، ويحصل به التآلف والتحابب) [٢] .

---

(١) - فتح الباري، ٢٣/١١

(٢) - انظر : المرجع السابق، ١٠٤/١ .

٧ - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

١٣ - ١٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ﷺ (١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ قَالَ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - أسلوب الترهيب والترغيب في المحبة الإيمانية .

ثانياً - أهمية المحبة الإيمانية وحقيقتها .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) - هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله ﷺ، وتلميذه، وتبعه، وآخرمن مات من الصحابة ﷺ بالبصرة. واسم أمه أم سليم بنت ملحان، خدم رسول الله ﷺ عشر سنوات، فصحب أنس ﷺ النبي ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة . ثبت أن رسول الله ﷺ دعا له بكثرة المال، والولد، وطول العمر . روى له ألفا حديث ومائتا حديث وست وثمانون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانية وستين حديثاً، وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين حديثاً، ومسلم واحد وتسعين حديثاً، توفي سنة إحدى وتسعين وقيل ثنتين وقيل ثلاث، عن عمر يناهز المئة وثلاث سنين . (انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ٢٢٢/١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٩٥/٢ - ٤٠٦ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ١٢٧/١، ترجمة رقم٧١ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ١١٢/١٢ - ١١٤، ترجمة رقم : ٢٧٥ . وعمدة القاري، للعيني، ١٤٠/١) .

(٢) - **وأخرجه** : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، برقم ٤٥، ٦٧/١ .

أولاً - أسلوب الترهيب والترغيب في المحبة الإيمانية :

إن في هذا الحديث ترغيب وترهيب، فالترغيب هو أن من حقق هذه الخصلة مؤمناً كاملا ، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (إذا كان المراد بالنفي كمال الإيمان ، يلزم أن يكون من حصلت له هذه الخصلة مؤمناً كاملا وإن لم يأت ببقية الأركان، وأجيب : بأن هذا مبالغة، كأن الركن الأعظم فيه، هذه المحبة، نحو « **لا صلاة إلا بطهور** »[١])[٢].

أما الترهيب في هذا الحديث فهو بنفي الإيمان لمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (إذ المراد الزجر عن هذه الإرادة) [٣].

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يتحدث في هذا الموضوع ويرغب فيه لأهميته، ويرهب من ضده، وهو عدم المحبة، وذلك بذكر مثل هذا الحديث الذي ينفي فيه رسول الله ﷺ الإيمان لمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

ثانياً - أهمية المحبة الإيمانية وحقيقتها :

يظهرمن هذا الحديث أهمية المحبة الإيمانية، والترغيب فيها، إذ بها ينتشر الخير في المجتمع المسلم ، ويصفو من الكدر . وحقيقة المحبة كما يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله- : (أن يحب أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له، لا عينه، سواء كان في الأمور المحسوسه، أو المعنوية، وليس المراد أن يحصل لأخيه ما حصل له، لا مع سلبه عنه، ولا مع بقائه بعينه له، إذ قيام الجوهر أو العرض بمحلين محال) [٤] . ويقول - رحمه الله - : أن القصد من المحبة (الحث على التواضع . فلا يحب أن يكون أفضل من غيره، فهو مستلزم للمساواة . ويستفاد ذلك من قوله تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في

---

(١) - سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب فرض الوضوء، برقم ٥٩، ١٦/١ .

(٢) - عمدة القاري، للعيني، ١٤٢/١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٧٤/١.

(٣) - المرجع السابق، ٧٤/١ .

(٤) - المرجع السابق، ٧٤/١ .

الأرض ولا فسادا ﴾ [١]، ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحقد والغش، وكلها خصال مذمومة) [٢] .

وقيل : حقيقة الحب في الله : أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء [٣] . فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان .

وينبه الإمام الأبي - رحمه الله - على أن المقصود بمحبة المرء لله : إنما هي في أمر الدنيا، وأما الآخرة فإن الله ﷻ يقول: ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [٤]. [٥]

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يحرص على نشر هذه الخصلة بين الناس، **أولاً**: بخلقه المتواضع، وبمحبته لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ثم بدعوتهم لمثل هذه المحبة ونشرها بينهم **ثانياً** .

---

(١) - سورة القصص، الآية : ٨٣ .

(٢) - فتح الباري، لابن حجر، ١/٧٤ .

(٣) - انظر : المرجع السابق، ١/٧٩ .

(٤) - سورة المطففين، الآية : ٢٧ .

(٥) - انظر : إكمال إكمال المعلم، ١/٢٤١ .

٨- باب حب الرسول ﷺ من الإيمان

١٤- ١٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ** » .

١٥- ١٥ - حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . ح و حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** » (١) .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله .

ثانياً – محبة الرسول ﷺ أغلى من النفس والمال والوالد والولد والناس أجمعين .

ثالثاً – علاج ما قد يقع من خلاف ونزاع بين الدعاة بمحبة رسول ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله :

إن القسم له فائدة كبيرة في تأكيد الكلام، وإعطائه أهمية كبيرة، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (فيه – أي الحديث – جواز الحلف على الأمر المهم توكيداً، وإن

---

(١) – **وأخرجه** : مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، برقم ٤٤، ١/٦٧ .

لم يكن هناك مستحلف) [١] . ويقول العلامة العيني - رحمه الله - : (ويستفاد منه جواز القسم على الأمر المبهم توكيداً، وإن لم يكن هناك من يستدعي الحلف) [٢] . فمن هنا نقول : إن الداعية عليه أن يستخدم هذا الأسلوب، وهو أن يقسم على بعض الموضوعات التي يتحدث فيها إذا كانت لها أهمية كبيرة، أو إذا كان في الموضوع غموض وإبهام للتأكيد على صحته ومقصده .

ثانياً - محبة الرسول ﷺ أغلى من النفس والمال والوالد والولد والناس أجمعين :

إن محبة الداعية لرسول الله ﷺ تستلزم منه أن يحب ويعمل بسنته وهديه وشريعته، ويدعو إلى الإيمان والعمل بها، فسبيل رسول الله ﷺ و هديه وسنته، هي عبادة الله سبحانه وتعالى، والدعوة إليه، يقول الله ﷻ : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ [٣] . فالداعية إلى الله المحب لرسوله ﷺ، إذا تعارضت محبة النفس أو الوالد أو الولد مع محبته ﷺ، قدم محبة الرسول ﷺ عليهم، لأنها مقتضى المحبة والإيمان، إذ يقول الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [٤] . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ [٥] .

---

(١) - فتح الباري، ١/٧٥ .

(٢) - عمدة القاري، ١/١٤٣ .

(٣) - سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .

(٤) - سورة المجادلة، الاية : ٢٢ .

(٥) - سورة التوبة، الآية : ٢٤ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (وما من مؤمن إلا وهو يجد في قلبه للرسول من المحبة ما لا يجد لغيره، حتى أنه إذا سمع محبوباً له من أقاربه وأصدقائه يسب الرسول، هان عليه عداوته ومهاجرته، بل وقتله، لحب الرسول . وإن لم يفعل ذلك لم يكن مؤمناً) [(١)] .

ويقول القاضي عياض - رحمه الله -: (ومن محبته ﷺ نصرة سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه) [(٢)] .

فمحبة الرسول ﷺ ليست هي التعظيم والإجلال له في الاعتقاد فقط، فاعتقاد الأعظمية ليس مستلزماً للمحبة، إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته، فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل المذكور في الحديثين من تقديم محبة الرسول ﷺ على النفس والوالد والولد - المستلزمة للاتباع والدعوة إلى دينه وسنته والتضحية والفداء - لم يكمل إيمانه [(٣)] .

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط، فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعاً [(٤)] . ومن علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خير بين فقد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي ﷺ أن لو كانت ممكنة، فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من أغراضه، فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا . وليس ذلك محصوراً في الوجد والفقد، بل يأتي

---

(١) - منهاج السنة النبوية بتحقيق د/محمد رشاد سالم، ٤٠١/٥، الطبعة **الأولى** ١٤٠٦هـ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) - نقلاً عن : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/٢ .

(٣) - انظر : فتح الباري، ٧٦/١ .

(٤) - أي عندما قال لرسول الله ﷺ (لأنت أحب إليّ من كل شيء، إلا من نفسي . فقال النبي ﷺ له : « **لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك** » . فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي ﷺ : « **الآن ياعمر** » . (رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، برقم ٦٦٣٢، ٢٧٧/٧ .

مثله في نصرة سنته، والذب عن شريعته، وقمع مخالفيها . ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (١) .

لذا نقول : إن الداعية المحب لرسول الله ﷺ يتبع هديه ويستن بسنته، ويدعو إليها، ولا يقدم عليها أي محبة، بل كل شيء هو فداء لها.

ثالثاً - علاج ما قد يقع من خلاف ونزاع بين الدعاة بمحبة رسول ﷺ :

إن الخلاف والنزاع بين البشر أمر طبعي، والدعاة إلى الله - سبحانه وتعالى - من البشر الذين قد يقع بينهم خلاف ونزاع في بعض المسائل والآراء، ولكن بمحبة رسول الله ﷺ وتقديمها على كل محبة وهوى، يرتفع هذا الخلاف والنزاع والتفرق، لأن الدعاة بمحبتهم لرسول الله ﷺ يعودون في هذا الخلاف والنزاع، إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٢) ويتركون أهواءهم، وأقوال وآراء من يحبونهم من العلماء والدعاة إذا تعارضت مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمحبتهما مقدمة على كل شيء، فحينئذٍ يجدون فيهما العلاج للخلاف والنزاع، يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله- إنه يستفاد من هذا الحديث : (وجوب تقديم قول الرسول ﷺ على قول كل الناس، لأن من لازم كونه أحب من كل أحد أن يكون قوله مقدماً على كل أحد حتى على نفسك، فمثلا أنت تقول شيئاً وتهواه وتفعله، فيأتي إليك رجل ويقول لك : هذا يخالف قول الرسول ﷺ . فإذا كان حب الرسول ﷺ أحب إليك من نفسك، فأنت تنتصر للرسول ﷺ أكثر مما تنتصر لنفسك، وترد على نفسك بقول الرسول ﷺ - إلى أن قال - إذاً يؤخذ من هذا الحديث وجوب تقديم قول الرسول ﷺ على قول كل الناس،حتى على قول أبي بكر وعمر وعثمان، وعلى قول الأئمة الأربعة من باب أولى

---

(١) - فتح الباري ، ١/٧٦ .

(٢) - سورة النساء : ٥٩ .

- فكيف بمن دونهم من الدعاة والعلماء - ومن بعدهم، قال الله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [١]) [٢] .

---

(١) - سورة الأحزاب، الآية : ٣٦ .

(٢) - القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين، ١٤٨/٢، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ط دار العاصمة، الرياض .

٩ - باب حلاوة الإيمان

١٦-١٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** »(١).

وفي رواية : « .. **مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ** » (٢) .

وفي رواية : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ، وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ، وَحَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا** » (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، برقم ٢١، ١/١٣ . **والثاني** : في كتاب الأدب، باب الحب في الله، برقم ٦٠٤١، ١١٠،٧ . **والثالث** : في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، برقم ٦٩٤١، ٨/٧١ .

وأخرجه :الإمام مسلم، في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان، برقم ٤٣، ١/٦٦ .

(٢) - كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، برقم ٢١، ١/١٣ .

(٣) - كتاب الأدب، باب الحب في الله، برقم ٦٠٤١، ٧/١١٠ .

أولاً – أسلوب التشبيه وأثره الدعوي .

ثانياً – أسلوب : ذكر العدد ، وأثره الدعوي .

ثالثاً – من موضوعات الدعوة : المحبة الإيمانية .

رابعاً – قطع الصلة بالماضي السيء، وأثره في قوة الإيمان والإحساس بحلاوته.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أسلوب التشبيه وأثره الدعوي :

في هذا الحديث يشبه رسول الله ﷺ الإيمان بشيء له حلاوة، وذلك للترغيب فيه، وفي الأمور التي تحققه، والحث على تحصيلها . وأما السبب في التعبير بالحلاوة فهو كما قال العلامة العيني – رحمه الله – : (لأنها أظهر اللذات المحسوسة، وإن كان لا نسبة بين هذه اللذة واللذات الحسية) [١] . فالتشبيه بشيء محسوس تشتهيه النفس، له أثر كبير عليها، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (في حلاوة الإيمان استعارة تخيلية، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح، لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مراً، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئاً ما، نقص ذوقه بقدر ذلك) [٢] . فالإيمان له لذة في القلب تشبه الحلاوة الحسية بل ربما يغلب عليها حتى يدفع بها أشد المرارات، وهذا مما يعلم به من شرح الله صدره للإسلام، حيث يحسب أن مجالس الذكر، رياض الجنة، وأن العود إلى الكفر، إلقاء في النار [٣] . يقول أحد السلف –رحمهم الله-: كابدت الصلاة عشرين سنة ثم استمتعت بها بقية عمري [٤] . ويقول الزاهد إبراهيم بن

(١) – عمدة القاري، ١٤٩/١ .

(٢) – فتح الباري، ٧٧/١ . وانظر : شرح السيوطي على سنن النسائي ، ٩٤/٨-٩٥ .

(٣) – انظر : شرح السيوطي على سنن النسائي ، ٩٥/٨ .

(٤) – انظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢٣٣/١ .

أدهم – رحمه الله – : والله إنا لفي لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف [١] .

ثانياً - أسلوب ذكر العدد ، وأثره الدعوي :

إن الداعية عندما يستخدم أسلوب ذكر العدد لما سيقول من معدود ، يشدُّ المدعوين إلى حديثه، ويجعلهم يُنصتون له لمعرفة خبر هذا العدد ونتيجته، يقول الإمام الأبي – رحمه الله – : (والثلاث متلازمة فلا يوجد بعضها منفكاً عن الآخر حتى يسأل عن مفهوم العدد، فيقال: فمن وجدت فيه واحدة منهن)[٢] لا يكون كامل الإيمان،إنما بقدر ما يوجد فيه.

كما أن ذكر العدد المبهم في بداية الحديث، يفيد تعظيم ما سيذكر بعده، يقول الإمام الأبي – رحمه الله -: (ويحتمل أن يكون المسوغ الإبهام، لكونه للتعظيم)[٣].

فينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يحرص على هذا الأسلوب الدعوي المثمر في نفوس المدعوين لشد انتباههم، وتعظيمهم لحديثه .

ثالثاً - من موضوعات الدعوة المحبة الإيمانية :

من الموضوعات التي يجب على الداعية أن يتحدث عنها، ويزرعها في قلوب المدعوين، المحبة الإيمانية، والمراد بالمحبة هنا : (هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل، أو خلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك، تمرن على الائتمار بأمره، بحيث يصير هواه تبعاً له، ويلتذ بذلك التذاذاً عقلياً، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ماهو كمال وخير من حيث هو كذلك) [٤] . ويحقق ذلك بأن يجعل المدعو (يتأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول ﷺ هو الذي يبين له مراد ربه، فإذا فعل

---

(١) – انظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢٣٣/١ .
(٢) – إكمال إكمال المعلم، ٢٣٢/١ .
(٣) – المرجع السابق، ٢٣٣/١ .
(٤) – الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ١٠١/١ .

ذلك ؛ اقتضى منه أن يتوجه بكليته نحوه ، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله) [١] .

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : ومحبة الله ورسوله ﷺ على قسمين، فرض وندب : **فالفرض** : المحبة التي تبعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، والرضا بقدر الله . وأن لا يتلقى شيئاً إلا من مشكاة نبيه ﷺ، ولا يسلك إلا طريقه . **والندب** : أن يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات [٢] .

رابعاً - قطع الصلة بالماضي السيء، وأثره في قوة الإيمان والإحساس بحلاوته :

إن مما ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، تنبيه المدعوين إلى أهمية قطع صلتهم بماضيهم السيء، وأن ذلك يكون سبباً في زيادة الإيمان، وإحساسهم بحلاوته ولذته، يقول العلامة السنوسي -رحمه الله - إن : (وجه كون هذه الكراهية موجبة لحصول حلاوة الإيمان أنها نتيجة حصول اليقين، فإن الكفر سبب الخلود في النيران، فالمؤمن إنما يكرهه كما يكره النار لملازمته إياها، فصار لقوة اليقين يتخيل أن الدخول في الكفر دخول في النار، فكرهه كراهيتها، إذا فعل هذا في الكفر فعله في سائر المعاصي لمشاركتها له في السببية لاستحقاق النار . وما يفرق به من احتمال العفو مقابل باحتمال عدمه، والعاقل يفرُّ بمجرد احتمال الوقوع في أدنى شيء من المعاطب الدنيوية، فكيف باحتمال الوقوع في هول الآخرة، وعذابها الذي لا طاقة لمخلوق عليه، إن أريد بالكفر الكفر المقابل لأصل الإيمان، وأما إن أريد به كفر النعم وعدم القيام بشكرها وهو الظاهر، تناول حينئذٍ بلفظه جميع المعاصي) [٣] .

فالإنسان عندما يستشعر هذا الإحساس بأن الكفر والمعاصي هي النار، فيكرهها كما يكره أن يقذف قي النار، يصبح بينه وبين معصية الله حاجز كبير من الكراهية والبغض الشديد .

---

(١) - فتح الباري، لابن حجر، ٧٨/١ .

(٢) - انظر : المرجع السابق ، ٧٨/١ .

(٣) - انظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢٣٧/١ .

١٠ - باب علامة الإيمان حب الأنصار

١٧ - ١٧ - حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ : حَدَّثَنا شُعْبَةُ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ جَبْرٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ** » (١) .

شرح غريب الحديث :

« **الأَنْصَارِ** » - جمع نصير، كشريف وأشراف، أو جمع ناصر كصاحب وأصحاب، واللام للعهد، أي أنصار رسول الله ﷺ، واختص عرفاً بأصحاب المدينة من الأوس والخزرج، الذين آووا ونصروا رسول الله ﷺ، وأصحابه ﷺ، فسماهم رسول الله ﷺ بالأنصار (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

أولاً - أهمية محبة الداعية للسلف الصالح وارتباطه بهم.

ثانياً - أسلوب ذكر الصالحين والثناء عليهم، للترغيب في فعلهم، والتنبيه عليه .

ثالثاً - من صفات الداعية : الوفاء .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية محبة الداعية للسلف الصالح وارتباطه بهم :

إن هذا الحديث عن رسول الله ﷺ يؤكد على أهمية ارتباط المسلمين وخصوصاً الدعاة منهم بسلف هذه الأمة في منهجهم ودعوتهم، وأنه أمر مهم جداً، فهم أعلم الناس

---

(١) - طرفه : في كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان، برقم ٣٧٨٤، ٢٦٩/٤ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعليّ ﷺ من الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق، برقم ٧٤، ٨٥/١ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ، ١٠٢/١ . وفتح الباري، لابن حجر ، ٨١/١ . وعمدة القاري، للعيني،١٥٠/١ .

بهذا الدين ومراده، ففيهم نزل القرآن، وعاش بينهم رسول الله ﷺ وتلقوا منه، وتعلموا على يديه، ومن ثم عملوا بما تعلموه، ونصروا الدين ودعوا إلى الله على بصيرة من أمرهم اقتداءً بنبيهم ﷺ إذ يقول الله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (١) . فلذلك على الداعية أن يحبهم، ويقتدي بهم، ويسير على هديهم ومنهجهم حتى تكون دعوته على بصيرة ونور من الله . ولذلك أكد النبي ﷺ على ذلك الأمر بجعل بغضهم علامة على النفاق، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله -: (فإن قلت إذا كان حب الأنصار أية الإيمان فبغضهم آية عدمه، لأن حكم نقيض الشئ حكم الشئ، فما الفائدة في ذكر : « وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأنْصَارِ »، قلت : هذا التقدير ممنوع، ولئن سلمنا، فالفائدة في ذكره: التصريح به والتأكيد عليه،والمقام يقتضي ذلك، لأن المقصود من الحديث الحث على حب الأنصار، وبيان فضلهم،لما كان منهم من إعزاز الدين وبذل الأموال والأنفس والإيثار على أنفسهم والإيواء والنصر وغير ذلك)(٢).

وعلامة المحبة هي الاتباع، يقول الله ﷻ : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (٣) . فمن هنا تظهر أهمية اقتداء الداعية واتباعه لسلف هذه الأمة في دعوته وشأنه وجميع أمره، حتى يكتب له الإيمان، والنجاح والقبول عند الله ﷻ .

ثانياً - أسلوب ذكر الصالحين والثناء عليهم للترغيب في فعلهم، والتنبيه عليه :

إن ذكر رسول الله ﷺ للأنصار، وأن حبهم علامة على الإيمان، وبغضهم علامة على النفاق، يثير في النفس ويرغبها في محبة هؤلاء، والاهتمام بالسبب الذي نالوا به هذه المنزلة، لتحصيله والعمل به . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (جاء التحذير من بغضهم، والترغيب في حبهم، حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهاً بعظم فضلهم،

---

(١) - سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .
(٢) - الكواكب الدراري، ١٠٣/١ .
(٣) - سورة آل عمران، الآية : ٣١ .

وتنبيهاً على كريم فعلهم) [(١)] . ومن هذا الباب قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « **لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق** » [(٢)] .

لذا ينبغي للداعية إلى الله تبارك وتعالى، أن يسلك هذا الأسلوب بذكر الصالحين وأحوالهم، وخصوصاً من أثنى عليه رسول الله ﷺ، أو شهد له بالجنة، للترغيب في الاقتداء بهم، وإثارة الهمة على ذلك .

ثالثاً - من صفات الداعية : الوفاء :

لقد كان من صفات رسول الله ﷺ، الوفاء، وفي هذا الحديث ما يؤكد على ذلك، فقد كان رسول الله ﷺ وفياً مع الأنصار الذين قاموا بنصرته على تبليغ الدين ونشره بين الناس جميعاً، بمالهم وأنفسهم، وكل ما يملكون، فلذا جعل الرسول ﷺ، من علامة الإيمان: حبُّ الأنصار، من باب الثناء عليهم، وإعلاء منزلتهم ومكانتهم، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وخصوا بهذه المنقبة العظمى، لما فازوا به دون غيرهم من القبائل، من إيواء النبي ﷺ، ومن معه، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجر البغض، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد، والحسد يجر للبغض، فلهذا جاء التحذير من بغضهم، والترغيب في حبهم، حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهاً بعظيم فضلهم، وتنبيهاً على كريم فعلهم) [(٣)] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله تبارك وتعالى، الاقتداء برسول الله ﷺ في وفائه لمن نصروه وآووه، وذلك بوفائهم لمن يقف مع الدعوة وينصرها، وأن لا يُنسى لهم ذلك .

---

(١) - فتح الباري ٨١/١ .

(٢) - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعليّ رضي الله عنه من الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق، برقم ٧٨، ٨٦/١ .

(٣) - فتح الباري، ٨١/١ .

١١ - باب

١٨ - ١٨ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ عَائِذُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ (١) ﷺ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : « **بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَلا تَسْرِقُوا ، وَلا تَزْنُوا ، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ** » (٢) .

---

(١) - هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله رسول الله ﷺ على الصدقات، وكان يعلم أهل الصفة القرآن، بعثه عمر ﷺ ومعاذاً وأبا الدرداء إلى الشام يعلمونهم القرآن ويفقهونهم فيه، له مواقف كثيرة في إنكار المنكر وتغييره، ولا يخاف في الله لومة لائم، قال عنه عمر ﷺ : قبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك، روي له عن رسول الله ﷺ من الحديث مائة وواحد وثمانون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ستة منها، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بآخرين، مات بالرملة، وقيل : ببيت المقدس، سنة أربع وثلاثين . (انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١٢٣/١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥/٢ - ١١ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٣٥٦/١، ترجمة رقم : ٢٨١ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ٣٢٢/٥ - ٣٢٤، ترجمة رقم : ٤٤٩٠ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥٣/١) .

(٢) - أطرافه : **الأول** : في كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، برقم ٣٨٩٢، ٣٠٢/٤ . **الثاني** : في كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، برقم ٣٨٩٣، ٣٠٣/٤ . **الثالث** : في كتاب المغازي، باب رقم (١٢)، برقم ٣٩٩٩، ١٩/٧ . **الرابع** : في كتاب تفسير القرآن، باب { إذا جاءك المؤمنات يبايعنك } برقم ٤٨٩٤، ٧٣/٦ . **الخامس** : في كتاب الحدود، باب الحدود كفارة، برقم ٦٧٨٤، ٢١/٨ . **السادس** : في كتاب الحدود، باب توبة السارق، برقم ٦٨٠١، ٢٣/٨ . **السابع** : في كتاب الديات، باب قول الله تعالى { ومن

=

وفي رواية : « .. وَلا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ .. »

وفيها : « .. وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ ا لله، فَأَمْرُهُ إِلَى ا لله إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ .. » (١) .

وفي رواية : عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي مِنَ النُّقَبَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ ا لله ﷺ وَقَالَ : بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لا نُشْرِكَ بِا لله شَيْئًا، وَلا نَسْرِقَ، وَلا نَزْنِيَ، وَلا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ ا لله، وَلا نَنْتَهِبَ، وَلا نَعْصِيَ، بِالْجَنَّةِ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَإِنْ غَشِينَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَانَ قَضَاءُ ذَلِكَ إِلَى ا لله . (٢) .

وفي رواية : قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « أَتُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِا لله شَيْئًا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَسْرِقُوا» وَقَرَأَ آيَةَ النِّسَاءِ.وَأَكْثَرُ لَفْظِ سُفْيَانَ قَرَأَ الآيَةَ « فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى ا لله ،وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ ا لله، فَهُوَ إِلَى ا لله إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ » (٣).

وفي رواية : عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ ا لله ﷺ فِي رَهْطٍ فَقَالَ: « أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِا لله شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا ..»

وفيها : « .. فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَطَهُورٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ ا لله، فَذَلِكَ إِلَى ا لله إِنْ شَاءَ

=

أحياها } ، برقم ٦٨٧٣، ٤٦/٨ . **الثامن** : في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : « سترون بعدي أموراً تنكرونها » برقم ٧٠٥٥، ١١٢/٨ . **التاسع** : في كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، برقم ٧١٩٩، ١٥٤/٨ . **العاشر** : في كتاب الأحكام، باب بيعة النساء ، برقم ٧٢١٣، ١٥٨/٨ . **الحادي عشر** : في كتاب التوحيد، باب في المشيئة و الإرادة، برقم ٧٤٦٨، ٢٤١/٨ .

وأخرجه :الإمام مسلم، في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، برقم ١٧٠٩، ١٣٣٣/٣ .

(١) – كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، برقم ٣٨٩٢، ٣٠٢/٤ .

(٢) – كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، برقم ٣٨٩٣، ٣٠٣/٤ .

(٣) – كتاب تفسير القرآن، باب { إذا جاءك المؤمنات يبايعنك } برقم ٤٨٩٤، ٧٣/٦ .

عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ » [(١)] .

وفي رواية : «.. وَلا نَقْتُلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ ا للهُ، وَلا نَنْتَهِبَ، وَلا نَقْضِيَ [(٢)] بِالْجَنَّةِ إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَإِنْ غَشِينَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَانَ قَضَاءُ ذَلِكَ إِلَى ا للهِ » [(٣)] .

وفي رواية : عن أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا: أَصْلَحَكَ ا للهُ حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ ا للهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ : دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ [(٤)] .

وفي رواية : .. قَالَ : بَايَعْنَا رَسُولَ ا للهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ . [(٥)] .

شرح غريب الحديث :

« بَايِعُونِي » – المبايعة عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيهاً بالمعاوضة المالية، والمبايعة على الإسلام عبارة عن المعاقدة والمعاهدة عليه [(٦)] .

« بِبُهْتَان » – البهتان الكذب الذي يبهت سامعه، أي يدهشه لفظاعته [(٧)] .

« وَلا نَنْتَهِبَ » – النهب الغارة والسلب، أي لا نختلس شيئاً [(٨)] .

---

(١) – كتاب الحدود، باب توبة السارق، برقم ٦٨٠١، ٢٣/٨ .

(٢) – يقول ابن حجر : هنا تصحيف، وإنه يكفي لأثباته رواية مسلم عن قتيبة بالعين والصاد المهملتين، وكذا هو عند البخاري في معظم الروايات بالعين والصاد . انظر : فتح الباري، ٨٧/١ .

(٣) – كتاب الديات، باب قول الله تعالى { ومن أحياها }، برقم ٦٨٧٣، ٤٦/٨ .

(٤) – كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : « سترون بعدي أموراً تنكرونها » برقم ٧٠٥٥، ١١٢/٨ .

(٥) – كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، برقم ٧١٩٩، ١٥٤/٨ .

(٦) – انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ١٠٥/١ . فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٨٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥٤/١ .

(٧) – انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ١٠٦/١ . فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٨٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥٤/١ .

(٨) – انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب النون مع الهاء، ١٣٣/٥ .

« الْمَنْشَطِ » – أي في حالة نشاطنا، وقيل وقت الكسل [١] .

« الْمَكْرَهِ » – أي الحالة التي نكون فيها عاجزين، وقيل : وقت المشقة [٢] .

(النقباء) – جمع نقيب ، وهو العريف على القوم المقدم عليهم [٣] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب ذكر الطاعة والعمل الصالح في الدعوة إلى الله.

ثانياً – معنى البيعة، ولمن تكون، وأهمية السمع والطاعة لمن تُعقد له .

ثالثاً – من موضوعات الدعوة وأولياتها:النهي عن الشرك،ثم التحذير من المعاصي.

رابعاً – التأكيد على عدم التكفير بالذنوب .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية أسلوب ذكر الطاعة والعمل الصالح في الدعوة إلى الله :

في هذا الحديث ذُكر أن عبادة ﷺ شهد بدراً، وبيعة العقبة، وأنه أحد النقباء،وذلك لفائدة دعوية، هي أن الداعية إذا حدث عن شخص فعليه أن ينبه المدعوين على أسبقية ومنزلة من ينسب الكلام إليه في الإسلام بمثل هذه الإعمال، حتى يُصغى له، ويُعمل بما ينسب إليه من قول، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (كانت بيعة العقبة من أجل ما يمتدح به – وكذلك بدر – فكان يذكرها إذا حدث تنويهاً بسابقيته) [٤] .

وهذا الأسلوب أيضاً فيه تشجيع للمدعوين على العمل بمثل عمله والاقتداء به .

ثانياً - معنى البيعة، ولمن تكون، وأهمية السمع والطاعة لمن تُعقد له :

في هذا الحديث يظهر أن البيعة إنما تكون لإمام المسلمين وولي أمرهم، يأخذها على رعيته، يقول الإمام الكرماني –رحمه الله– عن المبايعة : (أنها عقد الإمام العهد بما يأمر

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١٣/١٠ .

(٢) – انظر : المرجع السابق، ١٣/١٠ .

(٣) – النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب النون مع القاف ، ٥/١٠١ .

(٤) – المرجع السابق ، ١/٨٥ .

الناس به) [١] . والمبايعة على الإسلام عبارة عن المعاقدة، والمعاهدة عليه [٢]. وهذا موقف لأحد سلفنا الصالح -رحمهم الله- يظهر منه خطر المبايعة والمعاهدة على التجمع - وإن كانت على الخير والدين- إذا صرفت لغير إمام المسلمين، فعن مطرف بن عبدالله الشخير - رحمه الله - أنه قال : (كنا نأتي زيد بن صوحان، فكان يقول : يا عباد الله أكرموا، وأجملوا، فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين : الخوف والطمع .

فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتاباً، فنسقوا كلاماً من هذا النحو :

إن الله ربنا، ومحمد نبينا، والقرآن إمامنا، ومن كان معنا، كنا كنا، ومن خالفنا كانت يدنا عليه، وكنا وكنا .

قال : فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلا رجلا، فيقولون : أقررت يا فلان؟ حتى انتهوا إليَّ، فقالوا : أقررت يا غلام ؟ قلت : لا !

قال - يعني زيداً - : لاتعجلوا على الغلام، ما تقول يا غلام ؟

قلت : إن الله قد أخذ عليَّ عهداً في كتابه، فلن أحدث عهداً سوى العهد الذي أخذه الله عليَّ .

فرجع القوم من عند آخرهم، ما أقرَّه منهم أحد، وكانوا زهاء ثلاثين نفساً) [٣].

فالمبايعة بمعناها السابق يجب أن تكون لإمام المسلمين وولي أمرهم فقط على ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وذلك لما فيها من الحث على الالتزام بالطاعة وترك المعصية، وحتى لا يتفرق المسلمون بين بيعات متعددة لأشخاص كثر مما ينتج عنه التفرق والفتن، يقول الشيخ / صالح اللحيدان - حفظه الله - إن أول الفتن في الإسلام، كانت في التجمع لمطالبة عثمان رضي الله عنه وأرضاه ببعض الأمور، وهكذا تبدأ الفتن [٤] .

---

(١) - الكواكب الدراري، ١٠٥/١ . وانظر :عمدة القاري، للعيني، ١٥٤/١ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١٠٥/١ . وفتح الباري، لابن حجر ، ٨٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥٤/١ .

(٣) - سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٩٢/٤ .

(٤) - انظر : جريدة مرآة الجامعة، التي تصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص١، =

ومما يبين أهمية البيعة لولاة الأمر في الحث على الالتزام بالطاعة وترك المعصية، ما قاله عبادة بن الصامت لأبي هريرة رضي الله عنهما، في مجلس معاوية رضي الله عنه بالشام : (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنَّكَ لم تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِنَّا بَايَعْنَاهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ،وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ،وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ فِي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلا نَخَافَ لَوْمَةَ لائِمٍ فِيهِ، وَعَلَى أَنْ نَنْصُرَ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ فَنَمْنَعُهُ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا، وَأَزْوَاجَنَا، وَأَبْنَاءَنَا، وَلَنَا الْجَنَّةُ، فَهَذِهِ بَيْعَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي بَايَعْنَا عَلَيْهَا،فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا بَايَعَ رَسُولَ اللهِ وَفَّى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا بَايَعَ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ ﷺ ..) (١) . فهنا يظهر من كلام عبادة لأبي هريرة رضي الله عنهما أنه ممن بايع النبي ﷺ، فلذلك يرى أن عليه شيئاً من المسؤولية زائداً على غيره، وهو الالتزام بالبيعة التي أخذت عليه . وذلك مما يبين أهمية البيعة لولي الأمر في الطاعة والمحافظة على الأعمال والأقوال، واجتناب المنهيات .

ثالثاً - من موضوعات الدعوة وأولياتها : النهي عن الشرك، ثم التحذير من المعاصي :

نجد في هذا الحديث وأطرافه أن رسول الله ﷺ، ذكر في بيعته مجموعة من الموضوعات مرتبة في الأوليات والأهمية، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - عند قول المصطفى ﷺ « **أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا** » : (أي وحدوه، وهذا هو أصل الإيمان، وأساس الإسلام، فلهذا قدمه على إخوانه) (٢) . ثم بعد ذلك ذكر النبي الكريم ﷺ عدة موضوعات تلي هذا الأمر في الأهمية، وهي التحذير من بعض المعاصي والذنوب، كالسرقة، والزنى، وقتل الأولاد ... .

=

العدد رقم ٢٠١، بتاريخ ١٤١٦/٦/١٣هـ .

(١) - رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم ٢٢٧٦٥، ٤٠٧/٥، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت .

(٢) - الكواكب الدراري، ١٠٥/١ .

وأيضاً هنا ننبه على جانب مهم ينبغي للدعاة إلى الله تعالى الاهتمام به في ترتيب الأوليات، وهو البدأ بالمنهيات واجتنابها قبل المأمورات والإلتزام بها، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (والحكمة في التنصيص على كثير من المنهيات دون المأمورات، أن الكف أيسر من إنشاء الفعل، لأن اجتناب المفاسد مقدم على اجتلاب المصالح، والتخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل) (١) .

رابعاً - التأكيد على عدم التكفير بالذنوب :

في هذا الحديث يذكر عبادة ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال لهم بعد أن بايعهم على ترك الذنوب والمعاصي : « **وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ الله فَهُوَ إِلَى الله ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ** »، أي أن من وقع في هذه المحرمات ووجب عليه الحد، فهو كفارة وطهارة له من هذه الذنوب التي وقع فيها، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (ويستفاد من هذا الحديث أن إقامة الحد كفارة للذنب، ولو لم يتب المحدود) (٢).

ويقول المازري - رحمه الله - : (فيه - أي هذا الحديث - ردٌ على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، ورد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة، لأن النبي ﷺ أخبر بأنه تحت المشيئة، ولم يقل لابد من تعذيبه) (٣) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، الحذر من تكفير أصحاب المعاصي والذنوب ما لم يظهر منهم الكفر البواح الذي عندهم عليه من الله برهان قاطع .

---

(١) - فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٨٣/١ .
(٢) - المرجع السابق، ٨٦/١ .
(٣) - نقلاً عن : المرجع السابق، ٨٧/١ .

١٣ - باب من الدين الفرار من الفتن

١٩ - ١٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُا للهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِا للهِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ (١) أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ : « **يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ** » (٢) .

وفي رواية : « .. **أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ** .. » (٣) .

وفي رواية : عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ لِي : إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَتَتَّخِذُهَا فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَاتَهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تكونُ الْغَنَمُ فيه خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ يَتْبَعُ بِهَا**

---

(١) - هو أبو سعيد الخدري الإمام المجاهد، مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج، واسم الأبجر : خدرة، وقيل : بل خدرة هي أم الأبجر. استشهد أبوه مالك يوم أحد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان . وحدث عن النبي ﷺ، فأكثر وأطاب، وكان أحد الفقهاء المجتهدين . حدث عنه : ابن عمر، وجابر، وأنس، وجماعة من أقرانه ﷺ، وجماعة من التابعين . روي لأبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ ألف حديث ومائة وسبعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ستة وأربعين منها، وانفرد البخاري بستة عشر، ومسلم باثنين وخمسين حديثاً . توفي بالمدينة سنة أربع وستين، وقيل أربع وسبعين . (انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١٩٣/١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٦٨/٣ - ١٧٢ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٢٣٧/٢، ترجمة رقم : ٣٥٥ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ١٦٥/٤ - ١٦٧، ترجمة رقم : ٣١٨٩ . وعمدة القاري، للعيني،١٦١/١).

(٢) - أطرافه : كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، برقم ٣٣٠٠، ١١٧/٤. **الثاني** : في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٦٠٠، ٢١٣/٤ . **الثالث** : في كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خُلاط السوء، برقم ٦٤٩٥، ٢٤١/٧ . **الرابع** : في كتاب الفتن، باب التعرب في الفتنة، برقم ٧٠٨٨، ١٢١/٨ .

(٣) - كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، برقم ٣٣٠٠، ١١٧/٤.

شَعَفَ الْجِبَالِ -أَوْ سَعَفَ الْجِبَالِ- فِي مَوَاقِعِ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ » (١) .

شرح غريب الحديث :

« شَعَفَ » - جمع شعفة، كأكم وأكمة، وهي رؤوس الجبال وأعاليها (٢) .

« الْفِتَنِ » - جمع فتنة، وأصل الفتن إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته . وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى : الإثم، والكفر، والقتال، والإحراق، والإزالة، والفضيحة، والفجور، والصرف عن الشيء (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - من علامات النبوة الإخبار بالغيب .

ثانياً - من موضوعات الدعوة التحذير من الفتن .

ثالثاً - منهج التعامل مع الفتن الفرار منها، إذا لم يكن للإنسان أثر في الإصلاح، وإزالة الفتنة .

رابعاً - فضيلة الاختلاط بالناس في غير الفتن .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من علامات النبوة الإخبار بالغيب :

ساق الإمام البخاري - رحمه الله - هذا الحديث في كتاب المناقب ، تحت باب

---

(١) - كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٦٠٠، ٢١٣/٤ .

(٢) - انظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، ١٥٤/١ . الكواكب الدراري، للكرماني ١٠٩/١ . فتح الباري، لابن حجر، ٨٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٦٢/١ .

(٣) - انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي ،ص١٧٢ . النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الفاء مع التاء، ٤١٠/٣ . فتح الباري، لابن حجر، ٥/١٣ .

علامات النبوة في الإسلام، لأنه يظهر منه معجزة من معجزات رسول الله ﷺ ، وهي ظهور بعض الفتن التي أخبر عنها ، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : في هذا الحديث (إخبار بأنه يكون في آخر الزمان فتن وفساد بين الناس، وهذا من جملة معجزاته ﷺ)[١]. فمن هذه الفتن ما جرى بين الصحابة ﷺ جميعاً من فتنة ، فلذا ساق الإمام البخاري - رحمه الله - هذا الحديث مع أحاديث الفتنة التي وقعت بين الصحابة ﷺ [٢] .

فلذا عندما يتحدث الداعية إلى الله ﷻ عن معجزات رسول الله ﷺ، فإن إخباره ﷺ عن المستقبل والغيب في هذا الحديث، مما يدخل في معجزاته الثابتة له.

ثانياً - من موضوعات الدعوة التحذير من الفتن :

إن حديث الداعية عن الفتن والتحذير منها - وخصوصاً عندما تكثر - أمر ضروري لتنبيه الناس على خطرها وضررها على النفس والدين، وكذلك فإن الحديث عن الفتن لابد منه، وذلك من باب أن الناس لابد أن يفتنوا ويمتحنوا في هذه الدنيا، ليُعرف الطيب من الخبيث، يقول الله ﷻ : ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ [٣]. ويقول الله ﷻ : ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون﴾ [٤]، ويقول الله ﷻ : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [٥]، ويقول الله ﷻ : ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [٦]، ويقول الله

---

(١) - عمدة القاري، ١٦٣/١ .

(٢) - انظر : كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٦٠٠، ٢١٣/٤ . وكتاب الفتن، باب التعرب في الفتنة، برقم ٧٠٨٨، ١٢١/٨ .

(٣) - سورة آل عمران، الآية : ١٧٩ .

(٤) - سورة العنكبوت، الآية : ٢ .

(٥) - سورة الأنفال، الآية : ٢٥ .

(٦) - سورة الأنبياء، الآية : ٣٥ .

وَجَلَّ: ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ (١)، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ﴾ (٢)، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ﴾ (٣) .

ثالثاً - منهج التعامل مع الفتن الفرار منها، إذا لم يكن للإنسان أثر في الإصلاح، وإزالة الفتنة :

إن الأصل في التعامل مع الفتن هو الفرار منها واعتزالها وترك الناس والابتعاد عنهم، إذا لم يكن للإنسان أثر في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - إن مما يستفاد من هذا الحديث : (فضل العزلة في أيام الفتن، إلا أن يكون الإنسان ممن له قدرة على إزالة الفتنة، فإنه يجب عليه السعي في إزالتها إما فرض عين، وإما فرض كفاية، بحسب الحال والإمكان، وأما في غير أيام الفتنة فاختلف العلماء في العزلة والاختلاط أيهما أفضل) (٤) . ونقل العلامة العيني، قول الكرماني - رحمهما الله - : (والمختار في عصرنا تفضيل الانعزال لندور خلو المحافل عن المعاصي) (٥) . ثم قال : (وأنا موافق له فيما قال، فإن الاختلاط مع الناس في هذا الزمان لا يجلب إلا الشرور) (٦) .

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه) (٧) .

فمن هنا نقول على المسلم، وخصوصاً الداعية إلى الله - لأنه يقتدى به - الحذر

---

(١) - سورة التغابن، الآية : ١٥ .
(٢) - سورة الأعراف، الآية : ١٥٥ .
(٣) - سورة المائدة، الآية : ٤١ .
(٤) - عمدة القاري، ١/١٦٣ .
(٥) - الكواكب الدراري، ١/١١١ .
(٦) - عمدة القاري، ١/١٦٣ .
(٧) - فتح الباري، ١٣ /٤٧ .

الحذر من الوقوع في الفتن أو المشاركة فيها، إلا إذا كان يستطيع أن يُصلح بين الناس، ويسعى في إزالة الفتن، فإذا كان يستطيع أن يقوم بذلك الأمر يصبح عليه فرض عين، أو فرض كفاية، بحسب الحال والإمكان .

رابعاً - فضيلة الاختلاط بالناس في غير الفتن :

مما سبق تتضح أفضلية العزلة وترك الاختلاط بالناس وقت الفتن لمن لا يستطيع التغيير والسعي في إزالة الفتنة . أما في غير أيام الفتنة فاختلف العلماء في العزلة والاختلاط أيهما أفضل، ولكن الأكثرين على أن الراجح هو الاختلاط وترك العزلة، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - : (مذهب الشافعي والأكثرين إلى تفضيل الخلطة لما فيها من اكتساب الفوائد، وشهود شعائر الإسلام ، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال الخير إليهم، ولو بعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وإفشاء السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، وإعانة المحتاج، وحضور جماعاتهم، وغير ذلك مما يقدر عليه كل أحد، وإن كان صاحب علم أو زهد تأكد فضل اختلاطه، وذهب آخرون إلى تفضيل العزلة لما فيها من السلامة المحققة، لكن بشرط أن يكون عارفاً لوظائف العبادة التي تلزمه، وبما يكلف به) (١) .

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله -: (واعلم أن الأفضل هو المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، هذا أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم، ولكن أحياناً تحصل أمور تكون العزلة فيها خيراً من الاختلاط بالناس ؛ ومن ذلك إذا خاف الإنسان على نفسه فتنة .. - إلى أن قال - فهذا هو التقسيم ؛ تكون العزلة هي الخير إن كان في الاختلاط شر وفتنة في الدين، وإلا فالأصل أن الاختلاط هو الخير، يختلط الإنسان مع الناس فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يدعوإلى الحق، ويبين السنة للناس، فهذا خير) (٢) .

---

(١) - الكواكب الدراري، ١/١١٠-١١١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١١/٣٤٠ و١٣/٤٦-٤٧. وعمدة القاري، للعيني، ١/١٦٣ .

(٢) - شرح رياض الصالحين، ٦/١٩٨-١٩٩ .

١٣ - باب قول النبي ﷺ : « أنا أعلمكم بالله » وأن المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى : ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ (١) .

٢٠ - ٢٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ . قَالُوا : إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ . إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ : « **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا** » .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - من صفات الداعية الرفق واللين مع المدعوين .

ثانياً - الانتقال من الرفق واللين إلى الشدة والقسوة للمصلحة .

ثالثاً - من صفات الداعية : مراعاة أحوال المدعوين .

رابعاً -أهمية المداومة على العمل .

خامساً - من خصائص الدين التيسير .

سادساً - من صفات الداعية الحرص على الطاعة والازدياد من الخير .

سابعاً - تحدث الداعية بما فيه من فضل للمصلحة الدعوية .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية الرفق واللين مع المدعوين :

في هذا الحديث يظهر مدى ما كان عليه رسول الله ﷺ من الرفق بأمته، والتيسير عليها، يقول العلامة العيني -رحمه الله- إن هذا الحديث: (فيه دليل على رفق النبي ﷺ

---

(١) - سورة البقرة، الآية : ٢٢٥ .

بأمته وأن الدين يسر وأن الشريعة حنيفية سمحة)[١] . ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (كان -رسول الله ﷺ- إذا أمرهم بعمل من الأعمال، أمرهم بما يطيقون الدوام عليه) [٢] وذلك من شدة رفقه ﷺ بأصحابه ﷺ وأمته . فينبغي للداعية أن يتخلق بهذا الخلق ويتصف به فـ« **إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، وما يُنزع من شيء إلا شانه** » [٣] . فإذا كان الداعية متصفاً بهذه الصفة أصبحت زيناً لدعوته، وإن نزعت منها أصبحت شيناً لها . ويقول ﷺ : « **إن الله رفيق يحب الرفق . ويعطي على الرفق ما لايعطي على العنف،وما لا يعطي على ما سواه** » [٤] .

فإذا أراد الداعية أن يُعطيه الله ﷻ ، من خير الدنيا والآخرة، والنجاح العظيم لدعوته ، فعليه الاقتداء برسول الله ﷺ في جميع أمره ، ومن ذلك الرفق بالمدعوين والتيسير عليهم ، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون .

ثانياً - الانتقال من الرفق واللين إلى الشدة والقسوة للمصلحة :

ذُكر فيما سبق أن من صفات الداعية الرفق والتيسير على المدعوين، ولكن هناك بعض الأحوال قد يكون من الخير والحكمة أن يقسو ويغلظ فيها الداعية على المدعوين، ومن ذلك غضبه ﷺ في هذا الحديث على الصحابة ﷺ، وذلك بسبب تقصيرهم عن فهم هذا الأمر، مع عظيم منزلتهم ومكانتهم في الدين، بحيث لا يخفى عليهم مثل هذا الأمر، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إن هذا الحديث يدل على : (مشروعية الغضب عند مخالفة الأمر الشرعي، والإنكار على الحاذق المتأهل لفهم المعنى إذا قصر في الفهم، تحريضاً على التيقظ) [٥] .

---

(١) - عمدة القاري، ١٦٧/١ .
(٢) - فتح الباري، ٩٠/١ .
(٣) - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم ٢٥٩٤، ٢٠٠٤/٤ .
(٤) - المصدر السابق ، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم ٢٥٩٥، ٢٠٠٤/٤ .
(٥) - فتح الباري، ٩٠/١ .

فمثلا : عندما يقع المدعو في أمر لا يُتوقع منه ومن أمثاله، وذلك لمنزلته وقوة إيمانه، فمن الأفضل استعمال الشدة والقسوة معه بدلاً من الرفق واللين، حتى يرتدع ويخاف من العودة إلى خطئه، وينتبه إلى ما وقع فيه من الخطأ الذي لا يليق به .

ثالثاً - من صفات الداعية : مراعاة أحوال المدعوين :

إن قول عَائِشَةَ رضي الله عنها في هذا الحديث: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ)، يُؤخذ منه فائدة مهمة للدعاة إلى الله، وهي مراعاة أحوال المدعوين بتكليفهم ما يطيقون ويستطيعون القيام به وأن لا يشقّ عليهم . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم بعمل من الأعمال، أمرهم بما يطيقون الدوام عليه، وبما لا يشق عليهم [1]، مراعاةً لأحوالهم .

لذا ينبغي للداعية إلى الله سبحانه وتعالى التنبه لهذا الأمر والنظر إلى المدعوين وأحوالهم وظروفهم واستطاعتهم، فيأمرهم بما يتمكنون من القيام به، وبما يستطعون المداومة عليه، وما لا يشقّ عليهم .

رابعاً - أهمية المداومة على العمل :

إن مما ينبغي للداعية التنبه إليه : أن أفضل الأعمال ما دام وإن قل، فلذا عليه أن يقوم بتربية المدعوين على المحافظة والمداومة على الأعمال، وذلك بتكليفهم ما يطيقون منها، حتى لا يملوا . و بتعليمهم أن الأولى في العبادة القصد والملازمة، لا المبالغة المفضية إلى الترك [2] .

رابعاً - من خصائص الدين التيسير :

إن من خصائص الدين الإسلامي التيسير ورفع الحرج والمشقة، يقول العلامة العيني - رحمه الله - إن هذا الحديث : (فيه دليل على رفق النبي ﷺ بأمته وأن الدين يسر وأن

(١) - فتح الباري ، ١/٩٠ .

(٢) - انظر :المرجع السابق، ١/٩٠ . وعمدة القاري، للعيني، ١/١٦٧ .

الشريعة حنيفية سمحة)[١] . فلذ ينبغي للداعية أن يزرع في المدعوين(الوقوف عند ما حدّ الشارع من عزيمة ورخصة ، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق للشرع أولى من الأشق المخالف له) [٢]. فهذا رسول الله ﷺ لايكلف الناس إلا بما يطيقون من الأعمال، وينكر بل يغضب على من أراد أن يتشدد في الدين ويشق على نفسه وعلى الناس .

خامساً - من صفات الداعية الحرص على الطاعة والازدياد من الخير :

أيضاً في هذا الحديث يظهر لنا صفة من صفات صحابة رسول الله ﷺ وهي الحرص والرغبة الشديدة في العبادة والإكثار منها، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: في هذا الحديث إشارة إلى شدة رغبة الصحابة ﷺ ، في العبادة وطلبهم الازدياد من الخير [٣] . فينبغي للداعية إلى الله أن يتأسى بهم في هذا الحرص على الطاعة والازدياد من الخير، دون أن يشق على نفسه أو يحملها ما لا تطيق . وينبغي له أن يجتهد في ذلك، وأن لا يعتمد على عمله وصلاحه [٤] .

سادساً - تحدث الداعية بما فيه من فضل للمصلحة الدعوية :

إن حديث الداعية عن نفسه وما عنده من الخير في بعض الأحيان، قد يكون مما تقتضيه الحكمة والمصلحة الدعوية، فهذا رسول الله ﷺ يقول : « **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا** » . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إنه يؤخذ من هذا الحديث : (جواز تحدث المرء بما فيه من فضل بحسب الحاجة لذلك عند الأمن من المباهاة والتعاظم) [٥] . إذن فذكر الداعية لبعض أعماله وما فيه من الخير إذا كان لمصلحة، كالاقتداء به، أو لأجل أن يسمع له، فهو من الحكمة في الدعوة إلى الله .

---

(١) - عمدة القاري، ١٦٧/١ .
(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٩٠/١ .
(٣) - انظر : المرجع السابق، ٩٠/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٦٧/١ .
(٤) - انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ٦١/١ .
(٥) - فتح الباري، ٩٠/١ .

١٥ - باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال

٢١ - ٢٢ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ:حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوِ الْحَيَاةِ** - شَكَّ مَالِكٌ - **فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَم تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً** » (١) .

وفي رواية : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **نَعَمْ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ** » . قَالُوا : لا . قَالَ : « **وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ** » . قَالُوا : لا . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَم يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟**

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب تفسير القرآن (سورة النساء)، باب { إن الله لا يظلم مثقال ذرة }، برقم ٤٥٨١، ٢١١/٥ . **الثاني** : في كتاب تفسير القرآن (سورة الحاقة)، باب { يوم يكشف عن ساق }، برقم : ٤٩١٩، ٨٥/٦ . **الثالث** : في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم، ٦٥٦٠، ٢٥٩/٧ . **الرابع** : في كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، برقم، ٦٥٧٤، ٢٦١/٧ . **الخامس**: في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة }، برقم ٧٤٣٨، ٢٢٨/٨ . **السادس** : في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة }، برقم : ٧٤٣٩، ٢٢٨/٨-٢٢٩.

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، برقم ١٨٤، ١٧٢/١ .

قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ ا لله . فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ . مَا اتَّخَذَ ا لله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَقَالُوا : عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا . فَيُشَارُ أَلا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ ا لله . فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ ا لله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ . فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ . حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ ا لله مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ العالمينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا . فَيُقَالُ : مَاذَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ قَالُوا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ لا نُشْرِكُ بِا لله شَيْئًا » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا (١) .

وفي رواية : قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا » (٢) .

وفي رواية : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ ا لله مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيَخْرُجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ – أَوْ قَالَ حَمِيَّةِ السَّيْلِ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ – أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً » (٣) .

وفي رواية : قَالَ عَطَاءٌ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:« هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » . قَالَ : أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُ رَسُولَ

---

(١) – كتاب تفسير القرآن (سورة النساء)، باب { إن الله لا يظلم مثقال ذرة }، برقم ٤٥٨١، ٢١١/٥.
(٢) – كتاب تفسير القرآن (سورة الحاقة)، باب { يوم يكشف عن ساق }، برقم : ٤٩١٩، ٨٥/٦ .
(٣) – كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم، ٦٥٦٠، ٢٥٩/٧ .

الله ﷺ يَقُولُ :« **هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ** ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ « **مِثْلُهُ مَعَهُ** » (١).

وفي رواية : قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ : وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ : « **ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ**

---

(١) - رواية أبي هريرة ﷺ التي وافقه عليها أبو سعيد ﷺ هي : قَالَ أُنَاسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : « **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ** » ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ** » ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : « **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا . حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ** » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ . وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ** » ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « **فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ . فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ . فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ . ثُمَّ يَقُولُ : بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ . فَيَقُولُ : أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو . فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ . فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ . فَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ . فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ : رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ يَقُولُ : أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ . فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ فَيَقُولُ لَهُ : هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ** » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا .

انظر : كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقما الحديث، ٦٥٧٤، ٦٥٧٣، ٢٦١/٧ .

مَعَهُ » . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا حَفِظْتُ إِلا قَوْلَهُ « **ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ** » . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ : « **ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ** » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا الْجَنَّةَ . (١)

وفي رواية : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ : « **هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا** » قُلْنَا : لا . قَالَ : « **فَإِنَّكُمْ لا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا** - ثُمَّ قَالَ - **يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ. فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ . قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا . فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ. ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . فَيَقُولُونَ : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ . فَيُقَالُ : كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ : نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا . فَيُقَالُ : اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ . فَيَقُولُونَ : فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا . قَالَ : فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فَلا يُكَلِّمُهُ إِلا الأَنْبِيَاءُ . فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ . فَيَقُولُونَ : السَّاقُ . فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا**

---

(١) - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة }، برقم ٧٤٣٨ .

وَاحِدًا . ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جهَنَّمَ . قُلْنَا يَا رَسُولَ ا لله : وَمَا الْجَسْرُ . قَالَ : مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا : السَّعْدَانُ . الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا . فَيَقُولُ ا لله تَعَالَى : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ . وَيُحَرِّمُ ا لله صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ . فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ . فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا . ثُمَّ يَعُودُونَ . فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا . ثُمَّ يَعُودُونَ . فَيَقُولُ : اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَءُوا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ (١) . فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ . فَيَقُولُ الْجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي . فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ . فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ . فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ . فَيُقَالُ لَهُمْ : لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » (٢) .

---

(١) – سورة النساء، الآية : ٤٠ .

(٢) –كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } ، برقم ٧٤٣٩ .

شرح غريب الحديث :

« الْحِبَّةُ »- بكسر الحاء: جمع بذور النبات، واحدتها حبة بالفتح،وأما الحب فهو الحنطة والشعير، واحدتها حبة بالفتح أيضاً،وإنما افترقا في الجمع (١) .

« خَرْدَلٍ » – نبات عشبي معروف، ينبت في الحقول وعلى حواشي الطرق (٢).

« حَمِيلِ السيل » – ما يحمله السيل من طين وزبد ونحوه (٣) .

« تُضَارُّونَ » – أي لا يضايق بعضكم بعضاً في رؤيته، ولا ينازعه ولا يخالفه، بل يكونون متفقين في رؤيته (٤) .

« الأَنْصَابِ » – جمع نصب، وهو حجر ينصب فيعبد، ويقال هو النُّصب، وهو حجر ينصب بين يدي الصنم تصب عليه دماء الذبائح للأصنام(٥).

« طَبَقًا » – الصحيفة الواحدة (٦) .

« غُبَّرَاتُ » – جمع غُبَّر، وغبَّر : مفردها غابر، وهو الباقي (٧) .

« خَطَاطِيفُ » – واحدها خُطَّاف، وهي حديدة حجناء، كالمحجن منعقفة، وكل منعقف معوج الطرف خطاف، ومنه الخطاف الذي يُخرج به الدلو من البئر ويخطفه من قعره ويُسرع بإخراجه (٨) .

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر، ٩٢/١ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١١٦/١ . والمعجم الوسيط، لمجموعة من العلماء، مادة خردل، ٢٥٥/١، بدون تاريخ، ط دار الدعوة، استانبول .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١١٦/١ . وجامع الأصول، لابن الأثير، ٤٤٦/١٠ . عمدة القاري، للعيني،١٧٠/١ .

(٤) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٤٤٠/١٠ .

(٥) – انظر : معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة نصب، ٤٣٤/٥ .

(٦) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٤٥٤/١٠ .

(٧) – انظر: المرجع السابق ، ٤٥٤/١٠ . والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الغين مع الباء، ٣٣٨/٣ .

(٨) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ٢٣١ .

« **وَكَلالِيبُ** » – جمع كلوب، وهو المنشال، ويسمى المهماز، وهو حديدة معطوفة كالخطاف (١) .

« **وَحَسَكَةٌ** » – حسك السعدان، جمع حسكة، وهي شوكة حديدة صلبة، ويقال للرجل إذا كان خشناً : إنه لحسكة (٢) .

« **مَخْدُوشٌ** » – من الخدش، ناج على ما به من أثر (٣) .

« **وَمَكْدُوسٌ** » – هو الرمي الذي لا رفق فيه (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أسلوب الترغيب والترهيب .

ثانياً – أهمية أسلوب التساؤل في الدعوة إلى الله .

ثالثاً – أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله .

رابعاً – من موضوعات الدعوة العقدية : معرفة الله بأسمائه وصفاته . واليوم الآخر وما فيه من أهوال .

خامساً – أهمية ترك الجدال والخصام – بعد البيان – بين الدعاة .

سادساً – أهمية الدعاء للداعية إلى الله سبحانه وتعالى .

سابعاً – من صفات المدعوين الطمع .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) – انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (كلب)، ٣٩١٢/٧ .

(٢) –تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ٢٣١ .

(٣) – المرجع السابق ، ٧٨ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ٢٣١ .

أولاً - أسلوب الترغيب والترهيب :

في هذا الحديث أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ﷻ، وهو الترغيب والترهيب، وذلك يظهر من خلال الآتي :

١- الترغيب في الأعمال الصالحة وإن قَلَّت، وذلك بقوله ﷺ إن الله تعالى يقول: « **أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ** » . فالإنسان لابد له من معرفة أن كل ما عمل في الدنيا، يجده محصى عليه يوم القيامة، يقول الله ﷻ : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ (١) . ولذا بوّب الإمام البخاري - رحمه الله - في كتاب التفسير، باباً قال فيه : باب قوله : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** ﴾ (٢) يعني زنة ذرة. ثم ساق هذا الحديث (٣). يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (مطابقته - أي الحديث - للترجمة من حيث أن المفهوم من معناه أن الله تعالى يحكم يوم القيامة بين عباده المؤمنين والكافرين بعدله العظيم، ولا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة) (٤) . فكيف بماهو أكبر من الذرة .

٢- الترغيب والترهيب، بذكر أحوال بعض أهل الجنة عندما ينبتون ويحيون بعد أن احترقوا وامتحشوا في النار، وذلك من قوله ﷺ : « .. **فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً** » .

وفي قوله ﷺ : « .. **فَيُشَارُ أَلَا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ**

---

(١) - سورة الزلزلة، الآيتان : ٧، ٨ .

(٢) - سورة النساء، الآية : ٤٠ .

(٣) - كتاب التفسير (سورو النساء)، برقم ٤٥٨٦، ٢١١/٥ .

(٤) - عمدة القاري، ١٧٢/١٧ .

بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ .. » .

وفي قوله ﷺ : « .. **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ ا لله مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيَخْرُجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ..**». فالإنسان عندما يسمع مثل هذه الأهوال لبعض أهل النار وهم يحترقون فيها، يرهب منها ومما يقرب إليها، ويقبل على طاعة ا لله وما يقرب إلى رحمته وجنته .

٣- الترهيب بذكر أحوال الأمم الكافرة يوم القيامة، ثم الترغيب بفضل هذه الأمة - أمة محمد ﷺ - على سائر الأمم، وذلك في قوله ﷺ : « **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ ا لله مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ ا لله بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ ..** - إلى أن قال - **ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ : مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ ا لله . فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ ا لله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلا وَلَدٍ . فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ . حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ ا لله مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ العالم ينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ قَالُوا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ لا نُشْرِكُ بِا لله شَيْئًا** ». فعندما يذكر الداعية أحوال الأمم يوم القيامة، ثم يذكر حال هذه الأمة - أمة محمد ﷺ - يرغب المدعوين في الجد والعمل للانتساب لهذه الأمة، وأن لايكون من العصاة أو المنافقين، الذين يطردون منها يوم القيامة.

٤- وفيه ترغيب بذكر عظم منزلة آخر أهل الجنة دخولا ، وذلك بقوله ﷺ : « .. **فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ فَيَقُولُ لَهُ : هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ** » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا .

وفي رواية أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ أنه قال: **وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ** . فإذا كان هذا حال آخر أهل النار خروجاً منها ودخولا للجنة، فكيف بمن يدخل الجنة مع الأولين السابقين .

٥- الترغيب في الصلاة وإخلاص النية فيها لله - سبحانه وتعالى - فبها يكون الإنسان مع الذين يسجدون لله. والترهيب من الرياء بالصلاة وعدم الإخلاص فيها، فمن فعل ذلك يحرم من السجود لله سبحانه وتعالى ويحشر مع الكفرة والمشركين وذلك يؤخذ من قوله ﷺ : « **يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا** » .

ثانياً - أهمية أسلوب التساؤل في الدعوة إلى الله :

إن أهمية طرح الداعية السؤال على المدعوين، تظهر في شدِّ انتباههم لما سوف يقوله من حديث، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث قبل أن يجيب عن سؤال الصحابة ﷺ قابله بسؤال : « **هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا** » . فلما استشرف الصحابة ﷺ بعد إجابتهم عن سؤال النبي ﷺ، لمعرفة المقصود من السؤال ، قال لهم : « **فَإِنَّكُمْ لا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا**...). وأيضاً هناك تساؤل رسول الله ﷺ في آخر هذا الحديث عن رؤيتهم لنبات الحبة بقوله: « **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً** » .

فالسؤال يجعل المدعوين يشاركون المتحدث في التفكير، ويتعاونون معه، ويتهيؤون للإجابة ومعرفة الغرض من السؤال . فلذا ينبغي للداعية أثناء حديثه مع المدعوين أن لا يغفل عن هذا الأسلوب المهم ، وذلك بأن يوجه لهم بعض الأسئلة لاستحضار أذهانهم وصرف الشواغل عنها .

ثالثاً - أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله :

يظهر من هذا الحديث أسلوب التشبيه في أكثر من موضع، وذلك على النحو الآتي:

١- تشبيه الإيمان القليل في القلب بمقدار زنة حبة خردل، يقول العلامة القسطلاني - رحمه الله - : (إن المراد بقوله حبة من خردل التمثيل فيكون عياراً في المعرفة لا في

الوزن حقيقة، لأن الإيمان ليس بجسم فيحصره الوزن والكيل، لكن ما يشكل من المعقول قد يرد إلى عيار محسوس ليفهم، ويشبه به ليعلم) [١] .

٢- تشبيه إحياء الإنسان في هذا الحديث بالحبة التي تنبت بجانب السيل، وذلك في قوله ﷺ : « **فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ** » . يقول العلامة العيني - رحمه الله - عن ذلك : (فيه تشبيه متعدد، وهو التشبيه من حيث الإسراع، ومن حيث ضعف النبات، ومن حيث الطراوة والحسن، والمعنى : من كانت في قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من ذلك الماء نضراً حسناً منبسطاً متبختراً، كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متميلة) [٢].

٣- تشبيه الرؤية لله سبحانه وتعالى، بالرؤية للشمس والقمر، وذلك في قوله ﷺ : « **هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا** » قُلْنَا : لا . **قَالَ** : « **فَإِنَّكُمْ لا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا** » . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك ورفع المشقة والاختلاف، وقيل : التشبيه برؤية القمر لتعيين الرؤية، دون تشبيه المرئي سبحانه وتعالى، وقيل : إنما خص الشمس والقمر بالذكر مع أن رؤية السماء بغير سحاب أكبر آية وأعظم خلقاً من مجرد الشمس والقمر، لما خصا به من عظيم النور والضياء، بحيث صار التشبيه بهما فيمن يوصف بالجمال والكمال سائغاً شائعاً في الاستعمال) [٣] .

إذن نصل إلى أهمية هذا الأسلوب الدعوي في إيصال المعنى وتقريبه إلى الأذهان وخصوصاً في المعاني التي لاتدرك حقيقتها، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (في هذا الحديث جواز مخاطبة الشخص بما لا تدرك حقيقته، وجواز التعبير عن ذلك بما

---

(١) - إرشاد الساري، ١/١٠٥ .

(٢) - عمدة القاري، ١/١٧٢ .

(٣) - فتح الباري، ١١/٤٥٥ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/١٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨/ ١٧٢ .

يفهمه، وأن الأمور التي في الآخرة لا تشبه بما في الدنيا إلا في الأسماء والأصل مع المبالغة في تفاوت الصفة والاستدلال على العلم الضروري بالنظري) [١] .

رابعاً - من موضوعات الدعوة العقدية : معرفة الله بأسمائه وصفاته، واليوم الآخر وما فيه من أهوال :

إن موضوع العقيدة من أهم العلوم التي يحتاج لها الناس، فلذا يجب على الداعية أن يتعلم هذا العلم العظيم وما يجب عليه من الإيمان بـا لله ﷻ، وأسمائه وصفاته من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، وكذلك معرفة ما يضادهما ليَحذر ، ويُحذر منه ، وهذا الحديث يؤكد على أهمية هذا الموضوع وأنه لا ينجو من امتحان الآخرة إلا من حسنت عقيدته في ا لله ﷻ، وعرفه بأسمائه وصفاته من كتابه وسنة رسوله ﷺ، يقول العلامة السنوسي -رحمه ا لله- عند شرحه لهذا الحديث: (وهذا آخر الفتن التي يتميز بها من حسنت عقيدته في التوحيد، ومن لا، فلا . ولا ينجو منها إلا من أتقن ما يحتاج إليه من علم التوحيد في الدنيا، وعرف ما يجب في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل) [٢]. وقال -رحمه ا لله- : (وبالجملة فإتقان علم التوحيد عدة عظيمة لكل هول من أهوال الآخرة) [٣].

فلذا ينبغي على الداعية إلى ا لله ﷻ، أن لايعامل نفسه إلا بالحزم والاحتياط،ويجتهد في تحصيل العلم النافع وخاصة منه علم العقيدة والتوحيد.ومن ثم عليه ثانياً: تبليغ هذا العلم للناس ونشره بينهم - كما كان يفعل رسول ا لله ﷺ في هذا الحديث وغيره - وتصحيح ما فسد من عقائدهم، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه العقائد الباطلة والفرق المنحرفة عن دين ا لله سبحانه وتعالى . كما ينبغي للداعية أن يتحدث عن اليوم الآخر وما فيه من أهوال ذكرها ا لله ورسوله ﷺ، لكي يستعد الناس لذلك اليوم وما فيه.

---

(١) - فتح الباري، ٤٧٠/١١ .
(٢) - انظر : مكمل إكمال الإكمال، ٥٥٨/١ .
(٣) - المرجع السابق، ٥٦٧/١ .

خامساً - أهمية ترك الجدال والخصام - بعد البيان - بين الدعاة :

إن في موقف الصحابيين الجليلين أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، درساً عظيماً للدعاة إلى الله تبارك وتعالى، في ترك الجدال والخصام، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يحدث بحديث عن رسول الله ﷺ، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه يستمع له، فلما قال أبوهريرة رضي الله عنه كلاماً يحفظ أبو سعيد رضي الله عنه غيره ، رد عليه ، فقال : (**وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**) . فلم يغضب أبو هريرة رضي الله عنه على ذلك ويأنف من الرد، بل قال له : **مَا حَفِظْتُ إِلا قَوْلَهُ « ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ »** . فعند ذلك أجابه أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه بقوله : (**أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ : « ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ »** . وهنا بعد أن بين كل واحد منهما رأيه وما يحفظ، انتقل أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه إلى حديثه و لم يطل الجدال ، فقال: (**فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا الْجَنَّةَ .**)، وكذلك فعل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حيث سكت عن الجدال بعد أن بين رأيه وما يحفظ عن رسول الله ﷺ . فهل تنبه الدعاة إلى مثل هذا الخلق العظيم الذي كان بين الصحابة رضي الله عنهم، ليعرف السر في نجاحهم وصفاء ما بينهم .

سادساً - أهمية الدعاء للداعية إلى الله تبارك وتعالى :

إن هذا الحديث فيه ترغيب عظيم في دعاء الله تبارك وتعالى، وأنه يعطي من سأله، ولا يرد أحداً أبداً، وإن كان عاصياً لله ومن آخر الناس دخولا للجنة، وذلك يظهر من قوله ﷺ: **« .. وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ . فَيَقُولُ : لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ . فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ . ثُمَّ يَقُولُ : بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ . فَيَقُولُ : أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَلا يَزَالُ يَدْعُو . فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ . فَيَقُولُ : لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ . فَيُعْطِي اللهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ . فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ : رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ يَقُولُ : أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لا**

تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ . فَلا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ فَيَقُولُ لَهُ : هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ »، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفيه فضل الدعاء وقوة الرجاء في إجابة الدعوة ولو لم يكن الداعي أهلا لذلك في ظاهر الحكم، لكن فضل الكريم واسع) (١) .

وهذا حال المقصر فكيف بحال المطيع، وخاصة إذا كان من الدعاة إلى الله ﷻ، فإنه أقرب العباد إليه ﷻ، وأرجى أن يُستجاب له، وخاصة إذا كان الدعاء في طلب العون على الدعوة والطاعة، وهداية الناس .

سابعاً - من صفات المدعوين الطمع :

إن مما طبع عليه ابن آدم وأصبح من صفاته اللازمة، الطمع في الخير والزيادة منه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن موقف آخر أهل النار دخولا للجنة المذكور في هذا الحديث : (وفيه ما طبع عليه الآدمي من قوة الطمع وجودة الحيلة في تحصيل المطلوب) (٢) . لذا ينبغي للدعاة إلى الله توجيه هذه الصفة اللازمة في الإنسان إلى أن يطمع في الزيادة من الخير المشروع، دون الحسد والجشع والظلم للآخرين، كما ينبغي لهم مراعاة هذه الصفة بتقديم بعض المساعدات والعطاءات والحوافز، التي ترغب المدعوين في الدين والإقبال عليه والعمل له .

---

(١) - فتح الباري، ١١/٤٧٠ .

(٢) - المرجع السابق، ١١/٤٧١ .

١٥ - باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال

٢٢ - ٢٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ. قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: الدِّينَ** »(١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - توظيف الرؤى في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً - أسلوب الثناء على الفاضل، من باب التشجيع له، والحث على الاقتداء به.

ثالثاً - أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - توظيف الرؤى في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن مما بقي للإنسان من المبشرات، الرؤيا الصالحة، يقول ﷺ : « **لم يبق من النبوة إلا المبشرات** » قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « **الرؤيا الصالحة** » (٢) . ويقول ﷺ :

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ، برقم ٣٦٩١، ٢٤٣/٤ . **الثاني** : في كتاب التعبير، باب القميص في المنام، برقم ٧٠٠٨، ٩٥/٨ . **الثالث** : في كتاب التعبير، باب جر القميص في المنام، برقم ٧٠٠٩، ٩٦/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ، برقم ٢٣٩٠، ١٨٥٩/٤ .

(٢) - صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، برقم ٦٩٩٠، ٨٩/٨ .

« **الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءً من النبوة** » [١] . لذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، تعلم تعبير الرؤى، وتشجيع الناس على ذكر ما يرون لمن يحبون [٢]، إن كان خيراً، وإن كان شراً فهي حلم من الشيطان، ولا يخبر بها أحداً، يقول ﷺ : « **إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها،وليحدث بها،وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره** » [٣]، ولقد كان رسول الله ﷺ قدوة الدعاة إلى الله، يقول لأصحابه ﷺ : « **هل رأى أحد منكم من رؤيا** »، فيقص عليه من شاء الله أن يقص [٤] . بل كما هو في هذا الحديث الرائي هو رسول الله ﷺ نفسه، يخبر بما رأى ثم يعبرها . يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - عند شرحه لهذا الحديث : (وفيه تعبير الرؤيا وسؤال العالم عنها) [٥] . فتعبير الرؤى من أساليب الدعوة التي ينبغي أن تستغل جيداً، لما فيها من الترغيب والترهيب . وذلك لأن الرائي عندما تُعبر له الرؤيا من داعية إلى الله يُذكره بالله وبحقه عليه، يتأثر بذلك النصح، وخصوصاً عندما يقع التعبير ويراه بعينه .

ثانياً - أسلوب الثناء على الفاضل، من باب التشجيع له، والحث على الاقتداء به:

إن في ثناء الداعية على الفاضل بما فيه وما يستحق، فيه تشجيع وحافز له على الاستمرار والعطاء، وإبراز لما فيه من الخير والصلاح الذي ينبغي أن يعرف لمثله ليُقدر ويُعامل من الناس بمقتضاها، بل وفيه حث للآخرين على الاقتداء به وما فيه من خير، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - عن هذا الحديث :(وفيه إشاعة العالم - الداعية -

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءً من النبوة، برقم ٦٩٨٩، ٨٩/٨ .

(٢) - قيدت رواية الإمام مسلم - رحمه الله - الإخبار بالرؤيا لمن يحب الإنسان، لأن الإخبار بها غير المحب يورث البغض والحسد . (انظر : الحديث رقم ٢٣٩٠، ١٨٥٩/٤) .

(٣) - صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، برقم ٦٩٨٥، ٨٨/٨ .

(٤) - المصدر السابق ، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم ٧٠٤٧، ١٠٨/٨.

(٥) - الكواكب الدراري، للكرماني، ١١٩/١ .

الثناء على الفاضل من أصحابه إذا لم يخش فتنة بإعجاب ونحوه، فيكون الغرض التنبيه على فضله لتعلم منزلته، ويعامل بمقتضاها، ويرغب في الاقتداء به، والتخلق بأخلاقه) [١].

ثالثاً - أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن مما يُؤكّدُ عليه هو أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله ﷻ، وذلك لما يُقرّبه ويُوصِله من المعاني إلى أذهان المدعوين وقلوبهم، فمثلا : في هذا الحديث يظهر من تشبيه رسول الله ﷺ الدين بالقميص، بأن الدين ستر لصاحبه من النار وكل مكروه، كما أن الثوب ستر للإنسان من أن يُنظر إلى عورته، يقول الله تعالى : ﴿ ولباس التقوى ذلك خير﴾[٢]. يقول العلامة العيني - رحمه الله - عن هذا الحديث : (وفيه من التشبيه البليغ، وهو أنه شبه الدين بالقميص، ووجه التشبيه الستر، وذلك أن القميص يستر عورة الإنسان، ويحجبه من وقوع النظر عليها، فكذلك الدين يستره من النار، ويحجبه عن كل مكروه، فالرسول ﷺ إنما أوله الدين بهذا الاعتبار) [٣] .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١/١١٩ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٢/٤١٣ . وعمدة القاري، للعيني، ١/١٧٥ .

(٢) - سورة الأعراف، الآية : ٢٦ .

(٣) - عمدة القاري، ١/١٧٤ .

١٦ - باب الحياء من الإيمان

٢٣ - ٢٤ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِم بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ** » (١).

وفي رواية : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ يَقُولُ : إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي . حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ : قَدْ أَضَرَّ بِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الدعوة الفردية (أي تناصح المسلمين ووعظ بعضهم بعضاً) .

ثانياً – من صفات الداعية الحياء .

ثالثاً – أهمية مخالطة الداعية لمجتمعه، وإنكاره المنكرات .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية الدعوة الفردية (أي تناصح المسلمين ووعظ بعضهم بعضاً) :

في هذا الحديث يظهر ما كان عليه الصحابة ﷺ من تناصح، ودعوة بعضهم بعضاً، فهذا أحد الصحابة ﷺ كان يعظ أخاه أي ينصحه و يخوفه ويذكره ويزجره عن كثرة

---

(١) – طرفه : كتاب الأدب، باب الحياء، برقم ٦١١٨، ٧/١٣١ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، برقم ٣٥، ١/٦٣ .

(٢) – كتاب الأدب، باب الحياء، برقم ٦١١٨، ٧/١٣١ .

الحياء لما رأى فيه من الحياء الشديد، الذي ظن أنه يضرُّ به [(١)]، فقال له رسول الله ﷺ مصححاً هذا الظن : « **دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ** » . ولذا نقول إن مما ينبغي للداعية التنبه إليه، أن النصيحة والوعظ لا يقبل من أحد إلا إذا كان في موضعه الصحيح، يقول العلامة العيني - رحمه الله - ومن فوائد هذا الحديث : (الدلالة على أن النصيحة إنما تعدّ إذا وقعت موقعها والتنبيه على زجر مثل هذا الناصح) [(٢)] . لذا فليحرص الدعاة على نشر النصيحة وتذكير بعضهم بعضاً، وخصوصاً إذا ظهر على أحدهم خطأ أو معصية، وذلك بحكمة وأسلوب حسن .

ثانياً - من صفات الداعية الحياء :

إن في قول رسول الله ﷺ للصحابي الناصح : « **دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ** ». ترغيباً في هذه الصفة وحثاً عليها ولو كان ذلك الحياء شديداً، لأنه من الإيمان، والزيادة في الإيمان شيء مطلوب، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (إن في قول رسول الله ﷺ: « **دَعْهُ** » أي اتركه على هذا الخلق السني، ثم زاده في ذلك ترغيباً لحكمه بأنه من الإيمان) [(٣)] . فاتصاف الداعية بهذا الخلق العظيم يُعدّ من أعظم صفات الداعية الناجح، فهذا رسول الله ﷺ الذي لنا فيه أسوة حسنة كان أشد حياءً من العذارء في خدرها [(٤)]. ولكنه كان لا يستحي من الحق . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (إن المراد بالحياء في هذه الأحاديث ما يكون شرعياً، والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياء شرعياً بل هو عجز ومهانة، وإنما يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء الشرعي، وهو خلق يبعث على ترك القبيح - إلى أن قال نقلا عن بعض العلماء رحمهم الله - الحياء

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٩٤/١ . وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٢٥٨/٤ .

(٢) - عمدة القاري، ١٧٧/١ .

(٣) - فتح الباري، ٩٤/١ .

(٤) - انظر : صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، ٦١١٩، ١٣١/٧ .

المكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان، وهو المكلف به دون الغريزي، غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب، وقد ينطبع بالمكتسب حتى يصير غريزاً، وكان النبي ﷺ قد جُمع له النوعان، فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان في الحياء المكتسب في الذروة العليا ﷺ) (١) .

ثالثاً - أهمية مخالطة الداعية لمجتمعه، وإنكاره المنكرات :

يظهر من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ كان يخالط المجتمع، ويعلم أخباره، وما يقع فيه من أخطاء ومنكرات، يقول الإمام الزرقاني نقلا عن بعض العلماء - رحمهم الله جميعاً - : (وزجره ﷺ للواعظ لعلمه أن الرجل لا يضره كثرة الحياء، وإلا فقد تكون كثرته مذمومة) (٢) . وهذا الكلام على تقدير أن الحياء بمعناه الغريزي، فرسول الله ﷺ يعرف الناس ويخالطهم، فهو هنا أولاً : رأى هذا المنكر، فأنكره . وثانياً : يعرف الناس وأن هذا لا يضره كثرة الحياء .

لذا فينبغي للدعاة إلى الله مخالطة مجتمعاتهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها، ونصح الناس ووعظهم . تأسياً برسول الله ﷺ .

---

(١) - فتح الباري، ٥٣٩/١٠ .

(٢) - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٢٥٨/٤ .

١٧ - باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [(١)]

٢٤ - ٢٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ** » [(٢)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

أولاً - أهمية الجهاد في سبيل الله ﷻ .

ثانياً - أهمية مراعاة أوليات الدعوة .

ثالثاً - أمور المدعوين محمولة على الظاهر دون الباطن .

رابعاً - أهمية إصلاح القلب قبل الجوارح .

خامساً - من خصائص الدعوة الإسلامية : أنها عامة لكافة البشر .

سادساً - أهمية الجمع بين القول والعمل .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية الجهاد في سبيل الله ﷻ :

إن من أعظم وسائل نشر هذا الدين الجهاد في سبيل الله ومقاتلة الكفار، فهو من أصول الدين التي يجب القيام بها اقتداءً برسول الله ﷺ، يقول الإمام زين الدين العراقي

---

(١) - سورة التوبة، الآية : ٥ .

(٢) - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، برقم ٢٢، ٥٣/١ .

- رحمه الله - : (أمر الله نبيه ﷺ بمقاتلة الناس حتى يدخلوا في الإسلام، فامتثل ذلك، وأخبر عن نفسه، لأنه لا يزال يفعله، ولهذا سمي نبي الملحمة، أي القتال، وفيه أن الجهاد من أصول الدين التي يجب القيام بها، فإن الأمر له، أمر لجميع أمته، إلا ما قام الدليل على اختصاصه به، وفائدة توجيه الخطاب إليه، أنه الداعي إلى الله تعالى والمبين عنه) [1] .

والقتال إنما يكون لمن أخل بشرط من الشروط المذكورة في الحديث، يقول الله ﷻ : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ [2]، ويقول الله تعالى: ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ [3] . وثبت أن النبي ﷺ كان إذا غزا قوماً لم يُغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً، وإلا أغار عليهم. فهذا كله يدل على أنه كان يعتبر حال الداخلين في الإسلام، فإن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وإلا لم يمتنع عن قتالهم، وفي هذا وقع تناظر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله** » فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضي الله عنه: فوالله ماهو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق)[4].

ويستثنى من المقاتلة إلى غاية الإسلام الواردة في الحديث أهل الكتاب، لقول الله

---

(١) - طرح التثريب في شرح التقريب، ١٨٠/٧، بدون تاريخ، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) - سورة التوبة، الآية : ٥ .

(٣) - سورة التوبة، الآية : ١١ .

(٤) - صحيح الإمام البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٣٥/٢ . وصحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، برقم ٢٠، ٥١/١ .

سبحانه وتعالى عنهم : ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (١) . يقول الإمام زين الدين العراقي - رحمه الله - : (المقاتلة إلى غاية الإسلام يستثنى منها أهل الكتاب، فإنهم يقتلون إلى إحدى غايتين : إما الإسلام، أو بذل الجزية) (٢) .

ثانياً - أهمية مراعاة أوليات الدعوة :

إن في هذا الحديث ترتيباً لبعض موضوعات الدعوة إلى الله ﷻ، وأولياتها، فقول رسول الله ﷺ : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ** »، ثم قيده بشرط وغاية، وهي : « **حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله** »، وهذا فيه بيان وترتيب لموضوعات الدعوة وأولياتها، فالتوحيد وشهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، يأتي على صدر هذا الموضوعات، وفي مقدمتها، ثم بعد ذلك يأتي باقي الموضوعات من الصلاة، ثم الزكاة، ثم باقي أركان الإسلام ومبانيه العظام.

وإن مما يؤكد على عظم شأن التوحيد، هو أن هذا الحديث جاء فيه، أنه بمجرد ما يقول الإنسان ويتلفظ بالشهادة، يعصم دمه وماله، يقول العلامة العيني -رحمه الله- : (فيه اشتراط التلفظ بكلمتي الشهادة في الحكم بالإسلام، وأنه لا يكف عن قتالهم إلا بالنطق بهما) (٣) .

ومما يبين أهمية التوحيد والشهادتين، ما رواه الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلا مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ : أَسْلَمْتُ لله . أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ الله بَعْدَ أَنْ قَالَهَا .

---

(١) - سورة التوبة، الآية : ٢٩ .
(٢) - طرح التثريب في شرح التقريب، ١٨٣/٧ .
(٣) - عمدة القاري، ١٨٢/١ .

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لا تَقْتُلْهُ** » . فَقَالَ يَا رَسُولَ الله : إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لا تَقْتُلْهُ . فَإِنْ قَتَلْتَهُ ؛ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ** » (١) .

وهذا أيضاً حديث آخر يبين أهمية هذا الأمر وعظم شأنه، فعن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما، قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ . قَالَ : فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ . قَالَ : وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلا مِنْهُمْ . قَالَ : فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا الله. قَالَ : فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ . فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : فَقَالَ لِي: « **يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لا إِلَهَ إِلا الله** » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا . قَالَ:« **أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلا الله**». قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لم أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ (٢) .

إذن فأمر العقيدة، والإيمان با لله ورسوله ﷺ، عظيم جداً، وذو أهمية كبيرة، فهو يجب أن يكون على رأس سلم أوليات الدعوة، وأن يأخذ مكاناً كبيراً من حديث الداعية إلى ا لله تعالى ودعوته .

ثالثاً - أمور المدعوين محمولة على الظاهر دون الباطن :

من القواعد المهمة التي ينبغي للدعاة إلى ا لله أن يتفطنوا إليها في التعامل مع المدعوين، أن أمورهم تُحمل على الظاهر، دون الباطن . فرسول ا لله ﷺ يقول في هذا الحديث إنه سيقاتل الناس حتى يرى منهم أموراً ظاهرة، وهي الشهادة، والصلاة، والزكاة، أمّا الباطن فقال عنه : « **وَحِسَابُهُمْ عَلَى ا لله** »، يقول الحافظ ابن رجب - رحمه ا لله - عن ذلك : (يعني أن الشهادتين مع إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا، إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة فحسابه على ا لله عزّ

---

(١) - صحيح الإمام البخاري، كتاب المغازي، باب رقم ١٢، برقم ٤٠١٩، ٢٤/٥ .

(٢) - المصدر السابق، كتاب الديات، باب قول الله تعالى : { ومن أحياها }، برقم ٦٨٧٢، ٤٨/٦ .

وجلّ، فإن كان صادقاً أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذباً فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار) (١) .

يقول الشيخ / محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - : (ولسنا مكلفين بأن نبحث عما في قلوب الناس، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ (٢)، يعني المشركين إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة؛ فخلوا سبيلهم وأمرهم إلى الله، إن الله غفور رحيم .

وبذلك يكون العمل بالظواهر ؛ فإذا شهد إنسان أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، عصم دمه وماله، وحسابه على الله، فليس لنا إلا الظاهر) (٣) .

إذن فمعاملة الدعاة إلى الله بعضهم لبعض، وتعاملهم ونظرتهم للناس بصفة عامة، يجب أن تكون مبنية على الظاهر، لا على نواياهم وما يضمرون، لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وظنُّ الناس في هذا - أي نوايا الناس وما في قلوبهم - يحتمل الخطأ بنسبة كبيرة، لذا قال الله ﷻ محذراً من ذلك الأمر : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ (٤) .

ثالثاً - أهمية إصلاح القلب قبل الجوارح :

إذا كانت أمور المدعوين محمولة على الظاهر دون الباطن، فهذا في الدنيا، أما في

---

(١) - جامع العلوم والحكم، ص١٢٣ . وانظر : شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح ، لشرف الدين الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي ، تحقيق / د - عبدالحميد هنداوي ، ١/٤٥٤ ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ط مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكه المكرمه .

(٢) - سورة التوبة، الآية : ٥ .

(٣) - شرح رياض الصالحين، ٣٢٧/٥ .

(٤) - سورة الحجرات، الآية : ١٢ .

الآخرة فالإنسان يحاسب على ما في قلبه، يقول ا لله ﷻ : ﴿ إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر ﴾ [١] . يقول الشيخ / محمد بن صالح العثيمين : (فالإنسان يوم القيامة يحاسب على ما في قلبه، وفي الدنيا على ما في لسانه وجوارحه - إلى أن قال - فاحرص يا أخي على طهارة قلبك قبل طهارة جوارحك .

كم من إنسان يصلي، ويصوم، ويتصدق، ويحج، ولكن قلبه فاسد .وهاهم الخوارج حدّث النبي ﷺ، أنهم يصلون، ويصومون، ويتصدقون، ويقرأون القرآن، ويقومون الليل، ويبكون، ويتهجدون، ويحقر الصحابي صلاته عند صلاتهم، لكن قال النبي ﷺ : « **لا يجاوز إيمانهم حناجرهم** » [٢] . لا يدخل الإيمان قلوبهم، مع أنهم صالحو الظواهر، لكن ما نفعهم . فلا تغتر بصلاح جوارحك، وانظر قبل كل شيء إلى قلبك) [٣] .

إذن فعلى الدعاة إلى ا لله التنبه لهذا الأمر، سواء فيما يتعلق بقلوبهم وجوارحهم، أو تربيتهم ودعوتهم للناس، حيث يرشدونهم إلى أهمية طهارة القلب وصلاحه، وأن لا يغتروا بأعمالهم وكثرتها، فإنها إذا لم تكن من قلب مؤمن صالح، تُردُّ عليه، كما لم تنفع الخوارج أعمالهم الكثيرة .

رابعاً - من خصائص الدعوة الإسلامية : أنها عامة لكافة البشر :

إن قول رسول ا لله ﷺ : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ ..** » ، فيه دليل على عموم رسالته، فكلمة الناس تشمل جميع البشر، يقول العلامة العيني - رحمه ا لله - إن : (الألف واللام في - كلمة - الناس للجنس) [٤] أي جنس الناس، فيدخل في ذلك جميع

---

(١) - سورة الطارق، الآية : ٨ و٩ .

(٢) - صحيح الإمام البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، برقم ٦٩٣٠، ٦٦/٨ .

(٣) - شرح رياض الصالحين، ٣٢٦/٥ .

(٤) - عمدة القاري، ١٨١/١ .

البشر بأديانهم وأجناسهم .

إذن فرسالة نبينا محمد ﷺ موجهة لجميع البشر، ومطالبٌ كل إنسان بالإيمان بها والعمل بشريعتها.

خامساً - أهمية الجمع بين القول والعمل :

في هذا الحديث حثٌّ على الجمع بين القول والعمل، فالقول في الحديث هو قوله ﷺ : « .. **حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا ا للهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ا للهِ** »، والعمل هو قوله ﷺ : « **وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** .. »، ثم قال: « .. **فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ** - أي جمعوا بين القول العمل - **عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى ا للهِ** »، إذن لا يَعصِمُ دم الإنسان وماله من القتال إلا الجمع بين القول العمل، فالقول هو النطق بالشهادة والإيمان، والعمل بهذا القول هو إقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

١٨ - باب من قال إن الإيمان هو العمل، لقول الله تعالى :

﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ (١) .

٢٥ - ٢٦ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالا : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ا لله ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ . فَقَالَ : « **إِيمَانٌ بِا لله وَرَسُولِهِ** ». قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا . قَالَ:« **الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ا لله** ». قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا . قَالَ : « **حَجٌّ مَبْرُورٌ** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين .

ثانياً – أهمية صبر الداعية على المدعوين .

ثالثاً – فضل الإيمان با لله ﷻ ، ورسوله ﷺ، وأهميته الدعوية .

رابعاً – فضل الجهاد في سبيل ا لله وأهميته الدعوية.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية مراعاة أحوال المدعوين :

إن في هذا الحديث ما يؤكد على أهمية مراعاة أحوال المدعوين وحاجاتهم وظروفهم وأزمنتهم وأمكنتهم، فرسول ا لله ﷺ أجاب هنا عن السائل بجواب يختلف عن

---

(١) – سورة الزخرف، الآية : ٧٢ .

(٢) – طرفه : كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم ١٥١٩، ٢/١٧٣ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، برقم ٨٣، ١/٨٨ .

جوابه لمن سأله في حديث أبي موسى ﷺ (١) ، أو من سأله في حديث ابن عمرو ﷺما (٢)، يقول القاضي عياض - رحمه الله - عن ذلك : (أعلم كل قوم بما لهم إليه حاجة، وترك ما لم تدعهم إليه حاجة، أو ترك ما تقدم علم السائل إليه، أو علمه بما لم يكمله من دعائم الإسلام ولا بلغه عمله، وقد يكون للمتأهل للجهاد، الجهاد في حقه أولى من الصلاة وغيرها، وقد يكون له أبوان لو تركهما لضاعا، فيكون برهما أفضل لقوله عليه السلام : « **ففيهما فجاهد** » (٣) . وقد يكون الجهاد أفضل من سائر الأعمال عند استيلاء الكفار على بلاد المسلمين . قلت الحاصل أن اختلاف الأجوبة في هذه الأحاديث لاختلاف الأحوال، ولهذا سقط ذكر الصلاة والزكاة والصيام في هذا الحديث المذكور في هذا الباب، ولا شك أن الثلاث مقدمات على الحج والجهاد) (٤) .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله أن يراعوا أحوال المدعوين، فما يقال لإنسان، قد لا يقال لآخر، وما يجوز لإنسان، قد لا يجوز لآخر، وما يجب على أحد، قد لا يجب على آخر، وهكذا تختلف الأجوبة والموضوعات التي يطرقها الداعية بحسب ما يراه من الحكمة بعد النظر في أحوال المدعوين ومصلحتهم وحاجتهم .

ثانياً - أهمية صبر الداعية على المدعوين :

إن من يدعو الناس ويرشدهم ويتصدر لهذا الأمر، لابد له أن يجد من بعض المدعوين الأذى والمشقة، ولا أقل من أن يجد منهم من يسأل عن بعض المسائل والقضايا الخاصة به، فلذا كان من الصفات اللازمة له ، التحلي بالصبر عليهم ولو أكثروا عليه في المسألة، يقول الإمام النووي - رحمه الله - إن مما يستفاد من هذا الحديث : (صبر المفتي والمعلم على

---

(١) - انظر : ص ١٤٢ ، من هذا البحث .

(٢) - انظر : ص١٤٥ ، من هذا البحث .

(٣) - صحيح الإمام البخاري،كتاب الجهاد والسير،باب الجهاد بإذن الأبوين،برقم ٣٠٠٤، ٢٣/٤ .

(٤) - نقلاً عن : عمدة القاري، ١٨٩/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠٥/١٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٣٧/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٩٩/١ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ١١٠/١ .

من يفتيه أو يعلمه، واحتمال كثرة مسائله وتقريراته) [١] .

ثالثاً - فضل الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وأهميته الدعوية :

إن في إجابة رسول الله ﷺ على من سأله عن أفضل الأعمال بقوله أولاً : « **إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ** »، دليل على فضل الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وأنه من أعظم الأعمال وأشرفها، يقول الإمام النووي – رحمه الله – : إن أفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان، ثم تأتي باقي الأعمال، ويعرف فضل بعضها على بعض بدلائل تدل عليها، وتختلف باختلاف الأحوال والأشخاص [٢] .

ولذا ساق الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم رحمهما الله، على هذا الحديث في كتاب الإيمان ترجمة قال فيها:(باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال) [٣].

إذن فينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، أن يعطوا موضوع الإيمان بالله ورسوله ﷺ، من الأهمية ما يستحقه، فهو أفضل الأعمال على الإطلاق، وأشرف موضوع يمكن أن يتحدثوا عنه، ويدعون إليه .

رابعاً - فضل الجهاد في سبيل الله وأهميته الدعوية :

إن في جواب رسول الله ﷺ لمن سأله عن أفضل الأعمال ، بذكر الجهاد قبل الحج مع أن الحج من أركان الإسلام، يبرز أهميته الكبيرة في الدعوة إلى الله ﷻ [٤] . وقد يقال هذا الجواب كان مراعاة للأحوال والظروف والحاجات، وقد يقال إن هذا من باب تفضيل الجهاد في سبيل الله على الحج إذا تساويا في الوجوب، أو النفل، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : (فإن قيل كيف قدم الجهاد على الحج، مع أن الحج من أركان الإسلام، والجهاد فرض كفاية، يقال : إنما قدمه للاحتياج إليه أول الإسلام ومحاربة

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٩/٢ .

(٢) – انظر : المرجع السابق، ٧٨/٢ .

(٣) – المرجع السابق، ٧٨/٢ .

(٤) – انظر ص٢٠٠ ، من هذا البحث .

الأعداء - أي مراعاة الأحوال والظروف والأزمنة والأمكنة - ويقال : إن الجهاد قد يتعين كسائر فروض الكفاية، وإذا لم يتعين لم يقع إلا فرض كفاية، وأما الحج فالواجب منه حجة واحدة، وما زاد نفل، فإن قابلت واجب الحج بمتعين الجهاد كان الجهاد أفضل لهذا الحديث، ولأنه شارك الحج في الفرضية، وزاد بكونه نفعاً متعدياً إلى سائر الأمة، وبكونه ذباً عن بيضة الإسلام - إلى أن قال - فإن قابلت نفل الحج بغير متعين الجهاد، كان الجهاد أفضل لما أنه يقع فرض كفاية، وهو أفضل من النفل بلا شك) [١] .

(١) - عمدة القاري، ١٨٩/١ .

١٩ - باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى :

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ (١) .

٢٦ - ٢٧ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ ابْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ سَعْدٍ (٢) ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ. فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلا (٣). هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا . فَقَالَ : « **أَوْ مُسْلِمًا** » فَسَكَتُّ قَلِيلا . ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا . فَقَالَ: « **أَوْ مُسْلِمًا** » ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي . وَعَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « **يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي**

---

(١) - سورة الحجرات : الآية : ١٤ .

(٢) - هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، الأمير أبو أسحاق القرشي الزهري المكي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد، وكان يقال له فارس الإسلام، وأحد الستة أهل الشورى ﷺ . وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأول من أراق دماً في سبيل الله، روى جملة صالحة من الحديث، وله في الصحيحين خمسة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بثمانية عشر حديثاً . حدث عنه ابن عمر، وعائشة، وابن عباس ﷺ، وخلق سواهم . قال له رسول الله ﷺ : « ارم فداك أبي وأمي » فكان سعد ﷺ يقول : جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد . وكان مجاب الدعوة، اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان ﷺ، توفي سنة خمس وخمسين، وقيل سبع وخمسين وقيل غير ذلك .(انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١٥٨/١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٩٢/١ - ١٢٤ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٢١٣/١، ترجمة رقم ٢٠٥. والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ١٦٠/٤ - ١٦٥، ترجمة رقم ٣١٨٧ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٢/١) .

(٣) - قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : هذا الرجل هو جعيل ﷺ وهو من المهاجرين . (فتح الباري، ١٠١/١)

الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ ا للهُ فِي النَّارِ » (١) .

وفي رواية : (قَالَ : أَعْطَى رَسُولُ ا للهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ : فَتَرَكَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ مِنْهُمْ رَجُلا لم يُعْطِهِ وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ ا للهِ ﷺ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ : ...) .

وفيها : فَضَرَبَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ بِيَدِهِ فَجَمَعَ بَيْنَ عُنُقِي وَكَتِفِي ثُمَّ قَالَ : « **أَقْبِلْ أَيْ سَعْدُ . إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ..** » .

وفيها : « .. **خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ** » . (٢)

شرح غريب الحديث :

(**رَهْطًا**) – عدد من الرجال من ثلاثة إلى عشرة، وربما جاوزوا ذلك قليلا، ولا واحد له من لفظه (٣) .

« **يَكُبَّهُ** » – قَالَ أَبو عَبْد ا للهِ : (فَكُبْكِبُوا) قُلِبُوا فَكُبُّوا، (مُكِبًّا) أَكَبَّ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ فِعْلُهُ غَيْرَ وَاقِعٍ عَلَى أَحَدٍ . فَإِذَا وَقَعَ الْفِعْلُ، قُلْتَ : كَبَّهُ ا للهُ لِوَجْهِهِ وَكَبَبْتُهُ أَنَا (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) – طرفه: كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: { لا يسألون الناس إلحافاً } برقم ١٤٧٨، ١٥٩/٢ .
وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، برقم ١٥٠، ١٣٢/١ .

(٢) – كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: { لا يسألون الناس إلحافاً }، برقم ١٤٧٨، ١٥٩/٢ .

(٣) – انظر : فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١٠٠/١ .

(٤) – صحيح البخاري : كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: { لا يسألون الناس إلحافاً }، برقم ١٤٧٨، ١٥٩/٢ .

أولاً – من وسائل الدعوة إلى ا لله، التأليف بالمال .

ثانياً – أهمية سماع الداعية لأسئلة المدعوين وتنبيهاتهم .

ثالثاً – أهمية التثبت من الأمر والأناة فيه .

رابعاً – من أساليب الدعوة إلى ا لله الشفاعة الحسنة .

خامساً – أهمية الإسرار بالنصيحة .

سادساً – أهمية القسم في التأكيد .

سابعاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من وسائل الدعوة إلى الله ، التأليف بالمال :

إن من وسائل الدعوة التي قد تفيد مع صنف معين من الناس، وخاصة من كان منهم حديث العهد بالإسلام، أوضعيف الإيمان، إعطاءه من المال تأليفاً لقلبه وترغيباً له في الدين وأهله، وفي هذا الحديث نجد أن رسول ا لله ﷺ يبين ذلك الأمر بفعله، ثم يؤكد على ذلك بقوله : « **إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ ا للهُ فِي النَّارِ** »، يقول الإمام الكرماني – رحمه ا لله – عن ذلك : (أي أتألف قلبه بالإعطاء مخافة من كفره ونحوه إذا لم يعط، والتقدير أنا أعطي من في إيمانه ضعف ؛ لأني أخشى عليه لو لم أعطه، أن يعرض له اعتقاد يكفر به، فيكبه ا لله تعالى في النار، كأنه أشار إلى المؤلفة، أو إلى من إذا منع، نسب رسول ا لله ﷺ إلى البخل، وأما من قوي إيمانه فهو أحب إليّ، فأكله إلى إيمانه ولا أخشى عليه رجوعاً عن دينه، ولا سوء اعتقاد، ولا ضرراً فيما يحصل له من الدنيا) (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى ا لله الاهتمام بهذه الوسيلة تأليفاً لقلوب بعض الناس وتقوية

---

(١) – الكواكب الدراري، ١٣١/١ .وانظر : فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١٠١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٥/١ .

لإيمانهم، ولأهمية هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى، جعل الله عز وجل من مصارف الزكاة المؤلفة قلوبهم، فقال - جل وعلا - : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ (١) .

ثانياً - أهمية سماع الداعية لأسئلة المدعوين وتنبيهاتهم :

إن مما ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام به، تربية المدعوين وحثهم على السؤال والاستفسار عما يشكل عليهم وتنبيههم على أهمية ذلك، وأن لا يأنف الدعاة إلى الله من ذلك، حتى لا يبقى في نفس الإنسان شك أو شيء يقلقه، فهذا رسول الله ﷺ يسمع لسؤال سعد رضي الله عنه عن سبب إعطائه بعض الناس وتركه من هو خير منهم، ويُجيبه عن ذلك من غير إنكار عليه، مما يبين أن رسول الله ﷺ لايكره ذلك من أصحابه رضي الله عنهم، بل يرضاه لهم، لذا قال بعض العلماء - رحمهم الله - عن هذا الحديث : وفيه أن المفضول ينبه الفاضل على ما يراه من المصلحة، لينظر فيه الفاضل (٢) .

ثالثاً - أهمية التثبت من الأمر والأناة فيه :

إن في هذا الحديث توجيهاً نبوياً كريماً بأن يتثبت الإنسان من قوله وأمره قبل أن يقدم عليه، يقول بعض أهل العلم - رحمهم الله - : إن في هذا الحديث الأمر بالتثبت وترك القطع بما لا يعلم فيه القطع (٣) .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يعطوا الأمور والأقوال من العناية والتثبت قبل الإقدام

---

(١) - سورة التوبة، الآية : ٦٠ .
(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١/١٣١ . وفتح الباري ،لابن حجر العسقلاني، ١/١٠٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١/١٩٥ .
(٣) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ١/١٣١ . وفتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١/١٠٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١/١٩٥ .

عليها شيئاً كثيراً من الحرص والبحث والتأكد منها، حتى لا يقعوا في أمر يندمون عليه بسبب العجلة والاستعجال .

رابعاً - من أساليب الدعوة إلى الله الشفاعة الحسنة :

إن الشفاعة الحسنة أمر مشروع، وفيها مساعدة على قضاء حوائج الناس مما يزيد في قوة ترابط المجتمع المسلم، وانتشار المحبة والوئام فيه، فهذا سعد بن أبي وقاص ﷺ يشفع للرجل الذي يظن فيه الخير عند رسول الله ﷺ ليعطيه من بيت مال المسلمين، قال بعض العلماء - رحمهم الله - : يؤخذ من ذلك جواز الشفاعة إلى ولاة الأمر وغيرهم [١] .

فينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يشفع للناس فيما يشرع له، ويساعدهم على قضاء حوائجهم عند من يعرف، أو من يقبل منه الشفاعة، يقول الله ﷻ : ﴿ **ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفلٌ منها وكان الله على كل شيء مقيتا** ﴾ [٢] . فبشفاعة الداعية للناس يكسب قلوبهم ، ويحببهم إليه، ويقضي حوائجهم، ويرفع الظلم عنهم إن وجد . وفي هذا خير عظيم .

خامساً - أهمية الإسرار بالنصيحة :

النصيحة شأنها عظيم وفضلها كبير [٣]، ولكن المهم فيها أن تكون في السر، فهذ الصحابي الجليل سعد ﷺ ينصح رسول الله ﷺ في عدم إعطائه الرجل الذي يظن أنه من خير من سأله العطاء، ولكن في السر، يقول ﷺ : (**فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَسَارَرْتُهُ** ..)، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك : (إن الإسرار بالنصيحة

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨١/٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٣١/١ . وفتح الباري ،لابن حجر العسقلاني، ١٠٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٥/١ .

(٢) - سورة النساء، الآية : ٨٥ .

(٣) - انظر ص٣٤٠ من هذا البحث .

أولى من الإعلان) [١] . فالنصيحة إذا كانت في السر، كانت أدعى للاستجابة والعمل بها، وإذا أعلنت كانت نوعاً من التوبيخ .

يقول الإمام ابن رجب - رحمه الله - : (وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً حتى قال بعضهم : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه، وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير) [٢] .

سادساً - أهمية القسم في التأكيد :

إن القسم له فائدة في تأكيد الكلام، فهذا سعد بن أبي وقاص ﷺ في هذا الحديث يقسم على ظنه في الرجل للتأكيد عليه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (قوله: فوالله، فيه القسم في الإخبار على سبيل التأكيد) [٣] . فعندما يريد الداعية التأكيد على شيء فإنه لا حرج عليه أن يقسم عليه .

سابعاً - أهمية مراعاة أحوال المدعوين :

إن في هذا الحديث ما يدل على اهتمام رسول الله ﷺ بمراعاة أحوال المدعوين وعنايته بمراعاتها، حيث فرق في الإعطاء بين من لم يتمكن الإيمان من قلبه، ومن كان قلبه ممتلئاً بالإيمان، وبين سبب ذلك بأنه يخشى على الصنف الأول من أن يُكب على وجهه في النار، وأمّا الصنف الثاني فلا خوف عليه لعظم إيمانه .

إذن فتفريق رسول الله ﷺ في الإعطاء بين راسخي الإيمان وبين حديثي العهد بالكفر، يتجلى فيه مدى اهتمام رسول الله ﷺ بمراعاة أحوال المدعوين، مما يؤكد على الدعاة إلى الله الاهتمام بهذا الأمر، والعناية به، والتفطن له [٤] .

---

(١) - فتح الباري، ١٠٢/١ .
(٢) - جامع العلوم والحكم، ص١١٤ .
(٣) - فتح الباري، ١٠٠/١ .
(٤) - انظر : من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين، للدكتور /فضل إلهي بن ظهور إلهي، ص١٠٢،١٠٦، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، نشر إدارة ترجمان الإسلام، باكستان .

٣١ - باب كفران العشير، وكفر دون كفر

٢٧ - ٢٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ** » قِيلَ : أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ . قَالَ : « **يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ** » (١).

وفي رواية : قَالَ : انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « **أُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ** » (٢) .

وفي رواية : قَالَ : خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ . قَالَ : « **إِنِّي أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا** » (٣) .

وفي رواية : قَالَ : انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الصلاة، باب من صلى وقدامه تنور أو نار أو شئ مما يعبد فأراد به الله تعالى، برقم، ٤٣١، ١٢٨/١ . **الثاني** : في كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، برقم ٧٤٨، ٢٠٤/١ . **الثالث** : في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة، برقم : ١٠٥٢، ٣٤/٢ . **الرابع** : في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر، برقم ٣٢٠٢، ٩١/٤ . **الخامس** : في كتاب : النكاح، باب كفران العشير، برقم ٥١٩٧، ١٨٥/٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب العيدين، بدون باب، برقم ٨٨٤، ٦٠٢/٢ .

(٢) - كتاب الصلاة، باب من صلى وقدامه تنور أو نار أو شئ مما يعبد فأراد به الله تعالى، برقم، ٤٣١، ١٢٨/١ .

(٣) - كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، برقم ٧٤٨، ٢٠٤/١ .

ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ ﷺ : « **إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَ** » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ قَالَ ﷺ : « **إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ** .. » [١] .

شرح غريب الحديث :

« **يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ** » – العشير الزوج، وكفرانهن سترهن نعمة الأزواج عليهن وغمطها [٢] .

« **تَكَعْكَعْتَ** » – أي تأخرت [٣] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أسلوب الترغيب والترهيب .

ثانياً– من صفات الداعية الخوف من الله ﷻ .

ثالثاً – من كمال نصح الداعية إنكاره ما يخشى اعتقاده بين الناس .

رابعاً – أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ .

خامساً – أهمية مراجعة المدعوين للداعية فيما يشكل عليهم .

سادساً – من أصناف المدعوين النساء، وبعض سماتهن .

---

(١) – كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة، برقم : ١٠٥٢، ٢/٣٤ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١/١٣٦ .

(٣) – فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٢/٦٢٩ .

سابعاً – من موضوعات الدعوة بيان حقوق الزوج .

ثامناً – أهمية بيان أن هناك كفر دون كفر .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أسلوب الترغيب والترهيب :

في هذا الحديث ترغيب وترهيب، وذلك بذكر رسول الله ﷺ، الجنة والنار، وما رآه فيهما، وبعض أهلهما : « **إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ** .. » وذِكرُ هذا من رسول الله ﷺ لصحابته ﷺ من باب الترغيب والترهيب لهم، وخاصة النساء منهم، وبيان عظم حقّ الأزواج عليهن، يقول العلامة العيني – رحمه الله – إن مما يستفاد من هذا الحديث : تحريم كفران الحقوق والنعم، إذ لا يدخل النار إلا بارتكاب حرام، وتوعده على كفران العشير وكفران الإحسان بالنار ، يدل على أنهما من الكبائر [(١)] . ويقول ابن بطال – رحمه الله – : (إن شكر المنعم واجب، ومنها الدلالة على عظم حق الزوج والدليل عليه قوله ﷺ : « **لَوْ كُنْتُ آمِرًا بَشَرًا يَسْجُدُ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا** » [(٢)]، ولأجل هذا المعنى خص كفران العشير من بين أنواع الذنوب، وقرن فيه حق الزوج على الزوجه بحق الله، فلذلك أطلق عليها الكفر، لكنه كفر لا يخرج من الملة) [(٣)] .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله ذكر هذا الحديث الذي فيه ترغيب في الجنة، وترهيب من النار، وخاصة عندما يكون الحديث موجهاً للنساء في مجال مطالبتهن بحقوق الزوج وحسن المعاشرة له .

---

(١) – عمدة القاري، ٢٠٣/١ .

(٢) – رواه الإمام أحمد برقم ٢١٩٨١، ٢٢٧/٥ . وابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، برقم ١٨٥٢، ٥٩٥/١ . وقال عنه الألباني صحيح، انظر : صحيح سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، برقم ١٥٠٢، ٣١١/١ .

(٣) – نقلاً عن : عمدة القاري، للعيني ،٢٠٣/١ .

ثانياً - أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن في قول الصحابة لرسول الله ﷺ : (**يَا رَسُولَ الله رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ**)، ما يدل على أن الدعاة إلى الله محل نظر الناس ومراقبتهم، فقد كان الصحابة ينظرون إلى كل حركات رسول الله ﷺ وسكناته، للاقتداء بها، فلما رأوا منه عملا لم يعتدوه منه سألوه عن ذلك، وهذا هو حال كل من كان داعية إلى الله وخاصةً إذا كان معروفاً بين الناس بعلمه وإيمانه وتقواه، فإن الناس لا يضعونه تحت المراقبة الشديدة فقط، بل ويقتدون به، وهذا مما يبين أهمية أن يكون الداعية حريصاً على أن لا يصدر منه إلا ما يوافق هدي الله ورسوله ﷺ، وأنه لا حرج عليه في أن يظهر بعض الأعمال لكي يقتدي به الناس ، ويصنعون كما يصنع .

ثالثاً - من كمال نصح الداعية إنكاره ما يخشى اعتقاده بين الناس :

ينبغي للدعاة إلى الله إذا حدث شيء في الكون أو المجتمع، وخشي أن يساء فيه الاعتقاد أن يبينه للناس وينبههم على الخطأ ويحذرهم من الوقوع فيه، كما فعل رسول الله ﷺ عند خسوف الشمس بعد وفاة ابنه إبراهيم ، إذ قال ﷺ : « **إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا الله** » [(١)]، يقول الإمام الزرقاني - رحمه الله - عن هذا الحديث : (ففيه بيان ما يخشى اعتقاده على غير الصواب، وردّ على من يزعم أن للكواكب تأثيراً في الأرض لانتفاء ذلك عن الشمس والقمر،فكيف بما دونهما)[(٢)].ويقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله - : يظهر في هذا الحديث ماكان عليه رسول الله ﷺ من نصح أمته [(٣)] .

رابعاً - من صفات الداعية الخوف من الله ﷻ :

إن في فعل رسول الله ﷺ وخوفه من خسوف الشمس، ومبادرته إلى الطاعة وذكر

---

(١) - صحيح الإمام البخاري، كتاب الكسوف، باب الصلاة في الكسوف، برقم ١٠٤٣، ٣١/٢ .

(٢) - شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٣٧٧/١ .

(٣) - انظر: فتح الباري، ٦٣١/٢

الله، درساً للدعاة إلى الله في الاتصاف بالخوف والخشية من الله جلّ وعلا، يقول بعض أهل العلم - رحمهم الله - : إن مما يستفاد من هذا الحديث المبادرة إلى طاعة الله ﷻ، عند رؤية ما يخاف منه وما يحذر عنه واستدفاع البلاء بذكر الله وأنواع الطاعة (١) .

فينبغي للداعية أن يكون كثير العبادة والذكر والاستغفار ، رقيق القلب شديد الخوف من الله ﷻ ، يفزع إلى الله عندما يرى بعض آياته التي يخوف بها الناس، أو يعذبهم بها ، كهبوب الريح، ونزول البرد، وغيرها من الأمور .

خامساً - أهمية مراجعة المدعوين للداعية فيما يشكل عليهم :

إن مراجعة الصحابة لرسول الله ﷺ عندما قال عن النساء : « **يَكْفُرْنَ** »، وقولهم: (**أَيَكْفُرْنَ بِا للهِ**) . فيه تأكيد للدعاة إلى الله على تربية المدعوين وحثهم على السؤال والاستفسار ومراجعة العلماء والدعاة فيما يشكل عليهم ، وأن لا يأنف الدعاة إلى الله ﷻ ، من ذلك، حتى لا يبقى في نفس الإنسان شك أو شيء يقلقه، ويؤكد ذلك الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بقوله : يستفاد من هذا الحديث، مراجعة المتعلم للعالم فيما لا يدركه فهمه (٢) .

سادساً - من أصناف المدعوين النساء ، وبعض سماتهن :

إن هذا الحديث فيه ذكر لصنف من أصناف المدعوين وبعض سماتهم، وهو صنف النساء ، اللاتي من سماتهنّ كما قال ﷺ إنهن : « **يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ** »، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إن إطلاق رسول الله ﷺ لفظ النساء يعم المؤمنة منهن، والكافرة . فهنّ يكفرن إحسان العشير لا ذاته، والمراد بكفر الإحسان تغطيته أو جحده، ويدل عليه آخر الحديث، وهو قوله ﷺ : « **لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ** »

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر ٢/٦٣١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧/٨٥ .

(٢) - انظر : فتح الباري، ٢/٦٣١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧/٨٥ .

أي مدة عمر الرجل، أو الزمان كله، مبالغة في كفرانهن [١] .

سابعاً - من موضوعات الدعوة بيان حقوق الزوج :

إن من الموضوعات التي ينبغي للدعاة إلى الله الحديث عنها، مع النساء، ما يجب عليهن من حقوق تجاه أزواجهن، وأن من أسباب دخول الجنة أو النار، معاملة الزوج، فرسول الله ﷺ في هذا الموقف المخيف من خسوف الشمس ورؤية الجنة والنار، يُذكِّرُ النساء بما هو سبب دخولهن النار وكثرتهن فيها . فحق الزوج على زوجته عظيم، وردت فيه أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ : « **إذا دعا الرجلُ امرأتَهُ إلى فِراشِهِ، فَأَبَتْ أنْ تَجِيء، لَعَنَتها الملائكةُ حتى تُصبح** » [٢] . وقوله ﷺ : « **لَوْ كُنْتُ آمِرًا بَشَرًا يَسْجُدُ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا** » [٣] .

ثامناً - أهمية بيان أن هناك كفر دون كفر :

لقد ساق الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - على هذا الحديث ترجمة قال فيها : (باب كفران العشير ، وكفر دون كفر) ، وذلك منه - رحمه الله - للتأكيد على أهمية هذا الموضوع الذي ضلَّ فيه كثير من من الطوائف وجهلة المسلمين .

فرسول الله ﷺ قال : « **أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ** » ، وهذا كما قال ابن بطال - رحمه الله - : لأجل تعظيم حق الزوج ،إذ أطلق عليهن الكفر، لكنه كفر لا يخرج من الملة [٤] .

---

(١) - انظر : فتح الباري، ٦٣١/٢ .

(٢) - صحيح الإمام البخاري، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، برقم ٥١٩٣، ١٨٣/٦.

(٣) - انظر تخريج الحديث ص٢٢٠ ، من هذا البحث .

(٤) - نقلاً عن عمدة القاري للعيني : ٢٠٣/١ .

٢٣ - باب المعاصي من أمر الجاهلية

٢٨ - ٣٠ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلٍ الأَحْدَبِ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ (١) بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ . فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : « **يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ. فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُم** » (٢) .

وفي رواية : .. رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَى غُلامِهِ بُرْدًا فَقُلْتُ : لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ . فَقَالَ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً

---

(١) - هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام الغفاري ﷺ، أحد السابقين **الأولين**، من نجباء أصحاب محمد ﷺ، قيل : كان خامس خمسة في الإسلام . ثم إنه رُدَّ إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي ﷺ له بذلك، فلما هاجر النبي ﷺ، هاجر إليه أبو ذر ﷺ، ولازمه، وجاهد معه . وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ . روى عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وابن عمر ﷺ، وجمع غفير من التابعين - رحمهم الله - وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم . روي له عن رسول الله ﷺ مائتا حديث وواحد وثمانون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على اثني عشر حديثاً، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بسبعة عشر حديثاً . توفي بالربذة سنة اثنين وثلاثين .(انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١١٩/١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٦/٢ - ٧٨ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٢٢٩/٢، ترجمة رقم : ٣٤١ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ١١٨/١١ - ١٢٣، ترجمة رقم : ٣٨٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٥/١) .

(٢) - طرفاه : **الأول** : في كتاب العتق، باب قول النبي ﷺ : « العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون »، برقم ٢٥٤٥، ١٦٨/٣ . **الثاني** : في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم ٦٠٥٠، ١١٢/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، برقم ١٦٦١، ١٢٨٢/٣ .

فَنِلْتُ مِنْهَا فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي : « **أَسَابَبْتَ فُلانًا** ». قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « **أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ** » . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « **إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** » . قُلْتُ : عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ . قَالَ : « **نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ** » [١] .

شرح غريب الحديث :

(**الرَّبَذَةِ**) – موضع بالبادية ، بين المدينة و ذات عرق [٢] .

(**حُلَّةٌ**) – الحلة ثوبان من جنس واحد يلبسان معاً. قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : الحلة لا تكون إلا ثوبين جديدين يحلهما من طيهما [٣] .

(**بُرْدًا**) – نوع من الثياب [٤] .

« **خَوَلُكُمْ** » – الخول : حشم الرجل وأتباعه، واحدهم : خائل . قيل : هو مأخوذ من الخويل، وهو التمليك [٥] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – سرعة استجابة الصحابة ﷺ للدعوة وتأثرهم بها .

ثانياً – من أساليب دعوة الخدم والمملوكين، الإحسان إليهم والرفق بهم .

ثالثاً – من خصائص هذا الدين العدل .

---

(١) – كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم ٦٠٥٠، ١١٢/٧ .

(٢) – انظر :فتح الباري، لابن حجر ، ١٠٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٦/١ .

(٣) – فتح الباري، لابن حجر ، ١٠٨/١ . وانظر : جامع الأصول، لابن الأثير، ٥١/٨ .

(٤) – النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الباء مع الراء، ١١٦/١ .

(٥) – انظر : جامع الأصول، لابن الأثير، ٥١/٨ .

رابعاً – من صفات الداعية ترك السباب والخصام وفحش القول .

خامساً – الحكمة في استعمال الشدة مع بعض المدعوين .

سادساً – المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – سرعة استجابة الصحابة ﷺ للدعوة وتأثرهم بها :

إن مما يتميز به صحابة رسول الله ﷺ قوة إيمانهم وسرعة استجابتهم لأمره ﷺ، فهذا أبو ذر رضي الله عنه مثالاً منهم في سرعة الاستجابة والعمل بأوامر رسول الله ﷺ، بل إنهم من شدة حرصهم على العمل بأوامر الشرع، كانوا يأخذون بالأكمل والأحوط لدينهم، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (وكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذاً بالأحوط) [١] . ويقول – رحمه الله – : (فالمراد – من أمر رسول الله ﷺ – المواساة لا المساواة من كل جهة، لكن من أخذ بالأكمل كأبي ذر فعل المساواة وهو الأفضل) [٢] . فينبغي للدعاة إلى الله ، التأسي بهم في الاتباع والحرص على شرع الله والاستجابة له والعمل بالأكمل والأحوط لدينهم .

ثانياً – من أساليب دعوة الخدم والمملوكين، الإحسان إليهم والرفق بهم :

إن من أصناف المدعوين الخدم والرقيق والأجير، ومن في حكمهم، وهؤلاء لهم حق شرعي، وهو الإحسان إليهم ومواساتهم وعدم ظلمهم، فهذا رسول الله ﷺ يقول عنهم: « **هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ الله أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ** »، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : إن مما يستفاد من هذا الحديث النهي عن سب العبيد وتعييرهم بوالديهم، والحث على الإحسان إليهم والرفق بهم، فلا يجوز لأحد

---

(١) – فتح الباري، ١٠٩/١ .

(٢) – المرجع السابق، ٢٠٧/٥ .

تعيير أحد بشيء من المكروه يعرفه في آبائه، وخاصة نفسه، ويلحق بالعبد من في معناه من أجير وخادم وضعيف، وكذا الدواب ينبغي الإحسان إليها، ولا تكلف من العمل ما لا تطيق الدواب عليه، فإن كلفه ذلك لزمه إعانته بنفسه، أو بغيره . وفيه عدم الترفع على المسلم وإن كان عبداً ونحوه من الضعفه، لأن الله تعالى قال : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١)، وقد تضافرت الأدلة على الأمر باللطف بالضعفة وخفض الجناح لهم وعلى النهي عن احتقارهم والترفع عليهم (٢) .

فينبغي للدعاة إلى الله الإحسان إلى هؤلاء الرقيق والخدم ومن في حكمهم، وحث الناس على الإحسان والرفق بهم، لأن هذا حق لهم، وسبب في هدايتهم وحبهم للدين، خاصة إذا عرفوا أن الإسلام يأمر به، ويحث عليه .

ثالثاً - من خصائص هذا الدين العدل :

إن قول رسول الله ﷺ عن الخدم والرقيق والضعفة ومن في حكمهم : « **هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ الله أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ** » ، فيه دليل واضح على خصيصة من خصائص هذا الدين الرباني، وهي العدل، فهذا نبينا الكريم ﷺ يدعو إلى هذا الأمر ويحثُّ عليه، وينفر من تركه والوقوع في ضده بعده من أمور الجاهلية . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى، وينتفع الوضيع النسب

---

(١) - سورة الحجرات، الآية : ١٣ .

(٢) - انظر : عمدة القاري، ٢٠٩/١ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٤١/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٧/٥ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ١١٦/١ .

بالتقوى كما قال تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١)) (٢).

رابعاً - من صفات الداعية ترك السباب والخصام وفحش القول :

إن في قول رسول الله ﷺ، لأبي ذر رضي الله عنه، عندما عيّر الرجل بأمه : « **بأنك امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** »، تنفيراً من هذه الصفة، وأنها من صفات الجاهلية، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (يؤخذ منه المبالغة في ذم السب واللعن لما فيه من احتقار المسلم) (٣) .

فالمسلم ليس بالفحاش ولا باللعان ولا بالطعان، لذا عندما أتى اليهود النبي ﷺ فقالوا : السام عليكم . فقالت عائشة رضي الله عنها: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال لها رسول الله ﷺ : « **مهلا يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش** » . قالت : أولم تسمع ما قالوا ؟ قال : « **أولم تسمعي ما قلت ؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في** » (٤) . وعن أنس رضي الله عنه قال : لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً، كان يقول لأحدنا عند المعتبة : « **ما له ترب جبينه** » (٥) .

خامساً - الحكمة في استعمال الشدة مع بعض المدعوين :

إن الأصل في الدعوة هو الرفق واللين، ولكن هناك حالات يكون من الحكمة فيها استعمال الشدة والقسوة، كما هو الحال في هذا الحديث، والحالة هنا هو صدور المعصية ممن لا يُتوقع منه صدورها لمنزلته الكبيرة في الإيمان، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (واستدل أيضاً بقوله ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه : « **فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** »، أي خصلة جاهلية، مع أن منزلة أبي ذرٍّ من الإيمان في الذروة العالية، وإنما وبخه بذلك - على عظيم منزلته عنده -

---

(١) - سورة الحجرات، الآية : ١٣ .

(٢) - فتح الباري، ٤٨٣/١٠ .

(٣) - المرجع السابق، ٤٨٣/١٠ .

(٤) - صحيح الإمام البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، برقم ٦٠٣٠، ١٠٧/٧ .

(٥) - المصدر السابق ، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، برقم ٦٠٣١، ١٠٧/٧ .

تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك) [(١)] .

إذن فمن الحكمة استخدام مثل هذا الأسلوب مع مثل هذا الصنف، حيث كان الأثر عليه كبيراً، فقال: (عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ). ثم أصبح في التعامل مع الخدم والرقيق في منزلة عالية ، يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله - : (فالمراد - من أمر رسول الله ﷺ - المواساة لا المساواة من كل جهة،لكن من أخذ بالأكمل كأبي ذرٍ فعل المساواة وهو الأفضل) [(٢)].

سادساً - المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن قول رسول الله ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه، بعد أن عيّر الرجل بأمه : « **بأنك امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** » ، فيه فائدة دعوية وهي الحرص على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، عند وقوع الخطأ، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - إنه مما يستفاد من هذا الحديث : (المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [(٣)] .

---

(١) - فتح الباري، ١/١٠٧ .

(٢) - المرجع السابق، ٥/٢٠٧ .

(٣) - الكواكب الدراري، ١/١٤١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٥/٢٠٧ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٠٩ .

٢٣ - باب : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ [١] .

فسماهم المؤمنين

٢٩ - ٣١ - حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَيُونُسُ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ [٢] . قَالَ : ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ [٣]. فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ. قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ. قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ا للهِ ﷺ يَقُولُ:« **إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ** ». فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ ا للهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ:«**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ** »[٤].

---

(١) - سورة الحجرات، الآية : ٩ .

(٢) - هو أبو بحر بن قيس بن معاوية بن حصين، التميمي البصري التابعي، قيل اسمه الضحاك، وقيل صخر، والأحنف لقبه وذلك لحنف رجليه وهو العوج والميل . كان سيد تميم . قال عنه الذهبي : الأمير الكبير، العالم النبيل، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل . أدرك زمن النبي ﷺ وأسلم على عهده ولم يره . توفي سنة سبع وستين هـ . (انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ٦١/١ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٩٦/٤) .

(٣) - هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن عبدالعزى بن عوف بن قسي وهو ثقيف بن منبه، الثقفي البصري ﷺ، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه . وإنما كني أبا بكرة لأنه تدلى من حصن الطائف إلى النبي ﷺ ببكرة، وكان أسلم وعجز عن الخروج من الطائف إلا هكذا، وفرَّ إلى النبي ﷺ وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه . وكان من فضلاء الصحابة، وصالحيهم، ولم يزل مجتهداً في العبادة حتى توفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين، روى له عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وثلاثون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ثمانية أحاديث منها، وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بحديث واحد .(انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١٥٣/١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥/٢ - ١٠ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ١٩٨/٢، ترجمة رقم : ٣٠٣ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ١٨٣/١٠، ترجمة رقم : ٨٧٩٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١/ ٢١١) .

(٤) - طرفاه : **الأول** : في كتاب الديات، باب قول الله تعالى : { ومن أحياها }، برقم ٦٨٧٥، ٤٧/٨.
الثاني : في كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، برقم ٧٠٨٣، ١١٨/٨ .

=

وفي رواية : قَالَ : خَرَجْتُ بِسِلاحِي لَيَالِيَ الْفِتْنَةِ فَاسْتَقْبَلَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ . قُلْتُ : أُرِيدُ نُصْرَةَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَكِلاهُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ** » . قِيلَ : فَهَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : « **إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ** » (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – التحري والسؤال عن أحوال المجتمع .

ثانياً – من موضوعات الدعوة التحذير من الفتن .

ثالثاً – حرص الصحابة ﷺ على العمل بحديث رسول الله ﷺ .

رابعاً – أهمية ربط الحكم بدليله .

خامساً – أهمية النية في الثواب والعقاب .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – التحري والسؤال عن أحوال المجتمع :

إن الصحابي الجليل أبا بكرة ﷺ، عندما رأى الأحنف بن قيس – رحمه الله – سأله : **أَيْنَ تُرِيدُ**، فلما أخبره بعزمه ونيته، أنكر عليه بقوله : **ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ »** .

فمن هنا يُقال : إنه ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يحرص على سؤال الناس ومعرفة

=

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، برقم ٢٨٨٨، ٢٢١٢/٤ .

(١) – كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، برقم ٧٠٨٣، ١١٨/٨ .

أحوالهم وخصوصاً إذا رأى بعض العلامات والدلائل على أمرٍ ينكره، وذلك ليأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، بعلم ومعرفة للواقع والحال .

ثانياً - من موضوعات الدعوة التحذير من الفتن :

إن قول رسول الله ﷺ : « **إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ** » . فيه تحذير من اقتتال المسلمين، لأن ذلك يؤدي إلى ضعفهم، وفشلهم، وسخط الله عليهم .

والمراد من الاقتتال المنهي عنه هو ما كان على الدنيا جهلا، أو بغياً، أو ظلماً، أو اتباعاً للهوى . وليس المراد نصرة الحق وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، لأنه لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد، ولا أبطل باطل، ولوجد أهل الفسق سبيلا إلى أخذ الأموال، وسفك الدماء وسبي الحريم، وهتك الأعراض، بأن يحاربوهم، والمسلمون يكفون أيديهم عنهم، بحجة أن هذه فتنة، وقد نهينا عن القتال فيها، وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء وقتال البغاة الخارجين على السلطان .

يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (وقال معظم الصحابة ﭫ والتابعين وغيرهما: يجب نصر الحق وقتال الباغين لقوله تعالى : ﴿ **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ (١) ، وهذا هو الصحيح، ويتأول أحاديث المنع على من لم يظهر له الحق، أو على عدم التأويل لواحد منهما، ولو كان كما قال الأولون، لظهر الفساد واستطالوا، والحق الذي عليه أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة ﭫ، وحسن الظن بهم، والتأويل لهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية، ولا محض الدنيا، فمنهم المخطئ في اجتهاده والمصيب، وقد رفع الله الحرج عن المجتهد المخطئ في الفروع، وضعّف أجر

---

(١) - سورة الحجرات، الآية : ٩ .

المصيب) (١) .

ثالثاً - حرص الصحابة ﷺ على العمل بحديث رسول الله ﷺ :

إن قول الصحابي الجليل أبي بكرة ﷺ، للأحنف بن قيس بأن يرجع عن قصده، وأن ذلك بسبب ما سمعه من رسول الله ﷺ في شأن القتال بين المسلمين، وأنه « **إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ** »، يظهر منه مدى حرص الصحابة ﷺ على العمل بما سمعوه من رسول الله ﷺ، وتطبيقه، واجتناب ما نهى عنه، والحذر منه .

رابعاً - أهمية ربط الحكم بدليله :

تظهر أهمية ربط الحكم بدليله، في قوة الإقناع والتأثير في السامع، إذ نجد في هذا الحديث أن أبا بكرة ﷺ ، لما طلب من الأحنف بن قيس العودة عما عزم عليه وعدم المشاركة في القتال، ربطه بدليله وهو قول رسول الله ﷺ بأنه « **إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ** »، (فأدى ذلك إلى اعتزال الأحنف القتال في وقعة الجمل) (٢) . والعمل بما أشارعليه به .

لذا ينبغي للداعية إلى الله أن يحرص دائماً على ربط الحكم بدليله، وأن يتعود على ذلك، لما في ذلك من الخير الكثير، والتأثير الكبير على المدعوين .

خامساً - أهمية النية في الثواب والعقاب :

إن النية لها مكانة عظيمة، وأهمية كبيرة في الإسلام، فقد جعل الشارع قبول الأحكام، أو ردها، وترتب الثواب أو العقاب على العمل، بحسب نيته فيه، « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى** » (٣) .

---

(١) - عمدة القاري، ٢١٣/١ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٨/١٣ .

(٣) - صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، برقم١، ٣/١ . صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ « إنما الأعمال بالنية »، برقم ١٩٠٧، ١٥١٥/٣،١٥١٦ .

٢٢ - باب المعاصي من أمر الجاهلية

٢٨ - ٣٠ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلٍ الأَحْدَبِ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ (١) بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلامِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ . فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : « **يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ. فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُم** » (٢) .

وفي رواية : .. رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَى غُلامِهِ بُرْدًا فَقُلْتُ : لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخَرَ . فَقَالَ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً

---

(١) - هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام الغفاري ﷺ، أحد السابقين **الأولين**، من نجباء أصحاب محمد ﷺ، قيل : كان خامس خمسة في الإسلام . ثم إنه رُدَّ إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي ﷺ له بذلك، فلما هاجر النبي ﷺ، هاجر إليه أبو ذر ﷺ، ولازمه، وجاهد معه . وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ . روى عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وابن عمر ﷺ، وجمع غفير من التابعين - رحمهم الله - وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم . روي له عن رسول الله ﷺ مائتا حديث وواحد وثمانون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على اثني عشر حديثاً، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بسبعة عشر حديثاً . توفي بالربذة سنة اثنين وثلاثين .(انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي، ١١٩/١ . سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٦/٢ - ٧٨ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ٢٢٩/٢، ترجمة رقم : ٣٤١ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ١١٨/١١ - ١٢٣، ترجمة رقم : ٣٨٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٥/١) .

(٢) - طرفاه : **الأول** : في كتاب العتق، باب قول النبي ﷺ : « العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون »، برقم ٢٥٤٥، ١٦٨/٣ . **الثاني** : في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم ٦٠٥٠، ١١٢/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الأيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، برقم ١٦٦١، ١٢٨٢/٣ .

فَنِلْتُ مِنْهَا فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي : « **أَسَابَبْتَ فُلانًا** ». قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « **أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ** » . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « **إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** » . قُلْتُ : عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ . قَالَ : « **نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ ا لله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ ا لله أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ** » (١) .

شرح غريب الحديث :

(**الرَّبَذَةِ**) – موضع بالبادية ، بين المدينة و ذات عرق (٢) .

(**حُلَّةٌ**) – الحلة ثوبان من جنس واحد يلبسان معاً. قال الحافظ ابن حجر – رحمه ا لله – : الحلة لا تكون إلا ثوبين جديدين يحلهما من طيهما (٣) .

(**بُرْدًا**) – نوع من الثياب (٤) .

« **خَوَلُكُمْ** » – الخول : حشم الرجل وأتباعه، واحدهم : خائل . قيل : هو مأخوذ من الخويل، وهو التمليك (٥) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – سرعة استجابة الصحابة ﷺ للدعوة وتأثرهم بها .

ثانياً – من أساليب دعوة الخدم والمملوكين، الإحسان إليهم والرفق بهم .

ثالثاً – من خصائص هذا الدين العدل .

---

(١) – كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم ٦٠٥٠، ١١٢/٧ .

(٢) – انظر :فتح الباري، لابن حجر ، ١٠٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٦/١ .

(٣) – فتح الباري، لابن حجر ، ١٠٨/١ . وانظر : جامع الأصول، لابن الأثير، ٥١/٨ .

(٤) – النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الباء مع الراء، ١١٦/١ .

(٥) – انظر : جامع الأصول، لابن الأثير، ٥١/٨ .

رابعاً – من صفات الداعية ترك السباب والخصام وفحش القول .

خامساً – الحكمة في استعمال الشدة مع بعض المدعوين .

سادساً – المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – سرعة استجابة الصحابة ﷺ للدعوة وتأثرهم بها :

إن مما يتميز به صحابة رسول الله ﷺ قوة إيمانهم وسرعة استجابتهم لأمره ﷺ، فهذا أبو ذرٍ ﷺ مثالاً منهم في سرعة الاستجابة والعمل بأوامر رسول الله ﷺ، بل إنهم من شدة حرصهم على العمل بأوامر الشرع، كانوا يأخذون بالأكمل والأحوط لدينهم، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (وكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذاً بالأحوط) [١] . ويقول – رحمه الله – : (فالمراد – من أمر رسول الله ﷺ – المواساة لا المساواة من كل جهة، لكن من أخذ بالأكمل كأبي ذرٍ فعل المساواة وهو الأفضل) [٢] . فينبغي للدعاة إلى الله ، التأسي بهم في الاتباع والحرص على شرع الله والاستجابة له والعمل بالأكمل والأحوط لدينهم .

ثانياً – من أساليب دعوة الخدم والمملوكين، الإحسان إليهم والرفق بهم :

إن من أصناف المدعوين الخدم والرقيق والأجير، ومن في حكمهم، وهؤلاء لهم حق شرعي، وهو الإحسان إليهم ومواساتهم وعدم ظلمهم، فهذا رسول الله ﷺ يقول عنهم: « **هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ** »، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : إن مما يستفاد من هذا الحديث النهي عن سب العبيد وتعييرهم بوالديهم، والحث على الإحسان إليهم والرفق بهم، فلا يجوز لأحد

---

(١) – فتح الباري، ١/١٠٩ .

(٢) – المرجع السابق، ٥/٢٠٧ .

تعيير أحد بشيء من المكروه يعرفه في آبائه، وخاصة نفسه، ويلحق بالعبد من في معناه من أجير وخادم وضعيف، وكذا الدواب ينبغي الإحسان إليها، ولا تكلف من العمل ما لا تطيق الدواب عليه، فإن كلفه ذلك لزمه إعانته بنفسه، أو بغيره . وفيه عدم الترفع على المسلم وإن كان عبداً ونحوه من الضعفه، لأن الله تعالى قال : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [1]، وقد تضافرت الأدلة على الأمر باللطف بالضعفة وخفض الجناح لهم وعلى النهي عن احتقارهم والترفع عليهم [2] .

فينبغي للدعاة إلى الله الإحسان إلى هؤلاء الرقيق والخدم ومن في حكمهم، وحث الناس على الإحسان والرفق بهم، لأن هذا حق لهم، وسبب في هدايتهم وحبهم للدين، خاصة إذا عرفوا أن الإسلام يأمر به، ويحث عليه .

ثالثاً - من خصائص هذا الدين العدل :

إن قول رسول الله ﷺ عن الخدم والرقيق والضعفة ومن في حكمهم : « **هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ جَعَلَ الله أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ** » ، فيه دليل واضح على خصيصة من خصائص هذا الدين الرباني، وهي العدل، فهذا نبينا الكريم ﷺ يدعو إلى هذا الأمر ويحثّ عليه، وينفر من تركه والوقوع في ضده بعده من أمور الجاهلية . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى، وينتفع الوضيع النسب

---

(١) - سورة الحجرات، الآية : ١٣ .

(٢) - انظر : عمدة القاري، ٢٠٩/١ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٤١/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٧/٥ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ١١٦/١ .

للتعظيم، فالتقدير: لم يلبسوا إيمانهم بظلم عظيم، أي الشرك، إذ لا ظلم أعظم منه) [١].

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، جعل الحديث عن الشرك إلى رأس موضوعاتهم، وفي مقدمة أوليات دعوتهم، وذلك لخطورته، وعظم ذنب مرتكبه، وكثرة المتهاونين به. فإن لله ﷻ يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك، إذ يقول ﷻ : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ [٢] .

رابعاً - الترغيب في سعة رحمة الله وغفرانه :

يظهر في هذا الحديث الترغيب في رحمة الله وسعة مغفرته، فكل الذنوب يغفرها الله ﷻ، إلا الظلم العظيم، أي الشرك، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وأن من لم يشرك بالله شيئاً فله الأمن وهو مهتد) [٣] . يقول الله ﷻ : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ [٤] .

---

(١) - انظر : فتح الباري، ١/١١٠ .
(٢) - سورة النساء، الآية : ٤٨ .
(٣) - فتح الباري، ١/١١١ .
(٤) - سورة النساء، الآية : ٤٨ .

٣٥ - باب علامة المنافق

٣١ - ٣٣ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو الرَّبِيعِ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** » (١) .

٣٢ - ٣٤ - حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ** » (٢) .

وفي رواية :« **..أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ..** »(٣).

وفي رواية : **قال** : « **.. أَرْبَعُ خِلالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا** » (٤) .

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، برقم ٢٦٨٢، ٢١٧/٣ . **الثاني**: في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى : { من بعد وصية يوصي بها أو دين }، برقم ٢٧٤٩، ٢٤٩/٣ . **الثالث** : في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين }، برقم ٦٠٩٥، ١٢٤/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال النفاق، برقم ٥٩، ٧٨/١ .

(٢) - طرفاه : **الأول** : في كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر، برقم ٢٤٥٩، ١٣٩/٣ . **الثاني** : في كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر، برقم ٣١٧٨، ٨٣/٤ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال النفاق، برقم ٥٨، ٧٨/١ .

(٣) - كتاب المظالم، باب إذا خاصم فجر، برقم ٢٤٥٩، ١٣٩/٣ .

(٤) - كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر، برقم ٣١٧٨، ٨٣/٤ .

شرح غريب الحديثين :

« خَصْلَةٌ » – هي الخلة [١] .

« فَجَرَ » – من الفجور أي مال عن الحق وقال الباطل أو شق ستر الديانة [٢] .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : التحذير من النفاق ببيان صفات المنافقين .

ثانياً – أسلوب التنفير من بعض الصفات .

ثالثاً – أهمية الصدق والأمانة والوفاء بالعهد .

رابعاً – أهمية أسلوب الرقم والترقيم في الدعوة إلى الله ﷻ .

خامساً – من أساليب الدعوة ذكر الخطأ دون التصريح باسم المخطئ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : التحذير من النفاق ببيان صفات المنافقين :

إن من الموضوعات التي كان يتحدث فيها رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ، ذكر بعض صفات المنافقين، وذلك لغرضين، **الأول** : كشف المنافقين للحذر منهم . **والثاني** : التنفير من هذه الصفات. يقول الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله-: (وأخبر النبي ﷺ بهذا الخبر **لأمرين** :

الأمر الأول : أن نحذر من هذه الصفات الذميمة، لأنها علامات النفاق، ويخشى أن يكون هذا النفاق العملي مؤدياً إلى نفاق في الاعتقاد والعياذ بالله، فيكون الإنسان منافقاً نفاقاً اعتقادياً فيخرج من الإسلام وهو لا يشعر، فأخبرنا الرسول عليه الصلاة

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١/١٥١ . وعمدة القاري، للعيني،١/٢٢٤ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١/١٥١ . وعمدة القاري، للعيني،١/٢٢٤ .

والسلام لنحذر من ذلك .

الأمر الثاني : لنُحذر من يتصف بهذه الصفات، ونعلم أنه منافق يخدعنا ويلعب بنا، ويغرنا بحلاوة لفظه وحسن قوله، إذن عكس ذلك يكون من علامات الإيمان . فالمؤمن إذا وعد أوفى . المؤمن إذا اؤتمن أدى الأمانة على وجهها، هذا هو المؤمن وكذلك إذا حدث كان صادقاً في حديثه مخبراً بما هو الواقع فعلا) (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، فضح هؤلاء المنافقين بذكر صفاتهم، التي وردت في كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، لكي يحذر المسلمون منهم، ومن شرهم .

ثانياً - أسلوب التنفير من بعض الصفات :

فمما سبق ذكره في الفائدة الأولى من هذا الحديث، يظهر لنا أن في ذكر رسول الله ﷺ لهذه الصفات وعدّها من علامات المنافقين تنفيراً منها ومن الوقوع فيها .

يقول الإمام الخطابي - رحمه الله - : (وهذا القول من رسول الله ﷺ خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، شفقاً أن تفضي به إلى النفاق، وليس المعنى أن من بدرت منه هذه الخلال، وكان مايفعل منها على غير وجه الاختيار والاعتياد له أنه منافق) (٢) .

فينبغي للدعاة إلى الله التحذير من هذه الصفات والتنفير منها، وذلك بذكر أنها من صفات المنافقين وعلاماتهم .

ثالثاً - أهمية الصدق والأمانة والوفاء بالعهد :

إن صفة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد من علامات الإيمان، يقول الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - : (وأخبر النبي ﷺ بهذا الخبر **لأمرين** : - فذكر الأمرين

---

(١) - شرح رياض الصالحين، ٥٧٨/٤ .

(٢) - أعلام الحديث في شرح صحيح الإمام البخاري، ١٦٥/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٧/٢ . والكواكب الدراري ، للكرماني ١٤٨/١، ١٤٩ . وإكمال الإكمال ، للأبي، ٢٧٦/١ . وفتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١١٣/١ .

ثم قال - إذن عكس ذلك يكون من علامات الإيمان . فالمؤمن إذا وعد أوفى . المؤمن إذا اؤتمن أدى الأمانة على وجهها، هذا هو المؤمن وكذلك إذا حدث كان صادقاً في حديثه مخبراً بما هو الواقع فعلا) [١] .

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، بوجه خاص أن يكون شديد الحرص على الاتصاف بهذه الصفات ، لأنه محل نظر الناس وقدوتهم .

رابعاً - أهمية أسلوب الرقم والترقيم في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن ذكر رسول الله ﷺ، في هذين الحديثين للرقمين (ثلاث) و (أربع)، فيه تأكيد على أنه ليس المراد الحصر، وإنما هو لشد انتباه السامعين لمعرفة الخصال المنطبقة على العدد ، للبعد منها والحذر من الوقوع فيها ، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (إن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ما يدل على إرادة عدم الحصر، فإن لفظه:« **من علامة المنافق، ثلاث**..»[٢] - إلى أن قال - فيكون الرسول ﷺ أخبر ببعض العلامات في وقت، وببعضها في وقت آخر) [٣] .

فمن هنا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الاهتمام بمثل هذا الأسلوب وذكر الرقم والترقيم لبعض المسائل والموضوعات المطروحة، لشد انتباه المدعوين، وجذب تركيزهم إلى عدّ ما يذكره السامع لمطابقته على العدد المذكور منه .

خامساً - من أساليب الدعوة ذكر الخطأ دون التصريح باسم المخطئ :

إن ذكر الخطأ دون التصريح باسم المخطئ - إلا إذا اقتضت المصلحة الشرعية التصريح - أوقع في نفس المخطئ وأدعى لاستجابته وتركه للخطأ والمعصية، يقول العلامة محمد المناوي - رحمه الله - عن عدم ذكر رسول الله ﷺ لأسماء المنافقين مع معرفته لهم:

---

(١) - شرح رياض الصالحين، ٥٧٨/٤ .

(٢) - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال النفاق، برقم ٥٩، ٧٨/١ .

(٣) - فتح الباري، ١١٢/١ .

(لأن عدم التعيين أوقع في النصيحة، وأجلب للدعوة إلى الإيمان، وأبعد عن النفور والمخاصمة، ويحتمل كونه عاماً لينزجر الكل عن هذه الخصال على آكد وجه إيذاناً بأنها طلائع النفاق الذي هو أسمج القبائح، فإنه كفر موّه باستهزاء وخداع مع رب الأرباب ومسبب الأسباب، فعلم من ذلك أنها منافية لحال المسلمين، فينبغي للمسلم أن لا يرتع حولها، فإن من رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه) [1] .

فينبغي للدعاة إلى الله التنبه لهذا الأمر، وعدم ذكر الأسماء والتصريح بها، فإن رسول الله ﷺ إذا أراد أن يحذر من أمر وقع فيه إنسان، لا يذكر الاسم، وإنما يقول : « **ما بال أقوام** .. » [2]، وذلك حتى يحذر الناس بصفة عامة من الوقوع فيما حذر منه، ويكون فيه أيضاً تنبيه للواقعين بضرورة الإقلاع والتوبة منها، إلا إذا اقتضت المصلحة الشرعية تسمية المخطئ، وذلك مثل : إذا ما نُبِّه بشكل عام، فلم ينتبه، أو كان فاسقاً مجاهراً بذلك، من غير حياء أو خوف، فعند ذلك يصرح بالإنكار عليه، والتحذير منه، ومن مجالسته وقربه .

---

(١) - فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥٩٣/١ .

(٢) - استعمل الرسول ﷺ هذا اللفظ أكثر من مرة، انظر مثلاً : صحيح الإمام البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، برقم ٤٥٦، ١٣٤/١ . وكتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، برقم ٧٥٠، ٢٠٥/١ . وكتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، برقم ٦١٠١، ١٢٦/٧ .

٣٦ - باب قيام ليلة القدر من الإيمان

٣٣ - ٣٥ – حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » (١) .

وفي رواية : « **مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » (٢) .

وفي رواية : « **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

فمن هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : الترغيب في قيام رمضان .

ثانياً – التأكيد على أهمية إخلاص النية، واحتساب الأجر من الله ﷻ .

ثالثاً – أهمية أسلوب الترغيب في العمل بذكر ثوابه .

---

(١) – أطرافه : **الأول** : في كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، برقم ٣٧، ١٧/١. **الثاني**: في كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، برقم ٣٨، ١٧/١ . **الثالث** : في كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، برقم ١٩٠١، ٢٧٩/٢ . **الرابع و الخامس** : في كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، برقم ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩، ٣٠٨/٢. **السادس** : في كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، برقم ٢٠١٤، ٣١٠/٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، برقم ٧٦٠، ٥٢٣/١ .

(٢) – كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، برقم ٣٧، ١٧/١ .

(٣) – كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، برقم ١٩٠١، ٢٧٩/٢ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من موضوعات الدعوة : الترغيب في قيام رمضان :

في هذا الحديث حثٌّ وترغيبٌ بقيام رمضان، وليلة القدر منه، إيماناً واحتساباً، وذلك بغفران ما تقدم من الذنوب، لذا جاء في صحيح الإمام مسلم - رحمه الله - عن أبي هريرة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول : « **من قام رمضان** ... » (١) . يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (قوله من غير أن يأمرهم بعزيمة، معناه : لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم، بل أمر ندبٍ وترغيب، ثم فسره بقوله : فيقول : من قام رمضان، وهذه الصيغة تقتضي الترغيب والندب) (٢) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، وخاصة إذا قرب رمضان الحث والترغيب في قيامه، والحرص على تحري ليلة القدر منه، بذكر مثل هذا الحديث، الذي يذكر فيه رسول الله ﷺ جزاء من قامه غفران ما تقدم من الذنوب .

ثانياً - التأكيد على أهمية إخلاص النية، واحتساب الأجر من الله ﷻ :

إن الإخلاص شأنه كبير، وأجره عظيم، وهذا الحديث فيه حثٌّ وتأكيد عليه، فرسول الله ﷺ رتّب على قيام رمضان وليلة القدر منه، غفران ما تقدم من الذنوب، بشرط أن يكون هذا إيماناً واحتساباً، يقول الإمام الخطابي - رحمه الله - : (إيماناً واحتساباً، أي نيةً وعزيمة، وهو أن يصومه على وجه التصديق به والرغبة في ثوابه، طيبة نفسه بذلك، غير كارهة له، ولا مستثقلة لصيامه، أو مستطيلة لأيامه) (٣) .

فينبغي للدعاة إلى الله الحرص على التأكد من وجود هذه النية في سائر أعمالهم،

---

(١) - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، برقم ٧٦٠، ١/٥٢٣ .

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/٤٠ .

(٣) - أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، ١/١٦٩ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/٣٩ . وفتح الباري، لابن حجر ، ٤/٢٩٦ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٣٤ .

ومن ثم التأكيد على المدعوين بتحصيلها والعمل على إيجادها في قلوبهم، حتى يؤجروا من الله بغفران ما تقدم من ذنوبهم .

ثالثاً - أهمية أسلوب الترغيب في العمل بذكر ثوابه :

من هذا الحديث نخرج بفائدة مهمة، ينبغي للداعية إلى الله التنبه لها، وهي أنه إذا أراد أن يرغب في شيء فعليه أن يذكر ما ورد من ثواب لفاعله، وعكس ذلك إذا أراد أن يرهب من عمل أن يذكر ما ورد من عقاب لفاعله، فرسول الله ﷺ يذكر في هذا الحديث أن من قام رمضان - إيماناً واحتساباً - أجره أن يغفر له ما تقدم من ذنبه، بل في الرواية الأخرى يخص ذلك بقيام ليلة القدر منه، إذن العمل قليل ويسير في مقابل الثواب العظيم الذي يترتب عليه، فالنفس جبلت على حب الخير والإكثار منه، فإذا عرفت الأجر وخاصة إذا كان عظيماً أقبلت على العمل بنشاطٍ وطمعٍ في أجره العظيم . والعكس صحيح، فإنها إذا عرفت العقاب خافت منه وابتعدت عنه .

٣٧ - باب الجهاد من الإيمان

٣٤ - ٣٦ - حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَاحِدِ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَارَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : **« انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ - لا يُخْرِجُهُ إلا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي - أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ »** (١) .

وفي رواية : قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : **« مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ** (٢) .

وفي رواية : قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : **« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلا أَنَّ رِجَالا**

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، برقم ٢٧٨٧، ٢٦٤/٣ . **الثاني** : في كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، برقم ٢٧٩٧، ٢٦٨/٣ . **الثالث** : في كتاب الجهاد والسير، باب الجعائل والحملان في السبيل، برقم ٢٩٧٢، ١٤/٤ . **الرابع** : في كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ : « أحلت لكم الغنائم »، برقم ٣١٢٣، ٦١/٤ . **الخامس والسادس** : في كتاب التمني، باب ما جاء في التمني ومن تمنى الشهادة، برقم ٧٢٢٦ و ٧٢٢٧، ١٦٣/٨ . **السابع** : في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى : { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين }، برقم ٧٤٥٧، ٢٣٧/٨ . **الثامن** : في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي .. }، برقم ٧٤٦٣، ٢٣٩/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم ١٨٧٦، ١٤٩٥/٣ .

(٢) - كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، برقم ٢٧٨٧، ٢٦٤/٣ .

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتخَلَّفُوا عَنِّي وَلا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ ا للهِ » (١) .

وفي رواية : قَالَ : قَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ : « **لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ وَلَكِنْ لا أَجِدُ حَمُولَةً وَلا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ وَيَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَتخَلَّفُوا عَنِّي وَلَوَدِدْتُ أَنِّي قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ ا للهِ فَقُتِلْتُ ثُمَّ أُحْيِيتُ ثُمَّ قُتِلْتُ ثُمَّ أُحْيِيتُ** » (٢) .

وفي رواية : قَالَ : « **تَكَفَّلَ ا للهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لا يُخْرِجُهُ إلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ** » (٣) .

شرح غريب الحديث :

« **انْتَدَبَ** » – ندبه لأمر فانتدب له أي دعاه له فأجاب . وقيل : أي سارع بثوابه وحسن جزائه . وقيل : أجاب . وقيل تكفل (٤) .

« **سَرِيَّةٍ** » – هي القطعة من الجيش (٥) .

الدراسة الدعوية للحديث :

فمن هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – عظم مكانة النية في الإسلام .

ثانياً – الترغيب في الجهاد في سبيل ا لله.

---

(١) – كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، برقم ٢٧٩٧، ٣/٢٦٨ .

(٢) – كتاب الجهاد والسير، باب الجعائل والحملان في السبيل، برقم ٢٩٧٢، ٤/١٤ .

(٣) – كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ : « أحلت لكم الغنائم »، برقم ٣١٢٣، ٤/٦١.

(٤) – انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١/١٥٥ . وعمدة القاري، للعيني،١/٢٢٩ .

(٥) – انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١/١٥٦ . وعمدة القاري، للعيني،١/٢٣٠ .

ثالثاً – من الأساليب القولية في الدعوة إلى الله، تمني القيام بالأعمال الصالحة .

رابعاً – من صفات الداعية التيسير وترك المشقة على المدعوين .

خامساً – أهمية أسلوب ضرب المثل في الدعوة إلى الله .

سادساً – من الحكمة في الدعوة أنه إذا تعارضت مصلحتان بدئ بأهمهما .

سابعاً – أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - عظم مكانة النية في الإسلام :

إن في قوله ﷺ : « **انْتَدَبَ الله لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ – لا يُخْرِجُهُ إلا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي** – .. » وقوله ﷺ في الرواية الأخرى : « **وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ** .. » دليلاً على عظم مكانة النية الخالصة في الإسلام وأن الإنسان لا ينال من أجر على عمله إلا بقدر نيته، وإخلاصه فيها، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – وفي هذا الحديث : (أن الأعمال الصالحة لا تستلزم الثواب لأعيانها، وإنما تحصل بالنية الخالصة إجمالا وتفصيلا) (١) .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله التنبه لهذا الأمر وتصحيح نياتهم في أعمالهم، وأن تكون خالصة لله،وحث الناس على ذلك في جميع أعمالهم، يقول الإمام الكرماني–رحمه الله–: (وفي الحديث الحث على حسن النية) (٢) .

ثانياً - الترغيب في الجهاد في سبيل الله :

في الحديث يُرغب رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله لما فيه من إعلاءٍ لكلمة الله ونصرٍ لهذا الدين ودفاعٍ عنه، قال العلماء – رحمهم الله – : في هذا الحديث بيان

---

(١) – فتح الباري، ٦/١٣ . وانظر : طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين أبي الفضل العراقي، ٧/١٩٤، ١٩٩ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٦/٦٠١.وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٣١ .

(٢) – الكواكب الدراري ، ١/١٥٧ .

لفضل الجهاد والشهادة في سبيل الله [١].ويقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله - : (وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهد في سبيل الله في نيل الثواب في كل حركة وسكون، لأن المراد من الصائم القائم من لا يفتر ساعة عن العبادة فأجره مستمر، وكذلك المجاهد لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب) [٢] . فما أعظم هذا العمل وثوابه، ومما يؤكد ذلك أن الرسول ﷺ (عبر عن الله ﷻ بتفضيله بالثواب بلفظ الضمان ونحوه مما جرت به عادة المخاطبين فيما تطمئن به نفوسهم)[٣].

ثالثاً - من أساليب الدعوة إلى الله القولية، تمني القيام بالأعمال الصالحة :

إن من أساليب الدعوة التي تُستفاد من هذا الحديث، تمني القيام بالأعمال الصالحة، وأن تكون أمنية الإنسان أكثر من عمله، فالرسول ﷺ في الحديث يقول : « **وَلَوَدِدْتُ أَنِّي قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ الله فَقُتِلْتُ ثُمَّ أُحْيِيتُ ثُمَّ قُتِلْتُ ثُمَّ أُحْيِيتُ** » ومن هذا يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (وفيه تمني الخير والنية فوق ما يطيق الإنسان وما لايمكنه إذا قدر له - إلى أن قال - وفيه جواز قول الإنسان وددت حصول كذا من الخير الذي يعلم أنه لايحصل) [٤] .

فينبغي للداعية أن يقول ويتمنى كثيراً من الخير من باب تشجيع النفس على حبِّ الخير، وحثُّ السامعين على التنافس في الخيرات والإقبال عليها . فرسول الله ﷺ في هذا الحديث يتمنى القتل في سبيل الله ثم العودة إلى الحياة مرة أخرى لكي يقتل، وهذا لا يمكن أن يقع في العادة، ولكن قال ذلك ﷺ من باب الترغيب في الشهادة والجهاد في سبيل الله، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - عن ذلك : (وفيه تمني الشهادة وتمني ما

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ، ١٥٧/١. ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٦٠١/٦ . فتح الباري، لابن حجر ١٣/٦ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٣١/١ .

(٢) - فتح الباري، ١٠/١ .

(٣) - المرجع السابق، ١٠/١ .

(٤) - عمدة القاري، ٢٣١/١ . وانظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ١٥٧/١ .

لايمكن في العادة من الخيرات) (١) .

رابعاً - من صفات الداعية التيسير وترك المشقة على المدعوين :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث بين لنا أنه ترك بعض أعمال البر حتى لا يشق على أمته في تكلف هذه الأعمال، يقول الإمام الأبي -رحمه الله-:(وفيه رفقه ﷺ بالأمة، وهو أنه ترك بعض أعمال البر لئلا يتكلفوا فيشق عليهم) (٢) . وقد جاء تفسير المشقة في الرواية الأخرى بأنه لا تطيب أنفسهم بالتخلف عنه، وهو لا يجد ما يحملهم عليه، وهم لا يقدرون على ذلك لضيق الحال .

فمن هنا نستفيد درساً عظيماً من هذا الخلق لرسول الله ﷺ، وهو فيما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله من رفق وتيسير على المدعوين، وأن لايشقوا عليهم، ولا يكلفوهم ما لا يطيقون من الأعمال .

خامساً - أهمية أسلوب ضرب المثل في الدعوة إلى الله :

إن مما يستفاد من قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث : « **مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله – وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ – كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وَتَوَكَّلَ الله لِلْمُجَاهِدِ فِي** .. » أهمية ضرب الأمثال للترغيب في بعض الأعمال، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله - : (وشبه حال الصائم القائم بحال المجاهد في سبيل الله في نيل الثواب في كل حركة وسكون، لأن المراد من الصائم القائم من لا يفتر ساعة عن العبادة فأجره مستمر، وكذلك المجاهد لا تضيع ساعة من ساعاته بغير ثواب) (٣) . ويقول - رحمه الله - : (وفيه - أي الحديث - استعمال التمثيل في الأحكام) (٤) .

---

(١) - الكواكب الدراري ، ١٥٧/١ .

(٢) - إكمال إكمال المعلم، ٦٠١/٦ . وانظر : طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين أبي الفضل العراقي، ٢٠٣/٧.والكواكب الدراري، للكرماني، ١٥٧/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٣١/١ .

(٣) - فتح الباري، ١٠/١ .

(٤) - المرجع السابق ، ١٣/١ .

فالداعية ينبغي له أن يرغب في بعض الأعمال بضرب المثل وبتشبيه بعضها ببعض، وخاصة بمثل ما ورد في مثل هذه الأحاديث ليحصل الإقبال على ما يريد أن يرغب فيه .

سادساً - من الحكمة في الدعوة أنه إذا تعارضت مصلحتان بدئ بأهمهما :

ينبغي للداعية إلى الله أن يكون حكيماً في دعوته، ومن ذلك أنه إذا تعارضت مصلحتان بدئ بأهمهما، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث ترك بعض الأعمال الصالحة لمصلحة أهم، وهي ترك المشقة على أصحابه ﷺ، يقول بعض العلماء - رحمهم الله -: وفيه - أي الحديث - أنه إذا تعارضت مصلحتان بدئ بأهمهما، وأنه يترك بعض المصالح لمصلحة أرجح، أو لخوف مفسدة تزيد عليها [(١)] .

فالداعية ينبغي له أن يكون حكيماً في دعوته يراعي المصالح والمفاسد، ينظر في كل ما يطلبه من المدعوين وما يترتب عليه، لوزن الأمور وتقديرها .

سابعاً - أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله :

إن القسم له فائدة كبيرة في التأكيد وإعطاء المقسم عليه العناية من الاهتمام، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث أقسم بالله بقوله : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلا أَنَّ رِجَالا..** »، ويقول عن ذلك الحافظ زين الدين العراقي - رحمه الله - : (وفيه جواز الحلف لتأكيد الأمر وتعظيمه من غير احتياج إلى ذلك في خصومة ولا غيرها، وإنما المكروه الاستخفاف باليمين) [(٢)] .

إذن فالداعية إلى الله إذا أراد أن يؤكد أمراً ويعظمه، فعليه أن يستخدم مثل هذا الأسلوب وهو الحلف والقسم عليه، حتى يعظم ويتأكد في ذهن السامع، وخاصة إذا كان الأمر في حقيقته عظيماً .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١/١٥٧ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٣١ .

(٢) - طرح التثريب في شرح التقريب، ٧/١٩٧ .

٣٠ - باب الدين يسر، وقول النبي ﷺ :
« أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة »

٣٥ - ٣٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُالسَّلامِ بْنُ مُطَهَّرٍ : قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْـنُ عَلِيٍّ عَـنْ مَعْنِ بْـنِ مُحَمَّدٍ الْغِفَارِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ ، فَسَـدِّدُوا وَقَـارِبُوا ، وَأَبْشِـرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ** » (١) .

وفي رواية : « **لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُـهُ الْجَنَّـةَ** » . قَـالُوا : وَلا أَنْـتَ يَـا رَسُـولَ الله قَـالَ: « **لا وَلا أَنَـا إِلا أَنْ يَتغَمَّدَنِـي الله بِفَضْـلٍ وَرَحْمَـةٍ فَسَـدِّدُوا وَقَـارِبُوا وَلا يَتمَنَّيَـنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ** » (٢) .

وفي رواية : « **لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ** » . قَـالُوا : وَلا أَنْـتَ يَـا رَسُـولَ الله . قَالَ: « **وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَـيْءٌ مِـنَ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا** » (٣) .

شرح غريب الحديث :

« **فَسَدِّدُوا** » – أي الزموا السداد، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، قال أهل اللغة : السداد التوسط في العمل (٤) .

---

(١) – أطرافه : **الأول** : في كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، برقم ٥٦٧٣، ١٣/٧ . **الثاني** : في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، برقم ٦٤٦٣، ٢٣٢/٧ . **الثالث**: كتاب التمني، باب ما يكره من التمني، برقم : ٧٢٣٥، ١٦٥/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، برقم ٢٨١٦، ٢١٦٩/٤ .

(٢) – كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، برقم ٥٦٧٣، ١٣/٧ .

(٣) – كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، برقم ٦٤٦٣، ٢٣٢/٧ .

(٤) – فتح الباري، لابن حجر، ١١٧،١ . وانظر : جامع الأصول، لابن الأثير، ٣٠٧/١ .

« وَقَارِبُوا » – أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقارب منه (١) .

« الْغَدْوَةِ » – سير أول النهار، وقيل : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس (٢) .

« الرَّوْحَةِ » – الروح : العود عشياً، والمراد اعملوا أطراف النهار وقتاً وقتاً (٣) .

« الدُّلْجَةِ » – سير الليل، والمراد به : العمل في الليل، وقوله : « وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ »، إشارة إلى تقليله (٤) .

« يُشَادَّ » – المشادة : مفاعلة من الشدة، أي : لن يغالب، ولن يقاوي أحد الدين إلا غلبه (٥) .

« الْقَصْدَ » – العدل في الفعل والقول، والوسط بين الطرفين (٦) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الرفق بالنفس في التربية والطاعة والبعد عن الغلو والحذر منه .

ثانياً – من صفات الداعية التفاؤل والاستبشار .

ثالثاً – الحث على العمل وخاصة في الأوقات المباركة، مع إتقانه .

رابعاً – من التنبيهات التي توجه للداعية، النهي عن الاتكال على العمل .

خامساً – ما لا يدرك جله، لا يترك كله .

سادساً – من خصائص الدين الإسلامي اليسر .

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر، ١١٨،١ . وانظر : جامع الأصول، لابن الأثير، ٣٠٧/١ .
(٢) – انظر : المرجع السابق ، ٣٠٨/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١١٧،١ .
(٣) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٣٠٩/١ .
(٤) – المرجع السابق، ٣٠٨/١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١١٨،١ .
(٥) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٣٠٩/١ .
(٦) – المرجع السابق، ٣٠٩/١ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية الرفق بالنفس في التربية والطاعة والبعد عن الغلو والحذر منه :

إن من أهم الموضوعات التي يجب أن يتنبه إليها الداعية في تربية نفسه، وفي تربية الآخرين، الرفق بالنفس في الطاعة والبعد عن الغلو في الدين والحذر منه أشد الحذر، هذا وقد نبّه كثير من العلماء عند شرحهم لهذا الحديث من الغلو في الدين انطلاقاً من قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث : « **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا** ..»، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب . قال ابن المنير : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله ويُغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة - إلى أن قال - وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر) [١] .

ويقول الإمام النووي - رحمه الله - : (ومعنى سددوا وقاربوا، اطلبوا السداد واعملوا به، وإن عجزتم عنه فقاربوه، أي اقربوا منه والسداد الصواب، وهو بين الإفراط والتفريط، فلا تغلوا ولا تقصروا) [٢] .

---

(١) - فتح الباري، ١١٧/١ . وانظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، ١٧٠/١ . وبهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ٧٥/١، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الكتب العلمية، بيروت . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٢/١٧ . والكواكب الدراري ، للكرماني ١٦٢/١. وعمدة القاري، للعيني،٩٩/١ . وشرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٢٦٨/٣ .

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٢/١٧ .

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - : (يعني لن يطلب أحد التشدد في الدين إلا غُلِب وهُزِم، وكلَّ وملَّ وتعب، ثم استحسر فترك، هذا معنى قوله: « **وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ** .. » يعني أنك إذا شددت الدين وطلبت الشدة، فسوف يغلبك الدين، وسوف تهلك، كما قال النبي ﷺ في الحديث السابق، « **هلك المتنطعون** » (١)) (٢) .

فخلاصة الكلام أن أمر الغلو في الدين شأنه عظيم وخطره كبير فليتنبه الداعية له، ولِيَحذر منه أشد الحذر في نفسه وفي المدعوين .

ثانياً - من صفات الداعية التفاؤل والاستبشار :

إن من صفات الداعية التي تؤخذ من هذا الحديث، صفة التفاؤل، فقول رسول الله ﷺ : « **وَأَبْشِرُوا** »، يقول عنه الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - : (يعني أبشروا أنكم إذا سددتم وأصبتم، أو قاربتم، فأبشروا بالثواب الجزيل والخير والمعونة من الله ﷻ ، وهذا يستعمله النبي عليه الصلاة والسلام كثيراً حيث يبشر أصحابه بما يسرهم، ولهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على إدخال السرور على إخوانه ما استطاع بالبشارة والبشاشة وغير ذلك) (٣) .

ويقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (وأبشروا، أي إن تعلقتم به واستسلمتم إليه فأبشروا أنكم تجدونه حيث تؤملون، كيف لا وقد قال تعالى على لسان نبيه ﷺ : « **أنا عند ظن عبدي بي** » (٤)) (٥) .

فرسول الله ﷺ كان يحب الفأل والتبشير بالخير، وحسن الظن بما عند الله، لذا قال: « **وَلا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ**

(١) - صحيح مسلم ، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم ٢٦٧٠، ٢٠٥٥/٤ .
(٢) - شرح رياض الصالحين، ٢٦٨/٣ .
(٣) - المرجع السابق، ٢٦٩/٣ .
(٤) - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} ، رقم٧٤٠٥، ٢١٦/٨.
(٥) - بهجة النفوس، ٩٢/١ .

أَنْ يَسْتَعْتِبَ »، يقول الإمام ابن الأثير - رحمه الله - : (وإنما أحب الفأل، لأن الناس إذا أَمَّلُوا فائدة الله تعالى، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير . وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر . وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء .

ومعنى التفاؤل : مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول : يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته) [١] . أو يظن الداعية في المدعوين خيراً، وتوفيقاً لدعوته وقبولها بين الناس، ويبشرهم بالتوفيق والغلبة والنصر، ولا يقول لهم إلا ما فيه حسن الظن بالله وتوفيقه، لذا قال رسول الله ﷺ : « **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ** »، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ لا أَدْرِي أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ [٢] .

ثالثاً - الحث على العمل وخاصة في الأوقات المباركة، مع إتقانه :

في هذا الحديث حثٌّ على العمل وترغيب فيه، فالإنسان لا ينال رحمة الله وتوفيقه والبشرى بالخير في الدنيا والآخرة إلا إذا عمل العمل الصالح، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث بشر فقط العامل الذي يُسدد ويُقارب، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - عن ذلك : (وفيه دليل على أن البشارة إنما تكون للعاملين، لأنه ﷺ لم يقل أبشروا إلا بعدما نصّ على العمل الذي يوجب البشارة، وهو التسديد والتقريب لمن عمل بها فأتى بالبشارة للعاملين بذلك، وهو مثل قوله تعالى في كتابه : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا**

---

(١) - النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الفاء مع الهمزة، ٣/٤٠٦ .

(٢) - أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي من قول : هلك الناس، رقم ٢٦٢٣، ٤/٢٠٢٤ .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - عن كلمة (أهلكهم) : (الرفع أشهر ومعناها : أشدهم هلاكاً، وأما رواية الفتح فمعناها : هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة) . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/١٧٥ .

وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله ﴾ (١) . فنص ﷻ على أن من فعل ما ذكره من الأعمال هو الذي يرجو رحمته ﷻ . وكذلك فيما نحن بسبيله من أخذ بالتسديد والتقريب على نحو ما تقدم هو الذي يستبشر) (٢) . وقال - رحمه الله - في موضع آخر: (معنى البشارة هنا هي أن من عمل بما ذكرناه فليستبشر بأن الله يجعل له عند العسر يسراً، وعند الضيق مخرجاً، يؤيد هذا قوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ﴾ (٤)) (٥) . وقال - رحمه الله - في موضع آخر: (وأبشروا ، أي إن فعلتم ما أمرتم به كما ذكرناه لكم فأبشروا عند تلك المجاهدة بتيسير سبل الخير والهداية، يشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ (٦)) (٧).

فينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، التنبه لهذا الأمر، والاهتمام به حق الاهتمام، فمع الاتصاف بالتفاؤل والاستبشار، لابد من العمل والحركة والنشاط، وخاصة في الأوقات المذكورة في هذا الحديث، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : على الإنسان أن يستعين على مداومة العمل بإيقاعها في أوقات الفراغ والنشاط (٨) .

---

(١) - سورة البقرة، الآية : ٢١٨ .
(٢) - بهجة النفوس، ٧٢/١ .
(٣) - سورة الطلاق، الآية : ٢ و ٣ .
(٤) - سورة الطلاق، الآية : ٥ .
(٥) - بهجة النفوس، ٨٣/١ .
(٦) - سورة العنكبوت، الآية : ٦٩ .
(٧) - بهجة النفوس، ٨٦/١ .
(٨) - انظر : المرجع السابق، ٨٣/١،٨٤ . والكواكب الدراري ، للكرماني ١٦٢/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٥٠/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٣٩/١ .

رابعاً - من التنبيهات التي توجه للداعية، النهي عن الاتكال على العمل :

فبعد أن عرفنا من الفائدة السابقة أهمية العمل وأن في هذا الحديث حثٌ عليه، نبه على أمر مهم وهو أن العمل مهما كان في الكمال، فيجب أن لا يتّكل عليه الإنسان، فليس هو إلا سبب لرحمة ا لله وفضله وكرمه ومنّه جلّ وعلا، يقول رسول ا لله ﷺ في هذا الحديث: « **لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ** » فعند ذلك سأله الصحابة ﷺ فَقَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ ا للهِ، قَالَ : « **وَلا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي ا للهُ بِرَحْمَةٍ** » وهو أكمل الناس في طاعة ا لله وعبادته، والعمل لدينه، والدعوة إليه .

فخلاصة الكلام أن الداعية إلى ا لله ينبغي لـه أن يعمل بقدر استطاعته، وأن يبذل جهده ويستفرغه، مع الحذر من الاتكال على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات، لأنه إنما عمل بتوفيق ا لله، وإنما ترك المعصية بعصمة ا لله، فكل ذلك بفضله ورحمته (١) .

خامساً - ما لا يدرك جله، لا يترك كله :

إن من القواعد الدعوية المهمة - التي تُستفاد من هذا الحديث - والتي يتصف فاعلها بالحكمة، أن ما لا يدرك جله، لا يترك كله، فرسول ا لله ﷺ، بين لنا في هذا الحديث، أن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه . إذن فالتعمق في الأعمال الدينية ومحاولة العمل وإدراك كل ما ورد في الدين من طاعات ونوافل وسنن وغيرها من أمور الدين من غير نقص ولا ملل، لا يستطيعه الإنسان، لأن له طاقة وقدرة واستطاعة، والدين متين فلن يستطيع عليه إلا بالرفق والتسديد والمقاربة، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه ا لله - : (ومناسبة إيراد المصنف لهذا الحديث عقب الأحاديث التي قبله ظاهرة من حيث أنها تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد، فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع) (٢) .

إذن فينبغي للداعية إلى ا لله أن يدرك ويفقه هذا الأمر، وهو أن الكمال مطلوب

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٠٣/١١ .

(٢) - المرجع السابق ، ١١٨/١ .

والزيادة من الخير مرغوب فيها، ولكن إذا لم يستطع أن يأتي بالكمال إلا بالمشقة وتكليف النفس ما لا تطيق، فالحكمة أن يسدد ويقارب منها حتى لا يمل ثم يقطع العمل لعدم استطاعته عليه،يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله -: (قوله: وأبشروا، أي بالثواب على العمل الدائم وإن قل، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشر به تعظيماً له وتفخيماً) (١) . إذن إذا لم تستطع أن تأتي بالعمل جله ، فلا تتركه كله .

سادساً - من خصائص الدين الإسلامي اليسر :

إن في هذا الحديث بياناً لخصيصة من خصائص هذا الدين العظيم، وهو اليسر والتيسير، يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - عند قوله ﷺ : « **إن الدين يسر** »: (يعني أن الدين الذي بعث به الله محمداً ﷺ، والذي يدين به العباد ربهم ويتعبدون له به يسر، كما قال ﷻ: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (٢) وقال تعالى حين ذكر أمره بالوضوء والغسل من الجنابة والتيمم - عند العدم أوالمرض - قال : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ (٣) - إلى أن قال - والحاصل أن الدين يسر؛ يسر في أصل التشريع، ويسر فيما إذا طرأ ما يوجب الحاجة إلى التيسير) (٤) .

(١) - فتح الباري، لابن حجر، ١١٨/١ .
(٢) - سورة البقرة، الآية : ١٨٥ .
(٣) - سورة المائدة، الآية : ٦ .
(٤) - شرح رياض الصالحين، ٢٦٦/٣-٢٦٨ .

٣١ - باب الصلاة من الإيمان، وقول الله تعالى :

﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ (١) .

٣٦ - ٤٠ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ (٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ أَوْ قَالَ : أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صَلاهَا صَلاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ . فَقَالَ : أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ . فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ . وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ . قَالَ : زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (٣) .

---

(١) - سورة البقرة، الآية : ١٤٣ .

(٢) - هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي المدني ﷺ، الفقيه الكبير، نزيل الكوفة من أعيان الصحابة ﷺ، شهد غزوات كثيرة مع النبي ﷺ، وقال غزوت مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة، واستصغر يوم بدر، أبوه صحابي ﷺ . روى عن النبي ﷺ ثلاثمائة حديث وخمسة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على اثنين وعشرين حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة عشر، ومسلم بستة أحاديث توفي سنة اثنتين وسبعين، وقيل إحدى وسبعين . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣/١٩٤ - ١٩٦ . تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١/١٣٢، ترجمة رقم٨٠ . والإصابة ، لابن حجر ، ١/٢٣٤ - ٢٣٥، ترجمة رقم٦١٥ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٤١) .

(٣) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، برقم ٣٩٩، ١/١١٩. **الثاني**: في كتاب تفسير القرآن (سورة البقرة)، باب { سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها .. }، برقم ٤٤٨٦، ٥/١٧٦ . **الثالث** : في كتاب تفسير القرآن (سورة =

وفي رواية : .. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ (١) . فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَقَالَ: السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ وَهُمُ الْيَهُودُ : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) . فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِي صَلاةِ الْعَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَ : هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ . فَتَحَرَّفَ الْقَوْمُ حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْكَعْبَةِ . (٣)

وفي رواية : .. فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلاةِ الْعَصْرِ . (٤)

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من وسائل الدعوة نزول الداعية في سفره على أقاربه .

ثانياً – شدة عداوة اليهود للمسلمين، وإثارتهم للشكوك والشبهات .

ثالثاً – أهمية منهج الردّ على الشبهات .

=

البقرة)، باب { ولكل وجهة هو موليها .. }، برقم ٤٤٩٢، ١٧٨/٥ . **الرابع** : في كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، برقم ٧٢٥٢، ١٧٠/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، برقم ٥٢٥، ٣٧٤/١ .

(١) – سورة البقرة، الآية : ١٤٤ .

(٢) – سورة البقرة، الآية : ١٤٢ .

(٣) – كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، برقم ٣٩٩، ١١٩/١ .

(٤) – كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، برقم ٧٢٥٢، ١٧٠/٨.

رابعاً – حرص الصحابة ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

خامساً – سرعة استجابة الصحابة ﷺ لأوامر الله، وشفقتهم على إخوانهم .

سادساً – إجازة خبر الواحد الصدوق .

سابعاً – من تاريخ الدعوة (دخول الرسول ﷺ المدينة، تحويل القبلة) .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من وسائل الدعوة نزول الداعية في سفره على أقاربه :

إن نزول الإنسان المسافر على أقاربه، فيه إكرام لهم، وصلة لرحمهم، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث عندما قدم المدينة، نزل على أجداده وأخواله من الأنصار، وفي هذا كما قال بعض العلماء – رحمهم الله – : إكرام لأقاربه بنزوله عليهم [1] .

لذا ينبغي للداعية الاهتمام بهذا الأمر إذا قدم على بلد وفيه أقارب أو معارف له، بالنزول عليهم وزيارتهم، لأنه بهذا العمل والأسلوب يؤلف قلوبهم، ويكسب ودّهم ومحبتهم له، ويمنع ما قد يَحصل ويُوجد في قلوبهم لو نزل على غيرهم، فقد يظنون أن ذلك لكرهه لهم أو غير ذلك من الوساوس التي قد يلقيها الشيطان في قلوبهم .

ثانياً – شدة عداوة اليهود للمسلمين، وإثارتهم للشكوك والشبهات :

إن اليهود في هذا الحديث يظهر منهم ما اتصفوا به من شدة العداوة للمسلمين، وإثارة الشكوك والشبهات حول الدين، فهم في هذا الحديث اعترضوا على شرع الله ﷻ، وإرادته بشبهة وهي قولهم : (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) أي : أي شيء صرفهم عنها .

وهذه من صفات اليهود المترسخة فيهم تجاه عباد الله المسلمين، منذ أن أكرم الله هذه الأمة برسولها محمد بن عبدالله ﷺ، العربي غير اليهودي، الذي أثار في نفوسهم الحقد والحسد العظيم .

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١/١٦٦ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٤٨ .

ثالثاً - أهمية منهج الردّ على الشبهات :

إن أعداء الدين منذ زمن الرسول ﷺ إلى هذا اليوم، وهم يثيرون الشكوك والشبهات حول كثير من قضايا الدين، وإذا لم يُردّ عليها فإنها قد تقع في نفس ضعيف الإيمان موقعاً خطيراً، فلذا كان الردُّ على الشبهات منهجاً دعوياً أصيلاً، فهذا الله ﷻ يردُّ على شبهات اليهود وما يثيرونه من شكوك حول الدين .

يقول العلامة ابن سعدي - رحمه الله - : ولكنه ﷻ - مع هذا - لم يترك هذه الشبهة، حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى : ﴿ قل ﴾ لهم مجيباً ﴿ لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ . أي : فإذا كان المشرق والمغرب ملكاً لله، ليس جهة من الجهات خارجة من ملكه، ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة إبراهيم، فلأي شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك الله، لم تستقبلوا جهة ليست ملكاً له ؟ فهذا يوجب التسليم لأمره، بمجرد ذلك . فكيف وهو من فضل الله عليكم، وهدايته وإحسانه، أن هداكم لذلك . فالمعترض عليكم، معترض على فضل الله، حسداً لكم وبغياً (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ الردُّ على الشبهات التي تثار حول الإسلام والمسلمين، حتى لا تقع في نفوس بعض المدعوين فتؤثر فيهم .

رابعاً - حرص الصحابة ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

في هذا الحديث لما مرّ الرجل المذكور في الحديث - وهو عباد بن بشر (٢) - بالقوم الذين يصلون على القبلة الأولى، سارع إلى إخبارهم بتحول القبلة، وطلب منهم التحول إلى القبلة الجديدة مؤكداً ذلك بالحلف عليه .

---

(١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ١٠٥/١ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٢٠/١ .

وهذا كان شأن صحابة رسول الله ﷺ في الحرص على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكرات، وتغييرها . فهم سلفنا الصالح الذين نقتدي بهم ونحرص على هديهم وسيرهم .

خامساً - سرعة استجابة الصحابة ﷺ لأوامر الله، وشفقتهم على إخوانهم :

إن في مسارعة الصحابة ﷺ الذين كانوا في الصلاة إلى تغيير القبلة التي كانوا عليها، وعدم انتظارهم إلى أن يفرغوا من الصلاة، يظهر منه مدى سرعة استجابة صحابة رسول الله ﷺ لأوامر الله وشرعه، وعدم التردد أو التأخر فيها . بل من شدة مسارعتهم أنهم انحرفوا وهم ركوع ولم ينتظروا الرفع منه، كما جاء في الرواية الأخرى : (فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ) .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك : (وفيه بيان ما كان في الصحابة من الحرص على دينهم والشفقة على إخوانهم) [١] . فالحرص كما سبق بيانه، والشفقه بسؤالهم عن حال إخوانهم الذين ماتوا قبل تغيير القبلة، بقولهم كما قال جاء عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [٢] .

سادساً - إجازة خبر الواحد الصدوق :

إن الصحابي الجليل الذي نقل خبر تغيير القبلة للذين كانوا يصلون من الصحابة ﷺ، وإقرار الرسول ﷺ، لهم، فيه دليل على إجازة خبر الواحد الصدوق، ولذا ساق الإمام البخاري - رحمه الله - على هذا الحديث في كتاب أخبار الآحاد، ترجمة قال فيها: (باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق) [٣] .

---

(١) - فتح الباري، ١٢٢/١ .
(٢) - سورة البقرة، الآية : ١٤٣ .
(٣) - صحيح البخاري، ١٧٠/٨ .

ويقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : (وفيها - أي الآيات المذكورة في الحديث وسبب نزولها - دليل على جواز القطع بخبر الواحد، وذلك أن استقبال بيت المقدس كان مقطوعاً به من الشريعة عندهم، ثم أن أهل قُبَاء لما أتاهم الآتي وأخبرهم أن القبلة قد حولت إلى المسجد الحرام، قبلوا قوله واستداروا نحو الكعبة ؛ فتركوا المتواتر بخبر الواحد وهو مظنون) (١) .

إذن فخلاصة الكلام أنه متى ثبت للداعية إلى الله خبرٌ من نقل الثقة الصدوق، فله أن يعمل به، وينطلق منه، ويبني عليه من المواقف، من غير طلب التواتر فيه .

سابعاً - من تاريخ الدعوة (قدوم الرسول ﷺ المدينة، تحويل القبلة) :

في هذا الحديث إشارة إلى شيء من تاريخ الدعوة، وهو :

١ - قدوم رسول الله ﷺ المدينة ونزوله على أخواله من بني النجار، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (إن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف) (٢) .
ويقول العلامة العيني - رحمه الله - : (كان قدومه عليه السلام إلى المدينة يوم الأثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول حين اشتداد الضحى وكادت الشمس تعتدل) (٣).

٢ - تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، بعد ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (والجمع بين الروايتين سهل: بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحول شهراً وألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معاً، ومن شك تردد في ذلك . وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحول في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور) (٤) .

---

(١) - الجامع لأحكام القرآن، ٢/١٥١ .
(٢) - فتح الباري، ١/١٢٠ .
(٣) - عمدة القاري، ١/٢٤٤ .
(٤) - فتح الباري، ١/١٢٠ .

٣٣ - باب حسن إسلام المرء

٣٧ - ٤١ - قَالَ : مَالِكٌ أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا** ».

٣٨ - ٤٢ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا** » (١) .

شرح غريب الحديثين :

« **زَلَفَهَا** » – معناه أسلفها وقدمها، والأصل فيه القرب (٢) .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – الحث على حسن الإسلام .

ثانياً – أسلوب الترغيب في الإسلام، بأن الله يكفر السيئات .

---

(١) – أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم ١٢٩، ١/١١٧ .

(٢) – انظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، ١/١٧٢ .

ثالثاً – أسلوب الترهيب من السيئات، بأن هناك قصاصاً يوم القيامة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - الحث والترغيب في حسن الإسلام :

في هذا الحديث حثٌّ وترغيبٌ في حسن الإسلام، إذ يقول ﷺ إنه إذا حسن إسلام العبد فإن الله : « **يُكَفِّرُ الله عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا** .. »، بل ليس هذا فقط ففي آخر الحديث والحديث الثاني زيادة بمضاعفة الحسنات، إذ يقول ﷺ : « **الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلا أَنْ يَتَجَاوَزَ الله عَنْهَا** »، وحسن إسلام المرء معناه، كما يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (أي صار إسلامه حسناً باعتقاده وإخلاصه ودخوله فيه بالباطن والظاهر وأن يستحضر عند عمله قرب ربه منه واطلاعه عليه كما دل عليه تفسير الإحسان في حديث سؤال جبريل كما سيأتي [(١)]) [(٢)] .

فينبغي للداعية إلى الله أن يرغب المدعوين في الإسلام وإحسانه، بذكر ما أعده الله لهم من تكفير السيئات التي زلفوها، ومضاعفة الحسنات إذا فعلوها .

ثانياً - أسلوب الترهيب من السيئات، بأن هناك قصاصاً يوم القيامة :

فكما ذكرنا في الفائدة الأولى بأن الحديث فيه ترغيب في الإسلام وإحسانه، فإن فيه أيضاً ترهيباً من السيئات والمعاصي والذنوب، وهو أن هناك عقاباً وجزاءاً، إذ يقول ﷺ: « **وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ** .. »، (وهنا عبر عنه بالماضي لتحقق الوقوع فكأنه وقع، كقوله تعالى : ﴿ ونادى أصحاب الجنة ﴾ [(٣)]) [(٤)] .

---

(١) – انظر : ص٣٠٤ من هذا البحث

(٢) – فتح الباري، ١٢٢/١ .

(٣) – سورة الأعراف، الآية : ٤٤ .

(٤) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٢٣/١ .

٣٣ - باب أحب الدين إلى الله أدومه

٣٩ - ٤٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ هِشَامٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ : « **مَنْ هَذِهِ** » . قَالَتْ : فُلاَنَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا . قَالَ : « **مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَا للهِ لا يَمَلُّ ا للهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ** » [١] .

وفي رواية : .. فَقَالَ : « **مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ ..** » [٢] .

شرح غريب الحديث :

« **مَهْ** » - كلمة مبنية على السكون، وهي اسم سمي به الفعل، والمعنى أكفف. وقيل : أصل هذه الكلمة (ما هذا) كالإنكار، فطرحوا بعض اللفظة، فقالوا : مه، فصيروا الكلمتين كلمة [٣] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - اهتمام الداعية بأهل بيته ، بمعرفة من يزورهم ويدخل عليهم .

ثانياً - أهمية الرفق بالنفس في التربية والطاعة والحذر من الغلو .

ثالثاً - أهمية الدوام على العمل وإن قلّ .

---

(١) - طرفه : كتاب التهجد، باب ما يكره من التشدد في العبادة، برقم ١١٥١، ٦١/٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، برقم ٧٨٥، ٥٤١/١ .

(٢) - كتاب التهجد، باب ما يكره من التشدد في العبادة، برقم ١١٥١، ٦١/٢ .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١، ١٢٥ .

رابعاً – أسلوب القسم وأثره الدعوي .

خامساً – إنكار المنكر بالقول .

سادساً – من صفات الداعية : الرحمة بالمدعوين .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – اهتمام الداعية بأهل بيته بمعرفة من يزورهم ويدخل عليهم :

إن في سؤال رسول الله ﷺ عن المرأة عندما قال : « **مَنْ هَذِهِ** »، بياناً لما ينبغي أن يكون عليه المسلم الداعية، من اهتمام بأهل بيته ومن يدخل عليهم، لأجل منع من يرى أن في زيارته شرّاً وضرراً عليهم، يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين – حفظه الله – : (في هذا الحديث فوائد منها : أن الإنسان ينبغي له إذا رأى عند أهله أحداً أن يسأل : من هو ؟ لأنه قد يكون هذا الداخل على الأهل ممن لا يرغب في دخوله، فإن من النساء من تأتي أهل البيت لتحدثهم بأحاديث يأثمون بها من الغيبة وغيرها، وربما تدخل امرأة – بحسن نية أو بغير حسن نية – تسأل عن البيت ؛ عما يفعل الزوج، وعما يأتي به في بيته، وعما يفعل الابن، ثم إذا ذُكِر لها ذلك ظلت تذكر ذلك بازدراء وتسخط، حتى تفسد المرأة على زوجها، فلذلك ينبغي للإنسان إذا وجد عند أهله أحداً أن يسأل عنهم، من هؤلاء ؟ كما سأل النبي عليه الصلاة والسلام عائشة عن المرأة التي عندها) (١) .

ثانياً – أهمية الرفق بالنفس في التربية والطاعة والحذر من الغلو :

إن في هذا الحديث تأكيداً وتنبيهاً على أهمية الرفق بالنفس في التربية والطاعة، والحذر من الغلو فيها وتكليف النفس ما لا تطيق،وما يشق عليها،يقول الإمام ابن عبدالبر – رحمه الله – عند شرحه لهذا الحديث : (وأنتم متى تكلفتم من العمل والعبادة ما لا تطيقون، وأسرفتم لحقكم الملل وضعفتم عن العمل، فانقطع عنكم الثواب بانقطاع العمل. يحضهم ﷺ بهذا المعنى على القليل الدائم، ويخبرهم أن النفوس لا تحتمل الإسراف عليها،

---

(١) – شرح رياض الصالحين، ٣/٢٥٥ .

وأن ذلك سبب إلى قطع العمل) [١] .

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله -: (وفيه أيضاً - أي هذا الحديث - أنه ينبغي للإنسان أن لا يجهد نفسه بالطاعة، وكثرة العمل، فإنه إذا فعل هذا مل، ثم ترك، وكونه يبقى على العمل ولو قليلا مستمراً عليه أفضل ... - إلى أن قال - ففي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يعمل العبادة على وجه مقتصد، لا غلو ولا تفريط، حتى يتمكن من الاستمرار عليها، وأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل) [٢].

ثالثاً - أهمية الدوام على العمل وإن قلّ :

إن الدوام على العمل وإن كان قليلاً، هو أحب الدين إلى رسول الله ﷺ، فالعمل إذا داوم عليه الإنسان كان أحسن له، لأنه يفعله براحة، ويتركه وهو راغب فيه من غير ملل وكراهية له، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (فيه - أي هذا الحديث - فضيلة الدوام على العمل والحث على العمل الذي يدوم والعمل القليل الدائم خير من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الله سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة - إلى أن قال - وقد ذم الله من التزم فعل البر ثم قطعه بقوله : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ [٣] ألا ترى أن عبدا لله بن عمرو ندم على مراجعة النبي ﷺ بالتخفيف عنه لما ضعف[٤]، ومع ذلك لم يقطع الذي التزمه) [٥].

---

(١) - الاستذكار، ٢١٠/٥، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ط دار قتيبة، بيروت، ودار الوعى القاهرة . وانظر: أعلام الحديث، للخطابي، ١٧٤/١ . والكواكب الدراري، للكرماني ١٧٣/١ . وعمدة القاري، للعيني،٢٥٨/١. وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٢٤٤/١ .

(٢) - شرح رياض الصالحين، ٢٥٦/٣ .

(٣) - سورة الحديد، الآية : ٢٧ .

(٤) - انظر:صحيح الإمام البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، رقم ١٩٧٥، ٢٩٩/٢.

(٥) - عمدة لقاري، ٢٥٨/١ . وانظر: الكواكب الدراري ، للكرماني ١٧٣/١.

فينبغي للداعية إلى الله أن يحرص على بذل ما يستطيع من العمل الدائم وإن قلّ، سواءً كان ذلك في العبادة أو الدعوة، فالعمل الدعوي إذا كان دائماً وإن قلّ فإن أثره يكون أكبر وأنفع من الكثير المتقطع، فالدعوة تحتاج إلى استمرار ومتابعة للنتائج ومحافظة عليها، ولا يكون ذلك إلا بالدوام على العمل .

رابعاً - أسلوب القسم وأثره الدعوي :

إن القسم له فائدة كبيرة في التأكيد وإعطاء المقسم عليه مزيداً من العناية والاهتمام، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث أقسم بالله بقوله: « **فَوَاللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا** ..»، ومن هذا قال العلماء - رحمهم الله - : فيه جواز الحلف من غير استحلاف وأنه لا كراهة فيه إذا كان فيه تفخيم أمر أو حث على طاعة أو تنفير عن محذور ونحوه (١) .

إذن فالداعية إلى الله إذا أراد أن يؤكد أمراً ويعظمه، فعليه أن يستخدم مثل هذا الأسلوب وهو الحلف والقسم عليه، حتى يعظم ويتأكد في ذهن السامع، وخاصة إذا كان الأمر في حقيقته عظيماً .

خامساً - إنكار المنكر بالقول :

هذا الحديث فيه إنكار من رسول الله ﷺ لفعل المرأة بقوله : « **مه** »، يقول ابن حجر - رحمه الله - عن معناها : أي (أكفف، يقال مهمهته إذا زجرته، وقال الداودي: أصل هذه الكلمة : ما هذا، كالإنكار، فطرحوا بعض اللفظة فقالوا مه فصيروا الكلمتين كلمة، وهذا الزجر يحتمل أن يكون لعائشة رضي الله عنها، والمراد نهيها عن مدح المرأة بما ذكرت، ويحتمل أن يكون المراد النهي عن ذلك الفعل) (٢) .

فينبغي للداعية إلى الله المبادرة إلى إنكار بعض المنكرات بألسنتهم، وببعض الألفاظ التي فيها زجر وتوبيخ ككلمة « مه » .

---

(١) - انظر :الكواكب الدراري ، للكرماني ١/١٧٣. وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٢٦، وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٥٧ .

(٢) - انظر : فتح الباري، ١/١٢٥،١٢٦ .

سادساً - شفقة الرسول ﷺ ورأفته بأمته (من صفات الداعية الرحمة بالمدعوين) :

في هذا الحديث يظهر بوضوح المدى العظيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ في شفقته بأمته ورحمته بهم، فقد كان يخشى عليهم من الغلو في الدين، وتكليف أنفسهم ما لايطيقون من الأعمال، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - : (وفيه بيان شفقته ﷺ ورأفته على أمته لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة لأن النفس تكون فيه أنشط ويحصل منه مقصود الأعمال، وهو الحضور فيها والدوام عليها بخلاف ما يشق فإنه معرض لأن يُترك كله أو بعضه أو يفعله بكلفة فيفوته الخير العظيم) [1] .

ومنه هنا ينبغي للدعاة إلى الله أن يقتدوا برسول الله ﷺ سيد الدعاة وإمامهم، في الاتصاف بالرحمة والشفقة بالمدعوين، وعدم تكليفهم ما لا يقدرون عليه .

---

(١) - الكواكب الدراري ، ١٧٣/١ .

٣٤ - باب زيادة الإيمان ونقصانه، وقول الله تعالى :

﴿ وزدناهم هدى ﴾ (١)، ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ (٢) .

٤٠ - ٤٤ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامٌ قَالَ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا الله وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ . وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا الله وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ. وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا الله وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ** » قَالَ أَبُو عَبْد الله قَالَ أَبَانُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « **مِنْ إِيمَانٍ** » مَكَانَ مِنْ خَيْرٍ .(٣)

وفي رواية : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ : لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي، ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ الله إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ . فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، فَيَسْتَحِي، فَيَقُولُ : ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ . فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ائْتُوا مُوسَى**

---

(١) - سورة الكهف الآية : ١٣ .

(٢) - سورة المدثر، الآية : ٣١ .

(٣) - أطرافه : **الأول** : في كتاب تفسير القرآن (سورة البقرة)، باب الآية { وعلم آدم الأسماء كلها }، برقم ٤٤٧٦، ١٧١/٥ . **الثاني** : في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم ٦٥٦٥، ٢٥٩/٧. **الثالث** : في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { لما خلقت بيدي }، برقم ٧٤١٠، ٢١٨/٨ . **الرابع** : في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة }، برقم ٧٤٤٠، ٢٢٩/٨ . **الخامس والسادس** : كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم ٧٥٠٩ و ٧٥١٠، ٢٥٢/٨، ٢٥٣ . **السابع** : في كتاب التوحيد، باب قوله : { وكلم الله موسى تكليماً }، برقم ٧٥١٦، ٢٥٥/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم ١٩٣، ١٨٠/١.

عَبْدًا كَلَّمَهُ ا لله وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ . فَيَأْتونَهُ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ، فَيَقُولُ : ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ ا لله وَرَسُولَهُ وَكَلِمَةَ ا لله وَرُوحَهُ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ ا لله لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتونِي، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنَ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ ا لله، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ : مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إلا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ » (١) .

وفي رواية : قَالَ رَسُولُ ا لله ﷺ : « يَجْمَعُ ا لله النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتونَ آدَمَ .. - إلى أن قال - فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إلا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ » (٢) .

وفي رواية : « .. ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إلا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ا لله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا ا لله وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا ا لله وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا ا لله وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً » (٣) .

وفي رواية : « .. حتى مَا يبقى فِي النَّارِ إلا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أي وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ » . قال ثم تلا الآية : ﴿عسى ربك أن يبعثك مقاماً محموداً﴾ (٤). قال :

---

(١) - كتاب تفسير القرآن (سورة البقرة)، باب الآية { وعلم آدم الأسماء كلها }، برقم ٤٤٧٦، ١٧١/٥ .

(٢) - كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم ٦٥٦٥، ٢٥٩/٧ .

(٣) - كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { لما خلقت بيدي }، برقم ٧٤١٠، ٢١٨/٨ .

(٤) - سورة الإسراء، الآية : ٧٩ .

« وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ » (١) .

وفي رواية : قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شُفِّعْتُ فَقُلْتُ يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ فَيَدْخُلُونَ ثُمَّ أَقُولُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ** » . فَقَالَ : أَنَسٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (٢) .

وفي رواية : « .. **فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ** » . فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ : لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ (٣) . وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا : لَهُ يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ : هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ هِيهْ فَقُلْنَا لم يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا فَقَالَ : لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا قُلْنَا : يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ، وَقَالَ : خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولا، مَا ذَكَرْتُهُ إِلا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ :« **ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ** » (٤) .

---

(١) – كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } ، برقم٧٤٤٠، ٢٢٩/٨ .

(٢) – كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم ٧٥٠٩، ٢٥٢/٨ .

(٣) – هو الحسن بن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، قال عنه الذهبي : سيد أهل زمانه علماً وعملاً، رأى عثمان وطلحة، والكبار من الصحابة ﷺ . توفي ١١٠ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٦٣/٤ – ٥٨٨) .

(٤) – كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم ٧٥١٠، ٢٥٢/٨، ٢٥٣ .

شرح غريب الحديث :

« بُرَّةٍ » – هي القمحة [١] .

« ذَرَّةً » – هي أقل الأشياء الموزونة . وقيل : هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الإبر . وقيل : هي النملة الصغيرة [٢] .

« هُنَاكُمْ » –يقال: هنأت القوم إذا علتهم وكفيتهم وأعطيتهم، وهنئت أي ظفرت[٣].

« جَمِيعٌ » – رجل جميع : أي مجتمع الخلق قوي، لم يهرم ولم يضعف [٤] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – مكانة التوحيد في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

ثانياً – فضل ومنزلة نبينا محمد ﷺ .

ثالثاً – الإشارة إلى شيء من تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

رابعاً – من وسائل الدعوة، استعمال اليد أثناء الحديث .

خامساً – من موضوعات الدعوة، الحديث عن الشفاعة .

سادساً –من الحكمة في الدعوة،الحدِيثُ مع الناس بما يعرفون، وترك ما ينكرون.

سابعاً – أهمية إنزال الناس منازلهم، وتقديم الأكبر فالأكبر .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - مكانة التوحيد في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى :

إن التوحيد له مكانة عظيمة في الدعوة إلى الله فهو على صدارة أوليات الدعوة

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر، ١/١٢٩ .

(٢) – انظر : المرجع السابق، ١/١٢٩ .

(٣) – انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة هنأ، ٨/٤٧٠٦-٤٧٠٧ .

(٤) – جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/٤٨٢ .

وموضوعاتها، وفي هذا الحديث، يذكره رسول الله ﷺ، ويرغب فيه بقوله : « **يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا الله وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ** .. »، يقول ابن حجر - رحمه الله - عند شرحه لهذه الكلمة : (فيه دليل على اشتراط النطق بالتوحيد، أو المراد بالقول هنا القول النفسي، فالمعنى من أقر بالتوحيد وصدق، فالإقرار لا بد منه، فلهذا أعاده في كل مرة . والتفاوت يحصل في التصديق على الوجه المتقدم) (١) .

فالتوحيد والنطق بالشهادة والحث عليها والعمل بها، وبيان فضلها، من الموضوعات التي يجب أن تأخذ مكانة كبيرة في عمل الدعاة ودعوتهم . بل يجب أن تكون على رأس أولياتهم وأن لا يتقدمها شيء .

ثانياً - فضل ومنزلة نبينا محمد ﷺ :

في هذا الحديث بيانٌ للمنزلة العظيمة التي يعطيها الله تبارك وتعالى ، لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة، والشرف الكبير الذي يتميز به على سائر الأنبياء بالشفاعة للناس في تعجيل الحساب في محشرهم، وأنهم يذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم، فلا يجدوا لها إلا نبينا محمد ﷺ، الذي يذهب لربه ويسجد له ويعظمه ويحمده بتحميد يعلمه الله إياه، ثم يقول الله له : « **ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** .. »، وهذا المقام هو الذي وعده الله إياه بقوله عز وجل : ﴿ **عسى ربك أن يبعثك مقاماً محموداً** ﴾ (٢). قال نبينا ﷺ في الرواية الأخرى : « **وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ** » . يقول ابن حجر - رحمه الله -عند شرحه لهذا الحديث (وفيه تفضيل محمد ﷺ على جميع الخلق، لأن الأنبياء والملائكة أفضل ممن سواهم، وقد ظهر فضله في هذا المقام عليهم، يقول القرطبي - رحمه الله - : ولو لم يكن في ذلك إلا الفرق بين من يقول نفسي نفسي، وبين من يقول أمتي أمتي لكان كافياً) (٣) .

---

(١) - فتح الباري، ١٢٨/١ .
(٢) - سورة الإسراء، الآية : ٧٩ .
(٣) - فتح الباري، ٤٤٩/١١ .

ثالثاً - الإشارة إلى شيء من تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام :

في هذا الحديث إشارة لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وشيء من تاريخهم، ففيه ذكر **لآدم** ﷺ وأن الله خلقه بيده، وأسجد له الملائكة، وعلمه أسماء كل شيء .

وفيه ذكر **لنوح** ﷺ، وأنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض .

وفيه ذكر لخليل الرحمن **إبراهيم** ﷺ، وأنه يذكر خطيئته، التي كذب فيها ثلاث كذبات .

وفيه ذكر **لموسى** ﷺ وأن الله كلمه مباشرة بغير وحي، وأن كتابه الذي أنزل عليه، هو : **التوراة** .

وفيه ذكر **لعيسى** ﷺ وأنه كلمة الله وروحه، خلقه من غير أب بكلمة كن، فكان في رحم أمه .

وفيه ذكر **لمحمد** ﷺ سيد الأنبياء والرسل وخاتمهم، وصاحب المقام المحمود.

ويؤخذ من هذا الحديث وغيره ترتيب الأنبياء والرسل المذكورين فيه، فآدم ﷺ بعده نوح ﷺ، ثم إبراهيم ﷺ، ثم موسى ﷺ، ثم عيسى ﷺ، ثم محمد ﷺ .

يقول ابن حجر - رحمه الله - : (وفيه - أي الحديث - تفضيل الأنبياء المذكورين فيه، على من لم يذكر فيه لتأهلهم لذلك المقام العظيم دون سواهم) (١) . وهؤلاء سوى آدم - عليهم الصلاة والسلام جميعاً- هم أولوا العزم الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ (٢) .

رابعاً - من وسائل الدعوة، استعمال اليد أثناء الحديث :

إن مما يساعد الداعية على إيصال المعنى وتقريبه، وشدُّ انتباه السامعين واستحضار أذهانهم، استخدام اليد أثناء الحديث، لوصف مسألة، أو تقليل شيء أو تكثيره وتعظيمه،

---

(١) - فتح الباري ، ١١/٤٤٩ .

(٢) - سورة الأحقاف، الآية : ٣٥ .

أو لذكر عدد وغيره من الاستخدامات، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث، وهو يذكر هذا الموقف العظيم وما فيه من أهوال وأحوال، لم ينس أن يستخدم يده لتحقيق بعض الأهداف التي أشرنا لها سابقاً، فبعد أن قال ﷺ : « .. **ثُمَّ أَقُولُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ** » . فَقَالَ : أَنَسٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . أي يحركها لمساعدة السامعين له في بيان صغرها .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحرص على استخدام اليد والحركة، بطريقة مناسبة تساعد السامعين الذين يشاهدونه على إدراك المعاني التي يريد إيصالها لهم .

خامساً - من موضوعات الدعوة، الحديث عن الشفاعة :

إن من الموضوعات التي ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحديث عنها، بيان شفاعة نبينا ﷺ لأهل الموقف وأقسامها وأنواعها، والمنزلة التي أعطاه الله إياها، وذلك اقتداءً برسول الله ﷺ في حديثه لأصحابه ﷺ عن هذا الموضوع، وهو من الموضوعات التي ينبغي أن تنال اهتماماً كبيراً في سلم أوليات الدعوة إلى الله .

سادساً - من الحكمة في الدعوة، الحديثُ مع الناس بما يعرفون، وترك ماينكرون :

إن في ذكر رسول الله ﷺ للشعيرة و البرّة والذرّة، من باب التقريب للأذهان وتحديث الناس بما يعرفون،وإلا فالإيمان لا وزن ولا كيل له،يقول العلامة العيني- رحمه الله - : (إن الوزن إنما يتصور في الأجسام دون المعاني، والإيمان معنى، ولكنه شبه الإيمان بالجسم فأضيف إليه ما هو من لوازم الجسم وهو الوزن) (١) . ويقول العلامة القسطلاني - رحمه الله - : (إن المراد بقوله حبة من خردل التمثيل فيكون عياراً في المعرفة لا في الوزن حقيقة، لأن الإيمان ليس بجسم فيحصره الوزن والكيل، لكن ما يشكل من المعقول قد يرد إلى عيار محسوس ليفهم، ويشبه به ليعلم) (٢) .

---

(١) - عمدة القاري، ٢٦٠/١ .

(٢) - إرشاد الساري، ١٠٥/١ .

إذن فمن هذا الحديث نخرج بفائدة وهي : جواز مخاطبة الشخص بما لا تدرك حقيقته، وجواز التعبير عن ذلك بما يفهمه ويعرف حقيقته، وأن الأمور التي في الآخرة لا تشبه بما في الدنيا إلا في الأسماء والأصل مع المبالغة في تفاوت الصفة والاستدلال على العلم الضروري بالنظري [١] .

هذا من جانب، ومن جانب آخر نستفيد من قول الحسن - رحمه الله - في هذا الحديث : (.. فَلا أَدْرِي أَنَسِيَ أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا)، أن من الحكمة في الدعوة : عدم تحديث الناس بما يؤدي بهم إلى عكس مقصود الحديث، وذلك لقصر أفهام بعض المدعوين وإدراكهم، ففي هذا الحديث ذكر الحسن - رحمه الله - أنه قد يكون سبب عدم تحديث أنس رضي الله عنه لهم، الخشية من أن يتكلوا على الشفاعة، ولا يفهموا مقصود الحديث ومعناه .

سابعاً - أهمية إنزال الناس منازلهم، وتقديم الأكبر فالأكبر :

إن مما يستفاد من هذا الحديث من قدوم الناس على آدم عليه السلام، وإحالته هو على نوح عليه السلام، أهمية إنزال الناس منازلهم، وتقديم الأكبر فالأكبر، وخاصة في الأمور المهمة، يقول الإمام الأبي - رحمه الله - : (إتيان الناس آدم عليه السلام، وإحالة آدم على نوح عليهما السلام فيه تقديم الآباء وذوي الأسنان في الأمر المهم) [٢] .

فينبغي للدعاة إلى الله التنبه لهذا الأمر وتقديم الأكبر فالأكبر، في السن، أو العلم، أوالجاه، لأن في هذا تقديراً واحتراماً له، وللمقدم عليه، وأرجى في نيل المطلوب وتحقيق الهدف .

---

(١) - انظر : فتح الباري، ١١/٤٧٠ .

(٢) - إكمال إكمال المعلم، ١/٥٩٢ .

٤١ – ٤٥ – حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ سَمِعَ جَعْفَرَ بْنَ عَوْنٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْعُمَيْسِ أَخْبَرَنَا قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ: لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا . قَالَ : أَيُّ آيَةٍ . قَالَ : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (١) . قَالَ عُمَرُ : قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ (٢) .

وفي رواية : أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا : لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا فَقَالَ عُمَرُ : أَيَّةُ آيَةٍ . فَقَالُوا : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ مَكَانٍ أُنْزِلَتْ أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين، اليهود، وبيان أن إعراضهم عن علم ومعرفة .

ثانياً – من خصائص الدعوة، الكمال .

ثالثاً – أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة .

---

(١) – سورة المائدة، الآية : ٣ .

(٢) – أطرافه : **الأول** : في كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم ٤٤٠٧، ١٤٨/٥ . **الثاني** : في كتاب التفسير (سورة المائدة)، باب قوله : { اليوم أكملت لكم دينكم }، برقم ٤٦٠٦، ٢٢٠/٥ . **الثالث** : في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بدون باب، برقم ٧٢٦٨، ١٧٥/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب التفسير، بدون باب، برقم ٣٠١٧، ٢٣١٢/٤ .

(٣) – كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم ٤٤٠٧، ١٤٨/٥ .

رابعاً – أهمية العلم ومكانته .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين، اليهود، وبيان أن إعراضهم عن علم ومعرفة :

إن من أصناف المدعوين : اليهود، وقد كان إعراضهم عن الدعوة والإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ عن علم ويقين، وفي هذا الحديث ما يشهد على هذا، فهم يعرفون القرآن وما أنزل منه، والمعاني التي فيه، وأن هذه الآية تدل على أن الدين كمل، ولكماله يجعلون اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية عيداً لو نزلت عليهم ، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه لكلامهم في الحديث : (أي لعظمناه وجعلناه عيداً لنا في كل سنة لعظم ما حصل فيه من إكمال الدين) [1] .

ويؤكد هذا قول الله تعالى عنهم : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [2] . وذلك من شدة علمهم ومعرفتهم به .

ثانياً – من خصائص الدعوة : الكمال :

إن في هذا الحديث، والآية المذكورة فيه، بيان لخصيصة من خصائص الدعوة الإسلامية، وهي الكمال، يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره للآية: (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال الله تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا ﴾ [3] . أي صدقاً في الإخبار وعدلا في الأوامر

---

(١) – فتح الباري، ١/١٣٠ .

(٢) – سورة البقرة، الآية : ١٤٦ .

(٣) – سورة الأنعام، الآية : ١١٥ .

والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، أي فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه) [١].

فديننا الذي نتمسك به، وندعو إليه كامل لا نقص فيه، فلا نحتاج إلى غيره، وهذه من نعمة الله علينا التي تحتاج منّا إلى شكر وعمل ودعوة إليه وإلى الكمال المطلوب .

ثالثاً - أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة :

لما كان ديننا كاملاً - كما دلت النصوص على ذلك - كان من الواجب على الدعاة إلى الله الاعتصام بكتابه وسنة رسوله ﷺ، فلذا رأينا الإمام البخاري -رحمه الله- وضع هذا الحديث في مقدمة أحاديث كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، أي أنه لكمال الدين فليعتصم الإنسان بهما، ولا يبحث عن غيرهما فهما كافيان لمن اعتصم بهما، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (وجه ذكر هذا الحديث عقيب هذه الترجمة - أي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - من حيث أن الآية تدل على أن هذه الأمة معتصمة بالكتاب والسنة لأن الله تعالى منّ عليهم بهذه الآية بإكمال الدين وإتمام النعمة وبرضاه لهم بدين الإسلام) [٢] .

ويقول العلامة ابن سعدي - رحمه الله - : (ولهذا كان الكتاب والسنة، كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين، وأصوله وفروعه . فكل متكلف يزعم أنه لابد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه . وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله ﷺ) [٣] .

---

(١) - تفسير ابن كثير، ١٣/٢ .

(٢) - عمدة القاري، ٢٣/٢٥ .

(٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٤٥٥/١ .

إذن هنا تتأكد قضية لها أهمية كبيرة جداً يجب أن لا تغيب عن أعين الصادقين من الدعاة إلى الله الحريصين على رضاه، وهي أن الذي يجب أن يجتمعوا عليه ويدعوا إلى الالتفاف حوله، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا أقوال الرجال وآراؤهم، وأسماء وشعارات ما أنزل الله بها من سلطان، فمتى اجتمع الدعاة على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فإن كثيراً من الاختلاف والتفرق الذي قد يقع بين بعض الدعاة، لن يكون له أثر ولا وجود بينهم، وسيكون الاجتماع والسداد ووحدة الكلمة هو نصيبهم متى ما اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

رابعاً - أهمية العلم ومكانته :

إن في جواب عمر رضي الله عنه دليلاً على علمه وفقهه بالدين، فمعنى جوابه رضي الله عنه كما قال ذلك العلامة العيني - رحمه الله - : (إنا ما أهملناه ولا خفي علينا زمان نزولها ولا مكان نزولها، وضبطنا جميع ما يتعلق بها حتى صفة النبي ﷺ وموضعه في زمان النزول وهو كونه ﷺ قائماً حينئذ، وهو غاية في الضبط) [1] والعلم والفقه بالدين، فلا عجب ذلك الأمر من عمر رضي الله عنه، فهو ما نال هذه المكانة إلا بالعلم والفقه في الدين، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [2] . فبالعلم ومعرفة الإنسان لشرع الله والفقه بكتابه وسنة رسوله ﷺ، يزداد إيمانه، وتعلو مكانته في الدنيا والآخرة، وهذ مما يبين أهمية العلم ومكانته في الدين .

---

(١) - عمدة القاري، ١/٢٦٥ .

(٢) - سورة فاطر، الآية : ٢٨ .

٣٥ - باب الزكاة من الإسلام، وقوله تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (١)

٤٢ - ٤٦ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ يَقُولُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ** » فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا . قَالَ : « **لا، إِلا أَنْ تَطَوَّعَ** » . قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« **وَصِيَامُ رَمَضَانَ** ». قَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ. قَالَ : « **لا إِلا أَنْ تَطَوَّعَ** ». قَالَ : وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **الزَّكَاةَ** ». قَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا . قَالَ : « **لا إِلا أَنْ تَطَوَّعَ** » . قَالَ : فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلا أَنْقُصُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ** » (٢) .

وفي رواية : أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَائِرَ الرَّأْسِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ . فَقَالَ:« **الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا**» فَقَالَ: أَخْبِرْنِي مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ. فَقَالَ: « **شَهْرَ رَمَضَانَ إِلا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا**» فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيَّ مِنَ الزَّكَاةِ . فَقَالَ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : شَرَائِعَ الإِسْلامِ، قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ لا أَتَطَوَّعُ شَيْئًا وَلا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللهُ عَلَيَّ شَيْئًا. فَقَالَ

---

(١) - سورة البينة، الآية : ٥ .

(٢) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، برقم ١٨٩١، ٢/٢٧٦ . **الثاني** : في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف ؟ قال تعالى:{ ويحلفون بالله لكم }، برقم ٢٦٧٨ . **الثالث** : في كتاب الحيل، باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة، برقم ٦٩٥٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات الخمس التي هي أحد أركان الإسلام، برقم ١١، ١/٤٠ .

رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ - أَوْ - دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ** » (١) .

شرح غريب الحديث :

« **نَجْدٍ** » – من بلاد العرب، وهي الناحية التي بين الحجاز والعراق، وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد (٢) .

« **ثَائِرَ الرَّأْس** » – قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : المراد أن شعره متفرق من ترك الرفاهية (٣) .

« **دَوِيّ** » – هو بعد الصوت في الهواء وعلوه، ومعناه صوت شديد لا يفهم منه شيء كدوي النحل (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين، الأعراب، وذكر بعض سماتهم .

ثانياً – من صفات الداعية : الحرص على طلب العلم .

ثالثاً – أهمية السؤال عن العلم في تحصيله ونشره .

رابعاً–من الحكمة في الدعوة إلى الله مراعاة أحوال المدعوين،عند الإجابة عليهم.

خامساً – أهمية استغلال الداعية للمواقف والأحداث في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

سادساً – حرص سلفنا الصالح على التثبت في نقل حديث رسول الله ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) – كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، برقم ١٨٩١، ٢/٢٧٦ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١/١٨٠ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٦٦ .

(٣) – فتح الباري، لابن حجر، ١/١٣١ .

(٤) – الكواكب الدراري ، للكرماني ١/١٨٠ .

أولاً - من أصناف المدعوين، الأعراب، وذكر بعض سماتهم :

إن من أصناف المدعوين الذين ورد ذكرهم في هذا الحديث : الأعراب، فهذا الرجل الذي ورد ذكره في الحديث، كان من الأعراب كما صرحت بذلك الرواية الثانية التي جاء فيها: (أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَائِرَ الرَّأْسِ فَقَالَ ..)، ومن تعامله مع رسول الله ﷺ في هذا الحديث نستطيع أن نعرف بعض سماتهم، كعدم الاهتمام بالمظهر ورفع الصوت، والجرأة والعجلة كما في هذا الحديث حيث لم ينتظر حتى يصل إلى رسول الله ﷺ، إذا يقول الراوي عنه إنه كان : (ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا ..).

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - عن الأعراب : (هم سكان البادية،والغالب على الأعراب الجفاء؛ لأنهم أحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله)(١). فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، أن يصبروا عليهم وعلى جفائهم وغلظتهم، كما كان رسول الله ﷺ يصبر عليهم ويجيبهم عن أسئلتهم واستفساراتهم .

ثانياً -من صفات الداعية : الحرص على طلب العلم :

إن مما يستفاد من هذا الحديث أن على المسلم وخاصة الداعية إلى الله، الحرص على طلب العلم ، وذلك بالسفر والارتحال في طلبه وتحصيله إذا لم يجده عنده و لم يتيسر له في بلده، يقول العلامة العيني -رحمه الله- عند شرحه لهذا الحديث : (إن السفر والارتحال من بلد إلى بلد لأجل تعلم علم الدين والسؤال عن الأكابر أمر مندوب) (٢) .

فإذا كان هذا هو موقف الأعرابي الذي هو من عامة الناس ، حيث رحل في طلب العلم، وجدَّ في طلبه ، فمن باب أولى بالداعية إلى الله ﷻ، أن يَجدّ ويجتهد في طلب العلم وتحصيله، فبه تكون دعوته على بصيرة ونور وهداية من الله، إذ يقول الله تعالى لنبيه: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (٣) .

---

(١) - القول المفيد على كتاب التوحيد، ٣/٢٧٠ .

(٢) - عمدة القاري، ١/٢٦٩ .

(٣) - سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .

ثالثاً - أهمية السؤال عن العلم في تحصيله ونشره :

إن الأسلوب الذي تم به الحصول على هذا العلم العظيم من رسول ا لله ﷺ في هذا الحديث، كان بالسؤال عنه، فهذا مما يدل على أهمية السؤال عن العلم في تحصيله، وفي نشره بين الناس . فهذا الأعرابي ذهب من عند رسول ا لله ﷺ بعد سؤاله، وهو يقول له: « **أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ - أَوْ - دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ** »، هذا فيما يخص السائل، أما من حيث نشره بين الناس واستفادتهم منه، فالذي روى الحديث ليس الأعرابي بل من سمعه من الصحابة رضي الله عنهم، كطلحة بن عبيدا لله رضي الله عنه .

إذن فالعلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل حسن السؤال نصف العلم [(١)]، وبالعلم يطرد الإنسان الجهل، فلذلك عندما أجاب بعض الصحابة في فتوى لهم، وكانت سبباً لموت المستفتي، قال رسول ا لله ﷺ : « **قتلوه قتلهم ا لله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال** » [(٢)] .

فالداعية بالسؤال يُحصل العلم، ويسلم من الجهل والزلل، ولذلك أثنت عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار عندما كنَّ يسألن رسول ا لله عن أحكام الدين، فقالت : (نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) [(٣)] .

رابعاً - من الحكمة في الدعوة إلى الله مراعاة أحوال المدعوين، عند الإجابة عليهم :

إن في إجابة رسول ا لله ﷺ، لهذا الأعرابي تظهر منها حكمته ﷺ في مراعاة أحوال المدعوين، فهو **أولاً** أجاب السائل على قدر سؤاله من غير زيادة، **وثانياً** أقره على حلفه بأن لا يزيد من الخير، و لم ينكر عليه، مع أنه قد ورد النكير على من حلف أن لا يفعل خيراً، وعن هذا قال بعض العلماء - رحمهم ا لله - : إن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، وهذا جار على الأصل بأنه لا إثم على غير تارك الفرائض، فهو مفلح وإن

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر ، ١/١٧٣ .

(٢) - انظر : تخريج الحديث ص١٤٦ ، من هذا البحث .

(٣) - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ١/٤٧ .

كان غيره أكثر فلاحاً منه (١) .

خامساً - أهمية استغلال الداعية للمواقف والأحداث في الدعوة إلى الله :

تجلت حكمة رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله، من قوله لأصحابه ﷺ عن الأعرابي بعد أن ولى مدبراً : « **أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ - أَوْ - دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ** »، وهم يسمعون ويرون ما حدث منه، لتقرير هذا في أنفسهم ولحثهم على المحافظة على أركان الدين وما سأل عنه هذا الأعرابي ليفوزوا بالجنة، ولينجوا من النار .

فمن هنا ينبغي للدعاة إلى الله أن يستفيدوا من المواقف والأحداث التي تقع بينهم ويوظفوها في الدعوة إلى الله وفي التأثير في المدعوين .

سادساً - حرص سلفنا الصالح على التثبت في نقل حديث رسول الله ﷺ :

إن في قول راوي الحديث : (.. وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **الزَّكَاةَ** »..) فائدة عظيمة، وهو مدى حرص السلف الصالح على التثبت من نقل حديث رسول الله ﷺ كما بلغه للأمة، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - عن ذلك : (هذا قول الراوي كأنه نسي ما نص عليه رسول الله ﷺ، أو التبس عليه، فقال : ثم ذكر له الزكاة، وأنه يؤذن بأن مراعاة الألفاظ مشروطة في الرواية، فإذا التبس عليه يشير في لفظه إلى ما ينبئ عنه كما فعل راوي هذا الحديث) (٢) .

فسلفنا الصالح - رحمهم الله - كانوا نموذجاً رائعاً في الدقة والمحافظة على نقل سنة رسول الله ﷺ وتبليغها للأمة . فينبغي للدعاة إلى الله أن يحذوا حذوهم ويسيروا على هديهم في الضبط والدقة في النقل، وخاصة مع كلام رسول الله ﷺ، وكلام علماء الأمة وأئمتها .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٨٣/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٣٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٦٩/١ .

(٢) - الكواكب الدراري، ١٨٢/١ .

٣٦ - باب اتباع الجنائز من الإيمان

٤٣ - ٤٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَنْجُوفِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا رَوْحٌ قَالَ : حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنِ الْحَسَنِ وَمُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنه يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ . وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ** » (١) .

وفي رواية : حدث ابن عمر أن أبا هريرة ﷺ يقول : من تبع جنازة فله قيراط . فقال : أكثر أبو هريرة علينا (٢) .

وفي رواية : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ فَلَهُ قِيرَاطٌ وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ** » قِيلَ : وَمَا الْقِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : « **مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ** » (٣).

شرح غريب الحديث :

« **قِيرَاط** » - القيراط لغة : نصف دانق، والمقصود به هنا النصيب والحصة (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) - طرفاه : **الأول** : في كتاب الجنائز، باب فضل اتباع الجنائز، برقم ١٣٢٣، ١١٠/٢ .**الثاني** : في كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن، برقم ١٣٢٥، ١١١/٢.

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، برقم ٩٤٥، ٦٥٢/٢ .

(٢) - كتاب الجنائز، باب فضل اتباع الجنائز، برقم ١٣٢٣، ١١٠/٢ .

(٣) - كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن، برقم ١٣٢٥، ١١١/٢ .

(٤) - انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني ١٨٥/١ .

أولاً – مكانة الإخلاص في العمل .

ثانياً – أهمية أسلوب التمثيل في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثالثاً – أسلوب الترغيب في العمل بذكر أجره .

رابعاً – من موضوعات الدعوة : الحث على شهود الجنائز .

خامساً – أهمية السؤال في تحصيل العلم ونشره .

سادساً – أهمية إنكار الدعاة بعضهم على بعض عند وقوع ما يدعو إلى ذلك.

سابعاً – منزلة الصحابة ﷺ وحرصهم على السنة ونقلها للأمة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – مكانة الإخلاص في العمل :

في هذا الحديث تظهر مكانة الإخلاص، وأن العمل لا يثاب فاعله عليه، إلا إذا نوى فيه القربة لله والإخلاص له، فلذا جاء مقيداً بقوله ﷺ : « **مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا** .. »، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : (فيه أن الثواب المذكور إنما يحصل لمن تبعها إيماناً واحتساباً، فإن حضورها على ثلاثة أقسام: احتساباً، ومكافأة، ومخافة، والأول هو الذي يجازى عليه الأجر ويحط الوزر، والثاني لا يعد ذلك في حقه، والثالث الله أعلم بما فيه) (١) .

إذن فليحرص المسلم،وخاصة الدعاة إلى الله ﷻ، على إخلاص أعمالهم لله ﷻ، وأن تكون نياتهم سالمة من الرياء وما ينقص عليهم الأجر، أو يحرمهم منه .

ثانياً – أهمية أسلوب التمثيل في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن أسلوب التمثيل تظهر أهميته في الدعوة إلى الله ﷻ إذا كان هناك شيءٌ يصعب إدراكه، أو معرفته، فيكون التمثيل بالمعلوم للتقريب للفهم، ورسول الله ﷺ ضرب في هذا الحديث مثلين، **الأول** : التمثيل بالقيراط لمعرفتهم له في العمل مقابله، لذا قال بعض

---

(١) – عمدة القاري، ٢٧٣ .

العلماء عند شرحهم لهذا الحديث : وذكر القيراط تقريباً للفهم لما كان الإنسان يعرف القيراط ويعمل العمل في مقابلته، وعد من جنس ما يعرف وضرب له المثل بما يعلم (١) .

والثاني : التمثيل بجبل أحد، لرؤيتهم له وعظمه في أعينهم، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : أراد تعظيم الثواب فمثله للعيان بأعظم الجبال خلقاً وأكثرها إلى النفوس المؤمنة حباً، ولأنه أيضاً قريب من المخاطبين يشترك أكثرهم في معرفته) (٢) .

فينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحرص على هذا الأسلوب وخاصة إذا كان هناك شيء يصعب على المدعوين إدراكه ومعرفته، فيُضرب لهم المثل مما يعرفون في حياتهم لتقريبه إلى أذهانهم وحواسهم.

ثالثاً - أسلوب الترغيب في العمل بذكر أجره :

في هذا الحديث نخرج بفائدة مهمة، وهي أنه إذا أراد الداعية أن يرغب في شيء فعليه أن يذكر ما ورد من ثواب لفاعله، وعكس ذلك إذا أراد أن يرهب من عمل أن يذكر ما ورد من عقاب لفاعله، فرسول الله ﷺ يذكر في هذا الحديث أن من اتّبع جنازة مسلم - إيماناً واحتساباً - وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، الواحد منهما كجبل أحد في الكبر، إذن العمل قليل ويسير في مقابل الثواب العظيم الذي يترتب عليه، فالنفس جبلت على حب الخير والإكثار منه، فإذا عرفت الأجر وخاصة إذا كان عظيماً أقبلت على العمل بنشاطٍ وطمعٍ في أجره العظيم . والعكس صحيح، فإنها إذا عرفت العقاب خافت منه وابتعدت عنه .

ومما يؤكد هذا أنه عندما صدّقت عائشة أبا هريرة رضي الله عنهما في رواية أخرى، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقوله . قال ابن عمر رضي الله عنهما : لقد فرطنا في قراريط كثيرة (٣) .

---

(١) - انظر : عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لابن العربي، ٢/٤١٠، طبع ١٤١٥هـ، ط دار الفكر بيروت . وفتح الباري، لابن حجر، ٣/٢٣١ .

(٢) - المرجع السابق ، ٣/٢٣٢ .

(٣) - كتاب الجنائز، باب فضل اتباع الجنائز، برقم ١٣٢٤، ٢/١١٠ .

تأسفاً على ما فاته من العمل الصالح والأجر العظيم (١) .

رابعاً - من موضوعات الدعوة : الحث على شهود الجنائز :

إن من الموضوعات الدعوية التي يطرقها الداعية إلى الله ويُذكر بها، شهود الجنائز بالصلاة عليها والمشاركة في دفنها، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث يذكر ذلك ويرغب فيه، يقول بعض العلماء -رحمهم الله- وفي الحديث من الفوائد: الترغيب في شهود الميت، والقيام بأمره، والحض على الاجتماع له، والتنبيه على عظيم فضل الله وتكريمه للمسلم في تكثير الثواب لمن يتولى أمره بعد موته (٢) .

إن في طَرقِ الداعية لمثل هذا الموضوع، حثاً على شهود الجنائز، لتَذكُرِ الموت وأحواله والاستعداد له بالعمل الصالح، وأن الإنسان لا يخرج من هذه الدنيا بشيء إلا الكفن . ولا يبقى له إلا ما عمل وقدم من الصالحات التي يُجزى عليها، أو السيئات التي يُعاقب عليها .

خامساً - أهمية السؤال في تحصيل العلم ونشره :

إن الإنسان إذا أشكل عليه أمر، أو خفي عليه، أو جهل معناه، فالعلاج له أن يسأل أهل العلم، ولا يتردد في ذلك كما فعل الصحابة ﷺ في هذا الحديث، عندما أشكل عليهم أمر القيراط وخفي عليهم، سألوا رسول الله ﷺ بقولهم : (وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟) ، وذلك لمعرفته أن المشروع في حقهم عندما يشكل عليهم أمرٌ ما، أو يخفى عليهم، السؤال عنه، فالله ﷻ، يقول : ﴿ ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ (٣).ويقول ﷺ : « **فإنما شفاء العِيِّ**

---

(١) - انظر : فتح الباري لابن حجر، ٢٣٣/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٨/٨ .
(٢) - انظر : المرجع السابق، ١٣١/٨ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٣٦/٣ .
(٣) - سورة النساء، الآية : ٨٣ .

السؤال » [١] .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله تعالى التأكيد على الطلاب والمدعوين بأهمية السؤال عمّا يشكل أو يخفى عليهم حتى لا يقعوا في الحرج، أو الخطأ والجهل بالدين .

سادساً - أهمية إنكار الدعاة بعضهم على بعض عند وقوع ما يدعو إلى ذلك :

إن في إنكار ابن عمر على أبي هريرة ﷺ، كما جاء في الرواية الأخرى لمّا سمع أنه يقول : من تبع جنازة فله قيراط . فقال : أكثر أبو هريرة علينا . نستفيد منه أهمية إنكار العلماء والدعاة بعضهم على بعض عند وقوع ما يدعو إلى ذلك برفق وحكمة، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - إن مما يستفاد من هذا الحديث أن إنكار العلماء بعضهم على بعض قديم، وفيه استغراب العالم ما لم يصل إلى علمه [٢] .

إذن إنكار العلماء والدعاة بعضهم على بعض لا حرج فيه، وهو من خلق سلفنا الصالح، وهذا الإنكار له أهمية وفائدة وهو الحثّ على الحرص في التثبت من العلم والنقل، وخاصة إذا كان عن رسول الله ﷺ، يقول العلامة العيني - رحمه الله - عن ذلك الإنكار : (وفيه ما كانت الصحابة عليه من التثبت في العلم والحديث النبوي والتحري فيه) [٣] .

سابعاً - منزلة الصحابة ﷺ وحرصهم على السنة ونقلها للأمة :

وأيضاً من إنكار ابن عمر على أبي هريرة ﷺ، لمّا سمع أنه يقول : من تبع جنازة فله قيراط . فقال : أكثر أبو هريرة علينا . نستفيد منه مدى المنزلة العظيمة التي وصل إليها صحابة رسول الله ﷺ في الحرص على السنة والتثبت في نقلها للأمة، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك : (وفيه ما كان الصحابة عليه من التثبت في الحديث

---

(١) -انظر : تخريج الحديث ص١٤٦ ، من هذا البحث .

(٢) - انظر : فتح الباري، ٢٣٣/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٨/٨ .

(٣) - المرجع السابق، ١٢٨/٨ . وانظر : فتح الباري، ٢٣٣/٣ .

النبوي والتحرز فيه والتنقيب عليه) [١] .

فينبغي للدعاة إلى الله أن يحرصوا أشد الحرص على التثبت من نقل السنة وروايتها، لأن الخطأ في ذلك عظيم ، وأثره السيء كبير، وهو من القول على الله بغير علم .

(١) - فتح الباري، ٣/٢٣٣ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٨/١٢٨ .

٣٧ - باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر

٤٤ - ٤٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ الْمُرْجِئَةِ فَقَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الله أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ** » (١) .

شرح غريب الحديث :

(**المرجئة**) – هم أضداد الخوارج والمعتزلة، فالخوارج تكفر بالذنوب، والمعتزلة يقولون : هو بمنزلة بين منزلتين، وكلهم يوجب الخلود في النار، والمرجئة تقول : لا تضر الذنوب مع الإيمان، وغلاتهم تقول يكفي التصديق بالقلب وحده ولا يضر عدم غيره . والمرجئ من يؤخر العمل عن الإيمان والنية والقصد، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا تضر مع الإيمان معصية، كما لاتنفع مع الكفر طاعة، وقيل مؤخوذ من الإرجاء بمعنى تأخير حكم الكبيرة، فلا يقضى لها بحكم في الدنيا (٢).

« **سِبَابُ** » – مصدر من سب يسب سباً وسباباً، والسباب أشد من السب، وهو أن يقول في الرجل ما فيه، وما ليس فيه يريد بذلك عيبه (٣) .

« **فُسُوقٌ** » – الفسق في اللغة الخروج، وفي الشرع : الخروج عن طاعة الله

---

(١) – طرفاه : **الأول** : في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم ٦٠٤٤، ١١٠/٧ .
الثاني: في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»، برقم ٧٠٧٦، ١١٦/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، برقم ٦٤، ٨١/١ .

(٢) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ٢٧٥/١ .

(٣) – فتح الباري، لابن حجر، ١٣٨/١ .

ورسوله، وهو في عرف الشرع أشد من العصيان [١] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية، الخوف من الله وخشيته .

ثانياً – من موضوعات الدعوة، شدة حرمة المسلم .

ثالثاً – أسلوب التنفير من بعض الأعمال ببيان أنها من الفسوق أو الكفر .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية، الخوف من الله وخشيته :

من مثل هذا الحديث كان سلفنا الصالح يخافون الله ويخشون أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون، يقول بعض العلماء - رحمهم الله – : إن مناسبة إيراد هذه الترجمة على هذا الحديث، أنه قد يعرض للمرء ما يعكر عليه قصده وإخلاصه لله، فيحرم به الثواب الموعود وهو لا يشعر [٢] . لذا ساق الإمام البخاري – رحمه الله – بعد ترجمة الباب بعض الأقوال التي تبين مدى خوف السلف الصالح من أعمالهم فقال : (قال إبراهيم التيمي : ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً . وقال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل . ويذكر عن الحسن : ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق) [٣].

فلذا ينبغي للداعية إلى الله أن يكون شديد الخوف من الله وشديد الخشية من عمله وخطئه، لأن هذا هو حال المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر، ١/١٣٨ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١/١٨٧ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٣٥ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٧٥ .

(٣) – الجامع الصحيح، ١/٢١ .

آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (١) . وعندما سألت عائشة النبي ﷺ عن هذه الآية فقالت : أَهُمِ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ ؟ قَالَ : « **لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمِ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ** » (٢) .

ثانياً - من موضوعات الدعوة، شدة حرمة المسلم :

إن من الموضوعات التي يجب أن تطرق ويكثر الحديث عنها، خاصة إذا كان هناك قتلٌ وسفكٌ للدماء البريئة والمعصومة، أو عندما ينتشر بين الناس السباب والخصومة : هو موضوع حرمة المسلم، فقول رسول الله ﷺ في هذا الحديث : « **سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ** »، جاء لبيان شدة حرمة المسلم، يقول بعض العلماء - رحمهم الله -: إن إطلاق الفسق على من ساب المؤمن، والكفر على من قاتله مبالغة في التحذير من ذلك لينزجر السامع عن الإقدام عليه، ولتعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق (٣) .

ثالثاً - أسلوب التنفير من بعض الأعمال ببيان أنها من الفسوق أو الكفر :

في هذا الحديث يظهر أسلوب من أساليب الدعوة المهمة، وهو أنه إذا أراد الداعية أن يرهب من عمل ما ، يقوم بذكر ما ورد من عقاب لفاعله، وعكس ذلك وإذا أراد أن يرغب في شيء فعليه أن يذكر ما ورد من ثواب لفاعله، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث بين حرمة المسلم، بقوله :« **سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ** »، وهذا كما قال بعض العلماء - رحمهم الله - : إنه من باب المبالغة في التحذير من ذلك لينزجر السامع عن

---

(١) - سورة المؤمنون، الآية : ٦٠ .

(٢) - سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون، رقم ٣١٧٥، ٣٠٦/٥ . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذي ، ٧٩/٣) .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٣٨/١ و٣٠/١٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٧٩/١ .

الإقدام عليه، ولتعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق [١] فالنفس جبلت على أنها إذا عرفت العقاب وخاصة إذا كان عظيماً كما هو في هذا الحديث ؛ خافت وأخذت الحذر منه وابتعدت عنه . والعكس صحيح فإنها إذا عرفت الأجر وخاصة إذا كان عظيماً أقبلت على العمل بنشاطٍ وطمعٍ فيه .

إذن فعلى الدعاة إلى ا لله الاستفادة من هذا الأسلوب عند التحذير من بعض الأعمال بذكر ما ورد من عقاب، أوألفاظ في الشرع تحذر وتنفر من فعلها والوقوع فيها.

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/١٣٨ و١٣/٣٠ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٧٩ .

٤٥ - ٤٩ - أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ حُمَيْدٍ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلاحَى رَجُلانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ : « **إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاحَى فُلانٌ وَفُلانٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ . الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ** » (١) .

وفي رواية : « ... **فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ** » (٢) .

شرح غريب الحديث :

« **تَلاحَى** » - مشتق من التلاحي بكسر الحاء، وهو التنازع والمخاصمة (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - التحذير من الخصام والاختلاف بين المسلمين، وأنه سبب في الحرمان من الخير .

ثانياً - من صفات الداعية حسن الظن با لله، وأن أمره كله خير .

ثالثاً - من موضوعات الدعوة، الحث على قيام ليلة القدر .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - التحذير من الخصام والاختلاف بين المسلمين، وأنه سبب في الحرمان من الخير :

إن رسول ا لله ﷺ في هذا الحديث خرج ليُخبر الناس بليلة القدر، وإنه تلاحى

---

(١) - طرفاه : **الأول** : في كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس، برقم ٢٠٢٣، ٣١٢/٢ . **الثاني** : في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم ٦٠٤٩، ١١١/٧ .

(٢) - كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس، برقم ٢٠٢٣، ٣١٢/٢ .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٣٩/١ .

رجلان من الصحابة ﷺ فكانا سبباً في نزول العقوبة برفعها وعدم الإخبار بها، للخصام الذي وقع بينهما، قال بعض أهل العلم - رحمهم الله - : وفي هذا دليل على أن المخاصمة مذمومة، وأنها سبب في العقوبة للعامة، وأن المكان الذي يحضره الشيطان ترفع منه البركة والخير [(١)] . فإن قيل كيف تكون المخاصمة في طلب الحق مذمومة ؟ فقد أجاب عن ذلك بعض العلماء - رحمهم الله - بقولهم : إنما كانت كذلك لوقوعها في المسجد، وهو محل الذكر لا اللغو، ثم الوقت المخصوص أيضاً بالذكر لا اللغو وهو شهر رمضان، فالذم لما عرض فيها لا لذاتها، ثم إنها مستلزمة لرفع الصوت، ورفعه بحضرة رسول الله ﷺ منهي عنه لقوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ [(٢)] . [(٣)] .

وقال العلامة العيني - رحمه الله - : (طلب الحق غير مذموم لا في المسجد، ولا في الوقت المخصوص، وإنما المذمة فيها ليست راجعة إلى مجرد الخصومة في الحق، وإنما هي راجعة إلى زيادة منازعة حصلت بينهما عن القدر المحتاج إليه، وتلك الزيادة هو اللغو والمسجد ليس بمحل اللغو، مع ما كان فيها من رفع الصوت بحضرة النبي ﷺ فافهم)[(٤)].

فمن ذلك يظهر لنا بوضوح خطر الخصومة والتلاحي بين المسلمين، فكيف بين الدعاة إلى الله . لذا كان واجباً على الدعاة إلى الله البعدُ عن هذا الأمر والتحذير منه .

ثانياً - من صفات الداعية حسن الظن بالله، وأن أمره كله خير :

إن في قوله ﷺ بعد رفع الإخبار بليلة القدر وتعيينها : « **وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ** » حُسنَ ظنٍ بالله، وأن أمره وقضاءه كله خير، ومعناه : أن الرفع عسى أن يكون خيراً من عدم

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ١/١٩٢، ١٩٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٣٩ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٨١ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ١/١٣٩ .

(٢) - سورة الحجرات، الآية : ٢ .

(٣) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ١/١٩٢، ١٩٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٣٩ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٨١ . و إرشاد الساري، للقسطلاني، ١/١٣٩ .

(٤) - عمدة القاري، ١/٢٨١ .

الرفع من جهة كونه سبباً لزيادة الاجتهاد المستلزمة لزيادة الثواب، وأن خفاءها يستدعي قيام كل الشهر أو العشر، بخلاف ما لو بقيت معرفة تعيينها لاقتصر عليها فقل العمل (١) .

فهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله يحسن الظن بالله، وأن كل ما قد يقع ويحدث من أمور وإن كان ظاهرها الشر، فإنه قد يكون الخير كله فيها، إذ يقول الله تعالى : ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (٢) .

ثالثاً - من موضوعات الدعوة، الحث على قيام ليلة القدر :

إن هذا الحديث فيه حثٌّ وترغيبٌ بقيام رمضان كله، لتحري ليلة القدر منه وطلبها، وإن لم يستطع الإنسان قيامه كله فلا أقل من قيام العشر الأخيرة منه وخاصة الوتر منها . وأن رفع الإخبار بها سببه كما مرّ في الفائدة السابقة : عسى أن يكون خيراً من عدم الرفع من جهة كونه سبباً لزيادة الاجتهاد المستلزمة لزيادة الثواب .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله وخاصة إذا قرب رمضان الحث والترغيب في قيامه، والحرص على تحري ليلة القدر منه، بذكر مثل هذا الحديث، وما قاله العلماء من الخيرية التي فيه .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ١/١٩٢، ١٩٣. وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٣٩و ٤/٣١٤. وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٨١ . و إرشاد الساري، للقسطلاني، ١/١٣٩ .

(٢) - سورة البقرة، الآية : ٢١٦ .

٣٨ - باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة . وبيان النبي ﷺ له .

٤٦- ٥٠ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رجل فَقَالَ : مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : « **الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِا للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ** » . قَالَ : مَا الإِسْلامُ ؟ قَالَ : « **الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ ا للهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ** ». قَالَ: مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ : « **أَنْ تَعْبُدَ ا للهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » قَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : « **مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا ا للهُ** - ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[1]. ثُمَّ أَدْبَرَ . فَقَالَ : « **رُدُّوهُ** »، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا . فَقَالَ : « **هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ** » [2] .

وفي رواية : « ... **وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ** .. » [3] .

وفيها : « .. **وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا ا للهُ** .. » .

---

(١) - سورة لقمان، الآية : ٣٣٤ .

(٢) - طرفه : كتاب تفسير القرآن (سورة لقمان)، باب قوله : { إن الله عنده علم الساعة }، برقم ٤٧٧٧، ٢٤/٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان،برقم٩و١٠، ١/ ٣٩ -٤٠.

(٣) - كتاب تفسير القرآن (سورة لقمان)، باب قوله : { إن الله عنده علم الساعة }، برقم ٤٧٧٧، ٢٤/٥ .

وفيها : (..« فقال ردوا عليّ » . فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال ..) .

شرح غريب الحديث :

« **الْبُهْمُ** » – جمع البهيم، وهو المجهول الذي لا يعرف [١] .

« **رَبَّهَا** » – أي مالكها وسيدها [٢] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية اختلاط الداعية بالناس وبروزه لهم للتوجيه والإرشاد .

ثانياً – من أساليب الدعوة، طرح السؤال والجواب عنه .

ثالثاً – من الحكمة في الدعوة، العدول عن الإجابة إلى ما هو أنفع .

رابعاً– من موضوعات الدعوة وأولياتها: الإيمان، الإسلام، الإحسان، الساعة وأماراتها.

خامساً – أهمية قول الداعية لما لا يعلمه : لا أدري .

سادساً – عظم منزلة الإخلاص، والمراقبة لله سبحانه وتعالى .

سابعاً – أهمية مراعاة آداب طلب العلم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية اختلاط الداعية بالناس وبروزه لهم للتوجيه والإرشاد :

إن قول راوي هذا الحديث : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ)، فيه فائدة ذات أهمية كبيرة للدعاة إلى الله، وهي اختلاط الداعية بالمدعوين وبروزه لهم كأن يجلس على مكان مرتفع ليعرفه الغريب ويسمعه ويراه البعيد، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه لهذه العبارة من الحديث : (أي ظاهراً لهم غير محتجب عنهم ولا ملتبس

---

(١) – أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، ١٨٢/١ .

(٢) – الكواكب الدراري ، للكرماني ١٩٨/١ .

بغيره، والبروز الظهور . وقد وقع في رواية أبي فروة التي أشرنا إليها [١] بيان ذلك، فإن أوله : كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال : فبنينا له دكاناً من طين كان يجلس عليه . انتهى . واستنبط منه القرطبي استحباب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعاً إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه) [٢] .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله الحرص على هذا الأمر وإعطاؤه حقه من الاهتمام، فالداعية لابد من أن يصل بدعوته إلى أكثر الناس، وهذا لا يتحقق لمن جلس في بيته وانتظر الناس أن يأتوا إليه، بل لا بد أن يختلط بهم ويبرز بينهم، حتى يسمعهم .

ثانياً -من أساليب الدعوة، طرح السؤال والجواب عنه :

إن من أساليب الدعوة والتعليم المهمة طرح السؤال والجواب عنه، فالسؤال يشد السامعين له ويحفزهم لمعرفة الإجابة عليه، فإذا جاءت الإجابة تأملوها ونظروا فيها هل هي تطابق السؤال أم لا، وما الفائدة التي فيها، وهذا يظهر في هذا الحديث من سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، عن الإيمان والإسلام والإحسان وبعض علامات الساعة حيث قال الرسول ﷺ في آخره : « **هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ** »، قال بعض أهل العلم – رحمهم الله – عند شرحهم لهذه العبارة : إن فيها دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علماً وتعليماً، لأن جبريل عليه السلام لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك سماه معلماً، وقد اشتهر قولهم : حسن السؤال نصف العلم، وهذا ما يؤكده هذا الحديث لأن الفائدة فيه انبنت على السؤال والجواب معاً . ومن هذا ينبغي لمن حضر مجلس العلم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة أن يسأل عنها ليعلمها السامعون ويتنبهوا لها [٣] .

---

(١) – انظر : فتح الباري، ١٤١/١ . وانظر : الرواية في سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم ٤٦٩٨، ٢٢٥/٤ .

(٢) – فتح الباري، ١٤٢/١ . وانظر : مرقاة المفاتيح، للملا علي القاري، ١٠٨/١ .

(٣) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٠/١ . الكواكب الدراري، للكرماني ٢٠٠/١ . وفتح

=

لذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، الاستفادة من هذا الأسلوب المهم في الدعوة والتعليم، وذلك بطرح بعض الأسئلة على المدعوين ومن ثم الإجابة عنها، أو بطرح الأسئلة المهمة على العالم إذا كان في مجلس ومن الحاضرين من يحتاج إلى الإجابة عنها، أو بتشجيع الطلاب والمدعوين على السؤال الحسن .

ثالثاً - من الحكمة في الدعوة، العدول عن الإجابة إلى ما هو أنفع :

إن حكمة الداعية تظهر إذا جاءه سؤال من شخص ما ، حول قضية ليست ذا أهمية للسائل، فيعدل بالجواب إلى ما هو أنفع له، وهذه الحكمة تظهر في إجابة رسول الله ﷺ في هذا الحديث على سؤال جبريل عليه السلام عن الساعة، حيث عدل به إلى بيان علاماتها وأشراطها، وقال : « **مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا..** » .

هذا وقد ورد في رواية الإمام مسلم - رحمه الله- أن جبريل عليه السلام هو الذي سأل الرسول ﷺ عن أمارات الساعة، وهذ في الظاهر يتعارض مع الذي نحن بصدده، وفي الجمع بين هذه الروايتين يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (ويجمع بينهما بأنه ابتدأ بقوله وسأخبرك، فقال له السائل : فأخبرني . ويدل على ذلك رواية سليمان التيمي ولفظها : « **ولكن إن شئت نبأتك عن أشراطها** » قال : أجل [1] . ونحوه في حديث ابن عباس [2]) [3] .

=

الباري، لابن حجر، ١٤٦/١ و ١٤٨ و١٥٢. وعمدة القاري، للعيني، ٢٩١/١ و ٢٩٣ . و إرشاد الساري، للقسطلاني، ١٤١/١ . ومرقاة المفاتيح، للملا علي القاري، ١٢٨/١ و ١٣١ .

(١) - انظر : مسند الإمام أحمد، رقم ٩٤٨٠، ٥٦١/٢ . وصحيح ابن خزيمة، كتاب الزكاة، باب البيان أن إيتاء الزكاة من الإسلام، رقم ٢٢٤٤، ٥/٤، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت .

(٢) - انظر : مسند الإمام أحمد، رقم ٢٩٢٥، ٣٩٦/٣ .

(٣) - فتح الباري، ١٤٨/١ .

رابعاً -من موضوعات الدعوة وأولياتها : (الإيمان، الإسلام، الإحسان، الساعة وأماراتها) :

في هذا الحديث العظيم بيان لموضوعات الدعوة : من أصول الإيمان، وأركان الإسلام، وحال الإحسان، والساعة وأشراطها، يقول الحافظ ابن حجر نقلاً عن بعض العلماء - رحمهم الله - : (قال القرطبي : هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة، لما تضمنه من جمل علم السنة، وقال الطيبي : لهذه النكته استفتح به البغوي كتابيه: المصابيح، وشرح السنة، اقتداءً بالقرآن في افتتاحه بالفاتحة، لأنها تضمنت علوم القرآن إجمالاً. وقال القاضي عياض : اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداءً وحالاً ومآلاً،ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه) [١] .

وهذا الحديث أيضاً فيه دلالة على ترتيب موضوعات الدعوة وأولياتها، فالإيمان با لله جاء أول أصول الإيمان، كما جاءت الشهادة أول أركان الإسلام، وكان الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

إذن فموضوع العقيدة والإيمان با لله وترك الشرك وعبادة الله بإخلاص، يجب أن يكون على رأس أوليات الدعوة، وأن يأخذ مكانة كبيرة فيها بالشرح والتفصيل والبيان. ثم بعد ذلك تأتي باقي الأوليات من الإيمان بباقي أصول الإيمان، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .. .

خامساً - أهمية قول الداعية لما لا يعلمه : لا أدري :

إن في قول رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام عندما سأله عن الساعة، فقال : « **مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** .. »، درساً عظيماً للداعية إلى الله فيما لو سئل عمّا لا يعلمه، بأن يُجيب بـ : لا أدري . قال كثير من العلماء - رحمهم الله - عند شرحهم لهذا الحديث : إن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلمه، وأن ذلك لا ينقص من

---

(١) - فتح الباري، ١/١٥٢ .

جلالته، بل يدل على ورعه وتقواه ووفور علمه وعدم تبجحه بما ليس عنده (١) .

فينبغي للدعاة إلى الله تربية أنفسهم وطلابهم، على هذه الكلمة : لا أعلم، أو لا أدري عندما يُسألوا عما يجهلونه، لأن الإجابة بغير علم فيها تقول على الله ورسوله ﷺ، فقد كان سلفنا الصالح يفرق من هذا الأمر ويخاف منه أشد الخوف . فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : أي سماء تظلني أي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم (٢). وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ (٣) . (٤) . وكان الإمام مالك - رحمه الله - يحدث عن عبدالله بن هرمز - رحمه الله - أنه قال : إني لأحب أن يكون من بقايا العالم بعده : لا أدري، ليأخذ به من بعده (٥) .

سادساً - عظم منزلة الإخلاص والمراقبة لله تعالى :

إن في قول رسول الله ﷺ عن الإحسان : « **أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** »، بياناً لعظم منزلة الإخلاص، يقول الإمام النووي - رحمه الله -عند شرحه لهذه الجملة من الحديث : (هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ - إلى أن قال - فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في تمام الخشوع والخضوع وغير ذلك) (٦) . ويقول العلامة العيني - رحمه الله - : (فيه - أي

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١/١٥٨ . الكواكب الدراري ، للكرماني، ١/٢٠٠ . وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص٥٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/ ١٤٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٩٠ . و إرشاد الساري، للقسطلاني، ١/١٤١ . ومرقاة المفاتيح، للملا علي القاري، ١/١٢٨ .

(٢) - جامع بيان العلم وفضله،لابن عبدالبر،٢/٥٢،بدون تاريخ ورقم الطبعة،ط دار الكتب العلمية،بيروت.

(٣) - سورة ص~، الآية : ٨٦ .

(٤) - جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، ٢/٥١ .

(٥) - المرجع السابق، ٢/٥٢ .

(٦) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١/١٥٨ .

الحديث - عظم محل الإخلاص والمراقبة) [١] .

إذن فدرجة الإحسان إنما تكون لمن أخلص لله العبادة حتى أصبح يعبد الله وكأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنّ الله يراه .

سابعاً - أهمية مراعاة آداب طلب العلم :

في هذا الحديث مجموعة من آداب طلب العلم، التي جاء بها جبريل عليه السلام في صورة طالب العلم، والتي ينبغي للدعاة إلى الله وطلبة العلم مراعاتها، والاهتمام بها، وهي :

١ - حسن اختيار الزمان، في النهار، ويقظة الناس، فالرسول ﷺ في ثلة من أصحابة، وليس في داره أو مع أهله، أو ساعة نومه، أو طعامه .

٢ - حسن اختيار المكان، فرسول الله ﷺ في المسجد وحوله أصحابه، فالمسجد مكان عبادة وعلم، فهو مدرسة .

٣ - الإصغاء للإجابة، فجبريل عليه السلام لم يكتف بإلقاء السؤال، بل كان يصغي له حتى ينتهي، ثم يسأل السؤال الآخر .

٤ - ترتيب الأسئلة، فذلك دليل على نضوج السائل إذا تعددت أسئلته وكانت مرتبة .

٥ - الاختصار وعدم الإطالة على العالم ، وهذا يظهر من قصر الإسئلة ووضوحها، ومن ذهابه بعد الفراغ من السؤال .

٦- السؤال عما ينفع، وترك الخوض في ما لا نفع فيه، وذلك يؤخذ من سؤال جبريل عليه السلام عن الساعة مع علمه بخفائها وأنها من علم الغيب، فذلك من باب التقرير لهذا المعنى، وأن الإنسان ينبغي له أن لا يسأل عنها ويخوض فيها وفي غيرها من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله [٢].

٧ - التواضع في طلب العلم، وذلك في جلوس جبريل عليه السلام، في حلقة لطلب العلم، على عظم مكانته ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى .

---

(١) - عمدة القاري، ١/٢٩٠ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر ١٤٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٢٩١ .

٤٠ - باب فضل من استبرأ لدينه

٤٧ - ٥٢ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ عَنْ عَامِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ(١) . يَقُول : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ . أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ** » (٢) .

وفي رواية : « ... **وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ . فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ . وَالْمَعَاصِي حِمَى اللهِ، مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ** » (٣) .

شرح غريب الحديث :

« **اسْتَبْرَأَ** » - أي برأ دينه من النقص وعرضه من الطعن فيه (٤) .

« **الْحِمَى** » - وهو موضع حظره الإمام لنفسه ومنع غيره منه . ويقال : حميته إذا دفعت عنه، وهذا شئ محمي أي محظور لا يقرب (٥) .

---

(١) - هو : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة ، الأنصاري الخزرجي ، الأمير العالم ، صاحب رسول الله ﷺ ، وابن صاحبه ، عُدَّ من الصحابة الصبيان باتفاق ، وكان من أخطب الناس ، مسنده مئة وأربعة عشر حديثاً ، انفرد البخاري بحديث ، ومسلم بأربعة، واتفقا على خمسة ، قتل سنة أربع وستين ﷺ . (انظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٣/٤١١،٤١٢) .

(٢) - طرفه : كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات، برقم ٢٠٥١، ٣/٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم ١٥٩٩، ٣/١٢١٩ .

(٣) - كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات، برقم ٢٠٥١، ٣/٥ .

(٤) - فتح الباري، لابن حجر، ١/١٥٥ .

(٥) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ١/٢٠٤ . وعمدة القاري، للعيني،١/٢٩٨ .

« **مُضْغَةً** » – أي قدر ما يمضغ [١] .

« **يَرْتَعْ** » – أي ترعاه المواشي وتطوف فيه . والرتع : الاتساع في الخصب، وكل مخصب مرتع [٢] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – عظم منزلة العلماء، بمعرفتهم للمشتبهات .

ثانياً – من صفات الداعية : الورع والتقوى .

ثالثاً – أهمية أسلوب التشبيه وضرب المثل في الدعوة إلى الله .

رابعاً – أهمية إصلاح القلب .

خامساً – من قواعد الدعوة : سدّ الذرائع .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – عظم منزلة العلماء، بمعرفتهم للمشتبهات :

في هذا الحديث بيان لمنزلة العلماء العظيمة ، وذلك أن المشتبه من أمور الدين على العامة، لا يشتبه عليهم، ولذا قال رسول الله ﷺ : « **لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ** »، ولم يقل لا يعلمها كل الناس، أو أحد من الناس، قال بعض العلماء – رحمهم الله – : معرفة حكم المشتبهات ممكن، فهي قد تشتبه على بعض الناس دون بعض وليس أنها في ذوات أنفسها مشتبهة، لا بيان لها في جملة أصول الشريعة، فإن الله تعالى لم يترك شيئاً يجب له فيه حكم إلا وقد جعل فيه بياناً ونصب عليه دليلاً، ولكن البيان ضربان : بيان جلي يعرفه عامة الناس، وبيان خفي لا يعرفه إلا الخاص من الناس، وهم العلماء الذين عُنوا بعلم الأصول فاستدركوا معاني النصوص، وعرفوا طرق القياس والاستنباط ورد الشيء إلى

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر، ١/١٥٦ .

(٢) – انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الراء مع التاء، ٢/١٩٣ .

المثل والنظير [١] .

لذا فينبغي لمن أراد أن يكون من الدعاة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الحرص على طلب العلم وتحصيله، ومعرفة أصوله وطرق القياس والاستنباط فيه، حتى تكون دعوتهم على علم ونور وهداية من الله عَزَّ وَجَلَّ .

ثانياً - من صفات الداعية : الورع والتقوى :

من الصفات التي تُستفاد من هذا الحديث وينبغي للداعية إلى الله التحلي بها، الورع والتقوى، حتى يسلم عرضه ودينه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إن هذا الحديث : (فيه دليل على أن من لم يتوق الشبهة في كسبه ومعاشه فقد عرض نفسه للطعن فيه، وفي هذا إشارة إلى المحافظة على أمور الدين ومراعاة المروءة) [٢] .

ويقول الإمام ابن رجب - رحمه الله - : وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه ينبغي التباعد عن المحرمات، وأن يجعل الإنسان بينه وبينها حاجزاً، وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، حجاباً بينه وبين الحرام [٣] .

فالداعية إلى الله من أولى الناس في الاتصاف بهذه الصفة،حتى يسلم دينه وعرضه، ولا يجد أحد من الناس حجةً عليه، وسبباً يُصد به عن الاستجابة للدعوة التي ينادي بها.

ثالثاً - أهمية أسلوب التشبيه وضرب المثل في الدعوة إلى الله :

إن في قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث : « **وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى الله فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ** »، تشبيهاً لمحارم الله بحرم الملوك وحماهم، وضرباً للمثل بمن يرعى حول

---

(١) - انظر : معالم السنن للخطابي، ٤٩/٣، الطبعة **الأولى** ١٤١١هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١١/ ٢٧، ٢٨ . وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص٩٧. وفتح الباري، لابن حجر، ١٥٤/١ . وعمدة القاري، العيني، ٣٠١/١ .

(٢) - فتح الباري، ١٥٥/١ .

(٣) - انظر : جامع العلوم والحكم، ص١٠٤ .

حمى الملوك وأنه يوشك أن يقع فيه، قال بعض العلماء - رحمهم الله - : إن هذه الجملة وردت على سبيل التمثيل للتنبيه بالشاهد على الغائب، وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة، وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها بغير إذنهم بالعقوبة الشديدة، فمثل لهم النبي ﷺ بما هو مشهور عندهم، فالخائف من العقوبة المراقب لرضا الملك يبعد عن ذلك الحمى خشية أن تقع مواشيه في شيء منه، فبعده أسلم له ولو اشتد حذره، وغير الخائف المراقب يقرب منه ويرعى من جوانبه، فلا يأمن أن تنفرد الفاذة فتقع فيه بغير اختياره، أو يُجدب المكان الذي هو فيه ويقع الخصب في الحمى فلا يملك نفسه أن يقع فيه، فالله سبحانه هو الملك حقاً، وحماه محارمه أي المعاصي التي حرمها كالقتل والزنا والسرقة والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل وأشباه ذلك فكل هذا حمى الله تعالى من دخله بارتكابه شيئاً من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه ولا يتعلق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات [١] .

فينبغي للداعية أن يحرص على استخدام هذا الأسلوب في دعوته إلى الله، بأن يُقرب الموضوعات التي يطرقها بتشبيهها ببعض الصور من الواقع الملموس، والأمثلة من الحياة اليومية، لتكون أقرب لأذهانهم، وأقوى في التأثير فيهم .

رابعاً - أهمية إصلاح القلب قبل العمل :

إن مما ينبغي الاهتمام به بإصلاحه ورعايته، القلب فهو أمير الجسد بصلاحه يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد الجسد كله، يقول بعض العلماء -رحمهم الله - : إن هذا الحديث فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقائه الشبهات بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ

---

(١) - انظر : شرح النووي على مسلم، ١١/ ٢٨ . وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص١٠٣ . وإكمال إكمال المعلم في مسلم، للأبي، ٥/٥٠٨ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٥٦ . وعمدة القاري، العيني، ١/٣٠٢ .

عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله ؛ فسدت حركات الجوارح كلها وانبعث إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب، ولهذا يقال : القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحة وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المشابهة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم كما قال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [(١)] . [(٢)]

إذن فليحرص الداعية إلى الله ﷻ ،على صلاح قلبه، فصلاح الظواهر وأعمال الجوارح مهم، ولكن الشأن كل الشأن في صلاح القلب، يقول الله تعالى عن المنافقين: ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ [(٣)] . ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾ من الهيئة الحسنة، وحسن عمل الجوارح، وإذا قالوا، قالوا قولاً تسمع له من حسنه وزخرفته، لكن قلوبهم خربة والعياذ با لله ﴿كأنهم خشب مسندة ﴾ [(٤)] ليس فيها خير [(٥)].

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، النظر إلى قلبه هل فيه شيء من الشرك ؟ هل فيه شيء من كراهة ما أنزل الله ؟ هل فيه شيء من كراهة عباد الله الصالحين ؟ هل فيه شيء من الميل إلى الكفار أو موالاتهم ؟ هل فيه شيء من الحسد ؟ هل فيه شيء من الغل أو

---

(١) – سورة الشعراء، الآيتان : ٨٨ و٨٩ .

(٢) – انظر : شرح النووي على مسلم، ١١/ ٢٧ . وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص١٠٤ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٥٦ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ١/١٤٤ . وشرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٦/١٨٠ .

(٣) – سورة المنافقون، الآية : ٤ .

(٤) – سورة المنافقون، الآية : ٤ .

(٥) – انظر : شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٦/١٨٠ .

الحقد ؟ أو غير ذلك من الأمراض الخطيرة الكثيرة، فإذا كان فيه شيء من ذلك فليطهره منه وليصلحه فإن المدار عليه .

خامساً - من قواعد الدعوة : سدّ الذرائع :

إن من القواعد الدعوية المهمة التي تستفاد من هذا الحديث : هي قاعدة سدّ الذرائع، يقول ابن بطال -رحمه الله-:(هذا الحديث أصل في القول بحماية الذرائع)(١)، ويقول الحافظ ابن رجب - رحمه الله - : (ويستدل بهذا الحديث من يذهب إلى سدّ الذرائع إلى المحرمات وتحريم الوسائل إليها، ويدل على ذلك أيضاً من قواعد الشريعة : تحريم قليل ما يسكر كثيره، وتحريم الخلوة بالأجنبية، وتحريم الصلاة بعد الصبح وبعد العصر سداً لذريعة الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، ومنع الصائم من المباشرة إذا كانت تتحرك شهوته) (٢) .

فمن هنا أيضاً ينبغي للدعاة إلى الله استصحاب هذه القاعدة في دعوتهم وما يقدمون عليه، فإن كان في أي عمل يعملونه أو يعمله غيرهم، توقعٌ لحدوث مفسدة أو أن يكون ذريعة للوقوع في مفسدة، فعليهم تركه والابتعاد والنهي عنه، فمثلاً إذا كان سبُّ أعداء الدعوة يؤدي إلى سبِّ الله جلَّ وعلا أو سبِّ الدين، فإنه إذن يحرم، يقول الله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ (٣) يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : في هذه الآية ضرب من الموادعة، ودليل على وجوب الحكم بسدِّ الذرائع، وفيها دليل على أن المحق قد يكفّ عن حق له إذا أدّى إلى ضرر يكون في الدّين (٤) .

---

(١) - نقلاً عن : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢٠٥/١ .
(٢) - جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص١٠٤ .
(٣) - سورة الأنعام، الآية : ١٠٨ .
(٤) - انظر : الجامع لأحكام القرآن، ٦١،٧ .

٤١ - باب أداء الخمس من الإيمان

٤٨ - ٥٣ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ : كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ . فَقَالَ : أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي . فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِالْقَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **مَنِ الْقَوْمُ - أَوْ - مَنِ الْوَفْدُ** » . قَالُوا : ربيعة . قَالَ : « **مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ -أَوْ - بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلا نَدَامَى** » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ . فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ . وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ قَالَ : « **أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ ؟** ». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: « **شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ** ». وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، عَنِ الْحَنْتَمِ، وَالدُّبَّاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ : الْمُقَيَّرِ . وَقَالَ : « **احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ** » (١) .

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، برقم ٨٧، ١/٣٥ . **الثاني** : في كتاب مواقيت الصلاة، باب قول الله تعالى : { منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة .. }، برقم ٥٢٣، ١/١٥١ . **الثالث** : في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم ١٣٩٨ . **الرابع** : في كتاب فرض الخمس، باب أداء الخمس من الدين، برقم ٣٠٩٥، ٤/٥٤ . **الخامس** : في كتاب المناقب، باب رقم٥، برقم ٣٥١٠ . **السادس والسابع**: كتاب المغازي، باب وفد عبدالقيس، برقم ٤٣٦٨ و ٤٣٦٩، ٥/١٣٦ . **الثامن** : في كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحباً، برقم ٦١٧٦، ٧/١٤٩ . **التاسع** : في كتاب أخبار الآحاد، باب وصاة النبي ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم، برقم ٧٢٦٦، ٨/١٧٤ . **العاشر** : في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : { والله خلقكم وما تعملون }، برقم ٧٥٥٦، ٨/٢٧٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، برقم ١٧، ١/٤٦ .

وفي رواية: (عن أبي جمرة قال : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس، فقال..)[١]

وفيها : (.. قَالُوا : إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ وَلا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ ..) .

وفيها : .. رُبَّمَا قَالَ النَّقِيرِ، وَرُبَّمَا قَالَ : الْمُقَيَّرِ . قَالَ : « **احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ** ».

وفي رواية : (.. فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذْهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا ..) [٢] .

وفي رواية : « .. **وَشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ** - وَعَقَدَ بِيَدِهِ هَكَذَا - **وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ** .. » [٣] .

وفي رواية: (..**الإيمان بالله،شهادة أن لا إله إلا الله** - وعقد واحدة - ..) [٤].

وفي رواية : ... فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَنَدْعُو بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا . فَقَالَ: « **أَرْبَعٌ وَأَرْبَعٌ : أَقِيمُوا الصَّلاةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَصُومُوا رَمَضَانَ، وَأَعْطُوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَلا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُزَفَّتِ** » [٥] .

وفي رواية : « .. **وَالظُّرُوفِ الْمُزَفَّتَةِ وَالْحَنْتَمَةِ** » [٦] .

شرح غريب الحديث :

(**وَفْدَ عَبْدِالْقَيْسِ**) - يقال وفد على الأمير، أي ورد عليه، فهو وافد، وجمعه وفد،

---

(١) - كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، برقم ٨٧، ١/٣٥ .

(٢) - كتاب مواقيت الصلاة، باب قول الله تعالى : { منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة .. }، برقم ٥٢٣، ١/١٥١ .

(٣) - كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم ١٣٩٨ .

(٤) - كتاب المغازي، باب وفد عبدالقيس، رقم ٤٣٦٩، ٥/١٣٦ .

(٥) - كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحباً، برقم ٦١٧٦، ٧/١٤٩ .

(٦) - كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : { والله خلقكم وما تعملون }، برقم ٧٥٥٦، ٨/٢٧٢ .

والمراد الجماعة المختارة من قوم ليتقدموهم في لقي العظماء . و (عبدالقيس) أبو قبيلة، وهو ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار . كانوا ينزلون البحرين، وما بين هجر إلى الديار المصرية [١] .

(رَبِيعَةُ) – بن نزار بن معد بن عدنان، وإنما قالوا ربيعة لأن عبدالقيس من أولاده[٢] .

(مُضَرَ) – بن نزار بن معد بن عدنان [٣] .

« الدُّبَّاءِ » – هو اليقطين اليابس، أي الوعاء منه، وهو القرع [٤] .

« النَّقِيرِ » – جذع ينقرون وسطه، وينبذون فيه [٥] .

« الْمُزَفَّتِ » – أي المطلي بالزفت [٦] .

« الْمُقَيَّرِ » – أي المطلي بالقار [٧] .

« الْحَنْتَمَةَ » – هي الجرة، وقيل هي جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم [٨].

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية،نلخصها في الآتي:

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ٢٠٧/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٠٤/١ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ٢٠٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٩٩/١ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ٢٠٥/١ . وعمدة القاري، للعيني ،٢٩٩/١ .

(٤) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ٢١٠/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٦٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٠٥/١ .

(٥) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ٢١٠/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٦٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٠٥/١ .

(٦) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ٢١٠/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٦٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٠٥/١ .

(٧) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني ٢١٠/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٦٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٠٥/١ .

(٨) – فتح الباري، لابن حجر، ١٦٣/١ .

أولاً – من وسائل الدعوة : بذل المال .

ثانياً – الرحلة في طلب العلم، والوفادة في الأمور المهمة .

ثالثاً – أهمية معرفة أحوال المدعوين قبل دعوتهم .

رابعاً – أسلوب الترحيب بالمدعوين والدعاء لهم .

خامساً – حقيقة عداء الكفار للمسلمين .

سادساً – مبادرة الصحابة ﷺ، إلى الدعوة إلى الله ﷻ .

سابعاً – ذكر العدد وأهميته في الحفظ وشد الانتباه .

ثامناً – أهمية البدء بالأهم فالمهم من موضوعات الدعوة .

تاسعاً – طرح الأسئلة لشدّ انتباه المدعوين .

عاشراً – أهمية استخدام اليدين للبيان والتوضيح .

الحادي عشر – من صفات الداعية : الصبر على أسئلة المستفتي .

الثاني عشر – من وسائل الدعوة الاستعانة بالغير في التبليغ .

الثالث عشر – من تاريخ الدعوة . (إسلام أهل البحرين وشرق الجزيرة) .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من وسائل الدعوة : بذل المال :

إن ابن عباس ﷺما في هذا الحديث يعرض على أبي جمرة - رحمه الله - شيئاً من ماله إن جلس معه مدة شهرين، وهذا من ابن عباس ﷺما لسببٍ وَرَدَ التصريحُ به في الرواية الأخرى حيث قال أبو جمرة - رحمه الله - : (كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس)، يقول العلامة العيني - رحمه الله -: (ووقع في رواية البخاري في العلم بيان السبب في إكرام ابن عباس لأبي جمرة وهو: كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس)[١]. فابن عباس ﷺما يبذل ماله لأجل الترجمة وإيصال العلم للناس، وهكذا ينبغي للداعية إلى

---

(١) - عمدة القاري، ٣٠٨/١ .

ا لله، أن يجعل المال في خدمته وخدمة دعوته، فابن عباس رضي الله عنهما هنا حقق هدفين، الأول: إيصال العلم للناس وتفهيمهم إياه (١). والثاني: تَعلُّمِ أبي جمرة واستفادته من العلم الذي يترجمه، وإن أخذ عليه أجراً فهو جائز له، يقول بعض العلماء - رحمهم ا لله - : وفيه جواز أخذ الأجرة على التعليم (٢) .

ثانياً - الرحلة في طلب العلم، والوفادة في الأمور المهمة :

إن في هذا الحديث دلالة على أهمية الرحلة في طلب العلم، فوفد عبد القيس رضي الله عنهم قدموا من مكان بعيد وسفرٍ شاق، وبينهم وبين رسول ا لله ﷺ أعداء يتربصون بهم، وهذا كله لم يمنعهم من السفر والقدوم على رسول ا لله ﷺ لسؤاله وأخذ العلم منه. يقول بعض أهل العلم -رحمهم ا لله-: ويؤخذ من هذا الحديث الوفادة في الأمور المهمة (٣). فالقدوم على رسول ا لله ﷺ وطلب العلم منه من أهم الأمور .

فمن ذلك ينبغي للدعاة إلى ا لله الارتحال إلى أماكن العلماء لأخذ العلم منهم والسماع لهم، وكذلك إذا كان هناك أمر في الدعوة له أهمية ويحتاج إلى القدوم على أهل الفضل والمكانة والسلطان، فإنه يختار مجموعة من الدعاة والأشراف للوفادة عليه ومقابلته حتى يكون ذلك أوقع وأرجى لتحقيق المراد .

ثالثاً - أهمية معرفة أحوال المدعوين قبل دعوتهم :

لقد كان رسول ا لله ﷺ يهتم بمعرفة أحوال المدعوين بسؤالهم : من هم ؟ وذلك ليُنزلهم منازلهم ويتحدث ويتعامل معهم مراعياً لأحوالهم وما يحتاجون إليه، وهذا يظهر في هذا الحديث من قوله ﷺ : « **مَنِ الْقَوْمُ - أَوْ - مَنِ الْوَفْدُ** »، يقول الإمام ابن أبي جمرة

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١/١٩٥ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١/٢١١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٥٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٣١٠ .

(٣) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١/١٩٥ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١/٢١٠ . وعمدة القاري، للعيني، ١/٣١٠ .

- رحمه الله - : و(فيه دليل على أن من السنة سؤال المقصود للقاصد عن نفسه حتى يعرفه لأنه ﷺ سأل عن هذه القبيلة حين قدمت عليه حتى عرفها - إلى أن قال - وفي هذا من الفقه أن ينزل كل إنسان منزلته لأن سؤاله ﷺ إنما كان لأجل هذا المعنى) (١) .

ومما يؤكد هذا أن النبي ﷺ ذكر لهم من المنهيات ما هو منتشر عندهم، ويقعون فيه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (اقتصاره ﷺ في المناهي على الانتباذ في الأوعية مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم من الانتباذ، ولكن اقتصر عليها لكثرة تعاطيهم لها) (٢) .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بمعرفة المدعوين وأحوالهم إما بسؤالهم مباشرة، أو بالسؤال عنهم، لأن ما يقال لشخص، قد لا يقال لشخص آخر، وما ينطبق على حال، قد لا يصلح لحال أخرى .

رابعاً - أسلوب الترحيب بالمدعوين والدعاء لهم :

إن في قول رسول الله ﷺ : « **مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ -أَوْ - بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلا نَدَامَى** » بسطاً وتأنيساً لهم، فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الاقتداء برسول الله ﷺ في هذا الأسلوب الكريم الذي يجعل المدعوين يقبلون عليه بصدور منشرحة مبسوطة في الكلام معه، يقول الإمام النووي - رحمه الله - عن هذا الحديث : (وفيه استحباب قول الرجل لزواره والقادمين عليه مرحباً ونحوه، والثناء عليهم إيناساً وبسطا) (٣) .

ولذا ساق الإمام البخاري-رحمه الله- ترجمة على هذا الحديث في كتاب الأدب،

---

(١) - بهجة النفوس، ٩٤/١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٥٩/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣١٠/١ .

(٢) - فتح الباري، لابن حجر، ١٦٢/١ .

(٣) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٥/١ . وانظر : بهجة النفوس، ٩٤/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٥٩/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣١٠/١ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ١٤٧/١ .

بقوله: باب قول الرجل: مرحباً،وقالت عائشة قال النبي ﷺ لفاطمة: «**مرحباً بابنتي**»(١).
وقالت أمُّ هانئ : جئت النبي ﷺ فقال : « **مرحباً بأم هانئ** » (٢) . (٣)

خامساً - حقيقة عداء الكفار للمسلمين :

إن قول وفد عبدالقيس ﷺ لرسول الله ﷺ : (إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ وَلا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ ..)، يظهر منه عداء الكفار للمسلمين وأنهم لا يأمنون على أنفسهم منهم،يقول الإمام ابن أبي جمرة عند شرحه لهذه الجملة من الحديث:(أي إن هؤلاء الكفار يقطعون بينهم وبين النبي ﷺ، فلا يستطيعون المجيء إليه بسببهم إلا في الشهر الفرد الذي يرتفع فيه القتال) (٤) .

وهكذا هم دائما أعداء الدعوة في تربص وترصد للإسلام و المسلمين، فينبغي الحذر منهم وأن لا يؤمن جانبهم .

سادساً - مبادرة الصحابة ﷺ ، إلى الدعوة إلى الله :

إن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يبادرون إلى الدعوة إلى الله، ويحرصون على تبليغ هذا الدين إلى الناس، فهذا وفد عبدالقيس ﷺ، يقولون لرسول الله ﷺ : (فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ ..)، فهم **أولاً** يسمعون من رسول الله ﷺ الأمر، ثم **ثانياً** يقومون بالإخبار به لمن وراءهم ودعوتهم إليه .

فينبغي للدعاة إلى الله التأسي بصحابة رسول الله ﷺ في سرعة الاستجابة والحرص على العلم، ومن ثَم المبادرة للدعوة إليه ونشره بين الناس .

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم ٣٦٢٣، ٢٢٠/٤ .
(٢) - المصدر السابق، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد، رقم ٣٥٧، ١٠٩/١ .
(٣) - الجامع الصحيح، ١٤٨/٧ .
(٤) - بهجة النفوس، ٩٤/١ . وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨٣/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢٠٨/١ .

سابعاً - ذكر العدد وأهميته في الحفظ وشد الانتباه :

إن الداعية عندما يستخدم أسلوب الرقم والترقيم، بذكر العدد للمسائل التي يطرحها، يشد المدعوين إلى حديثه، ويجعلهم يُنصتون له لمعرفة خبر هذا العدد ونتيجته، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : والحكمة في الإجمال بالعدد قبل التفسير أن تتشوف النفس إلى التفصيل لتسكن إليه، وأن يحصل حفظها للسامع فإذا نسي شيئاً من تفاصيلها طالب نفسه بالعدد، فإذا لم يستوف العدد الذي حفظه علم أنه قد فاته بعض ما سمع (١).

ويقول الإمام ابن أبي جمرة -**رحمه الله**- عند شرحه لهذا الحديث: (إن الفصيح من الكلام، الإجمال أولاً ثم التفسير للإجمال بعده،لأنه ﷺ أجمل لهم أولاً،ثم بعد ذلك فسر ما أجمل، والحكمة في ذلك أنه عند الإخبار بالإجمال يحصل للنفس المعرفة بغاية المذكور ثم تبقى متشوقة إلى معرفة معناه فيكون ذلك أوقع في النفس وأعظم فائدة)(٢).

فمن هنا ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بمثل هذا الأسلوب وذكر الرقم والترقيم لبعض المسائل والموضوعات المطروحة، وعدِّها إجمالاً، لشد انتباه المدعوين، وتشويقهم وجذب تركيزهم إلى عدّ ما يذكره السامع لمطابقته على العدد المذكور منه.

ثامناً - أهمية البدء بالأهم فالمهم من موضوعات الدعوة :

في هذا الحديث بيان لعدد من موضوعات الإسلام المهمة لمن جاء يسأل عنها رسول الله ﷺ، يقول الإمام النووي - رحمه الله - إن في هذا الحديث : (بيان مهمات الإسلام وأركانه ما سوى الحج) (٣) .

وهذه الموضوعات المهمة جاءت مرتبة في الأهمية، فالتوحيد والشهادة لا يسبقهما شيء، ثم تأتي باقي الفرائض الأهم ثم المهم، يقول الإمام ابن أبي جمرة - **رحمه الله** - : (في هذا - الحديث - دليل على أنه يبدأ أولاً بالفرائض، ويبدأ من الفرائض بالأوكد

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٦٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣١١/١ .
(٢) - بهجة النفوس، ٩٧/١ .
(٣) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٥/١ .

فالأوكد، لأن الفرائض كثيرة مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك، ولكنه ﷺ قد فضل هذه على غيرها، وما فُضل على الغير فالمحافظة عليه آكد مع أن المحافظة على الكل واجبة) [١] .

فعلى الدعاة إلى الله - بصفة عامة - مراعاة هذه الأوليات في دعوتهم والاهتمام بها، فمثلا التوحيد والإيمان بالله، لا يُقدم عليهما شيء من الموضوعات مهما كان في الأهمية والمكانة، بل يكون بعدهما في الترتيب والأهمية، ثم يأتي بعدهما الأهم فالمهم بحسب الأحوال والظروف والأزمنة والأمكنة، وهكذا تكون أوليات الدعاة مبنية على ترتيب الشارع لها،لا على الرغبات والانتماءات، مع التأكيد على أن المحافظة على الكل أمر مطلوب .

تاسعاً - طرح الأسئلة لشدّ انتباه المدعوين :

إن أهمية طرح الداعية السؤال على المدعوين، تظهر في شدِّ انتباههم لما سوف يقوله من حديث، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث ذكر الإيمان بالله وأراد أن يؤكد على أهميته قبل شرحه لهم فطرح سؤالاً عنه فقال لهم: « **أَتَدْرُونَ مَا الإيمَانُ بِالله وَحْدَهُ ؟** »، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - عند شرحه لهذه الجملة من الحديث : (فيه دليل على استفهام العالم للمتعلم عما يريد إلقاءه إليه، لأنه ﷺ استفهم عن حقيقة فهمهم في الإيمان ثم بعد ذلك بينه لهم) [٢] .

إذن فالسؤال يجعل المدعوين يشاركون المتحدث في التفكير، ويتعاونون معه، ويتهيؤون للإجابة ومعرفة الغرض من السؤال . لذا فينبغي للداعية أثناء حديثه للناس أن يوجه لهم بعض الأسئلة لاستحضار الذهن وصرف الشواغل . وأن لا يغفل عن هذا الأسلوب المهم .

---

(١) - بهجة النفوس، ١/١٠٠ .
(٢) - المرجع السابق، ١/٩٧ .

عاشراً - أهمية استخدام اليدين للبيان والتوضيح :

في هذا الحديث بعد أن ذكر رسول الله ﷺ أنه يأمر بأربع وينهى عن أربع، وبدأ في شرحها، استخدم يده وأصابعه، لمساعدة السامع في العدّ والفهم، يقول راوي الحديث فبعد أن عدّ الأولى: (وَعَقَدَ بِيَدِهِ هَكَذَا) وفي رواية أخرى : (وعقد واحدة)، وهذا من النبي ﷺ لعدّ الأربع التي ذكرها لهم، وأيضاً ليعدّوها معه، وكما أشرنا سابقاً لقول بعض العلماء - رحمهم الله - في أن الحكمة في الإجمال بالعدد قبل التفسير أن تتشوف النفس إلى التفصيل لتسكن إليه، وأن يحصل حفظها للسامع [(١)] . فرسول الله ﷺ باستخدامه ليده ، يساعدهم في تحصيلها وحفظها، حتى تسكن نفوسهم إليها .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحرص على استخدام الأيدي والأصابع وغيرها من أعضاء الجسم للتوضيح والشرح والبيان أو لشدّ الانتباه والتركيز، وغيرها من الاستخدامات في الدعوة إلى الله ﷻ .

الحادي عشر - التحريض على الدعوة والتبليغ :

إن قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث لوفد عبد القيس بعد أن أمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع : « **احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ** »، فيه تحريض على الدعوة إلى الله والتبليغ، وخاصة للأهل والأولاد، يقول الإمام الكرماني -رحمه الله- : (وفيه أنه يلزم تعليم أهله الفرائض لعموم لفظ من وراءكم) [(٢)] .

وتأكيداً لهذا المعنى بوّب الإمام البخاري - رحمه الله - في كتاب العلم على هذا الحديث باباً قال فيه : باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم [(٣)] . وباباً في كتاب أخبار الآحاد، قال فيه : باب وصاة النبي

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٦٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣١١/١ .

(٢) - الكواكب الدراري، ٧٣/٢ . وانظر : بهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١٠١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣١٠/١، و١٠٠/٢ .

(٣) - الجامع الصحيح، ٣٥/١ .

ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم (١) .

لذا ينبغي للداعية إلى الله أن يحث الناس على الدعوة وتبليغ العلم ونشره بين الناس، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (وفيه - أي الحديث - أنه ينبغي أن يحث الناس على تبليغ العلم) (٢) .

الثاني عشر - من وسائل الدعوة الاستعانة بالغير في التبليغ :

إن الاستعانه بالغير في الدعوة إلى الله من الوسائل التي ينبغي أن يستفيد منها الداعية إلى الله سبحانه وتعالى ، فهو لوحده لا يكفي للقيام بأعباء الدعوة ومسؤولياتها، بل لابد أن يكون معه آخرون يساعدونه على إيصال الدعوة ونشرها بين الناس، وذلك لمحدودية إمكانات الداعية في مقابل حاجة الدعوة وتنوعها وكثرة المدعوين وتعدد أصنافهم ولغاتهم، وهذا يظهر من الحديث في جانبين، **الأول** : تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس، أن يبلغوا العلم عنه، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله -: فمن قوله ﷺ : « **احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ** »، ومن قول وفد عبدالقيس : نخبر به من وراءنا . فيهما دليل على جواز النيابة في العلم والحض على نشره وتبينه (٣) .

والثاني : من استعانة ابن عباس رضي الله عنهما، بأبي جمرة - رحمه الله - في الترجمة عنه وتفهيم الناس، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (وفيه - أي الحديث - استعانه العالم في تفهيم الحاضرين والفهم عنهم ببعض أصحابه كما فعله ابن عباس رضي الله عنهما)(٤).

---

(١) - الجامع الصحيح، ١٧٤/٨.

(٢) - عمدة القاري، ٣١٠/١ .

(٣) - انظر : بهجة النفوس، ٩٦/١ .

(٤) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٥/١. وانظر: بهجة النفوس، لابن أبي جمرة ، ٩٦/١ . والكواكب الدراري، للكرماني،٢١١/١. فتح الباري،لابن حجر ، ٦٨٦/٧ .وعمدة القاري، ٣٠٩/١.

الثالث عشر - من تاريخ الدعوة : (إسلام أهل البحرين وشرق الجزيرة) :

في هذا الحديث إشارة إلى إسلام أهل البحرين وشرق الجزيرة العربية، وقدوم وفد منهم على رسول الله ﷺ في عام الوفود، وأنهم سألوه وتعلموا منه، وعادوا إلى من وراءهم بالعلم والدعوة إلى الله [1] .

(١) - انظر قصة إسلامهم في الكتب التالية : شرح النووي على صحيح مسلم، ١/١٨١.. والكواكب الدراري، للكرماني، ١/٢١١ . وعمدة القاري، ١/٣١٠ .

٤٢ – باب ما جاء إن الأعمال بالنية الحسنة، ولكل امرئ ما نوى

٤٩- ٥٥ – حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ (١) . عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ** » (٢) .

وفي رواية : **قَالَ** : « **نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ صَدَقَةٌ** » (٣) .

وفي رواية : **قَالَ** : « **إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً** » (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الإخلاص في العمل .

---

(١) – هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن عطية بن جدارة بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي البدري، شهد العقبة مع السبعين، وكان أصغرهم، وقيل : شهد بدراً وما بعدها من غزوات مع النبي ﷺ، وهو معدود في علماء الصحابة، روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وحديثان، ، اتفق البخاري ومسلم على تسعة منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم سبعة أحاديث، سكن الكوفة وتوفي بها بعد الأربعين، وقيل قبلها .(انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٩٣/٢ – ٤٩٦ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ، ٢٤/٧ – ٢٥، ترجمة رقم: ٥٥٩٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٣١٧/١) .

(٢) – طرفاه : **الأول** : في كتاب المغازي، باب رقم ١٢، برقم ٤٠٠٦، ٢١/٥ . **الثاني** : في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، برقم ٥٣٥١، ٢٣٣/٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج و**الأولاد** والوالدين، برقم ١٠٠٢، ٦٩٥/٢ .

(٣) – كتاب المغازي، باب رقم ١٢، برقم ٤٠٠٦، ٢١/٥ .

(٤) – كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، برقم ٥٣٥١، ٢٣٣/٦ .

ثانياً – من أساليب دعوة الأهل والأولاد : الإحسان إليهم .

ثالثاً – درجات المسؤولية .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية الإخلاص في العمل :

في هذا الحديث بيان لأهمية الإخلاص في العمل وحثّ عليه، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث الحث على الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال الظاهرة والخفية) [(١)] . ولذا قال كثير من العلماء - رحمهم الله - : إن النفقة على العيال وإن كانت من أفضل الطاعات، فإنها تكون طاعة لله، إذا نوى بها وجهه سبحانه وتعالى، وكذلك نفقته على نفسه وضيفه ودابته وغير ذلك، كلها إذا نوى بها الطاعة كانت طاعة وإلا فلا [(٢)] .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على استحضار النية في جميع أعمالهم حتى يؤجروا عليها عند الله سبحانه وتعالى، وكذلك عليهم أن يذكروا ويحثوا الناس على استحضارها في سائر أعمالهم، وما يُقدمون عليه.

ثانياً - من أساليب دعوة الأهل والأولاد، الإحسان إليهم :

إن من أساليب دعوة الإنسان لأهل بيته، الإحسان إليهم بالنفقة الطيبة التي يُنوى فيها الأجر من الله سبحانه وتعالى، فإن مثل هذا العمل فيه إعفاف لهم عن المسألة والحاجة، وكسب لودهم ومحبتهم له ورضاهم عنه، مما يجعلهم يقتدون به ويسيرون على ما رباهم عليه من الصلاح والأدب، يقول أبو قلابة - رحمه الله - : (وأي رجل أعظم

---

(١) – نقلاً عن الكواكب الدراري، للكرماني، ٢١٥/١ .

(٢) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٩/٧ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢١٥/١ . وإكمال إكمال المعلم، ٤٦١/٣ .وفتح الباري، لابن حجر، ١٦٥/١ و٤٠٨/٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٣١٨/١ .

أجراً من رجل ينفق على عياله يعفهم وينفعهم الله به) [١] .

ثالثاً - درجات المسؤولية :

إن في هذا الحديث بياناً لدرجات المسؤولية التي على الإنسان، فهي على الأهل أكثر من غيرهم، ولبيان هذا قال بعض العلماء - رحمهم الله - : النفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنما سماها الشارع صدقة خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه، وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر فعرفهم أنها لهم صدقة، حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم ؛ ترغيباً لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع [٢] .

وهذه المسؤولية إن كانت ظاهرة في الصدقة، وإلا فهي تشمل كثيراً من الأعمال وخاصة دعوتهم وتربيتهم على الإيمان وطاعة الله، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله- : (النفقة هنا هي ما أوجب الله تعالى على الرجل لعياله من الطعام والشراب والكسوة والخدمة والسكنى وغير ذلك من ضروراتهم المعلومة عادة وشرعاً - وأي شيء أعظم ضرورة من الإيمان بالله وطاعته - ولذلك قال : أنفق . ولم يقل : أطعم . لأن أنفق يعم كل ما ذكرنا، وأطعم لا يفيد إلا الأكل لا غير) [٣] .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بالأهل في الدعوة والإصلاح أكثر من غيرهم، وأن يبدأوا بهم قبل غيرهم، لأن المسؤولية عليهم آكد من غيرهم، وهكذا الأقرب فالأقرب .

---

(١) - نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ٤١٠/٩ .

(٢) - انظر : المرجع السابق، ٤٠٩/٩ .

(٣) - بهجة النفوس، ١٠١/١ .

٥٠ - ٥٦- حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ** »(١).

وفي رواية : قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي. فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلا يَرِثُنِي إِلا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي. قَالَ: « **لا** » . فَقُلْتُ : بِالشَّطْرِ . فَقَالَ : « **لا** » . ثُمَّ قَالَ : « **الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ** - أَوْ كَثِيرٌ -، **إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ** ». فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي ؟ قَالَ : « **إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلا صَالِحًا إِلا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللهمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ** (٢) » .

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، برقم ١٢٩٥، ١٠٢/٢ . **الثاني** : في كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، برقم ٢٧٤٢، ٢٤٦/٣ . **الثالث** : في كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث، برقم ٢٧٤٤، ٢٤٧/٣ . **الرابع** : في كتاب مناقب الانصار، باب قول النبي ﷺ « اللهم أمض لأصحابي هجرتهم » ومرثيته لمن مات بمكة، برقم ٣٩٣٦، ٣٢١/٤ . **الخامس** : في كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم ٤٤٠٩، ١٤٩/٥ . **السادس** : في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، برقم ٤٣٥٤، ٢٣٢/٦ . **السابع** : في كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، برقم ٥٦٥٩، ٩/٧ . **الثامن** : في كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول : إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع، برقم ٥٦٦٨، ١١/٧ . **التاسع** : في كتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء و الوجع، برقم ٦٣٧٣، ٢٠٧/٧ . **العاشر** : في كتب الفرائض، باب ميراث البنات، برقم ٦٧٣٣، ٦/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، برقم ١٦٢٨، ١٢٥٠/٣ .

(٢) - هو سعد بن خولة من بني عامر بن لؤي، وقيل حليف لهم، من السابقين ﷺ، بدري، وكان زوج سبيعة الأسلمية توفي سنة عشر بمكة . (انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر،

=

يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ (١).

وفي رواية : قَالَ : جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا . قَالَ : « **يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ عَفْرَاءَ** » (٢) .

وفيها : (.. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَئِذٍ إِلا ابْنَةٌ ..) .

وفي رواية : « **.. وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ، وَلَعَلَّ اللهَ يَرْفَعُكَ، يَنْتَفِعُ بِكَ نَاسٌ، وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ** » (٣) .

وفي رواية : .. ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِي وَبَطْنِي، ثُمَّ قَالَ: « **اللهمَّ اشْفِ سَعْدًا وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ** » . فَمَا زِلْتُ أَجِدُ بَرْدَهُ عَلَى كَبِدِي فِيمَا يُخَالُ إِلَيَّ حَتَّى السَّاعَةِ (٤) .

شرح غريب الحديث :

«**الشَّطْرِ** » – أي النصف (٥) .

« **تَذَر** » – أي تترك (٦) .

« **عَالَة** » – أي فقراء (٧) .

« **البائس** » – هو الذي عليه أثر البؤس، وهو الفقر والقلة (٨) .

=

ترجمة رقم ٩٢٨، ١٤٠/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٨/٨) .

(١) – كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، برقم ١٢٩٥، ١٠٢/٢ .

(٢) – كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، برقم ٢٧٤٢، ٢٤٦/٣ .

(٣) – كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، برقم ٥٣٥٤، ٢٣٢/٦ .

(٤) – كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، برقم ٥٦٥٩، ٩/٧ .

(٥) – إرشاد الساري، للقسطلاني، ٤٠٧/٢ .

(٦) – المرجع السابق، ٤٠٧/٢ .

(٧) – المرجع السابق، ٤٠٧/٢ .

(٨) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٩/١١ .

الدراسة الدعوية للحديث :

ومن هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الإخلاص في العمل .

ثانياً – من وسائل الدعوة إلى الله، عيادة المرضى، والدعاء لهم، والسؤال عنهم.

ثالثاً – من وسائل الدعوة مع الورثة، تركهم أغنياء .

رابعاً – أهمية الشورى للدعاة إلى الله ﷻ .

خامساً – من الحكمة في الصدقة بالثلث مراعاة درجات المسؤولية .

سادساً – من معجزات الرسول ﷺ : إخباره ببعض الغيب .

سابعاً – أهمية الهجرة إلى الله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية الإخلاص في العمل :

إن هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فيه بيان لأهمية الإخلاص في العمل، وأن الإنسان لا يؤجر عليه إلا إذا كان فيه النية الخالصة لله ﷷ، وأكد هذا المعنى أنه حتى ما يُطعم به أهله إذا نوى به وجه الله ﷻ، يؤجر عليه، فقال ﷺ : « **وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ** »، يقول الإمام النووي – رحمه الله – : (فيه – أي الحديث – أن الأعمال بالنية، وأنه إنما يثاب على عمله بنيته، وفيه أن الإنفاق على العيال يثاب عليه إذا قصد به وجه الله تعالى، وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة ويثاب عليه، وقد نبه ﷺ على هذا بقوله : « **حَتَّى اللقمة تَجْعَلها فِي فِي امْرَأَتِكَ** » . لأن زوجة الإنسان هي من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة ومع هذا فأخبر ﷺ أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى حصل له الأجر بذلك، فغير هذه

الحالة أولى بحصول الأجر، إذا أراد وجه الله تعالى، ويتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئاً أصله على الإباحة وقصد به وجه الله تعالى يثاب عليه وذلك كالأكل بنية التقوي على طاعة الله تعالى، والنوم للاستراحة ليقوم إلى العبادة نشيطاً والاستمتاع بزوجته وجاريته ليكف نفسه وبصره ونحوهما عن الحرام، وليقضي حقها، وليحصل ولداً صالحاً، وهذا معنى قوله ﷺ : « **وفي بضع أحدكم صدقة** »[1])[2]

ويقول الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - : (وفيه - أي الحديث - دليل على أن الأعمال لا يزكو منها إلا ما أريد به وجه الله تعالى لقوله ﷺ : « **إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلا أُجِرْتَ بِهَا** »)[3] .

وخلاصة الكلام أن العمل لايقبل عند الله إلا إذا كان يبتغى به وجه الله، حتى ولو كان هذا العمل صغيراً وللنفس فيه حظوظ، وأن العمل الذي لا يبتغى به وجه الله لا يقبل حتى ولو كان عظيماً .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على إخلاص النية في كل عمل يُقدمون عليه، وأن يحثوا الناس على ذلك ويبينوه لهم كما فعل رسول الله ﷺ في هذا الحديث .

ثانياً - من وسائل الدعوة إلى الله، عيادة المرضى، والدعاء لهم، والسؤال عنهم :

إن من وسائل الدعوة مع المرضى زيارتهم، حيث نجد في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ على كثرة مشاغله ومسؤولياته عندما علم بمرض سعد ﷺ عاده وطمأنه ونصحه ودعا له، يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - : (وفي هذا الحديث فوائد

---

(١) - صحيح الإمام مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم ١٠٠٦، ٦٩٧/٢ .

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٨،٧٧/١١ .وانظر : الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، ٣٢٦/١، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ط رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢١٦/١. وإكمال إكمال المعلم، ٦٠٢/٥ .وفتح الباري، لابن حجر، ٤٣٣/٥ . وعمدة القاري، للعيني ٣٢٠/١.

(٣) - الاستذكار، ٢٣ /٣٨ .

عظيمة كثيرة، منها : أن من هدي رسول الله ﷺ عيادة المرضى لأنه عاد سعد ابن وقاص رضي الله عنه، وفي عيادة المرضى **فوائد للعائد وفوائد للمَعُود** :

أما العائد فإنه يؤدي حق أخيه المسلم لأن من حق أخيك المسلم أن تعوده إذا مرض .

ومنها : أن الإنسان إذا عاد المريض فإنه لا يزال في مَخْرَفة الجنة، يعني يجني ثمار الجنة حتى يعود .

ومنها : أن في ذلك تذكيراً للعائد بنعمة الله عليه بالصحة، لأنه إذا رأى هذا المريض ورأى ماهو فيه من المرض، ثم رجع إلى نفسه رأى ما فيها من الصحة والعافية عرف قدر نعمة الله عليه بهذه العافية لأن الشيء إنما يعرف بضده .

ومنها : أن فيها جلباً للمحبة والمودة، فإن الإنسان إذا عادالمريض صارت هذه العيادة في قلب المريض دائماً على قلبه يتذكرها، وكلما ذكرها أحب الذي يعوده، وهذا يظهر كثيراً فيما إذا برأ المريض وحصلت منه ملاقاة لك تجده يتشكر منك وتجد أن قلبه ينشرح بهذا الشيء .

أما المعود : فإن له فيها فائدة أيضاً، لأنها تؤنسه وتشرح صدره ويزول عنه ما فيه من الهم والغم، ومن المرض ، وربما يكون العائد موفقاً يذكره بالخير والتوبة والوصية إذا كان يريد أن يوصي بشيء عليه من الديون وغيرها فيكون في ذلك فائدة للمعود) (١) .

وخلاصة الكلام أنه ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على زيارة المرضى، وذلك للفوائد الكثيرة العظيمة التي تعود عليه وعلى المزور، وينبغي في ذلك أن يراعى آداب عيادة المريض التى ذكرها العلماء، ومنها :

أنه ينبغي لمن عاد مريضاً أن ينفس له في أجله، أي يفرحه بقوله : ما شاء الله أنت في خير، وما أشبهه، ليس لازماً أن يقول له أنت طيب مثلاً، لأنه قد يكون أشد مرضاً من أمس لكن يقول : أنت اليوم في خير، لأن المؤمن كل أمره خير إن أصابه ضراء فهو في خير وإن أصابه سراء فهو في خير .

---

(١) - شرح رياض الصالحين، ١/٤٠ .

وينبغي أيضاً أن يذكره التوبة لكن لا يقول له ذلك بصفة مباشرة، لأنه ربما ينزعج، ويقول في نفسه لو أن مرضي غير خطير ما ذكرني بالتوبة . كأن يذكر آيات التوبة والتائبين والأحاديث التي فيها ثناء عليهم .

وكذلك **ينبغي** أن يذكره الوصية، كأن يذكره بقصص واردة عليه كحديث هذا الباب.

وينبغي أيضاً إذا رأى منه تشوفاً إلى أن يقرأ عليه فليقرأ عليه، وينفث عليه بما ورد عن رسول الله ﷺ .

وينبغي أن لا يطيل الجلوس عنده إلا إذا أحب المريض ذلك . [(١)]

ثالثاً - من وسائل الدعوة مع الورثة، تركهم أغنياء :

إن من الوسائل الدعوية مع الورثة، أن يرثوا من مورثهم ما يغنيهم ويسدّ حاجتهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ** »، يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين -حفظه الله- (أي كونك تبقي المال ولا تتصدق به حتى إذا مت وورثه الورثة صاروا أغنياء به، هذا خير من أن تذرهم عالةً لا تترك لهم شيئاً « **يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ** »، أي : يسألون الناس بأكُفّهم أعطونا أعطونا، وفي هذا دليل على أن الميت إذا خلف مالاً للورثة فإن ذلك خير له) [(٢)] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله عندما يكون عنده مال، أن يبقي منه شيئاً للورثة حتى لا يتكففون الناس، ويغنيهم عنهم، ويكون ذلك سبباً لمحبتهم له والدعاء له بعد موته .

رابعاً - أهمية الشورى للدعاة إلى الله ﷻ :

إن الشورى لها أهمية كبيرة في حياة الدعاة إلى الله فبها تنضج الآراء، وتقل الأخطاء، وهذا كان شأن قدوة الدعاة وسيدهم رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، وفي هذا

---

(١) - انظر : شرح رياض الصالحين، ١/٤١، ٤٢ .

(٢) - المرجع السابق، ١/٤٣، ٤٦ . وانظر : الاستذكار، لابن عبدالبر، ٣٨/٢٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٣٣/٥ .

الحديث صورة لذلك، حيث نجد أن سعد بن أبي وقاص ﷺ استشار رسول الله ﷺ في ماله، يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - وفي هذا الحديث من الفوائد أنه ينبغي للإنسان : استشارة أهل العلم والرأي، وكل إنسان بحسبه، فمثلاً إذا كنت تريد أن تقدم على شيء من أمور الدين فشاور أهل العلم لأنهم أعلم بأمور الدين من غيرهم، إذا أردت أن تشتري بيتاً فشاور أصحاب العقار الثقات، وهكذا . ولهذا قيل : ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار .

وفيه : أنه ينبغي للمستشير أن يذكر الأمر على ما هو عليه حقيقةً لا يَلُوذ يميناً وشمالاً، بل يذكر الأمر حقاً على ما هو عليه حتى يتبيّن للمستشار حقيقة الأمر ويبني مشورته على هذه الحقيقة، ولهذا قال سعد ﷺ : إني ذو مال ولا يرثني إلا ابنة .

والمستشار عليه أن يتقي الله عزّ وجل فيما أشار فيه، وأن لا تأخذه العاطفة في مراعاة المستشير، لأن بعض الناس إذا استشاره الشخص ورأى أنه يميل إلى أحد الأمرين أو الرأيين ذهب يُشير عليه به [(١)] .

خامساً - من الحكمة في الصدقة بالثلث مراعاة درجات المسؤولية :

إن الصدقة من الأعمال التي شرعها الإسلام وحث عليها في نصوص كثيرة، منها هذا الحديث الذي حدد فيه رسول الله ﷺ مقدار الصدقة من المال بالثلث، لأن صاحب المال قد يرى بعض الوجوه أولى من ورثته في ماله، فقال ﷺ : « **الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ** »، وهذا التحديد من رسول الله ﷺ بالثلث حتى لا يكون على حساب أهل بيته وورثته، ومن هم في حدود مسؤوليته، يقول العالم الوزير ابن هبيرة -رحمه الله- وفي الحديث من الفقه: (أن رسول الله ﷺ جعل للرجل من ماله الثلث ليتصدق به في وجوهٍ يراها أولى من ورثته ؛ لأنه قد يكون في الناس من يعرف ناساً ذوي ضرورة مُلْحِفَة فهم في العاجل أولى من ورثته ؛ فلو كان محظوراً على الرجل أن يتصدق من ماله بشيء لكان ذلك

---

(١) - انظر : شرح رياض الصالحين، ٤٣/١ .

إضراراً بأولئك المستحقين، كما أنه لو كان مفسوحاً للرجل أن يتصدق بكل ماله لكان ذلك إضراراً بورثته، فلما كان الأمر في ذلك من الجانبين اقتضت حكمة الله ما قدره رسول الله ﷺ بالثلث، إلا أنه إنما قدر الثلث من حيث ترجيح الورثة بجانب الفاقة وجانب الرحم، فصار الورثة يُدلون بسببين والفقراء غيرهم يدلون بسبب واحد، فلذلك صار الثلث للأجانب والثلثان للأقارب) (١) .

ويقول الإمام النووي - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث حثٌ على صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب والشفقة على الورثة، وأن صلة القريب الأقرب والإحسان إليه أفضل من الأبعد) (٢) وذلك لأن مسؤوليته عن الأقرب أكبر، وهكذا كلّما كانت أقرب، كلّما كانت المسؤولية أكبر .

وهذا ما ينبغي أن يتفطن له الدعاة إلى الله ﷻ، وهو أن مسؤولياتهم الدعوية تجاه الناس يجب أن تكون بعد مسؤوليتهم تجاه أهل بيوتهم وأقاربهم .

سادساً - من معجزات الرسول ﷺ : إخباره ببعض الغيب :

في هذا الحديث تظهر معجزة من معجزات رسول الله ﷺ، وهو أنه قال : « **ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ** »، ووقع الأمر كما توقعه النبي ﷺ، فإن سعداً رضي الله عنه عُمِّر إلى خلافة معاوية رضي الله عنه، يقول الإمام النووي -رحمه الله-: (وهذا الحديث من المعجزات، فإن سعداً رضي الله عنه عاش حتى فتح العراق وغيره، وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم، وتضرر به الكفار في دينهم ودنياهم، فإنهم قتلوا وصاروا إلى جهنم وسبيت نساؤهم وأولادهم وغنمت أموالهم وديارهم، وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم من الكفار ونحوهم) (٣) .

---

(١) - الإفصاح عن معاني الصحاح، ٣٢٦/١ .

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٧/١١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٤٣٣/٥ .

(٣) - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٨/١١ .وشرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٤٩/١.

سابعاً - أهمية الهجرة إلى الله ﷻ :

إن في هذا الحديث بياناً لأهمية الهجرة إلى الله وعظم أجرها وثوابها، ولذا دعا رسول الله ﷺ لأصحابه أن يمضي الله لهم هجرتهم، فقال : « **اللهمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ** »، ثم عقبه بقوله ﷺ : « **لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ** »، يرثيه، بمعنى : كيف فاته الفضل في أن يموت بأرض هجرته (١) . يقول الإمام النووي – رحمه الله – : وسبب رثاه لما فاته من الأجر والثواب الكامل بالموت في دار هجرته والغربة عن وطنه إلى هجرة الله تعالى (٢) .

والهجرة التي يحرم فيها العودة إلى الوطن حتى بعد كونه بلد إسلام وإيمان هي هجرة صحابة رسول الله ﷺ، من مكة، يقول الإمام ابن عبدالبر – رحمه الله – : (ولم تكن الهجرة مقتصرة في ترك الوطن، وتحريم الرجوع إليه على الأبد، إلا على أهل مكة خاصةً الذين آمنوا به من أهلها، واتبعوه ليتم لهم بالهجرة الغاية من الفضل الذي سبق لهم، فعليهم خاصة افترضت الهجرة المفترض فيها البقاء مع النبي ﷺ حيث استقر، والتحول معه حيث تحول لنصرته، ومؤازرته، وصحبته، والحفظ لما يُشرعه، والتبليغ عنه) (٣) .

إذن فالهجرة إلى الله شأنها عظيم وأجرها كبير وذلك لما فيها من نصرة الدين والمحافظة عليه .

---

(١) – انظر : الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، ١/٣٢٧ .

(٢) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم،١١/٨٠ .

(٣) – الاستذكار، ٢٣ /٤٠ .

٤٣ - باب قول النبي ﷺ : « الدين : النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »، وقوله تعالى :

﴿ إذا نصحوا لله ورسوله ﴾ (١) .

٥١ - ٥٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : حَدَّثَنِي قَيْسُ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (٢) قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (٣) .

وفي رواية : بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا

---

(١) - سورة التوبة، الآية : ٩١ .

(٢) - هو جرير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن حشم بن عوف، أبوعمرو البجلي القسري . قال عنه الذهبي: الأمير النبيل الجميل، من أعيان الصحابة ﷺ، حدث عنه أنس ﷺ، وجمع من التابعين - رحمهم الله - قدم على رسول الله ﷺ سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان فبايعه وأسلم . وكان عمر ﷺ يقول جرير يوسف هذه الأمة . اعتزل الفتنة وأقام بالجزيرة ونواحيها، روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث، اتفق البخاري ومسلم على ثمانية منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بستة أحاديث . توفي سنة أربع وخمسين .(انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٣٠/٢ - ٥٣٧ . تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ١٤٧/١، ترجمة رقم : ١٠٤ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ، ٧٧/٢، ترجمة رقم : ١١٣٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٢٣/١) .

(٣) - أطرافه : **الأول** : في كتاب مواقيت الصلاة، باب البيعة على إقام الصلاة، برقم ٥٢٤، ١٥١/١ . **الثاني** : في كتاب الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة، برقم ١٤٠١، ١٣٥/٢ . **الثالث** : في كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر ؟ وهل يعينه أو ينصحه ؟ برقم ٢١٥٧، ٣٧/٣ . **الرابع والخامس** : في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام، والأحكام، والمبايعة، برقم ٢٧١٤ و ٢٧١٥، ٢٣١/٣ . **السادس** : في كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، برقم ٧٢٠٤، ١٥٥/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ٥٦، ٧٤/١ .

رَسُولُ ا للهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (١) .

وفي رواية : بَايَعْتُ رَسُولَ ا للهِ ﷺ فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ : « **وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** »(٢).

وفي رواية : بَايَعْتُ النبي ا للهِ ﷺ على السَّمْعِ والطّاعةِ فلقّنني: « **فيما اسْتَطَعْتُ** »، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – البدء في الدعوة إلى ا لله بالأهم، فالمهم .

ثانياً – من صفات الداعية النصح لله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ثالثاً – أهمية السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية ا لله .

رابعاً – من خصائص الدعوة الإسلامية : رفع الحرج .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – البدء في الدعوة إلى الله بالأهم، فالمهم :

إن في هذا الحديث بياناً لأوليات الدعوة، وأن الداعية إلى ا لله ينبغي له أن يكون حكيماً في دعوته وطرحها للناس، ومن ذلك أنه لا يقدم على التوحيد والشهادة موضوعاً آخر، وأن الذي يلي ذلك في الأهمية بقية أركان الإسلام ومبانيه العظام، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه ا لله – : (وكان النبي ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمسّ، فبايع جريراً على النصيحة لأنه كان سيد قومه فأرشده إلى تعليمهم

---

(١) – كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر ؟ وهل يعينه أو ينصحه؟ برقم ٢١٥٧، ٣/٣٧ .

(٢) – كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام، والأحكام، والمبايعة، برقم ٢٧١٤، ٣/٢٣١ .

(٣) – كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، برقم ٧٢٠٤، ٨/١٥٥ .

بأمره بالنصيحة لهم، وبايع وفد عبدالقيس على أداء الخمس لكونهم كانوا أهل محاربة مع من يليهم من كفار مضر) (١) .

إذن فالدعوة إلى الله تحتاج من الداعية أن يكون حكيماً في اختيار الموضوعات بحسب حاجة المدعوين وأحوالهم وأزمنتهم وأمكنتهم، مع مراعاة أوليات الشرع وهو أن لا يكون ذلك على حساب العقيدة والعبادة .

ثانياً - من صفات الداعية النصح لله ولأئمة المسلمين وعامتهم :

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله النصح، وهذه الكلمة كما قال عنها الخطابي - رحمه الله -: (كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ، وهي من وجيز الكلام ، بل ليس في الكلام كلمة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة) (٢) .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : وحديث جرير رضي الله عنه بيان للترجمة التي ساقها البخاري - رحمه الله - بقوله : « الدين : النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »، وقوله عز وجل : ﴿ **إذا نصحوا لله ورسوله** ﴾ (٣) . (٤) .

ويقول - رحمه الله - : **فالنصيحة لله** : وصفه بما هو أهل له، والخضوع له ظاهراً وباطناً، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة من مساخطه بترك معصيته، والجهاد في رد العاصين إليه .

والنصيحة لكتاب الله : تعلمه وتعليمه، وإقامة حروفه في التلاوة، وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه.

والنصيحة لرسول الله : تعظيمه، ونصره حياً وميتاً، وإحياء سنته بتعلمها

---

(١) - فتح الباري، ٢/١٠، ١١ .
(٢) - نقلاً عن : المرجع السابق، ١/١٦٧ .
(٣) - سورة التوبة، الآية : ٩١ . انظر : فتح الباري، ١/١٦٦ .
(٤) - انظر : المرجع السابق، ١/١٦٦ .

وتعليمها، والاقتداء به في أقواله وأفعاله، ومحبته ومحبة أتباعه .

والنصيحة لأئمة المسلمين : إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن .

والنصيحة لعامة المسلمين : الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه (١) .

ثالثاً - أهمية السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله :

إن السمع والطاعة لولاة الأمر له أهمية كبيرة في حياة المسلمين، وهو أصل من أصول العقيدة، قلَّ أن يخلو كتاب فيها من تقريره وشرحه وبيانه (٢)، وما ذلك إلا لبالغ أهميته، وعظيم شأنه، إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً، و بالخروج عليهم قولا أو فعلاً فساد الدين والدنيا .

والنصوص الشرعية قد تضافرت على وجوب السمع والطاعة للولاة في غير معصية الله، ومنها هذا الحديث لجرير ﷺ، والحديث الذي يليه، وحديث عبادة بن الصامت الذي سبق شرحه (٣) .

يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله - : (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزّ وجل فريضه، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة) (٤).

---

(١) - انظر : فتح الباري، ١/١٦٧ . وانظر : أعلام الحديث، للخطابي، ١/١٩١،١٩٢،١٩٣ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٢/٣٩ . وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص١٠٨ إلى ص١١٤.

(٢) - انظر مثلاً : شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص٤٢٨، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت .

(٣) - انظر : ص١٦٤ من هذا البحث .

(٤) - شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٢٨ .

وقد علم بالضرورة من الدين، أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة .

فمن هنا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، بيان هذا الأمر وما له من شأن، وأن يولوه من الاهتمام الشيء الكثير، وخاصة عند ظهور بوادر الفتنة، نظراً لما يترتب على الجهل به أو إغفاله من الفساد العريض في البلاد والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد .

رابعاً - من خصائص الدعوة الإسلامية : رفع الحرج :

إن من خصائص الشريعة الإسلامية : رفع الحرج وعدم التكليف بما لا يطاق، وذلك يظهر من هذا الحديث عند تلقين الرسول ﷺ لجرير رضي الله عنه بعد المبايعة على السمع والطاعة بقوله: « **فيما اسْتَطَعْتُ** »، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله-: (والمقصود بهذا التنبيه على أن اللازم من الأمور المبايع عليها هو ما يطاق، كما المشترط في أصل التكليف، ويشعر الأمر بقول ذلك حال المبايعة بالعفو عن الهفوة وما يقع عن خطأ وسهو) (١) .

ويقول الإمام النووي -رحمه الله-: (وقوله ﷺ : « **فيما اسْتَطَعْتُ** » موافق لقوله تعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ (٢)، وتلقينه من كمال شفقته ﷺ إذ قد يعجز في بعض الأحوال، فلو لم يقيده بما استطاع لأخل بما التزم في بعض الأحوال) (٣) .

فديننا رُفع عنا فيه الحرج، و لم نُحمل فيه من المشاق، والآصار، والأغلال، ما حمله الله على الذين من قبلنا، و لم يحملنا فوق طاقتنا، (٤) وهذا من خصائص ديننا، التي ينبغي أن لا تخفى على الدعاة إلى الله، عند تكليف المدعوين بأوامر هذا الدين . بحيث لا يكلفونهم إلا بما يطيقون .

---

(١) – فتح الباري، ١٦٨/١ .

(٢) – سورة البقرة، الآية : ٢٨٦ .

(٣) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٠/٢ .

(٤) – انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ٢٢٦/١ .

٥٢ - ٥٨ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاقَةَ قَالَ : سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ : يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ [١]، قَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ : عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ ، ثُمَّ قَالَ: اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ : أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ « **وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** ». فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ . ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ [٢] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة : الخطابة في المواقف .

ثانياً – من صفات الداعية النصح لله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

ثالثاً – أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله .

---

(١) – هو : المغيرة بن شعبة، بن أبي عامر بن مسعود، بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف بن قيس الثقفي، أبو عيسى، وقيل : أبو محمد، وقيل : أبو عبد الله، أسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها، من كبار الصحابة ﷺ أولي الشجاعة والمكيدة، وكان يقال له : مغيرة الرأي، شهد بيعة الرضوان، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، حدث عن النبي ﷺ، وروى عنه أولاده: عروة، وعفار، وحمزة مولاه، ومن الصحابة : المسور بن مخرمة ﷺ، وحدث عنه : قيس بن أبي حازم، ومسروق، ونافع بن جبير، له في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، انفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين، واتفقا على تسعة، مات على أمارة الكوفة سنة خمسين، وله سبعون سنة . (انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٢٤٨٣، ١٠/١٨٧-١٩٢ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣/٢١ - ٣٢ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٨١٧٤، ٩/٢٦٩ - ٢٧١).

(٢) – **وأخرجه** : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ٥٦، ١/٧٤ .

رابعاً - أهمية الدعاء لولاة الأمر .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من أساليب الدعوة : الخطابة في المواقف :

إن الصحابي الجليل جرير بن عبدا لله رضي الله عنه لما مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قام خطيباً في الناس، فأثنى على ا لله بما يستحق وأوصاهم بتقوى ا لله، ثم بين لهم ما يجب عليهم في مثل هذا الموقف من الدعاء والعفو عن أميرهم المغيرة رضي الله عنه، وأكد لهم هذا بأنه من النصح لهم الذي بايع عليه رسول ا لله ﷺ .

والخطابة في المواقف لها أهمية في تثبيت الأمور، أوبيان ما يخفى، أو ما يحتاج إلى علاج، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه ا لله - : (وإنما أمرهم بذلك - أي بما جاء في الخطبة - مقدماً لتقوى ا لله، لأن الغالب أن وفاة الأمراء تؤدي إلى الاضطراب والفتنة، ولا سيما ما كان عليه أهل الكوفة إذ ذاك من مخالفة ولاة الأمور) (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى ا لله الحرص على هذا الأسلوب في المواقف التي تحتاج للخطابة، وذلك لما لها من أثر كبير على المدعوين .

ثانياً - من صفات الداعية النصح لله ولأئمة المسلمين وعامتهم :

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى ا لله النصح، وهذه الكلمة كما سبق بيانها في الحديث الأول من هذا الباب، لها معنى عظيم وأهمية كبيرة في حياة المسلم، وأن المسلم يجب عليه أن ينصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وجرير بن عبدا لله رضي الله عنه في هذا الحديث ظهر نصحه الذي بايع عليه رسول ا لله ﷺ، وذلك فيما قاله لهم من خطبته، يقول العلامة العيني - **رحمه ا لله** -: (قوله: إني لناصح، فيه إشارة إلى أنه وفى بما بايع عليه النبي ﷺ وأن كلامه صادق خالص عن الأغراض الفاسدة) (٢) .

---

(١) - فتح الباري، ١/١٦٨ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١/٢٢٠ .

(٢) - عمدة القاري، ١/٢٢٦ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/١٦٩ .

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله من النصح لعباد الله، فهذا هو عمل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يقول الله تعالى مخبراً عن نبيه هود ﷺ وهو ينصح قومه : ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ (١) .

وقال تعالى مخبراً عن نبيه صالح وهو يخاطب قومه : ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ (٢) .

فكفى بالمرء شرفاً أن يتصف بما اتصف به أشرف خلق الله، وهم الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام - من النصح الذي سمو به .

ثالثاً - أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله :

إن القسم له فائدة كبيرة في تأكيد الكلام، وإعطائه أهمية كبيرة، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : قوله (ورب هذا المسجد) للتنبيه على شرف المقسم به ليكون أدعى للقبول (٣) .

لذا ينبغي للداعية إلى الله أن يستخدم هذا الأسلوب، وهو أن يقسم على بعض الموضوعات التي يتحدث فيها إذا كانت لها أهمية كبيرة، أو إذا كان في الموضوع غموض وشك للتأكيد على صحته ومقصده .

رابعاً - أهمية الدعاء لولاة الأمر :

إن في طلب الصحابي الجليل جرير بن عبدالله رضي الله عنه الدعاء للمغيرة رضي الله عنه، ومن تسميته بالأمير بياناً لما كان عليه سلفنا الصالح من الدعاء لأمرائهم وولاة أمرهم، ولذا قال الإمام الطحاوي - رحمه الله - إن من عقيدة أهل السنة والجماعة : أنهم يدعون لولاة

---

(١) - سورة الأعراف، الآية : ٦٨ .

(٢) - سورة الأعراف، الآية : ٧٩ .

(٣) - فتح الباري، ١٦٩/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٣٢٦/١ .

الأمر بالصلاح والمعافاة [١] .

فالدعاء لولاة الأمر بالصلاح والتوفيق والسداد، له أهمية كبيرة لولي الأمر، لأنه بحاجة لعون ا لله له، وتسديده وتوفيقه، وهذ يعود بالخير عليه وعلى رعيته .

---

(١) - انظر : شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٢٨ .

الفصل الثالث

كتاب العلم

٣ – باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم ثم أجاب السائل

٥٣ – ٥٩ – حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ قَالَ : حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ ح و حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : حَدَّثَنِي هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ . فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ . فَقَالَ : بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ . حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: « **أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ** » . قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « **فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** » . قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا . قَالَ : « **إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** » (١) .

وفي رواية: .. قَالَ : « **إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ** .. » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص الداعية على استغلال الأوقات في الدعوة وإفادة الحاضرين .

ثانياً – من الحكمة في الدعوة إلى الله مراعاة الأولويات والبدء بالأهم فالمهم .

ثالثاً – شدُّ انتباه المدعوين واستحضار أفكارهم وفهومهم بتأخير الجواب قليلاً.

رابعاً – أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

خامساً – من الحكمة في الدعوة صرف السائل إلى ما هو أنفع، وأكثر فائدة .

---

(١) – طرفه في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، برقم ٦٤٩٦، ٧/٢٤١ .

(٢) – انظر : التخريج السابق .

سادساً – من صفات الداعية الرفق واللين .

سابعاً – من أصناف المدعوين الأعراب .

ثامناً –أهمية وضع الشخص المناسب في المكان المناسب (حسن اختيار الدعاة).

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – حرص الداعية على استغلال الأوقات في الدعوة وإفادة الحاضرين :

لقد كان رسول الله ﷺ – قدوة الدعاة وإمامهم – حريصاً على استغلال وقته ومجالسه في الدعوة إلى الله وإفادة الحاضرين، فإذا جلس في مجلس يكون هو المتحدث أو السائل أو المجيب .. ، فمثلاً : في هذا الحديث نجد أنه ﷺ ، كان (في مجلس يحدث القوم..)، وفي الحديث الذي يليه برقم (٦١) كان هو الذي يطرح الأسئلة والألغاز [١] ، وفي الحديث رقم (٦٣) هو الذي يجيب عن السائل[٢] ، وفي الحديث رقم (٦٦) كان هو الذي يتحدث... [٣]، وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً مستغلاً لجميع وقته في الدعوة إلى الله وإفادة الحاضرين .

لذا فينبغي للداعية إلى الله – اقتداءً برسول الله ﷺ – أن يكون مستغلاً لأوقاته ومجالسه في الدعوة إلى الله والتعليم وإفادة الحاضرين، فإذا كان الداعية في مجلس أو اجتماع فينبغي له أن لا يدع الناس يتحدثون فيما لا نفع فيه، بل عليه أن يستغل هذا المكان والوقت بالحديث والتذكير، أو على أقل تقدير يقوم بضبط حديث المجلس وتوجيهه الوجهة الشرعية الدعوية .

ثانياً – من الحكمة في الدعوة إلى الله : مراعاة الأوليات والبدء بالأهم فالمهم :

فمع أهمية الإجابة عن سؤال السائل، إلا أن رسول الله ﷺ استمر في درسه

---

(١) – انظر : صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث : (حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا)، ١/٢٦ .

(٢) – انظر : المصدر السابق، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم، ١/٢٧ .

(٣) – انظر : المصدر السابق، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ١/٢٨ .

وحديثه حتى لاينقطع الكلام ويقل أثره وينصرف الناس عنه بأذهانهم، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - لعل تأخير رسول الله ﷺ الجواب عن السؤال، لأن الذي كان مشتغلاً به كان أهم منه [١].

إذن ففعل رسول الله ﷺ هذا من باب البدء بالأهم فالمهم، فالداعية إلى الله ينبغي له بحكمته، أن يقدم دائماً في دعوته الأهم، ولاينتقل إلى المهم إلا بعد فراغه من الأول حتى لايضيع عليه كثير من المصالح نتيجة خطئه في ترتيب الأوليات .

ثالثاً - شدُّ انتباه المدعوين واستحضار أفكارهم وفهومهم بتأخير الجواب قليلاً :

إن من الحكمة في الدعوة إلى الله، أنه إذا كان الداعية بين مجموعة من الناس في درس أو محاضرة أو خطبة .. وسأله أحدهم يؤخر الجواب عليه قليلاً - إذا لم يخش فوات مصلحة - [٢]، وذلك لِشدِّ انتباه المدعوين واستحضار أفكارهم وفهومهم . فرسول الله ﷺ عندما سأله الأعرابي عن الساعة، مضى في حديثه وترك الإجابة عن السائل . فعند ذلك بدء الصحابة رضي الله عنهم في التساؤل والتفكير في السؤال وجوابه، فقال بعض القوم : (**سمع ما قال فكره ما قال**)، وقال بعضهم : (**بل لم يسمع**). فلما

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٦/٢ . وفتح الباري لابن حجر، ١٧٢/١ . وعمدة القاري للعيني، ٧/٢ .

(٢) - يقول ابن حجر - رحمه الله - : (وقد أخذ بظاهر هذه القصة مالك وأحمد وغيرهما في الخطبة فقالوا: لانقطع الخطبة لسؤال سائل، بل إذا فرغ نجيبه . وفصل الجمهور بين أن يقع ذلك في أثناء واجباتها فيؤخر الجواب، أو في غير الواجبات فيجيب . والأولى حينئذ التفصيل، فإن كان مما يهتم به في أمر الدين، ولاسيما إن اختص بالسائل فيستحب إجابته ثم يتم الخطبة، وكذا بين الخطبة والصلاة، وإن كان بخلاف ذلك فيؤخر، وكذا قد يقع في أثناء الواجب ما يقتضي تقديم الجواب، لكن إذا أجاب استأنف عل الأصح، ويؤخذ ذلك كله من اختلاف الأحاديث الواردة في ذلك، فإن كان السؤال من الأمور التي ليست معرفتها على الفور مهمة فيؤخر كما في هذا الحديث، ولاسيما إن كان ترك السؤال عن ذلك أولى ... وإن كان السائل به ضرورة ناجزة فتقدم إجابته، كما في حديث أبي رفاعة عند مسلم أنه قال للنبي ﷺ وهو يخطب : رجل غريب لا يدري دينه جاء يسأل عن دينه، فترك خطبته وأتي بكرسي فقعد عليه فجعل يعلمه ثم أتى خطبته فأتم آخرها) فتح الباري، ١٧٢/١ .

أجاب بعد ذلك رسول الله ﷺ كانت القلوب حاضرة، والأفكار والعقول متلهفة، فوعت الإجابة واستفادت منها .

رابعاً – أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

يظهر من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ يتلقى الأسئلة من الناس جميعاً ويجيب عنها، حتى ولو كان السؤال غير متعين أو الجواب، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله– عن هذا الحديث : (وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعيناً ولا الجواب) [١] . ويقول –رحمه الله –: (وفيه – أي الحديث – إشارة إلى أن العلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل حسن السؤال نصف العلم) [٢] .

فمن هنا ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بالسؤال عن العلم والجواب عنه، بينهم وبين المدعوين، فإن السؤال عن العلم مطلب شرعي ورد في الشرع الحثُّ عليه، يقول الله ﷻ في أكثر من موضع من كتابه الكريم: ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [٣] .

خامساً – من الحكمة في الدعوة إلى الله صرف السائل إلى ما هو أنفع، وأكثر فائدة :

إن من الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ ، صرف السائل إلى ما هو أنفع له، وأكثر فائدة في عاجلٍ وآجلٍ، فرسول الله ﷺ سئل عن وقت الساعة، وأجاب ببعض علاماتها ، وكأنه ﷺ ،قال لهم : دعوا السؤال عن الساعة وسلوا عن علاماتها للحذر منها فهو أنفع لكم . وهذا هو أسلوب القرآن الكريم، يقول الله ﷻ : ﴿يسألونك

---

(١) – فتح الباري، ١٧١/١ .
(٢) – المرجع السابق، ١٧٢/١ .
(٣) – انظر : سورة النحل، الآية : ٤٣ . وسورة الأنبياء، الآية : ٧ .

عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ [١] . قال بعض المفسرين: فهذا الجواب من الله - جلّ وعلا - على سؤال المشركين من باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو من تلقي السائل بغير ما يتطلب تنبيهاً له على أن الأولى به أن يهتم بغير ذلك [٢] .

وهكذا ينبغي للداعية إلى الله أن يصرف أسئلة الناس التي لا نفع فيها، إلى ما هو نافع لهم في الدنيا والآخرة، وأن يرشدهم إلى حسن اختيار السؤال . فالعلم : سؤال وجواب، ومن ثم قيل حسن السؤال نصف العلم [٣] .

سادساً - من صفات الداعية الرفق واللين :

لقد دعا رسول الله ﷺ الأعرابي الذي سأله عن الساعة مع أنه كان يكره السؤال عن هذه المسألة - وقت الساعة - بخصوصها [٤]، فلما أجابه السائل وقال: (ها أنا يا رسول الله)، لم ينهره ويوبخه على سؤاله قبل إكمال حديثه، ولم يكلفه بإعادة السؤال ، بل رفق به وأجابه عن سؤاله بما هو أنفع له في الدنيا والآخرة [٥] .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إن من أدب العالم ترك زجر السائل، فرسول الله ﷺ أدب الأعرابي بالإعراض عنه حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه فرفق به ، لأنه من الأعراب وهم جفاة [٦] .

ويقول الإمام الكرماني -رحمه الله- عن الحديث:(فيه الرفق بالمتعلم وإن جفا في

---

(١) - سورة البقرة ، آية : ١٩٨ .

(٢) - انظر : تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠ /٩٥، بدون تاريخ الطبع، ولا مكانه .

(٣) - انظر : إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ١٥٨/٤ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٧٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧/٢ .

(٤) - انظر : المرجع السابق ، ٧/٢ .

(٥) - انظر : الكواكب الدراري ، للكرماني، ٦/٢ . وعمدة القاري للعيني، ٧/٢ .

(٦) - انظر : فتح الباري، ١٧١/١ .

سؤاله أو جهل ، لأنه ﷺ لم يوبخه على سؤاله قبل إكمال حديثه)[١].

فمن هنا نقول للدعاة إلى الله ﷻ، عليكم بالرفق وتحلوا به، فإن الرفق ما كان في شئ إلا زانه، وما نزع من شئ إلا شانه، فالرفق زين للدعوة وسبب من أسباب نجاحها وقوة أثرها، لأن الناس إذا لم يجدوا عند الداعية الرفق واللين انفضوا من حوله وتركوه قائماً ولو كان رسول الله ﷺ، يقول الله ﷻ : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . . ﴾ [٢] . والله ﷻ عندما أراد أن يرسل موسى وهارون – عليهما السلام – إلى فرعون أوصاهما بالرفق واللين لأهميته وشدة أثره على المدعو، فقال : ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [٣] .

سابعاً – من أصناف المدعوين الأعراب :

الأعرابي : هو الذي يسكن البادية، وهو منسوب إلى الأعراب ساكني البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ولايدخلونها إلا لحاجة [٤] . ومن سماتهم الجفاء والغلظة [٥]، لذا هم يحتاجون في دعوتهم إلى تعامل خاص فيه الصبر على جفائهم وغلظتهم، مع الرفق واللين بهم أثناء دعوتهم .

فمن هنا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يهتم بكل المدعوين والحاضرين في مجلسه، فهذا رسول الله ﷺ يجيب الأعرابي، بل يسأل عنه ويبرزه ليظهر الاهتمام به بالسؤال عنه، « **أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ** » .

---

(١) – الكواكب الدراري، ٢/ ٦ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٧/٢ .

(٢) – سورة آل عمران، آية : ١٥٩ .

(٣) – سورة طه، آية : ٤٣، ٤٤ .

(٤) – انظر : الكواكب الدراري للكرماني، ٤/٢ . وعمدة القاري للعيني، ٥/٢ .

(٥) – انظر : فتح الباري لابن حجر، ١٧١/١ .

ثامناً - أهمية وضع الشخص المناسب في المكان المناسب (حسن اختيار الدعاة) :

إن في قوله ﷺ للسائل عن الساعة : « **إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ** »، بياناً لأهمية هذا الأمر، وهو أن اختيار الشخص لمكانه المناسب له، أمر مطلوب، يجب الحرص عليه (١) .

فلذا ينبغي على المسؤولين عن اختيار الدعاة وإعدادهم، الحرص على أن يكون الشخص المختار أهلاً لهذا المنصب، قادراً عليه، لأن هذا من أهم الأمور المقصودة في الحديث، يقول العلامة العيني - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث : إن (المراد به جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة، والقضاء، والإفتاء، ونحو ذلك) (٢) .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٦/٢ .

(٢) - عمدة القاري، ٧/٢ .

٣ – باب من رفع صوته بالعلم

٥٤ – ٦٠ – حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بِشْرٍ عَنْ يُوسُفَ ابْنِ مَاهَكَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاةُ، وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ . فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ . « **وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا (١) .

وفي رواية:(.. فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلاةَ صَلاةَ الْعَصْرِ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ ..) (٢).

شرح غريب الحديث :

« **وَيْلٌ** » – كلمة زجر لمن وقع في الهلكة، وقيل : وادٍ في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لذابت من حره (٣) .

« **لِلْأَعْقَابِ** » – جمع عقب، وهو ما أصاب الأرض من مؤخر الرجل إلى موضع الشراك (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – تفقد الرسول ﷺ لأصحابه، وحرصه عليهم .

ثانياً – جواز رفع الصوت بالإنكار والتعليم .

---

(١) – طرفاه : الأول : في كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، برقم ٩٦، ١/٣٧ .
والثاني: في كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين، ولا يمسح القدمين، برقم ١٦٣، ١/٥٦ .
وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، رقم ٢٤١، ١/٢١٤ .

(٢) – كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، برقم ٩٦، ١/٣٧ .

(٣) – انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٣٢٢ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢/٣٧.

(٤) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٣٣٩ .

ثالثاً – أهمية المبادرة إلى إنكار المنكر فور وقوعه .

رابعاً – من الحكمة في إنكار المنكر : عدم تسمية المخطئ .

خامساً – أهمية أسلوب التكرار في الدعوة إلى الله ﷻ .

سادساً – أهمية أسلوب الترهيب .

سابعاً – الإنكار والاحتساب على من أخطأ في وضوئه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – تفقد الرسول ﷺ لأصحابه، وحرصه عليهم :

إن رسول الله ﷺ كان حريصاً على تفقد أصحابه، عندما يكون معهم في سفر أو أي مكان يجتمع فيه معهم، لتعليمهم وتنبيه المخطئ منهم وإرشاده للصواب، وفي هذا الحديث ما يؤكد على ذلك، فملاحظة رسول الله ﷺ لجزء يسير من أعقاب أصحابه ﷺ وهم يتوضؤون لدليل على ذلك .

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فلحوق رسول الله ﷺ بهم يدل على أنه كان يسير خلفهم، وقد كان هذا من شأنه ﷺ، يقول الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله –: (وكان – ﷺ – يتخلف في ساقتهم في المسير، فيُزجي الضعيفَ، ويُردفُ المنقطع، وكان أرفق الناس بهم في المسير) [١] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، اقتداءً برسول الله ﷺ – الحرص على أصحابه، وأن يتفقدهم ويعتني بهم، فيساعد الضعيف، ويعلم الجاهل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ثانياً – جواز رفع الصوت بالإنكار والتعليم :

بوب الإمام البخاري – رحمه الله – باباً قال فيه : باب من رفع صوته بالعلم، ثم استدل على ذلك بحديث عبدالله بن عمرو ﷺ ، الذي فيه أن رسول الله ﷺ ،

---

(١) – زاد المعاد في هدي خير العباد، ٩٦/٣،الطبعة الخامس عشر ١٤٠٧هـ،ط مؤسسة الرسالة،بيروت.

نادى بأعلى صوته « وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ». وعقب على ذلك ابن حجر -رحمه الله - بقوله: (وإنما يتم الاستدلال بذلك حيث تدعو الحاجة إليه لبعد أو كثرة جمع أو غير ذلك، ويلحق بذلك ما إذا كان في موعظة كما ثبت ذلك في حديث جابر ﷺ : كان النبي ﷺ إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته .. الحديث [1]) [2].

إذن فجهر الداعية بصوته عند الحاجة وفي بعض الأحوال مما يساعد على التأثير في المدعوين وشد انتباهم وجذبهم إليه، وطرد الشرود الذهني عنهم [3].

ثالثاً - أهمية المبادرة إلى إنكار المنكر فور وقوعه :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث أنكر على الصحابة الذين لم يسبغوا الوضوء عندما : نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ . وقال : « وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، وهذا يدل على أهمية إنكار المنكر فور وقوعه، حيث أن النبي ﷺ لم ينتظر حتى يصل إليهم، ثم يخبرهم بما يجب عليهم، بل منذ أن رأى المنكر بادر إلى إنكاره ، ورفع بذلك صوته. وهذا كان من النبي ﷺ من باب المبادرة إلى إنكار المنكر فور وقوعه ، وعدم تأخير البيان عن وقت الحاجة [4].

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحرص على إنكار المنكرات فور وقوعها، حتى لا يظن أن ذلك نوع من إقرارها ، أو القبول بها .

رابعاً -من الحكمة في إنكار المنكر : عدم تسمية المخطئ :

إن من الحكمة في إنكار المنكرات، عدم تسمية المخطئ حتى يكون ذلك أدعى

---

(١) – صحيح مسلم، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، برقم٨٦٧ ، ٥٩٢/٢ .

(٢) – فتح الباري، ١٧٣/١ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري للكرماني، ٨/٢ . وفتح الباري لابن حجر، ١٧٣/١ . وعمدة القاري للعيني، ١٠/٢ .

(٤) – استفدت هذه الفائدة مشافهة من فضيلة الشيخ/ صالح بن غانم السدلان، في مدينة الظهران، في يوم ١٤١٧/١/١٧هـ.

لقبوله، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث كان يرى الذين أخطأوا في وضوئهم وقصروا فيه، وعند إنكاره عليهم لم يقل لهم يا فلان، ويا فلان، بل قال : « **وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** »، وستر المخطئ، وأعطى القاعدة في ذلك، وهي إنكار المنكر مع عدم التصريح باسم مرتكبه .

خامساً – أهمية أسلوب التكرار في الدعوة إلى الله :

أسلوب التكرار له أثر كبير في توكيد المسألة والمبالغة في حكمها [(١)]، فرسول الله ﷺ كرر الوعيد بقوله : « **وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** » مرتين أو ثلاثاً، لبيان أهمية إسباغ الوضوء، وتأكيداً عليه .

فينبغي للداعية أن ينتبه لأهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله، وأن يستخدمه ويكرر حديثه الشفهي عند الحاجة ليكون كلامه ذا أثر كبير، ولتكون رسالته مفهومة واضحة، يقول ابن حجر – رحمه الله – عن هذا الحديث : (ويستدل به أيضاً على مشروعية إعادة الحديث ليفهم) [(٢)]، هذا وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه [(٣)] .

ومن الفقه الدعوي في هذا الحديث، أن غاية البيان والإعذار من الله يقع بالتكرار ثلاث مرات، يقول ابن حجر نقلاً عن ابن التين – رحمهما الله – : فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الإعذار والبيان . ثم قال ابن حجر : ولكن ليس هذا شرطاً، بل المراد التفهيم، فإذا حصل بدونها أجزأ . [(٤)]

سادساً – أهمية أسلوب الترهيب :

إن قول رسول الله ﷺ : « **وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** » مرتين أو ثلاثاً، فيه

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٨/٢ . وفتح الباري لابن حجر، ١٧٣/١ . وعمدة القاري للعيني، ١٠/٢ .

(٢) – فتح الباري، ١٧٣/١ .

(٣) – انظر : الحديث رقم (٩٤) من صحيح البخاري ، ٣٧/١ .

(٤) – انظر : فتح الباري، ٢٢٧/١، ٢٢٨ .

ترهيب من هذا الفعل وأن جزاءه النار إذا لم يغسل عقبيه أو جزءاً منهما . يقول العلامة العيني – رحمه الله – إن النبي ﷺ بقوله : (« **وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** »، أراد التغليظ في إسباغ الوضوء، وهو التكميل والإتمام والسبوغ الشمول) [١] .

لأن من آمن بالله ورسوله ﷺ، وآمن بالجنة والنار.. إذا رهبته مما يخاف منه يكون ذلك دافعاً له على الاستجابة والمبادرة للعمل بما أُمر به، أو الإقلاع عما نهي عنه .

سابعاً – الإنكار والاحتساب على من أخطأ في وضوئه :

إن من موضوعات الدعوة ومجالات الاحتساب، العبادات، ومنها الوضوء . فرسول الله ﷺ أنكر على أصحابه ﷺ لما رأى بعضهم لا يسبغ الوضوء فقال لهم : « **ويل للأعقاب من النار** » مرتين أو ثلاثاً . وفي ذلك يقول الإمام الكرماني –رحمه الله– : (وفيه من الفقه – المتعلق بالدعوة والاحتساب – أن للعالم أن ينكر ما رآه من التضييع للفرائض والسنن وأن يغلظ القول في ذلك ويرفع صوته بالإنكار) [٢] .

إذن فموضوعات الداعية ومجالات احتسابه تشمل جميع قضايا الدين وجزئياته، وأنها لا تنحصر في جزء يسير أو قضايا محددة، بل تسع كل ما يتعلق بالعقيدة والعبادات، والنظم والتشريعات، والأخلاق والسلوكيات .

---

(١) – عمدة القاري، ٢/١٠ .

(٢) – الكواكب الدراري، ٢/٨ . وانظر : عمدة القاري للعيني، ٢/١٠ .

٤- باب قول المحدث : (حدثنا) أو (أخبرنا) و (أنبأنا) .

٥٥ - ٦١ – حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ . فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ** ». فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ . فَاسْتَحْيَيْتُ . ثُمَّ قَالُوا : حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: « **هِيَ النَّخْلَةُ** » (١) .

وفي رواية: .. عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إلا حَدِيثًا وَاحِدًا . قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُتِيَ بِجُمَّارٍ فَقَالَ : « **إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ** » . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُّ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **هِيَ النَّخْلَةُ** » (٢) .

وفي رواية: .. قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي . فَقَالَ : لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا (٣) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَأْكُلُ جُمَّارًا . فَقَالَ : « **مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ كَالرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ** » . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ :

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم، برقم٦٢، ٢٦/١ . والثاني : في كتاب العلم، باب الفهم في العلم، برقم ٧٢، ٣٠/١ . والثالث : في كتاب العلم، باب الحياء في العلم، برقم ١٣١، ٤٨/١ . والرابع : في كتاب البيوع، باب بيع الجمار وأكله، برقم ٢٢٠٩، ٤٨/٣ . والخامس : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .. } ، برقم ٤٦٩٨، ٢٦٢/٥ . والسادس : في كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، برقم ٥٤٤٤، ٢٦٠/٦ . والسابع : في كتاب الأطعمه، باب بركة النخل، برقم٥٤٤٨، ٢٦١/٦ . والثامن : في كتاب الأدب، باب ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين، برقم٦١٢٢، ١٣١/٧. والتاسع : في كتاب الأدب، باب إكرام الكبير، برقم٦١٤٤، ١٣٨/٧.

(٢) كتاب العلم، باب الفهم في العلم، برقم ٧٢، ٣٠/١ .

(٣) كتاب العلم، باب الحياء في العلم، برقم ١٣١، ٤٨/١ .

هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَحْدَثُهُمْ . قَالَ : « **هِيَ النَّخْلَةُ** » (١) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رَضِي الله عَنْهُمَا – قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ : « **أَخبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشبِهُ، أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، لا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا ، وَلا وَلا وَلا ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ** » . قَالَ : ابْنُ عُمَرَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ . فَلَمَّا لم يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **هِيَ النَّخْلَةُ** » . فَلَمَّا قُمْنَا، قُلْتُ لِعُمَرَ : يَا أَبَتَاهُ، وَالله لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ . فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ . قَالَ : لم أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، أَوْ أَقُولَ شَيْئًا . قَالَ عُمَرُ : لأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا (٢) .

وفي رواية: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺما قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ، إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ**» فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ الله. ثُمَّ الْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ، أَنَا أَحْدَثُهُمْ . فَسَكَتُّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **هِيَ النَّخْلَةُ** » (٣) .

شرح غريب الحديث :

(بِجُمَّارٍ) – الجمار شحمة النخل (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) كتاب البيوع، باب بيع الجمار وأكله، برقم ٢٢٠٩، ٣/٤٨ .

(٢) كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .. } ، برقم ٤٦٩٨، ٥/٢٦٢ .

(٣) كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، برقم ٥٤٤٤، ٦/٢٦٠ .

(٤) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٩١ .

أولاً – أهمية استغلال المناسبات في الدعوة إلى الله تعالى .

ثانياً – أسلوب طرح المسائل والألغاز لشد انتباه المدعوين .

ثالثاً – من وسائل الدعوة اصطحابُ الآباءِ أبناءهم إلى مجالس الخير .

رابعاً – من صفات الداعية توقير الكبار واحترامهم .

خامساً – أهمية أسلوب ضرب المثل في الدعوة إلى الله تعالى .

سادساً – استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية استغلال المناسبات في الدعوة إلى الله تعالى :

إن في إحضار الجمار عند رسول الله ﷺ وطرحه السؤال، من باب استغلال الفرص والمناسبات في الدعوة إلى الله وإفادة الحاضرين، وربطهم بما هم فيه من حال وواقع، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وفيه -أي الحديث- التحريض على الفهم في العلم)[١]. ويقول - رحمه الله -: (إن ابن عمر لما ذكر النبي ﷺ المسألة عند إحضار الجمار إليه فهم أن المسؤول عنه النخلة،فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل)[٢].

فلذا ينبغي للداعية إلى الله الحرص على استغلال المناسبات والأحوال في الدعوة إلى الله، وربط المدعوين بها من باب التحريض لهم في الفهم والعلم .

ثانياً - أسلوب طرح المسائل والألغاز لشد انتباه المدعوين :

إن مما يستفاد من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ كان يلقي على أصحابه رضي الله عنهم المسائل والألغاز ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفكرة والبحث والتأمل [٣]، فلذا بوب

---

(١) – فتح الباري، ١/١٧٧ .

(٢) – المرجع السابق، ١/١٩٩ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري للكرماني، ٢/١٢ . وفتح الباري لابن حجر، ١/١٧٦ . وعمدة القاري للعيني، ٢/١٥ .

الإمام البخاري – رحمه الله – على هذا الحديث باباً قال فيه : باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم [١] .

فمن هنا يستحب للداعية إلى الله اقتداءً برسول الله ﷺ، استخدام هذا الأسلوب بإلقاء المسألة والألغاز على بعض المدعوين لترسيخ بعض المعاني لديهم ولتشجيعهم على التفكير والبحث والتأمل في المعاني. وعلى الداعية أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملغز باباً يدخل منه، بل كلما قربه كان أو قع في نفس سامعه[٢] .

أما الجواب عن الحديث الذي رواه معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (**أنه نهى عن الأغلوطات**) [٣]، فإن الحديث ضعيف . وعلى فرض صحته، فذلك محمول على ما لانفع فيه،أو ما خرج على سبيل تعنيت المسؤول أو تعجيزه أو تخجيله ونحو ذلك[٤].

ثالثاً – من وسائل الدعوة اصطحابُ الآباء أبناءهم إلى مجالس الخير :

إن من وسائل دعوة الأبناء، اصطحابهم إلى مجالس العلم والفائدة، فهذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يصطحب ابنه إلى مجلس رسول الله ﷺ، ليسمع العلم والفقه من مجلسه ﷺ، وليتخلق بأخلاق الرجال الحميدة، وكل ذلك يكون تحت عين الوالد، للتوجيه والإرشاد والتنبيه على المفيد .

رابعاً – من صفات الداعية توقير الكبار واحترامهم :

لقد ضرب ابن عمر رضي الله عنه مثلاً للدعاة والمدعوين في توقير واحترام الكبير، فمع

---

(١) كتاب العلم، ١/٢٦ .

(٢) – انظر : فتح الباري لابن حجر، ١/١٧٦ .

(٣) – سنن أبي داود، كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا، رقم٣٦٥٦، ٣/٣٢١ . (وقال عنه الألباني، ضعيف . انظر : ضعيف سنن أبي داود، كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا، رقم ٧٩١، ص٣٦٣، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت) .

(٤) – انظر : شرح السنة، للبغوي، ١/٣٠٨ . وفتح الباري لابن حجر، ١/١٧٧ . و عمدة القاري للعيني، ٢/١٥ .

معرفته للإجابة لم يبادر إليها احتراماً وتوقيراً لكبار الصحابة رضي الله عنهم ومنهم والده عمر رضي الله عنه، يقول ابن عمر رضي الله عنه في ذلك : (وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَـةُ . فَاسْتَحْيَيْتُ) وفي رواية أخرى، قال: (فأردت أن أقول هي النخلة، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُّ)، وفي الرواية الأخرى : (وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ)، يقول ابن حجر - رحمه الله - أثناء شرحه لهذا الحديث : (وفيه توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأن لايبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب) [(١)].

فينبغي للداعية إلى الله أن يتخلق بهذه الصفة ويتحلى بها، فهي جمال له، وأدب حثّ عليه الشارع ودعا إليه، يقول ﷺ : « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا** » [(٢)] .

خامساً - أهمية أسلوب ضرب المثل في الدعوة إلى الله تعالى :

في هذا الحديث يمثل رسول الله ﷺ المؤمن بنوع من الشجر عظيم الفائدة كثير البركة، وهي النخلة، فبركتها موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب، والليف في الحبال، وغير ذلك مما لايخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته [(٣)] .

فأسلوب ضرب المثل له أثر كبير في الترغيب والإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة، فإن الأمثال ترى المخيل في صورة

---

(١) - فتح الباري، /١٧٧ .وانظر: الكواكب الدراري، للكرماني، ١٢/٢ .وعمدة القاري للعيني، ١٥/٢.

(٢) - سنن الترمذي في كتاب البر، باب ما جاء في رحمة الصبيان، رقم ١٩١٩، ٢٨٣/٤. (وقال عنه الألباني صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذي ، ١٧٩/٢) .

(٣) - فتح الباري لابن حجر، ١٧٦/١ . وانظر : الكواكب الدراري للكرماني، ١١/٢ . عمدة القاري للعيني، ١٤/٢ .

المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد [١].

فهذه الفائدة العظيمة لاستخدام هذا الأسلوب الدعوي المهم، ينبغي أن لاتغيب عن ذهن الداعية أثناء دعوته وإرشاده للناس ، كما عليه أن يحرص على الأمثلة المعروفة لدى المخاطبين ، المفهومة لهم ، كما فعل رسول الله ﷺ ، في هذا الحديث إذ شبه المسلم بالنخلة التي كانت معروفة لدى الجميع لانتشارها في المدينة بلد النخيل . وهكذا الداعية إذا أراد أن يتحدث ، أو يضرب مثلاً ، أو يوضح غامضاً ، أن يكون مما يفهمه المدعوون ، ومن واقع بيئتهم .

سادساً – استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة :

في هذا الحديث دليل على استحباب الحياء، وأنه من أخلاق الصالحين أصحاب رسول الله ﷺ، يقول بعض أهل العلم – رحمهم الله – : (وفيه استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة) [٢] . إذن الحياء مرغوب فيه ولكن ينبغي أن لا يكون مانعاً من الخير والمصلحة، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: (فاستلزم حياء ابن عمر تفويت مصلحة، وكان يمكنه إذا استحيى إجلالاً لمن هو أكبر منه أن يذكر ذلك لغيره سراً ليخبر به عنه، فجمع بين المصلحتين) [٣] .

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري للكرماني، ١١/٢ . وفتح الباري لابن حجر، ١٧٧/١ . وعمدة القاري للعيني، ١٤/٢ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر ،١٧٧/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥/٢ .

(٣) – فتح الباري، ٢٧٧/١ .

٦ - باب ما جاء في العلم، وقوله تعالى :

﴿ وقل ربِّ زدني علماً ﴾(١).

٥٦ - ٦٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ يُوسُفَ قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ سَعِيدٍ هُوَ الْمَقْبُرِيُّ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي نَمِرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ . وَالنَّبِيُّ ﷺ، مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ . فَقُلْنَا : هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « **قَدْ أَجَبْتُكَ** » . فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ . فَقَالَ : « **سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ** » . فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟ فَقَالَ : « **اللهمَّ نَعَمْ** » . قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللهِ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ : « **اللهمَّ نَعَمْ** » . قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ ؟ قَالَ : « **اللهمَّ نَعَمْ** » . قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا ؟ فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ : « **اللهمَّ نَعَمْ** » . فَقَالَ الرَّجُلُ آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ (٢)، أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) – سورة طه، الآية : ١١٤ .

(٢) – هو : ضمام بن ثعلبة السعدي، من بني سعد بن بكر، كان يسكن الكوفة، قال ابن عباس رضي الله عنهما، قدم على النبي ﷺ موفداً من قومه، قيل سنة خمس، وقيل سبع، وقيل تسع، أسلم ثم رجع إلى قومه فأسلموا . (انظر : الاستيعاب، لابن عبدالبر، ترجمة رقم ١٢٦٢، ٢٠٥/٥ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٤١٧٣، ١٩٣/٥ .)

(٣) – **وأخرجه** : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، رقم ١٢، ٤١/١ .

أولاً – من صفات الداعية مخالطة الناس والتواضع لهم .

ثانياً – من أصناف المدعوين أشراف الأعراب .

ثالثاً – أهمية القسم في التأكيد .

رابعاً – من صفات الداعية الصبر على أذى المدعوين والحلم عليهم .

خامساً – أهمية السؤال والجواب في الدعوة إلى الله ﷻ .

سادساً – من خصائص الدعوة الإسلامية : أنها عامة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية مخالطة الناس والتواضع لهم :

إن رسول الله ﷺ الداعية الحكيم الذي أوتي مكارم الأخلاق، وجمعت له، كان يخالط أصحابه ﷺ ويتواضع لهم بالجلوس والحديث معهم، يقول بعض أهل العلم - رحمهم الله - في شرحهم لهذا الحديث : فيه ما كان عليه النبي ﷺ من ترك التكبر لقوله : بين ظهرانيهم [1] .

فينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يخالط الناس ويتواضع لهم حتى يكسب قلوبهم ومحبتهم فيؤثر فيهم، والتواضع في حقيقته رفعة وعز وشرف للداعية .

ثانياً - من أصناف المدعوين أشراف الأعراب :

من أصناف المدعوين أشراف الأعراب ورُسُلهم، ومن سماتهم شيء من الجفاء والغلظة، يقول ابن حجر - رحمه الله - : (وكانت فيه -أي ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه - بقية من جفاء الأعراب،وقد ظهرت بعد ذلك في قوله: فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ[2]، ولأنه أخل بما يجب من رعاية التعظيم والأدب، وذلك بإدخاله الجمل في المسجد،

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/١٨١ . وعمدة القاري، ٢/٢٢ .

(٢) – فتح الباري، ١/١٨٢ .

وخطابه بأيكم محمد بن عبدالمطلب [١]، وأيضاً من سماتهم رجاحة العقل، لذا كان الصحابة ﷺ يعجبهم أن يجئ الرجل من أهل البادية العاقل فيسأل الرسول ﷺ وهم يسمعون [٢]، ولذا قيل حسن السؤال نصف العلم، وأن العلم سؤال وجواب [٣] .

وأيضاً من سماتهم قوة تأثيرهم في أقوامهم، فضمام بن ثعلبة ﷺ لما رجع لقومه بني سعد دعاهم للإسلام فأجابوه [٤] .

ثالثاً- أهمية القسم في التأكيد :

إن القسم له فائدة كبيرة في تأكيد الكلام، وإعطائه أهمية كبيرة، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن قسم ضمام ﷺ : (وفيه الاستحلاف على الأمر المحقق لزيادة التأكيد) [٥] . ويقول – رحمه الله – عن ضمام ﷺ : (ثم أقسم عليه – أي بالله الذي خلق السموات والأرض – به أن يصدقه عما يسأل عنه، وكرر القسم في كل مسألة تأكيداً وتقريراً للأمر، ثم صرح بالتصديق، فكل ذلك دليل على حسن تصرفه وتمكن عقله) [٦] .

فمن هنا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يستخدم هذا الأسلوب، وهو القسم على بعض الموضوعات التي يتحدث فيها إذا كانت لها أهمية كبيرة للتأكيد على صحتها أو ثبوتها .

من صفات الداعية الصبر على أذى المدعوين، والحلم عليهم :

لقد كان رسول الله ﷺ يخالط الناس ويدعوهم إلى الله ﷻ، وبلا شك أن

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٧/٢ .

(٢) – انظر : فتح الباري لابن حجر، ١٨٢/١ .

(٣) – المرجع السابق، ١٧٢/١ .

(٤) – انظر: الكواكب الدراري،للكرماني، ١٨/٢.و فتح الباري، ١٨٤/١ .وعمدة القاري للعيني، ٢٢/٢.

(٥) – فتح الباري،١٨٤/١.وانظر: الكواكب الدراري،للكرماني، ١٨/٢ .وعمدة القاري، للعيني، ٢٢/٢.

(٦) – فتح الباري ، ١٨٢/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧١/١ .

من يخالط الناس لابد أن يأتيه منهم الأذى، ورسول الله ﷺ كان يتعرض في سبيل دعوته لأشد أنوع الأذى، فاتهموه في عقله وقالوا مجنون، ووضعوا عليه سلا الجزور وهو يصلي، ورموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه إلى غير ذلك من أصناف الأذى [(١)]، وفي هذا الحديث نجد أن الأعرابي يسأل رسول الله ﷺ ويشدد عليه، ومع ذلك لم ينهره ولم يوبخه ولم يعلمه أدب السؤال وخصوصاً معه ﷺ، بل صبر عليه وتركه يسأل وقال له : « **سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ** »، لذا كانت ثمرة هذا الصبر أن رجع الرجل إلى قومه ودعاهم للإسلام والإيمان فآمنوا ودخلوا في الإسلام [(٢)] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يخالط الناس، ويعلم أنه بمخالطته لهم سوف يجد منهم الأذى وكثرة الخطأ والزلل، فإن لم يصبر عليهم وعلى أذاهم له، لن ينجح معهم ولن يستطيع الاستمرار في الدعوة . فالصبر من أهم عوامل نجاح الداعية واستمراره في دعوته .

رابعاً – أهمية السؤال والجواب في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن السؤال عن العلم والجواب عنه باب من أبواب نشر العلم وتحصيله، فهذا العلم الذي في هذا الحديث إنما كان من شخص عاقل يُحسن السؤال، ولهذا كان الصحابة ﷿ كما جاء في رواية الإمام مسلم – رحمه الله – يقولون: (كنا نهينا في القرآن أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع) [(٣)].

ومن هذا الحديث تظهر بعض الآداب المطلوبة في السؤال، وهي :

١ – الإيجاز في السؤال، لذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول:(ما رأيت أحسن

---

(١) – انظر : زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، ٣/١٣–١٨ .

(٢) – انظر :الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٨ .و فتح الباري، ١/١٨٤.وعمدة القاري للعيني، ٢/٢٢.

(٣) – انظر : صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، رقم ١٢، ١/٤١ .

مسألة ولا أوجز من ضمام)[١].

٢ – الاعتذار في السؤال إذا احتيج إليه، يقول العلامة العيني – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث : (فيه تقديم الإنسان بين يدي حديثه مقدمة يعتذر فيها ليحسن موقع حديثه عند المحدث وهو من حسن التوصل وإليه الإشارة بقوله : إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ) [٢] .

٣ – حسن السؤال بجودة السياق والترتيب، يقول الإمام النووي – رحمه الله –: عمّا تضمنه سؤال ضمام ﷺ : (هذا من حسن سؤال الرجل وملاحة سياقته وترتيبه، فإنه سأل أولاً عن صانع المخلوقات من هو [٣] ، ثم أقسم عليه بأن يصدقه في كونه رسولاً للصانع ثم لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق الرسالة، وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رصين) [٤] .

خامساً – من خصائص الدعوة الإسلامية : أنها عامة :

إن من خصائص الدعوة الإسلامية، أنها عامة لجميع البشر، بل للجن والإنس جميعاً، ومما يدل على ذلك في هذا الحديث أن ضمام ﷺ سأل رسول الله ﷺ، عن هذا الأمر فقال : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ اللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟ فكان جواب رسول ﷺ ، مؤكداً له ذلك بقوله : « **اللهمَّ نَعَمْ** » . يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في شرحه لهذه الكلمة : (وكأنه استشهد بالله في ذلك تأكيداً لصدقه) [٥] .

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر، ١/١٨٤ .

(٢) – عمدة القاري، ٢/٢٣ .

(٣) – التصريح بالسؤال عن صانع المخلوقات ورد فقط في رواية الإمام مسلم رحمه الله تعالى .

(٤) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١/١٧١ .

(٥) – فتح الباري، ١/١٨٣ .

٨ - باب ما يُذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان

٥٧-٦٤ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلاً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ : فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ** » (١) .

وفي رواية: (.. فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى خَرَّقَهُ ..) (٢) .

وفي رواية:(.. بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ ..) (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من وسائل الدعوة إلى الله : الكلمة المكتوبة .

ثانياً – من أصناف المدعوين الملوك والرؤساء .

ثالثاً – أسلوب الشدة مع الكفار المعاندين بالدعاء عليهم .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصراني، وعلى ما يقاتلون ؟ برقم ٢٩٣٩، ٣٠٩/٣ .الثاني : في كتاب المغازي، باب في كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، برقم ٤٤٢٤، ١٥٧/٥. الثالث : في كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، برقم٤٤٢٤، ١٥٧/٥ . الخامس : في كتاب أخبار الآحاد، باب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحد، برقم٧٢٦٤، ١٧٣/٨ .

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصراني، وعلى ما يقاتلون ؟ برقم ٢٩٣٩، ٣٠٩/٣ .

(٣) كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، برقم ٤٤٢٤، ١٥٧/٥ .

رابعاً – من خصائص الدعوة الإسلامية : أنها عامة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من وسائل الدعوة إلى الله : الكلمة المكتوبة :

إن هذا الحديث يدل على أن الكتابة إلى الكفار والمشركين، من وسائل الدعوة إلى ا لله المشروعة، يقول الإمام الكرماني -رحمه ا لله- : (وفي الحديث مكاتبة الكفار ودعائهم إلى الإسلام) [١]، وذلك استنباطاً من فعل رسول ا لله ﷺ وكتابته لهم . ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه ا لله - : (وفي الحديث الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة، وأن الكتابة تقوم مقام النطق) [٢] .

فمن هنا ينبغي للدعاة إلى ا لله الحرص على المكاتبة في الدعوة إلى ا لله تعالى ، وذلك ببيان محاسن الإسلام، والترغيب فيه ، ومما يبين أهمية الكتابة للدعوة إلى ا لله عز وجل ، أنه كان لبعض الكتب التي أرسلت إلى الملوك والبلدان في زمن النبي ﷺ أثر كبير على الدعوة وانتشار الإسلام فيها كالحبشة [٣] .

ثانياً – من أصناف المدعوين الملوك والرؤساء :

لقد وجه رسول ا لله ﷺ دعوته لملوك البلدان ورؤسائهم، وأرسل إليهم رسلاً ورسائل دعوية، لأن هدايتهم يكون أثرها عظيماً على رعيتهم ومن تحت أيديهم، وبهدايتهم أيضاً يزول أذاهم ووقوفهم في طريق الدعوة وانتشارها .

ومن سمات هذا الصنف من المدعوين أن فيهم المغرور الجبار ككسرى ملك الفرس الذي مزق كتاب رسول ا لله ﷺ، وفيهم العاقل الذي قدر المصلحة وآمن برسول ا لله ﷺ كالنجاشي، وفيهم العاقل الذي غلبت عليه شهوته كهرقل ملك الروم.

---

(١) – الكواكب الدراري، للكرماني، ٢٤/٢ . وانظر : عمدة القاري للعيني، ٢٩/٢ .

(٢) – فتح الباري، ١٢٧/٦ .

(٣) – انظر : زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، ٦٨٨/٣ .

ثالثاً - أسلوب الشدة مع الكفار المعاندين بالدعاء عليهم :

إن الشدة مع المعاندين من الكفار إذا أساؤوا الأدب وأهانوا الدين بالدعاء عليهم، أسلوب دعوي مشروع، فرسول الله ﷺ عامل الكفار ودعاهم بالتي هي أحسن فلما رأى العناد والتكبر من بعضهم كملك الفرس دعا عليهم بأن يمزقوا كل ممزق، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - وفي الحديث : جواز الدعاء على الكفار إذا أساؤوا الأدب وأهانوا الدين (١) .

إذن فأسلوب الشدة والقسوة إنما يكون إذا ظهر العناد والاستخفاف بالدعوة من بعض المدعوين (٢) .

رابعاً - من خصائص الدعوة الإسلامية : أنها عامة :

قد ثبت بالنصوص الشرعية أن رسالة نبينا محمد ﷺ عامة للناس جميعاً، يقول الله ﷻ : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (٣) . وقد ظهر ذلك من خلال دعوة رسول الله ﷺ للناس في أكثر من موضع، منها كتابته ﷺ في هذا الحديث لكسرى وشَعبه من الفرس يدعوهم فيه للإسلام والإيمان برسالته .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري ،للكرماني، ٢٢/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٩/٢ .

(٢) - انظر : من صفات الداعية اللين والرفق، للدكتور/ فضل إلهي، ص٣٤ إلى ص٥٧ .

(٣) - سورة سبإ، الآية : ٢٨ .

٥٨ – ٦٥ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ، كِتَابًا، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إلا مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ . فَقُلْتُ لِقَتَادَةَ : مَنْ قَالَ نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، قَالَ أَنَسٌ (١) .

وفي رواية: (.. لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ، أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ، قِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إلا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ . فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ) (٢) .

وفي رواية: (.. أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ خَاتَمُهُ مِنْ فِضَّةٍ، وَكَانَ فَصُّهُ مِنْهُ) (٣) .

وفي رواية: (.. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى رَهْطٍ، أَوْ أُنَاسٍ مِنَ الأَعَاجِمِ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ لا يَقْبَلُونَ كِتَابًا إلا عَلَيْهِ خَاتَمٌ، فَاتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ، خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . فَكَأَنِّي بِوَبِيصِ ، أَوْ بِبَصِيصِ الْخَاتَمِ فِي إِصْبَعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ فِي كَفِّهِ) (٤) .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصراني، وعلى ما يقاتلون ؟ برقم ٢٩٣٨، ٣٠٨/٣ . الثاني : في كتاب اللباس، باب فصّ الخاتم، برقم ٥٨٧٠، ٦٧/٧ . والثالث : في كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، برقم ٥٨٧٢، ٦٨/٧ . والرابع : في كتاب اللباس، باب الخاتم في الخنصر، برقم ٥٨٧٤، ٦٨/٧ . والخامس : في كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، برقم٥٨٧٥، ٦٨/٧ . والسادس : في كتاب اللباس، باب قول النبي ﷺ : « لا ينقش على خاتمه »، برقم ٥٨٧٧، ٦٩/٧.والسابع: في كتاب الأحكام،باب الشهادة على الخط المختوم، برقم٧١٦٢،١٤٠/٨.

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة ،باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتما، لما أراد أن يكتب إلى العجم، برقم ٢٠٩٢، ١٦٥٧/٣ .

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب دعوة اليهود والنصراني، وعلى ما يقاتلون ؟ برقم ٢٩٣٨، ٣٠٨/٣ .

(٣) كتاب اللباس، باب فصّ الخاتم، برقم ٥٨٦٩، ٦٧/٧ .

(٤) كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، برقم ٥٨٧٢، ٦٨/٧ .

وفي رواية: (.. عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ : صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، خَاتَمًا، قَالَ: « **إِنَّا اتَّخَذْنَا خَاتَمًا وَنَقَشْنَا فِيهِ نَقْشًا فَلا يَنْقُشَنَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ** » . قَالَ : فَإِنِّي لَأَرَى بَرِيقَهُ فِي خِنْصَرِهِ) (١) .

وفي رواية: (.. أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، اتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقَشَ فِيهِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ . وَقَالَ : « **إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ وَنَقَشْتُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَلا يَنْقُشَنَّ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِهِ** » (٢) .

شرح غريب الحديث :

« وَرِقٍ » – بكسر الراء : الفضة، وقد تُسكن (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : سماع رأي المدعوين .

ثانياً – من فقه الدعوة الاستفادة من الوسائل المستخدمة لدى غير المسلمين إذا لم تتعارض مع الدين .

ثالثاً – تنبيه الداعية للمدعوين لما يُخشى الوقوع فيه .

رابعاً – من وسائل الدعوة : الرسائل .

خامساً – من خصائص الدعوة الإسلامية : أنها عامة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) كتاب اللباس، باب الخاتم في الخنصر، برقم ٥٨٧٤، ٦٨/٧ .

(٢) كتاب اللباس، باب قول النبي ﷺ : « لا ينقش على خاتمه »، برقم ٥٨٧٧، ٦٩/٧ .

(٣) – النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الواو مع الراء، ١٧٥/٥ .

أولاً – من صفات الداعية : سماع رأي المدعوين :

إن رسول الله ﷺ كان يستشير أصحابه ﷺ، وكان يقبل النصيحة والمشورة منهم حتى ولو لم يطلب منهم ذلك، ويظهر هذا في الحديث عندما : (كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ، كِتَابًا، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا إلا مَخْتُومًا)، فقبل رسول الله ﷺ هذه المشورة (فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ ..) .

فلذا ينبغي للداعية أن يستشير وأن يعرف بين الناس والدعاة أنه ممن يقبل النصيحة والرأي، حتى تُعرض عليه فيستفيد منها .

ثانياً – من فقه الدعوة الاستفادة من الوسائل المستخدمة لدى غير المسلمين إذا لم تتعارض مع الدين :

إن من فقه الدعوة الاستفادة من الوسائل المستخدمة لدى غير المسلمين إذا لم تتعارض مع الدين، فرسول الله ﷺ والعرب من قبله لم تكن تشترط أن يكون الكتاب مختوماً لقراءته، ولما قيل له إن الكفار يشترطون أن يكون الكتاب مختوماً، اتخذ رسول الله ﷺ الخاتم في يده وختم به الكتب لمصلحة الدعوة ونشر الدين ما دام ذلك لا يتعارض مع الدين وشريعته، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : فمخالقة الناس بأخلاقهم واستئلاف العدو بما لايضر في الدين أمرٌ جائز (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الاستفادة واستثمار كافة الوسائل التي تساعدهم على نشر الدعوة ونجاحها بشرط أن لا يتعارض ذلك مع أحكام الدين وقواعده .

ثالثاً – تنبيه الداعية للمدعوين لما يُخشى الوقوع فيه :

إن في قول رسول الله ﷺ لأصحابه ﷺ : « **إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ وَنَقَشْتُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَلا يَنْقُشَنَّ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِهِ** »، تنبيهاً لهم لما يُخشى أن يقعوا فيه من تقليده ﷺ في لبس الخاتم وما يُنقش فيه، يقول بعض أهل العلم – رحمهم الله – : إن سبب نهيه ﷺ عن ذلك لأنه اتخذ الخاتم ونقش فيه ليختم به كتبه إلى

---

(١) – انظر : عمدة القاري للعيني، ٣٠/٢ . وانظر إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢٤٠/٧ .

الملوك وغيرهم، فلو نقش غيره مثله لدخلت المفسدة وحصل الخلل [١] .

وهذا من فطنة رسول الله ﷺ وحكمته، وهكذا ينبغي للداعية إلى الله عندما يخشى من المدعوين أن يقعوا في خطإٍ ما أن ينبههم عليه، وكذلك إذا ظنَّ أنهم يفهمون الكلام على غير مقصده نبههم عليه وحذرهم من الخطأ .

رابعاً - من وسائل الدعوة : الرسائل :

إن من وسائل الدعوة التي تُستفاد من هذا الحديث والذي قبله، والتي ينبغي للدعاة إلى الله الاستفادة منها : كتابة الرسائل، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث : (وفيه أيضاً جواز الكتابة بل ندبيتها إلى الكفار) [٢] .

وكتابة الرسائل لها أهمية كبيرة وفائدة عظيمة على الدعوة وأهلها، ومما يبين ذلك، أنه كان لبعض الكتب التي أرسلت إلى الملوك والبلدان في زمن النبي ﷺ أثر كبير في الدعوة وانتشار الإسلام فيها كالحبشة [٣] .

خامساً - من خصائص الدعوة الإسلامية : أنها عامة :

هذا الحديث أيضاً كالذي قبله[٤] يؤكد على عموم رسالة نبينا محمد ﷺ لكافة الناس حيث أرسل رسول الله ﷺ كتاباً للروم وملكهم، يدعوهم فيه للإسلام [٥] .

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٦٨/١٤ . إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢٣٩/٧ . وفتح الباري، ١٠ ، ٣٣٧ .

(٢) - الكواكب الدراري، ٢٤/٢ .

(٣) - انظر : زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، ٦٨٨/٣ .

(٤) - انظر : ص٣٧٥ من هذا البحث

(٥) - انظر : ص١٢٤ من هذا البحث .

٩ – باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها

٥٩ – ٦٦ – حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ أَبَا مُرَّةَ مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ (١) . أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ . قَالَ : فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ، فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ : « **أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية استغلال القصص في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – من ميادين الدعوة المسجد .

---

(١) – هو: أبو واقد الليثي، صاحب النبي ﷺ سماه البخاري وغيره : الحارث بن عوف، شهد بدراً، وله عدة أحاديث، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث، روى عن النبي ﷺ أربعة وعشرين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على واحد وهو هذا، وانفرد مسلم بواحد، حدث عنه عطاء بن يسار، وسعيد ابن المسيب، وعروة بن الزبير . وعاش خمساً وسبعين وتوفي سنة خمس وستين . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٧٥/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٨٨/١، وعمدة القاري، ٣٢/٢) .

(٢) – طرفه : في كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد، برقم ٤٧٤، ١٣٩/١ .
وأخرجه :الإمام مسلم في كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجه فجلس فيها،برقم٢١٧٦،١٧١٣/٤.

ثالثاً – أسلوب الثناء لمن فعل الخير، والذم لمن فعل الشر .

رابعاً – أهمية استغلال الداعية للفرص والمواقف،وربط الناس بالواقع والأمثلة الحية.

خامساً – آداب حلق العلم وفضلها .

سادساً – من أصناف المدعوين : الحريص، ومنهم الحيي، ومنهم المعرض .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية استغلال القصص في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن الصحابي الجليل أبا واقد الليثي ﷺ يحدث بهذه القصة التي حدثت في زمن رسول الله ﷺ لبيان أهمية مجالس العلم وفضلها .

وأسلوب القصص له فائدة كبيرة في إيصال المعنى والتأثير في المدعوين، وشدِّ انتباههم . وهذه القصة تصور هذا المعنى، فالسامع لها يتأثر بها ويرغب في حلقات العلم وطلبه، ويأنف من الإعراض عنها تأثراً بهذه القصة وما جرى فيها .

ثانياً - من ميادين الدعوة المسجد :

لقد كان المسجد في زمن رسول الله ﷺ من أعظم وأهم ميادين الدعوة، فكما أن المساجد مجالس للذكر ، ومحاريب للعبادة ، فهي منارات لتعلم العلم ، ونشر الدعوة [١]، والجلوس مع الأصحاب لتفقد أحوال الناس ورعاية مصالحهم، والإجابة على تساؤلاتهم، وعلاج مشكلاتهم ..، هذا وقد استمرت المساجد تؤدي هذه الوظيفة العظيمة قروناً طويلة من الزمن، حتى إذا أصبحت الأمة الإسلامية اليوم في مرحلة الغثائية الهزيلة الطافية من الداخل، وتكالب قوى الشر والطغيان والغزو عليها من الخارج، ضَعُفَت وظيفة المسجد وانحسر مَدُّه ونضب نبعه أو كاد في كثير من بلدان الإسلام ،وذلك على حين غفلة من بعض دعاة المسلمين ، لأهمية هذا الميدان في دعوة الناس وتربيتهم [٢].

---

(١) – انظر : المسجد ودوره في التربية والتوجيه، للدكتور / صالح بن غانم السدلان، ص٨ .

(٢) – انظر : المرجع السابق، ص٨ .

ثالثاً - أسلوب الثناء لمن فعل الخير، والذم لمن فعل الشر :

إن في وصف رسول ا لله ﷺ للنفر الثلاثة بقوله : « **أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى ا للهِ فَآوَاهُ ا للهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا ا للهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ ا للهُ عَنْهُ**»، فيه أسلوب ثناء على من فعل الخير، وهو الذي أوى إلى ا لله، فآواه، والذي استحيا من ا لله، فاستحيا منه، وفيه ذم لمن فعل القبيح أو الشر، وهو الذي أعرض فأعرض ا لله عنه، يقول العلامة العيني - رحمه ا لله - عن ذلك : (فيه استحباب الثناء على من فعل جميلاً، وأن الإنسان إذا فعل قبيحاً أو مذموماً وباح به جاز أن ينسب إليه) [١]. ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه ا لله - : (وفيه جواز الإخبار عن أهل المعاصي وأحوالهم للزجر عنها،وأن ذلك لا يعد من الغيبة)[٢].

إذن الثناء على من فعل الخير من أساليب الدعوة التي ينبغي للدعاة إلى ا لله الاهتمام بها وذلك لما فيها من تشجيع لفاعل الخير، وترغيب لغيره فيه . ويجوز الذم لفاعل الشر إذا أظهره وباح به، حتى يرتدع هو غيره .

رابعاً - أهمية استغلال الداعية للفرص والمواقف،وربط الناس بالواقع والأمثلة الحية :

ينبغي للداعية إلى ا لله استغلال الفرص والمواقف، وربط الناس بالواقع والأمثلة الحية، فرسول ا لله ﷺ استغل موقف النفر الثلاثة وما جرى منهم، وربط الناس به ليكون أكثر وقعاً وتأثيراً في نفوسهم لرؤيتهم ومعايشتهم له، وهكذا الداعية يجب عليه أن يكون كيساً فطناً لكل مايدور حوله لاستثماره في الدعوة، فإذا رأى الإيجابيات أشاد بها ورغب فيها، وإذا رأى السلبيات حذر منها، ورهب من اقترافها .

خامساً - فضيلة حِلق العلم وملازمتها :

في هذا الحديث يظهر فضل حلق العلم، والترغيب في ملازمتها، ولذا بوب الإمام

---

(١) - عمدة القاري، ٣٤/٢ .

(٢) - فتح الباري، ١٩٠/١ .

البخاري - رحمه الله - على هذا الحديث باباً قال فيه : (باب الحلق والجلوس في المسجد) [١] . ومن هذا الحديث قال بعض أهل العلم : إن فيه استحباب التحلق للعلم والذكر في المسجد وغيره لأن ذلك أجمع للقلوب وأكمل للفائدة [٢] . ويقول العلامة العيني - رحمه الله - عن هذا الحديث : (وفيه أن من جلس إلى حلقة علم أنه في كنف الله تعالى، وفي إيوائه) [٣] .

وحلق العلم لها **آداب** ذكرها بعض أهل العلم استنباطاً من هذا الحديث، وهي:

١ - أن يجلس الجميع على شكل حلقه، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله- : (وفي الحديث أن السنة الجلوس على وضع الحلقة) [٤] .

٢ - أن يجلس الداخل فيها حيث انتهى مجلسه، ولا يقيم أحداً [٥] .

٣ - الحرص على سدِّ خلل الحلقة [٦] .

سادساً - من أصناف المدعوين الحريص، ومنهم الحيي، ومنهم المعرض :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث ذكر النفر الثلاثة وذكر حال كل منهم بصفته، فمنهم الحريص على طلب العلم والتزود من الخير، ومنهم الحيي، ومنهم المعرض المتكبر، وعلى هذا يدور غالب الناس ولا تخرج أحوالهم عن دائرتها . فالأول والثاني من الحكمة معهما الثناء عليهما بما فيهما من خير، كما سبق بيانه في الفائدة الثالثة، وهكذا كل من فعل خيراً من الحكمة الثناء عليه به . وأما الصنف الثالث فهذا يذم بفعله وجهره بالمعصية لأنه لا غيبة لفاسق، كما سبق بيانه في الفائدة الثالثة .

---

(١) كتاب الصلاة، ١/١٣٩ .

(٢) - انظر :الكواكب الدراري،٢/٢٦. وفتح الباري، لابن حجر، ١/٦٧٠ .وعمدة القاري ،للعيني،٢/٣٤.

(٣) - المرجع السابق ، ٢/٣٤ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/٢٦ .

(٤) - المرجع السابق، ٢/٢٦ .

(٥) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/١٩٠ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/٣٤ .

(٦) - انظر : المرجع السابق، ٢/٣٤ .

١٠ – باب قول النبي ﷺ : « رب مبلغ أوعى من سامع »

٦٠ – ٦٧ – حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا بِشْرٌ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ، قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ، أَوْ بِزِمَامِهِ . قَالَ : « **أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟** » . فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ . قَالَ : « **أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟** » . قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : « **فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟** » . فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . فَقَالَ : « **أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ ؟** » . قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ** » (١) .

وفي رواية: (.. قَالَ : « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ** – قَالَ : مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ: **وَأَعْرَاضَكُمْ – عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا أَلا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ** » . وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَقُولُ : صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَانَ ذَلِكَ « **أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ؟** » . مَرَّتَيْنِ (٢) .

وفي رواية: (.. عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، قَالَ : خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ :

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، برقم ١٠٥، ٤٠/١ . الثاني : في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، برقم ١٧٤١، ٢٣٢/١ . الثالث : في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، برقم ٣١٩٧، ٨٩/٤ . الرابع : في كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم ٤٤٠٦، ١٤٨/٥ . الخامس : في كتاب التفسير، سورة التوبة، برقم٤٦٦٢، ٢٤٣/٥ . السادس : في كتاب الأضاحي، باب من قال الأضحى يوم النحر، برقم٥٥٥٠، ٢٩٣/٦ . السابع : في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : « ولا ترجعوا بعدي كفاراً »، برقم٧٠٧٨، ١١٧/٨ . الثامن : في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة } ، برقم٧٤٤٧، ٢٣٤/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم ١٦٧٩، ١٣٠٥/٣ .

(٢) كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، برقم ١٠٥، ٤٠/١ .

« **أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟** » . قُلْنَا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ..) (١) .

وفيها : (.. فَقَالَ : « **أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ ؟** » . قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : « **أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟** » . قُلْنَا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ: « **أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ ؟** ». قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ. أَلا هَلْ بَلَّغْتُ** ». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: « **اللهم اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ،فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** ».

وفي رواية: (.. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ : « **الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ . السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ . أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟** » . قُلْنَا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ..) (٢) .

وفيها : .. قَالَ : « **وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ . أَلا فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ . أَلا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ** » .

شرح غريب الحديث :

(بِخِطَامِهِ) – خطام البعير زمامه الذي يُخطم به، أي يُجعل على خَطْمه، وهو أنفه ليُقاد به (٣) .

(بِزِمَامِهِ) – الزمام كالرسن للدابة، يُجعل على أنفها لتنقاد به (٤) .

---

(١) كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، برقم ١٧٤١، ٢٣٢/١ .

(٢) كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم ٤٤٠٦، ١٤٨/٥ .

(٣) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٢٢ .

(٤) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٦٤ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من عوامل نجاح الخطابة : استخدام كل ما يساعد على إيصال الصوت، ومنع كل ما يؤثر على الإنصات لها .

ثانياً – أسلوب التساؤل وأثره في شد الانتباه .

ثالثاً – أهمية صمت الداعية بعد كل سؤال .

رابعاً – من أهم موضوعات الدعوة، المحافظة على الضرورات الخمس (الدين والنفس والأعراض والأموال والعقل) .

خامساً – أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ .

سادساً – أهمية أسلوب ضرب الأمثال .

سابعاً – الحث على التبليغ ونشر العلم .

ثامناً – أهمية أسلوب التكرار في الدعوة إلى الله .

تاسعاً – تفاوت الناس في الفهم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من عوامل نجاح الخطابة : استخدام كل ما يساعد على إيصال الصوت، ومنع كل ما يؤثر على الإنصات لها :

إن من عوامل نجاح الخطابة في الدعوة إلى الله، استخدام الخطيب كل ما يساعد على إيصال صوته للناس، وأن يمنع كل ما يؤثر على الإنصات لها، فمن ذلك أن رسول الله ﷺ خطب بهذه الخطبة على ظهر البعير ليسمع الناس صوته ويرونه وهو يتحدث ويتحرك، وكذلك استعان بأحد الصحابة ليمسك بخطام بعيره حتى لا ينشغل بإمساكه، وحتى لا يشغل المدعوين بحركته، يقول الإمام النووي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث: (وفيه دليل على استحباب الخطبة على موضع عال من منبر وغيره، سواء خطبة الجمعة والعيد وغيرهما، وحكمته أنه كلما ارتفع كان أبلغ في

إسماعه الناس ورؤيتهم إياه ووقوع كلامه في نفوسهم) [١] . ويقول الإمام الكرماني – رحمه الله – : (وإنما خطب على البعير ليسمع الناس، وإنما أمسك إنسان بخطامه ليتفرغ للحديث ولا ينشغل بإمساكه) [٢]، ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – (وفائدة إمساك الخطام صون البعير عن الاضطراب حتى لايشوش على راكبه) [٣] .

لذا ينبغي للداعية الخطيب في هذا الزمان أن يستعين بكل وسيلة مشروعة تساعده على إيصال صوته كالمذياع ومكبر الصوت .. وغير ذلك من الوسائل التقنية الحديثة ، وأن يصرف كل ما يشوش ويؤثر على خطبته .

ثانياً – أسلوب التساؤل وأثره في شد الانتباه :

لقد استخدم رسول الله ﷺ في خطبته هذه أسلوب التساؤل بقوله : « **أي يوم** ..، **أي شهر** .. »، والغرض من هذه الأسئلة : هو حث القوم على التنبه واليقظة واستجماع الحواس لما سيلقي عليهم لأهميته، وتقرير حرمة شهر ذي الحجة والبلدة المحرمة ويوم النحر، وتثبيتها في النفوس وتذكير الناس بها حتى يبني عليها ما سيأتي من أحكام، فيرسخ في النفوس اليقظى ويثبت في القلوب الواعية [٤]، والدليل على أثر وأهمية هذا الأسلوب أنه أثر في المدعوين من الصحابة ﷺ، وشدَّ انتباههم وذلك بالتفكير فيه ولماذا سأل عنه فقالوا : (حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه) .

فينبغي للدعاة إلى الله الاستفادة من هذه الأساليب النبوية القوية أثناء دعوة الناس وإرشادهم وتوجيههم، لعظم أثرها وقوتها في استحضار فهومهم وإقبالهم على من يدعوهم ويخطب فيهم .

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١١/١٧٠ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/١٩٢ .

(٢) – الكواكب الدراري، ٢/٢٩ .

(٣) – فتح الباري، ١/١٩١ .

(٤) – من أسرار البيان النبوي، للدكتور/ أحمد محمد علي، ص٨٦ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/٢٨ . وفتح الباري لابن حجر، ١/١٩١ . وعمدة القاري للعيني، ٢/٣٩ .

ثالثاً - أهمية صمت الداعية بعد كل سؤال:

في هذا الحديث كان رسول الله ﷺ بعد كل سؤال لصحابته رضي الله عنهم وإجابتهم عنه، يسكت قليلاً لفائدة وحكمة عظيمة، يقول العلامة العيني - رحمه الله - عن ذلك: (ومنها ما قيل: لم سأل عليه السلام عن هذه الأشياء الثلاثة وسكت بعد كل سؤال منها ؟ أجيب: لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليعلموا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذا قال بعد هذا: « **فإن دماءكم** ..» إلى آخره مبالغة في تحريم الأشياء المذكورة) (١).

إذن هذا الأسلوب الحكيم من رسول الله ﷺ ينبغي أن يكون في ذهن الداعية إلى الله لاستخدامه وقت الحاجة لاستحضار فهوم المدعوين والتأثير فيهم.

رابعاً - من أهم موضوعات الدعوة، المحافظة على الضرورات الخمس (الدين والنفس والأعراض والأموال والعقل):

إن من موضوعات الدعوة، التي تُستفاد من هذا الحديث، المحافظة على الضرورات الخمس، وهي: الدين والنفس والأعراض والأموال والعقل (٢). وأنه ينبغي التشديد في تحريمها، **وذلك يظهر من عدة جوانب:**

١ - أن كلمة « **فإن دماءكم وأموالكم** .. » جملة إسمية مسبوقة بحرف التأكيد، وداعي التوكيد هنا الرغبة في توثيق هذا الأمر وحرمته (٣).

٢ - حرف الجر في قوله ﷺ « .. **كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا** .. » فكأنه يفيد أن كل حرمة مظروفة فيما يليها، حتى ينتهي الأمر إلى اجتماع الحرمات الثلاث - اليوم والبلد والشهر - مظروف بعضها في بعض وكأنها شئ واحد، وفي هذا الأسلوب من تغليظ الحرمة ما فيه (٤).

---

(١) - عمدة القاري، ٣٩/٢. وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١٩١/١.
(٢) - انظر: إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٢١/٦.
(٣) - انظر: من أسرار البيان النبوي، للدكتور، أحمد محمد علي، ص٨٠.
(٤) - المرجع السابق، ص٨٠.

٣ – يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – : (وفيه أن ما كان حراماً يجب أن يغلظ عليه بأبلغ ما يجد كما فعل ذلك النبي ﷺ في التشبيهات) (١) .

٤ – طرح السؤال عليه، وذلك كما قال الإمام النووي – رحمه الله –: (هذا السؤال والسكوت والتفسير أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر والبلد واليوم) (٢) .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، أن يتطرقوا في دعوتهم للمحرمات، وخاصة أوقات الفتن، وعندما يتساهل الناس في حقوق الآخرين وأعراضهم، وأن ينبهوا عليها بأشد عبارة ممكنة، وأشد أسلوب مناسب .

خامساً – أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ :

إن في سكوت الصحابة ﷺ وقولهم لرسول الله ﷺ عندما سألهم : (الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) بياناً لعظم أدبهم معه ﷺ، وحسن أخلاقهم ﷺ جميعاً . يقول الإمام النووي – رحمه الله –: (وقولهم : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . هذا من حسن أدبهم، وأنهم علموا أنه ﷺ لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون) (٣) .

فينبغي للدعاة إلى الله التأسي بهؤلاء في حسن أدبهم وخلقهم، وخاصة مع سنة رسول الله ﷺ، وأن لا يقدم عليها شيء من كلام البشر .

سادساً – أهمية أسلوب ضرب الأمثال :

إن أسلوب ضرب الأمثال، له أثر عظيم في إيصال الداعية لهدفه من الرسالة وتقريب الشئ المراد لأذهان المدعوين بما هو معروف ومقرر في النفوس، يقول الإمام

---

(١) – الكواكب الدراري ،٢٩/٢ .وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١٩١/١. وعمدة القاري للعيني،٣٨/٢.
(٢) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٩/١١ .
(٣) – المرجع السابق ، ١٦٩/١١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٩١/١ .

النووي – رحمه الله – : (في هذا التشبيه دليل استحباب ضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير قياساً) (١) . يقول العلامة العيني – رحمه الله – : إن سبب ضرب المثل لهم بحرمة الشهر واليوم والبلد، لأن هذه الأمور كان تحريمها ثابتاً في نفوسهم مقرراً عندهم، ولا يرون هتك حرمتها، ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب، بخلاف الدماء والأموال والأعراض فإنهم في الجاهلية كانوا يستبيحونها (٢) .

إذن فخلاصة الكلام أن استخدام الداعية لهذا الأسلوب مما يساعده على نجاح دعوته وقوة تأثيرها في المدعوين .

سابعاً – الحث على التبليغ ونشر العلم :

بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث أهمية تبليغ الدعوة ونشر العلم، وحث على ذلك بقوله :« **هذا وليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه** » . يقول الكرماني – رحمه الله – عن هذا الحديث : (فيه من الفقه أن العالم واجب عليه تبليغ العلم لمن لم يبلغه، ويبينه لمن لا يفهمه، وهو الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على العلماء : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ (٣)) (٤) .

ويقول الإمام النووي – رحمه الله – : (فيه – أي الحديث – وجوب تبليغ العلم، وهو فرض كفاية، فيجب تبليغه بحيث ينتشر) (٥) .

ثامناً – أهمية أسلوب التكرار في الدعوة إلى الله :

أسلوب التكرار له أثر كبير في توكيد المسألة والمبالغة في حكمها (٦)، فرسول

---

(١) – نقلاً عن الكواكب الدراري، للكرماني، ٢٩/٢ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٣٨/٢ .
(٢) – المرجع السابق، ٣٨/٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٦٧٣/٣
(٣) – سورة آل عمران، آية : ١٨٧ .
(٤) – الكواكب الدراري ،٢٩/٢ .وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١٩٢/١. وعمدة القاري للعيني،٣٨/٢.
(٥) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٩/١١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٩٢/١ . وعمدة القاري، العيني، ٣٨/٢ .
(٦) – انظر : الكواكب الدراري للكرماني، ٨/٢. وفتح الباري لابن حجر، ١٧٣/١. وعمدة القاري =

ا لله ﷺ كرر قوله : « **أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ؟** » مرتين، لبيان أهمية ما بلغه للناس .

إذن فينبغي للداعية إلى ا لله التنبه لأهمية هذا الأسلوب الدعوي،وأن يكرر حديثه الشفهي عند الحاجة ليكون كلامه ذا أثر كبير، ولتكون رسالته مفهومة واضحة، هذا وقد جاء عن رسول ا لله ﷺ أنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه (١) .

تاسعاً – تفاوت الناس في الفهم :

إن الفهم منحة من ا لله ﷻ يهبه لمن يشاء، يقول ا لله تبارك وتعالى : ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء**﴾ (٢) . أي أن الحكمة كلها من عطاء ا لله تبارك وتعالى ، وأن ا لله تبارك وتعالى ، يعطيها من يشاء (٣) . والحكمة معناها الفهم بالدين والإصابة فيه (٤)، وهذا الحديث يقول فيه رسول ا لله ﷺ :« **لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ** »، يقول بعض العلماء – رحمهم ا لله – عند شرحهم لهذا الحديث : وفيه من الحجة أن المتأخر قد يفهم من الكتاب والسنة ما لا يستحضره المتقدم، لأن الفهم فضل ا لله يؤتيه من يشاء (٥) . وأيضاً قد يعرف الصغير ما لا يعرفه الكبير – سواءً في سنه أو علمه – من المعارف والحكم، وفي حديث ابن عمر السابق (٦) عندما طرح رسول ا لله ﷺ اللغز عليهم ووقع الناس في شجر البوادي وفيهم كبار الصحابة قال ابن عمر

=

للعيني، ٢/١٠ .

(١) – انظر : الحديث رقم (٩٤) من صحيح البخاري ، ١/٣٧ .

(٢) – سورة البقرة، الآية : ٢٦٩ .

(٣) – تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣/٦١ .

(٤) – انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣/٣٣٠ .

(٥) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٦/١٢٣ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٦/١٢٣ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢/٢٩ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣/٦٧٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٨ .

(٦) – انظر : ص٣٦٢ ، من هذا البحث .

(ووقع في نفسي أنها النخلة) يقول ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك: (وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه، لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء) [١] .

فخلاصة الكلام أن الناس متفاوتون في الفهم والإدراك، فلذا ينبغي للداعية إلى الله مراعاة هذا الأمر في حديثه معهم بأن لا يعجب من عدم فهم أحدهم، ولا يغضب لذلك .

---

(١) - فتح الباري ١٧٧/١، . وانظر : عمدة القاري للعيني، ١٥/٢ .

١٣ – باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا

٦١ – ٦٨ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنِ الأعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا (١) .

وفي رواية: كان عبدا لله يُذكر النَّاسَ في كلِّ خميسٍ، فقال له رجل : يا أبا عبدالرحمن لودِدْتُ أنَّك ذكَّرْتَنَا كلَّ يومٍ . قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم،وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا(٢).

وفي رواية: (.. كُنَّا نَنْتَظِرُ عَبْدَا لله، إِذْ جَاءَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ . فَقُلْنَا : أَلا تَجْلِسُ قَالَ : لا، وَلَكِنْ أَدْخُلُ، فَأُخْرِجُ إِلَيْكُمْ صَاحِبَكُمْ، وَإِلا جِئْتُ أَنَا فَجَلَسْتُ، فَخَرَجَ عَبْدُا لله وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ، فَقَامَ عَلَيْنَا، فَقَالَ : أَمَا إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ، وَلَكِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ أَنَّ رَسُولَ ا لله ﷺ، كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا) (٣) .

شرح غريب الحديث :

(يَتَخَوَّلُنَا) –يتعهدنا (٤) .

---

(١) – طرفاه : الأول : في كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، برقم ٧٠، ١٩٧/١ .
الثاني : في كتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، برقم ٦٤١١، ٢١٧/٧ .
وأخرجه:الإمام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم،باب الاقتصاد في الموعظة، رقم٢٨٢١، ٢١٧٢/٤.

(٢) كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، برقم ٧٠، ١٩٧/١ .

(٣) كتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، برقم ٦٤١١، ٢١٧/٧ .

(٤) – النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٨٨/٢ .

(بِالْمَوْعِظَةِ) - الوعظ، والعِظة، والعَظَة، والموعظة، النصح والتذكير بالعواقب، وقيل هو : تذكيرك للإنسان بما يُلين قلبه من ثواب وعقاب (١) .

(السَّآمَةِ) - الملل (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - حرص السلف الصالح على طلب العلم .

ثانياً - حرص الصحابة على الاقتداء برسول الله ﷺ في منهج الدعوة .

ثالثاً - من أساليب الدعوة، الوعظ .

رابعاً - أهمية مراعاة أحوال المدعوين .

خامساً - رفق رسول الله ﷺ بأصحابه رضي الله عنهم .

سادساً - أهمية ضرب الموعد للتعليم وتحديده .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص السلف الصالح على طلب العلم :

لقد كان سلفنا الصالح حريصين على طلب العلم وخاصة سنة رسول الله ﷺ، فهؤلاء التابعون -رحمهم الله - جلسوا على باب الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ينتظرون خروجه، إذ يقول الراوي عنه : (كُنَّا نَنْتَظِرُ عَبْدَاللهِ ..)، وذلك من شدة حرصهم على الاستفادة منه رضي الله عنه .

فينبغي للداعية إلى الله أن يتخذ من هؤلاء مثلاً له يحتذي بهم في الحرص على

---

(١) - انظر : لسان العرب، لابن منظور، مادة (وعظ)، ٤٨٧٣/٨ .

(٢) - تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٦٦ .

طلب العلم والزيادة منه .

ثانياً - حرص الصحابة على الاقتداء برسول الله ﷺ في منهج الدعوة :

في هذا الحديث يظهر مدى ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ في منهجه الدعوي مع الناس، فهذا ابن مسعود رضي الله عنه لما قيل له : يا أبا عبدالرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم . قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا [١] ، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث : (وفيه منقبة لابن مسعود لمتابعته النبي ﷺ في القول والعمل ومحافظته على ذلك)[٢].

وقال بعض أهل العلم – رحمهم الله – : إن هذا الحديث فيه بيان لما كان فيه الصحابة رضي الله عنهم من الاقتداء بالنبي ﷺ والمحافظة على استعمال سنته على حسب معاينتهم لها منه، وتجنب مخالفتهم لعلمهم بما في موافقته من عظيم الأجر وما في مخالفته من عكس ذلك [٣] .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله سبحانه وتعالى ، إذا أرادوا النجاح والتوفيق في دعوتهم ؛ الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ومنهجه وهديه الدعوي، والحرص على ذلك أشدَّ الحرص كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [٤] .

ثالثاً - من أساليب الدعوة، الوعظ :

إن من أساليب الدعوة، الوعظ والتذكير، وهو ماسماه الله سبحانه وتعالى بالموعظة الحسنة، في

---

(١) – صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، برقم ٧٠، ٣٠/١ .

(٢) – فتح الباري، ٢٣٢/١١ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٣٥/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٤٨/٢ .

(٤) – سورة يوسف، آية : ١٠٨ .

قوله ﷻ : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١)، يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – : (والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب) (٢) . ويقول الشيخ ابن عثيمين – حفظه الله – الوعظ : هو ذكر الأحكام الشرعية مقرونة بالترغيب والترهيب. وأعظم واعظ هو كتاب الله ﷻ فإن الله يقول : ﴿ يا أيها الناسُ قد جاءتْكُم موعظةٌ من رَبِّكم وشفاءٌ لما في الصُّدورِ وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ (٣) . (٤)

فتحريك العاطفة الإيمانية لدى المدعوين يكون إما بالترغيب والترهيب أو الوعد بالنصر والتمكين أو المدح والذم أو القصة أو التذكير بالنعم المستوجبة للشكر وما إلى ذلك من أسباب مباشرة أو غير مباشرة، تؤثر في المدعوين وتدفعهم إلى الاستجابة والطاعة .. ، وفي القرآن الكريم، والسنة النبوية، أمثلة كثيرة لجميع هذه الأساليب .

ومن هذه الأساليب تذكير صالح – عليه السلام – لقومه بنعم الله عليهم، إذ يقول الله تعالى حكاية عنه : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (٥)، وانظر كيف يحرك العاطفة مثل قوله ﷻ : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً ﴾ (٦).

ومن أمثلة السنة النبوية الشريفة – وهي كثيرة جداً – ما جاء عن العرباض ابن سارية رضي الله عنه أنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة

---

(١) – النحل، آية : ١٢٥ .
(٢) – الكواكب الدراري، ٣٢/٢ .
(٣) – سورة يونس، الآية : ٥٧ .
(٤) – شرح رياض الصالحين، ٧٨/٧ .
(٥) – سورة الأعراف، آية : ٧٤ .
(٦) – سورة النساء، آية : ١٤٧ .

ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : « **أوصيكم بتقوى الله** .. » [(١)] .

رابعاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين :

إن في قول ابن مسعود ﷺ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا، بياناً لما كان عليه رسول الله ﷺ من الحرص على مراعاة أحوال المدعوين، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن المراد أنه ﷺ كان يتفقد أحوالهم التي يحصل لهم فيها النشاط للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم لئلا يملوا [(٢)] .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، في وعظهم للناس أن لا يُكثروا عليهم، وإنما الذي عليهم هو الاقتصاد في الوعظ والتذكير، وأن يراعوا أحوالهم في ذلك، حتى يأخذ الناس منهم بنشاط وحرص، لا عن ضجر وملل، لأن النفوس إذا ملت كلّت وتعبت، وكرهت الحق وإن كان حقاً، ولهذا كان أحكم الواعظين من الخلق محمد ﷺ يتخول الناس بالموعظة، لئلا يملوا ويسأموا ويكرهوا ما يُقال من الحق .

خامساً – رفق رسول الله ﷺ بأصحابه ﷺ :

إن في هذا الحديث دليلاً لما كان عليه رسول الله ﷺ من الرفق بأصحابه ﷺ، يقول الإمام الكرماني –رحمه الله– عند شرحه لقوله ﷺ : « **كراهة السآمة علينا** »: (أي شفقة علينا، إذ المقصود بيان رفقه ﷺ بالأمة وشفقته عليهم ليأخذوا منه بنشاط وحرص، لا عن ضجر وملل) [(٣)]. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله ﷻ، من رفق ورحمة بالمدعوين .

---

(١) – رواه الترمذي، في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم٢٦٧٦ ، ٥/٤٣، وقال عنه حسن صحيح . (وقال عنه الألباني: صحيح . انظر: صحيح سنن الترمذي، ٢/٣٤١).

(٢) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧ /١٦٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢/٣٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٩٦، ١١/٢٣١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/٤٤، ٤٥ .

(٣) – الكواكب الدراري، ٢/٣٣ . وانظر : عمدة القاري للعيني، ٢/٤٥ .

سادساً - أهمية ضرب الموعد للتعليم وتحديده :

إن مما يستفاد من هذا الحديث، أهمية تحديد الموعد مع المدعوين للتذكير وإقامة حلقات العلم والدرس، ولهذا بوب الإمام البخاري - رحمه الله - على هذا الحديث باباً قال فيه: باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إن البخاري - رحمه الله - أخذ عنوان الباب من صنيع ابن مسعود ﷺ في تذكيره كل خميس، أو من استنباط عبد الله ﷺ من الحديث الذي أورده [١] .

فالداعية عندما يحدد يوماً معلوماً ووقتاً محدداً لدرسه ووعظه وتذكيره، يُسهل على المدعوين وطلاب العلم الحضور والالتزام بالدرس ومتابعته .

---

(١) - فتح الباري، ١/١٩٧ .

٦٢ – ٦٩ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو التَّيَّاحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ : « **يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا** » (١) .

وفي رواية: « **يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الرفق واللين .

ثانياً – من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير .

ثالثاً – من أساليب الدعوة إلى الله : التبشير .

رابعاً – التحذير من التعسير والتنفير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الرفق واللين :

إن مما ينبغي أن يتصف به الداعية من الصفات اللازمة : الرفق واللين . وهذا الحديث جاء ليؤكد على ذلك بأمره ﷺ بالتيسير وترك التعسير، يقول الإمام الأبي – رحمه الله – عن هذا الحديث : (فيه ما يجب من التيسير في الأمور والرفق بالناس وتحبيب الإيمان إلى القلوب وترك التشديد خوفاً من أن تنفر القلوب، لاسيما فيمن كان قريب العهد من الإيمان، وكذلك يجب فيمن قارب سن التكليف من الأطفال و لم

---

(١) – طرفه : في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ « يسروا ولا تعسروا »، برقم ٦١٢٥، ١٣٢/٧.
وأخرجه:الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم١٧٣٤،١٣٥٩/٣.

(٢) كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ « يسروا ولا تعسروا »، برقم ٦١٢٥، ١٣٢/٧ .

يتمكن رسوخ العمل في قلوبهم، فلا يشدد عليهم خوف أن ينفروا من عمل الطاعات، وكذلك يجب على الإنسان في نفسه أن لا يشق عليها في العمل في بدء الأمر خوفاً من الترك وعدم الدوام على العمل، بل يدربها فيه) (١) .

ثانياً – من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير :

إن من أهم خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير . وهذا الحديث فيه تأكيد على ذلك الأمر، بأمره ﷺ بالتيسير، وليس هذا فقط بل عقبه بنفي ضده وهو التعسير، تأكيداً عليه . يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (قوله : « **ولا تعسروا** »، الفائدة فيه التصريح باللازم تأكيداً) (٢) . وقال الإمام النووي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث : (إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده، لأنه قد يفعلهما في وقتين، فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات، فإذا قال : ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب) (٣) .

إذن فأمور الدين كلها مبناها على التيسير والبعد عن التعسير، ولذلك قال العلماء – رحمهم الله – : المشقة تجلب التيسير، وإذا ضاق الأمر اتسع، والضرورات تبيح المحظورات (٤) .

ثالثاً – من أساليب الدعوة إلى الله : التبشير :

إن في قوله ﷺ : « **وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا** »، بياناً للتيسير في الدعوة إلى الله ﷻ،

---

(١) – إكمال إكمال المعلم، ٢٩٦/٦ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٤١/١٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٣٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٩٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٤٧/١.
(٢) – فتح الباري، ١٩٦/١ .
(٣) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٤١/١٢ .
(٤) – انظر : شرح القواعد الفقهية، لأحمد الزرقاء، ص١٥٧، ١٦٣، ١٨٥، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، ط دار القلم، دمشق .

وذلك بأسلوب التبشير، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته) [١] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على أساليب الدعوة التي فيها التبشير وإدخال الفرح والسرور على الناس وذلك بترغيبهم فيما عند الله، وتأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليه [٢] .

رابعاً - التحذير من التعسير والتنفير :

فكما جاء في الفائدة السابقة أن الحديث فيه أمر بالتيسير والتبشير، فكذلك فيه تحذيرٌ من التعسير على الناس وتنفيرهم، يقول الإمام النووي - رحمه الله - إن الحديث فيه : (النهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير) [٣] .

أي أن الداعية إلى الله لا يبدأ بالوعيد والتهديد أولاً، بل ذلك يكون بعد الترغيب والتأليف، أو مع البشارة، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (لما كانت النذارة - وهي الإخبار بالشر - في ابتداء التعليم توجب النفرة قوبلت البشارة بالتنفير، والمراد تأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليه في الابتداء . وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالباً الازدياد، بخلاف ضده) [٤] .

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢ /٤١ .
(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر : ١٩٧/١ .
(٣) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٤١/١٢ .
(٤) - فتح الباري، ١٩٦/١، ١٩٧ .

١٤ – باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين

٦٣ – ٧١ – حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : قَالَ : حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ (١) خَطِيبًا، يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ : « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ** » (٢) .

وفي رواية: « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُعْطِي، وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ**

---

(١) – هو : معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن، القرشي الأموي المكي . وأمه هي : هند بنت عتبة بن ربيعة . قيل أنه أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحاق بالنبي ﷺ من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح . حدث عن النبي ﷺ، وكتب له مرات يسيرة، وحدث أيضاً عن أخته أم المؤمنين أم حبيبة، وعن أبي بكر، وعمر ﷺ . روى عنه ابن عباس، وجرير ابن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، والنعمان بن بشير، وابن الزبير ﷺ ،وسعيد بن المسيب، وأبو إدريس الخولاني، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وعروة بن الزبير، وهمام بن منبه، ومحمد بن سيرين، وخلق سواهم . له من الأحاديث المسندة مئة وثلاثة وستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة . توفي في شهر رجب سنة ستين، وعاش سبعاً وسبعين سنة . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١١٩/٣، ١٦٢ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٨٠٦٣، ٢٣١/٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٤٩/٢) .

(٢) – أطرافه : الأول : في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى : { فأن لله خمسه وللرسول } ، برقم ٣١١٦، ٦٠/٤ . الثاني : في كتاب المناقب، باب رقم ٢٨، برقم ٣٦٤١، ٢٢٥/٤ . الثالث : في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ : « ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .. »، برقم ٧٣١٢، ١٨٩/٨ . الرابع : في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون } ، برقم ٧٤٦٠، ٢٣٨/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، برقم ١٠٣٧، ٧١٨/٢ .

ظَاهِرُونَ » (١) .

وفي رواية: (.. سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ، يَقُولُ : « لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ». قَالَ : عُمَيْرٌ فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ : قَالَ مُعَاذٌ : وَهُمْ بِالشَّأْمِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ وَهُمْ بِالشَّأْمِ) (٢) .

وفي رواية: « .. وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي الله وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله » (٣) .

وفي رواية:«.. قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ.. »(٤).

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً– فضل الفقه في دين الله ﷻ .

ثانياً – أهمية الخطابة في نشر العلم .

ثالثاً – من صفات الداعية : الثقة بأن المستقبل لهذا الدين .

رابعاً – أهمية أسلوب : ضرب المثل في الدعوة إلى الله ﷻ .

خامساً – حفظ الله وحمايته لهذا الدين وعباده الصالحين .

سادساً – من معجزات رسول الله ﷺ إخباره بالمغيبات .

---

(١) كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى : { فأن لله خمسه وللرسول } ، برقم ٣١١٦، ٦٠/٤.

(٢) كتاب المناقب، باب رقم ٢٨، برقم ٣٦٤١، ٢٢٥/٤ .

(٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ : « ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .. »، برقم ٧٣١٢، ١٨٩/٨ .

(٤) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون } ، برقم ٧٤٦٠، ٢٣٨/٨ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – فضل الفقه في دين الله ﷻ :

إن في قوله ﷺ : « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** »، بياناً لفضل الفقه في الدين وأنه من الخير العظيم الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى، من يشاء من عباده الصالحين، يقول كثير من العلماء – رحمهم الله – عند شرحهم لهذا الحديث : إن فيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله لأنه يقود إلى خشية الله تعالى والتزام طاعته [(١)] .

يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – : والمراد بالفقه في هذا الحديث، هو الفهم في الدين، ليتناول فهم كل علم من علوم الدين [(٢)] .

والداعية إلى الله سبحانه وتعالى، هو أولى المسلمين بالتفقه في الدين، حتى يدعو إلى الله على بصيرة، ويعرف إلى ماذا يدعو المدعوين ؟ وكيف يدعو الناس ؟ وما الأولويات الدعوية ؟ وكيف يتدرج في الدعوة ؟ وأي أسلوب يعتمد في دعوته ؟ إذن فما أحوج الدعاة إلى الله إلى التفقه بالدين، ليكونوا كما قال الله تعالى دعاة على منهج رسول الله ﷺ في بصيرته بما يدعو وكيف يدعو، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ [(٣)] .

---

(١) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٨/٧ . إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٥١٦/٣ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٥١٦/٣ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٣٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٩٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٥٢/١ . وعشرون حديثاً من صحيح البخاري ، (دراسة أسانيدها وشرح متونها) ، لعبد المحسن بن حمد العباد ، ص٤٤ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ ، ط مطابع الرشيد ، المدينة المنورة .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري، ٣٦/٢ .وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٩٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٤٩/٢ .

(٣) – سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .

ثانياً - أهمية الخطابة في نشر العلم :

هذا الحديث العظيم لرسول الله ﷺ، وصل إلينا من طريق معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وهو يخطب به، حيث قَالَ : حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا، يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ : « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ..** »، وهذا مما يبين أهمية الخطابة في نشر العلم وإيصاله للناس .

يقول الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله - : في هذا الحديث إرشاد الناس إلى السنة ، وإعلانها على المنابر [١] . لأنها طريق من طرق نشر العلم بين الناس .

ثالثاً - من صفات الداعية : الثقة بأن المستقبل لهذا الدين :

إن الداعية إلى الله عندما يسمع مثل هذا الحديث يؤمن به، وينطلق في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، واثقاً بأن النصر والمستقبل لهذا الدين وأهله، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله- : (في هذا بشارة عظيمة لمن اتصف بالصفة المذكورة في هذا الحديث، إذ أنه لا يخاف الضرر، وإن كثر أهله، فيكون أبداً مطمئن النفس منشرح الصدر، لأن المخبر صادق، والمخبر عنه عالم قادر، وقد نبه عز وجل على هذا المعنى وصرح به في كتابه حيث قال : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ [٢]) [٣] .

رابعاً - أهمية أسلوب : ضرب المثل في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث يضرب مثلاً لنفسه وما بعثه الله به من العلم بقوله : « **وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللهُ يُعْطِي ..** »، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله- عن هذا المثل : وحقيقة صفة القاسم إن يكون الإنسان يقسم شيئاً محسوساً على أشخاص معلومين، ورسول الله ﷺ بين الشريعة بأتم بيان ثم حد الحدود ورغب

---

(١) - عشرون حديثاً من صحيح البخاري ، (دراسة أسانيدها وشرح متونها) ، ص٤٤ .

(٢) - سورة الروم، الآية : ٤٧ .

(٣) - بهجة النفوس، ١١٨/١ .

وحذر، فقال : من فعل كذا فله كذا، ومن فعل كذا فعليه كذا، على ما جاء في الأحاديث، وكذلك القاسم في الشيء المحسوس سواء مثل ذلك : الفرضي، يحقق لكل إنسان قسطه فيبين له قدر ماله من الحق وما عليه من اللوازم . وهذا من أبدع التمثيل وأفصحه . وفي هذا دليل على أن للعالم أن يضرب الأمثال في تقرير الأحكام بقدر ما يفهم المخاطب ما أريد منه، إذ أنه ﷺ شبه نفسه الكريمة بالقاسم على ما تقدم، ولهذا قال الإمام مالك – رحمه الله – : بالمعاني استعبدنا لا بالألفاظ (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على هذا الأسلوب وخاصة إذا كان هناك شيء يصعب على المدعوين إدراكه ومعرفته، فيُضرب لهم المثل لتقريبه إلى أذهانهم وحواسهم .

خامساً – حفظ الله وحمايته لهذا الدين وعباده الصالحين :

إن قول رسول الله ﷺ: « **لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ** ». فيه بيان بأن الله قد تكفل بحفظ هذا الدين وأهله القائمين عليه، وأنه لا يضرهم أحد بخذلان أو مخالفة إلى يوم القيامة، يقول الإمام ابن أبي جمرة – رحمه الله -: (في هذا الحديث بشارة عظيمة وأي بشارة لمن أراد الخير وصدق فيه، لأنه عليه الصلاة والسلام قد أخبر أن هذه الأمة لا تزال أبداً على هذا الحال الذي أخبر به إلى يوم القيامة، فعلى هذا خيرهم متعدٍّ، لأنه لو كان غير متعدٍّ لانقطعت آثارهم، ولكنهم يخلفون جيلاً جيلاً) (٢) .

إذن فحفظ الله لهذا الدين إنما يكون لأهله الذين اعتصموا بالكتاب والسنة ودعوا لهما قولاً وعملاً، ولهذا ساق الإمام البخاري – رحمه الله – هذا الحديث في

---

(١) – انظر : بهجة النفوس، ١/١١٤، ١١٥ .

(٢) – المرجع السابق، ١/١١٧ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/٣٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/١٩٨ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/٥٢ .

كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة [١] ، لبيان أن الاعتصام بهما هو سبب البقاء والنصر من الله ﷻ .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحرص الشديد على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لا أقوال الرجال والمذاهب والأحزاب والجماعات .

سادساً - من معجزات رسول الله ﷺ إخباره بالمغيبات :

في هذا الحديث معجزة من معجزات رسول الله ﷺ وهو إخباره بالغيب الذي يراه جيل بعد جيل في تحقق ما قاله وأخبر به، يقول العلامة العيني - رحمه الله - عن هذا الحديث : (فيه إخباره عليه الصلاة والسلام بالمغيبات، وقد وقع ما أخبر به ولله الحمد، فلم تزل هذه الطائفة من زمنه وهلم جرا، ولا تزول حتى يأتي أمر الله تعالى) [٢] .

---

(١) - صحيح البخاري ، ١٨٩/٨ .

(٢) - عمدة القاري، ٥٢/٢ .

١٦ – باب الاغتباط في العلم والحكمة

٦٤ – ٧٣ – حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَلَى غَيْرِ مَا حَدَّثَنَاهُ الزُّهْرِيُّ قَالَ:سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَا للهِ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:« **لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ ا للهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ ا للهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[١].

شرح غريب الحديث :

« **لا حَسَدَ** » – الحسد هو : تمني زوال النعمة عن المنعم عليه، وخصه بعضهم أن يتمنى ذلك لنفسه، والحق أنه أعم . والحسد المذكور في الحديث هو: الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازاً، وهي : أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه [٢] .

« **الْحِكْمَةَ** » – كل ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح . ومنه حَكَمَة الدابة، لأنها تمنع الخلاف منها [٣] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : المنافسة على الخير والسعي إليه .

ثانياً – الترغيب في الإنفاق في سبيل ا لله ﷻ .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الزكاة، باب إنفاق المال في حقه، برقم١٤٠٩، ١٣٧/٢ . الثاني : في كتاب الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة، برقم ٧١٤١، ١٣٤/٨ . الثالث : في كتاب الاعتصام، باب ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله تعالى، برقم٧٣١٦، ١٩٠/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن، برقم٨١٦، ٥٥٩/١ .

(٢) – انظر:تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٣٤٩ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٠/١.

(٣) – انظر:تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٦٨ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠١/١.

ثالثاً – الحث والترغيب في العلم والحكمة والقضاء بها وتعليمها للناس.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : المنافسة على الخير والسعي إليه :

إن قول رسول الله ﷺ : « **لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ** : .. »، ثم ذكرهما، فيه دليل على أن تمني الإنسان بعض صفات الكمال وغبطة الآخرين على ما هم فيه ، والمنافسة على ذلك ، أمر ندب إليه الشارع الكريم، يقول العلامة العيني –رحمه الله-: (والحسد على ثلاثة أضرب: محرم،ومحمود،ومباح، فالمحرم: تمني زوال النعمة المحسود عليها وانتقالها إلى الحاسد. وأما القسمان الآخران فغبطة، وهو : أن يتمنى ما يراه من خير بأحد أن يكون له مثله،فإن كانت في أمور الدنيا فمباح،وإن كانت من الطاعات فمحمود)[١].

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، المنافسة على الخير والسعي إليه، وذلك بغبطة الآخرين على ما هم فيه من خير، مع السعي على تحصيله والعمل به ، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : الغبطة، هي أن يتمنى الإنسان أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه قول الله ﷻ : ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ [٢] . [٣]

ثانياً – الترغيب في الإنفاق في سبيل الله :

إن في هذا الحديث ترغيباً في الإنفاق في سبيل الله بجعله من الأمور التي يُغبط فاعله فيها، يقول بعض أهل العلم – رحمهم الله –: وفي الحديث التحريض والترغيب في طلب العلم وتعلمه، والتصدق بالمال، وفي الحديث من الفقه أن الغني إذا قام بشروط

---

(١) – عمدة القاري، ٥٨/٢ . وانظر : أعلام الحديث، للخطابي، ١٩٦/١ . وشرح السنة، للبغوي، ٢٩٩/١ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٩٧/٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠١/١ .

(٢) – سورة المطففين، الآية : ٢٦ .

(٣) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠١/١ .

المال وفعل فيه ما يرضي ربه ﷻ فهو أفضل من الفقير الذي لا يقدر على مثل هذا ولم يتمن أن يفعل مثله(١) .

إذن فليحرص الداعية إلى الله ﷻ ، على الإنفاق في سبيل الله، وترغيب المدعوين وتحريضهم على إنفاقه ليفوزوا بالأجر العظيم الذي يُغبطون عليه .

ثالثاً – الحث والترغيب في العلم والحكمة والقضاء بها وتعليمها للناس :

فكما أن الحديث فيه دلالة على الترغيب في الإنفاق في سبيل الله، فيه أيضاً حثٌّ وترغيب في العلم وتعليمه، والحكمة والقضاء بها بين الناس، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن حصر الرسول ﷺ الغبطة في المذكور في الحديث : ومعناه حصر المرتبة العليا من الغبطة في هاتين الخصلتين، فكأنه قال : هما آكد القربات التي يغبط بها، وليس المراد نفي أصل الغبطة مما سواهما، فيكون من مجاز التخصيص، أي لا غبطة كاملة التأكيد، لتأكيد أجر متعلقها إلا الغبطة بهاتين الخصلتين (٢) .

ويقول – رحمه الله – عن القضاء : (وفي الحديث الترغيب في ولاية القضاء لمن استجمع شروطه وقوى على أعمال الحق، ووجد له أعواناً لما فيه من الأمر بالمعروف، ونصر المظلوم، وأداء الحق لمستحقه، وكف يد الظالم، والإصلاح بين الناس، وكل ذلك من القربات، ولذلك تولاه الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء الراشدين) (٣) .

---

(١) – انظر :أعلام الحديث، للخطابي، ١٩٦/١ .وشرح السنة، للبغوي، ٢٩٩/١ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٩٧/٦ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٤٣/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠١/١. وعمدة القاري، للعيني، ٥٨/٢ .

(٢) – انظر : فتح الباري، ١٢٩/١٣ .

(٣) – المرجع السابق، ١٣ / ١٢٩ .

١٧ - باب ما ذكر في ذهاب موسى ﷺ في البحر إلى الخضر، وقول الله تعالى : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ (١) .

٦٥ - ٧٤ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غُرَيْرٍ الزُّهْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَهُ أَنَّ عُبَيْدَاللهِ بْنَ عَبْدِاللهِ أَخْبَرَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ (٢) ، فِي صَاحِبِ مُوسَى قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ خَضِرٌ . فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ (٣)، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ : إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ هَلْ

---

(١) - سورة الكهف، الآية : ٦٦ .

(٢) - هو : الحر بن قيس بن حصن الفزاري، هو ابن أخ عيينة بن حصن أحد الوافدين على رسول الله ﷺ . ذكره ابن السكن في الصحابة ﷺ، وكان عمر ﷺ يدنيه ومن خاصة جلسائه . (انظر : الإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ١٦٨٨، ٣٣٣/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٢/٢) .

(٣) - هو : أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، سيد القراء، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدري . شهد العقبة، وبدراً، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وعرض على النبي ﷺ، وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل ﷺ . حدث عنه بنوه محمد والطفيل، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وأنس، وأبوأدريس الخولاني، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وسعيد بن المسيب، وآخرون . روى البخاري - رحمه الله كتاب المناقب حديثاً برقم (٤٩٥٩) عن أنس ﷺ : قال النبي ﷺ لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » قال : الله سماني لك ؟ قال : « نعم » قال : وذكرت عند رب العالمين ؟ قال : « نعم » فذرفت عيناه . قال معمر : عامة علم ابن عباس ﷺ من ثلاثة : عمر، وعلي، وأبي ﷺ . وقال مسروق : سألت أبياً عن شيء، فقال : أكان بعد ؟ قلت : لا . قال : فاحمنا حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا . له من الحديث المسند مئة وأربعة وستون حديثاً، منها في البخاري ومسلم ثلاثة أحاديث، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة . توفي سنة اثنتين وعشرين وقيل ثلاثين، بالمدينة في خلافة عثمان ﷺ . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٨٩/١-٤٠٢ . والاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم ٦، ١٢٦/١ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ترجمة رقم٣٢، ٢٦/١ .)

سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ، يَذْكُرُ شَأْنَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ ا للهِ ﷺ، يَقُولُ :« **بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ، قَالَ : مُوسَى لا . فَأَوْحَى ا للهُ – عَجَلَّ – إِلَى مُوسَى : بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ . فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ ا للهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ : إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ** ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ (١)، ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (٢)، **فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ ا للهُ – عَجَلَّ – فِي كِتَابِهِ** » (٣) .

وفي رواية: عن(سَعِيدُ ابْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ(٤) يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى، لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ . فَقَالَ : كَذَبَ عَدُوُّ ا للهِ

---

(١) – سورة الكهف، الآية : ٦٣ .

(٢) – سورة الكهف، الآية : ٦٤ .

(٣) – أطرافه : الأول : في كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم، برقم٧٨، ٣٢/١ . الثاني : في كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، برقم ١٢٢، ٤٤/١،٤٥ . الثالث : في كتاب الإجارة، باب إذا استأجر أجيراً على أن يقيم حائطاً يريد أن ينقض، برقم ٢٢٦٧، ٦٧/٣ . الرابع : في كتاب الشروط، باب الشروط مع الناس بالقول، برقم٢٧٢٨، ٢٣٤/٣ . الخامس : في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم٣٢٧٨، ١١٠/٤ . السادس : في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، برقم ٣٤٠١، ١٥٣/٤. السابع : في كتاب التفسير، باب قوله تعالى : { وإذ قال موسى لفتاه } ، برقم٤٧٢٥، ٢٧٦/٥ . الثامن : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { فلما بلغا مجمع بينهما .. } ، برقم ٤٧٢٦، ٢٧٧/٥ . التاسع : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا .. } ، برقم ٤٧٢٧، ٢٧٩/٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، برقم٢٣٨٠، ١٨٤٧/٤ .

(٤) – هو : نوف البكالي نسبة إلى بكال ببطن من حمير، تابعي من أهل دمشق، فاضل عالم لا سيما بالإسرائليات، وكان ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل غير ذلك (انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٦٤/١) .

حدَّثَنَا أُبيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ : « قَامَ مُوسَى النَّبيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ . فَعَتَبَ ا لله عَلَيْهِ إِذْ لم يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى ا لله إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ . فَقِيلَ لَهُ : احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ . فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَحَمَلا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ، وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (١)، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (٢)، ولم يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ، حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : فَتَاهُ : ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ﴾ (٣) . قَالَ مُوسَى : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ : تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ : وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلامُ. فَقَالَ: أَنَا مُوسَى. فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا﴾ (٤)، قَالَ : ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٥)، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ ا لله عَلَّمَنِيهِ، لا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ، لا أَعْلَمُهُ. ﴿قَالَ

---

(١) - سورة الكهف، الآية : ٦١ .

(٢) - سورة الكهف، الآية : ٦٢ .

(٣) - سورة الكهف، الآية : ٦٣ .

(٤) - سورة الكهف، الآية : ٦٦ .

(٥) - سورة الكهف، الآية : ٦٧ .

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (١)، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً، أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ: الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ، إلا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا . ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾(٢)، فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ مُوسَى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ (٣)، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : وَهَذَا أَوْكَدُ، ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ، فَأَقَامَهُ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ (٤) . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا » (٥) .

وفي رواية: (.. فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ. قَالَ سَعِيدٌ بِيَدِهِ: هَكَذَا وَرَفَعَ

---

(١) - سورة الكهف، الآية : ٦٩ .

(٢) - سورة الكهف، الآية : ٧٣ .

(٣) - سورة الكهف، الآية : ٧٤ .

(٤) - سورة الكهف، الآية : ٧٨ .

(٥) كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، برقم ١٢٢، ١/٤٤،٤٥ .

يَدَيْهِ فَاسْتَقَامَ. قَالَ يَعْلَى: حَسِبْتُ أَنْ سَعِيدًا قَالَ: فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ ..) (١) .

وفي رواية: (.. **فَعَتَبَ ا لله عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ** – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ – **أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ قَالَ تَأْخُذُ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ وَرُبَّمَا قَالَ فَهُوَ ثَمَّهْ وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) فَأَمْسَكَ ا لله عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ** فَقَالَ : هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ ..) (٢) .

وفيها : (.. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ ا لله عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا** ». قَالَ سُفْيَانُ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « **يَرْحَمُ ا لله مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا**» . وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لِي سُفْيَانُ : سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ . قِيلَ لِسُفْيَانَ: حَفِظْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْ عَمْرٍو أَوْ تَحَفَّظْتَهُ مِنْ إِنْسَانٍ. فَقَالَ: مِمَّنْ أَتَحَفَّظُهُ وَرَوَاهُ أَحَدٌ عَنْ عَمْرٍو غَيْرِي؟ سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ)

وفي رواية: (.. عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: إِنَّا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ: سَلُونِي. قُلْتُ : أَيْ أَبَا عَبَّاسٍ جَعَلَنِي ا لله فِدَاءَكَ، بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ نَوْفٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . أَمَّا عَمْرٌو فَقَالَ لِي : قَالَ : قَدْ كَذَبَ عَدُوُّ ا لله. وَأَمَّا يَعْلَى فَقَالَ لِي : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ا لله ﷺ: « **مُوسَى رَسُولُ ا لله** عليه السلام، قَالَ : **ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتِ الْعُيُونُ وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ وَلَّى فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَيْ رَسُولَ ا لله هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ**

---

(١) كتاب الإجارة، باب إذا استأجر أجيراً على أن يقيم حائطاً يريد أن ينقض، برقم ٢٢٦٧، ٦٧/٣ .

(٢) كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، برقم ٣٤٠١، ١٥٣/٤.

مِنْكَ قَالَ: لا . فَعَتَبَ عَلَيْهِ إِذْ لم يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللهِ ..) [١] .

وفيها : (.. قَالَ : « خُذْ نُونًا مَيِّتًا حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، فَقَالَ لِفَتَاهُ: لا أُكَلِّفُكَ إلا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ، قَالَ: مَا كَلَّفْتَ كَثِيرًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ ﴾ ، يُوشَعَ ابْنِ نُونٍ – لَيْسَتْ عَنْ سَعِيدٍ – قَالَ : فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرْيَانَ، إِذْ تَضَرَّبَ الْحُوتُ، وَمُوسَى نَائِمٌ، فَقَالَ: فَتَاهُ لا أُوقِظُهُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ، وَتَضَرَّبَ الْحُوتُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ، فَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ – قَالَ لِي عَمْرٌو: هَكَذَا كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ –وَحَلَّقَ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِ وَاللَّتَيْنِ تَلِيَانِهِمَا– ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ قَالَ : قَدْ قَطَعَ اللهُ عَنْكَ النَّصَبَ – لَيْسَتْ هَذِهِ عَنْ سَعِيدٍ أَخْبَرَهُ – فَرَجَعَا فَوَجَدَا خَضِرًا – قَالَ لِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ عَلَى طِنْفِسَةٍ خَضْرَاءَ عَلَى كَبِدِ الْبَحْرِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ – مُسَجًّى بِثَوْبِهِ قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: هَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلامٍ، مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا شَأْنُكَ. قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا . قَالَ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ، فَأَخَذَ طَائِرٌ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، وَقَالَ: وَاللهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللهِ إلا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ، وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ، إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ الْآخَرِ، عَرَفُوهُ ..) .

وفي رواية: (.. وَفِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا الْحَيَاةُ لَا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ فَأَصَابَ الْحُوتَ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ قَالَ فَتَحَرَّكَ وَانْسَلَّ مِنَ الْمِكْتَلِ

---

(١) كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { فلما بلغا مجمع بينهما .. } ، برقم ٤٧٢٦، ٥/٢٧٧ .

فَدَخَلَ الْبَحْرَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مُوسَى قَالَ لِفَتَاهُ ...) [(١)] .

شرح غريب الحديث :

(تَمَارَى) – أي تجادل [(٢)] .

« خَضِرٌ » – هو نبي من أنبياء الله قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: ومن أوضح ما يستدل به على نبوة الخضر قوله ﷻ: ﴿وما فعلته عن أمري﴾، وينبغي اعتقاد كونه نبياً لئلا يتذرع أهل الباطل في دعواهم أن الولي أفضل من النبي، حاشا وكلا . وسمي الخضر بذلك، لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء، والمراد بالفروة وجه الأرض[(٣)].

« بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ » – أي ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق . وحكى الثعالبي عن أبي بن كعب ﷺ أنه بأفريقيا، وقيل طنجة [(٤)] .

« مِكْتَلٍ » – المكتل بكسر الميم : الزنبيل، وهو القفة [(٥)] .

« نُونًا » – أي حوتاً [(٦)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أسلوب المناظرة في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – أهمية سؤال أهل العلم، والرد إلى كتاب الله ورسوله .

---

(١) كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا .. } ، برقم ٤٧٢٧، ٢٧٩/٥.

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٢/٢ .

(٣) – انظر : فتح الباري، ٢٦٥/١ و ٢٧٠/٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٦/٢ .

(٤) – انظر: إكمال إكمال المعلم،للأبي، ١٤٤/٨. ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٤٤/٨. عمدة القاري، للعيني، ١٩٤/٢ .

(٥) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٤٧/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٤٧/٨ .

(٦) – النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب النون مع الواو، ١٣١/٥ .

ثالثاً – جواز المبالغة في الإنكار للمصلحة.

رابعاً – من صفات الداعية : التواضع .

خامساً – الحرص على طلب العلم بالرحلة إليه وتحمل المشاق في طلبه .

سادساً – من صفات الداعية : الإيمان بقضاء ا لله وقدره .

سابعاً – الشرع حجة على العقول، لا العكس .

ثامناً – من وسائل الدعوة إلى ا لله : إكرام الضيف .

تاسعاً – من أساليب الأنبياء في الدعوة إلى ا لله : الوعظ في الخطبة.

عاشراً – من وسائل الدعوة : استخدام اليدين .

الحادي عشر – بذل الوسائل والأسباب من كمال الإيمان .

الثاني عشر – أهمية أسلوب ضرب المثل في الدعوة إلى ا لله ﷻ .

الثالث عشر – استخدام (لو) في التعليم .

الرابع عشر – من فقه الإنكار : دفع أغلظ الضررين بأخفهما .

الخامس عشر – من صفات الداعية : حسن الأدب مع ا لله في الألفاظ .

السادس عشر – أهمية الخبرة للداعية إلى ا لله ﷻ .

السابع عشر – من صفات الداعية : التأني والتثبت .

الثامن عشر – درجات تأديب طالب العلم عندما يخطئ .

التاسع عشر – أهمية مراعاة آداب طلب العلم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أسلوب المناظرة في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن قول ابن عباس لأبي بن كعب رضي الله عنهم : (إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَـذَا فِـي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ ..)، تؤخذ منه فائدة دعوية ، وهي : جواز الجدال في العلم إذا كان القصد والهدف : الوصول إلى الحق من غير تعنت، يقول بعض

العلماء – رحمهم ا لله – : وفي الحديث جواز التجادل في العلم إذا كان كل واحد يطلب الحقيقة و لم يكن متعنتاً (١) .

وهذا الذي ينبغي أن يكون بين الدعاة إلى ا لله إذا حدث الجدال بينهم، أن يبتعدوا عن التعنت، وأن يكون هدفهم الوصول إلى الحق .

ثانياً – أهمية سؤال أهل العلم، والرد إلى كتاب الله ورسوله :

إن فعل ابن عباس مع أبي ابن كعب ﷺ وقوله : إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ، يَذْكُرُ شَأْنَهُ ؟ فيه درس للدعاة إلى ا لله عند التنازع والاختلاف بأن الذي يجب في هذه الحالة الرد إلى كتاب ا لله وسنة رسوله ﷺ، وسؤال أهل العلم في ذلك، يقول بعض أهل العلم – رحمهم ا لله – : إن في هذا الحديث دليلاً على أن الذي يجب عند التنازع : الرجوع إلى قول أهل العلم (٢) . فابن عباس رضي الله عنهما، ردّ العلم إلى أهله وذلك بسؤاله أبي ابن كعب، مع التأكيد على أن المطلوب هو نص من سنة رسول ا لله ﷺ .

ثالثاً – مشروعية المبالغة في الإنكار للمصلحة :

في هذا الحديث عندما ذكر لابن عباس رضي الله عنهما، قول نوف البكالي، في موسى الذي قصَّ ا لله علينا قصته مع الخضر عليهما الصلاة والسلام ، قَالَ رضي الله عنه : (كَذَبَ عَدُوُّ ا لله ..)، وهذه الكلمة فيها شدةٌ ومبالغةٌ في الإنكار، للزجر عن مثل هذا القول، يقول الإمام النووي – رحمه ا لله – عن ذلك : (قال العلماء : هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله،لا أنه يعتقد أنه عدو ا لله حقيقة،إنما قاله مبالغة في إنكار قوله، لمخالفته قول رسول ا لله ﷺ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره،

---

(١) – الكواكب الدراري، للكرماني، ٤٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٤/٢ .

(٢) – الكواكب الدراري، للكرماني، ٤٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٤/٢ .

وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها والله أعلم)[١] .

هذا من جانب ومن جانب آخر هناك إغلاظٌ من موسى على الخضر – عليهما الصلاة والسلام – في إنكاره عليه لما قتل الغلام، يقول الإمام الأبي – رحمه الله – : (قوله : ﴿ لقد جئت شيئاً نكراً ﴾، النكر أشد النكر وأفحشه قاله قتادة، وفيه الإغلاظ على من فعل المنكر الشديد)[٢] .

فمن هنا يشرع للداعية إلى الله إذا رأى منكراً عظيماً، ورأى أن الحكمة في المبالغة في إنكاره، أن يفعل ذلك لبيان شدة المنكر وللزجر والنهي عنه .

رابعاً – من صفات الداعية : التواضع :

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله ﷻ ، والتي يؤكدها هذا الحديث : التواضع ، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن هذا الحديث يدل على لزوم التواضع في كل حال، ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر عليهما السلام وطلب التعلم منه مع فضله عليه، تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبيهاً لمن زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع[٣] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله التواضع بردِّ العلم إلى أهله، ودائماً قول : والله أعلم. حتى ولو أجاب وذكر ما يعرف، وينبغي له أن لا يأنف من طلب العلم عند من هو أقل منه شأناً أو مكانة إذا احتاج لذلك .

خامساً – الحرص على طلب العلم بالرحلة إليه وتحمل المشاق في طلبه :

إن في قصة موسى ﷺ وخروجه وسفره لطلب العلم، درساً لطلبة العلم والدعاة

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣٧/١٥ . وانظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٤٣/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٤٣/٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٣/٢ .

(٢) – إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٥٤/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٥٤/٨ .

(٣) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤٧/١٥ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٦٦/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٦٦/٨ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٤٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٤/٢، ٦٥ .

إلى الله، في الحرص على العلم، وذلك بالرحلة إليه وتحمل المشاق في طلبه وتحصيله، يقول بعض أهل العلم في شرحهم لهذا الحديث : ينبغي للعالم الرغبة في التزود من العلم والحرص عليه، وأن لا يقنع بما هو عنده كما لم يكتف موسى ﷺ بعلمه بل سأل ربه السبيل إلى لقاء الخضر ﷺ، ومن ذلك يستحب الرحلة في طلب العلم، ويستحب الإكثار منه، ويستحب للعالم وإن كان من العلم بمحل عظيم أن يأخذه ممن هو أعلم منه، ويسعى إليه (١) .

ولهذا الحديث ساق الإمام البخاري – رحمه الله – باباً قال فيه : باب الخروج في طلب العلم، ثم قال : ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد (٢) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، الحرص على طلب العلم ، والسفر إليه إذا احتاج لذلك، والشوق له وتحمل الصعاب والمشاق في سبيل تحصيله .

سادساً – من صفات الداعية : الإيمان بقضاء الله وقدره :

إن في هذا الحديث بياناً لما يجب أن يكون عليه الإنسان المسلم فضلاً عن الداعية إلى الله، من التسليم والإيمان بقضاء الله وقدره، يقول الإمام النووي – رحمه الله –: وفي هذا الحديث (بيان أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول، ولا يفهمه أكثر الناس، وقد لا يفهمونه كلهم، كالقدر، موضع الدلالة قتل الغلام وخرق السفينة، فإن صورتهما صورة المنكر، وكان صحيحاً في نفس الأمر، له حِكم بينة، لكنها لا تظهر للخلق، فإذا أعلمهم الله تعالى بها علموها، ولهذا قال : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾ يعني بل بأمر الله

---

(١) – انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١١/١١ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٣٧/١٥. والكواكب الدراري، للكرماني، ٤٧/٢،١٤٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٤/١،٢٠٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٥/٢،١٩٥.

(٢) – الجامع الصحيح، ٣٢/١ .

تعالى) [١] .

لذا يجب على الداعية إلى الله أن لا يقنط ولا يجزع ولا ييأس من قضاء الله وقدره، وخاصة إذا وقع الابتلاء له في نفسه وفي دعوته، فالخير كل الخير فيما اختاره الله لعباده المؤمنين .

سابعاً - الشرع حجة على العقول، لا العكس :

إن فيما جرى بين موسى والخضر - عليهما الصلاة والسلام - من أحداث ووقائع مشروعة تنكرها العقول ولا تقبل بها في الظاهر ، دليلاً على أن الشرع هو الحجة على العقل، لا العقل هو الحجة على الشرع، وأن التحسين والتقبيح إنما يكون بما لا يخالف الشرع ، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن هذا الحديث فيه بيان لأصل، وهو ما تعبد الله تعالى به خلقه من شريعته يجب أن يكون حجة على العقول، ولا تكون العقول حجة عليه، ألا ترى أن إنكار موسى ﷺ كان صواباً في الظاهر، وكان غير ملوم فيه، فلما بين له الخضر ﷺ وجه ذلك صار الصواب الذي ظهر لموسى ﷺ خطأً، والخطأ الذي ظهر له من فعل الخضر ﷺ صواباً، وهذه حجة قاطعة في أنه يجب التسليم لله تعالى في دينه، ولرسوله في سنته، واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة فيه [٢] .

فمن هنا يجب على الدعاة إلى الله تعالى، حثُّ الناس على الرضا بشرع الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة الثابتة، والدعوة إليهما وبيان الحكمة إن ظهرت له فيهما، ولا ينبغي له أن يردهما أو يؤولهما إذا تعارضت مع عقله أو عقل غيره من الناس، بل يتهم عقله وعقل غيره، وأنها قصرت عن إدراك الحكمة فيهما .

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/١٤٧ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٤٦ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٩٧ .

(٢) - انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٨/١٦٥ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٨/١٦٥ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٤٦ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٩٦ .

ثامناً - من وسائل الدعوة إلى الله : إكرام الضيف :

إن إكرام الداعية إلى الله للضيف سبب لكسب قلبه ووده، فهذا موسى ﷺ في هذا الحديث لما استطعما أهل القرية و لم يضيفوهما، قال للخضر ﷺ من باب اللوم له والغضب على أهل القرية : ﴿ لو شئت لتخذت عليه أجراً ﴾، أي كان في مكنتك أن تجعل لنفسك أجراً على إقامة الجدار تأخذه ممن يملكه من أهل القرية، ولا تقيمه مجاناً لأنهم لم يقوموا بحق الضيافة (١) .

إذن فالضيافة وإكرام الضيف من الوسائل الدعوية التي ينبغي أن يستخدمها الداعية مع المدعوين لكسب قلوبهم، وطرد ما قد يوجد في قلوبهم لو لم يقم بحق الضيافة لهم من إكرام ولطف وبشاشة .

تاسعاً - من أساليب الأنبياء في الدعوة إلى الله : الوعظ. في الخطبة :

لقد قام موسى ﷺ في هذا الحديث خطيباً على قومه يعظهم ويذكرهم بالله حيث جاء في الحديث، أن رسول الله ﷺ قال : « **ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتِ الْعُيُونُ وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ** .. »، ومن هذا الحديث يُعرف أن الوعظ من أساليب الأنبياء مع أقوامهم **يخطبون به** ليرققون القلوب ويرغبونهم فيما عند الله، ويخوفونهم من عذاب الله وعقابه .

ولذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى ، أن لايغفلوا عن هذا الأسلوب الدعوي المهم، فالإنسان له عواطف ومشاعر وأحاسيس ينبغي أن تُحرك وتوظف للتأثير عليه ، وكسب قلبه ووده ، ومن هذا الحديث ننبه على أن الواعظ متى ما رأى أن القلوب رقت والعيون ذرفت يختصر حديثه ويختمه ، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله - : (فيه أن الواعظ إذا أثر وعظه في السامعين، فخشعوا وبكوا ينبغي أن يخفف لئلا

(١) - انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٥/١١ . وتفسير التحرير والتوير، لابن عاشور، ٩/١٦.

يملوا) (١) . وهذا هو معنى قول ابن مسعود رضي الله عنه : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا (٢) .

عاشراً - من وسائل الدعوة : استخدام اليدين :

إن في هذا الحديث استخدام لليد في الشرح والتوضيح، فهذا عَمْرٌو - رحمه الله - يقول في وصف الأثر على الحجر : هَكَذَا كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ، وَحَلَّقَ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِ وَاللَّتَيْنِ تَلِيَانِهِمَا)، وكذلك في وصف بناء الجدار وإقامته، قَالَ سَعِيدٌ - رحمه الله - بِيَدِهِ : هَكَذَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَاسْتَقَامَ ..)، وهذا من سلفنا الصالح من باب استخدام اليدين للتوضيح والبيان والشرح لبعض الأعمال أو الأوصاف، فلذا ينبغي للداعية إلى الله سبحانه وتعالى ، أن لا يغفل عن استخدام اليدين وبعض الحركات التي تساعد المدعوين في إدراك بعض مايقوله أو يصفه .

الحادي عشر - بذل الوسائل والأسباب من كمال الإيمان :

في هذا الحديث بيان لحقيقة التوكل على الله، وأن بذل الأسباب من كمال الإيمان والتوكل على الله، فموسى ﷺ لما أراد السفر حمل معه الماء والزاد، وعن هذا يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن اتخاذ موسى ﷺ ، الزاد في سفره ، فيه دليل على مشروعية حمل الزاد في السفر، وفيه ردٌّ على الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون الصحاري القفار، من غير ماء ولا زاد، زعماً منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، وهذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد (٣) .

---

(١) - فتح الباري، ٢٦٦/٨ .

(٢) - انظر : ص٣٩٣ من هذا البحث .

(٣) - انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٣/١١ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٤٧/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٤٧/٨ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٤٧/٢، ١٤٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/ ٦٥، ١٩٥ .

إذن فعلى الدعاة التوكل على الله ﷻ، وبذل الأسباب والوسائل المعينة لهم على تحقيق أهدافهم، وأن هذا من كمال إيمانهم وتوكلهم على الله ﷻ .

الثاني عشر – أهمية أسلوب ضرب المثل في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن في قول الخضر لموسى – عليهما الصلاة والسلام – : « .. **وَاللهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللهِ إلا كَمَا أَخَذَ هَـذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ** .. »، ضرباً للمثل لأجل تقريب الصورة والمعنى للفهم، يقول الإمام القرطبي –رحمه الله–: (وهذا من الخضر تمثيل، أي معلوماتي ومعلوماتك لا أثر لها في علم الله، كما أن ما أخذ هذا العصفور من هذا البحر، لا أثر له بالنسبة إلى ماء البحر، وإنما مثل له ذلك بالبحر لأنه أكثر ما يشاهده مما بين أيدينا، وإطلاق لفظ النقص هنا تجوزٌ قصد به التمثيل والتفهيم، إذ لا نقص في علم الله، ولا نهاية لمعلوماته)(١) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، الحرص على استخدام هذا الأسلوب في دعوته للناس، بأن يُقرب الموضوعات التي يطرقها بتشبيهها ببعض الصور من الواقع الملموس، والأمثلة من الحياة اليومية، لتكون أقرب لأذهانهم، وأقوى في التأثير فيهم .

الثالث عشر – استخدام (لو) في التعليم :

وردت نصوص تنهى عن استخدام كلمة : (لو)، منها قول الله ﷻ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ (٢) . وقوله ﷺ: « **وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**

---

(١) – الجامع لأحكام القرآن، ١٩/١١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤١/١٥ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٦/٢.

(٢) – سورة آل عمران، الآية : ١٥٦ .

فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » (١) .

وفي هذا الحديث استعمل رسول الله ﷺ كلمة (لو) عندما قال : « **يَرْحَمُ الله مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا** »، وفي الجمع بين النهي عن استعمالها، واستعمال رسول الله ﷺ لها في هذا الحديث وغيره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : كلمة (لو) تستعمل على وجهين : **أحدهما** : على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور فهذا هو الذي نهى الله عنه .

والوجه الثاني : أن يقال : (لو) لبيان علم نافع، كقوله ﷻ : ﴿ لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (٢)، ولبيان محبة الخير وإرادته، كقول الإنسان: لو أن لي مثل ما لفلان لعملت مثل ما يعمل، ونحوه جائز. وقول النبي ﷺ: « **وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ الله عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا**» و قوله: « **يَرْحَمُ الله مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا** » هو من هذا الباب، فإن نبينا ﷺ أحب أن يقص الله خبرهما، ولم يكن في ذلك جزع ولا حزن ولا ترك لما يُحب من الصبر على المقدور (٣) .

إذن فاستخدام الداعية لمثل هذه الكلمة، جائز، إذا كان القصد منها التعليم والبيان ، وتمني الخير .

الرابع عشر – من فقه الإنكار : دفع أغلظ الضررين بأخفهما :

إن من فقه الإنكار الذي يستفاد من هذا الحديث ، من خرق السفية ، وقتل الغلام : دفع أغلظ الضررين بأخفهما ، يقول بعض العلماء –رحمهم الله–: استدل بهذا الحديث على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما،والإغضاء على بعض المنكرات مخافة

---

(١) – صحيح الإمام مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، برقم٢٦٦٤، ٢٠٥٢/٤ .

(٢) – سورة الأنبياء، الآية : ٢٢ .

(٣) – الفتاوى، ٣٤٨/١٨، بدون تاريخ ورقم الطبعة، طبع مكتبة المعارف، الرباط، المغرب .

أن يتولد منه ما هو أشد، وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه، كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز،لكن يُعمل بهذه القاعدة فيما لا يعارض منصوص الشرع، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفساً كثيرة قبل أن يتعاطى شيئاً من ذلك، وإنما فعل الخضر ذلك لاطلاع الله تعالى عليه (١) .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، استصحاب هذه القاعدة معهم في الدعوة إلى الله ﷻ ، وفي إنكار المنكرات، لتحقيق النتائج الطيبة والأهداف المحددة، ولكن بشرط أن لا يعارض ذلك النصوص الشرعية الثابتة .

الخامس عشر – من صفات الداعية : حسن الأدب مع الله :

إن مما يستفاد من هذا الحديث، حسن الأدب مع الله ﷻ، وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه وإن كان الكل بتقديره وخلقه، لقول الخضر ﷺ عن السفينة : ﴿ **فأردت أن أعيبها** ﴾ ، فنسبه لنفسه ، لأنه عيب وضرر ، وقال عن الجدار : ﴿ **فأراد ربك** ﴾، فنسبه إلى الله ﷻ ، وذلك لأنه بناء وزيادة في الخير (٢). ومثل هذا قوله ﷺ: « **والخير كله بيديك، والشر ليس إليك** » (٣).

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، الحرص الشديد على التأدب في الألفاظ وخاصة عندما ينسب الكلام إلى الله ﷻ .

السادس عشر – أهمية الخبرة للداعية :

إن أهمية الخبرة في الدعوة إلى الله تبرز في أن الداعية الخبير بالأمور يصبر ولا

---

(١) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/١٤٤ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٤٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٨/٢٧٥ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٩٥ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٨/٢٧٦ .

(٣) – جزء من حديث رواه الإمام مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١، ١/٥٣٤ .

يقنط أو يستعجل أو يستغرب مما لا خبرة له فيه، ولذا قال الخضر لموسى - عليهما الصلاة والسلام - : ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾(١). يقول العلامة ابن سعدي -رحمه الله-:(إن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علماً وخبرة بذلك الأمر، الذي أمر بالصبر عليه . وإلا فالذي لا يدريه، أو لا يدري غايته ، ولا نتيجته ، ولا فائدته وثمرته ، ليس عنده سبب الصبر) (٢) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على الإحاطة خبراً بقضايا الدعوة وأحوال المدعوين، وحاجاتهم وغير ذلك من الأمور التي تُعين على الصبر في الدعوة .

السابع عشر - من صفات الداعية : التاني والتثبت :

إن من الدروس التي تستفاد مما جرى بين موسى والخضر - عليهما الصلاة والسلام - ضرورة التأني في الأمور والتثبت منها قبل صدور ردّ الفعل أو الحكم عليها، يقول العلامة ابن سعدي - رحمه الله - إن قصة موسى مع الخضر - عليهما الصلاة والسلام - فيها : (الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء حتى يعرف ما يراد منه، وما هو المقصود) (٣) .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله عدم الاستعجال في الأمور والحكم عليها، إلا بعد التأني فيها والتثبت منها .

الثامن عشر - درجات تأديب طالب العلم عندما يخطئ :

إن من الدروس التي تستفاد مما جرى بين موسى والخضر - عليهما الصلاة والسلام - واعتراضه عليه ثلاث مرات، أن العالم عندم يخطئ الطالب في المرة **الأولى** يغضي عنه، وفي **الثانية** : يُزجر ويغلظ عليه في القول، وإن عاد في **الثالثة** : عوقب

---

(١) - سورة الكهف، الآيتان : ٦٧، ٦٨ .

(٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٧٨/٣ .

(٣) - المرجع السابق، ١٧٨/٣ . وانظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٨/١١ .

بالهجر والإبعاد (١) .

وعلى هذا يسير الداعية إلى الله ﷻ ، في تربيته لطلابه ومن يحضر دروسه عندما يقع الخطأ منه ويتكرر .

التاسع عشر – أهمية مراعاة آداب طلب العلم :

إن في هذا الحديث مجموعة من آداب طلب العلم تُستفاد مما جرى بين موسى والخضر – عليهما الصلاة والسلام – منها :

١ – التلطف في السؤال للعالم : فقول موسى ﷺ : ﴿ هل أتبعك ﴾ ، سؤال ملاطفة، أي هل يمكن أن أكون معك حتى أتعلم، فالتلطف في السؤال للعالم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه من أنفع شيء للمتعلم (٢)

٢ – إضافة العلم وغيره من الفضائل لله ﷻ، والإقرار بذلك، وشكر الله ﷻ عليها لقوله : ﴿ على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾، أي مما علمك الله تعالى (٣) .

٣ – الصبر على صحبة العالم ، وحسن الثبات في ذلك، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لاعتذار الخضر لموسى -عليهما الصلاة والسلام- بذكر المانع له في الأخذ عنه : أنه لا يصبر معه (٤) .

---

(١) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٥٤/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٥٤/٨ .

(٢) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٥١/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٥١/٨ . وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٧٧/٣ .

(٣) – انظر : المرجع السابق، ١٧٧/٣ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ١٧٨/٣ .

١٨ - باب قول النبي ﷺ « اللهم علمه الكتاب »

٦٦ - ٧٥ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَارِثِ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ : « **اللهمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ** » (١).

وفي رواية: (.. أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ الْخَلاءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا. قَالَ: « **مَنْ وَضَعَ هَذَا** » . فَأُخْبِرَ فَقَالَ : « **اللهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** » (٢) .

وفي رواية: (.. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ، إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : « **اللهمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ** » (٣) .

شرح غريب الحديث :

(الْخَلاءَ) - بفتح الخاء وبالمد، موضع قضاء الحاجة، سمي بذلك لخلائه في غير أوقات الحاجة، وهو الكنيف، والحش، والمرفق، والمرحاض، وأصله المكان الخالي، ثم كثراستعماله حتى تجوز به عن ذلك (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، برقم ١٤٣، ١/٥١ . الثاني : في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، برقم ٣٧٥٦، ٤/٢٦٢ . الثالث: في كتاب الاعتصام، بدون باب، برقم٧٢٧٠، ٨/١٧٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما، برقم٢٤٧٧، ٤/١٩٢٧ .

(٢) – كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، برقم ١٤٣، ١/٥١ .

(٣) – كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، برقم ٣٧٥٦، ٤/٢٦٢ .

(٤) – عمدة القاري، للعيني، ٢/٢٦٩ .

أولاً – من أصناف المدعوين : صغار السن .

ثانياً – مبادرة الصحابة ﷺ إلى خدمة النبي ﷺ .

ثالثاً – من أساليب الدعوة إلى الله : التودّد والملاطفة للمدعوين .

رابعاً – من أساليب الدعوة إلى الله : الدعاء للمدعوين .

خامساً – أهمية الفقه في الدين وتعلم القرآن .

سادساً – بركة دعاء النبي ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين : صغار السن :

كان رسول الله ﷺ في دعوته للناس يخاطب الجميع ويتوجه لهم بالدعوة من غير استثناء لأحد منهم، الصغير والكبير، الغني والفقير، الأمير والحقير، الحضر والأعراب، وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ﴾[1]، وفي هذا الحديث نجده ﷺ يخاطب ابن عباس رضي الله عنهما، وهو صغير السن فيضمه ويدعو له، وهذا من التشجيع له على فعله وإحضاره ماء الوضوء، يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: (وكان ابن عباس إذ ذاك غلاماً مميزاً) [2] .

ولذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى الاهتمام بصغار السن في دعوته، وخاصة القريب المميز منهم ، فهم يتأثرون بطيب الخلق والإحسان إليهم والدعاء لهم والثناء عليهم .

ثانياً – مبادرة الصحابة ﷺ إلى خدمة النبي ﷺ :

إن في فعل ابن عباس رضي الله عنهما ،بياناً لما كان عليه الصحابة ﷺ في الحرص والمبادرة إلى خدمة النبي ﷺ، فهو في هذا الحديث يضع الماء للرسول ﷺ دون أن

---

(١) – سورة سبإ، الآية : ٢٨ .

(٢) – فتح الباري، ١/٢٠٤ .

يطلب هو منه ذلك، فلذا قال ﷺ : « مَنْ وَضَعَ هَذَا »، وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ كلهم يتسابقون على خدمته وذلك من شدة محبتهم له .

فإذا كان رسول ﷺ قد توفاه الله ﷻ ، فإن سنته ما زالت محفوظة قائمة، فمن أراد من الدعاة إلى الله تعالى، الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في محبتهم له وخدمته، فليعمل على خدمة سنته ونشرها وبيانها للناس وحفظها قولاً وعملاً .

ومما يدخل في ذلك خدمة العلماء ، ورثة رسول الله ﷺ ، وحملة سنته ، يقول العلامة العيني – رحمه الله – عند شرحه لهذا الحديث : ويُستنط منه (جواز خدمة العالم بغير أمره ومراعاته حتى حال دخوله الخلاء) (١) .

ثالثاً – من أساليب الدعوة إلى الله : التودّد والملاطفة للمدعوين :

إن في ضمِّ رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما، بياناً لأسلوب نبوي في التربية والتعليم، إنه أسلوب التودد والملاطفة، هكذا : (ضمني رسول الله ﷺ) . يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن هذا الفعل : (فيستفاد منه جواز احتضان الصبي القريب على سبيل الشفقة) (٢) .

إن هذا الأسلوب لا يستطيعه إلا من تواضع لله ﷻ، ورسول الله ﷺ، كان المثل الأول في التواضع لله مع الناس جميعاً، وفعل رسول الله ﷺ هذا هو تربية على التواضع، ودعوة إليه بالقدوة الحسنة، إنه تعليم منه ﷺ بسلوكه إلى الأسلوب الأمثل في تأليف القلوب، وتنشئتها على الحب وعلى الإقبال على الداعية ودعوته (٣).

رابعاً – من أساليب الدعوة إلى الله : الدعاء للمدعوين :

إن من الأساليب الدعوية المهمة التي تستفاد من هذا الحديث : الدعاء للمدعو،

---

(١) – عمدة القاري، ٢/٣٧٤ .

(٢) – فتح الباري، ١/٢٠٤ .

(٣) – انظر : دعوة إلى السنة، للدكتور / عبدالله الرحيلي، ص٨٩، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ط دار القلم، بيروت .

يقول كثير من العلماء – رحمهم الله – في شرحهم لهذا الحديث : فيه استحباب الدعاء لمن عمل عملاً خيّراً مع الإنسان (١) .

إذن فالدعاء للمدعو أسلوب من أساليب الدعوة تتمثل فيه كثير من المعاني :

ففيه سؤال الله ﷻ أن يوفق المدعو لما تريد، ولما تطلبه منه، وترشده إليه، والله ﷻ هو القادر على ذلك المعين الموفق له .

وفي الدعاء معنى تربوي، هو توجيه المدعوِ له – بطريق القدوة الحسنة – إلى التوجه إلى الله ﷻ ودعائه، وعدم الاتكال على الجهد والسبب من دونه ﷻ .

وفي الدعاء لفت لنظر المدعوِ له – من خلال عبارات الدعاء – إلى ما ينبغي أن يهتم به كالعلم بالكتاب، والفقه في الدين مثلاً (٢) .

خامساً – أهمية الفقه في الدين وتعلم القرآن :

في هذا الحديث ومن دعاء الرسول ﷺ يظهر لنا أهمية الفقه في دين الله، وتعلم الكتاب، حيث أنه ﷺ دعا به لمن يحب، يقول بعض العلماء – رحمهم الله –: إن الحديث فيه بيان لفضل الفقه في الدين،والحض على تعلم القرآن والفهم فيه،وأن ذلك هو الحكمة (٣) . يقول الله تعالى : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً ﴾ (٤) .

سادساً – بركة دعاء النبي ﷺ :

إن دعاء النبي ﷺ في هذا الحديث لابن عباس رضي الله عنهما، ظهرت بركته عليه بنبوغه في العلم وتفوقه على أقرانه، يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – عن هذا الحديث :

---

(١) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٧/١٦ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٨٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٩٥/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٧/٢، ٢٧٤ .

(٢) – انظر : دعوة إلى السنة، للدكتور / عبدالله الرحيلي، ص٩٠ .

(٣) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٧/١٦ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٤٩/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٤/١، ٢٠٥ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٧/٢، ٢٧٤ .

(٤) – سورة البقرة، الآية : ٢٦٩ .

(فيه دليل قاطع على إجابة دعاء الرسول ﷺ، لأنه صار فقيهاً وأي فقيه ﷺ) [١] . ويقول العلامة العيني – رحمه الله –: و (فيه بركة دعائه عليه الصلاة والسلام وإجابته) [٢].

---

(١) – الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٨٦. وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/٣٧ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٢٩٥ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/٢٧٤ .

(٢) – عمدة القاري، ٢/٦٧ .

١٩ – باب متى يصح سماع الصغير ؟

٦٧ – ٧٦ – حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، يُصَلِّي بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ، وَأَرْسَلْتُ الأَتَانَ تَرْتَعُ، فَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ عَلَيَّ [١] .

وفي رواية : (.. أَنَّ عَبْدَا اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلْتُ – وَقَدْ نَاهَزْتُ الْحُلُمَ– أَسِيرُ عَلَى أَتَانٍ لِي، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، قَائِمٌ يُصَلِّي بِمِنًى حَتَّى سِرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ نَزَلْتُ عَنْهَا، فَرَتَعَتْ فَصَفَفْتُ مَعَ النَّاسِ وَرَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ : بِمِنًى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ) [٢] .

شرح غريب الحديث :

(أَتَانٍ) – هي الأنثى من الحمير [٣] .

(نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ) – أي قاربت من البلوغ الشرعي [٤] .

(تَرْتَعُ) – أي تأكل ما تشاء [٥] .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الصلاة، باب سترة الإمام سترة من خلفه، برقم٤٩٣، ١٤٣،١ . الثاني: في كتاب الأذان، باب وضوء الصبيان، برقم٨٦١، ٢٣٤/١ . الثالث : في كتاب جزاء الصيد، باب حج الصبيان، برقم ١٨٥٧، ٢٦٦/٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، برقم ٥٠٤، ٣٦١/١ .

(٢) كتاب جزاء الصيد، باب حج الصبيان، برقم ١٨٥٧، ٢٦٦/٢ .

(٣) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٨/٢ .

(٤) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٩/٢ .

(٥) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٩/٢ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من وسائل دعوة صغار السن السماح لهم بارتياد أماكن العبادة .

ثانياً – أهمية المبادرة إلى إنكار المنكر فور وقوعه .

ثالثاً – من فقه الدعوة : احتمال بعض المفاسد لمصلحة راجحة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من وسائل دعوة صغار السن السماح لهم بارتياد أماكن العبادة :

إن في هذا الحديث بياناً لما كان الصحابة ﷺ يفعلونه مع أبنائهم لتربيتهم على الطاعة والعبادة، وذلك بالسماح لهم بارتياد أماكن العبادة، ليتعودوا عليها ويألفوها ، فهذا ابن عباس ﷺما وهو لم يناهز الاحتلام، يذهب مع والده إلى الحج، ويتركه يذهب إلى المسجد لأداء الصلاة، ولم ينكر ذلك عليه رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من أصحابه، وهذا من باب تعويدهم على الصلاة وأداء العبادات، بأخذهم إلى أماكن العبادة، لأن الصبي وخاصة إذا ناهز الاحتلام يعي الأمور ويحفظها، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : وفي هذا الحديث جواز سماع الصغير وضبطه السنن [(١)]. ويقول الإمام أبو حنيفة – رحمه الله –: إنما يُحج بالصبي على جهة التدريب، ولا يلزمه شيء بفعل شيء من محظورات الإحرام [(٢)] . ولهذا قال رسول الله ﷺ : « **علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر** » [(٣)] .

---

(١) – فتح الباري، ٢٠٥/١، ٢٠٦ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٥١/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٠/٢ .

(٢) – نقلاً عن : فتح الباري لابن حجر، ٨٥/٤ .

(٣) – سنن الترمذي ، كتاب الصلاة،ما جاء متى يؤمر الصبي، برقم ٤٠٧، ٢٥٩/٢ . وقال عنه : حديث حسن صحيح. (وقال عنه الشيخ/ أحمد شاكر : حديث صحيح . انظر: سنن الترمذي، ٢٥٩/٢).

إذن فمن وسائل الدعوة مع صغار السن من الأطفال الذين يُميِّزُون، أخذهم واصطحابهم للمسجد، أو الحج، أو الدرس إذا كان لا يحدث منهم أذى وإزعاج للآخرين، ليتعودوا على أداء العبادة ويألفوها .

ثانياً – أهمية المبادرة إلى إنكار المنكر فور وقوعه :

إن في هذا الحديث بياناً لأهمية إنكار الداعية للمنكر فور وقوعه، حتى لا يُفهم منه أن ذلك نوع من الإقرار له، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن قول ابن عباس رضي الله عنهما – مستدلاً على جواز مرور الإنسان والحمار بين الصف – : (فَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ عَلَيَّ)، فيه دليل على أنه إذا فعل بين يدي النبي ﷺ شيء ولم ينكره فهو حجة (١) .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى ، الحرص على إنكار المنكرات التي تقع بين الناس وعلى مسمع منهم، وإن علموا أنه لا يُستجاب لهم، وذلك حتى لا يُظن أنهم يُقِرُّونها لعدم إنكارهم عليها .

ثالثاً – من فقه الدعوة : احتمال بعض المفاسد لمصلحة راجحة :

إن من الفقه الدعوي الذي يُستفاد من هذا الحديث، أن الداعية إلى الله يحتمل بعض المفاسد لمصلحة راجحة، يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – : إن هذا الحديث فيه دليل على احتمال بعض المفاسد لمصلحة أرجح، أو بعبارة أخرى تقديم المصلحة الراجحة على المفسدة الخفيفة، لأن المرور أمام المصلين مفسدة، والدخول في الصف وإدراك الصلاة مصلحة راجحة، فاغتفرت المفسدة لمصلحة أرجح (٢) .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى ، التنبه لما تنطبق عليه هذه القاعدة، من مصالح ومفاسد لمراعاتها حتى يحققوا النتائج المرجوة في دعوتهم للناس .

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٥١/٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٠/٢ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٠/٢ .

٦٨ – ٧٧ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ (١) قَالَ : عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ (٢) .

وفي رواية : (.. عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ ، قَالَ: وَهُوَ الَّذِي مَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِي وَجْهِهِ وَهُوَ غُلامٌ مِنْ بِئْرِهِمْ. وَقَالَ عُرْوَةُ عَنِ الْمِسْوَرِ وَغَيْرِهِ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ : وَإِذَا تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ (٣).

وفي رواية: (.. عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ: أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَعَقَلَ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِهِ مِنْ بِئْرٍ كَانَتْ فِي دَارِهِمْ) (٤) .

---

(١) – هو : محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو، الإمام أبو محمد، ويقال أبو نعيم الأنصاري الخزرجي المدني . وأمه هي : جميلة بنت صعصعة الأنصارية، أدرك النبي ﷺ وعقل منه المجة التي مجّها في وجهه، وهو يومئذ ابن خمس سنين . حدّث عن أبي أيوب الأنصاري، وعتبان بن مالك، وعبادة بن الصامت، وغيرهم . وروى عنه من الصحابة ﷺ : أنس بن مالك . وحدّث عنه: رجاء بن حيوة، ومكحول، والزهري . مات سنة تسع وتسعين وله ثلاث وتسعون سنة. (انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥١٩/٣ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة ٧٧٨١٢، ١٣٦/٩) .

(٢) – أطرافه : الأول : في كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، برقم ١٨٩، ٦٣/١ . الثاني: في كتاب الأذان، باب من لم يرد السلام على الإمام، برقم٨٣٩، ٢٠٢/١ . الثالث : في كتاب التهجد وأبواب التطوع، باب صلاة النوافل جماعة، برقم ١١٨٥، ٦٩/٢ . الرابع : في كتاب الدعوات، باب الدعاء للصبيان بالبركة، برقم٦٢٥٤، ٢٠١/٧ . الخامس : في كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، برقم٦٤٢٢، ٢٢٠/٧ .

وأخرجه: الإمام مسلم في كتاب المساجد،باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، برقم ٢٦٣، ٤٥٥/١.

(٣) كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، برقم ١٨٩، ٦٣/١ .

(٤) كتاب التهجد وأبواب التطوع، باب صلاة النوافل جماعة، برقم ١١٨٥، ٦٩/٢ .

شرح غريب الحديث :

(مَجَّ) – قيل مجّها من فيه أي صبها، وقيل: لا يكون مجاً حتى يباعد به [١].

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين الأطفال .

ثانياً – من أساليب الدعوة : المزاح والمداعبة .

ثالثاً – عظم محبة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ .

رابعاً – من خلق رسول الله ﷺ : حسن العشرة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين الأطفال :

إن هذا الحديث يدل على أن الطفل متى أصبح يُميز ويَفهم، بغضِّ النظر عن عمره، فهو من المدعوين الذين يُتوجه لهم بالدعوة والتربية والتعليم، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن هذا الحديث : (واستدل به بعضهم على تسميع من يكون ابن خمس، ومن كان دونها يكتب له حضور . وليس في الحديث ولا في تبويب البخاري ما يدل عليه، بل الذي ينبغي في ذلك اعتبار الفهم، فمن فهم الخطاب سمع وإن كان دون ابن خمس، وإلا فلا – وقال – وقريب منه ضبط الفقهاء سن التمييز بست أو سبع،والمرجح أنها مظنة لا تحديد) [٢]. ولذا قال-رحمه الله – أن من فوائد هذا الحديث : (جواز إحضار الصبيان مجالس الحديث) [٣] .

---

(١) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٤٥٢ .

(٢) – فتح الباري، ٢٠٨/١ .

(٣) – المرجع السابق، ٢٠٨/١ .

ثانياً – من أساليب الدعوة : المزاح والمداعبة :

إن من الأساليب الدعوية المهمة التي تستفاد من هذا الحديث : المزاح والمداعبة لبعض المدعوين، وخاصة الأطفال منهم، يقول بعض أهل العلم – **رحمهم الله** – في شرحهم لهذا الحديث : فيه جواز مباسطة وتأنيس الصغار كما فعل ذلك رسول الله ﷺ مع محمود بن الربيع رضي الله عنه (١) .

إذن فاستخدام الدعاة إلى الله لمثل هذا الأسلوب أمر مشروع، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **وأنه هو أضحك وأبكى** ﴾ (٢) . فلما خلق الله في الإنسان الضحك والبكاء دل على أن للإنسان أن يضحك ويبكي، ولكن بما انضبط بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ (٣) . وقد كان رسول الله ﷺ يداعب أصحابه ويمازحهم، ولكن ليس هذا هو الغالب في حياته، بل الغالب هو الجد لا الهزل، وليس معنى هذا التعبس والجفاء، يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم يصف رسول الله ﷺ عند اللقاء : « **ما رأيت أكثر تبسماً من النبي ﷺ** » (٤).

ومن أمثلة مزاحه ﷺ قوله لأنس بن مالك – رضي الله عنه – : « **يا ذا الأذنين** » (٥) . ويقول أنس رضي الله عنه : إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير : « **يا أبا**

---

(١) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٥٩٧/٢ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٥٩٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٧/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٢/٢، ٧٦/٣ .

(٢) – سورة النجم، الآية : ٤٣ .

(٣) – انظر : الشباب والمزاح، لعادل بن محمد العبدالعالي، ص١٩، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، ط دار المنار، الخرج .

(٤) – سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في بشاشة النبي ﷺ، برقم ٣٦٤١، ٥٦١/٥، وقال عنه : حسن غريب . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذي ، ١٩٦/٣) .

(٥) – سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، برقم ١٩٩٢، ٣١٤/٣، وقال عنه : حسن صحيح .(وقال عنه الألباني : صحيح . وانظر : صحيح سنن الترمذي، ٢ /١٩٢) .

عُميرٍ ما فعل النُّغَير » (١) . وقال ﷺ لرجل : « **إني حاملك على ولد الناقة** »، فقال : يا رسول الله ! ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **وهل تلد الإبل إلا النوق** » (٢) .

ولكن هناك بعض الأمور التي يجب على الدعاة إلى الله التنبه إليها عند استخدامهم لهذا الأسلوب، وهي :

١ – عدم الإكثار من المزاح والضحك، لأن كثرة الضحك تميت القلب كما قال رسول الله ﷺ (٣) . وأيضاً تجعل المدعوين يستخفون الداعية وما يقوله .

٢ – أن لايتضمن ذكر الله ولا آياته ولا سنة رسوله ﷺ، ولا شعائر الإسلام، يقول الله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ (٤) .

٣ – أن لايتضمن الأذى لأحد من الناس سواءً كان حسياً أو معنوياً،يقول ﷺ: « **لاضرر ولاضرار** » (٥) . ويقول ﷺ : « **لايحل لمسلم أن يروع مسلماً** » (٦) .

٤ – أن لايتضمن شيئاً محرماً كالكذب والغيبة وفحش القول، ولذلك عندما قال له بعض الصحابة ﷺ : يا رسول الله إنك تداعبنا ؟ قال :« **إني لا أقول**

---

(١) – رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، برقم ٦١٢٩، ١٣٣/٧ .

(٢) – سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، برقم ١٩٩١، ٣١٤/٤، وقال عنه: حسن صحيح غريب . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر: صحيح سنن الترمذي، ٢ /١٩٢) .

(٣) – سنن الترمذي ، كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبدالناس، برقم ٢٣٠٥، ٤٧٨/٤، وقال عنه: حديث غريب.(وقال عنه الألباني : حسن . انظر : صحيح سنن الترمذي، ٢ /٢٦٦) .

(٤) – سورة التوبة، الآيتان : ٦٥، ٦٦ .

(٥) – سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه مايضر بجاره، برقم ٢٣٤٠، ٧٨٤/٢ . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن ابن ماجة، ٢ /٣٩) .

(٦) – سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، برقم ٥٠٠٤، ٣٠١/٤ . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن أبي داود، ٣ /٩٤٤)

إلا حقّاً » (١) . ويقول ﷺ : « **ويل للذي يحدث بالحديث، ليضحك به القوم، فيكذب، ويل له، ويل له »** (٢) .

ثالثاً - عظم محبة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ :

إن في هذا الحديث بياناً لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من المحبة العظيمة لرسول الله ﷺ، حيث كانوا (إِذَا تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ)، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك : (وإنما حكى ذلك عروة بن مسعود الثقفي لما رجع إلى قريش ليعلمهم شدة تعظيم الصحابة للنبي ﷺ، ويمكن أن يكون أطلق القتال مبالغة) (٣) .

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله سبحانه وتعالى ، من تعظيم محبة رسول الله ﷺ، وإذا كان رسول الله ﷺ ، قد توفاه الله عز وجل ، فإن محبته تستلزم اتباع سنته وهديه ، المحفوظة بحفظ الله لها ، وذلك بالاقتداء بها والدعوة إليها ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (٤) . ويقول عز وجل : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (٥) .

رابعاً - من خلق رسول الله ﷺ : حسن العشرة :

إن رسول الله ﷺ كان على خلق عظيم كما قال خالقه سبحانه وتعالى عنه : ﴿ وإنك

---

(١) - سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، برقم ١٩٩٠، ٣١٤/٤، وقال عنه: حسن صحيح . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذي، ١٩٢/٢) .

(٢) - سنن الترمذي ، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يُضحك بها الناس، برقم٢٣١٥، ٤٨٣/٤، وقال عنه : حديث حسن . (وقال عنه الألباني : حسن . انظر : صحيح سنن الترمذي ، ٢ /٢٦٨) .

(٣) - فتح الباري، ٣٥٤/١ .

(٤) - سورة آل عمران، الآية : ٣١ .

(٥) - سورة يوسف، آية : ١٠٨ .

لعلى خلق عظيم ﴾ (١) . ومن خلقه مع أصحابه ﷺ الذي يستفاد من هـذا الحديث : حسن العشرة، حيث كان ﷺ يمازحهم ويزورهم في منازلهم، يقول الإمام الأبي - رحمه الله - : إن هذا الحديث فيه (ما كان عليه ﷺ من حسن العشرة) (٢) .

فينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، التأسي برسول الله ﷺ في خلقه وحسن عشرته لأصحابه ﷺ، وذلك بأن يحسنوا عشرة المدعوين وصحبتهم .

---

(١) - سورة القلم، الآية : ٤ .

(٢) - إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٥٩٧/٢ . وانظر :مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٥٩٧/٢ .

٢١ – باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم

٦٩ – ٧٩ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ : « **مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً، وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ** ». قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : قَالَ إِسْحَاقُ : وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتِ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الأَرْضِ[١] .

شرح غريب الحديث :

« **نقية** » – المراد بها القطعة من الأرض الطيبة [٢] .

« **الْكَلَأَ** » – النبات والمرعى [٣] .

« **أَجَادِبُ** » – الأرض الصلبة التي تُمسك الماء [٤] .

« **قِيعَانٌ** »– جمع قاع، وهو المكان المستوي في وطأة الأرض، التي لا تنبت [٥].

---

(١) – **وأخرجه** الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث مع النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم ٢٢٨٢، ١٧٨٨/٤ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢١١/١ .

(٣) – تفسير غريب الصحيحين، للحميدي، ص٤٩ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ص٨٠ .

(٥) – انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب القاف مع العين، ١٣٢/٤ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢١٢/١ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة إلى الله : ضرب المثل .

ثانياً – الترغيب في طلب العلم وتبليغه، والعمل به .

ثالثاً – الترهيب من عدم تبليغ العلم .

رابعاً – مشروعية عرض الدعوة على الناس جميعاً .

خامساً – اختلاف الناس وتنوعهم في قبول هذا الدين .

سادساً – كمال الدين وأن الضعف والقصور في الناس .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة إلى الله : ضرب المثل :

إن مما يستفاد من قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث : « **مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا** .. » ضرب المثل للتوضيح والبيان والترغيب في العلم والدعوة، والترهيب من عكسه، يقول بعض العلماء -رحمهم الله-: وفي هذا الحديث دليل على حسن تعليم رسول الله ﷺ، وذلك بضرب الأمثال، لأن ضرب الأمثال الحسية، يقرب المعاني العقلية، أي ما يُدرك بالعقل يقربه بما يُدرك بالحس، فالرسول ﷺ شبه ما جاء به من الدين، بالغيث العام الذي يأتي للناس في حال حاجتهم إليه، وشبه السامعين له بالأرض المختلفة (١) .

فلذا ينبغي للداعية أن يتنبه لأهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله، لأن بعض

---

(١) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٨/١٥ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٦/٨، ١٧ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٦/٨، ١٧ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٥٧/٢، ٥٨ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢١٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٠/٢ . ومرقاة المفاتيح، للقاري، ٣٨٥/١، ٣٨٦ . وشرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٣٥٣/٣ .

الناس قد لا يفهم الكلام والمقصود منه، فإذا ضرب الداعية المثل ببعض الأمور المحسوسة المعلومة، فهم وانتفع، ولهذا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (١) . وقال عز وجل : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ (٢) .

إذن فضرب الأمثال من أحسن طرق الدعوة وأساليبها، وخاصة بمثل ما ورد في مثل هذه الأحاديث ليحصل الإقبال والعمل بما يريده منهم .

ثانياً – الترغيب في طلب العلم وتبليغه، والعمل به :

إن في هذا الحديث حثاً وترغيباً في العلم وتبليغه، والعمل به، يقول الإمام النووي – رحمه الله – : وفي هذا الحديث أنواع من الفوائد ، (منها فضل العلم والتعليم، وشدة الحث عليهما) (٣)، وهذا يظهر من تشبيه طالب العلم ومعلمه والعامل به بالأرض النقية الطيبة التي تقبل الماء وتنبت العشب الكثير لينتفع به الناس، أو تحبسه ليزرع الناس ويسقوا وينتفعوا منه .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية –رحمه الله– أثناء شرحه لهذا الحديث: فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات، **الطبقة الأولى** : ورثة الرسل، وخلفاء الأنبياء –**عليهم الصلاة والسلام**– وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً، ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ فهؤلاء أتباع الرسل – **صلوات الله عليهم وسلامه** – وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكا الناس بها . وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على

---

(١) – سورة العنكبوت، الآية : ٤٣ .

(٢) – سورة الروم، الآية : ٥٨ .

(٣) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٨/١٥ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٥٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢١٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٩/٢ . ومرقاة المفاتيح، للقاري، ٣٨٥/١،٣٨٦ . وشرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٣٥٣/٣ .

الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء – **صلى الله عليهم وسلم** – وهذا هو الذي تميزت به هذه الطبقة عن **الطبقة الثانية**، فإنها حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها فوردها الناس وتلقوها منهم، فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها، وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات – ثم قال – وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حبر الأمة وترجمان القرآن، مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ العشرين حديثاً، الذي يقول فيه سمعت ورأيت، وسمع الكثير من الصحابة رضي الله عنهم وبورك له في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً. وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي، وأقبلها للزرع فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١) .

لذا فليحرص الداعية إلى الله على أن يكون من الصنف الأول المذكور في الحديث ولا يرض به بدلاً، وإن لم يستطع فلا أقل من التبليغ لما حفظ .

ثالثاً – الترهيب من عدم تبليغ العلم :

فكما أن هذا الحديث فيه ترغيب في العلم وتعليمه، والعمل به، كذلك فيه ترهيب وتحذير من عدم تبليغ العلم أو العمل به، بتشبيهه بالأرض السبخة التي لا نفع ولا خير فيها، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – وفي الحديث : ذم الإعراض عن العلم والعمل به وتبليغه، حيث شبهه النبي ﷺ بالأرض السبخة التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها (٢) .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله –: وأما **الطبقة الثالثة** : وهم أشقى الخلق، الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأساً ولا حفظ ولا فهم ولا رواية ولا

---

(١) – انظر : الوابل الصيب في الكلم الطيب – ضمن مجموعة الحديث النجدية لمحمد رشيد رضا – ص ٧٤٢،٧٤١ ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ .

(٢) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٨/١٥ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٧،١٦/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٧،١٦/٨ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٥٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢١٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٠/٢ .

دراية ولا رعاية، إن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً [١] .

رابعاً - مشروعية عرض الدعوة على الناس جميعاً :

إن في هذا الحديث بياناً لمشروعية عرض الدعوة على جميع الناس، كما أن الغيث ينزل على جميع الأرض الطيبة وغير الطيبة، ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [٢] .

إذن فالداعية إلى الله يبلغ العلم لكافة الناس لقيام الحجة عليهم، ولا يكتمه عن أحد لخبث فيه أو شر أو ضلال وفساد . فما على الداعية إلا البلاغ، والله ﷻ هو الهادي، ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة ﴾ [٣] .

يقول العلامة علي القاري - رحمه الله - : (وفي الحديث : إشارة إلى أن الاستعدادات ليست بمكتسبة، بل هي مواهب ربانية، وكمالها أن تستفيض من مشكاة النبوة، فلا خير فيمن يشتغل بغير الكتاب والسنة، وأن الفقيه من علم وعمل) [٤] .

خامساً - اختلاف الناس وتنوعهم في قبول هذا الدين :

فكما سبق أن العلم والدعوة تُعرض على جميع الناس من غير تمييز لأحد، وهذا الحديث جاء للإشارة إلى أن الناس مختلفون في قبول هذا أو رفضه، ومختلفون في الانتفاع به أو عدمه، ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ [٥] .

يقول الإمام النووي -رحمه الله- عن أنواع التشبيه الذي في الحديث : (**فالنوع الأول** من الأرض : ينتفع بالمطر، فيحيا بعد أن كان ميتا، وينبت الكلأ، فتنتفع بها

---

(١) - انظر : الوابل الصيب، ص ٧٤٢، ٧٤٣ .

(٢) - سورة النور، الآية : ٥٤ .

(٣) - سورة الأنفال، الآية : ٤٢ .

(٤) - مرقاة المفاتيح، ٣٨٦/١ .

(٥) - سورة هود، الآيتان : ١١٨، ١١٩ .

الناس والدواب والزرع وغيرها، وكذا **النوع الأول** من الناس : يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه، ويعمل به ويعلمه غيره، فينتفع وينفع . **والنوع الثاني** من الأرض: ما لا تقبل الانتفاع في نفسها،لكن فيها فائدة،وهي: إمساك الماء لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب، وكذا **النوع الثاني** من الناس : لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهل للنفع والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم . **والنوع الثالث** من الأرض: السباخ التي لا تنبت ونحوها، فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، وكذا **النوع الثالث** من الناس : ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم) (١) .

سادساً - كمال الدين وأن الضعف والقصور في الناس :

إن في هذا الحديث تأكيداً على أن الدين كامل لا قصور فيه ولا ضعف، وإنما الضعف والنقص والقصور في الناس، فمن أعطاه الله العقل والاستعداد للخير ومحبته والسعي للكمال ؛ فإنه يستفيد من هذا الدين بقدر ما عنده من استعداد . ومن عدم الاستفادة فذلك بسبب أنه « **لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي** » أُرْسِلْ بِهِ النبي ﷺ، فالله ﷻ أكمل هذا الدين وصرف فيه للناس من كل مثل، ولكن من لا خير فيه أبى إلا الكفر ، إذ يقول الله ﷻ : ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾ (٢) .

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٨،٤٧/١٥ . وانظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٧،١٦/٨. ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٧،١٦/٨ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٥٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢١٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٠،٧٩/٢ .

(٢) – سورة الإسراء، الآية : ٨٩ .

٢٢ – باب رفع العلم، وظهور الجهل

٧٠ – ٨٠ – حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَارِثِ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا** » (١) .

وفي رواية: « **مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ** » (٢) .

وفي رواية: (.. عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ : « **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ..** » (٣) .

وفي رواية: .. سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ** – وَإِمَّا قَالَ – **مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ..** » (٤) .

شرح غريب الحديث :

« **أَشْرَاط السَّاعَةِ** » – أي علاماتها، وقيل : منه سمي الشُّرَطُ لأنهم جعلوا

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب العلم، باب رفع العلم، وظهور الجهل، برقم ٨١، ٣٣/١ . الثاني : في كتاب النكاح، باب يقل الرجال ويكثر النساء، برقم ٥٢٣١، ١٩٣/٦ . الثالث : في كتاب الأشربة، باب { إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس، برقم٥٥٧٧، ٦/ ٣٠٠ . الرابع : في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب إثم الزناة، برقم ٦٨٠٨، ٢٦/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، برقم٢٦٧١، ٢٠٥٦/٤ .

(٢) كتاب العلم، باب رفع العلم، وظهور الجهل، برقم ٨١، ٣٣/١ .

(٣) كتاب النكاح، باب يقل الرجال ويكثر النساء، برقم ٥٢٣١، ١٩٣/٦ .

(٤) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب إثم الزناة، برقم ٦٨٠٨، ٢٦/٨ .

لأنفسهم علامة يُعرفون بها (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – الحث على طلب العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : ذكر الساعة وعلاماتها .

ثالثاً – من علامات النبوة : تحقق بعض ما أخبر به ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – الحث على طلب العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد جاء هذا الحديث بالحثّ على العلم وطلبه، ولذا عنون الإمام البخاري -رحمه الله – على هذا الحديث بقوله : باب رفع العلم، وظهور الجهل . ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : مقصود الباب الحث على تعلم العلم، فإنه لا يُرفع إلا بقبض العلماء، وما دام من يتعلم العلم موجوداً لا يحصل الرفع (٢)، وكذلك فيه حثّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات، لأنه بذلك تقل المنكرات فلا تقوم الساعة عليهم .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : ذكر الساعة وعلاماتها :

إن من موضوعات الدعوة التي ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، التحدث عنها، ذكر بعض علامات الساعة، وخاصة عندما يرى بعض منها، فقد ذكر بعض العلماء – رحمهم الله – : بإنه يحتمل أن أنساً رضي الله عنه قال ذلك الحديث لما رأى من التغير ونقص العلم فوعظهم بما سمع من النبي ﷺ في نقص العلم أنه من أشراط الساعة ليحضهم على

---

(١) – تفسير غريب مافي الصحيحين، للحميدي، ٢٦١ .

(٢) – انظر : فتح الباري، ١/٢١٣،٢١٤ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٢/٨٤ .

طلب العلم (١) .

كما أن الأمور المذكورة في الحديث وعدّها من علامات الساعة من الأهمية بمكان كبير، فهي تعود إلى الأصول التي طلب الشرع بالمحافظة عليها، وهي الضرورات الخمس : الدين، والعقل، والنفس، والنسب، والمال، يقول بعض أهل العلم -**رحمهم الله**-: وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الضرورات الخمس الواجبة رعايتها في جميع الأديان، والتي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهي: الدين، لأن رفع العلم يُخل به، والعقل، لأن شرب الخمر يُخل به، والنسب، لأن الزنا يخل به، والنفس والمال، لأن كثرة الفتن تُخل بهما (٢) .

ثالثاً -من علامات النبوة : تحقق بعض ما أخبر به ﷺ .

إن في هذا الحديث علامةً من علامات نبوته ﷺ وهي تحقق بعض ما أخبر ﷺ، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع، فوقعت. وكان كل عالم يذكر هذا الحديث يقول : وخصوصاً في هذه الأزمان (٣) . فإذا كان هذا قول سلفنا الصالح عن أزمانهم فكيف بهم لو رأوا هذا الزمان الذي أصبحت بعض الأمور المذكورة في الحديث هي الغالبة على بعض البلاد إن لم يكن أكثرها والأعم منها .

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٦١/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢١٥/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٤/٢ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٦١/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢١٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٥/٢ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٦١/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢١٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٥/٢ .

٢٣ – باب فضل العلم

٧١ – ٨٢ – حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ :حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ : حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ** » . قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « **الْعِلْمَ** » (١) .

وفي رواية: قَالَ : « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ** – يَعْنِي اللَّبَنَ – **حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي – أَوْ فِي أَظْفَارِي – ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ** » . فَقَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ. قَالَ : « **الْعِلْمَ** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – فضل العلم والعلماء .

ثانياً – من أساليب الدعوة : تفسير الرؤى وتوظيفها دعوياً .

ثالثاً – أهمية ارتباط الداعية بسنة رسول الله ﷺ، لعظم علمه ﷺ .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، برقم ٣٦٨١، /٢٣٩ . الثاني : في كتاب التعبير، باب اللبن، برقم٧٠٠٦، ٨/٩٥ . الثالث : في كتاب التعبير، باب إذا جرى اللبن في أطرافه، برقم ٧٠٠٧، ٨/٩٥ . الرابع : في كتاب التعبير، باب إذا أعطى فضله غيره في النوم، ٧٠٢٧، ٨/١٠٢ . الخامس : في كتاب التعبير، باب القدح في النوم، برقم ٧٠٣٢، ٨/١٠٣ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ، برقم٢٣٩١ ،٤/١٨٥٩.

(٢) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، برقم ٣٦٨١، /٢٣٩ .

رابعاً – من أساليب الدعوة : التشبيه .

خامساً – من أساليب الدعوة : الثناء على المدعو .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - فضل العلم والعلماء :

إن هذا الحديث يُبين فضل العلم والعلماء، وذلك بتشبيه العلم باللبن وأن من أخذ العلم فكأنما هو يشرب اللبن وذلك لكونهما مشتركين في كثرة النفع بهما، وفي أنهما سببا الصلاح فاللبن غذاء الأبدان، والعلم غذاء العقول وسبب الصلاح في الدنيا والآخرة (١) . وأيضاً مما يبين فضل العلم والعلماء (أن فضلة رسول ا لله ﷺ فضيلة وشرف، وقد فسرها بالعلم، فدل على فضيلة العلم) (٢) والعلماء، وذلك لأن الآخذَ منه، آخذٌ من فضلةِ رسول ا لله ﷺ .

ثانياً - من أساليب الدعوة : تفسير الرؤى وتوظيفها دعوياً :

إن مما يستفاد من هذا الحديث، جواز تفسير الرؤى وتوظيفها في الدعوة إلى ا لله، وقد كان رسول ا لله ﷺ قدوة الدعاة إلى ا لله، يقول لأصحابة رضي الله عنهم: « **هل رأى أحد منكم من رؤيا** »، فيقص عليه من شاء ا لله أن يقص(٣). بل كما هو في هذا الحديث الرائي هو رسول ا لله ﷺ نفسه، يخبر بما رأى ثم يعبرها . يقول الإمام ابن أبي جمرة -رحمه ا لله-: وفي الحديث مشروعية قص الكبير رؤياه على من دونه،وإلقاء العالم المسائل واختبار أصحابه في تأويلها، أو إلقاؤها عليهم ليسألوا عنها (٤) .

إذن فالرؤى من أساليب الدعوة التي ينبغي أن تُستغل جيداً من الداعية إلى ا لله،

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٨٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١١/١٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٧/٢ .

(٢) – الكواكب الدراري، للكرماني، ٦٣/٢ .

(٣) – صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث ٧٠٤٧،١٠٨/٨.

(٤) – نقلاً عن : فتح الباري، ١٢/٤١١ .

لما فيها من الترغيب أوالترهيب ، بشرط أن يكون ذلك عن علم وبصيرة ، لا عن ظن وتخمين . يقول ﷺ : « **لم يبق من النبوة إلا المبشرات** » قالوا : وما المبشرات؟ قال: « **الرؤيا الصالحة** » (١) . وذلك لأن العالم الداعية عندما يرى الرؤيا التي تأويلها يكون على شيءٍ في الماضي، يذكرها للمدعوين من باب الترغيب فيما وقع وما يذكره من تأويل لها، يقول الإمام ابن أبي جمرة – رحمه الله – : وفيه أن من الرؤيا ما يدل على الماضي والحال والمستقبل، وهذه أولت على الماضي، فإن رؤياه هذه تمثيل بأمر قد وقع، لأن الذي أعطيه من العلم كان قد حصل له، وكذلك أعطيه عمر، فكانت فائدة هذه الرؤيا تعريف قدر النسبة بين ما أعطيه من العلم وما أعطيه عمر رضي الله عنه (٢) .

ثالثاً – أهمية ارتباط الداعية بسنة رسول الله ﷺ، لعظم علمه ﷺ :

إن هذا الحديث شاهد عظيم على مكانة رسول الله ﷺ في العلم، فإذا كانت فضلة رسول الله ﷺ منه والتي أخذها عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت سبباً لعلو منزلته ومكانته، فكيف بالنبي ﷺ الذي شرب من اللبن حتى رأى الري يخرج من أظفاره، يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: (وفيه أن علم النبي ﷺ بالله لا يبلغ أحد درجته فيه، لأنه شرب حتى رأى الري يخرج من أطرافه، وأما إعطاؤه فضله عمر ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا يأخذه في الله لومة لائم) (٣) .

وإذا كان رسول الله ﷺ قد توفاه الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع الدعاة والعلماء الأخذ منه مباشرة، فإن سنته وهديه وما ورّثه من علم باقية محفوظة بحفظ الله لها، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

رابعاً – من أساليب الدعوة : التشبيه :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث يؤول الرؤيا التي رآها بتشبيه اللبن فيها بالعلم،

---

(١) – صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، رقم الحديث ٦٩٩٠، ٨٩/٨ .

(٢) – نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ٤١١/١٢ .

(٣) – المرجع السابق ، ٤١١/١٢ .

يقول الإمام ابن العربي المالكي – رحمه الله – : (إن اللبن رزق ينشئه الله طيباً بين أخباث كالعلم نور يظهره الله في ظلمة، فضرب به المثل في المنام) (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على هذا الأسلوب، فإذا أرادوا الترغيب في بعض الأعمال فليضربوا لها المثل والشبيه بالجميل والحسن المعروف لديهم، وخاصة بمثل ما ورد في مثل هذه الأحاديث لصدق التشبيه فيه وقوته .

خامساً – من أساليب الدعوة : الثناء على المدعو :

إن هذا الحديث فيه بيان لأسلوب من أساليب الدعوة، وهو : الثناء على المدعو بما فيه، من باب التشجيع له، والحثّ على الاقتداء به، فرسول الله ﷺ يثني على عمر رضي الله عنه، وذلك لتوفر الشرط الذي ذكره العلماء لذلك فيه رضي الله عنه، وهو : إذا أمن عليه من الفتنة بالمدح كالإعجاب (٢) .

---

(١) – عارضة الأحوذي، ١١٢/٥ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥٩/١٥ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٤١٣/١٢ .

٢٤ – باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها

٧٢ – ٨٣ – حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عِيسَى ابْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : لم أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ، فَقَالَ: « **اذْبَحْ وَلا حَرَجَ** ». فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ: لم أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ . قَالَ : « **ارْمِ وَلا حَرَجَ** » . فَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلا أُخِّرَ، إلا قَالَ : « **افْعَلْ وَلا حَرَجَ** » (١) .

وفي رواية: .. أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، حَدَّثَهُ أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ ﷺ، يَخْطُبُ يَوْمَ النَّحْرِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ كَذَا قَبْلَ كَذَا، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ كَذَا قَبْلَ كَذَا، حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ، نَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **افْعَلْ وَلا حَرَجَ لَهُنَّ كُلِّهِنَّ** » . فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ إلا قَالَ : « **افْعَلْ وَلا حَرَجَ** » (٢) .

وفي رواية: (.. قَالَ : وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ) (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية،

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب العلم، باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار، برقم ١٢٤، ١/٢٦ . الثاني: في كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، برقم ١٧٣٦، ٢/٢٣١ . الثالث : في كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، برقم ١٧٣٧، ٢/٢٣١ . الرابع : في كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، برقم ١٧٣٨، ٢/٢٣١ . الخامس : في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، برقم ٦٦٦٥، ٧/٢٨٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر، برقم ١٣٠٦، ٢/٩٤٨ .

(٢) كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، برقم ١٧٣٧، ٢/٢٣١ .

(٣) كتاب الحج، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة، برقم ١٧٣٨، ٢/٢٣١ .

نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في الدعوة إلى ا لله ﷻ .

ثانياً – من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير ورفع الحرج.

ثالثاً – أهمية الاستعانة بالوسائل المساعدة على إيصال الخطبة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية أسلوب السؤال والجواب في الدعوة إلى الله ﷻ :

لقد بوب الإمام البخاري – رحمه ا لله – على هذا الحديث باباً قال فيه : باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها . وعن هذه الترجمة يقول بعض العلماء – رحمهم ا لله –: ومراده أن العالم يُجيب سؤال الطالب ولو كان راكباً أو ماشياً أو واقفاً وعلى كل أحواله (١) . لأهمية الإجابة عن سؤال السائل في الدعوة إلى ا لله، ولأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، والسائل قد يكون في حاجة ماسة لمعرفة الجواب، لدفع المفاسد التي قد تقع بسبب جهله .

وأيضاً بوب الإمام البخاري – رحمه ا لله – على هذا الحديث في كتاب العلم، باباً قال فيه : باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار (٢) . وعن ذلك يقول بعض العلماء -رحمهم ا لله – : ومعنى هذا الباب أنه يجوز أن يُسأل العالم عن العلم وهو مشتغل بطاعة ا لله، لأنه لا يترك الطاعة التي هو فيها إلا إلى طاعة أخرى ما لم يكن مستغرقاً فيها (٣) . ويكون هذا لأجل أهمية تعليم الجاهل والإجابة عن سؤاله .

ومن آداب هذا الأسلوب، التي تُستفاد من هذا الحديث، الآتي :

١ – أهمية سؤال من لا يعرف الحكم في موضع فعله وقبل الفعل، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه ا لله – : (ويراد – أي من ترجمة البخاري السابقة – أن سؤال من

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢١٧/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٨/٢ .

(٢) – انظر : كتاب العلم من الجامع الصحيح، ٤٦/١ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٤٩/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٦٩/١ .

لا يعرف الحكم عنه في موضع فعله حسنة بل واجب عليه، لأن صحة العمل متوقفة على العلم بكيفيته) [١] .

٢ – أن سؤال العالم على قارعة الطريق لا نقص فيه عليه، ولا على السائل، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (إن سؤال العالم على قارعة الطريق عما يحتاج إليه السائل، لا نقص فيه على العالم إذا أجاب، ولا لوم على السائل) [٢] .

٣ – أن السؤال عن العلم لا يتقيد بيوم دون يوم، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث يُسأل وهو في يوم النحر، الذي قد يتخيل فيه متخيلٌ أنه يوم عيد ولهو، فيمتنع عن العلم والسؤال عنه [٣] .

ثانياً – من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير ورفع الحرج:

إن هذا الحديث يظهر منه خصيصة من خصائص الدعوة الإسلامية، وهي : التيسير ورفع الحرج. فرسول الله ﷺ ما سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ إلا قَالَ : « **افْعَلْ وَلا حَرَجَ** »، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : أي لا إثم عليكم فيما فعلتموه من هذا، لأنكم فعلتموه على الجهل منكم لا على القصد منكم خلاف السنة، وأسقط عنهم الحرج وأعذرهم لأجل النسيان وعدم العلم [٤] .

فديننا – ولله الحمد والمنة – لا حرج فيه، ولا تكليف ما لا يستطاع، إذ يقول الله ﷻ : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [٥] . فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على هذا الأمر، وهو أن لا يكلفوا الناس ما لا يستطيعون أو يحرجوهم بما يشق

---

(١) – فتح الباري، ١/٢٦٩ .
(٢) – المرجع السابق، ١/٢٦٩ .
(٣) – انظر : المرجع السابق، ١/٢٦٩ .
(٤) – انظر : عمدة القاري، ٢/٩٠ .
(٥) – سورة الحج، الآية : ٧٨ .

عليهم، وينبغي لهم أن يبرزوا هذا الأمر في دعوتهم من باب الترغيب في الدين والدخول فيه، والالتزام به .

ثالثاً - أهمية الاستعانة بالوسائل المساعدة على إيصال الخطبة :

إن رسول الله ﷺ خطب في الناس يوم النحر، واستعان على إيصال كلامه للناس بالوقوف على راحلته، حيث جاء في الحديث أنه : (وَقَفَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ ..)، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - عن ذلك : (إن الجلوس على الدابة جائز للضرورة، بل للحاجة كما كان جلوسه ﷺ ليشرف على الناس، ولا يخفى عليهم كلامه لهم) [١] .

إذن فينبغي للداعية إلى الله أن يستعين بكل ما يساعد على إيصال كلامه للناس ورؤيتهم له، من الوسائل المشروعة، حتى تصل الدعوة إلى عامة الناس وبوضوح . ومثال ذلك في هذا العصر : أجهزة تكبير الصوت والمذياع .

---

(١) - الكواكب الدراري، ٦٤/٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢١٧/١، ٦٦٩/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٧/٢ .

٢٥ - باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس

٧٣ - ٨٤ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ:حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ . فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ قَالَ : « **وَلا حَرَجَ** ». قَالَ : حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ . فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ : « **وَلا حَرَجَ** » (١) .

وفي رواية: .. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : زُرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ. قَالَ: « **لا حَرَجَ** ». قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ. قَالَ: « **لا حَرَجَ** ». قَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ. قَالَ: « **لا حَرَجَ** » (٢) .

وفي رواية: .. سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : رَمَيْتُ بَعْدَ مَا أَمْسَيْتُ فَقَالَ: « **لا حَرَجَ** » (٣) .

وفي رواية: .. أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قِيلَ لَهُ فِي الذَّبْحِ وَالْحَلْقِ وَالرَّمْيِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ. فَقَالَ : « **لا حَرَجَ** » (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية،

---

(١) - أطرافه : الأول والثاني والثالث : في كتاب الحج، باب الذبح قبل الحلق، برقم ١٧٢١، ورقم ١٧٢٢، ورقم١٧٢٣، ٢٢٨/٢ . الرابع والخامس : في كتاب الحج، باب إذا رمى بعدما أمسى، برقم ١٧٣٤، ورقم١٧٣٥، ٢٣٠/٢ . السادس : في كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، برقم ٦٦٦٦، ٢٨٧/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر، برقم ١٣٠٧، ٩٥٠/٢ .

(٢) - كتاب الحج، باب الذبح قبل الحلق، برقم ١٧٢٢، ٢٢٨/٢ .

(٣) - كتاب الحج، باب الذبح قبل الحلق، برقم ١٧٢٣، ٢٢٨/٢ .

(٤) - كتاب الحج، باب إذا رمى بعدما أمسى، برقم ١٧٣٤، ٢٣٠/٢ .

نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير ورفع الحرج .

ثالثاً – من وسائل الدعوة : الإشارة باليد في الجواب .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن هذا الحديث فيه سؤال لرسول الله ﷺ وجوابٌ منه عليه، ومن ذلك ظهر لنا أهمية السؤال والجواب في الدعوة إلى الله، وأن هذا الأسلوب سبب في رفع الجهل ونشر العلم بين الناس، حيث عُرف منه أن التقديم والتأخير في بعض أفعال الحج لا حرج على الأمة فيه .

ثانياً – من خصائص الدعوة الإسلامية : رفع الحرج والتيسير :

فكما سبق بيانه في الحديث الذي قبل هذا [1] أن ديننا دين اليسر والتيسير . نجد أن هذا الحديث أيضاً يشهد على ذلك، ويؤكد عليه، ولهذا ساق الإمام البخاري–رحمه الله – على هذا الحديث في كتاب الأيمان والنذور، باباً قال فيه : باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، وقول الله تعالى : ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ [2] . [3]

ثالثاً – من وسائل الدعوة : الإشارة باليد في الجواب :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث وهو يُجيب عن أسئلة الناس جمع بين الإشارة والنطق على أن الإنسان لا حرج عليه بفعل ما سأل عنه، حيث يقول راوي الحديث : (فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ قَالَ : « وَلا حَرَجَ ») . وهذا من باب التأكيد على عدم

---

(١) – انظر : ص٤٥٩ من هذا البحث .

(٢) – سورة الأحزاب، الآية : ٥ .

(٣) – انظر : الجامع الصحيح، ٧/٢٨٧ .

الحرج، إذ في الإيماء معنى القول وتكرار له [١] .

إذن فاستخدام الداعية ليديه بحكمة مما يُساعده على إيصال المعنى وتأكيده في أذهان المدعوين .

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٦٥/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢١٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٩١/٢ .

٧٤ – ٨٥ – حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ سَالِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « **يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ** ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ : وَمَا الْهَرْجُ ؟ فَقَالَ : هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا . كَأَنَّه يُرِيدُ الْقَتْلَ . (١)

وفي رواية: .. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ، فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لا أَرَبَ لِي** » (٢) .

وفي رواية: .. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ** ». قَالُوا : وَمَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ : « **الْقَتْلُ الْقَتْلُ** » (٣) .

وفي رواية: (.. أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ**

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، برقم١٠٣٦، ٢٨/٢ . الثاني : في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، برقم ١٤١٢، ١٣٩/٢ . الثالث والرابع : في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم٣٦٠٨، ورقم٣٦٠٩، ٢١٥/٤ . الخامس والسادس : في كتاب التفسير، سورة الأنعام، برقم٤٦٣٥، ورقم٤٦٣٦ ،٢٣٢/٥ . السابع : في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، برقم ٦٠٣٧، ١٠٩/٧ . الثامن : في كتاب الرقاق، باب رقم ٤٠، الحديث برقم٦٥٠٦، ٢٤٤/٧ . التاسع : في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، برقم ٧٠٦١، ١١٤/٨ . العاشر : في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، برقم٧١١٥، ١٢٨/٨ . الحادي عشر : في كتاب الفتن، باب رقم ٢٥، حديث رقم٧١٢١، ١٢٩/٨ .

وأخرجه :الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، برقم١٥٧، ١٣٧٧/١.

(٢) – كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، برقم ١٤١٢، ١٣٩/٢ .

(٣) – كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، برقم ٦٠٣٧، ١٠٩/٧ .

فِيكُمُ الْمَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا،فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ يَعْنِي آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (١)، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلا يَتَبَايَعَانِهِ وَلا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلا يَطْعَمُهَا » (٢) .

شرح غريب الحديث :

« **الْهَرْجُ** » – القتال والاختلاط (٣) .

« **لا أَرَبَ لِي** » – لا حاجة لي (٤) .

« **دَجَّالُونَ** » – جمع دجال، وهو مأخوذ من الدجل وهو التغطية، وسمي الكذاب دجالاً لأنه يغطي الحق بباطله (٥) .

« **لِقْحَتِهِ** » – اللقحة هي الناقه التي لها لبن (٦) .

« **يُلِيطُ حَوْضَه** » – أي يصلحه بالطين (٧) .

---

(١) – سورة الأنعام، ١٥٨ .

(٢) – كتاب الفتن، باب رقم ٣٥، برقم ٧١٢١، ١٢٩/٨ .

(٣) – تفسير غريب الصحيحن، للحميدي، ص٩٩ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ص٥٤٥ .

(٥) – انظر : المرجع السابق، ص٣٠٩ . وفتح الباري، لابن حجر، ٩٧/١٣ .

(٦) – انظر : تفسير غريب الصحيحن، للحميدي، ص٣٤٢ .

(٧) – فتح الباري، لابن حجر، ٩٥/١٣ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : التحذير من الفتن، وذكر علامات الساعة .

ثانياً – الحثّ على طلب العلم والأمر بالمعروف والنهي المنكر .

ثالثاً – من وسائل الدعوة : استخدام اليدين .

رابعاً – من علامات النبوة تحقق بعض ما أخبر به النبي ﷺ .

خامساً – استمرار الحياة إلى قيام الساعة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : التحذير من الفتن، وذكر علامات الساعة :

في هذا الحديث يذكر رسول الله ﷺ لأصحابه موضوعاً مهماً جداً، وهو الفتن وعلاماتها والتحذير منها، ومن هنا ينبغي للدعاة إلى الله التذكير بعلامات الساعة وما يسبقها من فتنٍ وأحداث، للحذر منها، والابتعاد عن الوقوع فيها . والإكثار من الأعمال الصالحة قبل خروج العلامات الكبار حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (١)، ولذا كان حذيفة ؓ يقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني (٢) .

ثانياً – الحثّ على طلب العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن في ذكر رسول الله ﷺ لعلامات الساعة ومنها أنه : « **يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ، وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ** » ، حثاً على طلب العلم ونشره بين الناس حتى لا

---

(١) – سورة الأنعام، ١٥٨ .

(٢) – انظر : صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، برقم٣٦٠٦، ٢١٥/٣ .

يظهر الجهل، وحثاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا تظهر الفتن والقتل بين الناس، لأن ذلك لا يحدث إلا إذا لم يكن هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لغلبة الفسق وظهور أهله (١) .

ثالثاً - من وسائل الدعوة : استخدام اليدين :

إن رسول الله ﷺ عندما سئل عن الهرج، استخدم يده بالإشارة إلى أن معناه القتل، وذلك أنه حرفها . لأن الإشارة أحياناً تكون أبلغ من القول في بيان المراد، والتأثير في المدعوين وشدّ انتباههم .

رابعاً - من علامات النبوة تحقق بعض ما أخبر به النبي ﷺ :

إن من علامات نبوة رسول الله ﷺ تحقق بعض ما أخبر به في هذا الحديث من فتن وأخبار وعلامات، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (قال ابن بطال : وجميع ما تضمنه الحديث من الأشراط قد رأيناها عياناً، فقد نقص العلم وظهر الجهل وألقي الشح في القلوب وعمت الفتن وكثر القتل، قلت : الذي يظهر أن الذي شاهده كان منه الكثير مع وجود مقابلة، والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر، وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم فلا يبقى إلا الجهل الصرف - إلى أن قال - والواقع أن الصفات المذكورة وجدت مباديها من عهد الصحابة ثم صارت تكثر في بعض الأماكن دون بعض، والذي يعقبه استحكام ذلك كما قررته) (٢) .

ولكن هناك بعض ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث قد وقع وانتهى، فمن ذلك المقتلة العظيمة التي تقع بين **فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ**، والمراد بهما عليٌّ رضي الله عنه ومن معه، ومعاوية رضي الله عنه ومن معه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (والمراد بالفئتين : جماعة علي وجماعة معاوية - رضي الله عنهم جميعاً - والمراد بالدعوة :

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٣/١٨ .

(٢) - المرجع السابق، ١٣/١٨،١٩ .

الإسلام على الراجح، وقيل المراد : اعتقاد كل منهما أنه على الحق) [١] .

ومن العلامات التي وقعت : تطاول الناس في البنيان، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (وهي من العلامات التي وقعت عن قرب في زمن النبوة، ومعنى التطاول في البنيان أن كلاً ممن كان يبني بيتاً يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المراد المباهاة به في الزينة والزخرفة، أو أعم من ذلك، وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد) [٢]، فكيف به – رحمه الله – لو رأى ارتفاع البنيان في هذا الزمان .

خامساً – استمرار الحياة إلى قيام الساعة :

إن في قول رسول الله ﷺ : « .. **وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلا يَتَبَايَعَانِهِ وَلا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلا يَطْعَمُهَا** »، دليلاً على أن الحياة تستمر إلى قيام الساعة، حيث تقوم والناس يتبايعون في الأسواق، وتقوم والرجل قد انصرف بلبنِ لقحته ليشرب منه وطعامِهِ ليأكل منه فلا يتمكن من ذلك .

إذن هذا الحديث فيه ردٌّ على من يظن أو يتشاءم في هذا الزمان من الحروب والأسلحة الفتاكة والدمار الشامل، فبإذن الله لن يقع شيء من ذلك وأن الحياة سوف تستمر إلى قيام الساعة .

---

(١) – فتح الباري، ٣١٦/١٢ .

(٢) – المرجع السابق، ٩٤/١٣ .

٧٥ – ٨٦ – حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ فَاطِمَةَ عَنْ أَسْمَاءَ [١] قَالَتْ : أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ . فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ . قُلْتُ: آيَةٌ . فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ . فَحَمِدَ اللهَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : « **مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ،أَوْ قَرِيباً** – لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ – **مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ** – لا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ – **فَيَقُولُ:هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ** (ثَلاثًا) **فَيُقَالُ : نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ** – لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ – **فَيَقُولُ : لا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ** » [٢] .

---

(١) – هي : أسماء بنت أبي بكر الصديق، زوجة الزبير ﷺ، وكان عبدالله بن أبي بكر شقيقها، وعائشة وعبدالرحمن أخواها لأبيها، وهي ذات النطاقين، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وأسلمت بعد سبعة عشر إنساناً، روى عنها ابناها : عبدالله، وعروة، وابن عباس، ووهب بن كيسان وغيرهم . وروي لها عن رسول الله ﷺ ستة وخمسون حديثاً، انفرد البخاري بأربعة، ومسلم بمثلها، واتفقا على أربعة عشر، توفيت بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابنها عبدالله بن الزبير، وقد بلغت المائة ولم يسقط لها سن ولم يتغير عقلها ﷺ . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٣٢٢٦، ١٩٥/١٢ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٤٦ من تراجم النساء، ١١٤/١٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٩٣/٢) .

(٢) – أطرافه : الأول : في كتاب الوضوء، باب من لم يتوضأ إلا من الغشي المثقل، برقم١٨٤، ٦١/١ . الثاني : في كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد، برقم ٩٢٢، ٢٤٩/١ . الثالث : في كتاب الكسوف، باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف، برقم١٠٥٣، ٣٥/٢ . الرابع : في كتاب الكسوف، باب من أحب العتاقة في كسوف الشمس، برقم ١٠٥٤، ٣٥/٢ . الخامس : باب قول الإمام في خطبة الكسوف : أما بعد، برقم ١٠٦١، ٣٧/٢ . السادس : في كتاب السهو، باب الإشارة في الصلاة، برقم١٢٣٥، ٨٦/٢ . السابع : في كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، برقم١٣٧٣، ١٢٤/٢ . الثامن : في كتاب العتق، باب ما يستحب من العتاقة في الكسوف أو الآيات، برقم ٢٥٢٠، ١٦١/٣ . التاسع : في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن =

وفي رواية: (.. فَأَشَارَتْ برَأْسِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ : آيَةٌ . فَأَشَارَتْ برَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ . قَالَتْ : فَأَطَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، جِدًّا حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ، وَإِلَى جَنْبِي قِرْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ فَفَتَحْتُهَا فَجَعَلْتُ أَصُبُّ مِنْهَا عَلَى رَأْسِي، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ وَحَمِدَ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : « **أَمَّا بَعْدُ** » . قَالَتْ: وَلَغَطَ نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْكَفَأْتُ إِلَيْهِنَّ لِأُسَكِّتَهُنَّ، فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ : مَا قَالَ : قَالَتْ : قَالَ : « **مَا مِنْ شَيْءٍ لم أَكُنْ أُرِيتُهُ ..** ») [1] .

وفيها : «.. **فَآمَنَّا وَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا وَصَدَّقْنَا فَيُقَالُ لَهُ نَمْ صَالِحًا قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنْ كُنْتَ لَتُؤْمِنُ بِهِ وَأَمَّا الْمُنَافِقُ ..** »

وفي رواية: عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ، بِالْعَتَاقَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ[2].

وفي رواية: (.. قام رسولُ اللهِ ﷺ خطيباً، فذكر فتنةَ القبرِ التي يَفتَتِنُ فيها المرء. فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمونَ ضجَّةً) [3] .

وفي رواية: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ : كُنَّا نُؤْمَرُ عِنْدَ الْخُسُوفِ بِالْعَتَاقَةِ [4] .

شرح غريب الحديث :

« **الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** » – قيل : سمي مسيحاً لأنه مسح الأرض، أو لأنه ممسوح العين، والدجال على وزن فعال من الدجل، وهو الكذب والتمويه وخلط الحق بالباطل [5] .

=

النبي ﷺ، برقم٧٢٨٧، ١٧٩/٨ .

(١) كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد، برقم ٩٢٢، ٢٤٩/١ .

(٢) كتاب الكسوف، باب من أحب العتاقة في كسوف الشمس، برقم ١٠٥٤، ٣٥/٢ .

(٣) كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، برقم١٣٧٣، ١٢٤/٢ .

(٤) كتاب العتق، باب ما يستحب من العتاقة في الكسوف أو الآيات، برقم ٢٥٢٠، ١٦١/٣ .

(٥) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ٩٤/٢ .

(قِرْبَةٌ) – أوعية من جلود، تكون للماء، وقيل هي المخروزة من جانب واحد [1] .

(لَغَطَ) – اللغط اختلاط الأصوات، والجلبة والضوضاء [2] .

(الْعَتَاقَةِ) – مأخوذة من عَتَقَ العبدُ يعتق عِتقاً وعَتْقاً وعَتاقاً وعَتاقة، والعتق خلاف الرق وهو الحرية، والمراد في هذا الحديث : الإعتاق [3] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الخوف من الله ﷻ ، وآياته .

ثانياً – من أساليب الدعوة : الترغيب والترهيب .

ثالثاً – من صفات الداعية : استغلال الفرص .

رابعاً – من أصناف المدعوين : المسلمون وبيان شِدَّة تأثرهم بالوعظ .

خامساً– من آداب الوعظ والتذكير البدء بالحمد والثناء على الله،ثم قول (أما بعد).

سادساً – أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة .

سابعاً – حرص السلف الصالح على ضبط الرواية .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الخوف من الله ﷻ ، وآياته :

إن الداعية المؤمن، إذا رأى آية من آيات الله، خاف منها وفزع إلى الصلاة والطاعة وفعل الخير ولجأ إلى الله، حيث نجد في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ

---

(١) – انظر : لسان العرب، لابن منظور، مادة (قرب)، ٣٥٦٨/٦ .

(٢) – تفسير غريب الصحيحين، للحميدي، ص١٤٧ .

(٣) – انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (عتق)، ٢٧٩٨/٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٧٩/٥.

وصحابته الكرام ﷺ لما كسفت الشمس فزعوا إلى الصلاة والدعاء (فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ) وفي الرواية الأخرى (فَأَطَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، جِدًّا حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشْيُ) وهكذا كان حال رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة ﷺ الخوف الشديد من الله ﷻ وآياته، ككسوف الشمس، وخسوف القمر، وهبوب الريح، وغيرها من الآيات العظام .

إذن فمن صفات الداعية الصادق التي ينبغي أن يتحلى بها : الخوف من الله ﷻ ومن آياته التي يخوف بها عباده، ﴿ ومانُرسِلُ بالآيات إلا تخويفاً ﴾ (١) . والخوف من الله صفة من صفات الملائكة الذين هم عباد الله المكرمون ﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴾ (٢) . فما أحرى الداعية إلى الله بالاقتداء برسول الله ﷺ، والملائكة الكرام، والصحابة الأبرار ﷺ، في الخوف من الله وآياته، بالفزع إليه في الصلاة والذكر والصدقة وفعل الخيرات .

ثانياً – من أساليب الدعوة : الترغيب والترهيب :

إن من أساليب الدعوة إلى الله التي تستفاد من هذا الحديث وغيره : الترغيب والترهيب، حيث نجد في هذا الحديث أن الترغيب يظهر في ذكر الجنة، والترهيب بذكر النار، يقول ﷺ : « **مَا مِنْ شَيْءٍ لم أَكُنْ أُريتهُ إلا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ** .. » . وأيضاً فيه ترغيب بالأمن من فتنة القبر للمؤمن حيث يُقال له : « **نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ** »، والترهيب من النفاق حيث أنه يفشل في امتحان القبر وفتنته، يقول ﷺ : « **وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ** – لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ – **فَيَقُولُ : لا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ** »، يقول الإمام ابن أبي جمرة – رحمه الله – : ويترتب على مجموع هذا الحديث من الفقه وجهان، الأول : تقوية الإيمان ورسوخ اليقين لكثرة ما فيه من الدلالة على عظم القدرة، وعظم

---

(١) – سورة الإسراء، الآية : ٥٩ .

(٢) – سورة الرعد، الآية : ١٣ .

القادر . والثاني : أخذ الأهبة للارتحال والأخذ بطريق الخلاص والعمل على ذلك ما دام المرء يجد لنفسه مهلة في هذه الدار لكثرة ما فيه من الأخبار والتبين لطرق الخلاص وغيرها، فهل من مشمر لخلاص نفسه قبل حلوله في رمسه، لأنه لا ينفع الاعتذار مع تقدم الإنذار [١] .

لذا فينبغي للداعية إلى الله الاستفادة من هذا الأسلوب الدعوي المهم في الدعوة إلى الله، وخاصة عند الخوف من الله، وظهور آياته، فالقلوب حينئذٍ تكون مهيأة لمثل هذا الأسلوب وتتأثر به، وترغب بما يرغب فيه، وترهب مما يرهب منه .

ثالثاً - من صفات الداعية : استغلال الفرص :

إن في قول أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما : (فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ وَحَمِدَ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ ..)، وكذلك قولها رضي الله عنها : (كُنَّا نُؤْمَرُ عِنْدَ الْخُسُوفِ بِالْعَتَاقَةِ) . بياناً لما كان عليه رسول الله ﷺ من استغلال المواقف والفرص في الدعوة إلى الله والترغيب في الخير والتحذير من الشر، فرسول الله ﷺ استغل فرصة الخوف من الله وآياته فقام خطيباً مذكراً بالله وآياته، وكذلك في مثل هذه المواقف التي يخاف فيها المؤمن ويرق قلبه، ويرجو الله أن يعتقه من النار، يأمره ﷺ بالعتاقه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : ناسب الأمر بالعتق عند التخويف من النار للعتق منها [٢] .

رابعاً - من أصناف المدعوين : المسلمون ، وبيان شدة تأثرهم بالوعظ :

إن من أصناف المدعوين الذين ورد ذكرهم في هذا الحديث : المسلمين من الرجال والنساء، حيث جاء في الحديث : (قام رسولُ الله ﷺ خطيباً، فذكر فتنةَ القبرِ التي يَفتَتِنُ فيها المرء . فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمونَ ضجَّةً)، وهذه هي سمة المؤمن

---

(١) - انظر : بهجة النفوس، ١/١٢٩ .

(٢) - انظر : فتح الباري، ٥/١٧٩ .

يتأثر بالوعظ والتذكير بالجنة والنار، فهو يخشى أن لا يكون من أهل الجنة، وأن يكون من أهل النار، فيجزع لذلك ويضجُّ بالبكاء من خشية الله، ولكن النساء دائماً جزعهنَّ أكثر، حيث جاء في الحديث : (وَلَغَطَ نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ)، وذلك من شدة جزعهنَّ.

خامساً – من آداب الوعظ والتذكير البدء بالحمد والثناء على الله، ثم قول (أما بعد) :

إن في هذا الحديث إشارة إلى أدب من آداب الوعظ والتذكير، وهو: البدء بالحمد لله والثناء عليه، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – في شرحهم لهذا الحديث: فيه دليل على أن الخطبة تبدأ بالحمد لله والثناء عليه سبحانه وتعالى [١] .

ومن الأدب أيضاً أن يقول بعد ذلك : (أما بعد)، لذا بوب الإمام البخاري – رحمه الله – على هذا الحديث في كتاب الجمعة باباً قال فيه : باب من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد [٢] . يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : أي باب من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد، على تقدير الجواب المحذوف بأنه : فقد أصاب السنة، وعلى هذا ينبغي للخطباء أن يستعملوها تأسياً واتباعاً [٣] .

سادساً – أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة :

إن هذا الحديث فيه دليل على أهمية الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنه لا ينجوا من فتنة القبر إلا من كان عالماً عاملاً بهما، إذ يقول من فعل ذلك للملكين في القبر: « **مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا** .. »، ولذا ساق الإمام البخاري – رحمه الله – هذا الحديث في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، تحت باب : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ [٤] . أما المنافق ومن ترك

---

(١) – انظر :بهجة النفوس، ١/١١٩ .والكواكب الدراري،للكرماني،٢/٧١ .وعمدة القاري، للعيني، ٢/٩٨.

(٢) – الجامع الصحيح، ١/٢٤٩ .

(٣) – انظر : فتح الباري، ٢/٤٧٠ .

(٤) – الجامع الصحيح، ٨/١٧٦ .

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنه يقول : « **لا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ** » يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - عن ذلك : (فيه دليل على أن اتباع الناس دون علم مهلك . لأن السبب المهلك لهذا أن جعل دينه تبعاً للناس من غير علم ولا معرفة، فالعاقل يأخذ دينه من القواعد الشرعية التي بها الخلاص) (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحرص الشديد على التمسك بالكتاب والسنة، وترك أقوال الرجال التي تخالفهما، وأن لا يكونوا إمعات يقلدون من غير علم ولا نور من الله وبرهان، وأنه متى ما قيل هذا كتاب الله، وهذه سنة رسوله ﷺ، سارع للعمل بهما.

سابعاً - حرص السلف الصالح على ضبط الرواية :

إن في قول الراوي - رحمه الله - : (لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ) أثناء الحديث، يظهر منه مدى حرص سلفنا الصالح على نقل سنة رسول الله ﷺ والدقة فيها،يقول الإمام ابن أبي جمرة -رحمه الله- عن ذلك : إنه (شك من الراوي الذي روى عن أسماء في أيهما قالت. وفيه دليل على تحريهم في النقل وصدقهم، لأنه لما أشكل عليه ما قالت أسماء، أبدى الإشكال، و لم يأخذ بقوة الظن فيخبر به) (٢) .

ومن هنا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على هذا الأمر بضبط الرواية والحرص على الدقة فيها، وخاصة إذا كانت عن رسول الله ﷺ، بأن يقول إذا لم يتأكد من ضبطه وحفظه : قال رسول الله ﷺ : بما معناه (كذا وكذا) . أو بعد الفراغ من الحديث يقول : أو كما قال رسول الله ﷺ .

---

(١) - بهجة النفوس، ١٢٨/١ .وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٨٤/٣ .

(٢) - بهجة النفوس، ١٢٣/١ .

٢٧ – باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله

٧٦ – ٨٨ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي حُسَيْنٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ (١) . أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي، وَلا أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ** ». فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ (٢) .

وفي رواية: (.. أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ جَاءَتْ فَزَعَمَتْ أَنَّهَا أَرْضَعَتْهُمَا، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ : « **كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ** » (٣) .

وفي رواية: (.. فَأَعْرَضَ عَنِّي، قَالَ: فَتَنَحَّيْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: « **وَكَيْفَ وَقَدْ زَعَمَتْ أَنْ قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا** »، فَنَهَاهُ عَنْهَا) (٤) .

---

(١) – هو : عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، أبو سروعة، له رواية عن أبي بكر الصديق ﷺما، روى عنه : إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، لم يخرج له مسلم شيئاً، وروى له البخاري ثلاثة أحاديث في العلم، والزكاة، والحدود وعبيد بن أبي مريم، مات في خلافة ابن الزبير . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم١٨٢٢، ٩٨/٨ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٥٥٨٥، ٢٠/٧ . وعمدة القاري، للعيني، ١٠١/٢) .

(٢) – أطرافه : الأول : في كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات، برقم ٢٠٥٢، ٦/٣ . الثاني : في كتاب الشهادات، باب إذا شهد شاهد أو شهود بشيء، برقم٢٦٤٠، ١٩٩/٣ . الثالث : في كتاب الشهادات، باب شهادة الإماء والعبيد، برقم ٢٦٥٩، ٢٠٦/٣ . الرابع : في كتاب الشهادات، باب شهادة المرضعة، برقم٢٦٦٠، ٢٠٦/٣ . الخامس : في كتاب النكاح، باب شهادة المرضعة، برقم٥١٠٤، ١٥٣/٦ .

(٢) كتاب النكاح، باب شهادة المرضعة، برقم ٥١٠٤، ١٥١/٦–١٥٢ .

(٣) كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات، برقم ٢٠٥٢، ٦/٣ .

(٤) كتاب الشهادات، باب شهادة الإماء والعبيد، برقم ٢٦٥٩، ٢٠٦/٣ .

وفي رواية: (.. قَالَ : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: أَرْضَعْتُكُمَا،فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: تَزَوَّجْتُ فُلانَةَ بِنْتَ فُلان، فَجَاءَتْنَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ لِي: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا وَهِيَ كَاذِبَةٌ، فَأَعْرَضَ عَنِّي فَأَتَيْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، قُلْتُ : إِنَّهَا كَاذِبَةٌ، قَالَ : « **كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتْكُمَا دَعْهَا عَنْكَ** ». وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى يَحْكِي أَيُّوبَ (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الحرص على العلم بالرحلة إليه والسؤال عنه.

ثانياً – من صفات الداعية : حسن الخلق مع المدعوين .

ثالثاً – من صفات الداعية:الورع والتقوى .

رابعاً–من الحكمة في الدعوة إلى الله: إعراض الداعية أحياناً عن السائل للمصلحة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الحرص على العلم بالرحلة إليه والسؤال عنه :

إن سلفنا الصالح كانوا القدوة في الحرص على العلم النافع،فمثلاً نجد في هذا الحديث أن الصحابي الجليل عقبة بن الحارث رضي الله عنه يرتحل من مكة دار إقامته إلى المدينة لأجل مسألة نزلت به ليسأل عنها رسول الله ﷺ (٢)، يقول بعض العلماء –رحمهم الله–: وهذا يدل على الحرص على العلم وإيثار ما يُقرب إلى الله تبارك وتعالى (٣). قال الشعبي – رحمه الله – : لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لحفظ

---

(١) كتاب النكاح، باب شهادة المرضعة، برقم ٥١٠٤، ٦/١٥١–١٥٢ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٢٢٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٠٢ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/٧٤. وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٠٢ .

كلمة تنفعه فيما بقى من عمره، لم أر سفره يضيع [١] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يحرص أشدَّ الحرص على طلب العلم والاستزادة منه، وذلك بالسؤال عنه، والسفر إليه في الأماكن البعيدة الشاقة إذا لم يجده في المكان القريب .

ثانياً – من صفات الداعية : حسن الخلق مع المدعوين :

إن تبسم رسول الله ﷺ في وجه عقبة ﷺ من حسن خلقه وكماله، وفيه بيان لما ينبغي أن يكون عليه الداعية إلى الله ﷻ ، في التعامل مع المدعوين، من حسن الخلق، فالبسمة في وجوه المدعوين لها وقع كبير عليهم وفي تقبلهم من الداعية ما يقول، ومحبتهم له، لأنهم بشرٌ لهم عواطف وأحاسيس تتأثر بحسن الخلق والتعامل معه .

ثالثاً – من صفات الداعية : الورع والتقوى :

إن في ارتحال عقبة ﷺ إلى المدينة من مكة بياناً لشدة ورع الصحابة ﷺ وتقواهم لله وإيثار ما يقربهم إلى الله [٢] . هذا من جانب، ومن جانب آخر قال بعض العلماء – رحمهم الله – : إن في قول رسول الله ﷺ : « **كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ** » وقوله ﷺ : « **كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعَمَتْ** »، إشارةً إلى أن ذلك من باب التنزيه والورع على قول الأكثر [٣] . لذا فَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ، عملاً بوصية رسول الله ﷺ بالورع من ذلك . ومن هنا ساق الإمام البخاري – رحمه الله – هذا الحديث بعد حديث : « **الحلال بين والحرام بين ..** » ، في كتاب البيوع تحت باب : تفسير المشبهات . ويقول العلامة العيني – رحمه الله – عن ذلك : إن (مطابقته للترجمة في قوله : « **كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ** » لأنه مشعر بإشارته ﷺ إلى تركها ورعاً، ولهذا فارقها، ففيه

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٧٤/٢. وعمدة القاري، للعيني، ١٠٢/٢ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٧٤/٢. وعمدة القاري، للعيني، ١٠٢/٢ .

(٣) – انظر :فتح الباري، لابن حجر، ٣٤٣/٤، ٣١٨/٥ . وعمدة القاري، للعيني، ١٠٢/٢، ١٦٦/١١.

توضيح الشبهة وحكمها، وهو الاجتناب عنها) [١] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله العمل بوصية رسول الله ﷺ في الورع والتقوى من الأمور المشتبهة، والاقتداء بسلفنا الصالح ﷺ في ذلك وشدة حرصهم عليه .

رابعاً – من الحكمة في الدعوة إلى الله : إعراض الداعية أحياناً عن السائل للمصلحة :

إن فعل رسول الله ﷺ في إجابته عن سؤال عقبة ﷺ، عندما (أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَبَسَّمَ)، ثم قَالَ : « **كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ** »، فيه بيان لحكمة رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله ، وذلك أنه أراد تنبيه السائل على أن الحكم فيما سأل عنه الكف، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (وفي الحديث جواز إعراض المفتي ليتنبه المستفتي على أن الحكم فيما سأله الكف عنه) [٢] .

إذن فإعراض الداعية إلى الله ﷻ ، عن السائل إذا رأى أن هناك مصلحة له بتنبيهه أو للتأكيد على الجواب، فمن الحكمة فعله .

---

(١) – عمدة القاري ، ١١/١٦٦.

(٢) – فتح الباري، ٥/٣١٨ .

٢٨ – باب التناوب في العلم

٧٧ – ٨٩ – حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ ح قَالَ : أَبُو عَبْد ا لله وَقَالَ: ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي ثَوْرٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ ا للهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا، وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلَ صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، فَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ ا للهِ ﷺ، قَالَتْ: لا أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ : وَأَنَا قَائِمٌ أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ، قَالَ: « **لا** »، فَقُلْتُ : ا للهُ أَكْبَرُ (١) .

وفي رواية: (.. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ : لم أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَيْنِ قَالَ ا للهُ لَهُمَا : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب المظالم، باب الغرفة والعُلِّيَّة المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، ٢٤٦٨، ١٤٢/٣ . الثاني : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { تبتغي مرضاة أزواجك .. } ، برقم ٤٩١٣، ٨١/٦ . الثالث : في كتاب التفسير، باب { إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما } ، برقم٤٩١٤، ٨٢/٦ . الرابع : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { إن تتوبا إلى الله .. } ، برقم ٤٩١٥، ٨٣/٦ . الخامس : في كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، برقم٥١٩١، ١٨٠/٦ . السادس : في كتاب النكاح، باب حب الرجل بعض نسائه أفضل من بعض، برقم٥٢١٨، ١٩٠/٦ . السابع : في كتاب اللباس، باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبسط، برقم ٥٨٤٣، ٥٩/٧-٦٠ .الثامن : في كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، برقم٧٢٥٦، ١٧١/٨ . التاسع : في كتاب أخبار الآحاد، باب {ولا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم } ، برقم ٧٢٦٣، ١٧٣/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الطلاق، باب الإيلاء، برقم١٤٧٩، ١١٠٥/٢ .

اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (١)، فَحَجَجْتُ مَعَه، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبرَّزَ حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ، فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَانِ قَالَ اللهُ ﷻ لَهُمَا: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾، فَقَالَ: وَا عَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَنزِلُ يَوْمًا، وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: و لم تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَا للهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ، لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي، فَقُلْتُ : خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَيْ حَفْصَةُ أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ، أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ، فَتَهْلِكِينَ، لا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا تُرَاجِعِيهِ فِي شَيْءٍ وَلا تَهْجُرِيهِ وَاسْأَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ، وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا : أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ : أَنَائِمٌ هُوَ، فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هُوَ أَجَاءَتْ غَسَّانُ، قَالَ: لا بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ، طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَصَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ فَاعْتَزَلَ فِيهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، قُلْتُ : مَا يُبْكِيكِ أَو لم أَكُنْ

---

(١) - سورة التحريم، الآية : ٤ .

حذَّرْتُكِ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَتْ: لا أَدْرِي، هُوَ ذَا فِي الْمَشْرُبَةِ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ الْمِنبَرَ فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْمَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَقُلْتُ لِغُلامٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ : ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَانصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، فَجِئْتُ الْغُلامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا، فَإِذَا الْغُلامُ يَدْعُونِي قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَأَنَا قَائِمٌ طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: « لا »، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَسْتَأْنِسُ، يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْمٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَذَكَرَهُ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ : لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ : لا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ – يُرِيدُ عَائِشَةَ – فَتَبَسَّمَ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاثَةٍ، فَقُلْتُ : ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لا يَعْبُدُونَ اللهَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: « **أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** »، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَغْفِرْ لِي . فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عَائِشَةَ، وَكَانَ قَدْ قَالَ : « **مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا** »، مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عَاتَبَهُ اللهُ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، أَعُدُّهَا عَدًّا، فَقَالَ : النَّبِيُّ ﷺ :« **الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ** »،وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ،قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ : « **إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ** »، قَالَتْ : قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَم يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ،

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللهَ قَالَ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ عَظِيمًا ﴾ (١) . قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ (٢) .

وفي رواية: (.. فَقَالَ : تِلْكَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ، قَالَ : فَقُلْتُ وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا مُنْذُ سَنَةٍ فَمَا أَسْتَطِيعُ هَيْبَةً لَكَ، قَالَ : فَلا تَفْعَلْ مَا ظَنَنْتَ أَنَّ عِنْدِي مِنْ عِلْمٍ فَاسْأَلْنِي، فَإِنْ كَانَ لِي عِلْمٌ خَبَّرْتُكَ بِهِ قَالَ : ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : وَاللهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ، قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا فِي أَمْرٍ أَتَأَمَّرُهُ، إِذْ قَالَتِ امْرَأَتِي : لَوْ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ : فَقُلْتُ لَهَا : مَا لَكِ وَلِمَا هَا هُنَا وَفِيمَ تَكَلُّفُكِ فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ، فَقَالَتْ لِي : عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ مَا تُرِيدُ أَنْ تُرَاجَعَ أَنْتَ، وَإِنَّ ابْنَتَكَ لَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ مَكَانَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ..) (٣) .

وفيها : (.. قَالَ : ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ لِقَرَابَتِي مِنْهَا فَكَلَّمْتُهَا فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَبْتَغِيَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ، فَأَخَذَتْنِي وَاللهِ أَخْذًا، كَسَرَتْنِي عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أَجِدُ فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِذَا غِبْتُ أَتَانِي بِالْخَبَرِ وَإِذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا آتِيهِ بِالْخَبَرِ وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا فَقَدِ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا مِنْهُ ..) .

وفيها : .. وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ، فَبَكَيْتُ فَقَالَ : « **مَا يُبْكِيكَ** »، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كِسْرَى

---

(١) – سوررة الأحزاب، الآية : ٢٨ .

(٢) كتاب المظالم، باب الغرفة والعُلِّيَّة المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، ٢٤٦٨، ١٤٢/٣.

(٣) كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { تبتغي مرضاة أزواجك .. } ، برقم ٤٩١٣، ٨١/٦ .

وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ . فَقَالَ : « **أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ** » .

وفي رواية: (.. فَمَكَثْتُ سَنَةً فَلَمْ أَجِدْ لَهُ مَوْضِعًا حَتَّى خَرَجْتُ مَعَهُ حَاجًّا، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرَانَ ذَهَبَ عُمَرُ لِحَاجَتِهِ فَقَالَ: أَدْرِكْنِي بِالْوَضُوءِ، فَأَدْرَكْتُهُ بِالْإِدَاوَةِ فَجَعَلْتُ أَسْكُبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ وَرَأَيْتُ مَوْضِعًا فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَمَا أَتْمَمْتُ كَلامِي حَتَّى قَالَ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ) [1] .

وفي رواية: (.. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ : لَبِثْتُ سَنَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلْتُ أَهَابُهُ، فَنَزَلَ يَوْمًا مَنْزِلًا فَدَخَلَ الأَرَاكَ، فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلْتُهُ، فَقَالَ : عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ قَالَ : كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لا نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلامُ وَذَكَرَهُنَّ اللهُ، رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُدْخِلَهُنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِنَا، وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ امْرَأَتِي كَلامٌ فَأَغْلَظَتْ لِي، فَقُلْتُ لَهَا : وَإِنَّكِ لَهُنَاكِ، قَالَتْ : تَقُولُ هَذَا لِي وَابْنَتُكَ تُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُ حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا : إِنِّي أُحَذِّرُكِ أَنْ تَعْصِي اللهَ وَرَسُولَهُ، وَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهَا فِي أَذَاهُ، فَأَتَيْتُ أُمَّ سَلَمَةَ فَقُلْتُ لَهَا، فَقَالَتْ : أَعْجَبُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، قَدْ دَخَلْتَ فِي أُمُورِنَا، فَلَمْ يَبْقَ إِلا أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ فَرَدَّدَتْ وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ..) [2] .

وفيها : (.. فَذَكَرْتُ الَّذِي قُلْتُ لِحَفْصَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَالَّذِي رَدَّتْ عَلَيَّ أُمُّ سَلَمَةَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَبِثَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ثُمَّ نَزَلَ) .

شرح غريب الحديث :

﴿صَغَتْ﴾ – أي مالت [3] .

---

(١) كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { إن تتوبا إلى الله .. } ، برقم ٤٩١٥، ٨٣/٦ .

(٢) كتاب اللباس، باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبسط، برقم ٥٨٤٣، ٥٩/٧–٦٠ .

(٣) – تفسير غريب ما في الصحيحين، ص٤١ .

(بِالْإِدَاوَةِ) – إناء كالركوة ونحوها . [١] .

(تُنْعِلُ النِّعَالَ) – أي تضربها وتسويها [٢] .

(أَوْضَأَ) – أي : أحسن، يقال : امرأة وضيئة عند زوجها، أي : محببة إليه، حسنة في عينه [٣] .

(المشربة) – أي : الغرفة العلية [٤] .

(رِمَالِ حَصِيرٍ) – أي نسج حصير، يقال رملت الحصير إذا نسجته [٥] .

(أَهَبَةٍ) – أي : الجلد [٦] .

« **تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ** » – الاستئمار المشاورة في فعل الشيء أو تركه، يقال : استأمره يستأمره إذا شاوره في ذلك [٧] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص الصحابة ﷺ على طلب العلم من رسول ا لله ﷺ ونقله للأمة .

ثانياً – أهمية التعاون بين الدعاة إلى ا لله في طلب العلم وغيره .

ثالثاً – أثر العشرة والاختلاط في التغيير .

رابعاً – استحباب تجمل الداعية بالملابس ونحوها .

---

(١) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، ص٤١٩ .

(٢) – فتح الباري، لابن حجر، ١٣٩/٥ .

(٣) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، ص٥٣٢ .

(٤) – انظر :المرجع السابق، ص٤٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٣٩/٥ .

(٥) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٢/١٠ .

(٦) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، ص٤٢ .

(٧) – المرجع السابق، ص٤٢ .

خامساً – وظيفة الأب مع ابنته في التربية والتوجيه، لا تنقطع بزواجها .

سادساً – رفق رسول الله ﷺ بزوجاته .

سابعاً – من وسائل الدعوة مع النساء : الهجر في الفراش .

ثامناً – أهمية مراعاة آداب طلب العلم .

تاسعاً – أهمية التثبت من صحة الكلام ونقله .

عاشراً – شدّة اهتمام الصحابة ﷺ بما أهم رسول الله ﷺ .

الحادي عشر – من أدب الداعية : الاستئذان في الدخول .

الثاني عشر – زهد رسول الله ﷺ في الدنيا .

الثالث عشر – أهمية الشورى للداعية إلى الله ﷻ .

الرابع عشر – عظم منزلة زوجات رسول الله ﷺ .

الخامس عشر – الإنكار على من خطر في قلبه شيء مذموم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – حرص الصحابة ﷺ على طلب العلم من رسول الله ﷺ ونقله للأمة :

إن هذا الحديث فيه دلالة كبيرة على حرص الصحابة ﷺ على طلب العلم من رسول الله ﷺ ونقله للأمة، فعمر وجاره الأنصاري ﷺما، كانا يتناوبان على رسول الله ﷺ وكان كل واحد منها يخبر صاحبه بما سمع من رسول الله ﷺ في اليوم الذي هو نوبته،وهذا حتى لا يفوتهما شيء من العلم،يقول الإمام النووي -رحمه الله- عن ذلك : وفيه ما كانوا عليه من حرصهم على طلب العلم وتناوبهم فيه، وضبط أحوال رسول الله ﷺ (١) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في الحرص على طلب

---

(١) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٣/١٠ . وانظر :إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢١٦/٥. ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢١٦/٥ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٧٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٢٤/١، ٢٠٤/٩. وعمدة القاري، للعيني، ١٠٥/٢ .

العلم، وخاصة منه ما يتعلق بسنة رسول الله ﷺ .

ثانياً – أهمية التعاون بين الدعاة إلى الله في طلب العلم وغيره :

إن في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حاله مع جاره في طلب العلم : (وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْزِلُ يَوْمًا، وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ..)، بياناً لما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى من التعاون في طلب العلم وغيره من الأمور كالدعوة إلى الله، يقول الوزير العالم ابن هبيرة – رحمه الله – : (وفي هذا الحديث دليل على أن المؤمن يستعين بأخيه المؤمن في التعلم والمعاش، ألا تراه يقول : (وكان لي جار من الأنصار، وكنت وهو نتناوب ..)، وإنما فعل ذلك لأنهما كانا يقضيان من الكسب فرضاً واجباً، ويتعلمان من العلم فروضاً لازمة، ففعلا بحسن تدبيرهما أن يقضي هذا وقتاً في كسبه، ويخلفه هذا في تعلم العلم والإتيان بخبر الوحي، ويفعل الآخر مثل فعل صاحبه، فيقضيان الفرضين ويدركان الأمرين)(١) . وذلك بتعاونهما.

إذن فالتعاون سبب للنجاح وتحصيل كثير من الأمور والأهداف للمتعاونين، وعكسه سبب لضياع كثير من الأمور، أو ضعفها وقلتها.

ثالثاً – أهمية العشرة والاختلاط في التغيير:

في هذا الحديث نرى كيف يتأثر الإنسان بالمخالطة للآخرين ويتغيّر ويأخذ من أدبهم وأخلاقهم، حيث يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك : (وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ ..) . ولكن هذا الذي كان عند الأنصار في التعامل مع الزوجات هو الذي أقره الإسلام ودعا له، من الإحسان للمرأة وإكرامها، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (وفيه أن شدة الوطأة على النساء مذموم، لأن النبي

---

(١) – الإفصاح عن معاني الصحاح، ١٢٨/١ .

ﷺ أخذ بسيرة الأنصار في نسائهم، وترك سيرة قومه) [١] .

إذن فالمخالطة لها أثر كبير في التغيير سواء للصالح أو السيء، فلذا فليحرص الداعية إلى الله ﷻ ، على من هم تحت مسؤوليته بأن يُخالطوا الأخيار ليكسبوا منهم الخلق الفاضل والأدب الجميل، وليحرصوا عليهم بأن لا يصُاحبوا الأشرار حتى لا يكسبوا منهم ويتأثروا بهم .

رابعاً – استحباب تجمل الداعية بالملابس ونحوها :

إن قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:(ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ..)، وقوله : (فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَصَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ..)، وفي الرواية الأخرى : (فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ مَكَانَهُ حَتَّى دَخَلَ ..)، فيه دليل على استحباب التجمل بالملابس ونحوها وخاصة عند لقاء أكابر الناس احتراماً وتكريماً لهم، يقول الإمام النووي – رحمه الله – : (فيه – أي الحديث – استحباب التجمل بالثوب والعمامة ونحوهما عند لقاء الأئمة والكبار احتراماً لهم) [٢] .

لذا يستحب للداعية إلى الله أن يكون دائماً عند ملاقاة الناس في ملابس جميلة تليق به وبمكانته ، وخاصة عند ملاقاة كبار الناس وسادتهم .

خامساً – وظيفة الأب مع ابنته في التربية والتوجيه، لا تنقطع بزواجها :

إن وظيفة الأب مع أولاده في الدعوة والتربية والتوجيه، لا تنقطع أبداً حتى مع البنت بعد زواجها وانتقال عصمتها وولايتها إلى زوجها، وهذا الحديث يؤكد ذلك، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تنته علاقته بابنته حفصة رضي الله عنها بزواجها من رسول الله ﷺ، فعندما رأى أنها أخطأت في حق زوجها رسول الله ﷺ ذهب إليها لتأديبها ونصحها، لذا قال بعض العلماء – رحمهم الله – : إن في هذا دليلاً على أن الرجل يؤدب ولده

---

(١) – فتح الباري، ٢٠٢/٩ .

(٢) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٧/١٠ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠٣/٩ .

صغيراً كان أو كبيراً أو بنتاً مزوجة (١) .

سادساً - رفق رسول الله ﷺ بزوجاته :

إن رسول الله ﷺ ضرب المثل الجميل الذي يُقتدى به في التعامل مع الزوجات من الرفق بهنَّ والصبر عليهن، يقول الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه الله - : وفي الحديث (من الفقه أن المؤمن قد يداري زوجته ويصبر على أذاها) (٢) . وذلك لقول زوجة عمر رضي الله عنهما له : (ولم تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَا للهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ، لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ)، ولقول عمر رضي الله عنه : (أَيْ حَفْصَةُ أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ)، وهذا التعامل من رسول الله ﷺ لزوجاته لمعرفته بحقيقة المرأة من الضعف الذي يستدعي الرحمة والشفقة والرفق بهنَّ، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفيه أن شدة الوطأة على النساء مذموم، لأن النبي ﷺ أخذ بسيرة الأنصار في نسائهم، وترك سيرة قومه) (٣) .

ولذا على الداعية إلى الله تبارك وتعالى ، أن يأخذ بسيرة رسول الله مع أزواجه، ويترك ما سوى ذلك من الشدة والقسوة التي في غير محلها .

سابعاً - من وسائل الدعوة مع النساء : الهجر في الفراش :

فكما ذُكر من أن الرفق مطلوب مع الزوجة في التعامل وأن هذا هو سيرة رسول الله ﷺ مع أزواجه، ولكن هذا ليس دائماً وعلى كل حال، لأنه إذا لم ينفع الرفق وصدرت من الزوجة بعض الأمور التي يكرهها الداعية إلى الله، فعند ذلك يكون من الحكمة استعمال بعضٍ من الشدة كالهجر في الفراش، فلذا هجر رسول الله ﷺ أزواجه وقال : « **مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا** »، يقول بعض أهل العلم - رحمهم

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٧/١٠ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٧٨/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٠٥/٢ . ومرقاة المفاتيح، للقاري، ٣٩٨/٦ .

(٢) - الإفصاح عن معاني الصحاح، ١٢٨/١ .

(٣) - فتح الباري، ٢٠٢/٩ .

الله– : إن في هذا الحديث من الفقه جواز أن يهجر الرجل امرأته وأهله أكثر من ثلاث ليالٍ تأديباً لهن (١) .

إذن فالهجر أسلوب دعوي يستخدمه الرجل مع زوجته لتأديبها إذا لم ينفع الرفق والوعظ معها، يقول الله ﷻ : ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾ (٢) .

ثامناً – أهمية مراعاة آداب طلب العلم :

إن العلم له آداب ينبغي لطالبه أن يراعيها ويهتم بها حتى يحصله ويصل إليه، ومن هذه الآداب التي تستفاد من هذا الحديث، الآتي :

١ – أن لا يتهجّم بالسؤال على العالم، يقول الوزير العالم ابن هبيرة – رحمه الله– : في هذا الحديث من الفقه:أدب المتعلم مع من يأخذ العلم عنه،وأن لا يتهجّم عليه بالسؤال، فقد يكون من العلم ما يقتضي البسط، ولا يحتمل مثله أن يسأل عنه في الأوقات الضيقة، ولا في وقت ازدحام السائلين؛ لأن عبدا لله بن عباس رضي الله عنهما يقول: (لم أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَيْنِ قَالَ الله لَهُمَا : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (٣)، فَحَجَجْتُ مَعَه، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ، فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَانِ قَالَ الله ﷻ لَهُمَا..) (٤) .

٢ – وفيه من الفقه أن المتعلم إذا أراد أن يسأل عن ما للمسؤول فيه مماسة أو حصة لسبب له، أن يتحرى خلوة العالم التي لا يكون فيها على مشهد من الناس،

---

(١) – انظر : الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، ١٢٩/١ . و شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٤/١٠ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢١٦/٥ .

(٢) – سورة النساء، الآية : ٣٤ .

(٣) – سورة التحريم، الآية : ٤ .

(٤) – انظر : الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، ١٢٦/١ .

وكذلك إذا كانت من المسائل الراجعة إلى أهل رسول الله ﷺ ونسائه، ألا ترى إلى ابن عباس رضي الله عنهما، توخّى أن يسأل عمر في خلوة ؟! فصبر عليه الزمان الطويل، وسافر معه حتى ناب مناب الأتباع في حمل الإداوة وصبِّ الماء على يدي عمر رضي الله عنه في طلب العلم، فلما سأله في موضع السؤال أجابه من غير تراخٍ [١] .

٣ – ومن أدب السؤال : أن يكون بالعبارة الجميلة والطيب من النطق، يقول الوزير العالم ابن هبيرة – رحمه الله – : (وفيه من الفقه أن ابن عباس سأل عمر بالطيب من النطق الذي ورد في حق المرأتين، وهو الذي ذكر فيه صَغْوَهُما للتوبة، ولم يذكر النطق الأول في قوله تعالى : ﴿وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾ [٢] ولا قوله : ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ [٣] . [٤]

٤ – توقير العالم واحترامه وخدمته، وهذا يُستفاد من خدمة ابن عباس لعمر رضي الله عنهم جميعاً، يقول الإمام النووي – رحمه الله – عن ذلك : (وفيه توقير الكبار وخدمتهم وهيبتهم كما فعل ابن عباس مع عمر رضي الله عنه) [٥] .

تاسعاً – أهمية التثبت من صحة الكلام ونقله :

إن من القضايا المهمة التي تستفاد من هذا الحديث وينبغي للدعاة إلى الله التفطن لها، هي : التثبت من الكلام الذي يكون مبنياً على الظن والإشاعة، لا على العلم واليقين، فعمر رضي الله عنه لما قال له الأنصاري رضي الله عنه : (طَلَّقَ رَسُولُ الله ﷺ نِسَاءَه..)، لم يستعجل في الأمر، بل تثبت منه، بسؤال ابنته أولاً قبل أن يذهب إلى رسول الله ﷺ

---

(١) – انظر : الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، ١٢٧/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٢/٩ .

(٢) – سورة التحريم، الآية : ٣ .

(٣) – سورة التحريم : الآية : ٤ .

(٤) – الإفصاح عن معاني الصحاح، ١٢٧/١ .

(٥) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٤/١٠ . وانظر :إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢٢٠/٥. وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٢/٩ .

فقال لها : (أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَتْ : لا أَدْرِي) . ولذا قال لرسول الله ﷺ قبل أن يبدأ معه : (أطلَّقتَ نِسَاءَكَ)، يقول العالم الوزير ابن هبيرة –رحمه الله–: (وفي هذا من الفقه: أن العاقل لا يهجم على السؤال عن أمر حتى يفهمه، ألا ترى عمر رضي الله عنه بدأ بالدخول على حفصة، وسألها عن الأمر) [١] .

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن ذلك : (إن الأخبار التي تشاع ولو كان كثر ناقلوها، إن لم يكن مرجعها إلى أمر حسي من مشاهدة أو سماع، لا تستلزم الصدق) [٢] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله تبارك وتعالى ، عدم الاستعجال في ردود الفعل على الأخبار التي لم تثبت عنده بيقين، حتى لا يندم على ذلك بسبب إشاعة قد يكون مصدرها من أعداء الدين كالمنافقين [٣] .

عاشراً –شدّة اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بما أهم رسول الله ﷺ :

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ المثل والقدوة في محبته لمن بعدهم ، حيث كانوا يفرحون لفرحه، ويحزنون لحزنه، ويهتمون لهمه، فرسول الله ﷺ كان أحب إليهم من أنفسهم،حيث نجد أنهم في هذا الحديث كما ذكر عمر رضي الله عنه عندما قال:(فَجِئْتُ الْمِنْبَرَ فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ)، يقول الإمام الأبي – رحمه الله – عن ذلك : (وفيه اهتمام المسلمين بما أهم رسول الله ﷺ واجتماعهم لذلك) [٤] .

بل إن من شدة اهتمامهم برسول الله ﷺ ومحبتهم له، عدُّهم غزو الملك الغساني

---

(١) – الإفصاح عن معاني الصحاح، ١٢٨/١ .

(٢) – فتح الباري، ٢٠٤/٩ .

(٣) – يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : إنه قد يكون الذي أشاع طلاق رسول الله ﷺ لنسائه أن يكون من المنافقين . (انظر : فتح الباري، ٢٠٤/٩) .

(٤) – إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢١١/٥ . وانظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢١١/٥ .

لهم أخف من طلاق رسول الله ﷺ لزوجاته، يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله – : وذلك لما كان فيه الصحابة ﷺ من شدة الاهتمام بما يهتم له النبي ﷺ، لإطلاق الأنصاري اعتزاله نساءه الذي أشعر عنده بأنه طلقهن المقتضي وقوع غمه ﷺ بذلك أعظم من طروق ملك الشام الغساني بجيوشه المدينة لغزو من بها، وهذا لما كانوا فيه من الطرف الأقصى من رعاية خاطره ﷺ أن يحصل له تشويش ولو قل، والقلق لما يقلقه، والغضب لما يغضبه والهم لما يهمه ﷺ (١) .

وهكذا ينبغي على الدعاة إلى الله من شدة المحبة لرسول الله ﷺ، وذلك بالاقتداء به ﷺ والذب عن سنته والدعوة لها، وبذل الغالي والنفيس لأجلها .

الحادي عشر – من أداب الداعية : الاستئذان في الدخول :

إن من الآداب التي تُستفاد من هذا الحديث، وينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله ﷻ : أدب الاستئذان في الدخول، فعمر ﷺ عندما جاء إلى رسول الله ﷺ في الأمر الذي كان من الأهمية له في أعلى درجاته، لم يدخل عليه من غير استئذان، بل قال للغلام : (اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ : ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ الْمِنْبَرِ)، وكرر هذا ثلاث مرات حتى أُذن له، لذا قال بعض أهل العلم – رحمهم الله – : إن هذا فيه دليل على مشروعية الاستئذان على المرء وإن كان وحده لاحتمال أن يكون على حالة يكره الاطلاع عليها، وفيه جواز تكرار الاستئذان ثلاث مرات لمن لم يؤذن له بعد أن يجلس هنيهة، فربما يكون الامتناع الأول لعارض عرض (٢) .

الثاني عشر – زهد رسول الله ﷺ في الدنيا :

إن هذا الحديث فيه دلالة على زهد رسول الله ﷺ في الدنيا، حيث كان من

---

(١) – انظر : فتح الباري، ٢٠٤/٩ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٦/١٠ .

(٢) – انظر : الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، ١٢٩/١ . و شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٣/١٠ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢١٢/٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٠٣/٩ .

البساطة، أن قال عمر ﷺ عنه : (فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ)، وقال ﷺ : (.. ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ، فَوَا للهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاثَةٍ ..)، وكان هذا من رسول الله ﷺ لزهده في الدنيا ومعرفته بحقيقتها، وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضه، يقول الوزير العالم ابن هبيرة -رحمه الله- عن ذلك: (وفيه دليل على أن رسول الله ﷺ لم يكن متنعماً ولا مترفاً حتى أثر في جنبه الحصير) [(١)] .

فإذا كان هذا هو حال رسول الله ﷺ في الدنيا وهو أحب الخلق إلى الله، عُرف من ذلك حقارة الدنيا، وأن الإنسان ينبغي له أن يزهد فيها .

الثالث عشر - أهمية الشورى للداعية إلى الله تعالى :

إن في قول رسول الله ﷺ لزوجه عائشة ﷺ : « **إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ** »، دليلاً على أهمية الشورى ، وأن الأنسان ينبغي له أن يستشير في أموره كلها قبل أن يقدم عليها، يقول الإمام ابن العربي - رحمه الله - : إن ذلك (دليل على أن المشاورة أصل في كل معنى ينزل بالإنسان في أمر دينه ودنياه) [(٢)] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على التشاور فيما بينهم في كل ما ينزل بهم، أو ما يرغبون في فعله قبل الإقدام عليه .

الرابع عشر - عظم منزلة زوجات رسول الله ﷺ :

إن في هذا الحديث منقبة عظيمة لزوجات رسول الله ﷺ وعظم منزلتهنّ، وخاصة منهنّ عائشة ﷺ، وذلك باختيارهنّ الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة، يقول

---

(١) - الإفصاح عن معاني الصحاح، ١٢٩/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٩/١٠ . وطرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي، ١٠٣/٧ .

(٢) - عارضة الأحوذي، ٣٧٧/٦ .

الإمام النووي - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة ثم لسائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن) [(١)].

ومن هنا نعرف قيمة أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ، وأنهنّ نعم الزوجات الصالحات للداعية رسول الله ﷺ، يقول الوزير العالم ابن هبيرة -رحمه الله-: (وفي الحديث من الفقه أنه لا يستتب للرجل المريد للآخرة استدامة صحبة امرأة لا تريد الآخرة، ألا ترى كيف تلا رسول الله ﷺ على عائشة الآية في التخيير حتى أقررن كلهنّ أنهنّ لا يردن الحياة الدنيا وزينتها، بل يردن الله ورسوله والدار الآخرة حتى أقرهنّ على صحبته) [(٢)] .

الخامس عشر - الإنكار على من خطر في قلبه شيء مذموم :

إن في قول رسول الله ﷺ : « **أَوَفِي شَكٌّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** » . دليلا على أن الإنسان الذي يخطر في قلبه شيء مذموم ويظهر ذلك من خلال كلامه، يُنكرعليه، يقول الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث أنه إذا خطر على قلب المؤمن أنّ ما في يد مثل كسرى وفارس والروم من الدنيا دليلُ خيرٍ لهم أن يُنكر عليه ذلك، ألا ترى أن رسول الله ﷺ استوى جالساً وقال : « **أَوَفِي شَكٌّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ** .. »، حتى فزع عمر إلى الاستغفار بقوله : يا رسول الله استغفر لي) [(٣)] .

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٩/١٠ .
(٢) - الإفصاح عن معاني الصحاح، ١٣٠/١ .
(٣) - المرجع السابق، ١٢٩/١ .

٢٩ – باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره

٧٨ – ٩٠ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ لا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلانٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ : « **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ** » (١) .

وفي رواية: .. أَنَّ رَجُلًا قَالَ : وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ** » (٢) .

وفي رواية: (.. قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلانٌ فِيهَا ..) (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام، برقم ٧٠٢، ١/١٩٣–١٩٤ . الثاني: في كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، برقم ٧٠٤، ١/١٩٤ . الثالث : في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، برقم٦١١٠، ٧/١٢٨ . الرابع : في كتاب الأحكام، باب هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان، برقم ٧١٥٩، ٨/١٣٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، برقم٤٦٦، ١/٣٤٠.

(٢) كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام، برقم ٧٠٢، ١/١٩٣–١٩٤ .

(٣) كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، برقم ٧٠٤، ١/١٩٤ .

ثانياً – استعمال الشدة والقسوة مع من لا يتوقع منه المخالفة .

ثالثاً – استخدام الوعظ إذا رأى الداعية ما يستدعيه .

رابعاً – من فقه إنكار المنكر : عدم التصريح بالأسماء .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية مراعاة أحوال المدعوين :

إن مراعاة أحوال المدعوين أمر ذو أهمية كبيرة، وما غضب رسول الله ﷺ في هذا الحديث وهو الحليم الرفيق، إلا دليل على ذلك، حيث يقول الراوي: (فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ)، فكان هذا الغضب لبيان أهمية ما سيقوله لهم، وهو : « **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ** »، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (ويحتمل أن يكون ما ظهر من الغضب لإرادة الاهتمام بما يلقيه لأصحابه ليكونوا من سماعه على بال لئلا يعود من فعل ذلك إلى مثله) [(١)] . وقال - رحمه الله - : (وأظهر الغضب فيها ليكون أوكد في الزجر عنها) [(٢)] .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بأحوال المدعوين فيما يكلفونهم أو يطالبونهم به، حتى لا يكونوا منفرين غير مرغبين في دين الله الذي يدعون إليه، مع ملاحظة أن يكون ذلك في حدود الشرع، يقول الإمام النووي -رحمه الله- عند شرحه لهذا الحديث في صحيح الإمام مسلم -رحمه الله- : والمعنى (ظاهر وهو الأمر للإمام بتخفيف الصلاة بحيث لا يخل بسنتها ومقاصدها) [(٣)].

ثانياً - استعمال الشدة والقسوة مع من لا يتوقع منه المخالفة :

إن الأصل في الداعية هو الرفق واللين مع المدعوين، ولكن هناك حالات تكون

---

(١) – فتح الباري، ٢/٢٣٢، ٢٣٣ .

(٢) – المرجع السابق، ١٠/٥٣٤ .

(٣) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/١٨٤ .

الحكمة فيها هي : استعمال الشدة والقسوة . ومنها ما جاء في هذا الحديث من غضب رسول الله ﷺ، وذلك بسبب أن المخالفة وقعت من شخص لا يتوقع منه المخالفة لعلمه ومنزلته، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله- (وسببه -أي الغضب الشديد - إما مخالفة الموعظة، أو للتقصير في تعلم ما ينبغي تعلمه) (١) .

إذن فمن الحالات التي يعدل فيها من الرفق واللين إلى الشدة والقسوة بدور مخالفة شرع لدى من لا يتوقع منه ذلك .

ثالثاً - استخدام الوعظ إذا رأى الداعية ما يستدعيه :

إن رسول الله ﷺ لما سمع الشكوى ممّا حدث من الصحابي الجليل أُبيّ بن كعب رضي الله عنه (٢) في إطالته الصلاة بالناس، قام ووعظ الناس وقال لهم:« **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ** » .

إذن فمن حكمة الداعية إلى الله إذا رأى أمراً قد حدث للناس، أن يستغل الموقف بموعظة يربطهم بالحدث حتى تكون أرسخ في النفوس وأوقع فيها تأثيراً .

رابعاً - من فقه إنكار المنكر : عدم التصريح بالأسماء :

إن من فقه إنكار المنكر : عدم التصريح باسم من وقع منه، وهذا يُستفاد من هذا الحديث في عدم ذكر رسول الله ﷺ اسم الصحابي الذي أمَّ بالناس فطول عليهم، إنما قال : « **إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ فِيهِمُ** ..»، يقول عن ذلك الإمام الكرماني - رحمه الله - : (وخاطب الكل و لم يعين المطول كرماً ولطفاً عليه، وكانت هذه عادته حيث ما كان يُخصص العتاب والتأديب لمن يستحقه حتى لا يحصل له الخجل ونحوه على رؤوس الأشهاد) (٣) .

---

(١) - فتح الباري، ٢٣٢/٢ .

(٢) - يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (ووهم من فسر الإمام المبهم هنا بمعاذ، بل المراد به أُبيّ بن كعب كما أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن) . انظر : فتح الباري، ٢٣٢/٢ .

(٣) - الكواكب الدراري، ٧٨/٢ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ١٠٦/٢ .

٧٩ – ٩١ – حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو الْعَقَدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ابْنُ بِلالٍ الْمَدِينِيُّ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ يَزِيدَ مَوْلَى الْمُنْبَعِثِ عَنْ زَيْدِ ابْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ (١) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ : « **اعْرِفْ وِكَاءَهَا** -أَوْ قَالَ- **وِعَاءَهَا وَعِفَاصَهَا ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ**»، قَالَ: فَضَالَّةُ الْإِبِلِ،فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ : « **وَمَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ الْمَاءَ، وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا** »، قَالَ : فَضَالَّةُ الْغَنَمِ قَالَ : « **لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ** » (٢) .

وفي رواية: .. جَاءَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَلْتَقِطُهُ، فَقَالَ : « **عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ**

---

(١) – هو : زيد بن خالد الجهني، منسوب إلى جهينة بن زيد بن لوث بن سود بن أسلم – بضم اللام – ابن الحاف بن قضاعة، يكنى أبا طلحة، وقيل : أبا عبدالرحمن، وقيل أبا زرعة، وليس في الصحابة ﷺ زيد بن خالد سواه، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، روى عن عثمان، وأبي طلحة، وعائشة ﷺ، وروى عنه ابناه خالد، وأبو حرب، وأبو سلمة، وآخرون كثير، ورُوِي له عن رسول الله ﷺ أحد وثمانون حديثاً، ذكر البخاري منها خمسة، نزل الكوفة، ومات بها سنة ثمان وسبعين، وهو ابن خمس وثمانين، وقيل مات بالمدينة . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٨٤٥، ٥٨/٤ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٢٨٨٩، ٥٢/٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١٠٨/٢)

(٢) – أطرافه :الأول : في كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار، برقم ٢٣٧٢، ١١٠/٣. الثاني : في كتاب اللقطة، باب ضالة الإبل، برقم ٢٤٢٧، ١٢٧/٣ . الثالث : في كتاب اللقطة، باب ضالة الغنم، برقم ٢٤٢٨، ١٢٨/٣ . الرابع : في كتاب اللقطة، باب إذا لم يوجد صاحب اللقطة، برقم ٢٤٢٩، ١٢٨/٣ . الخامس : في كتاب اللقطة، باب إذا جاء صاحب اللقطة، برقم ٢٤٣٦، ١٣٠/٣ . السادس : في كتاب اللقطة، باب من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان، برقم٢٤٣٨، ١٣١/٣ . السابع : في كتاب الطلاق، باب حكم المفقود في أهله وماله، برقم٥٢٩٢، ٢١٣/٦ . الثامن : في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، برقم٦١١٢،١٢٨/٧.

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب اللقطة، برقم١٧٢٢، ١٣٤٦/٢ .

احْفَظْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِهَا وَإِلا فَاسْتَنْفِقْهَا » [١] .

وفيهما : (.. قَالَ : ضَالَّةُ الْإِبلِ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ ..) .

شرح غريب الحديث :

« وِكَاءَهَا » – أي الخيط الذي تشد به الأوعية [٢] .

« عِفَاصَهَا » – العفاص هو الوعاء الذي يكون فيه النفقه، إن كان من جلد أو خرقة أو غير ذلك [٣] .

(فَتَمَعَّرَ) – أي تغير [٤] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – أهمية ذكر العلة في الإباحة أو المنع من شيء إن كانت ظاهرة .

ثالثاً – مشروعية الغضب والشدة عندما تنتهك حرمات الله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في الدعوة إلى الله :

إن من طرق تحصيل العلم : سؤال أهل العلم عنه، ولذا كان رسول الله ﷺ يحثُّ أصحابه ﷺ بالسؤال عمّا يجهلونه وما يحتاجون له من أحكام، ومن ذلك أنه

---

(١) كتاب اللقطة، باب ضالة الإبل، برقم ٢٤٢٧، ٣/١٢٧ .

(٢) – انظر : غريب الحديث، لأبي عبيد الهروي، ١/٣١٧، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ط دار الكتب العلمية، بيروت .

(٣) – المرجع السابق، ١/٣١٧ .

(٤) – فتح الباري، لابن حجر، ٥/٩٩ .

عندما أجاب بعض الصحابة ﷺ في فتوى لهم، وكانت سبباً لموت المستفتي، قال رسول الله ﷺ : « **قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال**» (١). إذن فالعلم سؤال وجواب،ومن ثم قيل حسن السؤال نصف العلم (٢).

وإن العلم الذي وصل إلينا في هذا الحديث، وكثير من الأحاديث، كان جواباً لسؤال وُجِهَ إلى قدوة الدعاة رسول الله ﷺ .

إذن فالداعية الحكيم يسعى دائماً إلى تشجيع المدعوين على السؤال عمّا يشكل عليهم، أو ما يجهلونه من أحكام، وأن يتقبل ذلك منهم ويُجيب عن أسئلتهم بما عنده من العلم .

ثانياً – أهمية ذكر العلة في الإباحة أو المنع من شيء إن كانت ظاهرة :

إن في قول رسول الله ﷺ لّما سئل عن ضالة الإبل : « .. **مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ الْمَاءَ، وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا** »، تعليلاً وبياناً لسبب المنع من التقاط ضالة الإبل، يقول العلامة ابن دقيق العيد – رحمه الله – عن ذلك : (فيه دليل على امتناع التقاطها، وقد نبه على العلة فيه، وهي : استغناؤها عن الحافظ والمتفقد) (٣) .

وكذلك لّما سئل رسول الله ﷺ عن التقاط ضالة الغنم بين سبب الإباحة وعلته بقوله: « **لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ** »، ويقول عن ذلك العلامة ابن دقيق العيد –رحمه الله – : (والحديث يدل على التقاطها، وقد نبه فيه على العلة، وهي خوف الضياع عليها إن لم يلتقطها أحد، وفي ذلك إتلاف لماليتها على مالكها) (٤) .

فخلاصة الكلام أن الداعية إلى الله إذا كان في الإجابة ما يعلل به، فإن هذا

---

(١) – انظر تخريج الحديث ص١٤٦ ، من هذا البحث .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر العسقلاني ، ١/١٧٣ .

(٣) – إحكام الأحكام شرح عدة الأحكام، ٢/١٦٠، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، ط دار عالم الكتب، بيروت .

(٤) – المرجع السابق، ٢/١٦٠ .

يكون أدعى عند السامع للعمل بالحكم وما يقوله الداعية ويرشد إليه.

ثالثاً – مشروعية الغضب والشدة عندما تنتهك حرمات الله :

إن رسول الله ﷺ الحليم لا يغضب إلا إذا كان هناك سبب مشروع فيه الغضب والحكمة تقتضيه، وفي هذا الحديث كان غضب رسول الله ﷺ بسبب أن الأمر يتعلق بحق الله وحرماته، ولذا بوب الإمام البخاري – رحمه الله – على هذا الحديث وغيره في كتاب الأدب، باباً قال فيه : باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ﷻ. وقال الله تعالى: ﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾[١]،[٢] . يقول عن ذلك الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (كأنه يشير إلى أن الحديث الوارد في أنه ﷺ كان يصبر على الأذى إنما هو فيما كان من حق نفسه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يمتثل فيه أمر الله من الشدة، وذكر فيه خمسة أحاديث تقدمت كلها، وفي كل منها ذكر غضب النبي ﷺ في أسباب مختلفة، مرجعها إلى أن ذلك كله كان في أمر الله، وأظهر الغضب فيها ليكون أوكد في الزجر عنها)[٣] . وقال – رحمه الله – : (فغضب إما لأنه نهى قبل ذلك عن التقاطها، وإما لأن السائل قصر في فهمه فقاس ما يتعين التقاطه على ما لا يتعين)[٤] . وعلى كلا الحالين فالسؤال فيه استفسار عن انتهاك حرمة من حرمات الله، فغضب لها .

إذن فمن الحالات التي يُعدل فيها من الرفق واللين إلى الشدة والقسوة، عندما تنتهك حرمة من حرمات الله ﷻ، سواء كان سببها بيان الداعية وإرشاده للمدعوين عن حرمتها،أو إن كانت مما يعلم بالضرورة وإنه لا يليق بالمدعو التقصير في فهمها .

---

(١) – سورة التوبة، الآية : ٧٣ .

(٢) – الجامع الصحيح، ١٢٨/٧ .

(٣) – فتح الباري، ٥٣٤/١٠ .

(٤) – المرجع السابق، ٢٢٥/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ١١٠/٢ .

٨٠ - ٩٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ : « **سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ** »، قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: « **أَبُوكَ حُذَافَةُ** »، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: « **أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ** »، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) .

٣٠ - باب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث

٨١ - ٩٣ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ فَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ فَقَالَ:« **أَبُوكَ حُذَافَةُ** »، ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: « **سَلُونِي** »، فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا فَسَكَتَ (٢) .

وفي رواية: (.. قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، خَرَجَ حِينَ

---

(١) - طرفه : في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال، برقم٧٢٩١، ١٨٠/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، برقم٢٣٦٠، ١٨٣٤/٤ .

(٢) - أطرافه : الأول :في كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت الظهر عند الزوال، برقم ٥٤٠، ١٥٤/١ . الثاني : في كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، برقم ٧٤٩، ٢٠٥/١ . الثالث : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } ، برقم ٤٦٢١، ٢٢٦/٥. الرابع : في كتاب الدعوات، باب التعوذ من الفتن، برقم ٦٣٦٢، ٢٠٣/٧ . الخامس : في كتاب الرقاق : باب القصد والمداومة على العمل، برقم٦٤٦٨، ٢٣٣/٧ . السادس : في كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم .. »، برقم٦٤٨٦، ٢٣٩/٧ . السابع والثامن والتاسع: في كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن، برقم٧٠٨٩ و ٧٠٩٠ و ٧٠٩١، ١٢١/٨،١٢٢ . العاشر والحادي عشر: في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، برقم ٧٢٩٤ و٧٢٩٥، ١٨١/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، برقم٢٣٥٩، ١٨٣٢/٤.

زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ، فَذَكَرَ أَنَّ فِيهَا أُمُورًا عِظَامًا ثُمَّ قَالَ: « **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ، إلا أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا** »، فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْبُكَاءِ وَأَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ : « **سَلُونِي** »، فَقَامَ عَبْدُ الله بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ فَقَالَ مَنْ أَبِي ؟ ..) [١] .

وفيها : .. ثُمَّ قَالَ : « **عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ** » .

وفي رواية: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ رَقِيَ الْمِنْبَرَ، فَأَشَارَ بِيَدَيْهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: « **لَقَدْ رَأَيْتُ الْآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الْجِدارِ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ** -ثَلاثًا- » [٢] .

وفي رواية: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ قَالَ :« **لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا** » قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : « **فُلانٌ** »، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [٣] . [٤]

وفي رواية: (.. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ الْمَسْأَلَةَ، فَغَضِبَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ :« **لا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إلا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ** »، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لافٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي، فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لاحَى الرِّجَالَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله مَنْ أَبِي؟ ..) [٥] .

---

(١) كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت الظهر عند الزوال، برقم ٥٤٠، ١/١٥٤ .

(٢) كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، برقم ٧٤٩، ١/٢٠٥ .

(٣) – سورة المائدة، الآية : ١٠١ .

(٤) كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } ، برقم ٤٦٢١، ٥/٢٢٦.

(٥) كتاب الدعوات، باب التعوذ من الفتن، برقم ٦٣٦٢، ٧/٢٠٣ .

وفي رواية: (.. فَصَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عِظَامًا، ثُمَّ قال : « **من أحب أن يسأل** ..» ..) [١] .

وفيها : (.. فَقَالَ أَنَسٌ : فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « **النَّارُ** »، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ ..) .

شرح غريب الحديث :

(خَنِينٌ)-البكاء مع مشاركةٍ في الصوت من الأنف،وهو الشديد من البكاء [٢].

(لاحَى) – من الملاحاة وهي : الخصام والسباب [٣] .

(أَحْفَوْهُ الْمَسْأَلَةَ) – أي أكثروا في الإلحاح والمبالغة فيه [٤] .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين والأطراف نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الفطنة .

ثانياً – كراهية كثرة السؤال وتكلف ما لا يعني .

ثالثاً – مشروعية الخطبة بالموعظة عند اجتماع الناس .

رابعاً – مشروعية الغضب في الموعظة .

خامساً – من وسائل الدعوة : استخدام المنبر .

سادساً – من أساليب الدعوة : التكرار .

سابعاً – من موضوعات الدعوة : ذكر الساعة والجنة والنار .

---

(١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، برقم ٧٢٩٤، ١٨١/٨ .

(٢) – انظر : تفسير غريب الصحيحين، للحميدي، ص٢٤٠ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٠٥/٨ .

(٣) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥ /١١٤ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٠٧/٨ .

(٤) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥ /١١٥ .

ثامناً – رقة الصحابة ﵃ وكثرة بكائهم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الفطنة :

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله : الفطنة، وهي فهم الأمور وربطها بما يرى أو يسمع (١) . وفي هذا الحديث نرى هذه الصفة قد وجدت في عمر ﵁ حيث يقول الراوي عنه : (فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَال ..) . وعن هذا يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – : (فيه فهم عمر ﵁ وفضل علمه، لأنه خشي أن يكون كثرة سؤالهم له كالتعنت والشك في أمره) (٢) .

ثانياً – كراهية كثرة السؤال وتكلف ما لا يعني :

فكما سبق في أكثر من حديث أن السؤال والجواب له أهمية كبيرة (٣)، حيث جاء الشرع بالتأكيد على هذا الأمر، يقول الله ﷻ : ﴿فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٤) . وفي هذا الحديث نرى أن الله ﷻ ينهى عن السؤال بقوله : ﴿لا تَسألوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (٥) . وعن الجمع بين الأمر والنهي يقول بعض العلماء – رحمهم الله – إنما يكون النهي فيمن سأل تكلفاً أو تعنتاً فيما لا حاجة به إليه، فأما من سأل لضرورة بأن وقعت له مسألة فسأل عنها فلا إثم عليه ولا عتب، بل هو المشروع في حقه لدلالة النصوص الكثيرة (٦) .

---

(١) – انظر : لسان العرب لابن منظور، مادة (فطن)، ٣٤٣٦/٦ .

(٢) – الكواكب الدراري، ٨٤/٢ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ١١٤/٢، ١١٥ .

(٣) – انظر مثلاً : ص١٤٦ ، وص٣٥٣ ، وص٣٧١ ، وص٤٦٢ ، وص٥٠٠ ، من هذا البحث .

(٤) – انظر : سورة النحل، الآية : ٤٣ . وسورة الأنبياء، الآية : ٧ .

(٥) – سورة المائدة، الآية : ١٠١ .

(٦) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١١١/١٥ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٠٧/٨. ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٠٧/٨ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٨٤/٢ . وفتح الباري، =

ولذا بوب الإمام البخاري – رحمه الله – على هذا الحديث وغيره في كتاب الاعتصام، باباً قال فيه : باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلُّف ما لا يعنيه . وقوله تعالى : ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (١) . يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عن هذه الترجمة : كأنه يريد أن يستدل بالآية على المدعى من الكراهة وهو كثرة السؤال عما كان وعما لم يكن (٢) .

إذن فالسؤال عن العلم أمر مشروع، والمنهي عنه التعنت والتكلف في الأسئلة مما لا حاجة للإنسان فيه، ولا يعنيه من قريب ولا من بعيد .

ثالثاً – مشروعية الخطبة بالموعظة عند اجتماع الناس :

إن قول راوي الحديث عن رسول الله ﷺ: إنه (خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ، فَذَكَرَ أَنَّ فِيهَا أُمُورًا عِظَامًا..)، فيه دليل على مشروعية التذكير والوعظ بعد الصلوات المفروضة استغلالاً لاجتماع الناس ، إذ جاء التصريح في هذا الحديث بأن الصلاة هي صلاة الظهر، لا الجمعة .

فلذا ينبغي للإمام الداعية إلى الله سبحانه وتعالى ، استغلال اجتماع الناس في المساجد بالموعظة والتذكير ، وذلك لما له من أهمية كبيرة في ترقيق قلوب المدعوين المستعدة لمثل هذه المواعظ في بيوت الله سبحانه وتعالى .

رابعاً – مشروعية الغضب في الموعظة :

إن هذا الحديث فيه بيان لمشروعية الغضب في الموعظة والتعليم إذا كان هناك ما يستدعي ذلك، ولذا ساق الإمام البخاري – رحمه الله – ترجمة على هذا الحديث قال فيها : باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره . وعن ذلك يقول الحافظ ابن

=

لابن حجر، ١٣/٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١١٤ .

(١) – الجامع الصحيح، ٨/١٨٠ .

(٢) – انظر : فتح الباري، ١٣/٢٨٠ .

حجر – رحمه الله – : (قصر المصنف الغضب على الموعظة والتعليم دون الحكم، لأن الحاكم مأمور أن لا يقضي وهو غضبان، والفرق أن الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان لأن مقامه يقتضي الانزعاج، لأنه في صورة المنذر، وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازماً في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين) (١) .

إذن فصدق الواعظ يبدو في انفعاله وتأثره بالأمر الذي يُفيض فيه الكلام أمراً ونهياً، ترغيباً و ترهيباً، فعليه التنبه لهذا الأمر واعياً له يظهر انفعالـه في مكانه المناسب حتى يتضح ذلك للمدعوين الذين يسمعون له .

خامساً – من وسائل الدعوة : استخدام المنبر :

في هذا الحديث لما أراد رسول الله ﷺ الوعظ والتذكير، وأن يخطب في أصحابه (رَقِيَ الْمِنْبَرَ)، وذلك لأجل أن يسمع أكثر الناس كلامه ويرونه وهو يتكلم ويصف لهم .

إذن فمن وسائل الدعوة التي ينبغي للداعية الاستفادة منها، استخدام المنبر لوظيفته الدعوية المهمة في إبراز الداعية للناس لسماع كلامه ورؤيته، والتأثر بانفعالاته، وحركاته .

سادساً – من أساليب الدعوة : التكرار :

إن من أساليب الدعوة : تكرار بعض الكلام لشد انتباه السامع لبعض الأمور، ولفت انتباهه لأهميتها : حيث نجد أن رسول الله ﷺ، بعد أن ذكر لهم أنه رأى الجنة والنار، قال : « **فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ** – ثَلاثًا – »، أي كرر قوله ثلاث مرات (٢) . وذلك للتأكيد على أهمية ما أخبرهم به وشدّ انتباههم له .

---

(١) – فتح الباري، ١/٢٢٦ .

(٢) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ٥/٣٠٨ .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله أن يستخدم هذا الأسلوب الدعوي في حديثه بتكرار بعض الكلمات أو الجمل المهمة لتحقيق الأثر المرجو في المدعوين، بشدّ انتباههم، لها، أو للتأكيد على أهميتها .

سابعاً - من موضوعات الدعوة : ذكر الساعة والجنة والنار :

إن موضوعات الدعوة كثيرة جداً، وتختلف أهميتها بحسب مكانتها في الدين، ومن الموضوعات المهمة التي يجب أن تطرق بين الحين والآخر وأن لا يغفل عنها الدعاة إلى الله : ذكر الساعة وما يسبقها من أمور عظام، وذكر الجنة والنار، حيث نجد أن أنس بن مالك ﷺ يقول إن النبي ﷺ : (قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عِظَامًا ..) . وجاء في الحديث : « **عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ** » .

إذن فرسول الله ﷺ كان يحدث بالساعة والجنة والنار، وذلك لما فيها من التذكير بالجزاء وما أعده الله لعباده، كلاً بحسب عمله وما قدم .

ثامناً - رقة الصحابة ﷺ وكثرة بكائهم :

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ في المنزلة الكبيرة من الإيمان بالله والخوف منه، ورقة القلوب، ولذا يقول أنس ﷺ إنه لما وعظهم رسول الله ﷺ : (جَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لافٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي)، وقَالَ في الرواية الأخرى : (فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ) وذلك من شدة تأثرهم بالموعظة . يقول العلامة الأبي - رحمه الله - : وذلك (لأنه ﷺ أصدق الناس موعظة وأنصحهم للأمة، وأصحابه ﷺ أرق الناس قلوباً) (١) .

---

(١) - إكمال إكمال المعلم، ١٠٥/٨ . وانظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٠٥/٨ .

٣١ – باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه

٨٢ – ٩٤ – حَدَّثَنَا عَبْدَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُالصَّمَدِ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُا للهِ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ : حَدَّثَنَا ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِا للهِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ، سَلَّمَ ثَلاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا (١) .

وفي رواية: (.. عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الأناة وعدم العجلة .

ثانياً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين .

ثالثاً – أهمية أسلوب التكرار في الدعوة إلى ا لله تعالى .

رابعاً – من صفات الداعية : الحرص على هداية الناس .

خامساً – غاية البيان والإعذار في العموم لا يكون إلا بثلاث .

سادساً – أهمية إلقاء السلام على المدعوين .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الأناة وعدم العجلة :

إن في تكرار رسول ا لله ﷺ الحديث ثلاث مرات ليفهم عنه، دليلاً على أهمية اتصاف الداعية بالأناة وترك العجلة في الحديث، يقول الشيخ محمد العثيمين –حفظه

---

(١) – طرفاه : الأول : في كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، برقم ٩٥، ١/٣٧ .
والثاني: في كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، برقم٦٢٤٤، ٧/١٦٨ .

(٢) كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، برقم ٩٥، ١/٣٧ .

ا لله - : (إنه ينبغي للإنسان - الداعية إلى ا لله - إذا تكلم وخاطب الناس، أن يكلمهم بكلام بيّن، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئاً في شيء) (١) . ويكرره إذا احتاج لذلك ليفهم عنه .

ثانياً - أهمية مراعاة أحوال المدعوين :

إن قول أنس ﷺ عن رسول ا لله ﷺ : (إِنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ) فيه دليل على أنه ﷺ كان يراعي أحوال السامعين له، وأن مقدرة الفهم عندهم ليست سواء، فمنهم من يفهم من أول مرة، ومنهم من يحتاج إلى التكرار، يقول الإمام الخطابي - رحمه ا لله - : (أما إعادة الكلام ثلاثاً فإنما كان يفعله لأحد معنيين، أحدهما : أن يكون بحضرته من يقصر فهمه عن وعي ما يقوله، فيكرر القول ليقع به الفهم، إذ هو مأمور بالبيان والتبليغ . وإما أن يكون القول الذي يتكلم به نوعاً من الكلام الذي يدخله الإشكال والاحتمال، فيُظاهر بالبيان لتزول الشبهة فيه ويرتفع الإشكال معه) (٢) .

لذا ينبغي للداعية إلى ا لله التفطن لهذا الأمر وأن المدعوين أفهامهم مختلفة المقدرة والاستيعاب، فيكرر ما يرى أنه يحتاج إلى ذلك ليفهمه الجميع .

ثالثاً - أهمية أسلوب التكرار في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن من أساليب القول المهمة في الدعوة إلى ا لله، التكرار، لما فيه من الفوائد التي تعود على المدعوين، يقول بعض أهل العلم - رحمهم ا لله - : إن إعادة الكلام فيه الإبلاغ في التعليم، والزجر في الموعظة، وحفظ الكلام، وفهم المراد ٣ .

لذا ينبغي للدعاة إلى ا لله استخدام هذا الأسلوب إذا ظهرت الحاجة إليه كما جاء

---

(١) - شرح رياض الصالحين، ٦٩/٧ .

(٢) - أعلام الحديث، ٢٠٧/١ .وانظر : عمدة القاري، للعيني، ١١٥/٢ .

(٣) - انظر : أعلام الحديث، للخطابي، ٢٠٧/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٨٦/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٢٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١١٥/٢ .

في هذا الحديث بأن الرسول ﷺ كان يعيد الكلام ليفهم منه (أي أنه إذا فهم بدون تكرار، فإنه لا يكرر الحديث، وهذا هو الواقع، فإن الرسول ﷺ نسمع عنه أحاديث كثيرة يقولها في خطبه وفي المجتمعات، ولا يكرر ذلك) (١) .

رابعاً – من صفات الداعية : الحرص على هداية الناس :

إن هذا الحديث يبين مدى ما كان عليه رسول الله ﷺ من الحرص على هداية الناس، وذلك لإعادة الكلام ثلاث مرات ليفهم الناس، يقول العلامة العيني – رحمه الله-: (إعادة النبي ﷺ ثلاث مرات إنما كانت لأجل المتعلمين والسائلين ليفهموا كلامه حق الفهم، ولا يفوت عنهم شيء من كلامه الكريم) (٢) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الاتصاف بالحرص الشديد على هداية الناس، اقتداءً برسول الله ﷺ الذي كادت نفسه ﷺ تزهق من شدة ذلك (٣) كما أخبر الله ﷻ في قوله : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ (٤) .

خامساً – غاية البيان والإعذار في العموم لا يكون إلا بثلاث :

إن هذا الحديث يدل على أن غاية البيان والإعذار للدعاة إلى الله إنما يكون بتكرار الدعوة على المدعوين ثلاث مرات، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن هذا الحديث فيه دليل على أن الثلاث هي غاية ما يقع به البيان والإعذار، وإنه متى ما رأى أن هناك حاجة للزيادة فإنه يزيد على الثلاث (٥) .

---

(١) – شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٧٠/٧ .

(٢) – عمدة القاري، ١١٥/٢ .

(٣) – انظر : تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ١٤١/٣ .

(٤) – سورة الكهف، الآية : ٦ .

(٥) – انظر :الكواكب الدراري، للكرماني، ٨٦/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٢٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١١٧/٢ .

سادساً - أهمية إلقاء السلام على المدعوين :

إن رسول الله ﷺ (إِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا)، فقد كان رسول الله ﷺ لا يترك هذه التحية العظيمة لما فيها من الخير العظيم عليه وعليهم، ولأهميتها في بث روح الطمأنينة في نفوسهم والألفة والمحبة بينهم، يقول رسول الله ﷺ :« **أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم** »[١].

يقول الإمام ابن العربي -رحمه الله-: و(فائدة شيوع المحبة بين الخلق ائتلاف الكلمة فتعم المصلحة، وتقع المعاونة، وتظهر شعائر الدين، وتخزي زمرة الكافرين) [٢] .

إذن فالسلام له أهمية دعوية واجتماعية ، وذلك لما ينتج عنه من المحبة والألفة بين الداعية والمدعوين، ولما ينتج عنه من الترابط في المجتمع والتعاون والمحبة بينهم .

---

(١) - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم٩٣، ٧٤/١ .

(٢) - عارضة الأحوذي، ٣٥٢/٥ .

٣٢ - باب تعليم الرجل أمته وأهله

٨٣ - ٩٧ - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ سَلامٍ حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا صَالِحُ ابْنُ حَيَّانَ قَالَ: قَالَ عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ : **« ثَلاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ ا للهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فتزوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ »** .ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ : أَعْطَيْنَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يُرْكَبُ فِيمَا دُونَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ (١) .

وفي رواية: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ : « **الْمَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي لَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَالطَّاعَةِ لَهُ أَجْرَانِ** » (٢) .

وفي رواية: (.. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأَمَةُ فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعَبْدُ الَّذِي يُؤَدِّي حَقَّ ا للهِ وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ** » (٣) .

---

(١) - أطرافه : الأول : في كتاب العتق، باب فضل من أدب جاريته وعلمها، برقم٢٥٤٤، ١٦٧/٣ . الثاني : في كتاب العتق، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده، برقم٢٥٤٧، ١٦٨/٣ . الثالث : في كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، برقم ٢٥٥١، ١٦٩/٣ . الرابع : في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتاب، برقم٣٠١١، ٢٥/٤ . الخامس : في كتاب أحاديث الأنبياء، باب { واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها } ، برقم ٣٤٤٦، ١٧٢/٤ . السادس : في كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري، برقم٥٠٨٣، ١٤٧/٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، برقم١٥٤، ١٣٤/١ .

(٢) كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، برقم ٢٥٥١، ١٦٩/٣ .

(٣) كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتاب، برقم٣٠١١، ٢٥/٤ .

وفي رواية: « .. **وَإِذَا آمَنَ بِعِيسَى ثُمَّ آمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ** .. » (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – مسؤولية الرجل الدعوية عن أهله ومن هم تحت يده .

ثانياً – أهمية أسلوب الترقيم في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثالثاً – من أساليب الدعوة : الترغيب .

رابعاً – عموم رسالة نبينا محمد ﷺ .

خامساً – حرص السلف الصالح على طلب العلم والتحريض عليه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – مسؤولية الرجل الدعوية عن أهله ومن هم تحت يده :

إن هذا الحديث فيه بيان لمسؤولية الرجل عن أهل بيته ومن هم تحت يده، في التربية والتعليم والدعوة إلى الله، ولذا ترجم الإمام البخاري – رحمه الله – على هذا الحديث بقوله : (باب تعليم الرجل أمته وأهله)، يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله– : (مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص وفي الأهل بالقياس، إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء) (٢) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله مزيد الاهتمام بأهله ومن هم تحت يده بالتربية والتعليم، وتأديبهم بآداب الإسلام وأخلاقه، لأن مسؤوليتهم عليه آكد من غيرهم .

ثانياً – أهمية أسلوب الترقيم في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن في قول رسول الله ﷺ : « **ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ**.. »، أسلوباً من

---

(١) كتاب أحاديث الأنبياء، باب { واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها }، برقم ٣٤٤٦، ١٧٢/٤ .

(٢) – فتح الباري، ٢٢٩/١ .

أساليب الدعوة إلى الله، وهو : ذكر الرقم والترقيم لنقاط الحديث الذي سوف يتحدث فيه، فرسول الله ﷺ ذكر الرقم ثلاثة لشدّ انتباه السامع واستحضاره لعدّ الثلاثة التي ينطبق عليها العدد، ومما يؤكد أن مفهوم العدد في الحديث ليس للحصر بل من باب البيان في التبليغ، قول كثير من العلماء – رحمه الله – : إن قوله ﷺ : « **ثلاثة يؤتون أجرهم** .. »، لم يخرج مخرج الحصر فلا مفهوم للعدد، لأن غير الثلاثة المذكورة في الحديث قد أوتي الأجر مرتين، كالذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق، وكالصدقة على القريب، وكمن سن سنة حسنة، وغيرها كثير [(١)] .

لذا ينبغي للداعية إلى الله أن لا يغفل عن هذا الأسلوب، بذكر العدد للمسائل التي يطرحها، ليشُدَّ انتباه المدعوين إلى حديثه، ويجعلهم يُنصتون له لمعرفة خبر هذا العدد ونتيجته، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن الفصيح من الكلام، الإجمال أولاً ثم التفسير للإجمال بعده، لأنه ﷺ أجمل لهم أولاً،ثم بعد ذلك فسر ما أجمل، والحكمة في ذلك أنه عند الإخبار بالإجمال يحصل للنفس المعرفة بغاية المذكور ثم تبقى متشوقة إلى معرفة معناه فيكون ذلك أوقع في النفس وأعظم فائدة[(٢)] .

ثالثاً – من أساليب الدعوة : الترغيب :

إن في ذكر رسول الله ﷺ الأجرين لمؤمن أهل الكتاب الذي يسلم، وللعبد المملوك الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي حق سيده وينصح له، والرجل الذي تكون له الأمة فيُحسن تأديبها وتعليمها ثم يعتقها ويتزوجها، إن في ذلك حثاً وترغيباً في هذه الأعمال لمضاعفة الأجر مرتين، يقول الإمام النووي – رحمه الله – : إن الحديث

---

(١) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٤٢/١. ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٤٤٢/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٩٠/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠/٩، ٢٠٤/٩. وعمدة القاري، للعيني، ١٢٢/٢ .

(٢) – انظر : بهجة النفوس ،لابن أبي جمرة، ٩٧/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٦٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣١١/١ .

(فيه فضيلة من آمن من أهل الكتاب بنبينا ﷺ وأن له أجرين لإيمانه بنبيه قبل النسخ، الثاني لإيمانه بنبينا ﷺ، وفيه فضيلة العبد المملوك القائم بحقوق الله تعالى، وحقوق سيده، وفضيلة من أعتق مملوكته وتزوجها) (١) .

إذن إذا أراد الداعية إلى الله الحديث عن بعض الأعمال الصالحة، فينبغي له أن يرغب فيها بما ورد لها من أجر مضاعف، أو كثير، أو عظيم .

رابعاً – عموم رسالة نبينا محمد ﷺ :

إن هذا الحديث فيه دلالة على عموم رسالة نبينا محمد ﷺ لجميع البشر وأن أهل الكتب والديانات السابقة مخاطبون بها ومطالبون بالإيمان برسول الله ﷺ، ولذا بوب بعض الشراح على صحيح الإمام مسلم –رحمه الله– على هذا الحديث وغيره باباً جاء فيه: (باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته)(٢).

خامساً – حرص السلف الصالح على طلب العلم و التحريض عليه :

إن في قول عَامِرٍ الشعبي – رحمه الله – في آخر الحديث : (أَعْطَيْنَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ قَدْ كَانَ يُرْكَبُ فِيمَا دُونَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ)، بياناً لما كان عليه سلفنا الصالح – رحمهم الله – من الرحلة إلى البلدان البعيدة في حديث واحد أو مسألة واحدة، وفيه أيضاً تحريض للسامع ليكون ذلك أدعى لحفظه للحديث وأجلب لحرصه على العلم، يقول الإمام النووي – رحمه الله – عن هذا القول : (فيه جواز قول العالم مثل هذا تحريضاً للسامع على حفظ ما قاله، وفيه بيان ما كان السلف – رحمهم الله– عليه من الرحلة إلى البلدان البعيدة في حديث واحد أو مسألة واحدة) (٣) .

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨٩/٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٠/٩ .

(٢) – انظر صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، ١٣٤/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨٩/٢. وانظر :إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٤٤/١ .

(٣) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨٩/٢ . وانظر :إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٤٤/١ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٤٤٤/١ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٩٠/٢ . وفتح الباري، =

فلذا ينبغي للداعية إلى الله الاقتداء بالسلف الصالح - رحمهم الله - في الجد والنشاط وتحمل المشاق في طلب العلم .

ويجوز للداعية إلى الله أن يقول لبعض طلابه مثل قول الإمام الشعبي - رحمه الله- من باب التحريض لهم على حفظ العلم والاهتمام به .

=

لابن حجر، ٢٣٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٢/٢ .

٣٣ – باب عظة الإمام النساء وتعليمهن

٨٤ – ٩٨ – حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَيُّوبَ قَالَ: سَمِعْتُ عَطَاءً قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَوْ قَالَ عَطَاءٌ : أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلالٌ فَظَنَّ أَنَّهُ لم يُسْمِعْ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُرْطَ وَالْخَاتَمَ،وَبِلالٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ . قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عَطَاءٍ وَقَالَ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (١) .

وفي رواية:عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ لَهُ رَجُلٌ : شَهِدْتَ الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: نَعَمْ، وَلَوْلا مَكَانِي مِنْهُ مَا شَهِدْتُهُ – يَعْنِي مِنْ صِغَرِهِ – أَتَى الْعَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ، ثُمَّ خَطَبَ ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَتَصَدَّقْنَ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَهْوِي بِيَدِهَا إِلَى حَلْقِهَا تُلْقِي فِي ثَوْبِ بِلالٍ، ثُمَّ أَتَى هُوَ وَبِلالٌ الْبَيْتَ (٢) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، صَلَّى يَوْمَ الْفِطْرِ رَكْعَتَيْنِ لم يُصَلِّ قَبْلَهَا

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الأذان، باب وضوء الصبيان، برقم ٨٦٣، ٢٣٥/١ . الثاني : في كتاب العيدين، باب الخطبة بعد العيد، برقم ٩٦٤، ٧/٢ . الثالث : في كتاب العيدين، باب العلم الذي بالمصلى، برقم٩٧٧، ١٠/٢ . الرابع : في كتاب العيدين، باب موعظة الإمام النساء يوم العيد، برقم ٩٧٩، ١١/٢ . الخامس: في كتاب العيدين، باب الصلاة قبل العيد وبعدها، برقم٩٨٩، ١٤/٢. السادس : في كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، برقم ١٤٣١، ١٤٥/٢ . السابع: في كتاب الزكاة، باب العرض في الزكاة، برقم ١٤٤٩، ١٤٩/٢ . الثامن : في كتاب التفسير، سورة الممتحنة، برقم٤٨٩٥، ٧٣/٦ . التاسع : في كتاب النكاح، باب { والذين لم يبلغوا الحلم منكم } ، برقم ٥٢٤٩، ١٩٨/٦ . العاشر : في كتاب اللباس، باب الخاتم للنساء، برقم٥٨٨٠، ٧٠/٧ . الحادي عشر : في كتاب اللباس، باب القلائد والسخاب للنساء، برقم٥٨٨١، ٧٠/٧ . الثاني عشر : في كتاب اللباس، باب القرط للنساء، برقم٥٨٨٣، ٧١/٧ . الثالث العاشر، كتاب الاعتصام، باب ما ذكر النبي ﷺ وحضَّ على اتفاق أهل العلم، برقم٧٣٢٥، ١٩٣/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب العيدين، باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها، رقم٨٨٤، ٦٠٦/٢ .

(٢) كتاب الأذان، باب وضوء الصبيان، برقم ٨٦٣، ٢٣٥/١ .

وَلا بَعْدَهَا، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلالٌ فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ، تُلْقِي الْمَرْأَةُ خُرْصَهَا وَسِخَابَهَا (١) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ : شَهِدْتُ الْفِطْرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي الله عنهم، يُصَلُّونَهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ، ثُمَّ يُخْطَبُ بَعْدُ . خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ حَتَّى جَاءَ النِّسَاءَ مَعَهُ بِلالٌ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ (٢) الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَغَ مِنْهَا : « **آنْتُنَّ عَلَى ذَلِكِ** »، قَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لم يُجِبْهُ غَيْرُهَا : نَعَمْ – لا يَدْرِي حَسَنٌ مَنْ هِيَ – قَالَ : « **فَتَصَدَّقْنَ** » فَبَسَطَ بِلالٌ ثَوْبَهُ، ثُمَّ قَالَ : هَلُمَّ لَكُنَّ فِدَاءٌ أَبِي وَأُمِّي، فَيُلْقِينَ الْفَتَخَ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلالٍ (٣) .

وفي رواية: (.. فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُلْبَ وَالْخُرْصَ) (٤) .

وفي رواية: (.. فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي، وَأَشَارَ أَيُّوبُ إِلَى أُذُنِهِ وَإِلَى حَلْقِهِ)(٥).

وفي رواية: (.. خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، ولم يَذْكُرْ أَذَانًا وَلا إِقَامَةً ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ ..) (٦) .

شرح غريب الحديث :

(الْقُرْطَ) – هو ماعلق في شحمة الأذن (٧) .

---

(١) كتاب العيدين، باب الخطبة بعد العيد، برقم ٩٦٤، ٧/٢ .

(٢) – سورة الممتحنة، الآية : ١٢ .

(٣) كتاب العيدين، باب موعظة الإمام النساء يوم العيد، برقم ٩٧٩، ١١/١ .

(٤) كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، برقم ١٤٣١، ١٤٥/٢ .

(٥) كتاب الزكاة، باب العرض في الزكاة، برقم ١٤٤٩، ١٤٩/٢ .

(٦) كتاب النكاح، باب { والذين لم يبلغوا الحلم منكم } ، برقم ٥٢٤٩، ١٩٨/٦ .

(٧) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٠٧ .

(حَلْقِهَا) – هو الخاتم لا فص له [١] .

(سِخَابَهَا) – خيط ينظم فيه خرز [٢] .

(الْفَتَخَ) – خواتيم عظام كانت في الجاهلية ، وقيل : هي خواتيم لا فصوص لها [٣] .

(الْقُلْبَ) – قيل هو السوار، وقيل هو مخصوص بما كان من عظم [٤] .

(الْخُرْصَ) – الحلقة الصغيرة من الحلي تجعل في الأذن [٥] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية اصطحاب صغار السن لمجالس العلم والعبادة .

ثانياً – من أصناف المدعوين : النساء، وأهمية تخصيص دروس لهن ، وتمييز مكانهنَّ عن الرجال .

ثالثاً – من أساليب الدعوة إلى الله : الوعظ، والتعليم .

رابعاً – من موضوعات الدعوة : الحث على الصدقة .

خامساً – حرص السلف على ضبط الرواية والدقة فيها .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) – انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الحاء مع اللام، ٤٢٦/١ .

(٢) – انظر :المرجع السابق، ص١٥٣ .

(٣) – انظر : المرجع السابق، ص١٥٢ .

(٤) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٥٢/٣ .

(٥) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٥٣ .

أولاً- أهمية اصطحاب صغار السن لمجالس العلم والعبادة :

إن هذا الحديث فيه ما يؤكد على أهمية إحضار صغار السن مجالس العلم والعبادة، لحفظهم العلم، وإدراكهم لما يدور حولهم، وعدم نسيانهم له، فهذا ابن عباس ﷺ لما سئل (هل شَهِدْتَ الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ ا للهِ ﷺ ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَوْلا مَكَانِي مِنْهُ مَا شَهِدْتُهُ - يَعْنِي مِنْ صِغَرِهِ - أَتَى الْعَلَمَ ..) . يقول ابن بطال - رحمه ا لله -: (خروج الصبيان للمصلى إنما هو إذا كان الصبي ممن يضبط نفسه عن اللعب ويعقل الصلاة ويتحفظ مما يفسدها، ألا ترى إلى ضبط ابن عباس القصة) [(١)]. بل يصح إحضار كل الأطفال من يعقل وغيره، إذا وجد معهم من يضبطهم ويحفظهم، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه ا لله - (إنما يحتاج أن يكون مع الصبيان من يضبطهم عما ذكر من اللعب ونحوه، سواء صلوا أم لا، وأما ضبط ابن عباس فلعله كان لفرط ذكائه) [(٢)] .

إذن فاصطحاب صغار السن وحضورهم لمجالس العلم والعبادة له فائدة دعوية هامة تتمثل **أولاً** في حفظهم للعلم ونقله إلى الآخرين، **وثانياً** فيه تعويدٌ لهم على العبادة وطلب العلم .

ثانياً - من أصناف المدعوين : النساء، وأهمية تخصيص دروس لهن، وتمييز مكانهنَّ عن الرجال :

إن مما يستفاد من هذا الحديث، أن من أصناف المدعوين الذين يخصهم الداعية بالوعظ والتذكير ويخاطبهم بالدعوة : النساء، ولكن ذلك بشرط أن لا يترتب عليه مفسدة أو خوف على الداعية أو المدعوات من النساء، يقول الإمام النووي - رحمه ا لله - : وفي هذا الحديث (استحباب وعظ النساء وتذكيرهن الآخرة، وأحكام الإسلام، وحثهن على الصدقة، وهذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة وخوف على

---

(١) - نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ٢/٥٤٠ .

(٢) - المرجع السابق، ٢/٥٤٠ .

الواعظ أو الموعوظ أو غيرهما) [١] . ولذا كانت ترجمة الإمام البخاري - رحمه الله- على هذا الحديث بقوله : باب، عظة الإمام النساء وتعليمهن. يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (نبه بهذه الترجمة على أن ما سبق من الندب إلى تعليم الأهل ليس مختصاً بأهلهن، بل ذلك مندوب للإمام الأعظم ومن ينوب عنه) [٢] .

ومما يستفاد من هذا الحديث، ويُؤكَدُ عليه أن النساء إذا حضرن مع الرجال إلى المصلى ومجامع الرجال للعبادة والفائدة والتعلم، فعليهنّ أن يعتزلن أماكن الرجال، ولا يختلطن بهم،حيث قال الراوي: (ثم أتى النساء) وهذا يشعر بأن النساء كنّ على حدة من الرجال غير مختلطات بهم [٣]. يقول الإمام النووي - رحمه الله-: (وفيه أن النساء إذا حضرن صلاة الرجال ومجامعهم يكن بمعزل عنهم خوفاً من فتنة نظرة أو فكر ونحوه) [٤] .

ثالثاً - من أساليب الدعوة إلى الله : الوعظ ، والتعليم :

إن من أساليب الدعوة إلى الله التي ينبغي للدعاة إلى الله طرقها واستخدامها في دعوتهم: أسلوب الوعظ، وأسلوب التعليم، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: واستفيد الوعظ بالتصريح من قوله في الحديث : (فوعظهن) [٥] ، واستفيد التعليم من قوله : (وأمرهن بالصدقة)، كأنه أعلمهن أن في الصدقة تكفيراً لخطاياهنّ [٦] .

ومما يبين أهمية هذين الأسلوبين، تأثر النساء بالموعظة والتعليم، فجعلن يلقين في

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧٢/٦ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٥٤٠/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٣/٢ .

(٢) - فتح الباري، ٢٣٢/١ .

(٣) - انظر : المرجع السابق، ٥٤٠/٢ .

(٤) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧٢/٦ .

(٥) - وكذلك الحديث رقم ١٠١ ورد فيه التصريح بالوعظ للنساء . انظر ص٥٣٦ من هذا البحث .

(٦) - انظر : فتح الباري، ٢٣٢/١ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٩٣/٢ .

ثوب بلال ﷺ من حليهنّ وما معهنّ من مال .

رابعاً – من موضوعات الدعوة : الحث على الصدقة :

إن من الموضوعات التي يتحدث فيها الداعية للمدعوين لأهميتها في الدعوة إلى الله، والتكافل الاجتماعي، وشيوع المحبة والتعاون بين المسلمين، موضوع الصدقة والحث عليها، ولذا بوب الإمام البخاري – رحمه الله – على هذا الحديث في كتاب الزكاة باباً قال فيه : باب التحريض على الصدقة [(١)] . يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (التحريض معناه الترغيب بذكر ما في الصدقة من الأجر) [(٢)] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله حثّ الناس على الصدقة والإنفاق في سبيل الله تأسياً برسول الله ﷺ في أمره بذلك، ولأهميتها الدعوية والاجتماعية .

خامساً – حرص السلف على ضبط الرواية والدقة فيها :

إن في قول عطاء – رحمه الله – : (سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَوْ قَالَ عَطَاءٌ : أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلالٌ ..)، بياناً لما كان عليه سلفنا الصالح من الدقة والضبط للرواية، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : وإنما عبر بلفظ الشهادة تأكيداً لتحققه ووثوقاً بوقوعه، لأن الشهادة خبر قاطع، تقول منه شهد الرجل على كذا، وإنما قال : أشهد بلفظة على، لزيادة التأكيد في وثاقته، لأنه يدل على الاستعلاء بالعلم على خروجه ﷺ، ومعه بلال ﷺ، إذا كان لفظ أشهد من قول ابن عباس ﷺما، أو على استعلاء العلم على سماعه من ابن عباس ﷺما، إذا كان لفظ أشهد من قول عطاء [(٣)] .

---

(١) – الجامع الصحيح، ١٤٤/٢ .

(٢) – فتح الباري، ٣٥٢/٣ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٩١/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٣٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٣/٢ .

٣٤ – باب الحرص على الحديث

٨٥ – ٩٩ – حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِا لله قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ ا لله مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ ا لله ﷺ : « **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا ا لله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ** » [(١)] .

وفي رواية: « .. **مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا ا لله خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ** » [(٢)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – فراسة رسول ا لله ﷺ .

ثانياً – من صفات الداعية : الحرص على العلم بالسؤال عنه .

ثالثاً – من أساليب الدعوة : نداء المدعو باسمه المحبب إليه .

رابعاً – من أساليب الدعوة : الثناء على المدعو .

خامساً – أهمية التوحيد في الدعوة إلى ا لله .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – فراسة رسول الله ﷺ :

إن قول رسول ا لله ﷺ : « **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا**

---

(١) – طرفه : في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم ٦٥٧٠، ٧/ ٢٦٠ .

(٢) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، برقم ٦٥٧٠، ٧/ ٢٦٠ .

الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ .. »، فيه دليل على تفرس رسول الله ﷺ في أصحابه ﷺ، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : من هذا الحديث ينبغي للعالم أن يتفرس في متعلميه فينظر في كل واحد مقدار تقدمه في فهمه [1] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله أن يتفرس في المدعوين بما يراه ويسمعه منهم، فيعامل كلاً منهم بحسب حاله وما يتوقع أن المصلحة له فيه .

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على العلم بالسؤال عنه :

إن في سؤال أبي هريرة ﷺ لرسول الله ﷺ : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ ومن ثَمَّ ثناء رسول الله ﷺ عليه بقوله : « **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ** ..»، حثاً على الحرص على العلم وذلك بالسؤال عنه، يقول العلامة العيني - رحمه الله-: في الحديث (الحرص على العلم والخير، فإن الحريص يبلغ بحرصه إلى البحث عن الغوامض ودقيق المعاني لأن الظواهر يستوي الناس في السؤال عنها لاعتراضها أفكارهم وما لطف من المعاني لا يسأل عنها إلا الراسخ، فيكون ذلك سبباً للفائدة ويترتب عليها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) [2] .

إذن الحريص على العلم يسأل عنه ويختار من الأسئلة التي في إجابتها فائدة كبيرة له وللسامعين لخفائها عليه وعليهم .

ثالثاً - من أساليب الدعوة : نداء المدعو باسمه المحبب إليه :

إن من أساليب الدعوة إلى الله الناجحة، وذلك لما لها من أثر على المدعو : نداء المدعو باسمه المحبب إليه عند تعليمه ودعوته، فرسول الله ﷺ في هذا الحديث لما سأله أبو هريرة ﷺ، وأراد الإجابة عليه بدأه بندائه باسمه فقال : « **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا**

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٩٥/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٨/٢ .

(٢) - المرجع السابق، ١٢٨/٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٣٣/١ .

هُرَيْرَةَ.. »، يقول الإمام أبن أبي جمرة – رحمه الله –: (والحكمة في ذلك – النداء بالاسم – تظهر من وجهين، **الأول** : أن نداءه باسمه أجمع لخاطره فيكون ذلك سبباً لتحصيل جميع ما يلقي إليه، ومثل ذلك نداؤه ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ثلاث مرات وهو معه على الراحلة [١]، ثم بعد الثلاث ألقى إليه ما أراد، كل ذلك ليأخذ الأهبة للإلقاء ويصغي لسماع الخطاب .

الثاني : إن في ندائه باسمه إدخال سرور عليه ، لأن النداء أبداً إذا وقع من الفاضل إلى المفضول يحصل له به ابتهاج وسرور، فكيف به وهو نداء سيد الأولين والآخرين) [٢] .

رابعاً – من أساليب الدعوة : الثناء على المدعو :

إن من الأساليب الدعوية التي لها تأثير كبير على المدعو : الثناء عليه بعمله الفاضل، وهذا يُستفاد من ثناء رسول ﷺ على حرص أبي هريرة رضي الله عنه على العلم، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : في هذا الحديث دليل على أن مدح العمل لصاحبه مندوب، لأنه يزيد صاحبه فيه تغبطاً، ويكون به أبعث على الاجتهاد في عمله لثناء الفاضل عليه بسببه [٣] .

خامساً – أهمية التوحيد في الدعوة إلى الله :

إن التوحيد له شأن عظيم ومكانة كبيرة جداً في هذا الدين والدعوة إليه، فالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قامت دعوتهم على التوحيد والأمر به، ونفي ما يضاده من الشرك والرياء، يقول الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله

---

(١) – انظر: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، برقم ٥٩٦٧، ٨٩/٧ .

(٢) – بهجة النفوس، ١٣٤/١ .

(٣) – انظر : المرجع السابق ، لابن أبي جمرة، ١٣٤/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٩٥/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٨/٢ .

واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١)، ويقول ﷻ : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ (٢) . وقد حكى الله ﷻ في كتابه الكريم قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن كل نبي كان يقول لقومه : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (٣).

وفي هذا الحديث نرى أن أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ من قال كلمة التوحيد مخلصاً ومؤمناً بها حقاً، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحقٍّ إلا الله ﷻ (٤) . وأكد رسول الله ﷺ على أنه لا يكفي مجرد النطق بها، بل لابد من الإخلاص في ذلك، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (فيه دليل على أن من خالط إيمانه شائبة، لا يسعد به، لأنه ﷺ شرط فيه الإخلاص، والإخلاص يتضمن عدم الشوائب دقها وجلها) (٥) . وأكد على الإخلاص بقوله : « **من قلبه** »، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : الإخلاص محله القلب، فكان ذكر القلب بعده من باب التأكيد عليه، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ، ألا تراك تقول إذا أردت التأكيد : أبصرته عيني، وسمعته أذني (٦) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام العظيم بالتوحيد في دعوتهم، ونفي ما يضاده من الشرك ومظاهره، فهذا الأمر ينبغي أن يكون في أول أوليات الدعوة وموضوعاتها وأن لا يتقدم عليه أمر من الأمور مهما كانت أهميته، لأن الباقي كله تبع له ولا يصح ولا يقبل إلا به .

---

(١) - سورة النحل، الآية : ٣٦ .

(٢) - سورة البينة، الآية : ٥ .

(٣) - سورة هود، الآيات : ١٤، ٥٠، ٦١، ٨٤ .

(٤) - انظر : شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٣١٩/٢ .

(٥) - بهجة النفوس، ١٣٧/١ .

(٦) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٩٤/٢، ٩٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٥١/١١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٨/٢ .

٣٥ – باب كيف يقبض العلم

٨٦ – ١٠٠ – حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** » (١) .

وفي رواية: (.. عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ اللهَ لا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ** »، فَحَدَّثْتُ بِهِ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ، فَقَالَتْ : يَا ابْنَ أُخْتِي انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللهِ فَاسْتَثْبِتْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ، فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَا، فَعَجِبَتْ فَقَالَتْ : وَاللهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو) (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – مكانة العلم وفضله .

ثانياً – أهمية وجود العلماء في الأمة والالتفاف حولهم .

---

(١) – طرفه : في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، برقم٧٣٠٧، ١٨٧/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، برقم٢٦٧٣، ٢٠٥٢/٤ .

(٢) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، برقم٧٣٠٧، ١٨٧/٨.

ثالثاً – التحذير من اتخاذ الجهال رؤساء .

رابعا – خطورة القول على الله بغير علم .

خامساً – حرص الصحابة ﷺ على التثبت في الرواية .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – مكانة العلم وفضله :

إن مّما يبين مكانة العلم وفضله من هذا الحديث، أنه لا يذهب من صاحبه إلا بموته، بخلاف غيره فقد يذهب في أي لحظة، كالجاه والمال والصحة والفراغ، يقول ﷺ: « **إِنَّ اللهَ لا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ** .. »، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : محو العلم من الصدور جائز في القدرة، إلا أن هذا الحديث دل على عدم وقوعه، وأن الله لا يقبض العلم من بين العباد بعد أن يتفضل به عليهم، ولا يسترجع ما وهب لهم من العلم [(١)].

إذن فنعمة العلم بفضل الله تدوم وتبقى لصاحبها إلى أن يموت بعكس غيرها من النعم، وهذا مما يؤكد ويحضّ على طلب العلم والنهل منه لبقائه ودوامه لصاحبه .

ثانياً – أهمية وجود العلماء في الأمة والالتفاف حولهم :

إن وجود العلماء في الأمة له أهمية كبيره في حفظها من الزيغ والضلال، فرسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث : إنه إذا لم يوجد العلماء فإن الناس يسألون الجهال ويتخذونهم رؤوساً : « **فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ** » .

يقول ابن مسعود ﷺ : (لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم، هلكوا) [(٢)] .

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٩٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٣٥/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣١/٢ . وفيض القدير، للمناوي، ٣٤٧/٢ .

(٢) – شرح السنة، للبغوي، ٣١٧/١ .

وقيل لسعيد بن جبير – رحمه الله – : ما علامة هلاك الناس ؟ قال : إذا هلك علماؤهم (١) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار) (٢) .

إذن فمكانة العلماء ومنزلتهم عظيمة جداً في الأمة، وأنها لا تستغني عنهم أبداً، مما يُؤكد عليها الإلتفاف حولهم والانطلاق عن علمهم ورأيهم ومشورتهم، حتى لا يهلكوا .

ثالثاً – التحذير من اتّخاذ الجهال رؤساء :

إن قول رسول الله ﷺ في الحديث : « .. **حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** »، فيه تحذير للناس من خطورة جعل الجهال رؤساء لهم، وترك العلماء، يقول بعض العلماء – رحمهم الله –: إن هذا الحديث في تحذير من اتّخاذ الجهال رؤساء لما يترتب عليه من المفسدة العظيمة والزيغ والضلال (٣) .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (من سوده قومه على الفقه، كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه، كان هلاكاً له ولهم) (٤) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله التنبه لخطورة هذا الأمر وأن لا يصدروا إلا عن قول العلماء الكبار أئمة الدين أهل القرآن والحديث، وعليهم التنبيه والتحذير للناس من خطورة جعل الجهال رؤساء لهم، حتى لا يهلكوا ويضلوا .

---

(١) – شرح السنة، للبغوي ، ٣١٧/١ .

(٢) – المرجع السابق، ٣١٧/١ .

(٣) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٥/١٦ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٩٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٣٦/١، ٣٠١/١٣ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣٢/٢ .

(٤) – شرح السنة، للبغوي، ٣١٧/١ .

رابعا - خطورة القول على الله بغير علم :

إن القول على الله بغير علم خطره على الأمة عظيم، وضرره جسيم، يقول الله ﷻ : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ (١) . وفي هذا الحديث يقول رسول الله ﷺ مبيناً عاقبة الذين يفتون برأيهم أنهم: « **يُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ** »، ولذا بوب الإمام البخاري -رحمه الله- على هذا الحديث وغيره في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باباً قال فيه: (باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس) (٢). يقول الحافظ ابن حجر-رحمه الله - عن الترجمة : إن المقصود بها (الفتوى بما يؤدي إليه النظر، وهو يصدق على ما يوافق النص وعلى ما يخالفه، والمذموم منه ما يوجد النص بخلافه، وأشار بقوله: (من)، إلى أن بعض الفتوى بالرأي لا تذم، وهو إذا لم يوجد النص من كتاب أو سنة أو إجماع، وقوله : (تكلف القياس)، أي إذا لم يجد الأمور الثلاثة واحتاج إلى القياس، فلا يتكلفه بل يستعمله على أوضاعه ولا يتعسف في إثبات العلة الجامع، التي هي من أركان القياس) (٣) .

ويقول بعض العلماء - رحمهم الله - في الإجابة عن التوفيق بين الآية السابقة والحديث في ذم العمل بالرأي وبين ما فعله السلف من استنباط الأحكام : (إن نص الآية ذم القول بغير علم، فخص به من تكلم برأي مجرد عن استناد إلى أصل، ومعنى الحديث ذم من أفتى مع الجهل، ولذلك وصفهم بالضلال والإضلال، وإلا فقد مُدح من استنبط من الأصل، لقوله ﷻ : ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ (٤) . فالرأي إذا كان مستنداً إلى أصل من الكتاب أوالسنة أو الإجماع، فهو المحمود، وإذا كان لا يستند

(١) - سورة الإسراء، الآية : ٣٦ .
(٢) - الجامع الصحيح، ١٨٧/٨ .
(٣) - فتح الباري، لابن حجر، ٢٩٦/١٣ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٤٣/٢٥ .
(٤) - سورة النساء، الآية : ٨٣ .

إلى شيء فهو المذموم) (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله التنبه والحذر من القول على الله بغير علم، وبيان خطورة هذا الأمر في دعوتهم للناس، وأن الوقوع فيه ضلال وإضلال وهلاك لهم ولغيرهم .

خامساً – حرص الصحابة ﷺ على التثبت في الرواية :

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين أشدّ الحرص على التثبت مما ينسب من قول أو فعل لرسول الله ﷺ، وفي هذا الحديث ما يشهد على ذلك، حيث قالت عائشة رضي الله عنها لابن أختها : (انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللهِ فَاسْتَثْبِتْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْهُ ..)، يقول الإمام النووي – رحمه الله – : (ليس معناه أنها اتهمته لكنها خافت أن يكون اشتبه عليه، أو قرأه من كتب الحكمة فتوهمه عن النبي ﷺ فلما كرره مرة أخرى وثبت عليه، غلب على ظنها أنه سمعه من النبي ﷺ) (٢). ولذا لما رجع إليها ابن أختها وأخبرها بأنه حدثه كنحو ما حدثه سابقاً، قالت رضي الله عنها : (وَاللهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو) .

ولذا قال بعض العلماء – رحمهم الله – : إن مما يستفاد من هذا الحديث، التثبت فيما يحدث به المحدث إذا قامت قرينة الذهول (٣) .

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر، ٣٠١/١٣ .

(٢) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٣/١٠ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٩٩/١٣ .

(٣) – انظر :إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢١٦/٥. ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢١٦/٥ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٧٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٢٤/١، ٢٤/٩. وعمدة القاري، للعيني، ٥٠١/٢ .

٣٦ - باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم ؟

٨٧ - ١٠١ - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الأَصْبَهَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ ذَكْوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: « **مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إلا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ** »، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ فَقَالَ: « **وَاثْنَتَيْنِ** » (١) .

وفي رواية: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فَقَالَ : « اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا» ، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ثُمَّ قَالَ: « **مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاثَةً إلا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ** » فَقَالَتِ: امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ أَوِ اثْنَيْنِ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ : « **وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ** » (٢) .

٨٨ - ١٠٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ الأَصْبَهَانِيِّ عَنْ ذَكْوَانَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا، وَعَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ الأَصْبَهَانِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « **ثَلاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ** » (٣) .

---

(١) - طرفاه : الأول : في كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، برقم١٢٤٩، ٩١/٢ .
الثاني : في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل، برقم ٧٣١٠، ١٨٨/٨ .
وأخرجه: الإمام مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم٢٦٣٣، ٢٠٢٨/٤.
(٢) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل، برقم ٧٣١٠، ١٨٨/٨ .
(٣) - طرفه : في كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، برقم ١٢٥٠، ٩١/٢ .

=

شرح غريب الحديث :

« الْحِنْثَ » – أي الحُلُم، وجريان القلم عليه بالطاعة والمعصية (١) .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص نساء الصحابة ﵃ على أخذ العلم من رسول الله ﷺ .

ثانياً – من أصناف المدعوين النساء، وأهمية تخصيص دروس لهنّ .

ثالثاً – من صفات الداعية : الصبر على المصائب .

رابعاً – من موضوعات الدعوة : تسلية المصاب ووعده بالثواب .

خامساً – أهمية أسلوب التكرار في الدعوة إلى الله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – حرص نساء الصحابة ﵃ على أخذ العلم من رسول الله ﷺ :

إن هذا الحديث يبين مدى حرص الصحابيات الجليلات – رضي الله عنهنّ – على التفقه في الدين وأخذ العلم من رسول الله ﷺ، حيث سألن رسول الله ﷺ أن يجعل لهنّ يوماً بقولهنّ : (غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ..)، يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله– : (وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين) (٢) .

فلذا ينبغي للمسلمات المؤمنات الاقتداء بنساء الصحابة – رضي الله عنهنّ – في الحرص على العلم، وذلك بحضور مجالس العلم، وسماع كلام العلماء عن طريق

=

وأخرجه: الإمام مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم٢٦٣٤، ٢٠٢٩/٤.

(١) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٣٤ .

(٢) – فتح الباري، لابن حجر، ٢٣٧/١ .

الأشرطة والمذياع، أو بالقراءة لكتب السنة والحديث والعلم النافع .

ثانياً – من أصناف المدعوين النساء، وأهمية تخصيص دروس لهنّ :

إن من أصناف المدعوين الذين ينبغي للداعية إلى الله الاهتمام بهم ودعوتهم : النساء، فلذا واعدهنّ رسول الله ﷺ يوماً يلتقي فيه بهنَّ لتعليمهنّ ووعظهنّ، فقال : (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنّ رَسُولُ الله ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ الله ..)، يقول الإمام الأبي – رحمه الله – عن ذلك : إنه (يدل أن الإمام ينبغي له أن يعلم النساء ما يحتجن إليه من أمر دينهن، ويجعل لهن يوماً في موضع تنتفي عنه التهمة كالمسجد ونحوه إن أمكنه أن يفعل ذلك بنفسه فعل، وإلا استناب شيخاً يوثق بعلمه ودينه) [1] .

إذن ينبغي للداعية إلى الله الاهتمام بالنساء وتعليمهنّ ووعظهن، وإن أمكن تخصيص درس لهن فذلك مما يُشرع له لمجيء السنة به .

ثالثاً – من صفات الداعية : الصبر على أقدار الله :

إن هذه الدنيا لا تخلو من المصائب والأقدار التي تصيب الإنسان وتحزنه، فلذا كان على الإنسان أن يتسلح بالصبر ويحتسب ما أصابه عند الله حتى يؤجر عليه، وهذا الحديث يبين ذلك وأن الإنسان الذي يؤجر على فقد ولده، هو من صبر واحتسب، يقول ﷺ : « **مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إلا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ** »، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ : وَاثْنَتَيْنِ فَقَالَ : « **وَاثْنَتَيْنِ** »، فلذا بوب الإمام البخاري – رحمه الله – على هذين الحديثين باباً قال فيه : باب فضل من مات له ولد فاحتسب، وقال الله ﷻ: ﴿وبشّرِ الصابرين﴾ [2] ، [3] . يقول الحافظ ابن حجر

---

(١) – إكمال إكمال المعلم، ٦٠٨،٦٠٧/٨ . وانظر :مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٦٠٨،٦٠٧/٨ .

(٢) – سورة البقرة، الآية : ١٥٥ .

(٣) – الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، ٩٠/٢ .

- رحمه الله - : (فكأن المصنف أراد تقييد ماأطلق في الحديث بهذه الآية الدالة على ترك القلق والجزع) (١) .

إذن فمن الصفات التي ينبغي للداعية التحلي بها : الصبر، خاصة لكثرة ما يعترض طريقه من المصائب والفتن والابتلاءات، حيث سئل رسول الله ﷺ : أي الناس أشدّ بلاء ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقه ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة** » (٢) . والداعية وريث الأنبياء في علمهم ودعوتهم إلى الله تعالى .

رابعاً - من موضوعات الدعوة : تسلية المصاب ووعده بالثواب :

إن من الموضوعات التي ينبغي للداعية طرقها والحديث عنها : تسلية المصاب بما له من الثواب والأجر عند الله، وذلك لأن كل إنسان يصاب في هذه الدنيا بالمصائب والابتلاءات ، يقول الله تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾(٣) . ويقول الله عز وجل : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ (٤) . ويقول الله عز وجل : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ (٥) . ويقول ﷺ : « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده**

---

(١) - فتح الباري، ١٤٣/٣ .

(٢) - سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم ٢٣٩٨، ٥٢٠/٤ . وقال عنه حسن صحيح . (وقال عنه الألباني: حسن صحيح . انظر :صحيح سنن الترمذي، ٢٨٦/٢).

(٣) - سورة العنكبوت، الآية : ٢ .

(٤) - سورة الأنبياء، الآية : ٣٥ .

(٥) - سورة البقرة، الآية : ١٥٥ .

ومالـه حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » [١] .

فلذلك ينبغي للداعية إلى الله تذكير المدعوين بما أعده الله لهم من الثواب العظيم جزاء صبرهم واحتسابهم الأجر عند الله ﷻ .

خامساً - أهمية أسلوب التكرار في الدعوة إلى الله :

إن من أساليب القول المهمة في الدعوة إلى الله، التكرار، لما فيه من الفوائد التي تعود على المدعوين، يقول بعض أهل العلم - رحمهم الله - : إن إعادة الكلام فيه الإبلاغ في التعليم، والزجر في الموعظة، وحفظ الكلام، وفهم المراد [٢] .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله استخدام هذا الأسلوب إذا ظهرت الحاجة إليه كما جاء في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ كرر قوله : « **واثنين** »، ثلاث مرات للتأكيد على أن فقد الأثنين من الولد، في حكم الثلاثة من كونهم حجاباً من النار .

---

(١) – سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم٢٣٩٩، ٥٢٠/٤ . وقال عنه حسن صحيح . (وقال عنه الألباني: حسن صحيح . انظر :صحيح سنن الترمذي، ٢٨٦/٢).

(٢) – انظر : أعلام الحديث، للخطابي، ٢٠٧/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٨٦/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٢٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١١٥/٢ .

٣٧ – باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه

٨٩ – ١٠٣ – حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تَعْرِفُهُ إلا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **مَنْ حُوسِبَ عُذِّب** »، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [(١)] . قَالَتْ : فَقَالَ : « **إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ** » [(٢)] .

وفي رواية: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إلا هَلَكَ** »، قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾، قَالَ : « **ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ** » [(٣)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً– أهمية السؤال في تحصيل العلم،وإزالة ما قد يعرض من الشبهات والإشكالات

ثانياً – صبر الداعية على أسئلة المدعوين، واعتراضاتهم .

---

(١) – سورة الانشقاق، الآية : ٨ .

(٢) – أطرافه : الأول : في كتاب تفسير القرآن، باب : { **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** } ، برقم ٤٩٣٩، ٦/٩٧ . الثاني والثالث : في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، برقم٦٥٣٦، ورقم٦٥٣٧، ٧/٢٥٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، رقم٢٨٧٦، ٤/٢٢٠٤.

(٣) كتاب تفسير القرآن، باب : { **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** } ، برقم ٤٩٣٩، ٦/٩٧ .

ثالثاً - من موضوعات الدعوة : ذكر يوم الحساب وأحواله .

رابعاً - جواز المناظرة في العلم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية السؤال في تحصيل العلم، وإزالة ما قد يعرض من الشبهات والإشكالات :

إن هذا الحديث فيه دليل على أن من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله: سؤال المدعو عن العلم، وما يُشكل ويشتبه عليه من المسائل التي يطرحها الداعية إلى الله، حيث نجد أن رسول الله ﷺ لما قال : « **مَنْ حُوسِبَ عُذِّب** »، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها - وقد كان من عادتها أنها (لا تَسْمَعُ شَيْئًا لا تَعْرِفُهُ إلا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ) - : أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ . فلم يؤنبها على هذا السؤال، بل أجاب عليها بقوله : « **إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ** »، ومما يؤكد ذلك، الترجمة التي وضعها الإمام البخاري - رحمه الله - لهذا الحديث عندما قال : باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه [(١)] ، وفي رواية أبي ذر -رحمه الله -: (باب من سمع شيئاً فلم يفهمه فراجعه) [(٢)] . ولذا قال بعض العلماء - رحمهم الله - : إن هذا الحديث فيه دليل على أن من سمع شيئاً لا يعرفه، فليراجع فيه حتى يعرفه، وأن ذلك لو لم يكن من سنن الإسلام لما أقرها ﷺ عليه [(٣)] .

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إن مثل هذا السؤال لرسول الله ﷺ لا يدخل في النهي عن السؤال الذي ورد في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا

---

(١) - الجامع الصحيح، كتاب العلم، ١/٣٩ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٠٠ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٢٣٧ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٣٦ .

(٣) - انظر : بهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١/١٤٥ . الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٠٠ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٢٣٧ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٣٦ .

﴿ عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (١) . حيث يُحمل ما ورد من ذمّ من سأل عن المشكلات تعنتاً، كما قال الله تعالى : ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ (٢) . (٣)

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله تشجيع المدعوين على السؤال عن العلم، وما يشكل عليهم منه، وما قد يعترض عليهم من الشبهات مما يسمعونه من العلماء، لكي يقوموا بإزالتها والإجابة عنها، مما يكون له الأثر العظيم في إيمانهم بخلوصه من الشك والشبهات .

ثانياً – صبر الداعية على أسئلة المدعوين، واعتراضاتهم :

إن في هذا الحديث درساً للدعاة إلى الله في التحلي بالصبر على المدعوين واعتراضاتهم للمصلحة العظيمة التي سبق بيانها في الفائدة الأولى، فرسول الله ﷺ لم يتضجر من سؤال عائشة رضي الله عنها، بل صبر على هذا الأسئلة والاعترضات لمصلحة الدعوة إلى الله، يقول بعض أهل العلم – رحمهم الله – : إن هذا الحديث فيه دليل لما كان عليه رسول الله ﷺ ، من الصبر وعدم التضجر من المراجعة في العلم (٤) .

ثالثاً – من موضوعات الدعوة : ذكر يوم الحساب وأحواله :

إن من موضوعات الدعوة إلى الله التي كان يتحدث فيها رسول الله ﷺ مع أصحابه ويبلغها للأمة، الحديث عن يوم الحساب وأحواله، يقول ﷺ في هذا الحديث **«لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إلا هَلَكَ»** .

---

(١) – سورة المائدة، الآية : ١٠١ .

(٢) – سورة آل عمران، الآية : ٧ .

(٣) – فتح الباري، ٢٣٨/١ .

(٤) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٣٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣٨/٢ .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله طرق هذا الموضوع وطرحه على المدعوين بين الحين والآخر لما فيه من تقوية الإيمان، وتحريك النفوس وإيقاظها للعمل والاستعداد لهذا اليوم وما فيه من حساب .

رابعاً – جواز المناظرة في العلم :

إن في قول رسول الله ﷺ « **لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إلا هَلَكَ** »، ومن ثَمَّ قول عائشة رضي الله عنها، له ﷺ : يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ، ثم إجابة رسول الله ﷺ عليها بقوله : « **ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ** »، يظهر من ذلك جواز المناظرة في العلم والأخذ والعطاء فيه بالأدلة من الكتاب والسنة، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن هذا الحديث فيه دليل على جواز المناظرة في العلم، ومقابلة السنة بالكتاب [(١)] .

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٣٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣٨/٢ .

٣٨ – باب لِيُبَلِّغِ العلمَ الشاهدُ الغائبَ

٩٠ – ١٠٤ – حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدٌ هُوَ ابْنُ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ (١) أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، حَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : **« إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله ولم يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ الله ﷺ فِيهَا فَقُولُوا : إِنَّ الله قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ولم يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ »**، فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ : مَا قَالَ عَمْرٌو: قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ: لا يُعِيذُ عَاصِيًا وَلا فَارًّا بِدَمٍ وَلا فَارًّا بِخَرْبَةٍ (٢).

شرح غريب الحديث :

« **يَعْضِدَ** » – أي يكسر، والعضد قطع الشجر بالمعضد، وهو كالسيف، يُمتهن

---

(١) – خويلد وقيل هانى، وقيل عبد الرحمن والأول أشهر، بن عمرو بن صخر بن عبد العزى بن معاوية ابن المحترش بن عمرو بن مازن بن عدي بن عمرو بن ربيعة الخزاعي العدوي الكعبي، أسلم قبل فتح مكة، وكان يحمل يوم الفتح لواء خزاعة، رُوى له عن رسول الله ﷺ عشرون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على حديثين، انفرد البخاري بحديث، روى عن ابن مسعود ﷺ، وروى عنه نافع ابن جبير، وأبو سعيد المقبري، توفي سنة ثمان وستين بالمدينة . (انظر : الإستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٣٠٣٣، ٣٢١/١١ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٧/٩ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٦١١، ١٩٢/١١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٢/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣٩/٢).

(٢) – طرفاه : الأول : في كتاب جزاء الصيد، باب لا يعضد شجر الحرم، برقم ١٨٣٢، ٢٥٩/٢ . الثاني: في كتاب المغازي، باب رقم ٥١، رقم الحديث ٤٢٩٥، ١١١/٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة، برقم١٣٥٤، ٩٨٧/٢ .

في قطع الشجر (١) .

(بِخَرْبَةٍ) – أصله العيب والعثرة، يقال : ما فيه خربة، أي عيب، و أراد هنا ولا فاراً بشيء مما لا تشرعه له الشريعة (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من فقه الإنكار على الأمراء وأصحاب السلطان: التلطف معهم والرفق بهم.

ثانياً – أهمية ذكر الدليل وتأكيده وإثباته .

ثالثاً – أهمية الحمد والثناء على ا لله في بداية الكلام .

رابعاً – من أساليب الدعوة: تحريك العاطفة الإيمانية وتهييجها لدى المدعوين.

خامساً – من أساليب الدعوة : الجدل والمناظرة في أمر من أمور الشرع .

سادساً – وظيفة الداعية إلى ا لله نشر العلم والبلاغ فقط .

سابعاً–من موضوعات الدعوة:حرمة مكة وخصوصية الرسول ﷺ في استحلالها.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من فقه الإنكار على الأمراء وأصحاب السلطان : التلطف معهم والرفق بهم :

إن في قول الصحابي الجليل أبي شريح رضي الله عنه : (ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ..)، إنكاراً من العلماء على الأمراء والحكام، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه ا لله – : وفي الحديث من الفوائد (إنكار العالم على الحاكم ما يغيره من أمر الدين) (٣) .

---

(١) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٥٠ .

(٢) – انظر : المرجع السابق، ص٤٠٨ .

(٣) – فتح الباري، ٤/٥٥. وانظر:الكواكب الدراري، للكرماني،٢/١٠٥. وعمدة القاري، للعيني،٢/١٤٤.

ولكن الذي ننبه عليه : أن من فقه هذا الحديث عند الإنكار عليهم من العلماء والدعاة إلى الله، أن الإنكار من العلماء فقط ، وليس من كل فرد ، ثم ينبغي أن يكون ذلك بلطف ورفق بهم، وذلك أخذاً من قول الصحابي الجليل أبي شريح ﷺ : (ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ..)، يقول كثير من العلماء - رحمهم الله - عند شرحهم لهذه الجملة من الحديث : يؤخذ من ذلك أنه ينبغي التلطف مع الأمراء والأكابر عند الإنكار عليهم، باستئذانهم في الحديث، ووعظهم بلطف وتدرج، وأن ذلك أدعى لقبولهم النصيحة والعمل بها، لأن الغلظة معهم قد تكون سبباً لإثارة أنفسهم ومعاندة من يخاطبهم[١] .

ثانياً -أهمية ذكر الدليل وتأكيده وإثباته :

إن من الفقه الدعوي، الذي يستفاد من هذا الحديث ذكر الداعية الدليل على كلامه، وما يقوله للناس، لأن ذلك أدعى للقبول والاقتناع، وخاصة إذا تأكد الدليل وثبت عند الداعية والسامع، فلذا قال الصحابي الجليل أبو شريح ﷺ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: (ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّ مَكَّةَ** .. ») .

يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن قوله : (سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ)، فيه إشارة إلى بيان حفظه له من جميع الوجوه، وأنه حمله عنه بغير واسطة، وذكر الأذنين للتأكيد، وقوله: (وَوَعَاهُ قَلْبِي)، تحقيق لفهمه وتثبته، وقوله : (وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ)، زيادة في تحقيق ذلك وأن سماعه منه ليس اعتماداً على الصوت فقط بل مع المشاهدة،

---

(١) - انظر : عارضة الأحوذي، لابن العربي، ٢٤٣/٢ . وإحكام الأحكام، لابن دقيق العيد، ٦٠/٢ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٥٩/٤ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٤٥٩/٤ . الكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٥/٢، ١٠٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٣٩/١، ٥١/٤، ٥٢، ٥٥ . وعمدة القاري، للعيني، ١٤٣/٢، ١٤٤ .

وهذ كله أراد به المبالغة والتأكيد في حفظه للدليل، وصحته [١] .

لذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الحرص على ذكر الأدلة للمدعوين، لتأكيد صحة كلامهم وما يطالبونهم به، مع الحرص على أن يكون الدليل ثابتاً وصحيحاً حتى يكون مقبولاً للمدعوين، وذلك بأن يكون الدليل من القرآن الكريم، أو من السنة مع تأكيد صحته بذكر رواية الإمامين البخاري ومسلم - رحمهما الله - له، أو بتصحيح كبار العلماء والحفاظ له إن لم يكن فيهما.

ثالثاً - أهمية الحمد والثناء على الله في بداية الكلام :

إن مما ينبغي التنبُّه له من الدعاة إلى الله في حديثهم ووعظهم، أن يبدؤوه بالحمد والثناء على الله، فرسول الله ﷺ في خطبته التي أشار إليها أبو شريح ﷺ، بدأها بالحمد والثناء على الله، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : ويؤخذ من ذلك استحباب الثناء على الله بين يدي تعليم العلم، وتبيين الأحكام والخطبة [٢] .

رابعاً - من أساليب الدعوة : تحريك العاطفة الإيمانية وتهييجها لدى المدعوين :

إن من الأساليب الدعوية المهمة في الدعوة إلى الله، والتي لها أثر كبير على نفسيات المدعوين : تحريك العاطفة الإيمانية وتهييجها لديهم، وذلك بمخاطبتهم بصفة الإيمان أو الإسلام أو التقوى عند مطالبتهم بأمر من الأمور، وذلك يظهر في هذا الحديث من قوله ﷺ : « **فَلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِا لله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا** .. »، يقول العلامة ابن دقيق العيد - رحمه الله - : (الذي أراه أن هذا الكلام من باب خطاب التهييج، فإن مقتضاه : أن استحلال هذا المنهي عنه لا يليق بمن يؤمن با لله واليوم الآخر، بل ينافيه . هذا هو المقتضى لذكرهذا الوصف . ولو قيل : لا يحل

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٧/٩ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٣٩/١، ٥٢/٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١٤١/٢، ١٤٤ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٦/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٥٢/٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١٤٤/٢ .

لأحد مطلقاً، لم يحصل به الغرض، وخطاب التهييج معلوم عند علماء البيان، ومنه قوله تعالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) . إلى غير ذلك) (٢) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ ، الاهتمام بمثل هذا الأسلوب في خطابهم للمدعوين بصفة من صفاتهم كالإيمان أو التقوى، أو الإسلام، أو الشجاعة، أو الكرم، وغير ذلك من الصفات والأخلاق الكريمة بقصد التهييج والحث على الالتزام والعمل بها وبالأمر الذي ربط بها .

خامساً - من أساليب الدعوة : الجدل والمناظرة في أمر من أمور الشرع :

إن في قول رسول الله ﷺ بعد أن ذكر حرمة مكة : « **فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ الله ﷺ فِيهَا فَقُولُوا : إِنَّ الله قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ولم يَأْذَنْ لَكُمْ ..** »، فيه دليل على جواز : الجدل والمناظرة في أمر من أمور الشرع، بقصد الإقناع والعمل به، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : وفي الحديث من الفوائد (جواز المجادلة في الأمور الدينية) (٣) .

إذن فمن أساليب الدعوة إلى الله ﷻ ، التي ينبغي استخدامها من قبل الدعاة : أسلوب الجدل والمناظرة بعرض الأدلة والبراهين ورد دليل الخصم وحجته بدليل أقوى منه .

سادساً - وظيفة الداعية إلى الله نشر العلم والبلاغ فقط :

إن هذا الحديث فيه تأكيد على أن وظيفة الداعية إلى الله : نشر العلم بين الناس وإبلاغهم بما عنده من العلم، والدعوة إلى العمل به، فإن قام بذلك فقد أدى الواجب والمطلوب منه، لأن الذي عليه البلاغ فقط، أما الهداية فبيد الله ﷻ ، إذ يقول ﷻ :

---

(١) - سورة المائدة، الآية : ٢٣ .

(٢) - إحكام الأحكام، ٦٠/٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٥٢/٤ .

(٣) - المرجع السابق، ٥٥/٤ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ١٤٤/٢ .

﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ (١)، ويقول ﷻ : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ (٢) .

فرسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث : « **وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ** »، ومن هذا يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إنه دليل صريح على وجوب نقل العلم وإشاعة السنن والأحكام (٣) .

ولذا قام الصحابي الجليل ﷺ بذلك الأمر الذي سمعه من رسول ﷺ وهو البلاغ للعلم، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : فيه وفاء أبي شريح ﷺ بما أخذه الله على العلماء من الميثاق في تبليغ دينه ونشره حتى يظهر على الدين كله، وفيه فضله ﷺ في الاتباع لأمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه (٤) .

وأما الاستجابة والعمل بما بلغه الداعية من العلم للمدعوين، فليس مما هو مكلف به، فلذا لما قام الصحابي الجليل أبي شريح ﷺ بما هو واجب عليه من البلاغ، وما كان من ردّ عمرو بن سعيد عليه، قال له في بعض الروايات في غير الصحيح : (قد كنت شاهداً، وكنت غائباً، وقد بلغت، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا، وقد بلّغتك، فأنت وشأنك) (٥) .

سابعاً – من موضوعات الدعوة : حرمة مكة، وخصوصية الرسول ﷺ في استحلالها :

إن من الموضوعات المهمة التي ينبغي للدعاة إلى الله التذكير بها، شدة حرمة

---

(١) – سورة النور، الآية : ٥٤ .

(٢) – سورة القصص، الآية : ٥٦ .

(٣) – انظر : عارضة الأحوذي، لابن العربي، ٢٤٣/٢ . وإحكام الأحكام، لابن دقيق العيد، ٦٢/٢ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٨/٩ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٦٠/٤. وفتح الباري، لابن حجر، ٢٤٠/١. وعمدة القاري، للعيني، ١٤٤/٢ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ١٤٣/٢، ١٤٤ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٢٤٠/١ .

(٥) – مسند الإمام أحمد، برقم١٦٣٥٧، ٣١/٤ .

مكة، وأن الله ﷻ هو الذي حرمها، ولم يحرمها الناس، يقول الإمام القرطبي -رحمه الله - : (معناه أن الله حرم مكة ابتداءً من غير سبب لأحد، ولا لأحد فيه مدخل . قال : ولأجل هذا أكد المعنى بقوله : « **ولم يحرمها الناس** »، والمراد أن تحريمها ثابت بالشرع لامدخل للعقل فيه، أو المراد أنها من محرمات الله فيجب امتثال ذلك، وليس من محرمات الناس، يعني في الجاهلية كما حرموا أشياء من عند أنفسهم فلا يسوغ الاجتهاد في تركه . وقيل معناه حرمتها مستمرة من أول الخلق، وليس مما اختصت به شريعة النبي ﷺ) (١) .

وأما استحلال رسول الله ﷺ لها، إنما كان من الله له خاصة ولمدة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها إلى ما كانت عليه إلى يوم القيامة، ولا تحل لأحد من بعده أبداً (٢) .

---

(١) - نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ٥٢/٤ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٦/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٤٤/٢ .

٣٩ – باب إثم من كذب على النبي ﷺ

٩١ – ١٠٦ – حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْصُورٌ قَالَ: سَمِعْتُ رِبْعِيَّ بْنَ حِرَاشٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيًّا [(١)] يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « **لا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ** » [(٢)] .

٩٢ – ١٠٧ – حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ [(٣)] : إِنِّي لا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ

---

(١) – هو : على بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . أمير المؤمنين أبو الحسن القرشي الهاشمي، ابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه على بنته فاطمة الزهراء . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، وهي بنت عم أبي طالب، كانت من المهاجرات، توفيت في حياة النبي ﷺ بالمدينة . كناه الرسول ﷺ بأبي تراب، وهو أبو السبطين، وأول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيين، وواحد الشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام ، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة، وأصابته يوم أحد ست عشرة ضربة، وأعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر، وأخبر أن الفتح يكون على يديه، ومناقبه جمة وأحواله في الشجاعة مشهورة، وأما علمه فكان من العلوم بالمحل الأعلى، رُوى له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر، ولي الخلافة خمس سنين، ضربه عدو الله عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم فأوصله دماغه في ليلة الجمعة، ومات بالكوفة ليلة الأحد تاسع عشر رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر ،ترجمة رقم١٨٥٥، ٧/١٣١–٢٢٠ . وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام –عهد الخلفاء الراشدين– للذهبي، ص٦٢١ – ٦٥٢، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ط دار الكتاب العربي، بيروت . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٥٦٨٢، ٧/٥٧–٦٠ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٤٧)

(٢) – أخرجه الإمام مسلم، في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ١، ١/٩ .

(٣) – هو : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشي الأسدي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى لعمر ﷺ، وأحد المهاجرين بالهجرتين، وحواري النبي ﷺ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، أسلم هو رابع أربعة أو خامس =

رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا يُحَدِّثُ فُلانٌ وَفُلانٌ قَالَ : أَمَا إِنِّي لم أُفَارِقْهُ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** » .

٩٣ – ١٠٨ – حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَارِثِ عَنْ عَبْدِالْعَزِيزِ قَالَ: أَنَسٌ إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** » (١) .

٩٤ – ١٠٩ – حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ (٢) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ : « **يَقُولُ مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لم أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** » .

٩٥ – ١١٠ – حَدَّثَنَا مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي حَصِينٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ**

=

خمسة على يد الصديق، وهو ابن ستة عشرة سنة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أول من سل السيف في سبيل الله، وكان يوم الجمل قد ترك القتال فلحقه جماعة من الغزاة فقتلوه بوادي السباع بناحية البصرة سنة ست وثلاثين وله ست أو سبع وستون سنة، رُوي له عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على حديثين، وانفرد البخاري بسبعة . (انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم ٨٠٨، ٣٠٩/٣ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٢٧٨٣، ٧/٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥١/٢) .

(١) – أخرجه الإمام مسلم، في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ٢، ١٠/١ .

(٢) – هو : سلمة بن الأكوع واسم الأكوع سنان بن عبد الله الأسلمي المديني، شهد بيعة الرضوان، وبايع رسول الله ﷺ يومئذ ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم، كان شجاعاً رامياً يسبق الخيل، محسناً فاضلاً خيراً، روي له عن رسول الله ﷺ سبع وسبعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ستة عشر، وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بتسعة، توفي بالمدينة سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة . (انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم١٠١٦، ٢٢٧/٤. والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٣٣٨٢، ٢٣٣/٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥٣/٢) .

مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » [١] .

وفي روايةٍ- **للحديث رقم ١١٠** - : (.. أَنَّ أَبَا هُرَيْـرَةَ قَـالَ : سَـمِعْتُ النَّبِـيَّ ﷺ يَقُولُ : « **مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَـةِ وَلا يَتَمَثَّـلُ الشَّـيْطَانُ بِـي** »، قَالَ أَبُو عَبْد ا للهِ : قَالَ ابْنُ سِيرِينَ إِذَا رَآهُ فِي صُورَتِهِ) [٢] .

شرح غريب الحديث :

« **فَلْيَتَبَوَّأْ** » – هو أمرٌ من التبوء، وهو اتخاذ المباءة، أي المنزل [٣] .

« **فَلْيَلِج** » – أي فليدخل [٤] .

« **كُنْيَتِي** » – الكنية بالضم أو الكسر واحدة الكنى،وهو اسم مصدر بأب أو أم[٥].

الدراسة الدعوية للأحاديث :

من هذه الأحاديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – عظم حرمة الكذب على رسول ا لله ﷺ .

ثانياً – شدة خوف الصحابة ﷺ من الوقوع فيما نهى الرسول ﷺ عنه .

ثالثاً – من كرامات ا لله لأوليائه الصالحين، رؤية رسوله ﷺ .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتـاب المنـاقب، بـاب كنيـة النبـي ﷺ، برقـم٣٥٣٩، ١٩٧/٤ . الثـاني : فـي كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ : « سموا باسـمي ولا تكنـوا بكنيتـي »، برقـم ٦١٨٨، ١٥١/٧ . الثالث: في كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، برقم٦١٩٧، ١٥٣/٧ . الرابع : في كتـاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام ،برقم ٦٩٩٣، ٩١/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، برقم٢١٣٤، ١٦٣٤/٣ .

(٢) كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام ،برقم ٦٩٩٣، ٩١/٨ .

(٣) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٦٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥١/٢.

(٤) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٤٧ .

(٥) – عمدة القاري، للعيني، ١٥٤/٢ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – عظم حرمة الكذب على رسول الله ﷺ :

إن الكذب على رسول الله ﷺ ليس كالكذب على أحد من الناس، يقول رسول الله ﷺ : « **إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد** » [١] . يقول الإمام النووي – رحمه الله – : إن التغليظ في الكذب على رسول الله ﷺ بسبب أن الكذب عليه مفسدته عظيمة فإنه يصير شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة، بخلاف الكذب على غيره والشهادة فإن مفسدتهما قاصرة ليست عامة [٢] .

ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (والحكمة في التشديد في الكذب على النبي ﷺ واضح، فإنه يخبر عن الله، فمن كذب عليه كذب على الله ﷻ، وقد اشتد النكير على من كذب على الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته** ﴾ [٣]، فسوى بين الكذب عليه وبين الكافر) [٤] .

فلذا جاء الوعيد الشديد للكاذب عليه ﷺ بقوله : « **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** » .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله الحذر الشديد عند الحديث بكلام رسول الله ﷺ وذلك بالدقة والتحري في صحة الرواية وضبطه لها، حتى لا يقع في الكذب عليه ﷺ وهو لايشعر،يقول الإمام النووي –رحمه الله–: (يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً، أو غلب على ظنه وضعه ، فمن روى حديثاًعلم أو ظن

---

(١) – صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، برقم١٢٩١، ١٠١/٢ . وصحيح مسلم، في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ٤، ١٠/١ .

(٢) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٠/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ١٤٨/٢ .

(٣) – سورة الأعراف، ٣٧ .

(٤) – فتح الباري، لابن حجر، ٦٢٦/٦ .

وضعه ولم يبين حال روايته ووضعه، فهو داخل في هذا الوعيد، مندرج في جملة الكذابين على رسول الله ﷺ، ويدل عليه أيضاً الحديث السابق : « **من حدث عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين** » (١) . ولهذا قال العلماء ينبغي لمن أراد رواية حديث أو ذكره أن ينظر فإن كان صحيحاً أو حسناً قال : قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعله أو نحو ذلك من صيغ الجزم، وإن كان ضعيفاً فلا يقل : قال أو فعل أو أمر أو نهى وشبه ذلك من صيغ الجزم، بل يقول : رُوي عنه كذا، أو جاء عنه كذا، أو يُروى أو يُذكر أو يُحكى أو يُقال أو بلغنا وما أشبهه) (٢) .

ومما ينبغي تنبيه الدعاة إلى الله إليه **الحذر من شبهة الكذب لرسول الله ﷺ** في المواعظ والترغيب والترهيب، وأن مثل هذا الكذب له، لا عليه المنهي عنه، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - في الردِّ على هذه الشبهة : إنه لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ ، وبين ما كان في الأحكام ، وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع (٣) .

ثانياً - شدة خوف الصحابة رضي الله عنهم من الوقوع فيما نهى الرسول ﷺ عنه :

إن في إقلال كثير من الصحابة الحديث عن رسول الله ﷺ، بياناً لشدة خوفهم مما سمعوه من رسول الله ﷺ من الأحاديث التي ترهب من الكذب عليه، فهذا الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه لما قيل له في قلة حديثه عن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) - سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن روى حديثاً وهو يرى أنه كذب، برقم٢٦٦٢، ٣٥/٥، وقال عنه حسن صحيح . (وقال عنه الألباني: صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذي، ٣٣٨/٢).

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٧١/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ١٤٩/٢ .

(٣) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، ٧٠/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١١٠/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٤٩/٢ . وشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للسفاريني، ١٩١/٢،١٩٢، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت .

أَمَا إِنِّي لم أُفَارِقْهُ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** » . وأيضاً يقول الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ : إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** » . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : حديث الزبير ﷺ يدل على توقي الصحابة ﷺ وتحرزهم من الكذب على رسول الله ﷺ، فاستدلاله بالحديث عن رسول الله ﷺ لبيان ما ذهب إليه من اختيار قِلة التحديث وأنه يخشى من الإكثار الذي هو مظنة الوقوع في الخطأ وهو لا يشعر، وإن لم يأثم بالخطأ، فقد يأثم بالإكثار منه الذي هو مظنة الخطأ (١) .

وقال - رحمه الله - : أما حديث أنس ﷺ فيدل على أن امتناعهم إنما كان من الإكثار المفضي إلى الخطأ ، لا عن أصل الحديث، لأنهم مأمورون بالتبليغ، ومن حام حول الحمى لا يأمن وقوعه فيه، فكان التقليل منهم للاحتراز (٢) .

إذن فقد كان صحابة رسول الله ﷺ من أسرع الناس وأشدهم في العمل بأحاديث رسول الله ﷺ والخوف مما نهت عنه وحذرت منه، وأنهم كانوا يتحرون الدقة والحفظ والضبط الشديد فيما يحدثون به عن رسول الله ﷺ حتى لا يقعوا في الكذب على رسول الله ﷺ ولو كان بغير قصد أوتعمُّد منهم .

ثالثاً - من كرامات الله لأوليائه الصالحين، رؤية رسوله ﷺ :

إن في قول رسول الله ﷺ : « **مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي** »، بشرى وكرامة لعباد الله وأوليائه الصالحين، برؤية رسول الله ﷺ في المنام، لتطمئن قلوبهم، وتنشرح برؤيته ﷺ، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه

---

(١) - انظر : فتح الباري، ٢٤٢/١، ٢٤٥ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١١٤/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥٢/٢، ١٥٧ . وشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للسفاريني، ١٩٣/٢ .

(٢) - انظر : فتح الباري، ٢٤٣/١، ٢٤٥ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١١٤/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٥٢/٢، ١٥٧ . وشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للسفاريني، ١٩٣/٢ .

الله – : (المراد من رآني في المنام على أي صفة كانت [١] . فليستبشر ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التي هي من الله، لا الباطل الذي هو الحلم، فإن الشيطان لا يتمثل بي) [٢] .

---

(١) – يقول الشيخ / عبد العزيز بن باز – حفظه الله تعالى – : وذلك بشرط أن يراه الرائي على صورته الحقيقية ، فإن الشيطان لا يتمثل بصورة رسول الله ﷺ، أما من رآه على غير صورته فليس هو، كأن يراه محلوق اللحية أو طويلاً أو قصيراً أو غير ذلك مما لا يكون من صفاته .
(أخبرني بذلك الشيخ / سعيد بن وهف القحطاني ، عن الشيخ / عبد العزيز بن باز) .

(٢) – فتح الباري، ١٢/ ٤٠٦ .

٤٠ - باب كتابة العلم

٩٦ - ١١١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ : قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ ؟ قَالَ : لا إلا كِتَابُ ا للهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ : قُلْتُ : فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ؟ قَالَ: الْعَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَلا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ (١) .

وفي رواية: عن عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إلا كِتَابُ ا للهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « **الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ا للهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ** » وَقَالَ:« **ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ا للهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ا للهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ** » (٢) .

وفي رواية: (.. عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ ا للهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيٍّ ﷺ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ إلا مَا فِي كِتَابِ ا للهِ ؟ قَالَ : لا، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا

---

(١) - أطرافه : الأول : في كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، برقم ١٨٧٠، ٢/٢٧٠ . في كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، برقم ٣٠٤٧، ٤/٣٩ . الثالث : في كتاب الجزية والموادعة، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة، برقم ٣١٧٢، ٤/٨٠ . الرابع : في كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر، برقم٣١٩٧، ٤/١٨٩ . الخامس : في كتاب الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه، برقم٦٧٥٥، ٨/١٢ . السادس : في كتاب الديات، باب العاقلة، برقم ٦٩٠٣، ٨/٥٧ . السابع : في كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر، برقم٦٩١٥، ٨/٦٠ . الثامن : الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، برقم٧٣٠٠، ٨/١٨٣ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة، برقم ١٣٧٠، ٢/٩٩٤ .

(٢) كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، برقم ١٨٧٠، ٢/٢٧٠ .

أَعْلَمُهُ إلا فَهْمًا يُعْطِيهِ ا للهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ..) [١] .

وفي رواية: (.. قَالَ : خَطَبَنا عَلِيٌّ فَقَالَ : مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إلا كِتَابَ ا للهِ تَعَالَى، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَقَالَ : فِيهَا الْجِرَاحَاتُ وَأَسْنَانُ الْإِبِلِ وَالْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى كَذَا ..) [٢] .

شرح غريب الحديث :

« حَدَثًا » – الحدث : الأمر المنكر، مما نهى عنه الشرع وحرمه [٣] .

« عَائِرٍ » – اسم جبل بمدينة الرسول ﷺ [٤] .

(الْعَقْلُ) – الدية [٥] .

« صَرْفٌ » – الصرف : التوبة، وقيل : النافلة [٦] .

« عَدْلٌ » – العدل : الفدية، وقيل : الفريضة [٧] .

« أَخْفَرَ » – أخفرت الذمام : إذا نقضته، وغدرت به [٨] .

(وَبَرَأَ النَّسَمَةَ) – النسمة : كل ذي روح . وبرأها : خلقها [٩] .

---

(١) كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، برقم ٣٠٤٧، ٣٩/٤ .

(٢) كتاب الجزية والموادعة، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة، برقم ٣١٧٢، ٨٠/٤ .

(٣) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٢٨/٨ .

(٤) – انظر : غريب الحديث، للهروي، ١٨٩/١ .

(٥) – انظر :تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٧٩ . وجامع الأصول، لابن الأثير، ٢٨/٨.

(٦) – انظر: غريب الحديث، للهروي، ٤٥٥/١ . وتفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٣٥٧.

(٧) – انظر: غريب الحديث، للهروي، ٤٥٥/١ . وتفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٣٥٧.

(٨) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٢٨/٨ .

(٩) – المرجع السابق، ٢٨/٨ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة إلى الله : الخطابة .

ثانياً – أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله تعالى .

ثالثاً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في الدعوة إلى الله تعالى .

رابعاً – من وسائل حفظ العلم : كتابته وتدوينه .

خامساً – الرد على من قال إن هناك قرآناً آخر عند فاطمة وعلي رضي الله عنهما .

سادساً – للعالم أن يفهم ويستنبط من القرآن الكريم ما لم يسبق إليه .

سابعاً – شدة حرمة مدينة الرسول ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة إلى الله : الخطابة :

إن الخطابة من أساليب الدعوة إلى الله المهمة، والتي كان سلفنا الصالح يحرصون على استخدامها في دعوتهم وتبليغهم لهذا الدين، فهذا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، يخطب بهذا الحديث الذي يبين فيه رسول الله ﷺ حرمة المدينة وحدودها، وبيان حكم بعض القضايا وما ورد فيها من تفصيل .

ثانياً – أهمية أسلوب القسم في الدعوة إلى الله تعالى :

إن أسلوب القسم له فائدة في تأكيد الكلام وثبوته، فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لّما أجاب عن السؤال الذي وجه له عن اختصاصهم بشيء من العلم عن رسول الله ﷺ دون سائر الأمة، أكده بالقسم عليه حيث قال : (لا، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إلا فَهْمًا يُعْطِيهِ الله رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ..)، وهذا القسم

مما هو معروف ومشتهر عند العرب [١]، فلذا أقسم به لتأكيد كلامه وإعطائه مزيداً من الأهمية والثبوت لدى السامع .

فمن هنا ينبغي للداعية إلى الله أن يستخدم هذا الأسلوب، وهو القسم على بعض الموضوعات التي يتحدث فيها إذا كانت لها أهمية كبيرة للتأكيد على صحتها أو ثبوتها أو لشدِّ انتباه السامع إليها .

ثالثاً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في الدعوة إلى الله تعالى :

إن كثيراً من العلم لا يُتوصَّلُ إليه إلا بالبحث والسؤال عنه، فهذا أبو جحيفة – رحمه الله – في هذا الحديث بفطنته وحسن سؤاله لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كان سبباً في نقل هذا العلم والفقه في الدين إلينا، ولذا قيل حسن السؤال نصف العلم[٢].

رابعاً – من وسائل حفظ العلم : كتابته وتدوينه :

يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن هذا الحديث فيه بيان لجواز كتابة العلم، وإن كان اختلف في ذلك السلف عملاً وتركاً، ولكن بعد ذلك استقر الإجماع على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم [٣] .

هذا وقد ذكر بعض العلماء – رحمهم الله – أن الكتابة قيد للعلم وسبب لحفظه[٤]. يقول الخليل بن أحمد – رحمه الله – : (ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولاكتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعني) [٥] .

---

(١) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ١٤/٢٩٥ .

(٢) – المرجع السابق، ١/١٧٢ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٢٠ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٢٤٦، ٤/١٠٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٦١ .

(٤) – انظر : جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ١/٧٣-٧٥ .

(٥) – المرجع السابق، ١/٧٧ .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله الحرص على كتابة العلم، ومراجعته حتى يحفظه، فالجمع بين الكتابة والحفظ، من تمام الضبط والحرص على العلم، وعدم تفويت شيء منه، فالعلم صيدٌ وكتابته قيد .

خامساً – الردُّ على من قال : إن هناك قرآناً آخر عند فاطمة وعلي رضي الله عنهما :

إن هذا الحديث فيه ردٌّ على من زعم أن علياً رضي الله عنه، وأهل البيت عندهم شيء من الوحي خصهم به النبي ﷺ عن غيرهم، فعلي رضي الله عنه يجيب على من سأله عن ذلك بقوله: (لا، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إلا فَهْمًا يُعْطِيهِ الله رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ..)، يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – : (ومعنى كلامه رضي الله عنه أنه ليس عنده شيء سوى القرآن، وأنه ﷺ لم يخص بالتبليغ والإرشاد قوماً دون قوم، وإنما وقع التفاوت من قبل الفهم واستعداد الاستنباط، واستثنى ما في الصحيفة احتياطاً لاحتمال أن يكون فيها ما لايكون عند غيره فيكون منفرداً بالعلم به) (١) .

ويقول ابن بطال – رحمه الله – عن ذلك : (فيه ما يقطع بدعة الشيعة والمدعين على علي رضي الله عنه أنه الوصي، وأنه المخصوص بعلمٍ من عند رسول الله ﷺ لم يعرفه غيره حيث قال ما عنده إلا ما عند الناس من كتاب الله ثم أحال على الفهم الذي الناس فيه على درجاتهم و لم يخص نفسه بشيء غير ما هو ممكن في غيره)(٢).

ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (وفي الحديث ردٌّ لما تدعيه الشيعة بأنه كان عند علي وآل بيته من النبي ﷺ أموراً كثيرة أعلمَه بها سراً تشتمل على كثير من قواعد الدين وأمور الإمارة) (٣) .

سادساً – للعالم أن يفهم ويستنبط من القرآن الكريم ما لم يسبق إليه :

في هذا الحديث حثٌّ للعلماء على الاستنباط والفهم من كتاب الله وسنة رسول

---

(١) – الكواكب الدراري، للكرماني، ١٢٠/٢ .

(٢) – نقلاً عن : عمدة القاري، للعيني، ١٦١/٢ .

(٣) – فتح الباري، ١٠٣/٤ .

ا لله ﷺ ما لم يسبق عليه من الذين قبله، ولكن هذا بشرط أن يكون هـذا السبق وفقـاً لأصول الدين وقواعده الثابتة، يقول العلامة العيني – رحمه ا لله – : في الحديث إرشـاد إلى أن للعالم الفهِم أن يستخرج من القرآن بفهمه ما لم يكن منقولاً عن المفسرين لكـن بشرط موافقته للأصول الشرعية (١) .

سابعاً – شدة حرمة مدينة الرسول ﷺ :

إن في لعن رسول ا لله ﷺ لمن أحدث في المدينة، أو آوى محدثاً فيها، بيانـاً لعظـم حرمتها، يقول القاضي عياض – رحمـه ا لله – : (واستدل بهـذا على أن الحـدث في المدينة من الكبائر، والمراد بلعنة الملائكة والناس، المبالغة في الإبعاد عن رحمة ا لله) (٢).

ويقول الإمام ابن العربي – رحمه ا لله – : (الحديث دليل على تعظيم حرمتها – أي المدينة – ثم قال – ولا خـلاف أن المدينـة محرمـة لتحريـم ا لله علـى لسـان رسـوله مضاعفة الحرمة، مثل ما لمكة) (٣) .

---

(١) – انظر : فتح الباري ، ١٦١/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٢٠/٢ .

(٢) – نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ١٠١/٤ . وانظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٧٩/٤ .

(٣) – عارضة الأحوذي، ٤٣٩/٤ . وانظر : شرح السنة، للبغوي، ٣٠٩/٧ .

٩٧ - ١١٢ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ : « **إِنَّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ**- أَوِ **الْفِيلَ** شكَّ أَبُو عَبْدِ اللهِ - **وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ. أَلا وَإِنَّهَا لم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ولم تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، أَلا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ، لا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إلا لِمُنْشِدٍ، فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ**» فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ : « **اكْتُبُوا لِأَبِي فُلانٍ**» . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلا الْإِذْخِرَ يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِلا الْإِذْخِرَ إِلا الْإِذْخِرَ** »، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ يُقَالُ : يُقَادُ بِالْقَافِ فَقِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ : أَيُّ شَيْءٍ كَتَبَ لَهُ ؟ قَالَ : كَتَبَ لَهُ هَذِهِ الْخُطْبَةَ (١) .

وفي رواية: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : لَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُفْدَى، وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ** ». فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِلَّا الْإِذْخِرَ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِلَّا الْإِذْخِرَ**» فَقَامَ أَبُو شَاهٍ (٢) - رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ - فَقَالَ : اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ

---

(١) - طرفاه : الأول : في كتاب اللقطة، باب كيف تُعرف لقطة أهل مكة، برقم٢٤٣٤، ١٢٩/٣ . الثاني: في كتاب الديات، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، برقم٦٨٨٠، ٤٩/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة، برقم ١٣٥٥، ٩٨٨/٢ .

(٢) - يقول الإمام النووي - رحمه الله - : هو بهاء تكون هاء في الوقف والدرج، ولا يقال : بالتاء . قالوا : ولا يعرف اسم أبي شاه هذا، وإنما يعرف بكنيته . (شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٩/٩)

رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ** » قُلْتُ للأَوْزَاعِيِّ : مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ (١) .

شرح غريب الحديث :

« **الْفِيلَ** » – المقصود : أهل الفيل، إشارة إلى القصة المشهورة للحبشة في غزوهم مكة ومعهم الفيل فمنعها الله منهم وسلط عليهم الطير الأبابيل(٢).

« **يُعْقَلَ** » – من العقل وهو : الدية (٣) .

« **الْإِذْخِرَ** » – حشيشة طيبة الريح تكون بمكة (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية المبادرة إلى إنكار المنكر .

ثانياً – من وسائل الدعوة : استخدام المكان المرتفع وما يساعد على نقل الصوت .

ثالثاً – حرمة مكة المشرفة .

رابعاً – مشروعية كتابة العلم وتدوينه .

خامساً – تقبل الداعية لمن يراجعه وعدم نفوره من ذلك .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية المبادرة إلى إنكار المنكر :

جاء في الحديث : (أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ

---

(١) كتاب اللقطة، باب كيف تُعرف لقطة أهل مكة، برقم٢٤٣٤، ٣/١٢٩ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٢٤٨ .

(٣) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ٢/١٦٤ .

(٤) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٥١ .

قَتلُوهُ فَأُخبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ : « **إِنَّ ا لله حَبَسَ عَنْ مَكَّـةَ الْقَتْلَ** .. »)، وفي ذلك بيان لما كان عليه رسول ا لله ﷺ من المبادرة والمسارعة إلى إنكار المنكر، والأمر بالمعروف، حتى لا يستفحل المنكر، أو يُظن أن المنكر مما يُتساهل فيه، ويجوز السكوت عنه .

فلذا ينبغي للدعاة إلى ا لله ﷻ الحرص على إنكار المنكرات والمبادرة بذلك فور وقوعها اقتداءً في ذلك برسول ا لله ﷺ، وحتى لا يظن الناس في الدعاة بأنهم ممن يقبل بالمنكرات، أو أن المنكرات التي لا تُنكر منهم مما يجوز فعلها ويُتساهل فيها .

ثانياً – من وسائل الدعوة : استخدام المكان المرتفع وما يساعد على نقل الصوت :

إن هذا الحديث فيه بيان لمشروعية استخدام الوسائل التي تُساعد على نقل الصوت وإيصاله لجميع الحاضرين والمستمعين، يقول العلامة العيني – رحمه ا لله –: عن ركوب رسول ا لله ﷺ راحلته في هذا الحديث : (فيه دليل على أن الخطبة يُستحب أن تكون على موضع عالٍ، منبر أو غيره، في جمعة أو غيرها) (١) وذلك لإسماع الناس جميعاً .

فلذا ينبغي للدعاة إلى ا لله الحرص على مثل هذه الوسائل أثناء الخطبة والحديث إلى الجمع الكبير من الناس، بالجلوس في مكان مرتفع ليراه أكثر الناس، ويسمعوا صوته، وكذلك يستعين بكل ما يُوصل صوته للمدعوين، من الوسائل الحديثة كمكبرات الصوت، والهاتف، والمذياع .

ثالثاً – حرمة مكة المشرفة :

إن هذا الحديث فيه بيان لشدة حرمة مكة المكرمة، وأنها ما أُحلت لأحد إلاّ لرسول ا لله ﷺ ساعة من نهار، وأنها كما قال رسول ا لله ﷺ : « **لم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ولم تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي** »، يقول العلامة العيني – رحمه ا لله – : إذا كان ا لله

---

(١) – عمدة القاري، ٢/١٦٧ .

ﷻ منع مكة من أبرهة وجيشه، مع كون أهلها كفّاراً إذ ذاك، فحرمة أهلها بعد الإسلام آكد، وغزو رسول الله ﷺ إياها مخصوص به على ظاهر هذا الحديث (١) .

رابعاً - مشروعية كتابة العلم وتدوينه :

إن هذا الحديث كالذي قبله (٢) فيه بيان لمشروعية الكتابة، وتدوين العلم، يقول الإمام ابن العربي - رحمه الله - : إذا ثبت تاريخ الأمر بالكتابة، كالأمر بكتابة الرسائل إلى الملوك، والصدقات والأعمال، ولأبي شاه في حجة الوداع، فهذا ينسخ النهي الذي ليس له تاريخ (٣) .

ويقول بعض العلماء - رحمهم الله - : هذا الحديث فيه تصريح بجواز كتابة العلم، وقد أجمعت الأمة على جواز الكتابة، وأجابوا عن أحاديث النهي عن كتابة غير القرآن بجوابين، أحدهما : أنها منسوخة، حيث كان النهي في أول الأمر قبل اشتهار القرآن لكل أحد، فنهى عن كتابة غيره خوفاً من اختلاطه واشتباهه، فلما اشتهر وأمنت تلك المفسدة أذن فيه . والثاني : أن النهي نهي تنزيه لمن وثق بحفظه، وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن لمن لم يوثق بحفظه (٤) .

إذن فليحرص الداعية إلى الله الذي لا يثق في حفظه، بكتابة العلم وتدوينه، لأنه يُعين على حفظه، ويُيسر العودة إليه عند الحاجة .

خامساً - تقبل الداعية لمن يراجعه وعدم نفوره من ذلك :

إن في مراجعة العباس ؓ لرسول الله ﷺ، عندما قال لهم في تحريم مكة :

---

(١) - انظر : عمدة القاري ، ١٦٥/٢ .

(٢) - انظر : ص٥٦٠ من هذا البحث .

(٣) - انظر : عارضة الأحوذي، ٣٣٣/٥ .

(٤) - انظر : شرح معاني الآثار، للطحاوي، ٣١٩/٤ . وعارضة الأحوذي، لابن العربي، ٣٣٣/٥ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٩/٩،١٣٠. وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٦٤/٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٢٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٥١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٦٧/٢ .

« .. **لا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلا يُعْضَدُ شَجَرُهَا ..** »، بقوله له : (إِلَّا الْإِذْخِرَ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا) . بياناً لما كان عليه رسول الله ﷺ من الصبر على المدعوين وإبداء آرائهم ، وعدم نفوره من ذلك إذا كان بقصد الاستفسار والعلم والبحث عن الحقيقة، فلذا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ له : « **إِلَّا الْإِذْخِرَ** » .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الاقتداء برسول الله ﷺ، وذلك بعدم نفورهم من اعتراضات المدعوين وإستفساراتهم أثناء الحديث معهم، لأنه ربما يسمع منهم ما يكون سبباً في تغيير ما يقوله لهم، أو الاستثناء منه .

٩٨ – ١١٣ – حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ: أَخْبَرَنِي وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ عَنْ أَخِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلا أَكْتُبُ . تَابَعَهُ مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الكتابة في حفظ العلم .

ثانياً – حرص الصحابة على نقل حديث رسول الله ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية الكتابة في حفظ العلم :

إن هذا الحديث يُؤكد مشروعية كتابة العلم، وأن له أهمية كبيرة في حفظ العلم، فهذا أحفظ الصحابة ﷺ أبو هريرة يقول عن عبد الله بن عمرو : إنه أحفظ منه، وذلك بسبب أنه كان يكتب العلم عن رسول الله ﷺ وهو لا يكتب .

ثانياً – حرص الصحابة على نقل حديث رسول الله ﷺ :

إن صحابة رسول الله ﷺ كانوا المثل الذي يقتدى به في التنافس على حفظ حديث رسول الله ﷺ وأخذ العلم عنه، ومن ثم تبليغه للأمة ونقله إليها بعد وفاة رسول الله ﷺ، فهذا أبو هريرة ﷺ يقول : (مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلا أَكْتُبُ) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله، الحرص والتنافس على تبليغ سنة رسول الله ﷺ، ونشر العلم بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله .

٩٩ - ١١٤ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ قَالَ : « **ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ** »، قَالَ عُمَرُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا، فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: « **قُومُوا عَنِّي وَلا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ** »، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ (١) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ : يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الْحَصْبَاءَ، فَقَالَ : اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فَقَالَ : « **ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا** »، فَتَنَازَعُوا وَلا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ : « **دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ** ». وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلاثٍ : « **أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ** » . وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ (٢) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ : لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ** » . فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ

---

(١) - أطرافه : الأول : في كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، برقم ٣٠٥٣، ٣٩/٤ . الثاني : الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، برقم٣١٦٨، ٧٨/٤ . الثالث والرابع : في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم٤٤٣١، ورقم ٤٤٣٢،، ١٥٩/٥ . الخامس : في كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني، برقم٥٦٦٩، ١١/٧ . السادس : في كتاب الاعتصام، باب كراهية الاختلاف، برقم ٧٣٦٦، ٢٠٣/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، برقم١٦٣٧، ١٢٥٧/٣ .

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، برقم ٣٠٥٣، ٣٩/٤ .

مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلافَ قَالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ: « قُومُوا » (١) .

شرح غريب الحديث :

(الرَّزِيَّةَ) – المصيبة التي تنزل بالإنسان من الشدائد (٢) .

(هَجَرَ) – الهَجْر بالفتح : الهذيان، وهو النطق بما لا يفهم (٣) .

« أَجِيزُوا الْوَفْدَ » – هم الذين يقصدون الملوك في طلب حوائجهم، ويأتونهم في مهمَّاتهم، وإجازتهم : إعطاؤهم الجائزة، وهي ما يُعْطَونَ من العطاء والصلة (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – خطورة التنازع والاختلاف بين الدعاة إلى الله .

ثانياً – بكاء الصحابة ﷺ وتأثرهم بحديث رسول الله ﷺ وسنته .

ثالثاً – من وسائل الدعوة إلى الله : الكتابة .

رابعاً – من أساليب الدعوة إلى الله : الوصية .

خامساً – من وسائل الدعوة : استقبال الوفود، وحسن إجازتهم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٣٢، ٥/١٥٩ .

(٢) – جامع الأصول، لابن الأثير، ١١/٧١ .

(٣) – المرجع السابق، ١١/٧١ .

(٤) – المرجع السابق، ١١/٧١ .

أولاً – خطورة التنازع والاختلاف بين الدعاة إلى الله :

إن هذا الحديث فيه بيان لخطورة التنازع والاختلاف، وأنه قد يكون سبباً لمنع الخير وحرمانه، يقول بعض أهل العلم – رحمهم الله – : إن المخاصمة مذمومة، وأنها سبب في العقوبة للعامة، وحرمان الخير، وأن المكان الذي يحضره الشيطان ترفع منه البركة والخير (١) .

فإن قيل كيف تكون المخاصمة في طلب الحق مذمومة ؟ فالجواب عن ذلك لوقوعها بين يدي رسول الله ﷺ، ثم إنها مستلزمة لرفع الصوت، ورفعه بحضرة رسول الله ﷺ منهي عنه لقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (٢) .

فمن ذلك يظهر لنا بوضوح خطر الخصومة والتلاحي بين المسلمين، فكيف بين الدعاة إلى الله . لذا كان واجباً على الدعاة إلى الله البعدُ عن هذا الأمر والتحذير منه، ومن الوقوع فيه .

ثانياً – شدة محبة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ :

إن في قول ابن عباس رضي الله عنهما : (يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ)، و بُكائه حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الْحَصْبَاءَ، دليلاً على شدة محبته لرسول الله ﷺ، يقول الإمام الأبي -رحمه الله- عن ذلك: (هو استعظام وتفجع باعتبار ما اتفق فيه من موته ﷺ، وانقطاع الوحي وخبر السماء – إلى أن قال – ويحتمل بكاؤه لموته ﷺ، ولما ذكر من شدة وجعه ﷺ) (٣) . ومما يؤكد ذلك قوله في الحديث بعد توجعه وبكائه : (اشْتَدَّ

---

(١) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٦٢٤/٥ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٢/١، ١٩٣ و ١٢٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٣٩/١، ٢٥٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٨١/١ .

(٢) – سورة الحجرات، الآية : ٢ .

(٣) – إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٦٢٢/٥ .

بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ ..) .

فهذا الذي ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله من المحبة العظيمة لرسول الله ﷺ والتأثر عند ذكره، والإحساس بعظم مصيبة الأمة بوفاته وانقطاع الوحي بموته.

ثالثاً - مشروعية الكتابة وأهميتها في حفظ العلم :

هذا الحديث بالإضافة إلى الأحاديث الثلاثة السابقة، يُؤكد مشروعية الكتابة وأهميتها في حفظ العلم، وتدوينه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن هذه الأحاديث وترتيب الإمام البخاري - رحمه الله - لها : (قدم - البخاري- حديث علي رضي الله عنه أنه كتب عن النبي ﷺ، ويطرقه احتمال أن يكون إنما كتب ذلك بعد النبي ﷺ ولم يبلغه النهي، وثنى بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه الأمر بالكتابة، وهو بعد النهي فيكون ناسخاً، وثلث بحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وقد بينت أن في بعض طرقه إذن النبي ﷺ له في ذلك، فهو أقوى في الاستدلال للجواز من الأمر أن يكتبوا لأبي شاه، لاحتمال اختصاص ذلك بمن يكون أمياً أو أعمى، وختم بحديث ابن عباس رضي الله عنهما، الدال على أنه ﷺ هم أن يكتب لأمته كتاباً يحصل معه الأمن من الاختلاف وهو لا يهم إلا بحق) (١) .

رابعاً - من أساليب الدعوة إلى الله : الوصية بالخير :

لقد هَمَّ الرسول ﷺ على أن يُوصي، وهو لا يهم إلا بحق (٢)، وهذا فيه بيان لمشروعية الوصية للناس والرعية من الإمام أوالعلماء والدعاة إلى الله، بالخير وما يرون أن فيه المصلحة لهم، يقول العلامة العيني -رحمه الله-:(في قوله ﷺ « **ائْتُونِي بِكِتَابٍ**

---

(١) - فتح الباري، ٢٥٣/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٤/١١ . وعمدة القاري، ١٧٢/٢ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٥٣/١ .

أَكْتُبْ لَكُمْ »، دلالة على أن للإمام أن يوصي عند موته بما يراه نظراً للأمة) (١) .

خامساً - من وسائل الدعوة : استقبال الوفود، وحسن إجازتهم :

إن قول رسول الله ﷺ : « وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ »، فيه فائدة دعوية كما قال ذلك بعض العلماء - رحمهم الله - : وهو أن هذا الأمر من رسول الله ﷺ بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم ؛ تطييب لنفوسهم وترغيب لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة على سفرهم (٢) .

فلذا ينبغي لمن كان في استقبال الوفود التي تَفِدُ على المسلمين أن يهتم بهذه الوسيلة الدعوية المهمة أثناء استقباله لهم، وذلك بإكرامهم وحسن ضيافتهم، يقول القاضي عياض - رحمه الله - : (قال العلماء : سواء كان الوفد مسلمين أو كفاراً، لأن الكافر إنما يفد غالباً فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحهم) (٣) .

---

(١) - عمدة القاري، ١٧٢/٢ .

(٢) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٤/١١ . و إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٦٢٧/٥ .

(٣) - نقلاً عن : شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٤/١١ .

٤١ – باب العلم والعظة بالليل

١٠٠ – ١١٥ – حَدَّثَنَا صَدَقَةُ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ هِنْدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَعَمْرٍو وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ هِنْدٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (١) قَالَتِ : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ : « **سُبْحَانَ اللهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ** » (٢) .

وفي رواية: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتِ : اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا يَقُولُ : « **سُبْحَانَ اللهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ**

---

(١) – هي : أم سلمة أمُّ المؤمنين، هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة، المخزومية بنت عمّ خالد بن الوليد . من المهاجرات الأول، كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة : أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي . دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهنّ نسباً . وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين . عُمِّرت حتى بلغها مقتل الحسين ﷺ، فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيراً، لم تلبث بعده إلا يسيراً حتى توفيت . ولها أولاد صحابيون : عمر، وسلمة، وزينب، وكانت تُعدُّ من فقهاء الصحابيات، وروى عنها سعيد بن المسيب، وشقيق بن سلمة، والأسود بن يزيد، والشعبي، ومجاهد، ونافع بن جبير، ونافع مولى ابن عمر، وعطاء بن رباح، وشهر بن حوشب، وخلق كثير، ويبلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وسبعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر . وكانت وفاتها في سنة إحدى وستين، وقد عاشت نحواً من تسعين سنة . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/٢٠١–٢١٠. والكواكب الدراري، للكرماني، ١٢٥/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٧٢/٢) .

(٢) – أطرافه : الأول : في كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل، برقم١١٢٦، ٥٥/٢ . الثاني : في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، برقم٣٥٩٩، ٢١١/٤ . الثالث : اللباس، باب ما كان النبي ﷺ يتجوز من اللباس والبسط، برقم٥٨٤٤، ٦١/٧ . الرابع : في كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، برقم٦٢١٨، ١٥٩/٧ . الخامس : في كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه، برقم ٧٠٦٩، ١١٥/٨ .

الْفِتَنِ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ .. » (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة : التعليم، والوعظ والتذكير.

ثانياً – أهمية عناية الداعية بأهل بيته .

ثالثاً – الإسراع بالصلاة عند خشية الشر .

رابعاً – من موضوعات الدعوة : التحذير من الفتن .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة : التعليم، والوعظ والتذكير:

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث يستخدم أساليبَ دعوية ذات أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله ﷻ، مع أزواجه وأهل بيته، وهي أسلوب : التعليم، وأسلوب : الوعظ، فلذا بوب الإمام البخاري –رحمه الله – على هذا الحديث باباً قال فيه : باب العلم والعظة بالليل. يقول العلامة العيني –رحمه الله– : (أي هذا باب في بيان العلم والعظة، أي الوعظ بالليل) (٢). ويقول – رحمه الله –: الباب له ترجمتان، وهما : العلم والعظة، فمطابقة الحديث للترجمة الأولى : في قوله : « **مَاذَا أُنـزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ ..** »، وقوله : « **فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ** »، ومطابقته للترجمة الثانية : في قوله « **أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ** » (٣) .

فمن هنا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على مثل هذه الأساليب التي كان يطرقها

---

(١) كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه، برقم ٧٠٦٩، ٨/١١٥ .

(٢) – عمدة القاري، ٢/١٧٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٢٥٤ .

(٣) – انظر : عمدة القاري، ٢/١٧٢ .

رسول الله ﷺ ويستخدمها في دعوته، وخصوصاً مع الأهل والأقارب .

ثانياً - أهمية عناية الداعية بأهل بيته :

إن من أهم واجبات الداعية تجاه أهل بيته : دعوتهم وتعليمهم، ووعظهم وتذكيرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فالزوج راع، وهو مسؤول عن رعيته، فقدوة الدعاة إلى الله رسول الله ﷺ نجده في هذا الحديث عندما رأى من الآيات ما أفزعه، يعلم أهل بيته ويعظهم، بقوله : « **مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ** »، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إنما خصَّ رسول الله ﷺ صواحبات الحُجَر، من باب : ابدأ بنفسك ثم بمن تعول [١] . ويقول العلامة العيني - رحمه الله - : (ويستفاد من هذا الحديث أن للرجل أن يوقظ أهله بالليل للصلاة وذكر الله ﷻ لا سيما عند آية تحدث، أو رؤيا مخوفة) [٢] .

ثالثاً - الإسراع بالصلاة عند خشية الشر :

إن في إسراع رسول الله ﷺ إلى الصلاة والذكر، لمَّا فزع من نومه، وما رأى فيه من الآيات، بياناً لما كان عليه ﷺ من حال عندما يحزبه أمر [٣] ، حيث كان يفزع إلى الصلاة، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفي الحديث استحباب الإسراع إلى الصلاة عند خشية الشر كما قال تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [٤]، فقد كان

---

(١) - انظر : فتح الباري، ٢٥٤/١ . وأصل هذا الكلام حديث لرسول الله ﷺ، انظر : صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، برقم ١٤٢٦، ١٤٤/٢ .

(٢) - عمدة القاري، ١٧٥/٢ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٣٠/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٥٥/١ .

(٣) - انظر : سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب وقت قيام الليل، برقم ١٣١٩، ٣٥/٢ . (وقال عنه الألباني : حسن . انظر : صحيح سنن أبي داود ، ٢٤٥/١) .

(٤) - سورة البقرة، الآية : ٤٥ .

ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة) [١] .

لذا فليحرص الداعية إلى الله عندما يحزبه أمرٌ، أو يخشى شراً، بالاستعداد على مواجهته بالصلاة، فهي الزاد والسلاح النافع الذي يستخدمه الداعية إلى الله سبحانه وتعالى ، في كل وقت ، وعند كل الحاجة .

رابعاً – من موضوعات الدعوة : الأمر بالصلاة، و التحذير من الفتن :

إن تحذير رسول الله ﷺ لأزواجه من الفتن، وأمرهنَّ بالصلاة، فيه بيان لبعض الموضوعات التي ينبغي أن يتعرض لها الداعية في دعوته، وخاصة مع أهل بيته، فالصلاة هي عمود الدين وركنه الثاني بعد الشهادتين، والفتن لابد من وقوعها وتعرض الإنسان لها، فلذا كان التحذير منها والتنبيه على خطرها أمراً ذا أهمية كبيرة .

(١) – فتح الباري، ١/٢٥٥ . وانظر : الاستذكار، لابن عبدالبر، ٢٦/١٨٥ . وعارضة الأحوذي، لابن العربي، ٥/٥٤ .

٤٢ – باب السمر في العلم

١٠١ – ١١٦ – حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ وَأَبِي بَكْرِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ أَنَّ عَبْدَا للهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ : صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ : « **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ** » (١) .

وفي رواية: (.. فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ** » (٢) .

وفيها : (.. فَوَهِلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى مَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ . وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ** » . يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَخْرِمُ ذَلِكَ الْقَرْنَ .

شرح غريب الحديث :

(فَوَهِلَ) – الوهل : الفزع، وهِلْتُ أهِل وهَلاً : إذا فجأك أمر لم تعرفه، فارتعت له، ووهل يَهِل إلى الشيء وهْلاً : إذا ذهب وهْمه إليه (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) – طرفاه : الأول : في كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعاً، برقم٥٦٤، ١٥٩/١ . الثاني : في كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، برقم ٦٠١، ١٦٧/١ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ : « لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة » ، برقم٢٥٣٧، ١٩٦٥/٤ .

(٢) كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، برقم ٦٠١، ١٦٧/١ .

(٣) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٣٨٩/١٠ .

أولاً – من أوقات المذاكرة والفقه في الدين : بعد صلاة العشاء .
ثانياً – أهمية القيام أثناء الوعظ والتذكير بعد الصلاة .
ثالثاً – من معجزات رسول الله ﷺ، تحقق ما أخبر به .
رابعاً – من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا، والاستعداد للآخرة والرحيل.
أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أوقات المذاكرة والفقه في الدين : بعد صلاة العشاء :

إن هذا الحديث يدل على مشروعية السمر في العلم والخير بعد صلاة العشاء، وأن النهي الوارد عن الحديث بعدها [١] محمول على الحديث في غير العلم، وما لانفع فيه، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : (أخرج البخاري فيما انفرد به عن أبي برزة الأسلمي [٢] أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها . فهذا يدل على المنع مطلقاً، والحديث المتقدم يدل على جواز السمر في العلم والخير فنخص العموم فيما عداها، وأما ما عدا ذلك فذهب الأكثر إلى كراهته) [٣] .

ولهذا بوب الإمام البخاري – رحمه الله – على هذا الحديث، هنا بقوله : باب السمر في العلم . وفي كتاب : مواقيت الصلاة، بقوله : باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء [٤] . يقول ابن المنير – رحمه الله – عن ذلك : (الفقه يدخل في عموم الخير، لكنه خصه بالذكر تنويهاً بذكره، وتنبيهاً على قدره، وقد روى الترمذي من حديث عمر مُحسِّناً، أن النبي ﷺ كان يسمر هو وأبو بكر في الأمر من أمور المسلمين، وأنا

---

(١) – انظر : صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يكره من النوم قبل العشاء، برقم ٥٦٨، ١/١٦٠ . وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها، برقم ٦٤٧، ١/٤٤٧ .
(٢) – لم ينفرد به، انظر : التخريج السابق .
(٣) – عمدة القاري، ٢/١٧٧ .
(٤) – الجامع الصحيح ، ١/١٦٧ .

معهما [١]) [٢] . ويقول العلامة العيني - رحمه الله - : وجه المناسبة بين البابين من حيث أن المذاكرة في الباب الأول : العلم والعظة بالليل، وقد كان التحدث بعد العشاء منهياً عنه ، وهو السمر، والمذكور في هذا الباب هو السمر بالعلم، ونبه بهما على أن السمر المنهي عنه إنما هو فيما لا يكون من الخير، وأما السمر بالخير فليس بمنهي عنه ، بل هو مرغوب فيه [٣] .

ثانياً - أهمية القيام أثناء الوعظ والتذكير بعد الصلاة :

إن في قول راوي الحديث عبدا لله بن عمر رضي الله عنهما : (فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ** »، دليلاً على أهمية قيام الداعية في موعظته بعد الصلاة، ليُسمع الناس، ويُريهم نفسه وهو يتحدث إليهم، ليكون التأثر والتأثير أقوى في نفوسهم، وذلك بمشاهدتهم لانفعالاته وحركاته وهو يعظهم ويذكرهم، فالعين تأثر في قلب السامع كما تأثر الأذن فيه .

ثالثاً - من معجزات رسول الله ﷺ، تحقق ما أخبر به :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث أخبر أنه لا يبقى أحد حياً على الأرض ممن هو عليها من الناس بعد مائة عام من يومه الذي حدثهم فيه، وقد تحقق ما أخبر به ﷺ ووقع كما ذكر ذلك العلماء - رحمهم الله- إذ يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (وقد بين ابن عمر في هذا الحديث مراد النبي ﷺ، وأن مراده : أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن، فلا يبقى أحد ممن كان موجوداً حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء، فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجوداً حينئذ، أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتاً،

---

(١) - أبواب الصلاة، باب ما جاء من الرخصة في السمر بعد العشاء، برقم ١٦٩، ٣١٥/١ .

(٢) - نقلاً عن فتح الباري، لابن حجر، ٨٨/٢ .

(٣) - انظر : عمدة القاري، ١٧٥/٢ .

وغاية ما قيل فيه : إنه بقى إلى سنة عشر ومائة، وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي ﷺ) [١] .

وهذا من معجزات رسول الله ﷺ الثابتة له، وهي إخباره بالغيب الذي وقع بعد موته بمائة عام .

رابعاً – من موضوعات الدعوة : الزهد في الدنيا ، والاستعداد للآخرة والرحيل :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث يذكر لأصحابه ﷺ موضوعاً مهماً، ينبغي أن لا يغفل عنه الداعية إلى الله في دعوته للناس، وهو الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وأنها قصيرة، وبعدها الآخرة التي تريد من الإنسان استعداداً بالطاعة وترك المعصية، يقول ابن بطال – رحمه الله – : (إنما أراد الرسول ﷺ أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه، فوعظهم بقصر أعمارهم، وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة) [٢] .

---

(١) – فتح الباري، ٨٩/٢،٩٠ .

(٢) – نقلاً عن : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٣٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٥٦/١ .

١٠٢ – ١١٧ – حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، ثُمَّ قَالَ : « **نَامَ الْغُلَيِّمُ** » . أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا، ثُمَّ قَامَ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ نَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ، أَوْ خَطِيطَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ (١) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ صَلَّى وَرُبَّمَا قَالَ : اضْطَجَعَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى . ثُمَّ حَدَّثَنَا بِهِ سُفْيَانُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ عَنْ عَمْرٍو عَنْ

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، برقم ١٣٨، ٥٠/١ . الثاني : في كتاب الوضوء، باب قرآة القرآن بعد الحدث وغيره، برقم ١٨٣، ٦١/١ .الثالث : في كتاب الأذان، باب يقوم عن يمين الإمام بحذائه سواء إذا كانا اثنين، برقم٦٩٧، ١٩٢/١ . الرابع : في كتاب الأذان، باب إذا قام الرجل عن يسار الإمام، برقم٦٩٨، ١٩٣/١ . الخامس : في كتاب الأذان، باب إذا لم ينو الإمام أن يؤم ثم جاء قوم فأمهم، برقم٦٩٩، ١٩٣/١ . السادس : في كتاب الأذان، باب إذا قام الرجل عن يسار الإمام وحوله الإمام خلفه إلى يمينه، برقم٧٢٦، ١٩٩/١ . السابع : في كتاب الأذان، باب ميمنة المسجد والإمام، برقم ٧٢٨، ٢٠٠/١ . الثامن : في كتاب الأذان، باب وضوء الصبيان، برقم٨٥٩، ٢٣٤/١ . التاسع : في كتاب الوتر، باب ما جاء في الوتر، برقم٩٩٢، ١٥/٢ . العاشر : في كتاب العمل في الصلاة، باب استعانة اليد في الصلاة، برقم١١٩٨، ٧٤/٢ . الحادي عشر : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ** } ، برقم ٤٥٦٩، ٢٠٦/٥ . الثاني عشر : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً** } ، برقم٤٥٧٠، ٢٠٧/٥. الثالث عشر : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { **إنك من تدخل النار فقد أخزيته** } ، برقم٤٥٧١، ٢٠٧/٥ . الرابع عشر : في كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { **ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي ..** } ، برقم٤٥٧٢، ٢٠٨/٥ . الخامس عشر : في كتاب اللباس، باب الذوائب، برقم ٥٩١٩، ٧٨/٧ . السادس عشر : في كتاب الأدب، باب رفع البصر إلى السماء، برقم٦٢١٥، ١٥٨/٧ . السابع عشر : في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، برقم ٦٣١٦، ١٩١/٧ . الثامن عشر: في كتاب التوحيد، باب ما جاء في تخليق السموات والأرض، برقم ٧٤٥٢، ٢٣٦/٨.

وأخرجه: الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل،برقم٧٦٣،٥٢٥/١.

كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا – يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو وَيُقَلله – وَقَامَ يُصَلِّي، فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ عَنْ شِمَالِهِ – فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ أَتَاهُ الْمُنَادِي فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى و لم يَتَوَضَّأْ. قُلْنَا لِعَمْرٍو : إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ. قَالَ عَمْرٌو : سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ : رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (١) . (٢)

وفي رواية: عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَا للهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتُهُ، فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ (٣) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ : قُمْتُ لَيْلَةً أُصَلِّي عَنْ يَسَارِ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) – سورة الصافات، الآية : ١٠٢ .

(٢) كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، برقم ١٣٨، ٥٠/١ .

(٣) كتاب الوضوء، باب قرآة القرآن بعد الحدث وغيره، برقم ١٨٣، ٦١/١ .

فَأَخَذَ بِيَدِي، أَوْ بِعَضُدِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، وَقَالَ بِيَدِهِ مِنْ وَرَائِي (١) .

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ : بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَتَحَدَّثَ رَسُولُ الله ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ (٢) . ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِلالٌ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ (٣) .

وفي رواية: (.. قَالَ بِذُؤَابَتِي أَوْ بِرَأْسِي) (٤) .

وفي رواية: (.. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ : بِتُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ وُضُوءَيْنِ، لم يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ، فَصَلَّى فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَرقبهُ فَتَوَضَّأْتُ فَقَامَ يُصَلِّي ..) (٥) .

وفيها : وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : « **اللهمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا وَفَوْقِي نُورًا وَتَحْتِي نُورًا وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا** » . قَالَ كُرَيْبٌ : وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ : عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعَرِي وَبَشَرِي وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ .

---

(١) كتاب الأذان، باب ميمنة المسجد والإمام، برقم ٧٢٨، ١/ ٢٠٠ .

(٢) – سورة آل عمران، الآية : ١٩٠ .

(٣) كتاب تفسير القرآن، باب قوله : { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ** } ، برقم ٤٥٦٩، ٥/ ٢٠٦ .

(٤) كتاب اللباس، باب الذوائب، برقم ٥٩١٩، ٧/ ٧٨ .

(٥) كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، برقم ٦٣١٦، ٧/ ١٩١ .

شرح غريب الحديث :

(غَطِيطَهُ) و(خَطِيطَهُ) – بمعنى واحد، وهو: صوت نفس النائم كالحشرجة[١].

(شَنٍّ) – البالي من القرب [٢] .

(شِنَاقَهَا) – شناق القربة، الخيط الذي يُشدُّ به فمها [٣] .

(التَّابُوتِ) – الصندوق،وهو يعني به الأضلاع وما تحويه من القلب وغيره[٤].

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص الصحابة ﵃ على طلب العلم والتأسي برسول الله ﷺ .

ثانياً –من وسائل الدعوة: إرسال الأبناء إلى أقاربهم الصالحين ، ومبيتهم عندهم.

ثالثاً – من أساليب دعوة الأهل : السمر معهم .

رابعاً – من صفات الداعية : التواضع .

خامساً – أهمية إنكار المنكر وتغييره .

سادساً – من وسائل الدعوة إلى الله : القدوة الصالحة .

سابعاً – من خصائص الدين : التوازن بين العبادة وحقوق النفس .

ثامناً – أهمية تأكيد الكلام بعلو السند .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) – انظر : شرح غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٥٥ .

(٢) – المرجع السابق، ص١٥٥ .

(٣) – المرجع السابق، ص١٥٥ .

(٤) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٥/٩٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ١١/١٢١ .

أولاً – حرص الصحابة ﷺ على طلب العلم والتأسي برسول الله ﷺ :

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ حريصين على العلم ومعرفة أحوال رسول الله ﷺ للتأسي به، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يبيت في بيت رسول الله ﷺ ليرقب عبادته في بيته [١]، ويطلع عليها عن قرب، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن هذا الحديث فيه بيان لفضل ابن عباس رضي الله عنهما، وحذقه على صغر سنه حيث أرصد النبي ﷺ طول ليلته ليتعلم العلم منه، وضبطه أقواله وأفعاله منذ صغر سنه [٢] .

بل ورد أن الذي أرسله أبوه العباس رضي الله عنه [٣]، وهذا مما يؤكد على حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم العلم من رسول الله ﷺ والاقتداء به في أقواله وأفعاله .

ثانياً – من وسائل الدعوة : إرسال الأبناء إلى أقاربهم الصالحين ، ومبيتهم عندهم :

إن من وسائل الدعوة إلى الله التي تستفاد من هذا الحديث، من فعل ابن عباس وأبيه رضي الله عنهما، وإقرار رسول الله ﷺ لها، هي : إرسال الأبناء إلى أحد الأقارب الصالحين ومبيتهم عندهم، لأن ذلك فيه تدريب لهم على التعامل مع أقربائهم، ويستفيدوا منهم علماً وفهماً وعبادة وصلاحاً، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : (فيه المبيت عند العالم ليراقب أفعاله فيقتدي بها) [٤] .

وذلك لما فيه أيضاً من تدريب على صلة الأرحام، وزيادة أواصر المحبة مع أقربائه، بالإضافة إلى ترك أثر طيب في نفسه عندما يكبر ويتذكر مبيته وزيارته الطفولية فيرويها

---

(١) – مما يؤكد ذلك أنه ورد في رواية الإمام مسلم قول ابن عباس رضي الله عنهما : (رقدت في بيت ميمونة ليلة كان النبي ﷺ عندها، لأنظر كيف صلاة النبي ﷺ بالليل ...) . صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل، برقم٧٦٣، ١/٥٣٠ .

(٢) – انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣/٩٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢/٥٦٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٨٠، ٢٥٧ . وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ١/٢٤٨ .

(٣) – انظر : رواية الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل، برقم٧٦٣، ١/٥٣١ .

(٤) – عمدة القاري، ٢/٢٥٧ .

ويعتز بها، كما تدعم فيه حسن العلاقة الاجتماعية، وإذا نبه الوالدان الطفل إلى الاستفادة من مبيته عند أقربائه من العلم والتقى كان خيراً على خير (١) .

ثالثاً - من أساليب دعوة الأهل : السمر معهم :

إن من أساليب الدعوة إلى الله التي تُستفاد من هذا الحديث، السمر مع الأهل، فلذا بوب الإمام البخاري - رحمه الله - على هذا الحديث بقوله : باب السمر في العلم . وهذه الترجمة كما قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - مستفادة من قول ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : (.. فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ ..) (٢) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله أن لا ينسى مثل هذه الأساليب الدعوية مع أهله، فهم بحاجة إلى الحديث معه للمؤانسة، والمصارحة، والمناصحة .

رابعاً - من صفات الداعية : التواضع :

إن هذا الحديث فيه بيان لما كان عليه رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق، والتواضع في حياته، ينام على وسادة واحدة وفراش واحد هو وأهله وابن عباس رضي الله عنهما، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (فيه تواضعه عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه من مكارم الأخلاق) (٣) .

فينبغي للداعية إلى الله الحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ، في مكارم الأخلاق، ومنها تواضعه وبعده عن مظاهر الكبر والفخر ؛ وذلك حتى يحبه الناس، ويقبلون على دعوته والاقتداء به .

---

(١) - ورد في رواية الإمام مسلم أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (بعثني العباس إلى النبي ﷺ، وهو في بيت خالتي ميمونة ..) . انظر : في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل، برقم٧٦٣، ٥٣١/١ .

(٢) - انظر : فتح الباري، ٢٥٧/١ .

(٣) - عمدة القاري، ٢٥٧/٢ .

خامساً – أهمية إنكار المنكر وتغييره :

إن إنكار المنكرات وتغييرها له أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله، لأن السكوت عنها نوع من الإقرار لها، فلذا استنبط بعض العلماء – رحمهم الله – من هذا الحديث: عدم جواز وقوف المأموم عن يسار الإمام، وأنه لو كان يجوز، لما غير رسول الله ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في الصلاة إلى اليمين (١) .

إذن لو لم يغير الرسول ﷺ هذا الخطأ وينكره بيده، لعدَّ العلماء أن الوقوف عن يسار الإمام جائز، بل سنة . وهكذا بالنسبة للداعية إلى الله، إذا لم ينكر المنكر الذي يقع أمام عينيه، أوبعلمه، قد يظن صاحب المنكر، أوالعوام من الناس جواز مثل هذا العمل، ولسان حالهم يقول : إنه لو كان منكراً لما سكت عنه فلان العالم الداعية إلى الله عز وجل .

لذا فليحرص الداعية إلى الله على إنكار المنكرات وتغييرها، لما لذلك من فائدة كبيرة في الدعوة إلى الله، وهي : زوال هذا المنكر وتغييره، أو على أقل تقدير لا يُظن في الداعية أنه يقرُّ هذا المنكر .

سادساً – من وسائل الدعوة إلى الله : القدوة الصالحة :

إن من أهم وسائل الدعوة إلى الله : أن يكون الداعية بفعله قدوة صالحة للمدعوين، يرونه يعمل بما يقول، فيصنعون كما يصنع، وهذا الحديث يؤكد على هذا المعنى، فابن عباس رضي الله عنهما، في هذا الحديث لمّا رأى فعل رسول الله ﷺ بعد منتصف الليل، فعل كما فعل إذ يقول رضي الله عنه : (فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ ..)، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : (فيه المبيت عند العالم ليراقب أفعاله فيقتدي بها) (٢) .

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٥٦٣/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٥٧/٢ .
(٢) – المرجع السابق ، ٢٥٧/٢ .

سابعاً - من خصائص الدين : التوازن بين العبادة وحقوق النفس :

إن هذا الحديث يبين خصيصة من خصائص هذا الدين، وما كان عليه الرسول ﷺ من العمل بهذه الخصيصة وتطبيقها في حياته، فالدين الإسلامي، لم يأت برهبانية وانقطاع عن الحياة بالعبادة والزهد في الدنيا وملذاتها، كما أنه لم يأت بتشريعات تدعو إلى التكالب على الدنيا وشهواتها، بل كان وسطاً في ذلك، فمثلاً هذا الحديث : يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ..) ، فرسول الله ﷺ قدوة المسلمين الذين أمروا بالتأسي به، ينام إلى منتصف الليل، ولكنه لم ينم الليل كله، بل كان النصف الثاني للعبادة والصلاة وذكر الله سبحانه وتعالى .

إذن فمن خصائص ديننا : أنه يوازن بين حاجات الجسد، والروح، فلا يطغى جانب على الآخر حتى لا يختل التوازن المطلوب بينهما ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (١) .

ثامناً - أهمية تأكيد الكلام بعلو السند :

إن مما يؤكد الكلام ويعطيه قوة في نفس السامع، علوُّ سنده، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما، لم يكتف بما يسمع عن رسول ﷺ، أو بإخبار خالته لو سألها، بل أراد أن يسمع ويرى بنفسه، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (فيه طلب العلو في السند، فإنه كان يكتفي بإخبار خالته أم المؤمنين رضي الله عنها) (٢) .

---

(١) - سورة القصص ، الآية :٧٧ .

(٢) - عمدة القاري، ٢٥٧/٢ .

وأيضاً في الحديث طلب آخر لعلو السند، وهو قول أحد رواة الحديث [١] : (فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ ..) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله الحرص على علو السند، لأنه أقوى في الثبوت عند السامع، وأبعد عن الخطأ لقربه من مصدر الكلام، وقصرسنده .

(١) - يقول الحافظ ابن حجر : (قال ابن بطال : ليس كريب هو القائل : فلقيت رجلاً من ولد العباس. وإنما قاله سلمة بن كهيل الراوي عن كريب . قلت : هو محتمل، وظاهر رواية أبي حذيفة أن القائل هو كريب) . فتح الباري، ١١/١٢١ .

٤٣ - باب حفظ العلم

١٠٣ - ١١٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الله قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنِ الأعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَوْلا آيَتَانِ فِي كِتَابِ الله مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ثُمَّ يَتْلُو : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الرَّحِيمُ﴾ (١) . إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ الله ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لا يَحْضُرُونَ وَيَحْفَظُ مَا لا يَحْفَظُونَ (٢) .

وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ، قَالَ: « **ابْسُطْ رِدَاءَكَ** » فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: « **ضُمَّهُ** »، فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ (٣) .

وفي رواية: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : إِنَّكُمْ تَقُولُونَ : إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَتَقُولُونَ : مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ بِالأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا

---

(١) - سورة البقرة، الآيتان : ١٥٩، ١٦٠ .

(٢) - أطرافه : الأول : في كتاب العلم، باب حفظ العلم، برقم ١١٩، ٤٤/١ . الثاني : في كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: { فإذا قضيت الصلاة .. } ، برقم ٢٠٤٧، ٣/٣ . الثالث : في كتاب الحرث والمزارعة، باب ما جاء في الغرس، برقم ٢٣٥٠، ١٠١/٣ . الرابع : في كتاب المناقب، باب رقم ٢٨، رقم الحديث ٣٦٤٨، ٢٢٧/٤. الخامس : في كتاب الاعتصام، باب الحجة على من قال : إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة، برقم٧٢٥٤ .، ١٩٩/٨

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة، برقم٢٤٩٢، ١٩٣٩/٤.

(٣) كتاب العلم، باب حفظ العلم، برقم ١١٩، ٤٤/١ .

نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ، أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ : « **إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إِلا وَعَى مَا أَقُولُ** ». فَبَسَطْتُ نَمِرَةً عَلَيَّ حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ (١) .

وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ، وَاللهُ الْمَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ .. (٢) .

وفيها : (.. فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا ..) .

شرح غريب الحديث :

(الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ) - أي عقد الصفقات، والأصل في الصفقه أنهم كانوا يضربون باليد على اليد عند عقد البيع، علامة لتمام البيع، ثم استمرت التسمية بالصفقة لذلك، وإن لم يقع تصفيق (٣) .

(الصُّفَّةِ) - مكان مرتفع من مسجد الرسول ﷺ، كان يأوي إليه المساكين في مؤخره (٤) .

(نَمِرَةً) - هي كساء ملون (٥) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية،

---

(١) كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: { فإذا قضيت الصلاة .. } ، برقم ٢٠٤٧، ٣/٣ .

(٢) كتاب الحرث والمزارعة، باب ما جاء في الغرس، برقم ٢٣٥٠، ١٠١/٣ .

(٣) – انظر : شرح غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٣٣ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ص٢٩٣ .

(٥) – انظر : المرجع السابق، ص٢٩٣ .

نلخصها في الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة: إخبار الإنسان بما فيه من فضيلة عند الحاجة إليه .

ثانياً – الترهيب من كتم العلم .

ثالثاً – أهمية الصبر على طلب العلم والتفرغ له وبذل الجهد في تحصيله .

رابعاً –من معجزات رسول الله ﷺ : قوة حفظ أبي هريرة رضي الله عنه وعدم نسيانه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة : إخبار الإنسان بما فيه من فضيلة عند الحاجة إليه :

إن إخبار الإنسان بما فيه من خير وفضيلة، أسلوب دعوي جائز، وذلك عندما يحتاج إلى ذلك ، كأن يرى الناس يقولون فيه شيئاً، فيذكر مافيه لردِّ مثل هذا التهمة عن نفسه لمصلحة الدعوة ونشر العلم، يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – عن هذا الحديث : (وفيه جواز الإخبار عن نفسه بفضيلة إذا اضطر إلى ذلك) [١] .

ثانياً – الترهيب من كتم العلم :

إن قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرَّحِيمُ﴾ [٢]، فيه وعيدٌ شديدٌ، وترهيب عظيم من كتم العلم، وهذا هو الذي جعل الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه يحدث بكل ما سمعه من رسول الله ﷺ حتى قال بعض الناس عنه : إنه أكثر من الحديث، وأن باقي الصحابة رضي الله عنهم لم يحدثوا بمثل حديثه، فأجاب رضي الله عنه عن ذلك بقوله : (لَوْلا آيَتَانِ فِي كِتَابِ الله مَا

---

(١) – الكواكب الدراري، ٢/١٣٥ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٢٦٠ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/١٨٢ .

(٢) – سورة البقرة، الآيتان : ١٥٩، ١٦٠ .

حَدَّثْتُ حَدِيثًا ثُمَّ يَتْلُو : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى . . ﴾، يقول بعض العلماء – رحمهم الله –: معنى هذا الكلام : أي أنه لولا أن الله ذم الكاتمين للعلم ما حدث أصلاً، لكن لما كان الكتمان حراماً وجب الإظهار، فلهذا حصلت الكثرة لكثرة ماعنده (١) .

لذا فليحذر الدعاة إلى الله من التقصير في البلاغ ونشر العلم بين الناس حتى لا يدخلوا في المخاطبين بهذه الآيات، يقول العلامة ابن سعدي – رحمه الله – : (هذه الآية، وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق المظهرات له) (٢) .

ثالثاً – أهمية الصبر على طلب العلم والتفرغ له وبذل الجهد في تحصيله :

لقد بين الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه سبب تفوقه على سائر الصحابة رضي الله عنهم في العلم وحفظه، بأمرين : **الأول** الصبر على العلم، والتفرغ له، وبذل الجهد في تحصيله، وذلك يؤخذ من قوله رضي الله عنه : (إِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ بِالأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ، أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ) .

والثاني : دعاء رسول الله ﷺ له، وذلك يستفاد من قوله رضي الله عنه : (وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ : « **إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إِلا وَعَى مَا أَقُولُ** » . فَبَسَطْتُ نَمِرَةً عَلَيَّ حَتَّى إِذَا قَضَى

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٣٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٥٩/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٢/٢ .

(٢) – تيسير الكريم الرحمن، ١٢٢/١ .

رَسُولُ ا للهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ ا للهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ) .

فلذا ينبغي لطالب العلم أن يتفرغ له، ويصبر في طلبه على المشاق والجوع وطول الزمن وغيرها من الأمور التي قد تعرض لطالب العلم وتحتاج منه للصبر، وأن يبذل جهده الكبير في سبيل تحصيله وتتبعه عند العلماء وكتبهم، يقول بعض العلماء – رحمهم ا لله – : إن مما يستفاد من هذا الحديث، حفظ العلم والمواظبة على طلبه، وإيثار طلب العلم على طلب الدنيا (١) .

رابعاً – من معجزات رسول الله ﷺ : قوة حفظ أبي هريرة ﷺ وعدم نسيانه :

إن هذا الحديث فيه بيان لمعجزة من معجزات رسول ا لله ﷺ التي تحققت في أبي هريرة ﷺ، وذلك عندما قال ﷺ : « **إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إلا وَعَى مَا أَقُولُ** » . فبسط أبو هريرة ﷺ نمرة كانت عليه حتى إذا قَضَى رَسُولُ ا للهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، جمعها إِلَى صَدْره فَمَا نَسِيَ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ ا للهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ بعدُ .

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه ا لله – : في هذا الحديث فضيلة لأبي هريرة ومعجزة واضحة من علامات النبوة، لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يكثر منه ثم تخلف عنه ببركة دعاء النبي ﷺ (٢) .

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٣٥/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٢/٢ .

(٢) – انظر : فتح الباري، ٢٦٠/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦ /٥٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٤/٢ .

٤٣ – باب حفظ العلم

١٠٤ – ١٢٠ – حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ : حَدَّثَنِي أَخِي عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ .

شرح غريب الحديث :

(وِعَاءَيْنِ) – الوعاء : ما يجعل فيه الشيء يُحرز فيه، كأنه أراد به : عِلْمَين في وعاءين (١) .

(الْبُلْعُومُ) – هو مجرى الطعام (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من قواعد الدعوة : مراعاة المصالح والمفاسد .

ثانياً – تنوع العلوم وتعددها .

ثالثاً – من صفات الداعية : الفطنة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من قواعد الدعوة : مراعاة المصالح والمفاسد :

ليس في قول أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث : (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ)، تعارض مع الحديث الذي قبله عندما قال رضي الله عنه : (إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَوْلا آيَتَانِ

---

(١) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٢٤/٨ .

(٢) – انظر : المرجع السابق ٢٣/٨ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٦١/١ .

فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ثُمَّ يَتْلُو : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرَّحِيمُ ﴾ (١) . حيث أن المقصود هو أن العلم **نوعان، نوع** لا يجوز كتمه، ويجب الإخبار به، **ونوع** يجوز فيه الكتمان مراعاة للمصالح، ودرءاً للمفاسد، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (قال ابن المنير : وإنما أراد أبو هريرة بقوله : (قطع) أي قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها لما ذكره في الحديث الأول من الآية الدالة على ذم من كتم العلم . وقال غيره : يحتمل أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يتعلق بأشراط الساعة وتغير الأحوال ووقوع الملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يألفه، ويعترض عليه من لا شعور له به) (٢) . وحاصل هذا الكلام أن في كلا القولين : نظراً في المصالح والمفاسد قبل بث العلم ونشره .

إذن ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الحرص على هذا القاعدة الدعوية المهمة، واستصحابها معه في جميع أحوال دعوته، فالأصل هو تبليغ العلم وعدم كتمانه، ولكن قد يكون هناك بعض الأحوال التي يكون السكوت فيها هو الذي تقتضيه المصلحة فتركه التبليغ لذلك الأمر، لا يدخله في الذم الوارد للكاتمين العلم، بل هو عين الحكمة التي يأمر بها الشارع .

ثانياً - تنوع العلوم وتعددها :

إن من أهم عوامل نجاح الداعية في مجال الدعوة إلى الله ﷻ العلم، ولذا قال

---

(١) - سورة البقرة، الآيتان : ١٥٩، ١٦٠ .

(٢) - فتح الباري، ٢٦٢/١ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٣٧/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٥/٢ .

الإمام البخاري – رحمه الله – : (باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ فبدأ بالعلم) [(١)] .

وفي قول الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ : (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وِعَاءَيْنِ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ) . إشارة إلى أن العلم أنواع مختلفة ومتعددة، ينبغي للداعية إلى الله أن يتسلح بها وأن لا يحصر نفسه في واحد منها، بل يتزود منها جميعاً بما يكفيه في الدعوة إلى الله .

ثالثاً – من صفات الداعية : الفطنة :

إن من الصفات المهمة التي ينبغي أن توجد في الداعية إلى الله ﷻ : الفطنة، وهي سرعة الفهم، واستعداد الذهن لإدراك ما يَرِدُ عليه [(٢)]، وذلك يستفاد من قول الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ : (.. فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ)، فهو ﷺ كان على وعي بما سوف يترتب على بثه للوعاء الثاني، وما قد ينتج عنه، يقول ابن بطال – رحمه الله – : المراد من الوعاء الثاني أحاديث أشراط الساعة وما عَرَّف به النبي ﷺ من فساد الدين وتغير الأحوال والتضييع لحقوق الله تعالى، كقوله ﷺ : « **هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش** » [(٣)] وكان أبو هريرة يقول : لو شئت أن أسميهم بأسمائهم، فخشي على نفسه فلم يصرح، ولذلك ينبغي لمن أمر بالمعروف إذا خاف على نفسه من التصريح، أن يُعرِّض ولو كانت الأحاديث التي لم يحدث بها مما لا يسعه كتمها [(٤)] .

---

(١) – صحيح البخاري، كتاب العلم، ٢٩/١ .

(٢) – انظر : لسان العرب، لابن منظور، مادة (فطن)، ٣٤٣٦/٦ . والمعجم الوسيط، لمجموعة من علماء مجمع اللغة العربية، مادة (فطن)، ٦٩٥/٢ .

(٣) – صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم٣٦٠٥، ٢١٤/٤.

(٤) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٣٧/٢ . وعمدة القاري، للعيني ١٨٥/٢ .

٤٤ – باب الإنصات للعلماء

١٠٥ – ١٢١ – حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ مُدْرِكٍ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : « **اسْتَنْصِتِ النَّاسَ** » فَقَالَ : « **لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** » [١] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من وسائل الدعوة : الاستعانة بالأعوان .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : التحذير من الاختلاف والتنازع بين المسلمين.

ثالثاً – من أدب طالب العلم : حسن الإنصات للعلماء .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من وسائل الدعوة : الاستعانة بالأعوان :

إن مما ينبغي للداعية الاستعانة به في الدعوة إلى الله ﷻ : الأعوان، فكما قيل: الرجل بإخوانه قوي عزيز، وهذا رسول الله ﷺ قدوة الدعاة إلى الله ﷻ يستعين بصحابته ﷺ على إسكات الناس وإخبارهم بأنه سيتحدث إليهم ليستعدوا للأمر بمزيد اهتمام وتعظيم، يقول الإمام السندي – رحمه الله – : (قوله: « **استنصت الناس** »، أي قل لهم ليسكتوا حتى يسمعوا قولي، وفيه اهتمام وتعظيم لما يقوله) [٢] . ويقول

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم٤٤٠٥، ١٤٧/٥ . الثاني : في كتاب الديات، باب قول الله تعالى { ومن أحياها } ، برقم٦٨٦٩، ٤٥/٨ . الثالث : في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً .. »، برقم٧٠٨٠، ١١٧/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً .. »، برقم ٦٥، ٨١/١ .

(٢) – حاشية السندي على سنن النسائي، ١٢٨/٧ .

الإمام النووي – رحمه الله – : (معناه مرهم بالإنصات ليسمعوا هذه الأمور المهمة والقواعد التي سأقررها لكم وأحملكموها) [١] .

إذن فطلب الداعية إلى الله ﷻ، من بعض إخوانه قبل بدايته في الحديث أن يخبر الناس بأنه سيتحدث معهم، فيه فوائد كثيرة، منها : استنصات الناس، وتنظيمهم، وإعطاء الموضوع اهتماماً وتعظيماً أكبر من قبل السامعين له .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : التحذير من الاختلاف والتنازع بين المسلمين :

إن من الموضوعات المهمة جداً، والتي ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ أن يعطوها كثيراً من الاهتمام والعناية في دعوتهم للناس، التحذير من الاختلاف والتنازع بين المسلمين، يقول العلامة العيني – رحمه الله – : وفي هذا الحديث من الأحكام : تحذير الأمة من وقوع ما يحذر فيه [٢] . فهذا رسول الله ﷺ يستغل هذا الجمع الكبير الذي لا يتوافر له إلا في مثل هذه المناسبة التي لا تحصل في العام إلا مرة واحدة، فيذكرهم به ويحذرهم عنه، بل قبل أن يبدأ فيه طلب من الناس الصمت والاستعداد للسماع، وهذا كما ذُكر في الفائدة الأولى فيه اهتمام وتعظيم للموضوع.

بل إن رسول الله ﷺ عدَّ التنازع والاختلاف بين المسلمين الذي يصل إلى ضرب الرقاب كفراً، وذلك من باب التأكيد على خطره الشديد وضرره العظيم على المسلمين في الدنيا والآخرة .

ثالثاً – من أدب طالب العلم : حسن الانصات للعلماء :

إن في هذا الحديث بياناً لأدب من آداب طالب العلم، وهو : حسن الانصات للعلماء والدعاة إلى الله، يقول ابن بطال – رحمه الله – : فيه – أي هذا الحديث –أن الإنصات للعلماء والتوقير لهم لازم للمتعلمين، يقول الله ﷻ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٥٦/٢ .

(٢) – انظر : عمدة القاري، ١٨٧/٢ .

ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ [١] . والعلماء ورثة الأنبياء، وهم الذين يقرؤون حديث رسول الله ﷺ، ويبلغون سنته، ويقومون بشريعته [٢] . ولذا بوّب الإمام البخاري – رحمه الله– على هذا الحديث بقوله : باب الإنصات للعلماء . للتأكيد على هذا الأمر وأنه مما يلزم طالب العلم .

---

(١) – سورة الحجرات، الآية : ٤٩ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٤١/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٦٢/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٧/٢ .

٤٦ – باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً

١٠٦ – ١٢٣ – حَدَّثَنَا عُثْمَانُ قَالَ : أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً. فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إلا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ : « **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ » (١) .

وفي رواية: (.. جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ قَالَ ..) (٢) .

وفي رواية: (.. وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ ..) (٣) .

شرح غريب الحديث :

(حَمِيَّةً) – الأنفة والغيرة والمحاماة عن العشيرة (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، برقم ٢٨١٠، ٢٧٣/٣ . الثاني : في كتاب فرض الخمس، باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره، برقم٣١٢٦، ٦٢/٤ . الثالث : في كتاب التوحيد، باب قوله : { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين } ، برقم٧٤٥٨، ٢٣٨/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإمارة،باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، برقم١٩٠٤، ١٥١٢/٣.

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، برقم ٢٨١٠، ٢٧٣/٣ .

(٣) كتاب التوحيد، باب قوله : { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين } ، برقم٧٤٥٨، ٢٣٨/٨.

(٤) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٥٣٣ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٧/٢.

ثانياً - أهمية النظر إلى المدعو أثناء الحديث معه .

ثالثاً - أهمية الإخلاص في العمل .

رابعاً - فصاحة رسول الله ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

إن العلم له أهمية كبيرة في حياة المسلم وخاصة منهم الدعاة إلى الله ﷻ والعلم يجب أن يتقدم على العمل حتى يُعرف هل هو مشروع أم غير مشروع، ولذا كان الصحابة ﷺ يسألون رسول الله ﷺ عن حكم العمل قبل أن يُقدموا عليه كما هو الحال في هذا الحديث، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (فيه دليل على أن من السنة تقديم العلم على العمل، يؤخذ ذلك من قوله : مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ الله ؟ ليعلم كيف يقاتل في سبيل الله) [1] .

وهذا العلم من أهم طرق الوصول إليه والحصول عليه، سؤال العلماء وأهل الذكر عنه، يقول الله ﷻ : ﴿ فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [2] .

ثانياً - أهمية النظر إلى المدعو أثناء الحديث معه :

إن في نظر الداعية للمدعو أثناء الحديث معه فائدة كبيرة، وهو إحساسه بمزيد الاهتمام والعناية بسؤاله أو إرشاده، فهذا رسول الله ﷺ لما كان السائل واقفاً وهو جالس رفع رأسه ونظر إليه أثناء الإجابة عليه، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : يؤخذ من قول راوي الحديث : (فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ : وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إلا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا ..) أن من السنة أن يواجه المسؤول السائل بوجهه عند الجواب عن سؤاله، والمتكلم على المخاطب أثناء الحديث معه [3] .

---

(١) - بهجة النفوس، ١/١٤٩ .

(٢) - انظر : سورة النحل، الآية : ٤٣ . وسورة الأنبياء، الآية : ٧ .

(٣) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/٥٠ . وبهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١/١٥٠ .

=

ثالثاً - أهمية الإخلاص في العمل :

إن في قول رسول الله ﷺ : « **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ** »، بياناً لأهمية الإخلاص في العمل وأنه لا يقبل منه إلا ما كان لله تعالى، يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث : (فيه بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) (١) .

ويقول العلامة العيني - رحمه الله - : (فيه - أي الحديث - أن الإخلاص شرط في العبادة، فمن كان له الباعث الدنيا فلا شك في بطلان عمله) (٢) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله عَزَّ وَجَلَّ الحرص الشديد على خلوص نيته من الشوائب التي تبطل العمل، وأن يحرص على أن يكون عمله كله لله تعالى وحده لاشريك له .

رابعاً - فصاحة رسول الله ﷺ :

إن في إجابة رسول الله ﷺ في هذا الحديث عن هذه الأسئلة المتعددة بقوله : « **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ** »، بياناً لما كان عليه رسول الله ﷺ من الفصاحة والبيان، وأنه قد أوتي جوامع الكلام، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : في هذا الحديث بيان لما أعطي النبي ﷺ من الفصاحة وجوامع الكلم، لأنه أجاب السائل بجواب جامع لمعنى سؤاله، لا بلفظه، من أجل أن الغضب والحمية قد يكون لله عز وجل، وقد يكون لغرض الدنيا، فأجابه ﷺ بالمعنى مختصراً،

=

والكواكب الدراري، للكرماني، ١٤٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٦٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٧/٢ .

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٥٠/١٣ . وانظر : بهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١٤٩/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٤٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٦٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٧/٢ .

(٢) - المرجع السابق، ١٩٧/٢ .

إذ لو ذهب يقسم وجوه الغضب للسائل لطال ذلك ولخشي أن يلبس عليه(١).

ومن هنا ينبغي للدعاة إلى الله الاقتداء برسول الله ﷺ ، ومحاكاته في فصاحته وبيانه، كأن يأتي سائل يسأل عن أشياء تحتاج إلى تفصيل طويل، فيجيبه بمثل هذا الحديث الذي هو قاعدة وأصل يُحكَّمُ وتُعادُ إليه المسائل التي سأل عنها أو لم يسأل .

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٦٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩٨/٢ .

٤٨ - باب قول الله تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (١) .

١٠٧ - ١٢٥ - حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَاحِدِ قَالَ : حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ : بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا تَسْأَلُوهُ لا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَنَسْأَلَنَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ قَالَ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) قَالَ الأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا (٣) .

شرح غريب الحديث :

(خَرِبِ) - جمع خربة : والخراب ضد العمارة (٤) .

(عَسِيبٍ) - العسيب : عصا من جريد النخل (٥) .

(الرُّوحُ) - اختلف شراح الحديث في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا

---

(١) - سورة الإسراء، الآية ٨٥ .

(٢) - سورة الإسراء، الآية ٨٥ .

(٣) - أطرافه : الأول : في كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، برقم٤٧٢١، ٢٧٢/٥ . الثاني : في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال، برقم٧٢٩٧، ١٥٣/٨ . الثالث : في كتاب التوحيد، باب { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين } ، برقم٧٤٥٦، ٢٣٧/٨ . الرابع : في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون } ، برقم٧٤٦٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، برقم٢٧٩٤، ٢١٥٢/٤ .

(٤) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٤٩/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧٠/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٠/٢ .

(٥) - انظر : جامع الأصول، لابن الأثير، ٢١٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧٠/١ .

الحديث على أقوال منها : روح الإنسان، وقيل : روح الحيوان، وقيل : جبريل عليه السلام، وقيل : عيسى ﷺ، وقيل : القرآن الكريم، وقيل : الوحي، وقيل : ملك يقوم وحده صفاً يوم القيامة، وقيل غير ذلك، وقال بعض العلماء - رحمهم الله -: الصحيح أن السؤال مجمل يحتمل كل هذه الإجابات والأقوال (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - أهمية اختلاط الداعية بالمدعوين لمعرفة أحوالهم .

ثانياً - من أصناف المدعوين : اليهود وأنهم قوم خصام ولجج .

ثالثاً - من التنطع والقول على الله بغير علم : الحديث في الغيب الذي لا يعلم.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية اختلاط الداعية بالمدعوين لمعرفة أحوالهم :

إن في قول عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه : (بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ : بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ..)، بياناً لما كان عليه رسول الله ﷺ من الاختلاط بالناس جميعاً، فقد كان ﷺ يسير في المدينة ويختلط بأهلها، يدعوهم إلى الله تعالى، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويجيب عن تساؤلاتهم واستفساراتهم بصدر رحب .

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله تعالى، وذلك اقتداءً برسول الله ﷺ **أولاً**، ولأجل دعوة الناس، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، **ثانياً** . فالداعية

---

(١) - انظر : عارضة الأحوذي، لابن العربي، ٦/٢٢٦ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٥٠ . وفتح الباري، لابن حجر، ٨/٢٥٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/٢٠٠، ٢٠١ .

إذا جلس في بيته انقطع عن الناس وانقطعوا عنه، وما علم بحاجتهم، وما يقع بينهم من أخطاء تستلزم منه التوجيه والإرشاد، والسعي إلى تغييرها وإزالتها .

ثانياً – من أصناف المدعوين : اليهود وأنهم قوم خصام ولجج :

إن من أصناف المدعوين الذين واجههم رسول الله ﷺ بدعوته : اليهود، ومن هذا الحديث يظهر بعض ما كان عليه اليهود من سمات أثناء دعوة رسول الله ﷺ لهم، فهم قوم أهل خصام ولجج، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – إن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن الروح سؤال تعجيز وتغليط، لكونها تطلق على أشياء كثيرة، فأضمروا أنه بأي شيء أجاب قالوا: ليس هذا المراد، فرد الله كيدهم، وأجابهم جواباً عظيماً يعم بالبيان جميع أقسام الروح، فهو جواب مجمل مطابق لسؤالهم المجمل [1] .

ثالثاً – من التنطع والقول على الله بغير علم، الحديث في الغيب الذي لا يُعلم :

إن في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [2]، في معرض الإجابة عن سؤال اليهود عن الروح، بياناً لمقدرة الإنسان ومدى علمه وإدراكه، فهناك علوم كثيرة لم يصل الفكر الإنساني إلى إدراكها، لأن طبيعتها تختلف اختلافاً جذرياً عن تكوينه، وأنها تتطلب قوى لم تتوفر فيه ، فالله تبارك وتعالى لم يخلق للإنسان أجهزة تمكنه من بلوغها في الدنيا على أقل تقدير، ولذلك خاطب الحاضرين بقوله : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن هذا الخطاب لا يفيد تعجيزاً، ولا يدعو إلى السلبية، وإنما يبين للإنسان أنه من الحكمة: أن يعلم أنه من الخير ما تسعه الطاقة البشرية وأن يسأل عما يحتاج إليه،

---

(١) – انظر : عارضة الأحوذي، لابن العربي، ٦/٢٢٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٨/٢٥٦ .

(٢) – سورة الإسراء، الآية ٨٥ .

وينفعه في الدنيا والآخرة [١] .

يقول الإمام ابن العربي – رحمه الله – : (قال بعض علمائنا : الروح معنى أودعه الله في باطن الإنسان تنتشر أحكامها على الجملة، فإن أراد العبد أن ينكرها لم يقدر، وإن أراد إدراكها على التحقيق لم يمكن ومع هذا توغل الناس في الكلام عليها، وتوغلوا فيها، ولا حاجة إلى ذلك، وإنما المعول على أنها مخلوقة محدثة موجودة بعد أن كانت معدومة لما ثبت من الدليل أن الأولية ليس إلا لله تعالى وصفاته الذاتية) [٢] .

إذن فهناك أمور ينبغي للدعاة إلى الله تعالى عدم الخوض فيها أوالسؤال عنها، لأنها من التنطع والقول على الله بغير علم، كحقيقة الروح وكنهها .

---

(١) – انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ١٩٢/٥، من دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار المصحف، القاهرة . وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ١٢٩/٣، ١٣٠ .

(٢) – عارضة الأحوذي، ٢٢٦/٦، ٢٢٧ .

٤٩ – باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه

١٠٨ – ١٢٦ – حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الْكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **يَا عَائِشَةُ لَوْلا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ** – قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: **بِكُفْرٍ – لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ** » فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ (١).

وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهَا: « **أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوُا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ** » فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: « **لَوْلا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ** » فَقَالَ عَبْدُ اللهِ رضي الله عنه: لَئِنْ كَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أُرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ تَرَكَ اسْتِلامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الْحِجْرَ إِلا أَنَّ الْبَيْتَ لَمْ يُتَمَّمْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ (٢).

وفي رواية: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: « **نَعَمْ** » قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: « **إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ** » قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: « **فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ**

---

(١) – أطرافه: الأول والثاني والثالث والرابع: في كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، برقم١٥٨٣، ورقم١٥٨٤، ورقم١٥٨٥، ورقم١٥٨٦، ٢/١٩٠. الخامس: في كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ١٠، الحديث رقم٣٣٦٨، ٤/١٤٢. السادس: في كتاب التفسير، سورة البقرة، برقم٤٤٨٤، ٥/١٧٥. السابع: في كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، برقم٧٢٤٣، ٨/١٦٨.

وأخرجه: الإمام مسلم في كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، برقم١٣٣٣، ٢/٩٦٨.

(٢) كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، برقم١٥٨٣، ٢/١٩٠.

فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ » (١) .

وفي رواية: « .. لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ ثُمَّ لَبَنَيْتُهُ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَإِنَّ قُرَيْشًا اسْتَقْصَرَتْ بِنَاءَهُ وَجَعَلْتُ لَهُ خَلْفًا » (٢) .

وفي رواية: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا : « يَا عَائِشَةُ لَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ » فَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما، عَلَى هَدْمِهِ قَالَ : يَزِيدُ وَشَهِدْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ هَدَمَهُ وَبَنَاهُ وَأَدْخَلَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ حِجَارَةً كَأَسْنِمَةِ الْإِبِلِ، قَالَ : جَرِيرٌ فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ مَوْضِعُهُ ؟ قَالَ: أُرِيكَهُ الْآنَ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ الْحِجْرَ، فَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ ،فَقَالَ : هَا هُنَا، قَالَ جَرِيرٌ : فَحَزَرْتُ مِنَ الْحِجْرِ سِتَّةَ أَذْرُعٍ أَوْ نَحْوَهَا (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين .

ثانياً –من القواعد الدعوية:أن النفوس تساس بما تأنس إليه، إلا أن يكون حراماً.

ثالثاً – من القواعد الدعوية : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

رابعاً – أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، برقم١٥٨٤، ٢/ ١٩٠ .

(٢) كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، برقم١٥٨٥، ٢/ ١٩٠ .

(٣) كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، برقم١٥٨٦، ٢/ ١٩٠ .

أولاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين :

إن من أهم الأمور التي ينبغي للداعية إلى الله ﷻ مراعاتها في الدعوة إلى الله : أحوال المدعوين وحاجاتهم، وظروفهم، وأزمنتهم، فما يصح لأُناسٍ، قد لا يصح لآخرين، وما يجوز في وقت، قد لا يجوز في وقت آخر، وفي هذا الحديث ما يؤكد على ذلك ويشهد له، فرسول الله ﷺ بيّن لعائشة ﵂ سبب تركه بناء الكعبة على أساس إبرهيم ﵇ بقوله : « **لَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ** »، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – عن هذا القول لرسول الله ﷺ : فيه دليل على أنه قد يترك بعض من الأمر بالمعروف إذا خشي منه أن يكون سبباً لفتنة قوم ينكرونه، وذلك مراعاة لحالهم، كما فعل رسول الله ﷺ في هذا الحديث من مراعاة حديثي العهد بالإسلام [(١)] .

ولذا بوب الإمام البخاري – رحمه الله – على هذا الحديث بقوله : (باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشدَّ منه) أي أنه كان ﷺ يراعي أحوال الناس في دعوته إلى الله ﷻ .

ثانياً – من القواعد الدعوية : أن النفوس تساس بما تأنس إليه، إلا أن يكون حراماً :

يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : إن في ترك رسول الله ﷺ إعادة بناء الكعبة على قواعد إبرهيم ﵇ من باب سياسة النفوس بما تأنس إليه وما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن حراماً [(٢)] .

---

(١) – انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٩/٩. وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٠٥/٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٥٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧١/١ .وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٤/٢ .

(٢) – انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٩/٩. وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٠٥/٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٥٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧١/١ .وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٤/٢ .

إذن فالداعية الحكيم هو الذي يسوس نفوس المدعوين بما تأنس إليه، ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي، وذلك من باب مراعاة أحوالهم وما يحتاجون إليه من خطوات ومراحل للوصول إلى الأهداف التي يسعى لتحقيقها معهم.

ثالثاً – من القواعد الدعوية : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح :

إن من القواعد المهمة في الدعوة إلى الله ﷻ، والتي ينبغي للداعية استصحابها معه أثناء دعوته : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، يقول الإمام النووي – رحمه الله – (وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام، منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة، بدئ بالأهم، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي : خوف فتنة بعض من أسلم قريباً،وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة، فيرون تغييرها عظيماً فتركها ﷺ)[1].

ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله -: (ويستفاد منه – أي هذا الحديث – ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة ،ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه) .

رابعاً – أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

إن المتأمل في هذا الحديث يظهر له أن السؤال عن العلم له أهمية كبيرة في تحصيله، وإبرازه للناس جميعاً، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تقول : (سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » قُلْتُ : فَمَا لَهُمْ لَم يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ : « **إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ** » قُلْتُ : فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا ؟ قَالَ : « **فَعَلَ**

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٩/٩ . وانظر : وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٠٥/٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٥٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧١/١ .وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٤/٢ .

ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ »، فبسؤالها وجواب الرسول ﷺ عليها، ظهر لها، ولنا كثير من العلم والفوائد والدروس النافعة . ولذا قيل : إن العلم سؤال وجواب، وحسن السؤال نصف العلم [(١)] .

فمن هنا ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بالسؤال عن العلم والجواب عليه، بينهم وبين المدعوين، فإن السؤال عن العلم مطلب شرعي ورد في الشرع الحثُّ عليه، فقال الله ﷻ في أكثر من موضع : ﴿ فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [(٢)] .

---

(١) – فتح الباري ، لابن حجر ،١٧٢/١ .

(٢) – انظر : سورة النحل، الآية : ٤٣ . وسورة الأنبياء، الآية : ٧ .

٥٠ – باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا

١٠٩ – ١٢٧ – وَقَالَ عَلِيٌّ : حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ .

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُوذٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ بِذَلِكَ.

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية مخاطبة الناس على قدر عقولهم .

ثانياً – التدرج في الدعوة والتعليم .

ثالثاً – خطورة ردُّ شيء من كتاب الله ﷻ، أو سنة نبيه ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية مخاطبة الناس على قدر عقولهم :

إن هذا الحديث فيه دليل على أهمية مخاطبة الناس على قدر عقولهم، لأنهم إذا حُدثوا بما لايفهموه وتستوعبه عقولهم، كان سبباً لرده، وإذا كان هذا المردود عن الله ﷻ ورسوله ﷺ فهو تكذيب لهما، يقول العلامة العيني – رحمه الله – عن قول أمير المؤمنين علي ﷺ : أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ، (إن الشخص إذا سمع ما لايفهمه وما لايتصور إمكانه، يعتقد استحالته جهلاً، فلا يصدق وجوده، فإذا أسند إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ يلزم تكذيبهما) (١) .

---

(١) – انظر : عمدة القاري، ٢/٢٠٥ .

ويقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : وفي هذا الحديث دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة خشية أن يشتبه عليهم فهمه، ومثال ذلك وضابطه : إذا كان الحديث في الظاهر يقوي البدعة، وفي أصله غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بالظاهر مطلوب (١) .

إذن فحديث الداعية مع الناس على قدر عقولهم وإدراكهم له أهمية كبيرة جداً، فهو **أولاً** : أدعى لقبولهم الحديث والدعوة، **وثانياً** : حتى لا يكون سبباً لوقوعهم في منكر عظيم، وهو : تكذيب الله ﷻ، أو رسوله ﷺ .

ثانياً – التدرج في الدعوة والتعليم :

إن هذا الحديث فيه تأكيد على أهمية التدرج مع الناس في تعليمهم ودعوتهم إلى الله ﷻ، يقول العالم الوزير ابن هبيرة – رحمه الله – : (في هذا الحديث من الفقه : أن العالم ينبغي أن يربي الناس بالعلم تربيةً، ويغذيهم إياه تغذيةً ، فيربيهم بصغار العلم قبل كباره، فيكون ربانياً كما جاء في الحديث الآخر (٢)، ويوضح ذلك أن الطفل لما كانت معدته لا تقوى على هضم الأطعمة الغليظة يسَّر الله له رزقه من ثدي أمِّه مدة طويلة، يتدرج فيها إلى تناول الأغذية الباقية على جهتها، فإن اللبن قد كان غذاءً، ثم انقلب لبناً، فصار على نحو الشيء المصاعد، فهو من ألطف الأغذية، فإذا قويت معدة الطفل غُذِّي بالأغذية القوية، فكذلك ينبغي للعالم أن يرفق بالناس في التعليم، فلا يعرِّض عقولهم لسماع ما تنكره من قبل أن يتيقن قوة عقولهم لدفع الشبهة، وقبول الحجة، والكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وإلا عرَّضهم للتكذيب، كما قال علي رضي الله عنه: أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ) (٣) .

---

(١) – انظر : فتح الباري، ٢٧٢/١ . وانظر : الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٣٨/١٨ .

(٢) – انظر : صحيح الإمام البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول العمل، ٢٩/١ .

(٣) – الإفصاح عن معاني الصحاح، ٢٦٨/١ .

ثالثاً – خطورة ردُّ شيء من كتاب الله ﷻ، أو سنة نبيه ﷺ :

إن ردَّ الإنسان لشيء من كتاب الله ﷻ، أو سنة نبيه ﷺ، خطورته عظيمه جداً، فهو تكذيب لله ﷻ، ولرسوله ﷺ، وهذا من أكبر الكبائر وأعظمها، فلذا ينبغي لكل مسلم الحذر من الوقوع في ذلك، وخاصة ممن ينتسب إلى الدعوة إلى الله ﷻ، فعليه أن يتثبت في الأمر ولا يستعجل فيه، فعقل الإنسان مهما كان في الذكاء والفهم، فإنه قد يحصل له في بعض الإحيان أن يصعب عليه فهم بعض المسائل، أو إدراكها .

١١٠ - ١٢٨ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذٌ (١) رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ : « **يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ** » قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: « **يَا مُعَاذُ** »، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاثًا قَالَ : « **مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إلا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ** »، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ : « **إِذًا يَتَّكِلُوا** » وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا (٢) .

وفي رواية: « **مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ** » قَالَ : أَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : « **لا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا** » (٣) .

---

(١) - هو : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُدي بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشيم بن الخزرج، السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري، أسلم وله ثمان عشرة سنة، قال أنس ﷺ جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب، وزيد، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد أحد عمومتي. وكان أحد الأربعة الذين قال رسول الله ﷺ خذوا القرآن منهم، وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ: أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ . وبعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن داعياً وأميراً، قال عنه عبد الله بن مسعود ﷺ : إن معاذاً كان أمة قانتاً لله ولم يك من المشركين . شهد العقبة والمشاهد كلها، روى عنه ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس ﷺ أجمعين، وأبو مسلم الخولاني، وابن أبي ليلى، ومسروق، وآخرون ، توفي سنة سبع عشرة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي ٤٤٣/١-٤٦١ . والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٢٤١٦، ١٠٤/١٠ . والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ترجمة رقم٨٠٣٢، ٢١٩/٩،٢٢٠) .

(٢) - طرفه : في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم ١٢٩، ٤٧/١ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم٣٢، ٦١/١ .

(٣) كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم ١٢٩، ٤٧/١ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب النداء والتكرار في شدّ الانتباه .

ثانياً – أهمية مراعاة آداب طالب العلم .

ثالثاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين .

رابعاً – عظم مكانة التوحيد .

خامساً – بيان تواضع النبي ﷺ .

سادساً – من أساليب الدعوة : تبشير المسلم بما يسره .

سابعاً – التحذير من الاتكال على العمل .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية أسلوب النداء والتكرار في شدّ الانتباه :

ذكر بعض العلماء - رحمهم الله - أن في قول رسول الله ﷺ : « **يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ** »، ثلاث مرات، وإجابة معاذ رضي الله عنه بقوله : (لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ)، فائدة دعوية، وهي أن النداء للمدعو باسمه يساعد على شدِّ انتباهه، وخاصة إذا كرر النداء [1] . يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (وأما تكريره ﷺ نداء معاذ رضي الله عنه فلتأكيد الاهتمام بما يخبره، وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه) [2] .

فمن هنا ينبغي للداعية إلى الله الحرص على مثل هذا الأسلوب في دعوته وخاصة إذا كان الأمر مهماً جداً، أو أنه يحتاج من المدعوين إلى مزيد تركيز وانتباه.

---

(١) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٥٦/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٨/٢ .

(٢) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٣١/١ .

ثانياً – أهمية مراعاة آداب طالب العلم :

إن قول معاذ بن جبل ﷺ في إجابته على نداء رسول الله ﷺ بـ: (لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ)، فيه بيان لما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم مع شيخه ومن يتلقى العلم منه، من الاحترام والتقدير والمخاطبة بالألفاظ الجميلة التي توحي بذلك، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – في معنى قوله (لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ)، اللب بفتح اللام معناه هنا الإجابة، والسعد المساعدة، كأنه يقول لباً لك وإسعاداً لك، ولكنهما ثنيا على معنى التأكيد والتكثير من الطاعة والقرب والمحبة، أي إجابة بعد إجابة، وإسعاداً بعد إسعاد (١) .

ثالثاً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين :

إن هذا الحديث يؤكد على أهمية مراعاة أحوال المدعوين، وأن ليس كل ما يعلم، يقال لكل أحد، وعلى كل حال، فعقول الناس ليست واحدة واستيعابهم للمعاني يختلف من شخص لآخر، فقد يكون بعض العلم سبباً لفتنة بعض الناس لصغر عقله، أوضيق إدراكه وأفقه، أو قلة علمه، أو ضعف إيمانه، أو غيرها من الأسباب التي يجب أن تراعى من قبل الداعية إلى الله ﷻ ، أثناء دعوته، يقول الإمام الكرماني – رحمه الله – : (فيه أنه يجب أن يخص بالعلم قوم فيهم الضبط وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة، ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لتقصير فهمه) (٢) .

ويقول الشيخ ابن عثيمين – حفظه الله – : (إن كتمان العلم على سبيل الإطلاق لايجوز، لأنه ليس بمصلحة، ولهذا أخبر النبي ﷺ، معاذاً ولم يكتم ذلك مطلقاً، وأما كِتمان العلم في بعض الأحوال، أو عن بعض الأشخاص، لا على سبيل الإطلاق،

---

(١) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ، ٢٣١/١ .الكواكب الدراري، للكرماني، ١٥٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٠٦/٢ .

(٢) – الكواكب الدراري، للكرماني، ١٥٦/٢ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٢٠٨/٢ .

فجائز للمصلحة كما كتم النبي ﷺ ذلك عن بقية الصحابة خشية أن يتكلوا عليه)[(١)].

رابعاً - عظم مكانة التوحيد :

إن من أهم موضوعات الدعوة إلى الله ﷻ : التوحيد، وعدم الإشراك بالله ﷻ، حيث نجد في هذا الحديث بياناً لعظمة ذلك الأمر من جانبين، **الأول** : أن رسول الله ﷺ قبل الإخبار به، نادى معاذاً رضي الله عنه باسمه ثلاث مرات، وكما سبق في الفائدة الثانية : أن النداء والتكرار يفيد الاهتمام وتعظيم ما سيذكر، والجانب **الآخر** : هو ما يترتب على التوحيد من أجر عظيم ومغفرة واسعة، ودخول للجنة، وتحريم على النار، إذ يقول ﷺ : « **مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إلا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ** » وقال ﷺ في الرواية الأخرى : « **مَنْ لَقِيَ الله لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ** »، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : إن هذا (فيه بشارة عظيمة للموحدين) [(٢)] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ الاهتمام بهذا الأمر اهتماماً عظيماً في دعوتهم إلى الله ﷻ، وأن يكون توحيد الله ﷻ ومحاربة الشرك، على قمة أولياتهم الدعوية، وذلك لما يترتب عليهما من الخير العظيم للداعية، والمدعوين في الدنيا والآخرة .

خامساً - بيان تواضع النبي ﷺ :

إن هذا الحديث فيه بيان لما كان عليه رسول الله ﷺ سيد الخلق وأفضلهم، من التواضع والبساطة في حياته كلها، فها هو يركب على الدابة التي ورد في بعض الروايات أنها حمار [(٣)]، وليس هذا فقط بل يردف معه معاذاً رضي الله عنه، يقول الحافظ ابن

---

(١) - القول المفيد على في كتاب التوحيد، ٥٠/١ .

(٢) - عمدة القاري، ٢٠٨/٢ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٥٧/٢ .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٧٣/١ .

حجر - رحمه الله - : وفي هذا بيان لتواضع النبي ﷺ [١] . ويقول الشيخ / ابن عثيمين - حفظه الله - : (النبي ﷺ أشرف الخلق جاهاً، ومع ذلك هو أشد الناس تواضعاً حيث ركب الحمار وأردف عليه، وهذا في غاية التواضع إذ أن عادة الكبراء عدم الإرداف، وركب ﷺ الحمار، ولو شاء لركب ما أراد، ولا منقصة في ذلك، إذ أن من تواضع لله ﷻ رفعه) [٢] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ الاقتداء برسول الله ﷺ في تواضعه الجم، فإن من أهم صفات الداعية الناجح : التواضع، لما في ذلك من كسب لقلوب الناس وتأليف لهم، فالناس ينفرون من المتكبرين ولا يحبونهم .

سادساً - من أساليب الدعوة : تبشير المسلم بما يسره :

إن من أساليب الدعوة إلى الله التي تُستفاد من هذا الحديث، تبشير المدعوين بما يدخل الفرح والسرور عليهم، فمعاذ ﷺ بعد أن أخبره رسول الله ﷺ بما أعدَّ الله ﷻ ، لمن وحده و لم يشرك به، قال : (أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا)، يقول الشيخ/ ابن عثيمين - حفظه الله - إن مما يستفاد من ذلك: (استحباب بشارة المسلم بما يسره لقوله : (أفلا أبشر الناس)، وهذه من أحسن الفوائد - إلى أن قال -فيؤخذ منه أنه ينبغي للإنسان إدخال السرور على إخوانه المسلمين ما أمكن بالقول أو بالفعل ليحصل له بذلك خير كثير وراحة وطمأنينة قلب، وانشراح صدر) [٣] .

إن البشارة محبوبة فيما يسر من أمر الدين أو الدنيا، فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ أن يدخل إلى قلوب المدعوين من خلال هذا الأسلوب لأجل التأثير فيهم وكسب قلوبهم .

---

(١) - انظر : فتح الباري ، ٢٧٣/١ .

(٢) - القول المفيد، ٥٤/١ .

(٣) - المرجع السابق، ٥١/١ .

سابعاً - التحذير من الاتكال على العمل :

إن قول رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : « **لا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا** »، وذلك عندما أراد أن يبشر الناس بأن « **مَنْ لَقِيَ الله لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ** »، فيه بيان وتحذير من الاتكال على العمل، يقول الشيخ / ابن عثيمين - حفظه الله - : في هذا الحديث من الفوائد : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله، وذلك لقوله: « **لا تُبَشِّرهم فيَتَّكِلُوا** »، لأن الاتكال على رحمة الله يسبب مفسدة عظيمة، هي : الأمن من مكر الله [1] . ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ [2] .

---

(١) - انظر : القول المفيد، ١/٥١ .

(٢) - سورة الأعراف، الآية : ٩٩ .

٥١ - باب الحياء في العلم

١١١ - ١٣٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ ابْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ** » فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ ؟ قَالَ:«**نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا**» (١) .

وفي رواية: .. فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ : تَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **فَبِمَ يُشْبِهُ الْوَلَدُ** » (٢) .

شرح غريب الحديث :

« **تَرِبَتْ يَمِينُكِ** » - كلمة كانت جارية على ألسن العرب، ولا تُحمل على تعمد الدعاء على من خوطب بها ولكنهم يقولونها، ولا يريدون وقوع الأمر، وقد قيل : إن المعنى تربت يداك إن لم تفعل ما أُمرت به، أو لم تعتقد ما بين لك (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية،

---

(١) - أطرافه : الأول : في كتاب الغسل، باب إذا احتلمت المرأة، برقم٢٨٢، ٨٥/١ . الثاني : في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم ٣٣٢٨، ١٢٣/٤ . الثالث : في كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، برقم٦٠٩١، ١٢٣/٧ . الرابع : في كتاب الأدب، باب ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين، برقم٦١٢١، ١٣١/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، برقم٣١٣، ٢٥١/١ .

(٢) كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم ٣٣٢٨، ١٢٣/٤ .

(٣) - تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٥٥٩ .

نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص سلفنا الصالح على تربية وتعليم أولادهم .

ثانياً – من صفات الداعية : الجرأة وعدم الحياء في طلب العلم .

ثالثاً – استحباب تقديم التمهيد والاعتذار لما يستحى منه .

رابعاً – منزلة نساء الصحابة – رضي الله عنهنَّ – وفضلهنَّ .

خامساً – أهمية التفصيل في الإجابة إذا كانت تحتمل أكثر من وجه .

سادساً – من أساليب الدعوة : استخدام العقل لتوضيح مبهم أو مشكل .

سابعاً – من الأدب : اختيار الألفاظ الجميلة بدلاً مما يستحى منه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – حرص سلفنا الصالح على تربية وتعليم أولادهم :

إن المتأمل في سند هذا الحديث يجد فيه، أن سلفنا الصالح – رحمهم الله – كانوا يحرصون على تربية وتعليم أولادهم، حيث نجد أن عروة بن الزبير يحدث بهذا الحديث ابنه هشام، وأمُّ المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، تحدث بهذا الحديث ابنتها زينب بنت أبي سلمة [1] . [2]

فلذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى ، الاقتداء بسلفنا الصالح في الاهتمام بأولادهم جميعاً، فهم أحق الناس بالدعوة والتعليم بالنسبة للداعية، لأنهم أولاده الذين يقعون تحت مسؤوليته المباشرة، التي سوف يسأل عنها يوم القيامة .

ثانياً – من صفات الداعية : الجرأة وعدم الحياء في طلب العلم :

إن من أهم مقومات الداعية الناجح : العلم، والعلم لا يتأتى ويجمع إلا بالسؤال

---

(١) – هي : زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد ربيبة النبي ﷺ ، وأخت عمر بن أبي سلمة ، ولدتهما أم المؤمنين بالحبشة ، توفيت قريباً من سنة أربع وسبعين . (انظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٢٠٠/٣، ٢٠١) .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٧٦/١ .

والبحث عنه، ومن كان يستحي من السؤال فإنه قد يحرم كثيراً من العلم بسبب هذا الحياء الذي هو في غير مكانه، ولذا قال الإمام البخاري - رحمه الله - : (قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحيٍ ولا مستكبر، وقالت عائشة: نعم النساءُ نساءُ الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) [(١)] . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (تقدم أن الحياء من الإيمان، وهو الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود . وأما ما يقع سبباً لترك أمر شرعي فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة، وهو المراد بقول مجاهد : لا يتعلم العلم مستحي - إلى أن قال - وكأنه أراد تحريض المتعلمين على ترك العجز والتكبر لما يؤثر كل منهما من النقص في التعليم) [(٢)] .

إذن فالحياء أمر مطلوب ومستحب، ولكن إذا كان في غير مكانه فهو : ضعف ومهانة، وهذا هو مقصود الإمام البخاري -رحمه الله- من عنوان الباب وترتيبه للأقوال والحديث، يقول ابن بطال - رحمه الله - عن ذلك : (أراد البخاري بهذا الباب بيان أن الحياء المانع من طلب العلم مذموم ولذلك بدأ بقول مجاهد وعائشة، وأما إذا كان الحياء على جهة التوقير والإجلال فهو حسن كما غطت أم سلمة وجهها) [(٣)] .

ثالثاً - استحباب تقديم التمهيد والاعتذار لما يستحى منه :

إن قول أم سليم رضي الله عنها : (يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ..)، أمام سؤالها لرسول الله ﷺ، فيه فائدة دعوية، وهي : استحباب تقديم التمهيد والاعتذار لما يستحى منه، يقول الإمام الأبي - رحمه الله - : (قدمت ذلك تمهيداً للعذر في ذكرها ما يستحيا منه، وهو أصل فيما يضعه الكتاب من التمهيدات بين يدي ما يذكر بعد، لأن العذر إذا تقدم أدركت النفس المعتذر سالماً من العيب، ولو تأخر لم يأت إلا وقد

---

(١) كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ٤٧/١ .
(٢) - فتح الباري، ٢٧٦/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٤/٣ .
(٣) - نقلاً عن : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٠/٢ .

تأثرت النفس، فتقدم العذر مانع من العيب، وتأخره رافع) [١].

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ إذا أرادوا الحديث عمّا يُستحيا منه، تقديم الاعتذار بين يديه، كأن يقولوا : لا حياء في العلم، أو أن الله لا يستحي من الحق، وغيرها من الألفاظ التي فيها اعتذار وبيان لضرورة التصريح بالمراد، وتوضيحه.

رابعاً – منزلة نساء الصحابة – رضي الله عنهنّ – وفضلهنّ :

لقد كان نساء الصحابة – رضي الله عنهنّ – حريصات على طلب العلم والتفقه في أمور دينهنَّ، يقول الحافظ ابن عبد البر – رحمه الله – : (وفي هذا الحديث ما كان عليه نساء ذلك الزمان من الاهتبال [٢]، والاهتمام بأمر دينهنَّ، والسؤال عنه، وهذا يلزم كل مؤمن ومؤمنة إذا جهل شيئاً من أمر دينه أن يسأل عنه) [٣] .

نعم ينبغي لكل مؤمن ومؤمنة – وخاصة ممن ينتسب إلى الدعوة إلى الله ﷻ – الحرص على التفقه في دين الله، وذلك بالسؤال عنه.

خامساً – أهمية التفصيل في الإجابة إذا كانت تحتمل أكثر من وجه :

إن الداعية الحكيم عندما يفتي للناس، ينتبه للسؤال وما يحتمله من أجوبة، كما فعل رسول الله ﷺ في هذا الحديث عندما سألته أمُّ سليم رضي الله عنها عن الغسل إذا احتلمت المرأة، فهو لم يقل : (نعم)، أو (لا)، لأن السؤال يحتمل الإجابة بهما جميعاً، فلذا أجاب بذكر شرط يجب أن ينظر إليه قبل الإجابة بـ(نعم)، وهو : « **إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ** »، أي : إذا رأت الماء تغتسل [٤] .

يقول العلامة ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : ينبغي التنبيه على وجوب التفصيل

---

(١) – إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٥٢/٢ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٤/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧٦/١ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٥٢/٢ .

(٢) – الاهتبال : الاغتنام والاقتصاص. (انظر : لسان العرب، لابن منظور، مادة (هبل)، ٤٦٠٨/٨).

(٣) – الاستذكار، ١٢٤/٣ .

(٤) – انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، ١٨٧/٤ .

إذا كان يجد السؤال محتملاً، فكثيراً ما يقع غلط المفتي في هذا الأمر، فالمفتي تَردُ إليه المسائل في قوالب متنوعة جداً، فإن لم يتفطن لحقيقة السؤال، وإلا هلك وأهلك (١) .

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ التنبه لأسئلة المدعوين وما تحتمله من أوجه حتى لا يقع فيما يكون سبباً لهلاكه وهلاك الناس، وضلاله وإضلالهم .

سادساً – من أساليب الدعوة : استخدام العقل لتوضيح مبهم أو مشكل .

إن الأسلوب العقلي له أهمية دعوية، وخاصة في تفسير مشكل، أو توضيح مبهم، فهذا رسول الله ﷺ يقنع أم سليم ﵂ عندما أشكل عليها، أن يكون للمرأة ماءٌ ، بقوله : « **فَبِمَ يُشْبِهُ الْوَلَدُ** »، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : ومعنى ذلك: أن الولد لا يشبه الأم، إلا لأن ماءها يغلب ماء الرجل عند الجماع، ومن كان منه إنزال الماء عند المجامعة، أمكن منه إنزال الماء عند الاحتلام، وذلك من باب القياس، وإلحاق حكم النظير بالنظير (٢) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ الاستعانة بالأساليب العقلية وذلك لما لها من قوة في إقناع المدعوين وإلزامهم، والتأثير فيهم .

سابعاً – من الأدب : اختيار الألفاظ الجميلة بدلاً مما يستحى منه :

إن مما يُستفاد من هذا الحديث، أهمية اختيار الداعية إلى الله ﷻ، للألفاظ الجميلة بدلاً مما يستحى منه، مراعاة للأدب وحسن الخلق في العشرة، فهذا رسول الله ﷺ يستبدل لفظ : خروج المني، بقوله : « **إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ** »، وعن ذلك يقول الإمام النووي – رحمه الله – : (وهذا من حسن العشرة ولطف الخطاب واستعمال اللفظ الجميل موضع اللفظ الذي يستحيا منه في العادة) (٣) .

---

(١) – انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، ١٩٢/٤ .

(٢) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٠/٢ و عمدة القاري، للعيني، ٢١٣/٢ .

(٣) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٣/٣ .

٥٢ – باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال

١١٢ – ١٣٢ – حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ دَاوُدَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ : « **فِيهِ الْوُضُوءُ** » (١) .

وفي رواية: (.. قَالَ عَلِيٌّ : كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ الله ﷺ فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ ..) (٢) .

وفي رواية: عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً، فَأَمَرْتُ رَجُلًا أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَسَأَلَ فَقَالَ : « **تَوَضَّأْ وَاغْسِلْ ذَكَرَكَ** » (٣) .

شرح غريب الحديث :

(مَذَّاءً) – صيغة مبالغة من المذي (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية السؤال في تحصيل العلم .

ثانياً – حسن أدب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .

---

(١) – طرفاه : الأول : في كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر، برقم١٧٨، ١/٥٩ . الثاني : في كتاب الغسل، باب غسل المذي والوضوء منه، برقم ٢٦٩، ١/٨٢.

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب المذي، برقم ٣٠٣، ١/٢٤٧ .

(٢) كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر، برقم١٧٨، ١/٥٩.

(٣) كتاب الغسل، باب غسل المذي والوضوء منه، برقم ٢٦٩، ١/٨٢ .

(٤) – فتح الباري، ١/٤٥٢ .

ثالثاً – أهمية التعاون بين الدعاة إلى ا لله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية السؤال في تحصيل العلم ونشره :

إن للسؤال أهمية كبيرة في الدعوة إلى ا لله ﷻ، فهو من أسباب الحصول على العلم ورفع الجهل، وبه ينتشر العلم بين الناس إذا سمعوا السؤال وإجابته من الدعاة إلى ا لله، فهذا أمير المؤمنين علي ﷺ، لما جهل حكم المذي، أمر من يسأل له رسول ا لله ﷺ، فكانت الإجابة بـ: « **تَوَضَّأْ وَاغْسِلْ ذَكَرَكَ** » .

فلذا ينبغي للدعاة إلى ا لله ﷻ حثُّ الناس على السؤال عما يجهلونه، ويشكل عليهم، عملاً بقوله تعالى : ﴿ **فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [1]، واقتداءً بصحابة رسول ا لله ﷺ .

ثانياً – حسن أدب أمير المؤمنين علي ﷺ :

لقد ظهر في هذا الحديث ما لأمير المؤمنين علي ﷺ من الأدب والخلق العظيم الذي يتحلى به، فهو لما احتاج لسؤال رسول ا لله ﷺ عن كثرة مذائه وحكمه، استحيا من الرسول ﷺ لمحل ابنته منه، فأمر المقداد ﷺ أن يسأل نيابة عنه، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه ا لله – : وفي أمره ذلك مصلحتان وهما، **الأولى** : استعمال الحياء، **والثانية** : عدم التفريط في معرفة الحكم [2] . ومن ذلك نخرج بفوائد دعوية، وهي : (ما كان الصحابة عليه من حرمة النبي ﷺ وتوقيره، ومنه استعمال الأدب في ترك المواجهة بما يستحى منه عرفاً، وحسن معاشرة الأصهار، وترك ذكر ما يتعلق

---

(١) – انظر : سورة النحل، الآية : ٤٣ . وسورة الأنبياء، الآية : ٧ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٤٥٣/١ .

بجماع المرأة ونحوه بحضرة أقاربها) [١] .

ثالثاً - أهمية التعاون بين الدعاة إلى الله ﷻ :

إن في سؤال المقداد ﷺ، النبي ﷺ، نيابة عن علي ﷺ، بياناً لما كان عليه الصحابة ﷺ من التعاون والترابط في طلب العلم والدعوة إلى الله ﷻ، فالإنسان بالله وحده ، ثم بإخوانه قوي عزيز، وبانفراده ضعيف صغير .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الاقتداء بالصحابة ﷺ، وذلك بتعاونه مع غيره من الدعاة إلى الله ﷻ، لما في ذلك من الفوائد الكثيرة التي تعود عليه وعلى الدعوة، بالنصر والتمكين، وتحقيق الأهداف .

---

(١) - فتح الباري ، ٤٥٣/١ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٢/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٢١٦/٢ . وفتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين، ٢٥٦/١، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ط دار المسلم، الرياض .

٥٣ – باب ذكر العلم والفتيا في المسجد

١١٣ – ١٣٣ – حَدَّثَنِي قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا قَامَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ أَيْنَ تَأْمُرُنَا أَنْ نُهِلَّ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يُهِلُّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَيُهِلُّ أَهْلُ الشَّأْمِ مِنَ الْجُحْفَةِ وَيُهِلُّ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ** » وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَيَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **وَيُهِلُّ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ** » وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : لم أَفْقَهْ هَذِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ . (١) .

وفي رواية: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ذُو الْحُلَيْفَةِ وَمُهَلُّ أَهْلِ الشَّأْمِ مَهْيَعَةُ وَهِيَ الْجُحْفَةُ وَأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنٌ** » (٢) .

شرح غريب الحديث :

« **ذِي الْحُلَيْفَةِ** » – مكان معروف بينه وبين مكة مائتا ميل غير ميلين، وبها بئر يقال له : بئر علي، وهو أبعد المواقيت من مكة (٣) .

« **الْجُحْفَةِ** » – هو موضع بين مكة والمدينة من الجانب الشامي، وسمي بذلك : لأن السيل أجحف بها، ولها اسم آخر، هو : مهيعة (٤) .

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الحج، باب فرض مواقيت الحج والعمرة، برقم١٥٢٢، ١٧٣/٢ . الثاني : في كتاب الحج، باب ميقات أهل المدينة، برقم١٥٢٥، ١٧٤/٢ . الثالث والرابع : في كتاب الحج، باب مهل أهل نجد، برقم١٥٢٧٧، ورقم ١٥٢٨، ١٧٤/٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحج، باب مواقيت الحج والعمرة، برقم ١١٨١، ٨٣٨/٢ .

(٢) كتاب الحج، باب مهل أهل نجد، برقم ١٥٢٨، ١٧٤/٢ .

(٣) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٥٠/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢١٨/٢ .

(٤) – انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٥٠/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢١٨/٢ .

« قَرْنٍ » - ويسمى قرن المنازل، وقرن جبل مدور أملس كأنه بيضة ، وهو أقرب المواقيت إلى مكة (١) .

« يَلَمْلَمَ » - جبل من جبال تهامة على مرحلتين من مكة (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - من ميادين الدعوة : المسجد .

ثانياً - الإجابة بأكثر من السؤال عند الحاجة .

ثالثاً - رفق النبي ﷺ بأمته .

رابعاً - أهمية قول الداعية : لا أدري، لما لا يعلمه .

خامساً - من معجزات رسول الله ﷺ : إخباره بالغيب .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من ميادين الدعوة : المسجد :

إن من ميادين الدعوة إلى الله ﷻ، المسجد، ولذا ساق الإمام البخاري -رحمه الله - ترجمته على هذا الحديث بقوله : باب ذكر العلم والفتيا في المسجد، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (أي إلقاء العلم والفتيا في المسجد، وأشار بهذه الترجمة إلى الرد على من توقف فيه لما يقع في المباحثه من رفع الأصوات، فنبه على الجواز) (٣) .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٥١/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢١٨/٢ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٥١/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢١٨/٢ .

(٣) - فتح الباري، ٢٧٨/١ .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ استغلال هذا الميدان المهم في الدعوة إلى الله ﷻ، وإرشاد الناس وتعليمهم .

ثانياً – الإجابة بأكثر من السؤال عند الحاجة :

إن الإجابة عن السؤال لها أهمية كبيرة في تحصيل العلم ورفع الجهل به، ولكن ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، في بعض الأحيان أن يستغل السؤال ومناسبته للزيادة في الإجابة ونشر العلم بين المدعوين، كما فعل رسول الله ﷺ في هذا الحديث، فهو سئل فقط عن المكان الذي يهلون منه، فأجاب ببيان مواقيت الحج جميعاً، يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله – : (يجوز للمفتي أن يجيب السائل بأكثر مما سأله عنه، وهو من كمال نصحه وعلمه وإرشاده، ومن عاب ذلك فلقلة علمه، وضيق عطنه، وضعف نصحه) (١) .

ثالثاً – رفق النبي ﷺ بأمته :

إن في تحديد رسول الله ﷺ مواقيت الحج، يظهر منه رفقه بأمته وعدم المشقة عليهم، يقول القاضي عياض – رحمه الله – : (فيه رفق النبي ﷺ بأمته في توقيت هذه المواقيت، فجعل الأمر لأهل الآفاق بالقرب، ولأهل المدينة أبعد المواقيت، لأنها أقرب الآفاق إلى مكة) (٢) .

لذلك ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ الاقتداء برسول الله ﷺ في رفقه وتيسيره على الناس، والاتصاف بالرفق واللين مع المدعوين لأن ذلك مما يقربهم إليهم، وإلى العمل بما يقولون .

رابعاً – أهمية قول الداعية : لا أدري، لما لا يعلمه :

إن ابن عمر رضي الله عنهما، على مكانته العظيمة وعلمه الواسع، لم يتردد في قوله : أنه

---

(١) – إعلام الموقعين، ١٥٨/٤، ١٥٩ .

(٢) – نقلاً عن : حاشية الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٢٤٠/٢ .

لم يفقه عن رسول الله ﷺ قوله : « وَيُهِلُّ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ »، وذلك لما يعرفه من خطورة القول على الله بغير علم .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله أن لا يتحرج من قوله لما لا يعلمه : لا أدري، إذ يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلمه، وأن ذلك لا ينقص من جلالته، بل يدل على ورعه وتقواه ووفور علمه وعدم تبجحه بما ليس عنده [١] .

وقال ابن مسعود ﷺ : إن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم . قال الله تبارك وتعالى : ﴿قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ [٢] . [٣]

خامساً - من معجزات رسول الله ﷺ : إخباره بالغيب :

إن في قول رسول الله ﷺ : « وَيُهِلُّ أَهْلُ الشَّأْمِ مِنَ الْجُحْفَةِ »، معجزة من معجزاته الثابتة له، وهي إخباره بالغيب الذي وقع من بعده، وهو فتح الشام وكونها دار إسلام يحج المسلمون منها، يقول الإمام الزرقاني - رحمه الله - : (وفيه معجزة من معجزاته ﷺ وهو ما تضمنه توقيت الجحفة لأهل الشام من الإشارة إلى فتحها، وأنها تصير دار إسلام يحج المسلمون منها، ولم تكن ذلك الوقت فتحت، ولا شيء منها) [٤] .

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥٨/١ . الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني، ٢٠٠/١ . وجامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص٥٥ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/ ١٤٨ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٩٠/١ . و إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ١٤١/١ . ومرقاة المفاتيح، للملا علي القاري، ١٢٨/١ .

(٢) - سورة ص، الآية : ٨٦ .

(٣) - جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، ٥١/٢ .

(٤) - حاشية الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٢٤٠/٢ .

٥٤ – باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله

١١٤ – ١٣٤ – حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ ؟ فَقَالَ : « **لا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَلا الْعِمَامَةَ وَلا السَّرَاوِيلَ وَلا الْبُرْنُسَ وَلا ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرْسُ أَوِ الزَّعْفَرَانُ فَإِنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ** » [١] .

شرح غريب الحديث :

« **الْبُرْنُسَ** » – هو ثوب رأسه منه، ملتصق به، وقيل : قلنسوة طويلة، مصنوعة من البرس، وهو القطن [٢] .

« **الْوَرْس** » – نبت يُصبغ به كالعُصفر [٣] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) – أطرافه : الأول : في كتاب الصلاة، باب الصلاة في القميص والسراويل، برقم٣٦٦، ١/١١١ . الثاني : في كتاب الحج، باب ما يلبس المحرم من الثياب، برقم١٥٤٢، ٢/١٧٨ . الثالث : في كتاب جزاء الصيد، باب ما ينهى من الطيب للمحرم، برقم١٨٣٨، ٢/٢٦١ . الرابع : في كتاب جزاء الصيد، باب لبس الخفين للمحرم إذا لم يجد النعلين، برقم١٨٤٢، ٢/٢٦٢ . الخامس : في كتاب اللباس، باب لبس القميص، برقم ٥٧٩٤، ٧/٤٦ . السادس : في كتاب اللباس، باب البرنس، برقم٥٨٠٣، ٧/٤٩ . السابع : في كتاب اللباس، باب السراويل، برقم٥٨٠٥، ٧/٤٩ . الثامن : في كتاب اللباس، باب العمائم، برقم٥٨٠٦، ٧/٤٩ . التاسع : في كتاب اللباس، باب الثوب المزعفر، برقم٥٨٤٧، ٧/٦١ . العاشر : في كتاب اللباس، باب النعال السبتية، برقم٥٨٥٢، ٧/٦٣ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة ، برقم١١٧٧، ٢/٨٣٤ .

(٢) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ٢/٢٢١ .

(٣) – تفسير غريب ما في الصحيحن، للحميدي، ص١٧٧ .

أولاً – أهمية أسلوب : السؤال والجواب في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – الحكمة من لباس الحاج : تقوية الصلة بالله ﷻ ، والمساواة بين الحجاج.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب : السؤال والجواب في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن السؤال والجواب له أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله ﷻ، فبهما ينتشر العلم، ويرتفع الجهل، وبهما يستطيع الناس حل مشكلاتهم، وبه يعرفون ما لهم وما عليهم، وفي هذا الحديث نرى رسول الله ﷺ يُسأل من أحد الصحابة ﷺ عمّا يلبس المحرم ؟ فيجيب عليه بما هو أنفع له، وبما هو حصر وأشمل للجواب، يقول الإمام النووي – رحمه الله –: (وهذا من بديع الكلام وجزله، فإنه ﷺ سئل عما يلبسه المحرم، فقال: لا يلبس كذا وكذا، فحصل في الجواب : أنه لا يلبس المذكورات، ويلبس ما سوى ذلك، وكان التصريح بما لا يلبس أولى، أنه منحصر، وأما الملبوس الجائز للمحرم، فغير منحصر، فضبط الجميع بقوله ﷺ لا يلبس كذا وكذا، يعني ويلبس ما سواه) (١) .

إذن فالداعية إلى الله ﷻ إذا سئل عن واقعة، واحتمل عنده أن يتعدى الجواب إلى غير محل السؤال، فعليه أن يفصل في الجواب (٢)، ولعل هذا ما قصده الإمام البخاري – رحمه الله – من ترجمته على هذا الحديث بقوله : باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله . يقول ابن المنير –رحمه الله – : (موقع هذه الترجمة التنبيه على أن مطابقة الجواب للسؤال غير لازم، بل إذا كان السبب خاصاً، والجواب عاماً جاز، وحمل الحكم على عموم اللفظ، لا على خصوص السبب، لأنه جواب

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٣/٨ . وانظر : إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ١٥٨/٤. وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٥١/٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٦/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٧٩/١ .وعمدة القاري، للعيني، ٢٢٣/٢ . وحاشية الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٢٢٨/٢ .

(٢) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٧٩/١ .

وزيادة فائدة)[١] . ويقول العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : (يجوز للمفتي أن يعدل عن جواب المستفتي عما سأله عنه إلى ما هو أنفع له منه ، ولا سيما إذا تضمن ذلك بيان ما سأل عنه، وذلك من كمال علم المفتي وفقهه ونصحه) [٢] .

كما يدل هذا الحديث على جواز السؤال والبحث في فروع العلم وجزئياته ، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (وفيه دليل على البحث في جزئيات الدين، يؤخذ ذلك من سؤال السائل رسول الله ﷺ ، عن هذه الجزئيات ، فجوابه ﷺ عليها، وجوابه على ذلك يقتضي جوازه) [٣] .

ثانياً - الحكمة من لباس الحاج : تقوية الصلة بالله ﷻ ، والمساواة بين الحجاج:

إن في هذا الحديث ذكراً لما لا يلبسه الحاج، وما يلبسه ضمناً، وعن الحكمة في ذلك يقول الإمام النووي - رحمه الله - : قال العلماء : والحكمة في تحريم اللباس المذكور على المحرم، ولباسه الإزار والرداء، أن يبعد عن الترفه، ويتصف بصفة الخاشع الذليل، وليتذكر أنه محرم في كل وقت، فيكون أقرب إلى كثرة أذكاره، وأبلغ في مراقبته وصيانته لعبادته، وامتناعه من ارتكاب المحظورات، وليتذكر به الموت، ولباس الأكفان، ويتذكر البعث يوم القيامة والناس حفاة عراة مهطعين إلى الداعي، والحكمة في تحريم الطيب والنساء : أن يبعد عن الترفه وزينة الدنيا وملاذها، ويجتمع همه لمقاصد الآخرة) [٤] .

---

(١) - نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ٢٧٩/١ .

(٢) - إعلام الموقعين، ١٥٨/٤ .

(٣) - بهجة النفوس ، ١٦٤/٢ .

(٤) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٤/٨ . وانظر : بهجة النفوس ، ١٦٤/٢ .وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٥١/٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٦٧/٢. وحاشية الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٢٢٨/٢ . ومرقاة المفاتيح، للقاري، ٥٦٦/٥ .

الفصل الرابع

كتاب الوضوء

٢ - باب لا تقبل صلاة بغير طهور

١١٥ - ١٣٥ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الحَنْظَلِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ** ». قَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ: مَا الحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ : فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ (١) .

شرح غريب الحديث :

« **أَحْدَثَ** » – كناية عمّا يخرج من السبيلين معتاداً في جنسه وأوقاته (٢) .

(حَضْرَمَوْتَ) – اسم بلد في اليمن، واسم قبيلة أيضاً (٣) .

(فُسَاءٌ) و(ضُرَاطٌ) – اسمان مشتركان في كونهما ريحاً خارجاً من الدبر، الأول يمتاز أنه بدون صوت، والثاني بصوت (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص الداعية على استغلال الأوقات في الدعوة وإفادة الحاضرين .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : تعليم الوضوء والصلاة .

ثالثاً – من أصناف المدعوين : (طلبة العلم ، العوام) .

---

(١) – طرفه : في كتاب الحيل، باب في الصلاة، برقم٦٩٥٤، ٧٦/٨ .

وأخرجه الإمام مسلم، في كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، برقم ٢٢٥، ٢٠٤/١ .

(٢) – المفهم لما أشكل من تلخيص في كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، ٤٧٩/١، بتحقيق محيي الدين مستو ومجموعة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ط دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق .

(٣) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ٢٤٤/٢ .

(٤) – انظر : المرجع السابق، ٢٤٤/٢ .

رابعاً – التصريح ببعض الألفاظ التي يُستحى منها عند الحاجة .

خامساً – أهمية أسلوب السؤال والجواب بين الداعية والمدعوين .

سادساً – من علامات الإيمان : المحافظة على الوضوء .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – حرص الداعية على استغلال الأوقات في الدعوة وإفادة الحاضرين :

إن في هذا الحديث بياناً لما كان عليه سلفنا الصالح من الحرص على الدعوة إلى الله ﷻ وإفادة الحاضرين، فهذا الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ يحدث الناس ويعلمهم أمور دينهم،ومما يدل على ذلك أن همام بن منبه -رحمه الله - سمع منه الحديث، وذكر أن هناك من كان يستمع له وذلك من قوله : (قَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ: مَا الحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ الحرص الشديد على استغلال الأوقات والمناسبات في الدعوة إلى الله وإفادة الحاضرين .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : تعليم الوضوء والصلاة :

إن موضوعات الدعوة متنوعة وكثيرة جداً، وفي هذا الحديث نجد أن أبا هريرة ﷺ، يعلم من كان في مجلسه ودرسه، بعض أحكام الصلاة، وهو عدم صحة الصلاة بغير وضوء، وذلك عملاً بقول رَسُولِ الله ﷺ : « **لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ** » .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، تعليم الناس أحكام الدين وجزئياته، خاصة أحكام الصلاة وما يتعلق بها، لأنها من أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين . وتتأكد هذه الأهمية، إذا كان المدعوون ممن يجهل مثل هذه الأحكام وما يترتب عليها .

ثالثاً – من أصناف المدعوين : طلبة العلم، العوام :

أشار هذا الحديث إلى أصنافٍ من المدعوين، وهم الذين كانوا مخاطبين بدعوة الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ، ويجلسون في مجلسه ودرسه، فمنهم طالب العلم

الحافظ كهمام بن منبه (١) - رحمه الله -، ومنهم العوام كالرجل الحضرمي الذي لم يعرف معنى كلمة (أحدث)، فسأل عنها .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ أن يتوجهوا بدعوتهم إلى جميع أصناف المدعوين، ولا يخصوا بها أحداً دون أحد، من غير حاجة أو سبب .

رابعاً - التصريح ببعض الألفاظ التي يُستحى منها عند الحاجة :

لقد كان أبو هريرة ﷺ، من خلقه - الذي يقتدي فيه برسول الله ﷺ - عدم التصريح ببعض الألفاظ التي يستحى منها لغير حاجة، والكناية عنها، فلذا قال : قال رسول الله ﷺ: « **لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ** »، فلما سئل عن معنى الحدث، رأى أن هناك حاجة للتصريح بمعناه فقال : (فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يكني عن الألفاظ التي يستحى منها، ولكن إذا دعت الحاجة إلى التصريح، فلا حرج عليه إذن، بل هو من الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ .

خامساً - أهمية أسلوب السؤال والجواب بين الداعية والمدعوين :

إن أسلوب السؤال والجواب بين الداعية والمدعوين، له أهمية كبيرة في معرفة ما يجهله الناس وما يشكل عليهم، بحيث يتصدى له الداعية بالشرح والتوضيح، وفي هذا الحديث نجد أن أبا هريرة ﷺ يستقبل السؤال من الحاضرين لدرسه، ويجيب عنه ، وفي هذا تأكيد للدعاة إلى الله بأن لا يأنفوا من أسئلة المدعوين واستفساراتهم . بل يجيبوا عليها بما يشفي صدور المدعوين ويزيل إشكالاتهم .

وكذلك من هذا الحديث نقول: إنه ينبغي للمدعو أن لا يستحي من السؤال عمّا

---

(١) - هو : همام بن منبه بن كامل بن سيج، اليماني أبو عقبة الصنعاني الأبناوي، قال عنه الذهبي : المحدث المتقن . وقال عنه ابن حجر : ثقة، مات سنة اثنتين وثلاثين . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥/٣١١ - ٣١٣ . وتهذيب التهذيب، لابن حجر، ١١/٥٩، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ط دار الفكر، بيروت) .

يجهله، فالعلم كما قال الإمام مجاهد -رحمه الله-: لا يناله مستحي ولا مستكبر [١] .

سادساً - من علامات الإيمان : المحافظة على الوضوء :

إن من علامات صدق إيمان المصلي ؛ أن يؤدي الصلاة وهو على وضوء، حتى تقبل صلاته ، كما قال ﷺ في هذا الحديث : « **لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ** ». ولذا ساق الإمام البخاري - رحمه الله - هذا الحديث في كتاب الحيل، تحت باب بعنوان : (في الصلاة) [٢] . إذ يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن هذه الترجمة في كتاب الحيل : (نقل ابن التين عن الداودي ما حاصله : أن مناسبة الحديث للترجمة أنه أراد أن من أحدث وصلى و لم يتوضأ، وهو يعلم أنه يخادع الناس بصلاته فهو مبطل، كما خدع مهاجر أم قيس بهجرته، وخادع الله، وهو يعلم أنه مطلع على ضميره) [٣] .

أي أن المسلم وهو يصلي لا يعلم بطهارته أحد إلا الله ﷻ ، فعندما يحافظ على على الصلاة وهو على طهارة فهذا مما يدل على إيمانه ، لأن الصلاة لا تقبل بغير وضوء.

(١) - انظر : صحيح البخاري، ٤٧/١ .

(٢) - المصدر السابق ، ٧٦/٨ .

(٣) - فتح الباري، ٣٤٥/١٢ .

٣ - باب فضل الوضوء، والغرُّ المحجلون من آثار الوضوء

١١٦ - ١٣٦ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ خَالِدٍ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي هِلالٍ عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ قَالَ: رَقِيتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ فَتَوَضَّأَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ** » (١) .

شرح غريب الحديث :

« **غُرًّا** » – الغرة، بياض في الجبهة، وربما امتد (٢) .

« **مُحَجَّلِينَ** » – التحجيل هو بياض الرجلين، وربما امتد (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية ملازمة طالب العلم للعلماء .

ثانياً – من الحكمة في الدعوة إلى الله : استغلال المواقف بما يناسبها .

ثالثاً – أسلوب الترغيب في الوضوء وإتمامه .

رابعاً – أهمية التشبيه في الدعوة إلى الله .

خامساً – بيان فضيلة أمة محمد ﷺ، يوم القيامة على سائر الأمم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية ملازمة طالب العلم للعلماء :

إن في ملازمة طالب العلم للعلماء، أهمية كبيرة، وفائدة عظيمة، فبالملازمة يطلع على أشياء كثيرة لدى العالم قد تخفى عليه عند الملازمة القصيرة المحدودة بالدرس فقط،

---

(١) – وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل، برقم٢٤٦، ١/٢١٦.

(٢) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحن، للحميدي، ص٣٢٧ .

(٣) – انظر : المرجع السابق، ص٣٢٧ .

وفي هذا الحديث نجد أن نُعَيْماً المُجْمِرِ [(١)] - رحمه الله - بملازمته لأبي هريرة ﷺ، نقل إلينا هذا الحديث الذي قاله له وهو يتوضأ على ظهر المسجد ، يقول الإمام مالك -رحمه الله -: سمعت نعيماً يقول : جالست أبا هريرة عشرين سنة [(٢)] .

إذن فبملازمة طالب العلم للعالم، يتعلم منه كثيراً من العلوم والأحكام التي قد لا يجدها في حلقاته ودروسه - كالتي ترتبط بحياته وأخلاقه - وكذلك بالملازمة يتربى على يدي العالم، ويتأثر ويقتدي به في الأخلاق الحسنة الفاضلة .

ثانياً - من الحكمة في الدعوة إلى الله : استغلال المواقف بما يناسبها :

يقول أبو هريرة ﷺ، لنُعَيْمِ المُجْمِرِ هذا الحديثَ عن رسول الله ﷺ : « **إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ** »، ويظهر من هذا حكمته في الدعوة إلى الله ﷻ، وتبليغ هذا العلم، فهو ﷺ استغل الموقف الذي هو فيه - وهو حالة كونه يتوضأ - بذكر هذا الحديث الذي يبين فضل الوضوء والترغيب فيه .

إذن فالداعية الحكيم هو الذي يستغل ويوظف كل موقف في الدعوة إلى الله، ويختار له المناسب من الموضوعات التي هي أقرب للحال، وألصق به .

ثالثاً - أسلوب الترغيب في الوضوء وإتمامه :

إن قول رسول الله ﷺ : « **إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ** »، فيه ترغيب في الوضوء وإتمامه، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : في هذا الحديث استحباب المحافظة على الوضوء

---

(١) - هو : نعيم بن عبدالله المجمر ، أبو عبد الله المدني ، مولى آل عمر بن الخطاب ﷺ ، كان يجمر المسجد ، قال عنه الإمام الذهبي : جالس أبا هريرة مدة، وسمع أيضاً من ابن عمر، وجابر، وجماعة، وكان من بقايا العلماء . (انظر : سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، ٥/٢٢٧ . وتهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ١٠/٤١٤،٤١٥) .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٧١ . وتهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ١٠/٤١٤،٤١٥ .

وسننه المشروعة فيه، وإسباغه . وفيه ما أعد الله من الفضل والكرامة لأهل الوضوء يوم القيامة (١) .

إذن فمثل الحديث مما يُرغّبُ به الداعية إلى الله ﷻ، إذا تحدث عن الوضوء وسننه والمحافظة عليه .

رابعاً - أهمية التشبيه في الدعوة إلى الله :

إن قوله ﷺ : « **إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ** »، فيه تشبيه للمسلم المتوضئ بالفرس التي لها غرة، ومحجلة، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : (فيه تشبيه بليغ، حيث شبه النور الذي يكون على موضع الوضوء يوم القيامة بغرة الفرس وتحجيله) (٢) .

وفائدة مثل هذا التشبيه : تقريب المعاني وتبسيطها في ذهن السامع، لمعرفة تمييز هذه الأمة يوم القيامة عن سائر الأمم، كتمييز الخيل الغرِّ المحجلة عن سائر الخيل، كما له فائدة أخرى : وهو الترغيب في الوضوء الذي به يتميز المسلم المتوضئ يوم القيامة عن سائر الناس .

خامساً - بيان فضيلة أمة محمد ﷺ، يوم القيامة على سائر الأمم :

إن في هذا الحديث بياناً لفضيلة أمة محمد ﷺ على سائر الأمم يوم القيامة، وهو اختصاصها بالغرَّة والتحجيل من آثار الوضوء، يقول كثير من العلماء -رحمهم الله-: إن مما اختصت به هذه الأمة عن سائر الأمم، هو : الغرَّة والتحجيل، لا الوضوء، وذلك لورود بعض الأحاديث التي تدل على أن الوضوء من السنن المعروفة عند الأمم السابقة، كقصة سارة رضي الله عنها زوج إبراهيم ﷺ، مع الملك الذي أعطاها هاجر، وذلك

---

(١) - انظر : عمدة القاري، ٢/٢٥٠ .

(٢) - المرجع السابق ، ٢/٢٤٩ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/١٣٥ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢/٤٤ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢/٤٤ .

لما همَّ الملك بالدنو منها، قامت تتوضأ وتصلي [1] . وكقصة جريج الراهب، والتي فيها أنه قام وتوضأ وصلى ثم كلم الغلام [2] . [3]

---

(١) - صحيح البخاري، في كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، برقم٢٢١٧، ٥١/٣.

(٢) - صحيح مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، برقم٢٥٥٠، ١٩٧٦/٤ .

(٣) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣٥/٣ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٧٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢٤٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٥٠/٢ .

٤ - باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن

١١٧ - ١٣٧ - حَدَّثَنَا عَلِيٌّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - ح - وَعَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَمِّهِ (١) أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الرَّجُلُ الَّذِي يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلاةِ فَقَالَ : « **لا يَنْفَتِلْ - أَوْ لا يَنْصَرِفْ - حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - حرص السلف على تعليم الأقارب .

ثانياً - أهمية رجوع المدعوين إلى أهل العلم فيما يُشكل عليهم .

ثالثاً - أسلوب الإشارة والتكنية عن الأشياء المستقذرة، إلا إذا دعت الحاجة .

رابعاً - من القواعد الدعوية : أن اليقين لا يزول بالشك .

خامساً - أهمية الحذر من وساوس الشيطان ومداخله .

سادساً - من خصائص الدين الإسلامي : التيسير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) - هو : عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن، الأنصاري المازني، أبو محمد، اختلف في شهوده بدراً، شهد أحداً وغيرها من الغزوات، قيل : هو الذي قتل مسيلمة الكذاب، مع وحشي، روى عنه ابن أخيه عباد بن تميم، ويحيى بن عمارة، وواسع بن حبان، وسعيد بن المسيب، وآخرون، قتل يوم الحرّة سنة ثلاث وستين . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم١٥٤٠، ٩/٢١٠ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٤٦٧٩، ٦/٩٢) .

(٢) - طرفاه : **الأول:** في كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين، برقم١٧٧، ١/٥٩ . **الثاني:** في كتاب البيوع، باب من لم ير الوساوس ونحوها من المشبهات، برقم٢٠٥٦، ٣/٧ .

وأخرجه الإمام مسلم، في كتاب الحيض، باب الدليل على من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته، برقم٣٦١، ١/٢٧٦ .

أولاً - حرص السلف على تعليم الأقارب :

إن مسؤولية الداعية تجاه أقاربه في الدعوة والتعليم، آكد من مسؤوليته تجاه الأباعد، وهذا هو ما جاء به الشرع وقرره في أكثر من موضع، كقوله ﷻ: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١)، وقوله ﷺ : « **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** - قَالَ : وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - : **وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** » (٢) .

وفي هذا الحديث نرى أحد سلفنا الصالح يقوم بواجبه تجاه أقاربه، وهو الصحابي الجليل عبدا لله بن زيد رضي الله عنه، تجاه ابن أخيه : عبَّاد بن تميم (٣) ، حيث علمه هذا الحديث وغيره من الأحاديث (٤) .

ثانياً - أهمية رجوع المدعوين إلى أهل العلم فيما يُشكل عليهم :

إن رجوع المدعوين إلى أهل العلم، فيما يشكل عليهم، من الأمور التي ينبغي للدعاة إلى ا لله ﷻ ترسيخها في نفوس المدعوين، فهؤلاء صحابة رسول ا لله ﷺ، يعودون إليه في كل ما يشكل عليهم، حتى أنهم - كما في هذا الحديث - يسألونه عن الوساوس وما يجدونه في صلاتهم، وعن هذا يقول العلامة العيني - رحمه ا لله -:

---

(١) - سورة الشعراء، الآية : ٢١٤ .

(٢) - صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم٨٩٣، ١/٢٤٢ .

(٣) - هو : عباد بن تميم بن غزية الأنصاري المازني المدني ، روى عن عمه عبد الله بن زيد ، وجدته أم عمارة ، وأبي قتادة . (انظر : تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ٥/٧٩) .

(٤) - انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ٩/٢١٠ . والإصابة، لابن حجر، ٦/٩٢

(فيه أنهم -أي الصحابة ﷺ- كانوا يشكون إلى النبي ﷺ جميع ما ينزل بهم) (١).

فلذا ينبغي للمسلم - وخاصة طالب العلم - أن لا يستحي من طلب العلم، وسؤال العلماء عن كل ما يشكل عليه، حتى ولو كان من الأمور الخاصة جداً .

وأيضاً ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، استقبال هذه الأسئلة والإشكالات بصدر رحب، ويجيبوا عنها بالأدلة وما يشفي صدر السائل، ويوضح له الحق .

ثالثاً - أسلوب الإشارة والتكنية عن الأشياء المستقذرة، إلا إذا دعت الحاجة :

إن شكوى الصحابي الجليل عبدالله بن زيد ﷺ، لرَسُولِ الله ﷺ الرَّجُلَ الَّذِي يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلَاةِ، فيها خلق وأدب رفيع، وهو : الإشارة والتكنية عن الأمور المستقذرة، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك : (وفيه العدول عن ذكر الشيء المستقذر بخاص اسمه إلا للضرورة) (٢) .

ولذا لمّا احتاج رسول الله ﷺ لذلك صرح به، فقال : « **لا يَنْفَتِلْ - أَوْ لا يَنْصَرِفْ - حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا** »، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله- : (فيه - أي الحديث - دليل على أن ذكر المستقذرات عند الضرورة، لا شيء فيها، يؤخذ ذلك من قوله : « **يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا** »، لأنه عند ضرورة تبيين الحكم، ذكر مشافهة ما كنى عنه أولاً) (٣) .

رابعاً - من القواعد الدعوية : أن اليقين لا يزول بالشك :

جاءت في هذا الحديث قاعدة من القواعد الدعوية المهمة، التي ينبغي أن لا تغيب عن أذهان الدعاة إلى الله ﷻ، وهي : أن اليقين لا يزول بالشك، أي أنه لا يزول إلا بيقين مثله، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (وهذا الحديث أصل من أصول

---

(١) - عمدة القاري، ٢/٢٥٤ .

(٢) - فتح الباري، ١/٢٨٦ . وانظر : بهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١/١٥٢ .

(٣) - المرجع السابق، ١/١٥٢ .

الإسلام، وقاعدة عظيمة من قواعد الفقه، وهي أن الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك، ولا يضر الشك الطارئ عليها) (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ استصحاب هذه القاعدة معهم، في الدعوة إلى الله، وأن تكون **أولاً** : فتاواهم مبنية على هذه القاعدة، **وثانياً** : يقدمون أعمالهم المبنية على اليقين، على غيرها مما يغلب عليه الشك . كالأصل في المدعوين من المسلمين : السلامة والاستقامة، وأن لا يشك في أحد منهم، إلا بقرينة أودليل يقيني يقوم مقام اليقين . يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : إن مثل هذا الحديث (أصل في تحسين الظن بالمسلم، وأن أموره محمولة على الكمال) (٢) .

خامساً – أهمية الحذر من وساوس الشيطان ومداخله :

إن الشيطان له مداخل كثيرة، ومنها ما ورد في هذا الحديث من محاولة إفساد الصلاة، بالوسوسة للمصلي بخروج شيء منه (٣)، ولذا حسم رسول الله ﷺ هذا الأمر وقطعه أمام الشيطان، فقال لمن سأله عن ذلك: « **لا يَنْفَتِلْ –أَوْ لا يَنْصَرِفْ – حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا** »، ولذا ساق الإمام البخاري –رحمه الله– هذا الحديث تحت باب : (من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات) (٤). يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: (وهذه الترجمة معقودة لبيان ما يكره من التنطع في الورع، قال الغزالي : الورع أقسام، وورع الصديقين، وهو: ترك ما يتناول بغير نية القوة على

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/٤٩. وانظر: إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢/٢٠٥ . وإحكام الأحكام، لابن دقيق، ١/١١٧ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٧٥ .وفتح الباري، لابن حجر،١/٢٨٧ . وعمدة القاري، للعيني، ٢/٢٥٣. وسبل السلام شرح بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، ١/١٣٧، الطبعة الثالثة١٤٠٧هـ، ط دار الكتاب العربي، بيروت .

(٢) – فتح الباري، ٤/٣٤٥ .

(٣) – انظر : سبل السلام، للصنعاني، ١/١٥٠ .

(٤) – كتاب البيوع، ٣/٧ .

العبادة، وورع المتقين، وهو : ترك ما لا شبهة فيه، ولكن يخشى أن يجر للحرام،وورع الصالحين، وهو: ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم، بشرط أن يكون لذلك الاحتمال موقع، فإن لم يكن فهو ورع الموسوسين)[1].

سادساً - من خصائص الدين الإسلامي : التيسير :

إن قول رسول الله ﷺ : لمن شكا له أنه يجد الشيء في صلاته : « **لا يَنْفَتِلْ - أَوْ لا يَنْصَرِفْ - حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا** »، فيه دليل على أن هذا الدين قائم على التيسير ورفع الحرج عن المدعوين، فهو لم يكلفه بإعادة الوضوء والصلاة، مع عظم شأنها في الإسلام، بل أمره أن يبني الحكم على اليقين وهو الطهارة، إلا إذا زال هذا الشك بيقين، كأن يجد في صلاته صوتاً أو ريحاً .

---

(١) - فتح الباري، ٣٤٥/٤ .

٥ - باب إسباغ الوضوء

١١٨ - ١٣٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (١) أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: دَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالشِّعْبِ نَزَلَ فَبَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُسْبِغِ الوُضُوءَ، فَقُلْتُ: الصَّلاَةَ يَا رَسُولَ اللهِ . فَقَالَ: « **الصَّلاَةُ أَمَامَكَ** » فَرَكِبَ فَلَمَّا جَاءَ المُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى المَغْرِبَ، ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ العِشَاءُ فَصَلَّى وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا (٢) .

وفي رواية : أنه قال : رَدِفت رسول الله ﷺ من عرفاتٍ، فلما بلغ رسول الله الشِّعب الأيسر الذي دون المزدلفةِ، أناخَ فبالَ، ثمَّ جاء فصببت عليه الوَضوءَ، توضأ وضوءً خفيفاً، فقلت : الصلاة يا رسول الله . قال : « **الصَّلاةُ أَمَامَكَ** » فَرَكِبَ

---

(١) - هو : أسامة بن زيد بن حارثة بن شرحبيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد، الكلبي .الحبّ ابن الحبّ، يكنى أبا محمد، ويقال أبو زيد، وأمه أمّ أيمن، حاضنة النبي ﷺ، ولد في الإسلام، ومات النبي ﷺ وله عشرون سنة، وكان أمره على جيش عظيم، فمات النبي ﷺ قبل أن يتوجه، فأنفذه أبو بكر ﷺ، وكان عمر ﷺ يُجله ويكرمه، وفضله في العطاء على ولده عبدالله بن عمر ﷺ أجمعين، واعتزل أسامة ﷺ الفتن بعد مقتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية ﷺ، وكان قد سكن المِزّة من عمل دمشق، ثم رجع وسكن وادي القرى، ثم نزل المدينة، فمات بها سنة أربع وخمسين، وقد روى عن أسامة من الصحابة ﷺ، أبو هريرة، وابن عباس، ومن كبار التابعين : أبو عثمان النهدي، وأبو وائل، وآخرون . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٢١، ١/١٤٣ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٨٩، ١/٤٥) .

(٢) - أطرافه : **الأول**: في كتاب الوضوء، باب الرجل يوضئ صاحبه، برقم ١٨١، ١/٦٠ . **الثاني والثالث**: في كتاب الحج، باب النزول بين عرفة وجمع، برقم ١٦٦٧، وبرقم١٦٦٩، ٢/٢١٤ . **الرابع** : في كتاب الحج، باب الجمع بين الصلاتين بالمزدلفة، برقم ١٦٧٢، ٢/٢١٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحج، باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة، برقم١٢٣٠، ٢/٩٣١ .

رسول الله ﷺ حتى أتى المُزدلِفةَ فصلى، ثم رَدِفَ الفضلُ رسولَ الله ﷺ غداة جَمع [١] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – من صفات الداعية : الحرص على الطهارة والنظافة .

ثالثاً –أهمية تذكير الأصغر للأكبر .

رابعاً – من أساليب الدعوة : تأخير جزء من الجواب، للتشويق .

خامساً – أهمية المبادرة إلى الطاعة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن من وسائل الدعوة إلى الله ﷻ، التي لها أهمية كبيرة : القدوة الصالحة، وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله ﷺ كان محل نظر الصحابة ﷺ، ومنهم راوي هذا الحديث أسامة بن زيد ﷺ، حيث ذكر وصفاً لإفاضة رسول الله ﷺ من عرفة، يدل على أنه كان محل القدوة لهم، فلما بال ﷺ، توضأ، ولكن لاحظ عليه أنه لم يسبغ الوضوء، وكذلك لاحظ أنه أخرَّ الصلاة عن وقتها الذي اعتاد الصلاة فيه ، ثم أيضاً لاحظ أنه لمَّا وصل المزدلفة أسبغ الوضوء، وبادر إلى الصلاة ثم أناخ كل إنسان رحله، ثم ذكر أنه صلى العشاء ولاحظ أنه لم يصلِ بينهما شيئاً .

إذن فكل هذا الوصف والملاحظات الدقيقة، تدل على أن الداعية إلى الله ﷻ محل نظر المدعوين ومراقبتهم، ممّا يبين أهمية كون الداعية قدوة صالحة لهم .

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على الطهارة والنظافة :

إن محافظة رسول الله ﷺ على الوضوء بعد قضاء الحاجة، حتى ولو لم يصل ،

---

(١) – كتاب الحج، باب النزول بين عرفة وجمع، برقم١٦٦٩، ٢/ ٢١٤ .

مما يدل على حرصه بأن يكون دائماً على نظافة وطهارة، فهو يناجي ربه ويذكره دائماً، يقول الإمام الزرقاني – رحمه الله – : (إنما توضأ أولاً ليستديم الطهارة، ولا سيما في تلك الحالة لكثرة ذكر الله حينئذ، وخفف الوضوء لقلة الماء، وقال الخطابي : إنما ترك إسباغه حين نزل الشعب، ليكون مستصحباً للطهارة في طريقه، وتجوز فيه لأنه لم يرد أن يصلي به، فلما نزل وأرادها أسبغه) (١) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ،أن يكون حريصاً على الطهارة والنظافة، وذلك اقتداءً برسول الله ﷺ في محافظته على هذه الصفة التي يحبها الله ﷻ ويرضاها لعباده الصالحين، إذ يقول ﷻ : ﴿ والله يحب المطهرين ﴾ (٢) . يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – : (أثنى الله ﷻ في هذه الآية على من أحب الطهارة، وآثر النظافة، وهي مروءة آدمية، ووظيفة شرعية) (٣) . ويقول رسول الله ﷺ :« **لا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ** » (٤) .

ثالثاً - أهمية تذكير الأصغر للأكبر :

إن مما ينبغي للمدعو أن يفعله مع الداعية، وطالب العلم مع شيخه، والصغير مع الكبير، هو : تنبيهه على ما تركه متبوعه ليفعله إذا كان ناسياً، أو يعتذر عنه، أو يبين له وجه صوابه (٥) . وهذا مستفاد من قول أسامة ﷺ لرسول الله ﷺ: (الصَّلاةَ يَا رَسُولَ الله) . يقول الإمام النووي – رحمه الله – عن ذلك : (فيه استحباب تذكير

---

(١) – شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٣٦٠/٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٦٠٩/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٦٠/٢ .

(٢) – سورة التوبة، الآية : ١٠٨ .

(٣) – الجامع لأحكام القرآن، ٢٦١/٨ .

(٤) – سنن ابن ماجه ، كتاب الطهارة ، باب المحافظة على الوضوء ، برقم٢٧٧ ، ١٠٢/١ . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن ابن ماجة ، ٥١/١) .

(٥) – انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٣٦٠/٢ .

التابع المتبوع بما تركه خلاف العادة ليفعله، أو يعتذر عنه، أو يبين له وجه صوابه، وأن مخالفته للعادة سببها كذا وكذا) (١) .

رابعاً - من أساليب الدعوة : تأخير جزء من الجواب، للتشويق :

لقد قال رسول الله ﷺ، لأسامة بن زيد رضي الله عنهما، لما سأله عن الصلاة : « **الصَّلاةُ أَمَامَكَ** » وأخَّر جُزءاً من الجواب، وهو : في المزدلفة . وهذا من باب التشويق له، لأنه سيبقى متلهفاً ومتشوقاً لمعرفة وقت هذه الصلاة المبهم، والتي دخل وقتها المعتاد وأوشك على الخروج، فيحفظ هذه المسألة، ويعرف السنة فيها .

ومما يؤكد هذا أنها رسخت في ذهنه هذه القصة، وحدث بها، وذكر ما يدل على أنه كان مترقباً ومتشوقاً لمعرفة وقتها قوله رضي الله عنه : (فَلَمَّا جَاءَ الْمُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَصَلَّى المَغْرِبَ، ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ العِشَاءُ فَصَلَّى وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا) . أي أن وقت هذه الصلاة التي سألته عنها، ومكانها، هو : عندما يصل الحاج إلى المزدلفة (٢) .

خامساً - من صفات الداعية : المبادرة إلى الطاعة والحرص عليها :

إن فعل رسول الله ﷺ وأصحابه في هذا الحديث عندما وصلوا للمزدلفة بالمبادرة إلى الصلاة، بيان لما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من الحرص على الطاعة، والمبادرة إليها، حيث يقول أسامة رضي الله عنه : (فَلَمَّا جَاءَ الْمُزْدَلِفَةَ نَزَلَ فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَصَلَّى المَغْرِبَ، ثُمَّ أَنَاخَ كُلُّ إِنْسَانٍ بَعِيرَهُ فِي مَنْزِلِهِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ العِشَاءُ فَصَلَّى وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا) .

ولذا ينبغي للداعية إلى الله سبحانه وتعالى ،أن يكون حريصاً على الطاعة والالتزام بالسنن،

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٦/٩. وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ٦٠٩/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٦١/٢ .

(٢) - استفدت هذه الفائدة مشافهة من فضيلة الشيخ/ صالح بن غانم السدلان، في منزله، عصر يوم الأربعاء بتاريخ ١٤١٧/١/٥هـ .

مبادراً إليها متى ما وجبت عليه، أو استحقت الفعل، إذ يقول الله ﷻ عن عباده المؤمنين : ﴿ ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ (١). ويقول ﷻ : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (٢) .

(١) – سورة آل عمران، الآية : ١١٤ .

(٢) – سورة آل عمران، الآية : ١٣٣ .

٧ - باب غسل الوجه باليدين من غرفة واحدة

١١٩ - ١٤٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالرَّحِيمِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ بِلالٍ يَعْنِي سُلَيْمَانَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ، أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَمَضْمَضَ بِهَا وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ بِهَا هَكَذَا أَضَافَهَا إِلَى يَدِهِ الأُخْرَى فَغَسَلَ بِهِمَا وَجْهَهُ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُمْنَى، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُسْرَى، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَرَشَّ عَلَى رِجْلِهِ الْيُمْنَى حَتَّى غَسَلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً أُخْرَى فَغَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ يَعْنِي الْيُسْرَى، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ.

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - من موضوعات الدعوة : تعليم الوضوء .

ثانياً - من وسائل الدعوة : التطبيق العملي للموضوع .

ثالثاً - أهمية ذكر الاستدلال أثناء الحديث .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من موضوعات الدعوة : تعليم الوضوء :

إن من الموضوعات التي ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ الحديث عنها وتعليمها للناس: الوضوء، وخاصة عندما يظهر الجهل به وبسننه، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما، حبر الأمة وترجمان القرآن، في هذا الحديث يعلم الناس كيفية الوضوء، والسنة فيه. وذلك لما للوضوء من أهمية كبيرة في الدين، فهو شرط من شروط صحة الصلاة، إذ يقول

رسول الله ﷺ : « **لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ** » (١) .

ثانياً - من وسائل الدعوة : التطبيق العملي للموضوع :

إن من وسائل الدعوة إلى الله ﷻ المهمة : التطبيق العملي للموضوع الذي يريد الداعية إيصاله للناس، لأن الرؤية بالعين المجردة يتساوى فيها الجميع تقريباً، بعكس الكلام الذي يختلف الناس في فهم المراد منه من شخص لآخر اختلافاً كبيراً، بحسب إدراكهم وعقولهم وما يصل إليه فهمهم، ولذا قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعد أن خطب في الناس : « **هَذَا لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ** » (٢) . فعقول الناس أوعية للكلام وما فيه من معان، وهذه الأوعية تختلف في استيعاب هذه المعاني والفقه اللذين فيها، بحسب حجمها وقدرتها، فالكبير منها يستوعب الكثير، والصغير منها قد لا يستطيع إلا حفظ الحروف والكلمات، أو بعضها .

والصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما في هذا الحديث سلك هذه الوسيلة الدعوية، وقام بالوضوء أمام الناس بقصد تبسيط وتيسير تعلم كيفية الوضوء، حيث ورد في رواية الإمام أبي داود - رحمه الله - أنه قال لهم : (أتحبون أن أريكم كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ) (٣) . أي : إنه قصد التطبيق العملي أمامهم ليسهل عليهم فهمه وإدراكه .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ استخدام هذه الوسيلة الدعوية المهمة، وخاصة إذا كان الموضوع عملياً وفيه تفصيلات كثيرة ونقاط متعددة، كالوضوء، أو الصلاة ونحوها . أو إذا كان المدعوون من عامة الناس والبسطاء الذين يناسبهم مثل هذه

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور، برقم١٣٥، ٤٩/١ .

(٢) - المصدر السابق ، في كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ : « رب مبلغ أوعى من سامع »، برقم٦٧، ٢٩/١.

(٣) - سنن أبي داود، في كتاب الطهارة، باب الوضوء مرتين، برقم١٣٧، ٣٤/١ .

الوسيلة لإدراك الموضوع وفهمه بشكل بسيط وميسر .

ثالثاً - أهمية ذكر الاستدلال أثناء الحديث :

إن مّما يزيد الموضوع الذي يتكلم فيه الداعية إقناعاً وقبولاً لدى المدعوين ؛ ذكر الدليل على صحة الكلام، وابن عباس رضي الله عنهما، في هذا الحديث لّما علمهم كيفية الوضوء، ذكر لهم الدليل على فعله فقال : (كَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَتَوَضَّأُ)، يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : ينبغي للعالم أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك، ولا يلقيه إلى الناس مجرداً عن دليله ومأخذه، فهذا لضيق عَطَنِه وقلة بضاعته من العلم، ومن تأمّل فتاوى النبي ﷺ وكلامه، الذي قوله حجة بنفسه رآه مشتملاً على التنبيه على حكمة الحكم، ونظيره، ووجه مشروعيته) [(١)] .

---

(١) - إعلام الموقعين، ٤/١٦١ .

٨ - باب التسمية على كل حال، وعند الوقاع

١٢٠ - ١٤١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ سَالِمِ ابْنِ أَبِي الجَعْدِ عَنْ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ الله، اللهم جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لم يَضُرُّهُ** » (١) .

وفي رواية : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ : جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتِنِي فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لم يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ** » (٢) .

وفي رواية :« **ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ لم يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا** »(٣).

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : تعليم الأذكار المشروعة، وفضلها العظيم .

ثانياً – اتصال الداعية بربه وتذكره في جميع الأوقات .

ثالثاً – من الأدب : التكنية عمّا يُستحى منه .

---

(١) – أطرافه :**الأول والثاني** : في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧١، ١٠٩/٤، وبرقم٣٢٨٣، ١١٢/٤ . **الثالث** : في كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، برقم٥١٦٥، ١٧٢/٦ . **الرابع** : في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله، برقم ٦٣٨٨، ٢١٠/٧ . **الخامس**: في كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، برقم٧٣٩٦، ٢١٤/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، برقم١٤٣٤، ١٠٥٨/٢.

(٢) – كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٨٣، ١١٢/٤ .

(٣) – كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، برقم ٥١٦٥، ١٧٢/٦ .

رابعاً – بيان ملازمة الشيطان للإنسان ممّا يؤكد أهمية الحذر منه .

خامساً – عناية الإسلام بالولد، حتى قبل أن يخلق .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : تعليم الأذكار المشروعة، وفضلها العظيم :

إن من الموضوعات التي ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الحديث عنها : تعليم الناس الأذكار المشروعة، لما فيها من أجر عظيم، ولما يترتب عليها من الحفظ للإنسان في الدنيا من الشيطان، وكل ما يضرُّه بإذن الله تعالى .

وهذا رسول الله ﷺ، قدوة الدعاة إلى الله ﷻ، يعلم أصحابه ما ينبغي أن يُقال من ذكرٍ عند الجماع، فيقول : « **لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ : بِاسْمِ اللهِ، اللهمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا** » . وفضل مثل هذا الدعاء كما قال ﷺ: « **فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لم يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ** » . يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – : وهذا بركة اسم الله تعالى ، والتعوُّذ به ، والالتجاء إليه ، وبركة الأبوين الصالحين والتزامهما الأذكار المشروعة (١) .

ثانياً – اتصال الداعية بربه وتذكره في جميع الأوقات :

لقد كان رسول الله ﷺ، دائماً في تذكر لله ﷻ، متصلاً به ﷻ، حتى عند الجماع وقضاء الشهوة واللذة، لا ينسى المنعم والمتفضل عليه بهذه النعمة ، فيُقِرُّ له بأن هذا من فضله ﷻ، ومن رزقه وحده، فيسأله أن يجنبه الشيطان، وأن يجنب الشيطان مشاركته، وهكذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، دائم الاتصال بربه ﷻ، متأسياً في ذلك برسول الله ﷺ، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : وفي الحديث من الفوائد استحباب التسمية والدعاء والمحافظة عليه حتى في حالة الملاذ، كالوقاع . وفيه الاعتصام بذكر الله، ودعائه من الشيطان، والتبرك باسمه، والاستعاذة به من جميع

---

(١) – انظر : المفهم، ٤/١٦٠ .

الأسواء، وفيه الاستشعار بأنه الميسر لذلك العمل والمعين عليه [١] .

ثالثاً - من الأدب : التكنية عمّا يُستحى منه :

إن قول رسول الله ﷺ : « **لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ** .. »، فيه إشار إلى أدب من آداب القول، وهو : أدب التكنية عمّا يستحى منه، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن في كلمة « **إِذَا أَتَى أَهْلَهُ** »، أدباً من آداب الشريعة وهو حسن الكناية، إذ كنى النبي ﷺ عن الجماع بالإتيان [٢] .

رابعاً - بيان ملازمة الشيطان للإنسان ممّا يؤكد أهمية الحذر منه :

إن هذا الحديث فيه بيان لملازمة الشيطان للإنسان على كل حال، حتى وقت الجماع، ممّا يؤكد أهمية الحذر منه، ومدافعته والتحصن منه ؛ بالدعاء وذكر الله ﷻ، يقول العلامة العيني - رحمه الله - عن هذا الحديث : (فيه الإشارة إلى ملازمة الشيطان لابن آدم من حين خروجه من ظهر أبيه، إلى رحم أمه، إلى حين موته، أعاذنا الله منه، فهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، وعلى خيشومه إذا نام، وعلى قلبه إذا استيقظ، فإذا غفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس) [٣] .

خامساً - عناية الإسلام بالولد، حتى قبل أن يخلق :

لقد عني الإسلام بالأبناء وتربيتهم عناية فائقة، وهذا الحديث فيه بيان لذلك، وتأكيدٌ عليه، إذ يرشد رسول الله ﷺ، الزوجين إلى ما فيه مصلحة الولد قبل أن يخلق، وذلك بذكر الدعاء المشروع قبل الجماع، والمحافظة عليه، مما يترتب عليه بإذن الله ﷻ: « **إِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لم يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ** » .

---

(١) - انظر : فتح الباري، ١٣٧/٩ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٨٦/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٦٩/٢ .

(٢) - انظر : بهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ٢٣٦/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٦٩/٢ .

(٣) - المرجع السابق، ٢٦٩/٢ .

٩ - باب ما يقول عند الخلاء

١٢١ - ١٤٢ - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِالعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الخَلاءَ قَالَ : « **اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ** » تَابَعَهُ ابْنُ عَرْعَرَةَ عَنْ شُعْبَةَ، وَقَالَ: غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَةَ : إِذَا أَتَى الخَلاءَ، وَقَالَ مُوسَى عَنْ حَمَّادٍ : إِذَا دَخَلَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُالعَزِيزِ : إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ (١) .

شرح غريب الحديث :

« **الخُبُثِ** » – الكبر، وقيل الذكر من الشيطان (٢) .

« **الخَبَائِثِ** » – الشياطين، وقيل الأنثى من الشياطين (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص الصحابة على ملازمة رسول الله ﷺ للتعلم منه والاقتداء به .

ثانياً – من الأدب : اختيار الألفاظ الجميلة بدلاً مما يستحى منه .

ثالثاً – من أساليب الدعوة : الجهر بالدعاء للتعليم .

رابعاً – حرص السلف الصالح على دقة نقل الحديث .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – حرص الصحابة على ملازمة رسول الله ﷺ للتعلم منه والاقتداء به :

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ، في غاية الحرص على التعلم من رسول الله

---

(١) – طرفه : في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الخلاء، برقم٦٣٢٢، ١٩٣/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء، برقم٣٧٥، ٢٨٣/١ .

(٢) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٥٧ .

(٣) – انظر : المرجع السابق، ص٢٥٧ .

ﷺ، والاقتداء به، فهم يلازمونه ملازمة شديدة في الأوقات التي يكون فيها خارج بيته، بل من شدة حرصهم أنهم كانوا يتناوبون على الجلوس معه، كما جاء في قصة عمر وصاحبه الأنصاري رضي الله عنهما (١) .

وفي هذا الحديث نجد أن الصحابة رضي الله عنهم، نقلوا عنه هذا الدعاء ﷺ، بسماعهم منه عندما يريد الدخول للخلاء، وهذا مّما يدل على شدة ملازمتهم له، وأنهم لا يتركونه إلا إذا دخل الخلاء، أو منزله .

وينبغي أن يكون مثل هذا الحرص، نموذجاً للدعاة إلى الله تبارك وتعالى، في الحرص على سنة رسول الله ﷺ، حفظاً، وقراءةً، وفهماً، وتدويناً، وعملاً، ودعوة .

ثانياً - من الأدب : اختيار الألفاظ الجميلة بدلاً مما يستحى منه :

إن مما يُؤكد عليه: هو أن يختار الداعية من الألفاظ : الجميل منها، وأن يجتنب ما يستحى من ذكره، وفي هذا الحديث نجد أن الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه، يكني بكلمة الخلاء للمكان الذي يُقصد لقضاء الحاجة، وهذا من حسن أدب الداعية وكمال خلقه.

ثالثاً - من أساليب الدعوة : الجهر بالدعاء للتعليم :

إن من الأساليب الدعوية التي تستفاد من هذا الحديث : هو أن يجهر الداعية ببعض الأدعية والأذكار، لتعليمها المدعوين، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ في هذا الحديث كما أشار لذلك بعض العلماء - رحمهم الله - حيث قالوا : إن رسول ﷺ جهر بهذا الدعاء إظهاراً للعبودية، وتعليماً للأمة (٢) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله تبارك وتعالى، أن يجهروا بالأذكار والأدعية إذا كان عندهم من يقتدي بهم، لتعليمهم إياها .

---

(١) - انظر : صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، برقم٨٩ ، ٣٦/١ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٩٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٧٢/٢ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٣٣/١ .

رابعاً - حرص السلف الصالح على دقة نقل الحديث :

ذكر الإمام البخاري - رحمه الله - بعد ذكره للحديث اختلاف الروايات في بعض ألفاظه، حيث قَالَ: غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَة : (إِذَا أَتَى الخَلاءَ)، وَقَالَ مُوسَى عَنْ حَمَّادٍ: (إِذَا دَخَلَ)، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُالعَزِيزِ : (إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ) . وهذا مما يبين حرص السلف الصالح - رحمهم الله - على الدقة في رواية حديث رسول الله ﷺ .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله الاهتمام الشديد بحفظ حديث رسول الله ﷺ، وسنته، كما رويت لنا، هذا وإن قال بعض العلماء - رحمهم الله - إن الحديث يصح أن يُروى بالمعنى، فذلك من باب الجواز، وإلا روايته بنصه أفضل (١) .

---

(١) - انظر : فتح المغيث شرح ألفية الحديث، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ٢/٢٤١، بدون رقم الطبعة وتاريخها، ط مكتبة ابن تيمية، القاهرة .

١١ - باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول، إلا عند البناء

١٢٢ - ١٤٤ - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ (١) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الغَائِطَ، فَلا يَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَلا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا** » (٢) .

وفي رواية : « .. **وَلا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا** » قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : فَقَدِمْنَا الشَّأْمَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ بُنِيَتْ قِبَلَ القِبْلَةِ فَنَنْحَرِفُ وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَى (٣) .

شرح غريب الحديث :

(مَرَاحِيض) - جمع مرحاض، وهو المغتسل، ومواضع قضاء الحاجة من الرَّحْض، وهو الغسل (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) - هو : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري النجاري، من بني غنم بن مالك بن النجار، غلبت عليه كنيته، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ في خروجه من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجراً من مكة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده في تلك السنة، وبنى مساكنه، ثم انتقل ﷺ إلى مسكنه . وآخى الرسول ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير رضي الله عنهما، مات بالقسطنطينية من بلاد الروم في زمن معاوية رضي الله عنه، سنة اثنتين وخمسين . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٦٠٠، ١٥٩/٣ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ١٤٣٩، ٥٦/٣،٥٧) .

(٢) - طرفه : في كتاب الصلاة، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام المشرق، برقم ٣٩٤، ١١٨/١ .
وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب الاستطابة، برقم٢٦٤، ٢٢٤/١ .

(٣) - كتاب الصلاة، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام المشرق، برقم ٣٩٤، ١١٨/١ .

(٤) - جامع الأصول، لابن الأثير، ١٢١/٧ .

أولاً – من أدب الداعية : الإشارة والتكنية عن الأشياء المستقذرة .

ثانياً – أهمية تعظيم القبلة ودلالته .

ثالثاً – أهمية مراعاة أحوال المخاطبين .

رابعاً – من الحكمة في الدعوة : ذكر البديل .

خامساً – شدَّة تمسك الصحابة ﷺ بأوامر الشرع .

سادساً – تنقل الصحابة ﷺ بين الأمصار للدعوة إلى الله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من أدب الداعية : الإشارة والتكنية عن الأشياء المستقذرة :

إن مما يستفاد من قول رسول الله ﷺ : « **إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الغَائِطَ** .. »، أهمية اتصاف الداعية إلى الله ﷻ، بأدب الإشارة والتكنية عن الأشياء المستقذرة، يقول القاضي عياض - رحمه الله - : (فيه - أي هذا الحديث - التجافي عن ذكر ما يقع سماعه والكناية عنه، وهو أدب الشرع، وهو أيضاً عادة العرب في صونها ألسنتها عما تصان عنه الأسماع) [١] .

ويقول الإمام الزرقاني - رحمه الله - : (وأصل الغائط : المكان المطمئن من الأرض في الفضاء، كان يقصد لقضاء الحاجة فيه، ثم كني به عن العذرة نفسها، كراهة لذكرها بخاص اسمها، وعادة العرب استعمال الكنايات صوناً للألسنة عمّا تصان الأسماع والأبصار عنه، فصار حقيقة عرفية غلبت على الحقيقة اللغوية) [٢] .

ثانياً - أهمية تعظيم القبلة ودلالته :

إن في هذا الحديث تعظيماً للقبلة بعدم استقبالها أو استدبارها ببول أو غائط، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : وفي ذلك إكرام للقبلة عن المواجهة بالبول أو

---

(١) - نقلاً عن : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٧٣/٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٩٧/١ .

(٢) - حاشية الزرقاني على الموطأ، ٣٩١/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٢٧٥/٢ .

الغائط [١] . ويقول الشيخ / ابن عثيمين - حفظه الله - : (يستفاد من هذا الحديث تحريم استقبال القبلة في الغائط أو البول، والحكمة تعظيم القبلة، ولئلا يكون الإنسان في هذه الحال مشابهاً لحاله في الصلاة) [٢] . ويقول -حفظه الله-: يستفاد من هذا الحديث (وجوب تعظيم القبلة (الكعبة) لأن الصحيح في تعليل هذا أنه إنما نهى عن ذلك احتراماً للكعبة، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يستقبل هذا المكان الذي يستقبله في أشرف أعماله البدنية، وهي الصلاة، فلا ينبغي أن نشبه أخبث الحالات من حيث النجاسة، بأعلى حالات الطهارة، وهي الصلاة) [٣] .

وفي تعظيم المسلم للقبلة، دلالة على تعظيمه لمن يستقبله بوجهه في الصلاة، وهو الله ﷻ [٤]، ولذا لما رأى رسول الله ﷺ، بُصاقاً في جدار المسجد، حكه، ثم قال : « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ - فَلا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ** » ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : « **أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا** » [٥] .

ثالثاً - أهمية مراعاة أحوال المخاطبين :

إن قول رسول الله ﷺ : « **وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا** »، بعد نهيه العام عن استقبال القبلة ببول أو غائط، فيه مراعاة لأحوال المخاطبين، فأهل المدينة قبلتهم ليست للشرق ولا للغرب، فلذا كان مثل هذا الكلام مناسباً لهم، وذلك من باب مراعاة مكانهم الذي هم فيه، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - وهذا : (أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهذا خطاب أهل المدينة، ولمن كانت قبلته على ذلك

---

(١) - انظر : فتح الباري، ٢٩٧/١ . وانظر : حاشية الزرقاني على الموطأ، ٣٩١/١ .

(٢) - فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ص٣٣٤ .

(٣) - المرجع السابق، ص٣٣١ .

(٤) - انظر : المرجع السابق، ٣٩٤/١ .

(٥) - صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، برقم ٤٠٥، ١٢١/١ .

السمت، أما من كانت قبلته إلى جهة المغرب أو المشرق، فإنه ينحرف إلى الجنوب أو إلى الشمال) (١) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الاهتمام بأحوال المخاطبين، وانطباق معاني الأحكام الشرعية عليهم .

رابعاً - من الحكمة في الدعوة : ذكر البديل :

وكذلك مما يُستفاد من قوله ﷺ : « **وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا** »، ذكر البديل والعوض عمّا ينهى عنه، يقول الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله - : إن مما يستفاد من هذا الحديث (حكمة الرسول ﷺ، فإنه إذا ذكر باباً ممنوعاً، أرشد إلى الباب المفتوح، نأخذه من قوله : « **وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا** »، وهذا دأب رسول الله ﷺ، إذا ذكر ما يُمنع، ذكر ما لا يمنع، لئلا يسد الباب أمام الناس، وهذ من حسن التعليم، ومن الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، لأن بعض الناس يقول : هذا حرام، والناس في حاجة إلى أن يسلكوا هذا الطريق، أو بدلاً عنه، فإذا قال : هذا حرام، فلا بد أن يذكر لهم طريقاً مباحاً يمشون عليه، نظير هذا لمّا جيء للنبي ﷺ، بتمر جيد، قال : أكل تمر خيبر هكذا ؟ قالوا : لا، ولكن نأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بثلاثة ؟ فقال ﷺ: لا تفعلوا، بع الجمع بالدراهم ثم اشترِ بالدراهم جنيباً (٢) . والجنيب : التمر الجيد، فأرشده، قال : لا تأخذ صاعاً من التمر الطيب بصاعين من الرديء، لأن هذا ربا، لكن بع الطيب، واشترِ به) (٣) .

---

(١) - الكواكب الدراري، للكرماني، ٨٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٥٩٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٧٧/٢ .

(٢) - صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، برقم٢٢٠١، ٤٦/٣ . وصحيح مسلم، في كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، برقم١٥٩٢، ١٢١٤/٣ .

(٣) - فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ص٣٣٥ .

خامساً - شدّة تمسك الصحابة ﷺ بأوامر الشرع :

إن قول الصحابي الجليل أبي أيوب ﷺ : (فَقَدِمْنَا الشَّأْمَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ بُنِيَتْ قِبَلَ القِبْلَةِ فَنَنْحَرِفُ وَنَسْتَغْفِرُ الله تَعَالَى)، فيه بيان لما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، من الحرص على تطبيق السنة والعمل بها، فأبو أيوب ﷺ ، عندما جاء للشام، وهذه المراحيض مبنية باتجاه القبلة، استخدمها وانحرف، بل واستغفر الله، يقول الإمام ابن العربي - رحمه الله - : وهذ الاستغفار (يحتمل ثلاثة أوجه : الأول : أن يستغفر من الاستقبال، والثاني : أن يستغفر الله من ذنوبه، فبالذنب يذكر الذنب، والثالث : أن يستغفر الله لمن بناها، فإن الاستغفار للمذنبين سنة) (١) .

سادساً - تنقل الصحابة ﷺ بين الأمصار للدعوة إلى الله ﷻ :

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ، نموذجاً في الصبر والتضحية والعطاء لأجل الدعوة إلى الله ﷻ، فهذا الصحابي الجليل أبو أيوب ﷺ، يقول في هذا الحديث : (فَقَدِمْنَا الشَّأْمَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ ..)، إذن فهم تركوا المدينة ،وذهبوا للشام وغيرها من البلاد، للجهاد في سبيل الله ﷻ، والدعوة إليه، ومما يؤكد ذلك أنه ﷺ توفي في غزاة القسطنطينية من بلاد الروم في زمن معاوية ﷺ، سنة اثنتين وخمسين (٢) .

---

(١) - عارضة الاحوذي، ٤٤/١ .

(٢) - انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٦٠٠، ١٥٩/٣ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ١٤٣٩، ٥٦/٣،٥٧ .

١٢ - باب من تبرز على لبنتين

١٢٣ - ١٤٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنْ عَمِّهِ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: إِذَا قَعَدْتَ عَلَى حَاجَتِكَ فَلا تَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَلا بَيْتَ المَقْدِسِ فَقَالَ: عَبْدُ اللهِ ابْنُ عُمَرَ: لَقَدِ ارْتَقَيْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَنَا فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى لَبِنَتَيْنِ مُسْتَقْبِلًا بَيْتَ المَقْدِسِ لِحَاجَتِهِ، وَقَالَ: لَعَلَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَى أَوْرَاكِهِمْ، فَقُلْتُ : لا أَدْرِي وَاللهِ . قَالَ مَالِكٌ : يَعْنِي الَّذِي يُصَلِّي وَلا يَرْتَفِعُ عَنِ الأَرْضِ، يَسْجُدُ وَهُوَ لاصِقٌ بِالأَرْضِ (١) .

وفي رواية : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : ارْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، مُسْتَدْبِرَ القِبْلَةِ مُسْتَقْبِلَ الشَّأْمِ (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع والاختلاف .

ثانياً – من فقه الدعوة عدم التصريح باسم المخالف .

ثالثاً – من أدب الداعية : الإشارة والتكنية عن الأشياء المستقذرة .

رابعاً – أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ .

---

(١) – أطرافه : **الأول:** في كتاب الوضوء، باب التبرز في البيوت، برقم ١٤٨، ١/٥٢ . **الثاني:** في كتاب الوضوء، باب التبرز في البيوت، برقم ١٤٩، ١/٥٣ . **الثالث** : في كتاب فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، برقم٣١٠٢، ٤/٥٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب الاستطابة، برقم٢٦٦، ١/٢٢٤ .

(٢) – كتاب الوضوء، باب التبرز في البيوت، برقم ١٤٨، ١/٥٢ .

خامساً – حرص الصحابة ﷺ على ضبط أحوال النبي ﷺ، ونقلها للأمة .

سادساً – أهمية ذكر سبب الفعل إذا دعت الحاجة .

سابعاً – أهمية التثبت قبل إنكار المنكر.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية الرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع والاختلاف :

نجد في هذا الحديث أن ابن عمر رضي الله عنهما عندما قال : (إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: إِذَا قَعَدْتَ عَلَى حَاجَتِكَ فَلا تَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَلا بَيْتَ المَقْدِسِ)، ردَّ على هذا القول بما ثبت لديه من فعل رسول الله ﷺ، فقال : (لَقَدِ ارْتَقَيْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَنَا فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى لَبِنَتَيْنِ مُسْتَقْبِلًا بَيْتَ المَقْدِسِ لِحَاجَتِهِ ..)، وهذا منه رضي الله عنه من باب الردّ إلى الكتاب والسنة عند وجود التنازع أوالاختلاف، يقول بعض العلماء – رحمهم الله –: إن ابن عمر رضي الله عنهما، أورد القول الأول منكراً له، ثم بين سبب إنكاره بما رواه عن النبي ﷺ . (١)

فلذا ينبغي للدعاةإلى الله سبحانه وتعالى، أن يكون شعارهم دائماً عند الخلاف أو التنازع، الردَّ إلى كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٢)

ثانياً – من فقه الدعوة عدم التصريح باسم المخالف :

إن قول ابن عمر رضي الله عنهما : (إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: إِذَا قَعَدْتَ ..)، فيه دليل على فقهه رضي الله عنه، وذلك أن من فقه إنكار المنكر عدم التصريح باسم المخالف – إلا إذا اقتضت المصلحة الشرعية التصريح – إذ المقصود بالإنكار هو المنكر نفسه، لا صاحب

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٩٨/١ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٣٩٢/١ .

(٢) – سورة النساء : ٥٩ .

المنكر، وكذلك في عدم التصريح باسم المخالف، رجاءً لاستجابته، وإقلاعه عن المنكر.

وهذا هو منهج رسول الله ﷺ، فقد كان يقول لمن وقع منهم في المنكر : « **ما بال أقوام ..** » [١]، ونحوها، وذلك حتى يحذر الناس بصفة عامة من الوقوع فيما حذر منه، ويكون فيه أيضاً تنبيهاً للواقعين بضرورة الإقلاع والتوبة منها، إلا إذا اقتضت المصلحة الشرعية تسمية المخطئ، وذلك مثل : إذا ما نُبِّه بشكل عام، فلم ينتبه، أو كان فاسقاً مجاهراً بذلك، من غير حياء أو خوف، فعند ذلك يصرح بالإنكار عليه، والتحذير منه، ومن مجالسته وقربه .

ثالثاً - من أدب الداعية : الإشارة والتكنية عن الأشياء المستقذرة :

إن في هذا الحديث بياناً لأدب من آداب الداعية إلى الله ﷻ، وهو : الإشارة والتكنية عن الأشياء المستقذرة، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : إن مّما يستفاد من هذا الحديث (استعمال الكناية بالحاجة، عن البول والغائط، وجواز الإخبار عن مثل ذلك للاقتداء والعمل) [٢] .

رابعاً - أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن في رواية ابن عمر رضي الله عنهما، لفعل رسول الله ﷺ، أثناء قضائه للحاجة - مع حرص رسول الله ﷺ على الابتعاد عن أعين الناس [٣] - بياناً لأهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله ﷻ، فالمدعوون يضعون الداعية تحت المراقبة الشديدة لكل ما يصدر منه،

---

(١) - استعمل الرسول ﷺ هذا اللفظ أكثر من مرة، انظر مثلاً : صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، رقم الحديث ٤٥٦، ١/١٣٤ . وفي كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم الحديث ٧٥٠، ١/٢٠٥ . وفي كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم الحديث ٦١٠١، ٧/١٢٦ .

(٢) - عمدة القاري، ٢/٢٨٢ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٢٩٨ .

(٣) - انظر : سنن النسائي، في كتاب الطهارة، باب الإبعاد عند إرادة الحاجة، الحديث رقم١٦، ١/١٧ . وسنن ابن ماجة، في كتاب الطهارة، باب التباعد للبراز في الفضاء، برقم٣٣٤، ١/١٢١ .

حتى لو تخفى منهم، فهو محل نظرهم وقدوتهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر : فلو قال الداعية لهم شيئاً، وفعل هو شيئاً آخر، فإنهم يفعلون في الغالب كما فعل هو .

فلذا كان مما ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الاهتمام به، والحرص عليه، هو أن يكون داعية بفعله والتزامه، كما أنه داعية بقوله، أي يكون قدوة صالحة لهم .

خامساً - حرص الصحابة ﷺ على ضبط أحوال النبي ﷺ، ونقلها للأمة :

إن هذا الحديث فيه بيان لما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، من الحرص الشديد على تتبع أحوال النبي ﷺ، وضبطها، ونقلها للأمة، فابن عمر رضي الله عنهما (لما اتفقت له رؤيته ﷺ في تلك الحالة، عن غير قصد، أحب أن لا يُخلي ذلك من فائدة، فحفظ هذا الحكم الشرعي، وكأنه إنما رآه من جهة ظهره حتى ساغ له تأمل الكيفية المذكورة من غير محذور) [(١)] .

يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : وهذا يدل على شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أحوال النبي ﷺ، لاتباعها، ونقلها، وكذا كانوا [(٢)] .

وهكذا ينبغي لطالب العلم، أن يكون مع شيخه، وعلماء أمته الصالحين ، من الحرص الشديد على تتبع أحوالهم، للاقتداء بها، ونقلها لسائر الناس .

سادساً - أهمية ذكر سبب الفعل إذا دعت الحاجة :

إن مما يستفاد من قول ابن عمر رضي الله عنهما : (ارْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ ..)، أهمية ذكر الداعية إلى الله ﷻ، سبب فعله، إذا خشي أن يفسر على غير حقيقته، أو أن يساء به الظن، فعبدالله

---

(١) - فتح الباري، لابن حجر، ٢٩٨/١ .

(٢) - انظر : المرجع السابق، ٢٩٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٨٢/٢ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٣٩٢/١ .

ابن عمر رضي الله عنهما، لم يقصد النظر إلى رسول الله ﷺ، أثناء قضائه لحاجته، فلذا صدر كلامه ببيان سبب ارتقائه لمنزل أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، وأن رأى رسول الله ﷺ هكذا اتفاقاً، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (لم يقصد ابن عمر الإشراف على النبي ﷺ في تلك الحالة، وإنما صعد السطح لضرورة له كما في الرواية الآتية [(١)]، فحانت منه التفاتة ... نعم لما اتفقت له رؤيته ﷺ في تلك الحالة، عن غير قصد، أحب أن لا يخلي ذلك من فائدة، فحفظ هذا الحكم الشرعي) [(٢)] .

سابعاً - أهمية التثبت قبل إنكار المنكر :

إن تثبت الداعية من وقوع المنكر، قبل إنكاره، أمر له أهمية كبيرة، لأنه يترتب عليه، الشروع في الإنكار أو عدمه، ونوع هذا الإنكار ودرجته، فابن عمر رضي الله عنهما، قبل أن ينكر على واسع بن حبان [(٣)] - رحمه الله - راوي الحديث عنه، سأله : (لَعَلَّكَ مِنِ الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَى أَوْرَاكِهِمْ)، وعن ذلك يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله - : (والذي يظهر في المناسبة - أي مناسبة هذه السؤال لبداية الحديث - ما دل عليه سياق مسلم [(٤)]، ففي أوله عنده، عن واسع قال : كنت أصلي في المسجد، فإذا عبدالله بن عمر جالس، فلما قضيت صلاتي انصرفت إليه من شقي، فقال عبد الله : يقول الناس، فذكر الحديث، فكأن ابن عمر رأى منه في حال سجوده شيئاً لم يتحققه، فسأله عنه بالعبارة المذكورة) [(٥)] . أي أنه سأل ليتحقق منه .

---

(١) - هي الرواية التي ذُكر أولها في هذه الفائدة .

(٢) - فتح الباري، لابن حجر، ٢٩٨/١ .

(٣) - هو : واسع بن حبان بن منقذ بن عمرو الأنصاري المازني ، مدني تابعي ثقة ، روى عن مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم . (انظر : تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ٩١،٩٠/١١) .

(٤) - كتاب الطهارة، باب الاستطابة، برقم٢٦٦، ٢٢٤/١ .

(٥) - فتح الباري، ٢٩٩/١ . وانظر : حاشية الزرقاني على الموطأ، ٣٩٢/١ .

ولذا لما أجاب واسع - رحمه الله - عن السؤال بقوله : (لا أَدْرِي وَالله)، لم يغلظ عليه ابن عمر رضي الله عنهما، أي أن درجة الإنكار ونوعه، ترتب على السؤال وجوابه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وأما قول واسع : لا أَدْرِي وَالله، فدال على أنه لا شعور عنده بشيء مما ظنه به، ولهذا لم يغلظ ابن عمر له في الزجر) (١) .

(١) - فتح الباري، ١/٢٩٩ .

١٣ - باب خروج النساء إلى البراز

١٢٤ - ١٤٦ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْيَحُ، فَكَانَ عُمَرُ ﷺ يَقُولُ : احْجُبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُ، فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً وَكَانَتِ امْرَأَةً طَوِيلَةً، فَنَادَاهَا عُمَرُ أَلا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ، حِرْصًا عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ . (١) .

وفي رواية : عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَتْ : خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَسِيمَةً لا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ، قَالَتْ : فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي، وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى، وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ، فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَقَالَ لِي عُمَرُ : كَذَا وَكَذَا قَالَتْ : فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ، فَقَالَ : « **إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ** » (٢) .

شرح غريب الحديث :

(عَرْقٌ) - العظم الذي يقشر عنه اللحم، وقد بقيت عليه بقية منه، يقال:

---

(١) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الوضوء، باب خروج النساء إلى البراز، برقم١٤٧، ٥٢/١ . **الثاني:** في كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، برقم ٤٧٩٥، ٣٠/٦ . **الثالث** : في كتاب النكاح، باب خروج النساء لحوائجهن، برقم٥٢٣٧، ١٩٥/٦ . **الرابع** : في كتاب الاستئذان، باب آية الحجاب، برقم٦٢٤٠، ١٦٧/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، برقم٢١٧٠، ١٧٠٩/٤ .

(٢) - كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، برقم ٤٧٩٥، ٣٠/٦ .

عرقت اللحم وتعرقته، إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك (١) .

(المَنَاصِعِ) - مواضع خالية، تقضى فيها الحاجة من الغائط والبول (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - قلة خروج الصحابيات - رضي الله عنهن - من بيوتهنَّ إلا للحاجة .

ثانياً - أهمية مراجعة المدعوين للداعية، فيما يظهر لهم أن المصلحة فيه .

ثالثاً - جواز الإغلاظ في القول والعتاب بقصد الخير .

رابعاً - التزام الصحابة النصيحة لله ورسوله ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - قلة خروج الصحابيات - رضي الله عنهن - من بيوتهنَّ إلا للحاجة :

إن قول رسول الله ﷺ لسودة رضي الله عنها : « **إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ** »، وقول عائشة رضي الله عنها في أول الحديث : (إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى المَنَاصِعِ ..)، فيه بيان لما كان عليه النساء في ذاك الزمان، من قلة خروجهن من بيوتهن إلا للحاجة، يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث : (لا خلاف في أن المرأة تخرج لما تحتاج إليه من أمورها الجائزة، لكنها تخرج على حال بذاذةٍ، وتسترٍ، وخشونة ملبس، بحيث يستر حجم أعضائها، غير متطيبة، ولا متبرجة بزينة، ولا رافعة صوتها، وعلى الجملة فالحال التي يجوز لها الخروج عليها، أن تكون بحيث لا تمتد لها عين، ولا تميل إليها نفس، وما أعدم هذه الحالة في هذه الأزمان ! لما يظهرن من الزينة والطيب، والتبختر في الملابس الحسان، فمسامحتهن

---

(١) - انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٥٠ .

(٢) - انظر : المرجع السابق، ص٥٣٢ .

في الخروج على تلك الحال فسوق وعصيان) [(١)] .

ويقول العلامة العيني - رحمه الله - : (فيه - أي هذا الحديث - جواز تصرف النساء فيما لهن حاجة إليه، لأن الله تعالى أذن لهن في الخروج إلى البراز، بعد نزول الحجاب، فلما جاز ذلك لهن، جاز لهن الخروج إلى غيره من مصالحهن، وقد أمر النبي ﷺ بالخروج إلى العيدين، ولكن في هذا الزمان لما كثر الفساد، ولا يؤمن عليهن من الفتنة، ينبغي أن يمنعن من الخروج إلا عند الضرورة الشرعية) [(٢)] .

وهؤلاء الأئمة - رحمهم الله - يقولون هذا وهو في القرون السبعة الأولى ، فكيف بهم لو رأوا النساء في هذا القرن، الذي أصبحت المرأة تسير فيه على ما يسمى بـ (الموضة)، التي تطلقها وسائل الإعلام الغربية الكافرة، وأصبح النساء فيه ألعوبة لهم .

ثانياً - أهمية مراجعة المدعوين للداعية، فيما يظهر لهم أن المصلحة فيه :

إن مما يستفاد من قول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، لرسول الله ﷺ : (احْجُبْ نِسَاءَكَ)، مراجعة المدعوين للداعية فيما يظهر لهم أن الخير والمصلحة فيه، لأنه قد يظهر لهم بعض ما قد يخفى على الداعية، يقول كثير من العلماء - رحمهم الله - عند شرحهم لهذا الحديث : إن مما يستفاد من هذا الحديث، مراجعة الأدنى للأعلى في الشيء الذي يتبين له، وفضل هذه المراجعة إذا لم يقصد بها التعنت، فإنه قد يتبين فيها من العلم ما خفي، فإن نزول قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين** . . ﴾ [(٣)]، كان سببه المراجعة [(٤)] .

---

(١) - المفهم، ٤٩٨/٥ . وانظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٣٦/٧ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٣٣٦/٧ .

(٢) - عمدة القاري، ٢٨٥/٢ .

(٣) - سورة الأحزاب، الآية : ٥٩ .

(٤) - انظر : المفهم، للقرطبي، ٤٩٨/٥ . و شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥١/١٤ . وإكمال إكمال =

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، تقبل مراجعة المدعوين، بل وتشجيعهم على ذلك، فهذا رسول الله ﷺ، أفضل البشر وأعلمهم بالدين، يتقبل المراجعة والمشورة من المدعوين فيما يظهر لهم أن الخير والمصلحة فيه .

ثالثاً - جواز الإغلاظ في القول والعتاب بقصد الخير :

يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن قول عمر ﵁ : (يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ ..)، فيه جواز الإغلاظ في القول والعتاب إذا كان قصده الخير [١] .

إذن إذا وقع من الداعية بعض الغلظة في القول والعتاب، بقصد الخير، فهو مما يشرع له .

رابعاً - التزام الصحابة النصيحة لله ورسوله ﷺ :

إن في هذا الحديث منقبة ظاهرة لعمر ﵁، وذلك بالتزامه النصيحة لله ولرسوله ﷺ [٢]، عندما قال لرسول الله ﷺ : (احْجُبْ نِسَاءَكَ)، وهذا كما يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - : فيه (التزام النصيحة لله ولرسوله ﷺ) [٣] .

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يلتزم النصح، وأن يقتدي بصحابة رسول الله ﷺ - ومنهم عمر ﵁، كما في هذا الحديث - من كمال نصحهم لله ﷻ ورسوله ﷺ .

=

المعلم، للأبي، ٣٣٧/٧ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٣/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٨٤/٢ .

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٣/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٨٥/٢ .

(٢) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥١/١٤

(٣) - الكواكب الدراري، ١٩٣/٢ . وانظر :عمدة القاري، للعيني، ٢٨٥/٢ .

١٥ - باب الاستنجاء بالماء

١٢٥ - ١٥٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِالمَلِكِ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي مُعَاذٍ وَاسْمُهُ عَطَاءُ ابْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، أَجِيءُ أَنَا وَغُلامٌ مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ يَعْنِي يَسْتَنْجِي بِهِ . (١) .

وفي رواية : .. إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ وَعَنَزَةً يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ (٢) .

وفي رواية : .. وَمَعَنَا عُكَّازَةٌ أَوْ عَصًا أَوْ عَنَزَةٌ وَمَعَنَا إِدَاوَةٌ فَإِذَا فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ نَاوَلْنَاهُ الإِدَاوَةَ (٣) .

شرح غريب الحديث :

(إِدَاوَةً) - إناء كالركوة، ونحوها (٤) .

(عَنَزَةً) - شبيهة بالكاز، وهي عصا كانت تجعل أمام الرسول ﷺ ليصلي إليها ويستتر بها (٥) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

---

(١) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الوضوء، باب من حمل معه الماء لطهوره، برقم ١٥١، ٥٣/١ . **الثاني:** في كتاب الوضوء، باب حمل العنزة مع الماء في الاستنجاء، برقم ١٥٢، ٥٣/١ . **الثالث** : في كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، برقم ٢١٧، ٦٩/١ . **الرابع** : في كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى العنزة، برقم ٥٠٠، ١٤٤/١ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالماء من التبرز، برقم٢٧١، ٢٢٧/١ .

(٢) - كتاب الوضوء، باب حمل العنزة مع الماء في الاستنجاء، برقم ١٥٢، ٥٣/١ .

(٣) - كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى العنزة، برقم ٥٠٠، ١٤٤/١ .

(٤) - انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٤١٩ .

(٥) - انظر : المرجع السابق، ص١٩٠ .

أولاً – حرص الصحابة ﷺ على خدمة رسول الله ﷺ وملازمته .

ثانياً – من صفات الداعية : الحرص على النظافة والطهارة والإتيان بالسنن .

ثالثاً – من صفات الداعية : الحياء .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص الصحابة ﷺ على خدمة رسول الله ﷺ وملازمته :

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، من أشدِّ الناس حرصاً على خدمة رسول الله ﷺ، فإذا كان قد قيل : إن خدمة العالم شرف للمتعلم [1]، فكيف بمن يخدم رسول الله ﷺ .

وفي هذا الحديث نرى الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ، يقول : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، أَجِيءُ أَنَا وَغُلامٌ مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ يَعْنِي يَسْتَنْجِي بِهِ)، وعن هذا يقول كثير من العلماء - رحمهم الله - : إن خدمة العالم وحمل ما يحتاج إليه من إناء وغيره، شرف بالمتعلم ومستحب له، ولذا لما أراد أبو الدرداء ﷺ الثناء على ابن مسعود ﷺ، قال : أليس فيكم صاحب النعلين والطهور والوساد، أي مدحه بخدمته لرسول الله ﷺ [2] .

فلذا ينبغي لطلاب العلم، الحرص الشديد على خدمة العلماء والدعاة إلى الله ﷻ، فهو شرف ورفعة، وسنة مستحبة .

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة والطهارة والإتيان بالسنن :

إن في هذا الحديث بياناً لما كان عليه رسول الله ﷺ، قدوة الدعاة وسيدهم، من الحرص على النظافة والطهارة، والإتيان بالسنن، فهو إذا دخل الخلاء يستنجي، ثم

---

(١) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٣/٣ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٢/٣ .

(٢) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٣/٣ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٧٩/٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٧/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠٣/١، ٣٠٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٩١/٢ و ١٢٢/٣ .

يتوضأ حتى يكون دائماً على طهارة، وإذا صلى بعد وضوئه وليس عنده سترة، فالسترة تحمل معه، وهي العنزة، وعن حملها يقول بعض العلماء - رحمهم الله -: كانت تحمل لأنه كان إذا استنجى توضأ، وإذا توضأ صلى، فكانت توضع بين يديه سترة له [١] .

إذن فالداعية إلى الله ﷻ، ينبغي له الحرص على الإتيان بالسنن والمستحبات، وذلك بالاستعداد لها، وخاصة ما يتعلق بالطهارة والصلاة .

ثالثاً - من صفات الداعية : الحياء :

إن من صفات الداعية إلى الله ﷻ، والتي تُستفاد من هذا الحديث : الحياء ، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن هذا الحديث فيه بيان لما كان عليه رسول الله ﷺ، من البعد عند قضاء الحاجة، والاستتار عن أعين الناس، وذلك أنه كان يذهب إلى المكان البعيد الذي لا يوجد به ماء ولا ما يصلي إليه فلذا يحمل معه الإداوة والعنزة [٢] .

فابتعاد رسول الله ﷺ، هو من حيائه أن يُرى في وضعٍ، وإن كان هو من طبيعة البشر جميعاً في خلقتهم وتكوينهم .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠٣/١، ٣٠٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٩٣/٢ .

(٢) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٣/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٢/٣ .

١٨ - باب النهي عن الاستنجاء باليمين

١٢٦ - ١٥٣ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ هُوَ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ [(١)] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ، وَإِذَا أَتَى الخَلاءَ فَلا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلا يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ** » [(٢)] .

وفي رواية : « **إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ وَلا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ** » [(٣)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص السلف الصالح على تعليم أبنائهم .

ثانياً – أهمية مراعاة شعور الآخرين .

ثالثاً – من صفات الداعية : الحرص على التيامن .

---

(١) – هو : أبو قتادة الحارث أو النعمان أو عمرو بن ربعي بن بلدمة بن خناس بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلِمة السلَمي المدني، فارس رسول الله ﷺ، شهد أحداً والخندق وما بعدها، والمشهور أنه لم يشهد بدراً، روى له مائة وسبعون حديثاً، انفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثمانية، واتفقا على أحد عشر، مات بالمدينة، وقيل بالكوفة، سنة أربع وخمسين، عن سبعين سنة . (انظر : الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة رقم ٣١٣٠، ١٢/٨٨-٩٢ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٩١٣، ١١/٣٠٢ – ٣٠٥ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٢/٣٩٤)

(٢) – طرفاه : **الأول:** في كتاب الوضوء، باب لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال، برقم ١٥٤، ١/٥٤ . **الثاني:** في كتاب الأشربة، باب التنفس في الإناء، برقم٥٦٣٠، ٦/٣١٣ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستنجاء باليمين، برقم٢٦٧، ١/٢٢٥ .

(٣) – كتاب الوضوء، باب لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال، برقم ١٥٤، ١/٥٤ .

رابعاً – فصاحة رسول الله ﷺ .

خامساً – من خصائص الدعوة الإسلامية : الشمول .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص السلف الصالح على تعليم أبنائهم :

في سند هذا الحديث ما يدل على حرص السلف الصالح على تعليم أبنائهم، فأَبو قَتَادَةَ رضي الله عنه، يحدث ابنه عَبْدَا الله [١]، بحديث رسول الله ﷺ، وهذا منهم لمعرفتهم بأهمية العلم ونشره، وأحق الناس به : هم الأقربون .

ثانياً - أهمية مراعاة شعور الآخرين :

إن مما ينبغي للداعية إلى الله تعالى، التحلي به والحرص عليه، حتى لا ينفر الناس منه، مراعاة شعورهم، وهذا الحديث يدل على هذا الأمر من جانبين :

الأول : الأمر بعدم التنفس في الإناء، إذ يقول كثير من العلماء -رحمهم الله-: النهي عن التنفس بالإناء، أي بداخله، أما إذا أبانه وتنفس فهي السنة [٢]، وهذا النهي للتأدب لإرادة المبالغة في النظافة، إذ قد يخرج مع النفس مخاط، أو بخار رديء فيكسبه رائحة كريهة، أو غيره مما يستقذر منه الآخرين [٣] .

الثاني : عدم الاستنجاء باليمين،إذا يقول بعض العلماء - رحمهم الله -: إن الأمر بعدم الاستنجاء باليمين، هو للتأدب وصيانتها عن الأقذار [٤]. فالمسلم يصافح

(١) – هو :عبدالله بن قتادة، أبو إبراهيم، البلخي، روى له الجماعة، مات سنة خمس وتسعين . (انظر: عمدة القاري، للعيني، ٢/٢٩٤) .

(٢) – صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب بنفسين أو ثلاثة، برقم٥٦٣١، ٦/٣١٤ .

(٣) – انظر: أعلام الحديث، للخطابي، ١/٢٤٤. وبهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١/١٥٤. وشرح النووي على صحيح مسلم، ٣/١٦٠. وإحكام الأحكام، لابن دقيق، ١/١٠٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢/١٩٩ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢/٧٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٣٠٥. وعمدة القاري، للعيني، ٢/٢٩٥ . وفتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين، ص٣٢٤ .

(٤) – انظر : معالم السنن، للخطابي، ١/١١ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٣٠٥ . وعمدة القاري، للعيني، =

باليمين، وعندما يُقدم الطعام والشراب فهو باليمن، إذن فالآخرون يطمئنون لنظافة يده ولا يتقذرون منها .

ثالثاً - من صفات الداعية : الحرص على التيامن :

إن في هذا الحديث، إشارة إلى صفة من صفات الداعية، وهي : الحرص على التيامن في شأنه كله مما له التكريم، وتجنيبها ما كان بضدِّ ذلك، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (هذه قاعدة مستمرة في الشرع، وهي أن ما كان من باب التكريم والتشريف، كلبس الثوب، والسراويل، والخف، ودخول المسجد، والسواك، والاكتحال،وتقليم الأظافر، وقص الشارب، وترجيل الشعر، وهو مشطه،ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغسل أعضاء الطهارة، والخروج من الخلاء، والأكل، والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأما ما كان بضده، كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والامتخاط، والاستنجاء، وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك، فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها) (١) .

رابعاً - فصاحة رسول الله ﷺ :

إن هذا الحديث فيه بيان لما كان عليه رسول الله ﷺ من الفصاحة والبيان بأخصر عبارة، إذ يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : إن هذا الحديث (فيه دليل على أن من الفصاحة: الاختصار، إلا إذا كان في الكلام ما يدل عليه،يؤخذ ذلك من قوله: « **وَلا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ** »، لأن مفهومه إذا شرب لا غير...، وفيه دليل على أن المعطوف يكون مثل المعطوف عليه في الوجوب أو غير ذلك، وهو أيضاً من

=

٢٩٦/٢ . وسبل السلام، للصنعاني، ١٦١/١ .

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٠/٣ . وانظر : معالم السنن، للخطابي، ١١/١ . وبهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١٥٤/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٩/٢ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٧٦/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٩٦/٢ .

الفصاحة، يؤخذ ذلك من أنه لما نهى أولاً، عطف ما بعده عليه، ولم يعد النهي) [١].

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الاقتداء برسول الله ﷺ، والاستفادة من بلاغته وفصاحته، ومنها الاختصار في الكلام وعدم الإطالة فيه، لغير حاجة .

خامساً - من خصائص الدعوة الإسلامية : الشمول :

إن هذا الحديث مما يدل على أن الدعوة الإسلامية شاملة لكل شؤون الحياة وموضوعاتها، فكما أنها جاءت بتعاليم تتعلق بأصول الدين كالتوحيد وبيان أسماء الله وصفاته ﷻ، جاءت أيضاً بالآداب العامة والخاصة، كما في هذا الحديث، من الإشارة إلى بعض آداب قضاء الحاجة، وشرب الماء .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، أن تشمل دعوتهم جميع شؤون الحياة، وكل ما يتعلق بحياة الإنسان، مع مراعاة الأوليات في ذلك من الاهتمام والبيان .

---

(١) - بهجة النفوس، ١/١٥٥ .

٢٠ - باب الاستنجاء بالحجارة

١٢٧ - ١٥٥ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَكِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَمْرٍو الْمَكِّيُّ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: اتَّبَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ فَكَانَ لا يَلْتَفِتُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقَالَ : « **ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا - أَوْ نَحْوَهُ - وَلا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلا رَوْثٍ** » فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ بِطَرَفِ ثِيَابِي، فَوَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا قَضَى أَتْبَعَهُ بِهِنَّ [(١)] .

وفي رواية : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا فَقَالَ : « **مَنْ هَذَا** » فَقَالَ : أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ : « **ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا وَلا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلا بِرَوْثَةٍ** » فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ فَقُلْتُ : مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ ؟ قَالَ :« **هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَنِعْمَ الْجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللهَ لَهُمْ أَنْ لا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلا بِرَوْثَةٍ، إِلا وَجَدُوا عَلَيْهَا طُعْمًا** » [(٢)] .

شرح غريب الحديث :

« **ابْغِنِي** » - أي : أعِنِّي على الابتغاء، وهو الطلب، أي : أوجد لي [(٣)] .

« **أَسْتَنْفِضْ** » - الاستنفاض : إزالة الأذى والاستنجاء، وأصل النفض : الحركة والإزالة، ونفضت الثوب : إذا أزلت غباره عنه [(٤)] .

« **نَصِيبِينَ** » - بلدة مشهورة بشمال الجزيرة، بين الموصل والشام [(٥)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

أولاً - حرص سلفنا الصالح على تعليم أولادهم .

ثانياً - حرص الصحابة ﷺ على ملازمة رسول الله ﷺ وخدمته .

---

(١) - طرفه : في في كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن، برقم ٣٨٦٠، ٢٩١/٤ .

(٢) - التخريج السابق .

(٣) - جامع الأصول، لابن الأثير، ١٤٤/٧ .

(٤) - انظر : المرجع السابق، ١٤٤/٧ .

(٥) - انظر :معجم البلدان، لياقوت الحموي، باب النون والصاد، ٢٣٣/٥ .وفتح الباري،لابن حجر،٢١٠/٧.

ثالثاً – من وسائل الدعوة: تمكين الداعية بعض تلاميذه من رؤية بعض تصرفاته الخاصة.

رابعاً – أهمية السؤال عما يُجهل .

خامساً – التحذير من الوقوع في الخطأ قبل وقوعه .

سادساً – من أصناف المدعوين الجن، وثناء الرسول ﷺ عليهم .

سابعاً – من صفات الداعية : حسن السمت .

ثامناً – من صفات الداعية : الحرص على النظافة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص سلفنا الصالح على تعليم أولادهم :

إن في سند هذا الحديث،ما يُؤكد على حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم، فسَعِيد بْن عَمْرٍو (١) . يحدث حفيده يحيى بن سعيد - رحمهما الله - (٢)، بحديث رسول الله ﷺ، وهذا منهم لمعرفتهم بأهمية العلم ونشره، وأحق الناس به : هم الأقربون .

ثانياً - حرص الصحابة ﷺ على ملازمة رسول الله ﷺ وخدمته :

إن هذا الحديث يبين مدى ما كان عليه الصحابة ﷺ، من الحرص الشديد على ملازمة رسول الله ﷺ، وخدمته ، فهذا الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ، يتبع رسول الله ﷺ، ويساعده ويخدمه بإحضار ما يحتاج من الأحجار للاستنجاء ، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : يؤخذ من هذا الحديث جواز اتباع السادات ، وإن لم يأمروا بذلك، والإعانة على إحضار ما يستنجى به وإعداده عنده، لئلا يحتاج إلى طلبها بعد الفراغ ، فلا يأمن التلوث (٣) .

فلذا ينبغي لطالب العلم، أن يحرص على ملازمة العلماء والأئمة الكبار، للاستفادة منهم، وخدمتهم .

---

(١) – هو : سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاصي بن أبي أحيحة، التابعي الثقة، روى عن ابن عباس ﷺما، وغيره، وعنه ابناه إسحاق وخالد . (انظر: عمدة القاري، للعيني، ٢٩٨/٢) .

(٢) – هو :يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاصي، أبو أمية، القرشي المكي الأموي، روى عن أبيه وجده، وروى له البخاري وابن ماجه . (انظر: عمدة القاري، للعيني، ٢٩٨/٢) .

(٣) – انظر:الكواكب الدراري، للكرماني،٢٠٢/٢.وفتح الباري، لابن حجر،٣٠٨/١.وعمدة القاري، للعيني،٣٠١/٢.

ثالثاً- من وسائل الدعوة: تمكين الداعية بعض تلاميذه من رؤية بعض تصرفاته الخاصة :

إن من الوسائل الدعوية التي يمكن أن يستخدمها الداعية إلى الله ﷻ، في بعض الموضوعات الخاصة، تمكين بعض المدعوين من رؤية بعض تصرفاته وما يُشرع ويُسن فيها، ليتعلم هو، ويعلم غيره.وهذا ما فعله رسول الله ﷺ، فمع حرصه الشديد على التستر والبعد عن الناس أثناء قضاء الحاجة، إلا أنه استصحب معه، أبا هريرة ﷺ، ليستعين به ويعلمه كيفية قضاء الحاجة، أي ليتعلم هو، ويُعلم غيره، بنقل ما شاهده لهم [(١)]، ولذا قال بعض العلماء - رحمهم الله- : إن هذا الحديث فيه بيان لمشروعية استخدام المتبوعين الأتباع[(٢)].

رابعاً - أهمية السؤال عما يُجهل :

إن السؤال له أهمية كبيرة، في رفع الجهل، وتحصيل العلم، فأبو هريرة ﷺ، في هذا الحديث لما جهل سبب طلب رسول الله ﷺ : الأحجار فقط، وتجنيبه العظم و الروثة، ليستنجي بها، سأله فقال: مَا بَالُ العَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ فترتب على هذا السؤال، بيان الحكمة في تركها وزيادة، عندما أجابه رسول الله ﷺ، بقوله:«**هُمَا مِنْ طَعَامِ الجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَنِعْمَ الجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ الله لَهُمْ أَنْ لا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلا بِرَوْثَةٍ، إلا وَجَدُوا عَلَيْهَا طُعمًا**»، فلذا قيل حسن السؤال نصف العلم [(٣)].

خامساً - التحذير من الوقوع في الخطأ قبل وقوعه :

لّما خشي رسول الله ﷺ، من أن يقع أبو هريرة ﷺ، في الخطأ، وهو أنه قد يُحضر عظماً أو روثة، نبهه عليه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله- عند شرحه لقوله ﷺ:« **لا تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلا بِرَوْثَةٍ** »، (كأنه ﷺ خشي أن يفهم أبو هريرة من قوله: «**استنجي**»، أن كل ما يزيل الأثر وينقي كاف، ولا اختصاص لذلك بالأحجار، فنبهه باقتصاره في النهي على العظم والروث على أن ما سواهما يجزئ) [(٤)] .

---

(١) - استفدت هذه الفائدة مشافهة، من فضيلة الشيخ / صالح بن غانم السدلان، حفظه الله .

(٢) - انظر:الكواكب الدراري، للكرماني،٢٠٢/٢.وفتح الباري،لابن حجر،٣٠٨/١.وعمدة القاري، للعيني، ٣٠١/٢.

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر ، ١٧٣/١ .

(٤) - المرجع السابق ، ٣٠٨/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٢٩٩/٢ . ونيل الأوطار، للشوكاني، ١٢٠/١، طبعة ١٩٧٣، ط دار الفكر، بيروت .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، عند خشيتهم على المدعوين من الوقوع في الخطأ، أن ينبهوهم عليه، ويحذروهم منه، حتى يجتنبوا الوقوع فيه .

سادساً – من أصناف المدعوين الجن، وثناء الرسول ﷺ عليهم :

إن من أصناف المدعوين الذين خاطبهم رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى الإسلام، ووفدوا عليه: الجن[١]،وذلك أنه(ثبت بالأدلة أن رسالة نبينا ﷺ، عامة للثقلين الإنس والجن قال الله ﷻ: ﴿ لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ﴾[٢]، والجن من عقلاء الأحياء، وقال تعالى:﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾[٣]، ويقول تعالى:﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[٤]. والجن من العالمين، وقال ﷻ:﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾[٥]والجن ممن بلغتهم رسالة نبينا محمد ﷺ)[٦].

أما السؤال عن الجن : هل هم من المدعوين الذين يتوجه لهم الدعاة إلى الله ﷻ من الإنس ، بالدعوة إلى الله ﷻ ؟ فالجواب عنه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– بعد أن ذكر الأدلة على تلبس الجن بالأنس، وأنه قد يقع منهم بعض الأذى لبعض الناس، قال:(والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الإنس ؛ أخبروا بحكم الله ورسوله ﷺ ، وأقيمت عليهم الحجة،وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر،كما يفعل بالإنس؛ لأن الله ﷻ يقول:﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [٧].وقال تعالى:﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ [٨]، ولهذا نهى رسول الله

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢٠٩/٧، ٢١٠ .

(٢) – سورة يس ، الآية : ٧٠ .

(٣) – سورة ص~ ، الآية : ٨٧ .

(٤) – سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٥) – سورة الأنعام ، الآية : ١٩ .

(٦) – فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ، جمع وترتيب : الشيخ/ أحمد عبدالرزاق الدويش ، ٢٥٨/٣ ، الطبعة الأولى١٤١١هـ .

(٧) – سورة الإسراء ، الآية : ١٥ .

(٨) – سورة الأنعام ، الآية : ١٣٠ .

عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثاً، كما في صحيح مسلم وغيره، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ** »(١)(٢).

كما ينبغي للدعاة إلى الله تعالى تحذير المسلمين من الاستنجاء بالعظم أو الروثة،لأنها من طعام الجن كما قال رسول الله ﷺ، وهذا من باب الإحسان إليهم، وكسب قلوبهم.

سابعاً - من صفات الداعية : حسن السمت :

إن في قول أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ : إنه (كَانَ لا يَلْتَفِتُ)، بياناً لصفة من صفات رسول الله ﷺ، وهي حسن السمت في مشيه، يقول العلامة العيني - رحمه الله - عند شرحه لهذه الجملة من الحديث : (أي فكان النبي ﷺ، إذا مشى لا يلتفت وراءه، وكان هذا عادة مشيه عليه الصلاة والسلام) (٣) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى، الاقتداء برسول الله ﷺ، في حسن سمته أثناء المشي، فكثرة الحركة والالتفات من غير حاجة، مظهر ينافي الوقار وكمال العقل، بل هو من حركات خفاف العقول وسماتهم .

ثامناً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة :

إن هذا الحديث يبين ما كان عليه رسول الله ﷺ، من الحرص على النظافة والطهارة، فهو إذا دخل الخلاء وقضى حاجته استنجى بالأحجار، بل ويستعد لذلك حتى لا يضطر للحركة، فلا يأمن التلوث (٤) .

إذن فمن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله تعالى، اقتداءً برسول الله ﷺ، الحرص على النظافة .

---

(١) - صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب قتل الحيات وغيرها ، برقم٢٢٣٦ ، ١٧٥٦/٤ .

(٢) - مجموع الفتاوى ، ٤٢/١٩،٤٣ .

(٣) - عمدة القاري، ٢٩٩/٢ .

(٤) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢٠٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٠١/٢ .

٢١ - باب لا يستنجي بروث

١٢٨ - ١٥٦ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: لَيْسَ أَبُو عُبَيْدَةَ ذَكَرَهُ وَلَكِنْ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ الأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَا للهِ يَقُولُ : أَتَى النَّبِيُّ ﷺ الغَائِطَ، فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلاثَةِ أَحْجَارٍ، فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ، وَالتَمَسْتُ الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَأَخَذَ الحَجَرَيْنِ وَأَلقَى الرَّوْثَةَ، وَقَالَ: « هَذَا رِكْسٌ»، وَقَالَ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي عَبْدُالرَّحْمَنِ .

شرح غريب الحديث :

« رِكْسٌ » - أي : نجس، وقيل : هو اسم طعام الجن (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم .

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة .

ثالثاً - أهمية المبادرة إلى إنكار المنكر .

رابعاً-من وسائل الدعوة:تمكين الداعية بعض تلاميذه من رؤية بعض تصرفاته الخاصة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم :

إن في سند هذا الحديث، ما يُؤكد على حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم، فالأسود بن يزيد (٢)، يحدث ابنه عبد الرحمن (٣) - رحمهما الله - بهذا الحديث عن رسول

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٣١٠ .

(٢) - هو :الأسود بن يزيد بن قيس الكوفي النخعي، أدرك زمن النبي ﷺ، ولم يره، روى له الجماعة، مات سنة خمس وسبعين . (انظر : عمدة القاري، للعيني، ٢/٢٠٢) .

(٣) - هو :عبد الرحمن بن الأسود، أبو حفص النخعي، كوفي عالم عامل، روى عن أبيه وعائشة ، وروى =

ا لله ﷺ، وهذا منهم لمعرفتهم بأهمية العلم ونشره، وأن أحق الناس به : هم الأقربون.

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة :

إن هذا الحديث يبين ما كان عليه رسول ا لله ﷺ، من الحرص على النظافة والطهارة، فهو إذا دخل الخلاء وقضى حاجته استنجى بالأحجار، بل ويستعد لذلك حتى لا يضطر للحركة، فلا يأمن التلوث، وهذا يظهر من أمره لعَبْدِ ا لله بن مسعود ﷺ، أن يأتيه بثلاثة أحجار ، وقيل إن اشتراطه ﷺ، الثلاثة أحجار من باب الاحتياط للإنقاء(١).

إذن فمن الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى ا لله ﷻ، اقتداءً برسول ا لله ﷺ، الحرص على النظافة .

ثالثاً - أهمية المبادرة إلى إنكار المنكر :

إن في قول رسول ا لله ﷺ، لابن مسعود ﷺ، لما جاءه بالروثة : « **هَذَا رِكْسٌ**»، إنكاراً له، أي كأنه يقول له : هذا رد عليك (٢) . وهذا منه ﷺ، مبادرة بإنكار المنكرات فور وقوعها، فترتب على هذا القول بحرمة استعمالها (٣) .

ومن هنا نقول : إنه ينبغي على الدعاة إلى ا لله ﷻ، إنكار جميع المنكرات، ومنها ما يتعلق بالاستنجاء والطهارة، فور وقوعها حتى لا يظن ظانٌّ بجوازها .

=

عنه الأعمش . (انظر : عمدة القاري، للعيني، ٣٠٢/٢) .

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢٠٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠٩/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٠٤/٢ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣١٠/١ .

(٣) - انظر : معالم السنن، للخطابي، ١١/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٢٠٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٠١/٢، ٣٠٤ .

رابعاً- من وسائل الدعوة: تمكين الداعية بعض تلاميذه من رؤية بعض تصرفاته الخاصة:

فكما قيل في الحديث السابق [١] . من أن الداعية يمكن بعض تلاميذه من رؤية بعض تصرفاته الخاصة، ليتعلم التلميذ، ويُعلم الآخرين بنقل ما رأى وشاهد، نجد هنا أن رسول الله ﷺ، يمكن ابن مسعود رضي الله عنه، من ذلك .

(١) - انظر : ص٦٩١ ، من هذا البحث .

٢٢ - باب الوضوء مرة مرة

١٢٩ - ١٥٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : تَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ، مَرَّةً مَرَّةً .

٢٣ - باب الوضوء مرتين مرتين

١٣٠ - ١٥٨ - حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عِيسَى قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

أولاً – حرص الصحابة ﷺ على ملازمة رسول الله ﷺ ونقل أخباره وأحواله.

ثانياً –أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثالثاً – من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص الصحابة ﷺ، على ملازمة رسول الله ﷺ ونقل أخباره وأحواله :

إن في هذين الحديثين بياناً لما كان عليه الصحابة ﷺ، من الحرص الشديد على ملازمة رسول الله ﷺ، ونقل أخباره للأمة، فلما توضأ رسول الله ﷺ، مرة مرة، كان من الصحابة ﷺ، من يراه، فنقل إلينا الخبر، ولما توضأ مرتين مرتين، كان من الصحابة ﷺ، من يراه، فنقل إلينا الخبر، ولما توضأ ثلاث مرات (١)، كان هناك من يراه، فنقل إلينا الخبر .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، الاقتداء بالصحابة ﷺ، في حرصهم على السنة

---

(١) – انظر : صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، برقم ١٥٩، ١/٥٥ .

وحفظها، ونشرها بين الناس، وتعليمهم إياها .

ثانياً - أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن هذين الحديثين وصف لفعل رسول الله ﷺ، أي أن هذا نُقل من فعله، لا من قوله، وهذا مما يبين لنا أهمية كون الداعية إلى الله ﷻ، قدوة صالحة للمدعوين، فهو يدعو إلى الله بفعله، كما أنه يدعو إليه بقوله .

ثالثاً - من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير :

إن في فعل رسول الله ﷺ، في هذين الحديثين، بياناً لخصيصة من خصائص هذا الدين، وهي التيسير، وعدم المشقة على المسلمين، ففعل رسول الله ﷺ هذا مرة، وذاك مرة، من باب بيان الجواز، وإلا فالأفضل هو الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ولذا لما سئل الإمام مالك - رحمه الله - عن الوضوء مرة واحدة ؟ قال تجوز، ولكن لا أحب الواحدة إلا من العالم (١) . لذا فيحتمل اختلاف الأحاديث في ذلك أنه لبيان أن السنن مبناها التخفيف (٢) .

---

(١) - نقلاً عن :عارضة الأحوذي، لابن العربي، ٧١/١ . وانظر: إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٥/١ .

(٢) - انظر : المرجع السابق، ١٤/٢ .

٢٤ - باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً

١٣١ - ١٥٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُالعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الله الأُوَيْسِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَزِيدَ أَخْبَرَهُ أَنَّ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلاثَ مِرَارٍ، فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلاثَ مِرَارٍ إِلَى الكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » (١) .

وفي رواية :.. فَلَمَّا تَوَضَّأَ عُثْمَانُ قَالَ: ألا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا لَوْلا آيَةٌ مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **لا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ يُحْسِنُ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّي الصَّلاةَ إِلا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاةِ حَتَّى يُصَلِّيَهَا** » قَالَ عُرْوَةُ : الآيَةَ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ (٢) . (٣)

وفي رواية :.. أَنَّ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ أَخْبَرَهُ قَالَ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِطَهُورٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى المَقَاعِدِ، فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا المَجْلِسِ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ : « **مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » قَالَ : وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

---

(١) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، برقم ١٦٠، ٥٥/١ . **الثاني:** في كتاب الوضوء، باب المضمضة في الوضوء، برقم١٦٤، ٥٦/١ . **الثالث** : في كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، برقم١٩٣٤، ٢٢٣/٧ . **الرابع** : في كتاب الرقاق، باب برقم ٨، رقم الحديث ٦٤٣٣، ٢٢٣/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، برقم٢٢٦، ٢٠٤/١ .

(٢) - سورة البقرة، الآية : ١٥٩ .

(٣) - كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، برقم ١٦٠، ٥٥/١ .

« لا تَغْتَرُّوا » (١) .

شرح غريب الحديث :

(المَقَاعِدِ) - قيل : هي دكاكين عند دار عثمان ﷺ، وقيل : درج، وقيل: موضع بقرب المسجد اتخذه للقعود فيه لقضاء حوائج الناس،والوضوء ونحو ذلك (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من وسائل الدعوة إلى الله : التطبيق العملي للموضوع .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : تعليم الناس كيفية الوضوء .

ثالثاً – من أساليب الدعوة : الترغيب في العمل والإخلاص فيه .

رابعاً – حرص الصحابة ﷺ على الدعوة والتبليغ .

خامساً – الترهيب من كتم العلم .

سادساً – الحث على إحسان العمل وإتقانه .

سابعاً – التحذير من الغرور والاتكال على العمل .

ثامناً – من صفات الداعية : التواضع .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من وسائل الدعوة إلى الله : التطبيق العملي للموضوع :

إن هذا الحديث تعليم بالفعل، والتعليم بالفعل أسهل في الإيضاح، فرسول الله ﷺ، يُعلم أصحابه ﷺ، كيفية الوضوء بتطبيقه أمام أعينهم، إذ يقول أمير المؤمنين

---

(١) – كتاب الرقاق ، رقم الباب ٨ ، رقم الحديث ٦٤٣٣، ٢٢٣/٧ .

(٢) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١١٤/٣ . وانظر : المفهم، للقرطبي، ٤٨١/١ .

عثمان بن عفان ﷺ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا المَجْلِسِ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ : « **مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا** .. »، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، اقتدى برسول الله ﷺ وعلم الناس الوضوء بتطبيقه أمام أعينهم، حتى يعرف الجميع كيفيته، والسنة فيه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفي الحديث التعليم بالفعل لكونه أبلغ وأضبط للمتعلم) [(١)] . ويقول الشيخ / ابن عثيمين -حفظه الله-: (فيه - أي هذا الحديث - دليل على أن من طرق التعليم، التعليم بالفعل، وعند المتأخرين يسمونه وسيلة إيضاح، لأنه أبلغ من القول) [(٢)] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على هذه الوسيلة الدعوية المهمة، لسهولتها، وكونها أبلغ من القول، وخاصة في الأمور العملية التفصيلية، كالوضوء، والصلاة .

ثانياً - من موضوعات الدعوة : تعليم الناس كيفية الوضوء :

إن من الموضوعات التي ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، طرحها والحديث عنها : الوضوء وكيفيته، وذلك لأهميته الكبيرة، فالصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام، لا تقبل إلا به، إذا يقول النبي ﷺ : « **لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ** » [(٣)] . وكذلك الحديث عن الوضوء، فيه اقتداء برسول الله ﷺ، وصحابته ﷺ، وذلك في موضوعاتهم التي يعلمونها الناس، ويدعونهم إليها .

ثالثاً - من أساليب الدعوة : الترغيب في العمل والإخلاص فيه :

إن قول رسول الله ﷺ : « **مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** »، فيه أسلوب ترغيب بغفران الذنوب لمن أحسن الوضوء، وصلى لله ﷻ، ركعتين خالصتين له، يقول العلامة العيني -رحمه

---

(١) - فتح الباري، ١/٣١٣ .

(٢) - فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ص١٦٠ .

(٣) - صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور، برقم١٣٥، ١/٤٩ .

الله - : (الثواب الموعود به مرتب على أمرين، **الأول** : وضوؤه على النحو المذكور، **والثاني** : صلاته ركعتين عقيبه بالوضوء المذكور في الحديث) [١]. وهذان الأمران يتوقف قبولهما وترتب الأجر عليهما بالإخلاص فيهما، إذ يقول العلامة العيني -رحمه الله-: (فيه - أي هذا الحديث - أن الإخلاص لله ﷻ في العبادة وترك الشغل بأسباب الدنيا،يوجب من الله عليه الغفران ويتقبلها من عبده)[٢] .

رابعاً - حرص الصحابة ﷺ على الدعوة والتبليغ :

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ، من أشد الناس حرصاً على الدعوة وتبليغ هذا الدين، وفي هذا الحديث نجد الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ، على مكانته العظيمة بين الناس بكونه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، وانشغاله بتدبير شؤونهم، إلا أنه يعلم الناس السنن، ويشرحها لهم بالتطبيق والتمثيل، يقول الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله -: إن في هذا الحديث من الفوائد، (حرص الصحابة ﷺ، على نشر السنة بين الناس بالقول والفعل) [٣] .

إذن فليكن الداعية إلى الله ﷻ، حريصاً على نشر سنة رسول الله ﷺ، والدعوة إليها، مقتدياً في ذلك بالصحابة ﷺ، الذين ضربوا في ذلك أعظم الصور وأعلاها .

خامساً - الترهيب من كتم العلم :

إن قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [٤] . فيه ترهيب من كتم

---

(١) - عمدة القاري، ١١/٣ . وانظر : إرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٤٦/١ .

(٢) - عمدة القاري ، ١٣/٣ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١١٦/٣ .

(٣) - فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ص١٦٠ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١١١/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣١٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣/٣ .

(٤) - سورة البقرة، الآية : ١٥٩ .

العلم، وعدم نشره، مما دفع الصحابة ﷺ، على تبليغ ما سمعوه من علم عن رسول الله ﷺ، وتعليم الناس إياه، فهذا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، يقول : (ألا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا لَوْلا آيَةٌ مَا حَدَّثْتُكُمُوهُ)، يقول بعض العلماء - رحمهم الله -: ومراد عثمان رضي الله عنه، أن هذه الآية تحرض على التبليغ، وتتوعد من كتمه باللعنة، وهي وإن نزلت في أهل الكتاب، ولكن العبرة بعموم اللفظ، وإنما كان عثمان رضي الله عنه يرى ترك تبليغهم ذلك، لولا الآية المذكورة، خشية عليهم من الاغترار [(١)] .

سادساً - الحث على إحسان العمل وإتقانه :

إن هذا الحديث فيه حثٌّ على إحسان العمل وإتقانه، فالوضوء والصلاة من الأعمال المكلف العبد بفعلها والإتيان بها، فلذا من أتقنها وجاء بها على الصورة المذكورة في الحديث كان له من الأجر أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه [(٢)]، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث : الحث على الاعتناء بتعلم آداب الوضوء وشروطه، والعمل بذلك والاحتياط فيه، والحرص على أن يتوضأ على وجه يصح عند جميع العلماء، ولا يترخص بالاختلاف، فينبغي أن يحرص على التسمية، والنية، والمضمضة، والاستنشاق، والاستنثار، واستيعاب مسح الرأس، ومسح الأذنين، ودلك الأعضاء، والتتابع في الوضوء، وترتيبه، وغير ذلك من المختلف فيه) [(٣)] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الاهتمام بإتقان العمل، والإتيان به على أكمل وجه، فالله ﷻ، كما جاء في الحديث : يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه [(٤)].

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣١٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣/٣ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٤٦/١ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣١٨/١ .

(٢) - انظر : عمدة القاري، للعيني ، ١١/٣ .

(٣) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١١١/٣ . وانظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢١٠/٢ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٤٦/١

(٤) - انظر : الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للسيوطي، برقم١٨٦١ . (وقال عنه الألباني :
=

سابعاً - التحذير من الغرور والاتكال على العمل :

إن هذا الحديث فيه تحذير من الاتكال على العمل والاغترار به، إذا يقول ﷺ: « لا تَغْتَرُّوا »، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وحاصله لا تحملوا الغفران على عمومه في جميع الذنوب، فتسترسلوا في الذنوب، اتكالاً على غفرانها بالصلاة، فإن الصلاة التي تكفر الذنوب هي المقبولة، ولا اطلاع لأحد عليه، وظهر لي جواب آخر وهو أن المكفر بالصلاة هي الصغائر، فلا تغتروا، فتعملوا الكبيرة بناء على تكفير الذنوب بالصلاة، فإنه خاص بالصغائر، أو لاتستكثروا من الصغائر، فإنها بالإصرار تعطى حكم الكبيرة، فلا يكفرها ما يكفر الصغيرة، أو أن ذلك خاص بأهل الطاعة، فلا يناله من هو مرتكب للمعصية) [1] .

ثامناً - من صفات الداعية : التواضع :

إن مما يستفاد من هذا الحديث، مدى ما كان عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، من التواضع الجمّ، فقد كان رضي الله عنه، يجلس في المكان المُعدّ - المقاعد - لتعليم الناس وقضاء حوائجهم بجوار المسجد [2]، وعن هذا يقول الشيخ/ ابن عثيمين - حفظه الله- : (فيه تواضع الخلفاء الراشدين، وحرصهم على تعليم العلم) [3] .

إذن فليحرص الداعية إلى الله تبارك وتعالى، على هذه الصفة الكريمة، والخصلة الحميدة، فبها يَختلط بالناس، ويُحبونه، ويُعلمهم دينهم، ويتقبلون منه .

= صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم١١١٣، ١٠٦/٣) .

(١) - فتح الباري، ٢٥٦/١١ .

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١١٤/٣ . وانظر : المفهم، للقرطبي، ٤٨١/١ .

(٣) - فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ص١٦١ .

٢٥ - باب الاستنثار في الوضوء

١٣٢ - ١٦١ - حَدَّثَنا عَبْدَانُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الله قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « **مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ، وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ** » (١) .

وفي رواية : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « **إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ، ثُمَّ لِيَنْثُرْ، وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – مشروعية أخذ الحيطة في الأمور الشرعية .

ثانياً – من صفات الداعية : الحرص على النظافة .

ثالثاً – من خصائص الدعوة الإسلامية : الشمول .

رابعاً – من أدب الداعية : الكناية عما يستحى منه.

خامساً – أهمية ربط الأحكام بعللها في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - مشروعية أخذ الحيطة في الأمور الشرعية :

إن مما يُستفاد من هذا الحديث : مشروعية أخذ الحيطة في الأمور الشرعية، وذلك أن رسول الله ﷺ، علل الحكم الذي في الحديث بقوله : « **فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي أَيْنَ**

---

(١) – طرفه : في في كتاب الوضوء، باب الاستجمار وتراً، برقم ١٦٢، ٥٦/١ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار، برقم٢٣٧، ٢١٢/١ .

(٢) – كتاب الوضوء، باب الاستجمار وتراً، برقم ١٦٢، ٥٦/١ .

بَاتَتْ يَدُهُ »، أي : أن الإنسان يحتاط لذلك، فإنه لا يدري ماذا يكون على يده [١] .

يقول الإمام الخطابي - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث من العلم، أن الأخذ بالوثيقة، والعمل بالاحتياط في باب العبادات أولى) [٢] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى، الحرص على أخذ الحيطة في الأمور التي لها صلة بالشرع، وخاصة أنه محل نظر المدعوين وقدوتهم .

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة :

إن هذا الحديث فيه حثٌّ على النظافة، إذ يقول ﷺ : « **إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ** »، أي: أنه ينظف يده قبل إدخالها في الإناء، حتى ولو لم يرَ شيئاً بها، لاحتمال الشك في ذلك ، هذا بالإضافة إلى الأمر بالوضوء، والاستنثار فيه، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله -: (المراد بالاستنثار في الوضوء: التنظيف، لما فيه من المعونة على القراءة، لأن بتنقية مجرى النفس تصح مخارج الحروف، ويزاد للمستيقظ بأن ذلك لطرد الشيطان) [٣] .

لذا فليحرص الداعية إلى الله تعالى، على الاتصاف بالنظافة، والتحلي بها، لما يترتب عليها من النشاط على العبادة وغيرها، وطرد للشيطان والكسل .

ثالثاً - من خصائص الدعوة الإسلامية : الشمول :

هذا الحديث فيه دليل على خصيصة من خصائص هذا الدين العظيم، وهي : الشمول، يقول عن ذلك الشيخ / ابن عثيمين - حفظه الله - : (في الحديث دليل على شمول الشريعة، وإنها كما تكون في العبادات العظيمة الكبيرة التي هي دعائم

---

(١) - انظر : فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ص١٧٣ .

(٢) - معالم السنن، ٤٢/١ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣١٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٩/٣ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٤٨/١ .

(٣) - فتح الباري، ٣١٦/١ . وانظر : عارضة الأحوذي، لابن العربي، ٥٧/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٤/٣ .

الإسلام، تكون في غيرها) (١) .

فلذا ينبغي أن يظهر في دعوة كل داعية إلى الله ﷻ، هذه الخصيصة العظيمة لدينهم الذي يدعون الناس إليه .

رابعاً - من أدب الداعية : الكناية عما يستحى منه :

إن قول رسول الله ﷺ : « **فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ** »، فيه فائدة دعوية، وهي عدم التصريح ببعض الألفاظ التي يستحى منها لغير حاجة، والكناية عنها، يقول الإمام الكرماني - رحمه الله - : (وفيه - أي هذا الحديث - استحباب استعمال ألفاظ الكنايات، فيما يتحاشى من التصريح به، فإنه ﷺ قال:« **لا يدري** »، ولم يقل : فلعل يده وقعت على دبره، وهذا إذا علم أن السامع يفهم المقصود منها، وإلا فلا بد من التصريح به لينتفي اللبس، والوقوع في خلاف المطلوب) (٢) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يكني عن الألفاظ التي يستحى منها، ولكن إذا دعت الحاجة إلى التصريح ، فلا حرج عليه إذن، بل هو من الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ .

خامساً - أهمية ربط الأحكام بعللها في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن الداعية إلى الله ﷻ، عندما يربط الأحكام الشرعية بعللها، فإن ذلك أدعى لقبولها وفهمها، ورسول الله ﷺ في هذا الحديث يقول : « **إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ** » وعلل ذلك بقوله : « **فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ** »، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (أي لا يدري ماذا يكون على يده) (٣) .

---

(١) - فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ص١٧٤ .

(٢) - الكواكب الدراري، ٢/٢١٤ . وانظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٣١٨ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٢٠ .

(٣) - نقلاً عن : فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين، ص١٧٣ .

٢٩ - باب غسل الأعقاب

١٣٣ - ١٦٥ - حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ - وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا وَالنَّاسُ يَتَوَضَّؤُونَ مِنَ الْمِطْهَرَةِ - قَالَ: أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ، فَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ قَالَ : « **وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** » (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص الصحابة ﭫ على التأسي برسول الله ﷺ .

ثانياً – أهمية تفقد المدعوين في أماكنهم لتصحيح أخطائهم والإنكار عليهم .

ثالثاً – أسلوب الترهيب .

رابعاً – الإنكار والاحتساب على من أخطأ في وضوئه .

خامساً – أهمية ربط الأحكام بأدلتها الشرعية.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص الصحابة ﭫ على التأسي برسول الله ﷺ :

إن الصحابي الجليل أبا هريرة ﭬ، بتفقده الناس، لتعليمهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، يقتدي في ذلك برسول الله ﷺ، حيث جاء في رواية الإمام مسلم - رحمه الله - : عن أبي هريرة ﭬ، أن النبي ﷺ، رأى رجلاً لم يغسل عقبيه، فقال: « **وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** » (٢) .

وهذا مما يدل على حرص الصحابة ﭫ، على التأسي برسولهم ﷺ، في عبادته، ودعوته، وجميع شؤونه .

---

(١) – **وأخرجه** :الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بتمامهما، برقم٢٤٢، ٢١٤/١.

(٢) – كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بتمامهما، برقم٢٤٢، ٢١٤/١ .

ثانياً - أهمية تفقد المدعوين في أماكنهم لتصحيح أخطائهم والإنكار عليهم :

لقد كان الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ، يمرُّ على الناس في أمكانهم، فيأمرهم بالمعروف، وينكر عليهم إذا وقعوا في الخطأ، إذ يظهر من هذا الحديث أنه كان يذهب إلى الناس وهم يَتَوَضَّؤُونَ مِنَ المِطْهَرَةِ - فيقول : (أَسْبِغُوا الوُضُوءَ، فَإِنَّ أَبَا القَاسِمِ ﷺ قَالَ : « **وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** »)، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (كأنه ﷺ، رأى منهم تقصيراً وخشي عليهم) (١) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الحرص على المدعوين، بتفقدهم والاعتناء بهم، فيُساعد الضعيف، ويُعلم الجاهل، ويُنكر المنكر ويأمر بالمعروف ..، وذلك اقتداءً برسول الله ﷺ **أولاً**، ثم بصحابته ﷺ **ثانياً** .

ثالثاً - أسلوب الترهيب :

إن قول رسول الله ﷺ : « **وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** »، فيه ترهيب من ترك الأعقاب في الوضوء، وأن جزاءها النار إذا لم تُغسل، يقول العلامة العيني - رحمه الله- إن النبي ﷺ بقوله : (« **وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** »، أراد التغليظ في إسباغ الوضوء، وهو التكميل والإتمام والسبوغ الشمول) (٢) .

لأن من آمن بالله ورسوله ﷺ، وآمن بالجنة والنار، والثواب والعقاب، إذا رهبته مما يخاف منه يكون ذلك دافعاً له على الاستجابة والمبادرة للعمل بما أُمر به، أو الإقلاع عما نهي عنه .

رابعاً - الإنكار والاحتساب على من أخطأ في وضوئه :

إن من موضوعات الدعوة ومجالات الاحتساب، العبادات، ومنها الوضوء .
فرسول الله ﷺ أنكر على أصحابه ﷺ لما رأى بعضهم لا يسبغ الوضوء فقال لهم :

---

(١) - فتح الباري، ٣٢١/١ .
(٢) - عمدة القاري، ١٠/٢ .

« **ويل للأعقاب من النار** » مرتين أو ثلاثاً . وفي ذلك يقول الإمام الكرماني -رحمه الله- : (وفيه من الفقه - المتعلق بالدعوة والاحتساب - أن للعالم أن ينكر ما رآه من التضييع للفرائض والسنن وأن يغلظ القول في ذلك) [١] .

إذن فموضوعات الداعية ومجالات احتسابه تشمل جميع قضايا الدين وجزئياته، وأنها لا تنحصر في جزء يسير أو قضايا محددة، بل تسع كل ما يتعلق بالعقيدة والعبادات، والنظم والتشريعات، والأخلاق والسلوكيات .

خامساً - أهمية ربط الأحكام بأدلتها الشرعية :

إن من الفقه الدعوي الذي يُستفاد من هذا الحديث، هو ربط الحكم بدليله، ليكون أوقع في نفس السامع، وأدعى لقبوله، فأبو هريرة ﷺ، لما قال : (أَسْبِغُوا الوُضُوءَ)، عقبه بقوله : (فَإِنَّ أَبَا القَاسِمِ ﷺ قَالَ: « **وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** »)، وعن هذا يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفيه أن العالم يستدل على ما يفتي به ليكون أوقع في نفس سامعه) [٢] .

---

(١) - الكواكب الدراري، ٢/٨ . وانظر : عمدة القاري للعيني، ٢/١٠ .

(٢) - فتح الباري، ١/٣٢١ .

٣٠ - باب غسل الرجلين في النعلين، ولا يمسح على النعلين

١٣٤ - ١٦٦ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا، قَالَ : وَمَا هِيَ يَا ابْنَ جُرَيْجٍ ؟ قَالَ : رَأَيْتُكَ لا تَمَسُّ مِنَ الأَرْكَانِ إِلا الْيَمَانِيَّيْنِ، وَرَأَيْتُكَ تَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ، وَرَأَيْتُكَ تَصْبُغُ بِالصُّفْرَةِ، وَرَأَيْتُكَ إِذَا كُنْتَ بِمَكَّةَ أَهَلَّ النَّاسُ إِذَا رَأَوُا الْهِلالَ، وَلَمْ تُهِلَّ أَنْتَ حَتَّى كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ : أَمَّا الأَرْكَانُ فَإِنِّي لَمْ أَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمَسُّ إِلا الْيَمَانِيَّيْنِ، وَأَمَّا النِّعَالُ السِّبْتِيَّةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَلْبَسُ النَّعْلَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعَرٌ وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا، وَأَمَّا الصُّفْرَةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْبُغُ بِهَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَصْبُغَ بِهَا، وَأَمَّا الإِهْلالُ فَإِنِّي لَمْ أَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُهِلُّ حَتَّى تَنْبَعِثَ بِهِ رَاحِلَتُهُ (١) .

وفي رواية :.. قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَرْكَبُ رَاحِلَتَهُ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ يُهِلُّ حَتَّى تَسْتَوِيَ بِهِ قَائِمَةً (٢) .

وفي رواية : عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَدْخَلَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ وَاسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ قَائِمَةً، أَهَلَّ مِنْ عِنْدِ مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ (٣) .

---

(١) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الحج، باب قوله تعالى :{ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر .. }، برقم١٥١٤، ١٧١/٢ . **الثاني:** في كتاب الحج، باب من أهل حين استوت به راحلته، برقم١٥٥٢، ١٨١/٢ . **الثالث** : في كتاب الحج، باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانين، برقم١٦٠٩، ١٩٧/٢ . **الرابع** : في كتاب الجهاد والسير، باب الركاب والغرز للدابة، برقم٢٨٦٥، ٢٨٩/٣ . **الخامس** : في كتاب اللباس، باب النعال السبتية وغيرها، برقم٥٨٥١، ٦٢/٧

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحج، باب الإهلال من حيث تنبعث الراحلة، برقم١١٨٧، ٨٤٤/٢ .

(٢) - كتاب الحج، باب قوله تعالى :{ يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر .. }، برقم١٥١٤، ١٧١/٢ .

(٣) - كتاب الجهاد والسير، باب الركاب والغرز للدابة، برقم٢٨٦٥، ٢٨٩/٣ .

شرح غريب الحديث :

(النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ) - منسوبة إلى السِّبْتِ، والسِّبْتُ جلود البقر المدبوغة بالقرظ، تتخذ منها النعال (١) .

(الغَرْزِ) - الغرز للرحل بمنزلة الرِّكاب من السَّرج (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

ثالثاً – حرص الصحابة ﵃ على الاقتداء برسول الله ﷺ ومتابعته .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية القدوة في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن هذا الحديث يدل على أن الداعية إلى الله ﷻ، محل نظر الناس، وقدوتهم، فهم يراقبونه، ويصنعون كما يصنع، فعُبَيْد بْن جُرَيْجٍ – رحمه الله – لما رأى ابن عمر ﵄، يصنع بعض الأمور في الحج سأله فقال : (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا ..)، إذن فابن عمر ﵄، الداعية إلى الله ﷻ، كان يدعو إلى السنة بفعله قبل قوله، أي أنه كان قدوة صالحة للناس.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فابن عمر ﵄، بيَّن لابن جريج – رحمه الله – أنه في فعله هذا كان يقتدي برسول الله ﷺ، إذ قال : (أَمَّا الأَرْكَانُ فَإِنِّي لَمْ أَرَ رَسُولَ الله ﷺ يَمَسُّ إلا اليَمَانِيِّينِ، وَأَمَّا النِّعَالُ السِّبْتِيَّةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ

---

(١) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٨٩ .

(٢) – المرجع السابق، ص٤٠٠ .

يَلْبَسُ النَّعْلَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعَرٌ وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلبَسَهَا، وَأَمَّا الصُّفْرَةُ فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْبُغُ بِهَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَصْبُغَ بِهَا، وَأَمَّا الإهْلالُ فَإِنِّي لم أَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُهِلُّ حَتَّى تَنْبَعِثَ بِهِ رَاحِلَتُهُ) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى، أن يحرص على الدعوة إلى الله عز وجل، بفعله كما أنه داعية إليه بقوله، وأن يكون للناس قدوة صالحة .

ثانياً - أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

إن سؤال طالب العلم لشيخه، عمّا يُشكل عليه، له أهمية كبيرة، فبه يظهر العلم، ويرتفع الجهل الذي هو سبب الإشكال، فابن جريج - رحمه الله - لما أشكل عليه فعل ابن عمر رضي الله عنهما، سأله بقوله : (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لم أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا ..)، ومن سؤاله هذا نخرج بمجموعة من آداب طالب العلم، وهي :

١- التودد إلى العالم، بمناداته بكنيته، إذ قال له : (يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ) .

٢- حسن السؤال وعرضه، إذ لم يقل له : الجماعة أعلم بالسنة منك، أو لعلك وهمت بفعلك [(١)]، بل عرضه بصيغة الجاهل المستفسر، ولذا قيل : حسن السؤال نصف العلم [(٢)] .

٣ - التسليم وقبول من كان معه الدليل، حتى ولو كان يخالفه كثير من الناس، إذ العبرة بالدليل، لا بالكثرة، يقول الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - : وفي هذا الحديث دليل على أن الحجة عند الاختلاف، السنة، وأنها حجة على من خالفها، وليس من خالفها حجة عليها، ألا ترى أن ابن عمر، لمّا قال له ابن جريج : رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لم يَصْنَعُهَا أحد من أصحابك ..، لم يستوحش من مفارقة أصحابه، إذ كان عنده في ذلك علم من رسول الله ﷺ، ولم يقل له ابن جريج : الجماعة أعلم برسول الله ﷺ منك، ولعلك قد

---

(١) - انظر : حاشية الزرقاني على الموطأ، ٢٤٧/٢ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر ، ١٧٣/١ .

وهمت، كما يقول اليوم من لا علم له، بل انقاد للحق إذ سمعه . وهكذا يلزم الجميع) [١] .

ثالثاً - أهمية ربط الأحكام بأدلتها :

إن من الفقه الدعوي الذي يُستفاد من هذا الحديث، هو ربط الحكم بدليله، ليكون أوقع في نفس السامع، وأدعى لقبوله، فابن عمر رضي الله عنهما، لما قال له ابن جريج - رحمه الله - : (رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ أَرْبَعًا لم أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ يَصْنَعُهَا)، أجابه بأن فعله هذا لرؤيته النبي ﷺ يفعله، أي : الدليل هو فعل الرسول ﷺ، له .

لذا فليحرص الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، دائماً على ذكر الأحكام بأدلتها الشرعية، وخاصة عندما يكون في المسألة خلاف، وكثرة أقوال .

---

(١) - الاستذكار، ١٠٥/١١ . وانظر : حاشية الزرقاني على الموطأ، ٢٤٧/٢ .

٣١ - باب التيمن في الوضوء والغسل

١٣٥ - ١٦٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ (١) قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُنَّ فِي غَسْلِ ابْنَتِهِ : « **ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا** » (٢) .

وفي رواية : عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ﵂، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَغْسِلُ ابْنَتَهُ، فَقَالَ : « **اغْسِلْنَهَا ثَلاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي** » ، فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَلْقَى إِلَيْنَا حِقْوَهُ فَقَالَ : « **أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ** » ، فَقَالَ أَيُّوبُ : وَحَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ بِمِثْلِ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ فِي حَدِيثِ حَفْصَةَ : « **اغْسِلْنَهَا وِتْرًا** » ، وَكَانَ فِيهِ : « **ثَلاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا** » ، وَكَانَ فِيهِ أَنَّهُ قَالَ : « **ابْدَءُوا بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا** » وَكَانَ فِيهِ أَنَّ أُمَّ عَطِيَّةَ

---

(١) - هي : نسيبة بنت الحارث، وقيل : نسيبة بنت كعب، من فقهاء الصحابة ﵃، لها عدّة أحاديث، وروت عن أبي بكر، وعمر ﵄، حدث عنها محمد بن سيرين، ، وأخته حفصة بنت سيرين، وأم شراحيل، وعلى بن الأقمر، وعبد الملك بن عمير، وعاشت إلى حدود سنة سبعين، (انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٣٥٨٧، ٢٥٥/١٣ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣١٨/٢ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم١٤٠٩، ٢٥٣/١٣)

(٢) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الجنائز، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر، برقم١٢٥٣، ٩١/٢ . **الثاني:** في كتاب الجنائز، باب ما يستحب أن يغسل وتراً، برقم ١٢٥٤، ٩٢/٢ . **الثالث** : في كتاب الجنائز، باب يبدأ بميامن الميت، برقم ١٢٥٥، ٩٢/٢ . **الرابع** : في كتاب الجنائز، باب مواضع الوضوء في الميت، برقم١٢٥٦، ٩٢/٢ . **الخامس** : في كتاب الجنائز، باب هل تكفن المرأة في إزار الرجل، برقم١٢٥٧، ٩٢/٢ . **السادس والسابع** : في كتاب الجنائز، باب يجعل الكافور في آخره، برقم١٢٥٨، وبرقم١٢٥٩، ٩٣/٢ . **الثامن** : في كتاب الجنائز، باب نقض شعر المرأة، برقم١٢٦٠، ٩٣/٢ . **الثامن** : في كتاب الجنائز، باب كيف الإشعار للميت، برقم١٢٦١، ٩٣/٢ . **التاسع** : في كتاب الجنائز، باب هل يجعل شعر المرأة ثلاثة قرون، برقم١٢٦٢، ٩٤/٢ . **العاشر** : في كتاب الجنائز، باب يلقى شعر المرأة خلفها، برقم١٢٦٣، ٩٤/٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الجنائز، باب في غسل الميت، برقم٩٣٩، ٦٤٦/٢ .

قَالَتْ : وَمَشَطْنَاهَا ثَلاثَةَ قُرُونٍ (١) .

شرح غريب الحديث :

(حِقْوَهُ) – أي : الإزار الذي يشدُّ على الخصر (٢) .

« أَشْعِرْنَهَا »– الإشعار هاهنا: جعل الثوب شعاراً، وهو ما يلي الجسد(٣).

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص سلفنا الصالح من النساء على العلم والتعليم .

ثانياً – من صفات الداعية : الصبر.

ثالثاً – استغلال المناسبة للدعوة والتعليم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص سلفنا الصالح من النساء على العلم والتعليم :

إن هذا الحديث يبين لنا مدى ما كان عليه سلف هذه الأمة من النساء، من الحرص على العلم والتعليم، فهذا الحديث الذي ترويه الصحابية الجليلة أم عطية رضي الله عنها، في كيفية غسلهنَّ لابنة رسول الله ﷺ، أصل في كيفية غسل الميت، ودليل على ضبطها وحفظها، يقول العلامة العيني –رحمه الله–: (وقد شهدت –أم عطية– غسل ابنة رسول الله ﷺ، وحكت ذلك فأتقنت، وحديثها أصل في غسل الميت) (٤). ويقول الإمام ابن المنذر – رحمه الله – : (ليس في أحاديث غسل الميت، أعلى من حديث أم

---

(١) – كتاب الجنائز، باب ما يستحب أن يغسل وتراً، برقم ١٢٥٤، ٩٢/٢ .

(٢) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٥٧٤ .

(٣) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٣٣٤/٧ .

(٤) – عمدة القاري، ٣٩/٨ . وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٥٢/٣ .

عطية، وعليه عول الأئمة) [١] .

هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد في روايات الإمام البخاري وأطراف هذا الحديث، أن الذي تعلم منها رضي الله عنها، كيفية غسل الميت، ورواه عنها، هما : محمد بن سيرين، وأخته حفصة [٢] - رحمهما الله - ولكن حفصة كما يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : حفظت منها أكثر مما حفظ محمد [٣]، وهذا ممّا يدل على أن هناك من النساء من كان لهنَّ أثر كبير في حفظ السنة، ونشرها بين الناس . لذا فلتحرص النساء الداعيات على طلب العلم، وتعليمه للناس اقتداءً بسلفهن من نساء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ومن تبعهنَّ بإحسان من سلف هذه الأمة .

ثانياً - من صفات الداعية : الصبر :

إن هذا الحديث فيه بيان لصفة من صفات رسول الله ﷺ، وهي : الصبر، فأم عطية رضي الله عنها، تذكر في هذا الحديث، أن رسول الله ﷺ، يدخل عليهنَّ وهنَّ يُغسلن ابنته، ثم يعلمهنَّ كيفية الغسل والسنة فيه، وهذا من كمال صبره ﷺ، وإيمانه بالله تبارك وتعالى، والقضاء خيره وشره .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله تبارك وتعالى، أن يتحلى بالصبر، ويتخلق به، اقتداءً برسول الله ﷺ، وحتى يستطيع أن يواجه ما في هذه الحياة من أقدار يبتلي الله بها عباده لمعرفة من يصبر، ومن لا يصبر، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم

---

(١) - نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر ، ١٥٢/٣ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٣٩/٨ .

(٢) - هي : حفصة بنت سيرين، أم الهذيل الفقيهة الأنصارية البصرية، روت عن أنس بن مالك، وأم عطية، والرباب أم الرائح، وغيرهم، وروى عنها : أخوها محمد، وقتادة، وعاصم الأحول، وخالد الحذاء، وابن عون، وغيرهم، قرأت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، وعاشت سبعين سنة، توفيت بعد المئة . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٠٧/٤ . وتهذيب التهذيب، لابن حجر، ترجمة رقم٢٧٦١، ٤٣٨/١٢) .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١٥٢/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٩/٨ .

والصابرين ﴾ (١)، ويقول ﷻ : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ (٢) .

ثالثاً - استغلال المناسبة للدعوة والتعليم :

إن رسول الله ﷺ، في هذا الحديث، لما أرادت النساء تغسيل ابنته ﵂، وهنَّ لا علم لهنَّ بكيفية تغسيل الميت، بادر إلى تعليمهنَّ السنة في تغسيل الميت، وما يشرع فيه من أحكام، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفي حديث أم عطية من الفوائد: تعليم الإمام من لا علم له بالأمر الذي يقع فيه، وتفويضه إليه إذا كان أهلاً لذلك بعد أن ينبهه على علة الحكم) (٣) .

لذا فليحرص الدعاة إلى الله ﷻ، على استغلال الفرص والمناسبات التي تقع للناس، لتعليمهم وإرشادهم ما يُشرع فيها من أحكام وآداب وسنن .

---

(١) - سورة محمد، الآية : ٣١ .

(٢) - سورة الأنفال، الآية : ٤٦ .

(٣) - فتح الباري، ١٦١/٣ .

١٣٦ - ١٦٨ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَشْعَثُ ابْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ (١) .

وفي رواية : أنها قالت : كان النبيُّ ﷺ يُحبُّ التَّيمُّنَ ما استَطاعَ في شأنِهِ كلـه : في طُهورِهِ، وتَرَجُّلِهِ وتنعُّله (٢) .

شرح غريب الحديث :

(تَنَعُّلِهِ) - أي لبس نعله (٣) .

(تَرَجُّلِهِ) - أي ترجيل شعره، وهو تسريحه (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - من أساليب الدعوة القولية:التفصيل ثم الإجمال،أو الإجمال ثم التفصيل.

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة وجمال المظهر .

ثالثاً - من آداب الداعية : التيامن في شأنه كله .

رابعاً - من خصائص الدعوة : الشمول .

---

(١) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الصلاة، باب التيمن في دخول المسجد وغيره، برقم٤٢٦، ١/١٢٦ . **الثاني:** في كتاب الأطعمة، باب التيمن في الأكل وغيره، برقم٥٣٨٠، ٦/٢٤٢ . **الثالث** : في كتاب اللباس، باب يبدأ بالنعل اليمنى، برقم ٥٨٥٤، ٧/٦٣ . **الرابع** : في كتاب اللباس، باب الترجيل والتيمن فيه، برقم ٥٩٢٦، ٧/٨٠ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره، برقم٢٦٨، ١/٢٢٦ .

(٢) - كتاب الصلاة، باب التيمن في دخول المسجد وغيره، برقم٤٢٦، ١/١٢٦ .

(٣) - فتح الباري، لابن حجر، ١/٣٢٤ .

(٤) - المرجع السابق، ١/٣٢٤ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من أساليب الدعوة القولية : التفصيل ثم الإجمال، أو الإجمال ثم التفصيل :

إن في هذا الحديث تفصيلاً ثم إجمالاً، فالتفصيل عندما قالت ﵂ : (كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ)، والإجمال في قولها : (وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ)، وفي الرواية الأخرى بدأت بالإجمال وهو : (كان النبيُّ ﷺ يُحبُّ التَّيمُّنَ ما استَطاعَ في شأنِهِ كله)، ثم التفصيل بقولها : (في طُهورِهِ، وتَرَجُّلِهِ، وتنعُّله)، وهذا له فائدة دعوية، وهي : في الرواية **الأولى** : التفصيل، لأجل التفهيم، ثم الإجمال للحفظ، وفي الرواية **الثانية** : الإجمال لأجل الحفظ، ثم التفصيل لأجل التفهيم، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - بعد شرحه للرواية الثانية : (ويترتب عليه من الفقه : أن من الأحسن في الإخبار والتعليم الإجمال أولاً، من أجل الحفظ، والتقسيم بعد، من أجل التفهيم) [(١)] . والعكس صحيح، المهم أن ذكر الداعية للموضوع بالإجمال والتفصيل مفيد في الحفظ والتفهيم .

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة وجمال المظهر :

إن هذا الحديث الذي تصف فيه أم المؤمنين عائشة ﵂، شيئاً من حال رسول الله ﷺ، فيه دلالة على أن رسول الله ﷺ، كان يحرص على نظافته وجمال مظهره، يقول ابن بطال - رحمه الله - : (الترجيل تسريح الشعر والرأس واللحية ودهنه، وهو من النظافة، وقد ندب الشرع إليها، قال الله ﷻ : ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [(٢)]) [(٣)] .

لذا فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على أن يظهر بمظهر يناسب الدعوة التي

---

(١) - بهجة النفوس، ١/١٨٨ .

(٢) - سورة الأعراف، الآية : ٣١ .

(٣) - نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ١٠/٣٨١ .

ينتسب إليها،ويدعو إلى العمل بها ، وذلك اقتداءً بسيد الدعاة وإمامهم رسول الله ﷺ.

ثالثاً – من آداب الداعية : التيامن في شأنه كله :

إن قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان النبيُّ ﷺ يُحبُّ التَّيمُّنَ ما استَطاعَ في شأنِهِ كله)، فيه دليل على أن من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، هو : الحرص على التيامن في شأنه كله مما له التكريم والتشريف، يقول الإمام النووي – رحمه الله-: (هذه قاعدة مستمرة في الشرع، وهي أن ما كان من باب التكريم والتشريف،كلبس الثوب، والسراويل، والخف، ودخول المسجد، والسواك، والاكتحال،وتقليم الأظافر،وقص الشارب، وترجيل الشعر، وهو مشطه، ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغسل أعضاء الطهارة، والخروج من الخلاء، والأكل، والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأما ما كان بضده، كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والامتخاط، والاستنجاء، وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك، فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها) (١) .

بل قالت رضي الله عنها من باب التأكيد على ذلك : (ما استطاع)، إذ يقول الإمام ابن أبي جمرة – رحمه الله – عن ذلك : (إنما هو تأكيد في فعل المستحب، لأنه لا يمنعه منه إلا ما يمنعه من الفرض، لأن الدين مطلوب فرضه ونفله وندبه على حد سواء، كل منه على جهته وأنه لا يترك ذلك اختياراً) (٢) .

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٠/٣ . وانظر : معالم السنن، للخطابي، ١١/١ . وبهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١٥٤/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٩/٢ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٧٦/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٢٥/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٢/٣ .

(٢) – بهجة النفوس، ١٨٨/١ .

رابعاً - من خصائص الدعوة : الشمول :

إن هذا الحديث يدل على خصيصة من خصائص الدعوة، وهي : الشمول، يقول الشيخ / ابن عثيمين - حفظه الله - : (يستفاد من الحديث أن الشرع شامل، وأن العبد الموفق، يمكنه أن يتعبد لله في كل شؤونه : في أكله وشرابه ولباسه ودخوله وخروجه، فتكون العادة في حقه عبادة، بعكس الغافل الذي قد تنقلب عبادته إلى عادة، فهو يصلي عادة، ويقوم عادة، وهكذا) [١] .

(١) - فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ص١٩٢ .

٣٢ - باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة

١٣٧ - ١٦٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاةُ العَصْرِ فَالتَمَسَ النَّاسُ الوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، قَالَ : فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ (١) .

وفي رواية : عَنْ أَنَسٍ قَالَ : حَضَرَتِ الصَّلاةُ فقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ، وَبَقِيَ قَوْمٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ فِيهِ مَاءٌ، فَصَغُرَ المِخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُمْ . قُلْنَا : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثَمَانِينَ وَزِيَادَةً (٢) .

وفي رواية : عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ، قَالَ: أَنَسٌ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى المَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ. قَالَ : أَنَسٌ فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ (٣) .

وفي رواية : (.. قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ لِأَنَسٍ : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثَلاثَ مِائَةٍ أَوْ زُهَاءَ ثَلاثِ مِائَةٍ) (٤) .

وفي رواية : قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَعْضِ مَخَارِجِهِ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ،

---

(١) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب، برقم ١٩٥، ٦٤/١ . **الثاني:** في كتاب الوضوء، باب الوضوء من التور، برقم ٢٠٠، ٦٥/١ . **الثالث، والرابع، والخامس، والسادس** : في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٥٧٢، وبرقم٣٥٧٣، وبرقم٣٥٧٤، وبرقم٣٥٧٥، ٢٠٤/٤ - ٢٠٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، برقم٢٢٧٩، ١٧٨٣/٤ .

(٢) - كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب، برقم ١٩٥، ٦٤/١ .

(٣) - كتاب الوضوء، باب الوضوء من التور، برقم ٢٠٠، ٦٥/١ .

(٤) - كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٥٧٢، ٢٠٤/٤ .

فَانْطَلَقُوا يَسِيرُونَ، فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً يَتَوَضَّئُونَ، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ فَجَاءَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ يَسِيرٍ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَدَّ أَصَابِعَهُ الأَرْبَعَ عَلَى القَدَحِ، ثُمَّ قَالَ : « **قُومُوا فَتَوَضَّئُوا** » فَتَوَضَّأَ القَوْمُ حَتَّى بَلَغُوا فِيمَا يُرِيدُونَ مِنَ الوَضُوءِ، وَكَانُوا سَبْعِينَ أَوْ نَحْوَهُ (١) .

شرح غريب الحديث :

(رَحْرَاح) - الواسع الصحن، القريب القعر، القصير الجدار (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : المحافظة على العبادات وكمالها .

ثانياً – من معجزات رسول الله ﷺ وعلامات نبوته : نبع الماء من بين أصابعه.

ثالثاً – من صفات الداعية : المواساة والتكافل .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية : المحافظة على العبادات وكمالها :

إن هذا الحديث يُبين لنا ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، من الحرص على المحافظة على العبادات وكمالها، حيث أنه لما حانت الصلاة بحثوا عن الماء للطهارة والوضوء، استعداداً لأداء الصلاة كاملة كما يشرع لها، إذ يقول الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه : (فَالتَمَسَ النَّاسُ الوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ) .

لذا ينبغي للداعية إلى الله تبارك وتعالى، الصدق في المحافظة على الطاعة وكمالها، وذلك بالحرص والسعي وبذل الأسباب المؤدية إلى ذلك الأمر .

---

(١) – كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٥٧٣، ٢٠٥/٤ .

(٢) – انظر : أعلام الحديث، للخطابي، ٢٦٤/١ . وتفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٤٣ .

ثانياً - من معجزات رسول الله ﷺ وعلامات نبوته : نبع الماء من بين أصابعه :

إن كل من شرح هذا الحديث من العلماء (١)-رحمهم الله- عدَّ ما جرى فيه من نبع الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ الطاهرة، حتى توضأ الجمع الغفير من الناس، من عِداد معجزات رسول الله ﷺ، وعلامات نبوته العظيمة، يقول الإمام الخطابي -رحمه الله-: (وفي هذا آية من آيات نبوته ﷺ، ومعجزة من معجزاته، وقد قيل : إن هذا أبلغ في الإعجاز من تفجير الماء من الحجر لموسى صلوات الله عليه، لأن في طبع الحجارة أن يخرج منها الماء الغدق الكثير، وليس ذلك في طبع أعضاء بني آدم) (٢) .

ويقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : (لم نسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه ودمه) (٣) .

ثالثاً - من صفات الداعية : المواساة والتكافل :

يقول بعض العلماء - رحمهم الله - عند شرحهم لقول الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه في هذا الحديث : (فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ يَسِيرٍ) : فيه دلالة على أن المواساة لازمة عند الضرورة لمن كان في مائه فضل عن وضوئه (٤) .

إذن فمن الصفات التي ينبغي للدعاة إلى الله تعالى، التحلي بها، هي : المواساة والتكافل بينهم، وبين المدعوين، لما في ذلك من نشرٍ للمحبة والألفة والتعاون، الذي يرتقي به المجتمع، ويسموا وينتصر على العقبات والمشاكل التي تواجهه .

---

(١) - انظر :أعلام الحديث، للخطابي، ٢٦٤/١ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٣٨/١٥ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٧/٨ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٧/٨ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٦/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٢٣/١، ٦٧٧/٦ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٩/٣ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٧٠/١ .

(٢) - أعلام الحديث، ٢٦٤/١ .

(٣) - نقلاً عن : حاشية الزرقاني على الموطأ، ٧٠/١ .

(٤) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٦/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٢٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٤/٣ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٧٠/١ .

٣٣ - باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان

١٣٨ - ١٧٠ - حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبِيدَةَ: عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ، أَوْ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ، فَقَالَ : لأنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (١).

وفي رواية : عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ، كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ مِنْ شَعَرِهِ (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – شدة محبة الصحابة ﷺ وسلف هذه الأمة لرسول الله ﷺ .

ثانياً – بركة رسول الله ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - شدة محبة الصحابة ﷺ وسلف هذه الأمة لرسول الله ﷺ :

إن هذا الحديث فيه بيان شدة محبة الصحابة ﷺ، وسلف هذه الأمة لنبيهم محمد ﷺ، حيث كانوا يتسابقون على فضلاته الطاهرة للتبرك بها (٣)، بل من شدة ذلك

---

(١) – طرفه : في كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل شعر الإنسان، برقم١٧١، ٥٨/١ .
وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر، برقم١٣٠٥، ٩٤٧/٢.

(٢) – كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، برقم ١٧١، ٥٨/١ .

(٣) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٢٩/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٧/٢، ٣٨ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣٢٩/١ .

يتمنى أحدهم (١) كما في هذا الحديث فيقول : (لأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)، ومن ذلك أن خالد بن الوليد ﷺ، جعل في قلنسوته من شعر رسول الله ﷺ، فكان يدخل بها في الحرب ويستنصر ببركته، فسقطت عنه يوم اليمامة، فاشتد عليها شدة، وأنكر عليه الصحابة، فقال : إني لم أفعل ذللك لقيمة القلنسوة، لكن كرهت أن تقع بأيدي المشركين وفيها من شعر النبي ﷺ (٢) .

ثانياً - بركة رسول الله ﷺ :

إن مّما يختص به رسول الله ﷺ، عن سائر أمته، عِظمِ بركة ذاته وما تولد عنها، ولذا كان رسول الله ﷺ، يوزع شعره وفضل وضوئه وغيره (٣) على أصحابة الأطهار ﷺ، ليتبركوا بها (٤) .

وينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، أن يبلغ الناس عند الحاجة ، أن هذا التبرك خاص برسول الله ﷺ ، ولا يقاس عليه غيره من الصالحين .

(١) - هو : عبيدة بن عمرو، ويقال : ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي الكوفي، أسلم في حياة النبي ﷺ، ولم يلقه، قال سفيان بن عيينة : كان عبيدة يوازي شريحاً في العلم والقضاء، مات سنة اثنتين وسبعين . (انظر : تهذيب التهذيب، لابن حجر، ترجمة رقم١٨٥، ٧٨/٧ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٧/٣) .

(٢) - عمدة القاري، للعيني، ٣٧/٣ .

(٣) - انظر مثلاً : صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم ٤٣٢٨، ١٢١/٥ . وصحيح مسلم، في كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر، برقم١٣٠٥، ٣٦٦/٤ .

(٤) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٢٩/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣٧/٢، ٣٨ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣٢٩/١ .

٣٤ – باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً

١٣٩ - ١٧٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِذَا شَرِبَ الكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا** » (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بفوائد ودروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من معجزات رسول الله ﷺ التي يثبتها العلم في العصر الحاضر : أن في التراب ما يقطع جرثومة لعاب الكلب من الإناء الذي يلغ فيه .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : الحث على النظافة، والبعد عن القذارة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من معجزات رسول الله ﷺ التي يثبتها العلم في العصر الحاضر : أن في التراب ما يقطع جرثومة لعاب الكلب من الإناء الذي يلغ فيه :

إن العلم في العصر الحاضر يثبت لرسول الله ﷺ، معجزة من معجزاته الكثيرة، وهي أن رسول الله ﷺ، أمر في هذا الحديث بغسل الإناء الذي يلغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب، وفي شرط إحداهن بالتراب إشارة لما خلق الله سبحانه وتعالى، فيه من المقدرة على تطهير وقتل (الجراثيم والميكروبات) التي توجد في لعاب الكلب (٢)، (وقد أثبت الطب الحديث ما نطق به المعصوم ﷺ، فإن الكلب له - أثر - كبير في نقل بعض الأمراض إلى الإنسان، وقد أصبح معروفاً أن الكلب ينقل حوالي (١٣) مرضاً للإنسان، أشهرها على الإطلاق : الكيسة العداريّة التي تتسبّب فيها دودة صغيرة

---

(١) – **وأخرجه** : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، برقم٢٧٩، ١/٢٣٤ .

(٢) – انظر : أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للدكتور/حمد بن ناصر العمار، ص٣٣٣-٣٣٦، الطبعة الأولى١٤١٦هـ، ط مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض .

لا يزيد طولها عن (٤-٥) مليمترات، وتسكن أمعاء الكلب بأعداد كبيرة تصل إلى (٥٠،٠٠٠)، وعندما تخترق الأجنة جدران الأمعاء بالإنسان المصاب فإنها تأخذ طريقها في اتجاه الكبد والرئة والمخ وغيرها من أعضاء الجسم، ثم تتحوصل داخل هذه الأعضاء، وتتكون الأكياس العداريّة التي تحتوي داخلها على سائل خاص يؤدي تسربه تلقائياً، أو نتيجة حادث تصادم، أو أثناء الاستئصال الجراحي إلى صدمة دورانيّة حادّة مهددة حياة المريض) (١) .

وإن من كشوفات عصرنا استخراج كثير من مبيدات الجراثيم من التراب، فمثلاً: الستربتومايسين، والتتراسكلين، والنيوماسين، كلها من مبيدات الجراثيم التي استفيدت من التراب (٢) .

ولذا جاءت الشريعة الإسلامية بالدعوة إلى ضرورة تطهير الإناء إذا ولغ الكلب فيه ، وتعقيمه بالتراب ، يقول الله ﷻ : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (٣) .

ثانياً - من موضوعات الدعوة : الحث على النظافة، والبعد عن القذارة :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث يبين لنا حكم الإناء الذي يلغ فيه الكلب، وأنه ينبغي غسله وتنظيفه، وذلك لقذارته ونجاسته، إذ جاء في رواية الإمام مسلم - رحمه الله - والتي جاء فيها : « **إذا ولغَ الكلب في إناءِ أحدِكم فليُرِقْهُ، ثمَّ ليغسِلْهُ سبعَ مِرارٍ** » (٤)، وفي رواية أخرى عنده، قال ﷺ : « **طُهُورُ إناءِ أحدكم، إذا ولغ**

---

(١) - أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للدكتور/حمد بن ناصر العمار، ص٣٣٤،٣٣٥ . وانظر : تعليق الشيخ / أحمد محمد شاكر، على كتاب : إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد، ٧٥/١ .

(٢) - انظر : أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للدكتور/حمد بن ناصر العمار، ص٣٣٥،٣٣٦ .

(٣) - سورة الحشر، الآية : ٧ .

(٤) - كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، برقم٢٧٩، ٢٣٤/١ .

فيه الكلب، أن يغسله سبع مرات، أولاهُنَّ بالتراب » [١] .

إذن فالحديث عن هذا الموضوع وتبيين حكمه للناس، من الموضوعات التي ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، طرقها والحديث عنها في بعض الأحيان وعندما تدعو الحاجة إلى ذلك .

(١) - كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، برقم٢٧٩، ١/٢٣٥ .

١٤٠ - ١٧٣ - حَدَّثَنا إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا عَبْدُالصَّمَدِ حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « **أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ** » (١) .

وفي رواية : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ** » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ: « **فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ** » (٢) .

وفي رواية : .. فَقَالَ : « **فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ** » (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية أسلوب القصص في الدعوة إلى الله .

ثانياً – من صفات الداعية : الرحمة .

ثالثاً – بيان أهمية الإخلاص بأنه هو الموجب لكثرة الأجر .

---

(١) – أطرافه : **الأول**: في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم ٢٣٦٣، ٣/١٠٧ . **الثاني**: في كتاب المظالم، باب الآبار التي على الطرق إذا لم يتأذ بها، برقم ٢٤٦٦، ٣/١٤١ . **الثالث** : في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم٦٠٠٩، ٧/١٠٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم، برقم٢٢٤٤، ٤/١٧٦١ .

(٢) – كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم ٢٣٦٣، ٣/١٠٧ .

(٣) – كتاب المظالم، باب الآبار التي على الطرق إذا لم يتأذ بها، برقم ٢٤٦٦، ٣/١٤١ .

رابعاً – أهمية إكمال العمل وإتقانه .

خامساً – أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية أسلوب القصص في الدعوة إلى الله :

إن رسول ا لله ﷺ، في هذا الحديث يقص علينا هذه القصة، لغرض دعوي، وهو الاتعاظ والاستفادة منها، أي أنه يسلك أسلوب القصص في الدعوة والإرشاد، يقول الإمام ابن أبي جمرة – رحمه ا لله – : (إن الإخبار يدور بين أمرين : إما أن يخبر به لغير فائدة، وأعوذ با لله أن يخطر ذلك على قلب أحد، ومن خطر ذلك بقلبه، فليس بمؤمن، لأن ا لله ﷻ يقول : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ (١) وهذا عموم، وإما أن يكون لفائدة أو فوائد جمة، وهو الحق، فظهر ما أشرنا إليه من الفائدة قبل، وما فيه من الفوائد ببعد، لأنه ﷻ قصّ علينا في كتابه العزيز القصص، وقال : ﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ (٢)، وقال ﷻ : ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ (٣)، وقال ﷻ: ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ (٤)، فلذلك قال فقهاء الدين : إن القصص طلب منا مقتضاها بالضمن، والأمثال كذلك، ولذلك قال ﷻ : ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (٥)) (٦) .

إذن فمن الأساليب الدعوية، التي ينبغي للداعية إلى ا لله ﷻ، أن يستخدمها في

---

(١) – سورة النجم، الآية : ٣ .

(٢) – سورة هود، الآية : ١٢٠ .

(٣) – سورة الحشر، الآية : ١٩ .

(٤) – سورة فاطر، الآية : ٤٤ .

(٥) – سورة العنكبوت، الآية : ٤٣ .

(٦) – بهجة النفوس، ١٥٦/١ .

دعوته، هو : أسلوب القصص، لما له من عنصر التشويق وشد الانتباه، وما يتضمنه من التوجيه والإرشاد ضمناً .

ثانياً - من صفات الداعية : الرحمة :

إن هذا الحديث يدل على أن من الصفات التي ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، التحلي بها : الرحمة، وذلك لما يترتب عليها من إيصال الخير للآخرين، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - : (يؤخذ منه - أي هذا الحديث - أن من أحسن الصفات إيصال الخير لجميع الخلق، يؤخذ ذلك من جزيل الثواب على هذا الفعل اليسير، وإخبار النبي ﷺ بذلك ليتأسى المؤمنون بهذه الصفة المقربة) (١) .

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن هذا الحديث : (وفيه الحث على الإحسان إلى الناس، لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقي الكلب فسقي المسلم أعظم أجراً . واستدل به على جواز صدقة التطوع للمشركين، وينبغي أن يكون محله ما إذا لم يوجد هناك مسلم، فالمسلم أحق، وكذا إذا دار الأمر بين البهيمة والآدمي المحترم واستويا في الحاجة، فالآدمي أحق) (٢) .

وقد يقول قائل : إن الإحسان إلى بعض الحيوانات منافٍ للأمر بقتلها (٣) . وفي الجواب عن ذلك يقول الإمام الأبي - رحمه الله - : (ليس بمنافٍ لأنه يحسن إليها، فإن قتلها أحسن قتلها، وذلك من الإحسان إليها) (٤) .

إذن فمن صفات الداعية الرحمة ، والتي بها يرحم ؛ فيُحسن إلى الآخرين ، ومن أعظم صورها: عندما يرى إنساناً على معصية الله ﷻ، فيدعوه لتركها والابتعاد عنها،

---

(١) - بهجة النفوس، ١/١٥٦ .

(٢) - فتح الباري، ٥/٥٢ . وانظر : الاستذكار، لابن عبد البر، ٢٦، ٣١٠ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٧/٤٥٧ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٤٣ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٤/٣٠٦ .

(٣) - انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٧/٤٥٧ . وفتح الباري، لابن حجر، ٥/٥٢ .

(٤) - إكمال إكمال المعلم، ٧/٤٥٧ .

وأعظم من ذلك عندما يرى إنساناً على الكفر أو الشرك بـا لله ﷻ ، فيجـدُّ في دعوتـه وإنقاذه مما هو فيه من الكفر والضلال .

وإذا كان أجر من رحم الكلب فسقاه ، غفران ذنبه وإدخاله الجنة ، فكيـف بمن يُنقذ إنساناً من الهلاك ، ليس هلاك الدنيا بل هلاك الآخرة لو مات على الكفر والشرك با لله ﷿ .

ثالثاً - بيان أهمية الإخلاص بأنه هو الموجب لكثرة الأجر :

إن هذا الرجل الذي سقى الكلب في هذا الحديث، كان في مكـان لا يوجـد فيـه أحد من البشر غيره، يدل على ذلك قول الرسول ﷺ: « **بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْـبٍ يَلْهَـثُ يَـأْكُلُ الـثَّرَى مِـنَ العَطَشِ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي** »، أي أنه كـان يسـير في الصحـراء، فلذا لما عمل هذا العمل اليسير من غير أن يـره أحـد، وكـان خالصـاً للـه ﷻ، ترتـب عليه هذا الثواب العظيم، يقول الإمام ابن أبي جمرة -رحمه ا لله -: إن هذا الحديث فيـه دليل على أن الإخلاص هو الموجب لكثرة الأجـر، وأن ذلـك يؤخـذ مـن شـرح حـال الحديث، لأن هذا الحال المذكور، وهو كونه في البرية وسقى هـذا الكلـب ، ولم يكـن هناك أحد يبصره، فكان خالصاً حقيقـة، يزيـد هـذا بيانـاً قولـه ﷺ، في صدقـة السـر: « **حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** » [(١)] . [(٢)]

رابعاً - أهمية إكمال العمل وإتقانه :

إن قـول رسـول ا لله ﷺ، في هـذا الحديـث عـن الرجـل الـذي سـقى الكلـب : «**فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ ..** »، فيه دليـل علـى أهميـة إكمـال العمـل وإتقانـه، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه ا لله - عـن ذلـك : إن (فيـه دليـل علـى أن كمـال

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، برقم٦٦٠، ١/١٨١ .

(٢) - انظر : بهجة النفو... ١/١٥٧ .

الأجر يكون بكمال العمل، يؤخذ ذلك من قوله : « **حَتَّى أَرْوَاهُ** »، فلما أكمل له ريه، أكمل الله له نعمته عليه، وهو دخوله الجنة) (١) .

لذا فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على إكمال عمله وإتقانه، فإذا دعا إلى الله ﷻ وبلغ عنه، كان ذلك كاملاً ومبيناً، يقول الله ﷻ: ﴿ **وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ (٢). ويقول ﷺ : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** » (٣).

خامساً - أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

إن مما يبين أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره بين الناس، أن الصحابة ﷺ لما أشكل عليهم ترتب الأجر والثواب على عمل الخير للبهائم، قَالُوا : (يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا ؟ ..)، فكان الجواب عليه بقوله ﷺ : « **فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ** »، وهذة الكلمة العظيمة والقاعدة الجليلة ما كانت لتظهر لنا لولا وعي الصحابة ﷺ، وسؤالهم عما يشكل عليهم .

فلذا ينبغي لطالب العلم السؤال عمّا يُشكل عليه ليعلم الجواب ويرتفع جهله، هو وغيره، وذلك بالتفصيل والتوضيح للمسألة المشكلة عليه .

---

(١) – بهجة النفوس ، ١٥٧/١ .

(٢) – سورة النور، الآية : ٥٤ .

(٣) – انظر : الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للسيوطي، برقم١٨٦١ . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم١١١٣، ١٠٦/٣) .

١٤١ - ١٧٤ - وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبٍ : حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : حَدَّثَنِي حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَتِ الكِلَابُ تَبُولُ وَتُقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي المَسْجِدِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُونُوا يَرُشُّونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – بساطة الحياة في عصر النبوة .

ثانياً – أهمية إنكار المنكرات .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - بساطة الحياة في عصر النبوة :

إن هذا الحديث فيه دليل على بساطة الحياة في زمن رسول الله ﷺ، حيث كانت الكلاب تبول وتُقبل وتُدبر في المسجد، لا توجد أبواب تمنعها من الدخول إليه (١) . ومع هذه البساطة في الحياة استطاع رسول الله ﷺ، أن يصل بدعوته وسلطة الإسلام إلى مشارف أعظم دولتين في عصره، وهما : فارس والروم .

إذن فمقياس القوة والرفعة والعزة، ليس بالمظاهر المادية ورقيها، وإنما بالإيمان بالله ﷻ، والعمل بدينه وتطبيقه في الحياة .

ثانياً - أهمية إنكار المنكرات :

إن ابن عمر رضي الله عنهما، في هذا الحديث، بين أن الكِلاب كانت تَبُولُ وَتُقْبِلُ وَتُدْبِرُ فِي المَسْجِدِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثم قال : (فَلَمْ يَكُونُوا يَرُشُّونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ).

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٣٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٤٤/٣ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٥٧/١ .

أي أنه لو كان حراماً لمنعت من دخول المسجد لنجاستها، ولأنكر ذلك رسول الله ﷺ، ولأمر أصحابه بمنعها وطردها منه، هذا وقد أجاب بعض العلماء - رحمهم الله- عن هذا الإشكال (١)، ولكن المهم من هذا هو : أهمية إنكار الداعية إلى الله ﷻ، المنكرات، والمبادرة في ذلك، حتى لا يُظن في الداعية من قبل المدعوين أنه يُقرها، أو أنها مما يجيزها الشرع، إذ قد يقول قائل : لو كان هذا الفعل - المنكر - حراماً لأنكره العالم فلان، أو الداعية فلان .

(١) - يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن ذلك كان في ابتداء الحال، على أصل الإباحة ثم ورد الأمر بتكريم المساجد وتطهيرها، وجعل الأبواب عليها . (انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٣٤/١ وعمدة القاري، للعيني، ٤٤/٣ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٥٧/١) .

١٤٢ - ١٧٥ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ ابْنِ أَبِي السَّفَرِ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ (١) قَالَ : سَأَلتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : « **إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ فَقتلَ فَكُلْ وَإِذَا أَكَلَ فَلا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى نَفْسِهِ** » قُلْتُ : أُرْسِلُ كَلْبِي فَأَجِدُ مَعَهُ كَلْبًا آخرَ . قَالَ : « **فَلا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى كَلْبٍ آخَرَ** » (٢) .

وفي رواية : عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: سَأَلتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ المِعْرَاضِ، فَقَالَ: « **إِذَا أَصَابَ بِحَدِّهِ فَكُلْ وَإِذَا أَصَابَ بِعَرْضِهِ فَقَتَلَ فَلا تَأْكُلْ فَإِنَّهُ وَقِيذٌ** » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أُرْسِلُ كَلْبِي وَأُسَمِّي، فَأَجِدُ مَعَهُ عَلَى الصَّيْدِ كَلْبًا آخرَ لم أُسَمِّ عَلَيْهِ، وَلا

---

(١) - هو : عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي، الأمير الشريف، أبو وهب، وأبو طريف الطائي، صاحب النبي ﷺ، ولد حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل . وفد على النبي ﷺ في وسط سنة سبع، فأكرمه واحترمه، روى عنه : الشعبي، و سعيد بن جبير، وتميم بن طرفه، وعبد الله بن معقل، نزل الكوفة مدة، ثم قرقيسياء من الجزيرة إلى أن توفي بها سنة ثمان وستين وقيل سبع وستين، وله من العمر مئة وعشرون سنة . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم١٧٨١، ٦٨/٨ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٦٢/٣-١٦٥ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٥٤٦٧، ٤٠١/٦) .

(٢) - أطرافه : **الأول:** في كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات، برقم ٢٠٥٤، ٧/٣ . **الثاني:** في كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، باب التسمية على الصيد، برقم٥٤٧٥، ٢٧٠/٦ . **الرابع** : في كتاب الذبائح والصيدوالتسمية على الصيد، باب صيد المعراض، برقم٥٤٧٥، ٢٧٠/٦ . **الخامس** : في كتاب الذبائح والصيدوالتسمية على الصيد، باب ما أصاب المعراض بعرضه، برقم٥٤٧٧، ٢٧١/٦. **السادس** : في كتاب الذبائح والصيدوالتسمية على الصيد، باب إذا أكل الكلب، برقم٥٤٨٣، ٢٧٣/٦ . **السابع والثامن:** في كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، باب الصيد إذا غاب عنه، برقم٥٤٨٤، وبرقم٥٤٨٥، ٢٧٤/٦ . **التاسع** : في كتاب الذبائح والصيدوالتسمية على الصيد، باب إذا وجد مع الصيد كلباً آخر، برقم٥٤٨٦، ٢٧٤/٦ . **العاشر** : في كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، باب ما جاء في التصيد، برقم٥٤٨٧، ٢٧٤/٦ . **الحادي عشر** : في كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى، برقم٧٣٩٧، ٢١٤/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة، برقم١٩٢٩، ١٥٢٩/٣ .

أَدْرِي أَيُّهُمَا أَخَذَ. قَالَ:«**لا تَأْكُلْ إِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى الآخَرِ**»(١).

وفي رواية : .. وَسَأَلْتُهُ عَنْ صَيْدِ الكَلْبِ، فَقَالَ: « **مَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ فَكُلْ، فَإِنَّ أَخْذَ الكَلْبِ ذَكَاةٌ، وَإِنْ وَجَدْتَ مَعَ كَلْبِكَ، أَوْ كِلابِكَ كَلْبًا غَيْرَهُ، فَخَشِيتَ أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ مَعَهُ وَقَدْ قَتَلَهُ، فَلا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا ذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ عَلَى كَلْبِكَ، وَلَمْ تَذْكُرْهُ عَلَى غَيْرِهِ** » (٢) .

وفي رواية : عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نُرْسِلُ الكِلابَ المُعَلَّمَةَ . قَالَ : « **كُلْ مَا أَمْسَكْنَ عَلَيْكَ** » قُلْتُ : وَإِنْ قَتَلْنَ . قَالَ : « **وَإِنْ قَتَلْنَ** » قُلْتُ : وَإِنَّا نَرْمِي بِالمِعْرَاضِ . قَالَ : « **كُلْ مَا خَزَقَ وَمَا أَصَابَ بِعَرْضِهِ فَلا تَأْكُلْ**» (٣).

وفي رواية : « .. **وَإِنْ رَمَيْتَ الصَّيْدَ فَوَجَدْتَهُ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ لَيْسَ بِهِ إِلا أَثَرُ سَهْمِكَ، فَكُلْ، وَإِنْ وَقَعَ فِي المَاءِ فَلا تَأْكُلْ** » (٤) .

شرح غريب الحديث :

« **بِعَرْضِهِ** » – العرض : خلاف الطول، وعرض الشيء وسطه وجانبه (٥) .

« **وَقِيذٌ** » – هو الذي يضرب إلى أن يموت (٦) .

« **خَزَقَ** » – الخزق الطعن، والخازق من السهام : ما أصاب الغرض، وأثر فيه(٧).

---

(١) – كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات، برقم ٢٠٥٤، ٧/٣ .

(٢) – كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، باب التسمية على الصيد، برقم٥٤٧٥، ٢٧٠/٦ .

(٣) – كتاب الذبائح والصيدوالتسمية على الصيد،باب ما أصاب المعراض بعرضه، برقم٥٤٧٧،٢٧١/٦.

(٤) – كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد، باب الصيد إذا غاب عنه، برقم٥٤٨٤، ٢٧٤/٦ .

(٥) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٠٤ وص٣٤٧ .

(٦) – جامع الأصول، لابن الأثير، ٣١/٧ .

(٧) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٨٥ .

(المِعْرَاضِ) - سهم طويل له أربع قُذذ دقاق، فإذا رُمى به اعترض [(١)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية الرجوع إلى أهل العلم فيما يُشكل .

ثانياً – أهمية ذكر العلة في التحريم .

ثالثاً – أهمية أخذ الحيطة واتقاء الشبهات .

رابعاً – العلم يرفع قدر المتعلم حتى ولو كان كلباً .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية الرجوع إلى أهل العلم فيما يُشكل :

إن الصحابي الجليل عدي بن حاتم ﷺ، لما أشكل عليه مسألة الصيد بالكلاب، سأل رسول الله ﷺ، عن حكم ذلك، فأجابه بقوله : « **إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ فَقَتَلَ فَكُلْ وَإِذَا أَكَلَ فَلا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى نَفْسِهِ** »، ثم سأله سؤالاً آخر فقال: (أُرْسِلُ كَلْبِي فَأَجِدُ مَعَهُ كَلْبًا آخَرَ ؟) . فقَالَ ﷺ له : « **فَلا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى كَلْبٍ آخَرَ** »، وفي الرواية الأخرى سأله أيضاً بقوله : (وَإِنَّا نَرْمِي بِالْمِعْرَاضِ ؟) . فقَالَ ﷺ له : « **كُلْ مَا خَزَقَ وَمَا أَصَابَ بِعَرْضِهِ فَلا تَأْكُلْ** » .

إذن فممّا يبين لنا أهمية الردّ والرجوع إلى العلماء فيما يُشكل أويُجهل، أن هذه الأحكام التي في هذا الحديث ظهرت بالسؤال الحسن عنها، من الصحابي الجليل عدي ابن حاتم ﷺ، لما أشكل عليه بعض مسائل الصيد وأحكامه .

---

(١) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي ، ص٨٤ .

ثانياً - أهمية ذكر العلة في التحريم :

إن مما يزيد الموضوع الذي يتكلم فيه الداعية إقناعاً وقبولاً لدى المدعوين ؛ ذكر الدليل على صحة الكلام، فرسول الله ﷺ، لما أجاب عدي بن حاتم رضي الله عنه، عن سؤاله، عقبه بالتعليل فقال : « **لا تَأْكُلْ إِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى الآخَرِ** »، وعن مثل هذا يقول الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : (ينبغي للعالم أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك، ولا يلقيه إلى الناس مجرداً عن دليله ومأخذه، فهذا لضيق عَطَنِه وقلة بضاعته من العلم، ومن تأمل فتاوى النبي ﷺ وكلامه، الذي قوله حجة بنفسه رآه مشتملاً على التنبيه على حكمة الحكم، ونظيره، ووجه مشروعيته) [١] .

ثالثاً - أهمية أخذ الحيطة واتقاء الشبهات :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث يرشد إلى أهمية أخذ الحيطة من الوقوع في الحرام، واتقاء الشبهات، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إن الإمام البخاري - رحمه الله - أورد حديث النعمان بن بشير : « **إن الحلال بين** ... »، والذي فيه ذكر الشبهات والدعوة إلى تركها،ثم عقبه بذكر حديث هذا الباب وغيره، بقصد بيان الطريق إلى معرفتها لتجتنب، فمثلاً : في هذا الحديث الصيد يحرم أكله قبل ذكاته، فإذا شك فيه لم يزل عن التحريم إلا بيقين [٢] .

رابعاً - العلم يرفع قدر المتعلم حتى ولو كان كلباً :

إن الأصل في أكل صيد الحيوانات التحريم، ولكن لما عُلِّم الكلب ؛ أُحلَّ أكل صيده، كما يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ : « **إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ فَقَتَلَ فَكُلْ** .. »، وذلك عملاً بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات

---

(١) - إعلام الموقعين، ١٦١/٤ .

(٢) - فتح الباري، ٣٤٠/٤-٣٤٢ .وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٨/١٣ .

وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾ (١) .

إذن فالعِلمُ شأنه عظيم، ومكانته عالية، فهو يرفع قدر المتعلم حتى ولو كان كلباً، إذ أن الله ﷻ، شرط إباحة صيد الكلب بأن يكون معلماً (٢) .

---

(١) - سورة المائدة، الآية : ٤ .

(٢) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٤/١٣ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٥/٧ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٤٥-٤٦ .

٣٥ - باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر لقوله تعالى : ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ (١) .

١٤٣ - ١٧٦ - حَدَّثَنا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ المَقْبُرِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لا يَزَالُ العَبْدُ فِي صَلاةٍ مَا كَانَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ مَا لم يُحْدِثْ** » فَقَالَ رَجُلٌ أَعْجَمِيٌّ: مَا الحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ : الصَّوْتُ يَعْنِي الضَّرْطَةَ (٢) .

وفي رواية : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لم يُحْدِثْ، تَقُولُ : اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ اللهمَّ ارْحَمْهُ** » (٣) .

وفي رواية : .. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **صَلاةُ الجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى المَسْجِدَ لا يُرِيدُ إلا الصَّلاةَ، لم يَخْطُ خَطْوَةً إلا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ**

---

(١) - سورة النساء، الآية : ٣٢ .

(٢) - أطرافه : **الأول:** في كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد، برقم ٤٤٥، ١٣١/١ . **الثاني:** في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق، برقم ٤٧٧، ١٤٠/١ . **الثالث** : في كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، برقم ٦٤٧، ١٧٩/١ . **الرابع** : في كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، برقم ٦٤٨، ١٨٠/١ . **الخامس** : في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، برقم٦٥٩، ١٨١/١ . **السادس** : في كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، برقم ٢١١٩، ٢٦/٣ . **السابع** : في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء، برقم٣٢٢٩، ٩٩/٤. **الثامن** : في كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل (الإسراء)، برقم٤٧١٧، ٢٧١/٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، برقم٦٤٩،٤٤٩/١.

(٣) - كتاب الصلاة ، باب الحدث في المسجد ، برقم٤٤٥ ، ١٣١/١ .

خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ..» (١).

وفي رواية : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **تَفْضُلُ صَلاةُ الْجَمِيعِ صَلاةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا وَتَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ** » ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٢) . (٣)

وفي رواية : « .. **لا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُهُ لا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلا الصَّلاةُ** » (٤) .

وفي رواية : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **صَلاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لا يُرِيدُ إِلا الصَّلاةَ لا يَنْهَزُهُ إِلا الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلا رُفِعَ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَالْمَلائِكَةُ تُصَلِّي** ..» (٥).

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : الحثُّ على صلاة الجماعة ، في المساجد.

ثانياً – من أساليب الدعوة : الترغيب .

---

(١) – كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق، برقم ٤٧٧، ١/١٤٠ .

(٢) – سورة الإسراء، الآية : ٧٨ .

(٣) – كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، برقم ٦٤٨، ١/١٨٠ .

(٤) – كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، برقم ٦٥٩، ١/١٨١ .

(٥) – كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، برقم ٢١١٩، ٣/٢٦ .

ثالثاً – من أصناف المدعوين : الأعاجم .

رابعاً – أهمية سؤال الإنسان عمّا يشكل عليه .

خامساً – التصريح ببعض الألفاظ المستقبحة للحاجة .

سادساً – أهمية ربط الحكم بالدليل الشرعي .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من موضوعات الدعوة : الحثُّ على صلاة الجماعة ، في المساجد :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث، يحثُّ على صلاة الجماعة بذكر أجرها وفضلها وذلك بقوله : « **صَلاةُ الجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى المَسْجِدَ لا يُرِيدُ إلا الصَّلاةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلا رَفَعَهُ الله بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ فِي صَلاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ** .. » .

إذن فمن موضوعات الدعوة إلى الله ﷻ، والتي لها أهمية كبيرة، ومكانة عظيمة في الدين، هي : صلاة الجماعة والخطى إليها في المساجد، ، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : وفي هذا الحديث بيان لفضل الصلاة على غيرها من الأعمال، لصلاة الملائكة على المصلي ودعائهم بالمغفرة والرحمة والتوبة له، ولعظم أجرها وأجر الخطى إليها [1] . ولا عجب فهي عمود الدين، والركن الثاني من أركانه العظام .

ثانياً – من أساليب الدعوة : الترغيب :

إن هذا الحديث فيه أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ﷻ، وهو : أسلوب الترغيب في العمل ، وهذا الأسلوب يظهر في هذا الحديث من عدة جوانب، وهي :

الأول – الترغيب بذكر زيادة درجة الصلاة جماعةً على صلاة الفرد، يقول ﷺ:

---

(١) – انظر : الاستذكار، لابن عبد البر، ٦/٢١٠، وعارضة الأحوذي، لابن العربي، ١/٣٦٠ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢/١٥٦ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٥٣ و ٤/٢٦٠ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ١/٣٢٤ .

« **صَلاةُ الجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاتِهِ فِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً..** » .

الثاني – الترغيب بكتابة درجة عن كل خطوة يخطوها إلى المسجد، وحطّ خطيئة عنه بها، إذ يقول ﷺ : « **فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وَأَتَى المَسْجِدَ لا يُرِيدُ إلا الصَّلاةَ، لم يَخْطُ خَطْوَةً إلا رَفَعَهُ الله بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ فِي صَلاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ ..** » .

الثالث – دعاء الملائكة للمصلي الذي ينتظر الصلاة، يقول ﷺ : « **المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لم يُحْدِثْ، تَقُولُ : اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ اللهمَّ ارْحَمْهُ** » .

الرابع – عدُّ الإنسان في صلاة، ما دام ينتظر الصلاة، وذلك من قوله ﷺ : « **لا يَزَالُ العَبْدُ فِي صَلاةٍ مَا كَانَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ مَا لم يُحْدِثْ** » .

إذن فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على توظيف هذا الأسلوب في دعوته، وذلك بترغيب الناس في الصلاة جماعة في المساجد، وانتظار الصلاة فيها . لأن من طبع النفوس أنها إذا عرفت الأجر والثواب، أقبلت على العمل بحماس وطمع فيه .

ثالثاً – من أصناف المدعوين : الأعاجم :

إن في هذا الحديث إشارة إلى صنف من أصناف المدعوين، وهم الأعاجم [١]، ومن سماتهم في الغالب، أنه يصعب عليهم فهم بعض الكلام، فيحتاجون إلى الشرح والتوضيح، فأبو هريرة رضي الله عنه، في هذا الحديث لما أشكل على الأعجمي معنى كلمة : « **مَا لم يُحْدِثْ** »، قَالَ هذا الرَّجُل الأَعْجَمِي : (مَا الحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟)، قَالَ له: (الصَّوْتُ يَعْنِي الضَّرْطَةَ) .

---

(١) – الأعجمي، هو : غير الفصيح بالعربية سواء كان عربي الأصل، أم لا . (انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٣٩/١١) .

رابعاً - أهمية سؤال الإنسان عمّا يشكل عليه :

من الدروس التي تُستفاد من هذا الحديث، هو : أنّ الإنسان ينبغي له سؤال العلماء عمّا يشكل عليه من المسائل التي يطرحونها، حتى يرتفع جهله، ويزول إشكاله، لذا قال الإمام مجاهد -رحمه الله-: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر [١]. وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : (نعم النساءُ نساءُ الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) [٢] .

خامساً - التصريح ببعض الألفاظ المستقبحة للحاجة :

لا حرج على الداعية إلى الله تعالى، أن يُصرح ببعض الألفاظ التي يُستحى منها، إذا دعت الحاجة إليها، إذ نجد في هذا الحديث أن الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه، لما أشكل على الأعجمي معنى كلمة : « **مَا لَمْ يُحْدِثْ** »، قَالَ له بصراحة : (الصَّوْتُ يَعْنِي الضَّرْطَةَ)، حتى يفهم المراد، ولا يشكل عليه شيء .

سادساً - أهمية ربط الحكم بالدليل الشرعي :

إن أبا هريرة رضي الله عنه، بعد بيانه للحكم الشرعي المذكور في حديث رسول الله ﷺ: « **تَفْضُلُ صَلاةُ الجَمِيعِ صَلاةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا وَتَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاةِ الفَجْرِ** »، أكده بقوله : فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، وهذا من باب التأكيد على الاهتمام بصلاة الفجر، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إن استشهاد أبي هريرة رضي الله عنه في الحديث بالآية، لِيُشير إلى أن الاهتمام بها آكد [٣] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى، الاهتمام بذكر الأدلة الشرعية، لما لها من إعطاء الكلام قوة وتأكيداً لدى المدعوين للعمل بما يدعوهم إليه .

---

(١) - انظر : صحيح البخاري، ٤٧/١ .

(٢) - المصدر السابق ، ٤٧/١ .

(٣) - انظر : فتح الباري، ١٦٢/٢ .

١٤٤ - ١٧٩ - حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِذَا جَامَعَ فَلَمْ يُمْنِ ؟ قَالَ عُثْمَانُ : يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاةِ، وَيَغْسِلُ ذَكَرَهُ . قَالَ عُثْمَانُ : سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَسَأَلتُ عَنْ ذَلِكَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَأُبَيَّ ابْنَ كَعْبٍ ﷺ فَأَمَرُوهُ بِذَلِكَ (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية السؤال والرجوع إلى أهل العلم فيما يُشكل .

ثانياً – أهمية ذكر الحكم مقروناً بدليله الشرعي .

ثالثاً – من خصائص الدعوة إلى الله : التيسير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية السؤال والرجوع إلى أهل العلم فيما يُشكل :

إن سؤال طالب العلم لشيخه، عمّا يُشكل عليه، له أهمية كبيرة، فبه يظهر العلم، ويرتفع الجهل الذي هو سبب الإشكال، فخالد بن زيد ﷺ، في هذا الحديث لما أشكل عليه مسألة الوضوء، أو الغسل لمن جامع ولم يُنزل، سأل عن هذه المسألة، ومن هذا نخرج بالفوائد الآتية :

١ – أنه ينبغي لطالب العلم أن لا يستحي من السؤال عمّا يجهله، فالعلم كما قال الإمام مجاهد – رحمه الله – : لا يناله مستحي ولا مستكبر (٢)، فابن زيد ﷺ سأل عن الجماع، وهو مما قد يستحي بعض الناس من ذكره، أو السؤال عن بعض أحكامه .

---

(١) – طرفه : في كتاب الغسل، باب غسل ما يصيب من فرج المرأة، برقم٢٩٢، ١/٨٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب إنما الماء من الماء، برقم٣٤٦، ١/٢٧٠ .

(٢) – انظر : صحيح البخاري، ١/٤٧ .

٢ - حسن اختيار العالم، فابن زيد رضي الله عنه، لّما أراد أن يسأل عن هذه المسألة، اختار مجموعة من أكبر علماء الصحابة رضي الله عنهم، وهم عثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وأبي بن كعب رضي الله عنهم، فسألهم عن حكم مسألته .

٣ - الحرص على توثيق العلم وتأكيده، فالصحابي الجليل خالد بن زيد رضي الله عنه، لما سأل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، سأل غيره، من باب تأكيد العلم وتوثيقه بكثرة طرقه ومن قال به، ولذا نرى أنه رضي الله عنه، لما حدث بهذه الفتوى، يذكر من قال بها ممن سألهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

ثانياً - أهمية ذكر الحكم مقروناً بدليله الشرعي :

إن الصحابي الجليل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، لما ذكر ما يجب على من جامع و لم ينزل، ذكر معه الدليل الشرعي على كلامه، وهو أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ، وهذا من كمال فقهه رضي الله عنه، لأن المدعو إذا ذكرت له مع الحكم الدليل الشرعي عليه، كان ذلك أدعى للعمل به، والاستجابة له .

ثالثاً - من خصائص الدعوة إلى الله : التيسير :

هذا الحديث فيه إشارة إلى خصيصة من خصائص الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وهي: التيسير، يقول كثير من العلماء - رحمهم الله - : أجمع التابعون ومن بعدهم بعد خلاف الصحابة رضي الله عنهم، أن الغسل يجب بمجرد الجماع ولو لم يُنزل، وأن هذا الحكم منسوخ بحديث عائشة رضي الله عنها، والذي جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا جلس بين شعبها الأربع، ومس الختان الختان، فقد وجب الغسل** » [1] . [2]

---

(١) - صحيح مسلم، في كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء، برقم٣٤٩، ٢٧٢/١ .

(٢) - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٦/٤، ٣٧ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٩٥/٢-١٩٧. ومكمل إكمال الإكمال، السنوسي، ١٩٥/٢، ١٩٦ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٩/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٧٣/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٥٢/٣ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣٣٥/١ .

وهذا النسخ كان من باب التيسير على الناس في بداية الإسلام لقلة الثياب، إذ يقول الصحابي الجليل أبي بن كعب ﷺ : إن الفتيا التي كانوا يفتون بها في قولهم : « **الماء من الماء** »، رخصة كان أرخص بها في أول الإسلام لقلة الثياب، ثم أمرنا بالاغتسال بعدها [١] .

إذن فقد كان الأمر بعدم الغسل في بداية التشريع، ثم بعد ذلك جاء الأمر به، كان من باب التيسير على الناس في الأحكام والتشريعات مراعاة لأحوالهم .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الرفق بالناس والتيسير عليهم، وفق ماجاءت به أحكام الشريعة السمحة .

---

(١) - انظر : مسند الإمام أحمد، برقم٢١٠٩٣، ١١٥/٥ . وسنن أبي داود، في كتاب الطهارة، باب في الإكسال، برقم٢١٤، و٢١٥ . وسنن الترمذي، أبواب الطهارة، باب ما جاء أن الماء من الماء، برقم١١٠، ١٨٣/١ . وقال عنه حسن صحيح . وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : إسناده صالح لأن يحتج به، وصححه ابن خزيمة وابن حبان . انظر : فتح الباري، ٤٧٣/١ .

١٤٥ - ١٨٠ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ قَالَ : أَخْبَرَنَا النَّضْرُ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنِ الحَكَمِ عَنْ ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَجَاءَ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :« **لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ** ؟ » فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا أُعْجِلْتَ - أَوْ قُحِطْتَ - فَعَلَيْكَ الوُضُوءُ** » . تَابَعَهُ وَهْبٌ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : وَلَمْ يَقُلْ غُنْدَرٌ وَيَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ : الوُضُوءُ (١) .

شرح غريب الحديث :

(رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ) - هو : عِتْبَان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه (٢) .

« **قُحِطْتَ** » - يقال أقحط الرجل : إذا جامع ولم ينزل، ويقال قحط الناس، وأقحطوا إذا حبس عنهم المطر، ومنه استعير ذلك لتأخر الإنزال (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - مسارعة الصحابة رضي الله عنهم في الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ .

ثانياً - من صفات الداعية : الفطنة

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - مسارعة الصحابة رضي الله عنهم في الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ :

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم، من أسرع الناس استجابة لأمر رسول الله ﷺ، وفي هذا

---

(١) - وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب إنما الماء من الماء، برقم ٣٤٥، ١/٢٦٩ .

(٢) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/٣٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٣٤١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٥٨ .

(٣) - انظر : المفهم، للقرطبي، ١/٦٠٠ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٣/٢٠ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٣٤١ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٥٨ .

الحديث ما يشهد له، حيث أن النبي ﷺ، لما أرسل في طلب الصحابي الجليل عتبان بن مالك رضي الله عنه، سارع في الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ، فلذا لّما رآه ﷺ قال له : « **لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ ؟** »، فَقَالَ : نَعَمْ .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله تعالى، المسارعة إلى الاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ، وشرعه، وحثّ المدعوين على الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، في الاستجابة، بل والمسارعة فيها

ثانياً - من صفات الداعية : الفطنة :

إن قول النّبيُّ ﷺ : « **لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ ؟**»، بعد أن رأى على الأنصاري رضي الله عنه، أثر الاغتسال، فيه دليل على فطنة رسول الله ﷺ، وأخذه بالقرائن، يقول بعض العلماء -رحمهم الله -: إن هذا الحديث يدل على جواز الأخذ بالقرائن، لأن الصحابي رضي الله عنه، لّما أبطأ عن الإجابة مدة الاغتسال، خالف المعهود منه وهو سرعة الإجابة للنبي ﷺ، فلما رأى عليه أثر الغسل، دل على أنه كان مشغولاً بجماع [(١)] .

إذن فبفطنة رسول الله ﷺ، استطاع أن يعرف ما حال هذا الرجل، فيوجهه إلى ما ينبغي في حقه، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله تعالى، فطناً منتبهاً لقرائن الأمور، التي قد يبني عليها موقفه الدعوي .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢٠/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٤١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٥٨/٣ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣٣٦،١ .

٣٦ - باب الرجل يوضئ صاحبه

١٤٦ - ١٨٢ - حَدَّثَنا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالوَهَّابِ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ يُحَدِّثُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَأَنَّهُ ذَهَبَ لِحَاجَةٍ لَهُ، وَأَنَّ مُغِيرَةَ جَعَلَ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ (١) .

وفي رواية : .. قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: « **دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ** »، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا (٢) .

وفي رواية : عَنْ مُغِيرَةَ ابْنِ شُعْبَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ : « **يَا مُغِيرَةُ خُذِ الإِدَاوَةَ** » فَأَخَذْتُهَا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَأْمِيَّةٌ، فَذَهَبَ لِيُخْرِجَ يَدَهُ مِنْ كُمِّهَا فَضَاقَتْ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ فَتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، ثُمَّ صَلَّى (٣) .

وفي رواية : (.. عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِيهِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : ذَهَبَ النَّبِيُّ

---

(١) – أطرافه : **الأول:** في كتاب الوضوء، باب المسح على الخفين، برقم٢٠٣، ٦٦/١ . **الثاني:** في كتاب الوضوء، باب إذا أدخل رجليه وهما طاهرتان، برقم ٢٠٦، ٢٠٦/١ . **الثالث** : في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الجبة الشامية، برقم ٣٦٣، ١١٠/١ . **الرابع** : في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الخفاف، برقم٣٨٨، ١١٧/١ . **الخامس** : في كتاب الجهاد والسير، باب الجبة في السفر والحرب، برقم٢٩١٨، ٣٠٤/٣ . **السادس** : في كتاب المغازي، باب برقم ٨٢، رقم الحديث ٤٤٢١، ١٥٧/٥. **السابع** : في كتاب اللباس، باب من لبس الجبة ضيقة الكمين في السفر، برقم٥٧٩٨، ٤٧/٧ . **الثامن:** في كتاب اللباس، باب لبس جبة الصوف في الغزو، برقم ٥٧٩٩، ٤٨/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين، برقم٢٧٤، ٢٢٨/١ .

(٢) – كتاب الوضوء، باب إذا أدخل رجليه وهما طاهرتان، برقم ٢٠٦، ٢٠٦/١ .

(٣) – كتاب الصلاة، باب الصلاة في الجبة الشامية، برقم ٣٦٣، ١١٠/١ .

ﷺ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقُمْتُ أَسْكُبُ عَلَيْهِ المَاءَ لا أَعْلَمُهُ إلا قَالَ : فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ..) [١] .

وفي رواية : .. قَالَ :كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ : « **أَمَعَكَ مَاءٌ ؟** » قُلْتُ : نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ..)[٢].

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم .

ثانياً – حرص الصحابة رضي الله عنهم على خدمة رسول ا لله ﷺ .

ثالثاً – من وسائل الدعوة : لبس الثياب الملائمة .

رابعاً – من صفات الداعية : الحياء .

خامساً – من خصائص الدعوة : التيسير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم :

إن في سند هذا الحديث،ما يُؤكد على حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم، فعُرْوَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ [٣]، يُحَدِّثُ عَنِ أبيه الصحابي الجليل الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، بحديث

---

(١) – كتاب المغازي، باب برقم ٨٢، رقم الحديث ٤٤٢١، ١٥٧/٥ .

(٢) – كتاب اللباس، باب لبس جبة الصوف في الغزو، برقم ٥٧٩٩، ٤٨/٧ .

(٣) – هو : عروة بن المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد ابن عوف بن قيس الثقفي الكوفي ،. روى عن أبيه، وعن عائشة رضي الله عنهما، وروى عنه عباد ابن زياد، ونافع بن جبير، والشعبي وقال عنه : كان خَير أهل بيته . (انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٢٢/٣ . وتهذيب التهذيب، لابن حجر، ١٧٠/٧) .

رسول الله ﷺ، وهذا منهم لمعرفتهم بأهمية العلم ونشره، وأحق الناس به : هم الأبناء والأقربون .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الحرص على تعليم أبنائه الدين وما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ثم الأقرب فالأقرب .

ثانياً - حرص الصحابة ﷺ على خدمة رسول الله ﷺ :

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتسابقون على خدمته ويتشرفون بذلك، فهذا الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة ﷺ، يقول عن نفسه : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: « **دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ** »، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : وهذا من المغيرة ﷺ، احتراماً للنبي ﷺ، وخدمة له[١].

إذن فينبغي لطالب العلم، احترام العلماء وخدمتهم، اقتداءً بصحابة رسول الله ﷺ، وهم الأحرار الأخيار، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : في هذا الحديث من الفوائد : خدمة العالم، وللخادم أن يقصد إلى ما يعرف من خدمته دون أن يأمر بها، وأن الخدمة لا تختص بالأرقاء، بل يجوز ذلك في حق الأحرار [٢] .

ثالثاً - من وسائل الدعوة : لبس الثياب الملائمة :

إن في هذا الحديث إشارة إلى وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ﷻ، وهي : لبس الثياب الضيقة - المشروعة - أثناء السفر أو العمل وذلك لسهولة الحركة فيها، وخصوصاً إذا كان الداعية إلى الله ﷻ، في عمل دعوي يستلزم خفة الحركة والانطلاق كالجهاد في سبيل الله ﷻ، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : في هذا

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٦٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٩٩/٣، ١٠٣ . و فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين، ص٢١٧ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٦٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٩٩/٣، ١٠٣ . و فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين، ص٢٢١ .

الحديث بيان لسنة من سنن رسول الله ﷺ، في السفر، وهي لبس الثياب الضيقة، لأنها أعون عليه، وهي مستحبة في الغزو، للتشمير، والتأسي به ﷺ (١) .

رابعاً - من صفات الداعية : الحياء :

لقد جاء في هذا الحديث أن المغيرة بن شعبة ﷺ، قال : إن النبي ﷺ، نَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ ..، وهذا منه ﷺ، لشدة حيائه من أن يرى وهو في وضع قضاء الحاجة، يقول بعض العلماء -رحمهم الله-: ومن هذا يستفاد أدب من آداب الشرع، وهو : الإبعاد عند قضاء الحاجة، والتواري عن الأعين (٢) .

خامساً - من خصائص الدعوة : التيسير :

الدين الإسلامي دين اليسر والسماحة، وهذا الحديث مما يدل على ذلك، يقول الشيخ / ابن عثيمين - حفظه الله - : المسح على الخفين ثابت بالقرآن والسنة المتواترة عن النبي ﷺ، يقول الإمام أحمد - رحمه الله - : ليس في قلبي شيء من المسح، فيه أربعون حديثاً عن النبي ﷺ، أما في القرآن ففي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيدكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ (٣)، وأرجلكم فيها قراءة سبعية صحيحة، وهي : ﴿ وأرجِلِكم ﴾ بالخفض (٤)، وهذه القرآة تشير إلى المسح على الخفين، بل يتعين أن تكون دالة عليه،

---

(١) - انظر : الاستذكار، لابن عبد البر، ٢/٢٣٣ . والمفهم، للقرطبي، ١/٥٣٠ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٣٦٧ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/١٠٠ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ١/٧٧ .

(٢) - انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢/٨٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٣٦٨ .وعمدة القاري، للعيني، ٣/١٠٠ .

(٣) - سورة المائدة، الآية : ٥ .

(٤) - انظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٦/٩١ .

وذلك لأن جميع الواصفين لوضوء الرسول ﷺ، لم يذكروا أنه كان يمسح رجله بدون أن يكون عليها الخف، بل كان يغسلهما، بل أنه ﷺ أنكر على من لم يغسل رجليه بقوله : « **ويل للأعقاب من النار** » (١) . إذن فالمسح على الرجل وهي مكشوفة، لم يرد عن النبي ﷺ، فإذا لم يرد، فلا بد أن تنزل الآية على معنى صحيح، والمعنى الصحيح هو : أن تكون دالة على المسح (٢) .

---

(١) – صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم، برقم ٦٠، ٢٥/١ .

(٢) – انظر : فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين، ص٢١٥ . وانظر : الاستذكار، لابن عبد البر، ٢٣٣/٢ . والمفهم، للقرطبي، ٥٢٧/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٦٥/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٠٠/٣، ١٠٢. وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٧٦/١ .

٣٩ - باب مسح الرأس كله، لقول الله تعالى :

﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ (١) .

١٤٧ - ١٨٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى المَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ (٢) جَدُّ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى : أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ : نَعَمْ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَ مَرَّتَيْنِ،ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلاثًا،ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى المَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ (٣) .

وفي رواية : (.. ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا وُضُوءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ) (٤) .

وفي رواية : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ، فَتَوَضَّأَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ

---

(١) - سورة المائدة، الآية : ٦ .

(٢) - الضمير هنا يعود على الرجل السائل، وهو : عمر بن يحيى، وإنما قال : جدّ عمرو بن يحيى تجوزاً، لأنه عم أبيه، وسماه جداً لكونه في منزلته . (انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٤٨/١. وعمدة القاري، للعيني، ٦٨/٣) .

(٣) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين إلى الكعبين، برقم١٨٦، ٦٢/١ . **الثاني:** في كتاب الوضوء، باب من مضمض واستنشق من غرفة واحدة، برقم ١٩١، ٦٣/١ . **الثالث** : في كتاب الوضوء، باب مسح الرأس مرة، برقم١٩٢، ٦٤/١ . **الرابع** : في كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح، برقم ١٩٧، ٦٥/١ . **الخامس** : في كتاب الوضوء، باب الوضوء من التور، برقم ١٩٩، ٦٥/١ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب في وضوء النبي ﷺ، برقم٢٣٥، ٢١٠/١ .

(٤) - كتاب الوضوء، باب من مضمض واستنشق من غرفة واحدة، برقم ١٩١، ٦٣/١ .

وَأَدْبَرَ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ (١) .

وفي رواية : (.. فَقَالَ : هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ) (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم .

ثانياً – أهمية التطبيق العملي في الدعوة إلى ا لله ﷻ .

ثالثاً – من أساليب الدعوة : السؤال والجواب .

رابعاً – أهمية ذكر الدليل على الحكم .

خامساً – من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم :

فكما سبق ذكره (٣) من أن سلفنا الصالح كانوا يحرصون على تعليم أبنائهم السنة وأحكام الدين، لمعرفتهم بمسؤوليتهم تجاه أبنائهم وأقربائهم، نجد أن في سند هذا الحديث، ما يُؤكد على ذلك، فيحيى المازني (٤)، يُحدث ابنه عمرو (٥) - رحمهما

---

(١) – كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح، برقم ١٩٧، ٦٥/١ .

(٢) – كتاب الوضوء، باب الوضوء من التور، برقم ١٩٩، ٦٥/١ .

(٣) – انظر مثلاً : ص٦٨٦ و٦٩٠ و٦٩٤ و٧٥٤ ، من هذا البحث .

(٤) – هو : يحيى بن عمارة بن أبي حسن تميم بن عبد بن عمرو بن قيس المازني الأنصاري، روى عن عبدا لله بن زيد، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري ﷺ، وعنه ابنه عمرو، ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة، والزهري . (انظر : تهذيب التهذيب، لابن حجر، ٢٢٧/١١ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٨/٣) .

(٥) – هو : عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي حسن تميم بن عبد بن عمرو بن قيس المازني الأنصاري، روى عن أبيه، وعباد بن تميم، ومحمد بن يحيى ،، وسعيد بن يسار، توفي سنة مائة وأربعين من =

الله - بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ .

ثانياً - أهمية التطبيق العملي في الدعوة إلى الله تعالى :

إن هذا الحديث تعليم بالفعل، والتعليم بالفعل أسهل في الإيضاح، فرسول الله ﷺ، يُعلم أصحابه ﷺ، كيفية الوضوء بتطبيقه أمام أعينهم، إذ يقول الصحابي الجليل عبد الله بن زيد رضي الله عنه : (أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ، فَتَوَضَّأَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا ..)، والصحابي الجليل عبد الله بن زيد رضي الله عنه، اقتدى برسول الله ﷺ وعلم الناس الوضوء بتطبيقه أمام أعينهم، لما سئل عن ذلك، حتى يعرف الجميع كيفيته، والسنة فيه، وذلك لأنه كما يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن التعليم بالفعل أبلغ من القول (١) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله الحرص على هذه الوسيلة الدعوية المهمة، لسهولتها، وكونها أبلغ من القول، وخاصة في الأمور العملية التفصيلية، كالوضوء، والصلاة، والحج، والعمرة، وغيرها .

ثالثاً - من أساليب الدعوة : السؤال والجواب :

إن السؤال والجواب ، باب عظيم من أبواب تحصيل العلم ونشره بين الناس، وفي هذا الحديث نجد أن هذا العلم كان جواباً عن سؤال للصحابي الجليل عبد الله بن زيد رضي الله عنه، ومن هذا الحديث نخرج بفوائد تتعلق بهذا الأسلوب الدعوي، وهي :

١ - ينبغي لطالب العلم التلطف في السؤال مع العالم، وذلك يؤخذ من قول الرجل السائل لعبد الله بن زيد رضي الله عنه : (أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ ؟)، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن

= الهجرة . (انظر : تهذيب التهذيب، لابن حجر، ١٠٥/٨ . وعمدة القاري، للعيني، ٦٨/٣) .

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢٣/٣ . وفتح الباري، ٣١٣/١، ٣٤٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٢/٣ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٦٨/١ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٤٣/١ . وفتح ذي الجلال والإكرام، لابن عثيمين، ص١٦٠ .

ذلك : (فيه ملاطفة الطالب للشيخ) [١] .

٢ - أهمية السؤال والرجوع إلى العلماء المعتبرين فيما أشكل، وذلك يؤخذ من اختيار الرجل السائل - رحمه الله - للصحابي الجليل عبد الله بن زيد ﷺ، الذي له علم بسنة رسول الله ﷺ، واطلاع عليها .

رابعاً - أهمية ذكر الدليل على الحكم :

في هذا الحديث بعد أن أجاب الصحابي الجليل عبد الله بن زيد ﷺ، عن سؤال السائل، أكده بقوله : (هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ)، وذلك لعلمه بأهمية ذكر الدليل على الحكم، في التأثير على المدعو وحثه على العمل به .

خامساً - من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير :

إن هذا الحديث تعليم لكيفية الوضوء، وفي أحد فروضه، وهو المسح على الرأس مرة واحدة، تظهر خصيصة من خصائص هذا الدين العظيم، وهي : التيسير على الناس، يقول الشيخ / ابن عثيمين - حفظه الله - : (والحكمة من مسح الرأس واحدة، أنه لما خفف في عدم فرضية الغسل، خفف في صفة التطهير، ولأن الرأس غالباً يكون عليه شعر، وإكثار الماء عليه، ولا سيما في أيام الشتاء يؤذي الإنسان، وغسله أيضاً وهو أعلى البدن، يوجب أن يتسرب الماء إلى ثيابه، ولهذا من الحكمة البالغة في شريعة الله ﷻ، أن تنزل الأشياء في منازلها، لهذا لا تشرع الزيادة في مسح الرأس . أما ما ورد في بعض الأحاديث أنه مسح برأسه ثلاث مرات، فهي ضعيفة، لا تقاوم الأحاديث الصحيحية الصريحة) [٢] .

---

(١) - فتح الباري، ٣٤٩/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٧٢/٣ .

(٢) - فتح ذي الجلال والإكرام، لابن عثيمين، ص١٦٢ . وانظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٠/٢ .

٤١ - باب استعمال فضل وضوء الناس

١٤٨ - ١٨٧ - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا الحَكَمُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ (١) يَقُولُ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ (٢) .

وفي رواية : عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ، وَرَأَيْتُ بِلالًا أَخَذَ وَضُوءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَبْتَدِرُونَ ذَاكَ الوَضُوءَ فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا تَمَسَّحَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئًا أَخَذَ مِنْ بَلَلِ يَدِ صَاحِبِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُ بِلالًا أَخَذَ عَنَزَةً فَرَكَزَهَا وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مُشَمِّرًا

---

(١) - هو : أبو جحيفة السوائي الكوفي، واسمه : وهب بن عبد الله، ويقال له : وهب الخير، من صغار الصحابة ﷺ، وهو من أسنان ابن عباس ﷺما، وكان صاحب شرطة علي ﷺ . حدث عن النبي ﷺ، وعن علي والبراء ﷺما، روى عنه : علي بن الأقمر، والحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وولده عون بن أبي جحيفة، وآخرون . وقيل : إن علي ﷺ، إذا خطب، يقوم أبو جحيفة تحت منبره. اختلفوا في موته، فقيل : سنة أربع وسبعين، وقيل : عاش إلى ما بعد الثمانين . (انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٢٨٩١، ١١/١٦٩-١٧٠ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣/٢٠٢-٢٠٣ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٩١٦٧، ١٠/٣٢١-٣٢٢).

(٢) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الأحمر، برقم ٣٧٦، ١/١١٤ . **الثاني**: في كتاب الصلاة، باب سترة الإمام سترة من خلفه، برقم ٤٩٥، ١/١٤٣ . **الثالث** : في كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى العنزة، برقم٤٩٩، ١/١٤٤ . **الرابع** : في كتاب الصلاة، باب السترة بمكة وغيرها، برقم٥٠١، ١/١٤٤ . **الخامس** : في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، برقم ٦٣٣، ١/١٧٦ . **السادس** : في كتاب الأذان، باب هل يتتبع المؤذن فاه هاهنا وها هنا، برقم ٦٣٤، ١/١٧٦ . **السابع والثامن** : في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم ٣٥٥٣، ٤/٢٠٠ . وبرقم ٣٥٦٦، ٤/٢٠٢ . **التاسع** : في كتاب اللباس، باب التشمير في الثياب، برقم٥٧٨٦، ٧/٤٤ . **العاشر** : في كتاب اللباس، باب القبة الحمراء من آدم، برقم٥٨٥٩، ٧/٦٤ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، برقم٥٠٣، ١/٣٦٠ .

صَلَّى إِلَى العَنَزَةِ بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ وَالدَّوَابَّ يَمُرُّونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ العَنَزَةِ(١).

وفي رواية : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِهِمْ بِالبَطْحَاءِ - وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ - الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، تَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ المَرْأَةُ وَالحِمَارُ (٢) .

وفي رواية : قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالأَبْطَحِ، فَجَاءَهُ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاةِ، ثُمَّ خَرَجَ بِلالٌ بِالعَنَزَةِ حَتَّى رَكَزَهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالأَبْطَحِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ (٣).

وفي رواية : عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ رَأَى بِلالًا يُؤَذِّنُ، فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هَهُنَا وَهَهُنَا بِالأَذَانِ (٤) .

وفي رواية : (.. وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ (٥).

وفي رواية : (.. قَالَ : دُفِعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِالأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ كَانَ بِالهَاجِرَةِ، خَرَجَ بِلالٌ فَنَادَى بِالصَّلاةِ، ثُمَّ دَخَلَ فَأَخْرَجَ فَضْلَ وَضُوءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَقَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَأْخُذُونَ مِنْهُ، ثُمَّ دَخَلَ فَأَخْرَجَ العَنَزَةَ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ سَاقَيْهِ فَرَكَزَ العَنَزَةَ ..) (٦) .

شرح غريب الحديث :

(الأَبْطَحِ أو البَطْحَاءِ) - كل مكان متسع من الأرض، والمقصود به في الحديث

---

(١) - كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الأحمر، برقم ٣٧٦، ١١٤/١ .

(٢) - كتاب الصلاة، باب سترة الإمام سترة من خلفه، برقم ٤٩٥، ١٤٣/١ .

(٣) - كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، برقم ٦٣٣، ١٧٦/١ .

(٤) - كتاب الأذان، باب هل يتتبع المؤذن فاه هاهنا وها هنا، برقم ٦٣٤، ١٧٦/١ .

(٥) - كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم ٣٥٥٣، ٢٠٠/٤ .

(٦) - كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، برقم ٣٥٦٦، ٢٠٢/٤ .

المكان الذي نزل فيه رسول الله ﷺ، عند انصرافه من منى، وهو قريب من مكة، عند خيف بني كنانة (١) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم .

ثانياً – شدة محبة الصحابة ﷺ ، لرسول الله ﷺ .

ثالثاً – من أساليب الدعوة : الأذان للصلاة .

رابعاً – من خصائص وصفات رسول الله ﷺ : بركته وطيب ملمسه ورائحته.

خامساً – أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله ﷻ .

سادساً – من صفات الداعية : الحرص على السنن .

سابعاً – من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص سلفنا الصالح على تعليم أبنائهم :

فكما سبق ذكره (٢) من أن سلفنا الصالح كانوا يحرصون على تعليم أبنائهم السنة وأحكام الدين، لمعرفتهم بمسؤوليتهم تجاه أبنائهم وأقربائهم، نجد أن في سند هذا الحديث أيضاً، ما يُؤكد على ذلك، فالصحابي الجليل أبو جحيفة ﷺ، يُحدث ابنه عون (٣) – رحمه الله – بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ .

---

(١) – انظر : شرح غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٣٩١ .

(٢) – انظر مثلاً : ص٦٨٦ و٦٩٠ و٦٩٤ و٧٥٤ ، من هذا البحث .

(٣) – هو : عون بن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السّائي الكوفي، روى عن أبيه، والمنذر بن جرير بن عبد الله، وحدَّث عنه مالك بن مغول، وحجاج بن أرطاة، وشعبة، وسفيان الثوري، مات قبل سنة عشرين ومئة . (انظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٠٥/٥) .

ثانياً- شدة محبة الصحابة ﷺ ، لرسول الله ﷺ :

إن هذا الحديث فيه دلالة عظيمة على شِدَّةِ محبة الصحابة ﷺ، لرسول الله ﷺ، وتسابقهم على فضلاته الطاهرة المباركة، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (وفيه - أي هذا الحديث - تعظيم الصحابة للنبي ﷺ) [1] .

وهكذا ينبغي أن يكون كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله تعالى، من عِظم المحبة لرسول الله ﷺ، وإذا كان ﷺ الآن ميتاً، فسنته ودينه ما زالت باقية، ولن تزال، فالتمسك بها ومحبتها، والدعاء له ﷺ، والإكثار من الصلاة والسلام عليه ، هو عنوان هذه المحبة ودليله، يقول الله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [2].

ثالثاً - من أساليب الدعوة : الأذان للصلاة :

يقول الصحابي الجليل أبو جحيفة ﷺ : (إنَّهُ رَأَى بِلالًا يُؤَذِّنُ، فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هَهُنَا وَهَهُنَا بِالأَذَانِ)، وفي هذا إشارة لأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وهو النداء للصلاة (الأذان)، (ومعنى الأذان في اللغة : الإعلام، يقول الله تعالى : ﴿ وأذان من الله ورسوله ﴾ [3]، واشتقاقه من الأذن بفتحتين وهو الاستماع، وشرعاً: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة) [4] .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (ذكر العلماء في حكمة الأذان، أربعة أشياء : إظهار شعار الإسلام، وكلمة التوحيد، والإعلام بدخول وقت الصلاة ومكانها، والدعاء إلى الجماعة) [5] .

---

(١) - فتح الباري، ١/٦٨٤ .

(٢) - سورة آل عمران، الآية : ٣١ .

(٣) - سورة التوبة، الآية : ٣ .

(٤) - فتح الباري، لابن حجر، ٢/٩٢ . وانظر : المفهم، للقرطبي، ٢/٥ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٤/٧٥ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٥/٢ .

(٥) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/٧٧ . وانظر : المفهم، للقرطبي، ٢/٧ . وفتح الباري، لابن =

رابعاً - من خصائص وصفات رسول الله ﷺ : بركته وطيب ملمسه ورائحته :

كان رسول الله ﷺ، يختصُّ بخصائص وصفات كثيرة، منها ما ورد في هذا الحديث، من جواز التبرك به ﷺ، حياً وما يفضل منه (١) ، وطيب ملمسه ورائحته، إذ يقول الصحابي الجليل أبو جحيفة ﷺ : (فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ) .

خامساً - أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله ﷻ :

ينقل الصحابي الجليل أبو جحيفة ﷺ، في هذا الحديث أفعالاً لرسول الله ﷺ، أو أقرها، وهذا مما يبين لنا أهمية كون الداعية إلى الله ﷻ، قدوة صالحة للناس، فهو يدعو الناس بفعله، كما أنه يدعو الناس بقوله، وذلك لشدة مراقبة الناس له، وتتبعهم لأخباره وأفعاله وأحواله .

سادساً - من صفات الداعية : الحرص على السنن :

إن هذا الحديث فيه بيان لما كان عليه رسول الله ﷺ، قدوة الدعاة وسيدهم، من الحرص على النظافة والطهارة، والإتيان بالسنن، فهو إذا صلى بعد وضوئه وليس عنده سترة، فالسترة تحمل معه، وهي العنزة، وعن حملها يقول بعض العلماء -رحمهم الله-: كانت تحمل لأنه كان إذا استنجى توضأ، وإذا توضأ صلى، فكانت توضع بين يديه سترة له (٢) .

إذن فالداعية إلى الله ﷻ، ينبغي له الحرص على الإتيان بالسنن والمستحبات، وذلك بالاستعداد لها، وخاصة ما يتعلق بالطهارة والصلاة، لشدة محافظة النبي ﷺ عليها .

=

حجر، ٩٢/٢ .

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٣٤/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٦٨٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٥/٣ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣٤٤/١ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ١٩٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٠٣/١، ٣٠٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٢٩٣/٢ .

سابعاً - من خصائص الدعوة الإسلامية : التيسير :

يقول الصحابي الجليل أبو جحيفة ﷺ : (إنَّ النَّبيَّ ﷺ صَلَّى بِهِمْ بِالبَطْحَاءِ - وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ - الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ ..)، وفي هذا بيان لخصيصة من خصائص الإسلام، وهي : التيسير، إذ رخص للمسافر بقصر الصلاة وجمعها، وذلك لمشقة السفر، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (فيه - أي هذا الحديث - دليل على القصر والجمع في السفر، وفيه أن الأفضل لمن أراد الجمع وهو نازل في وقت الأولى، أن يقدم الثانية إلى الأولى، كذا جاءت الأحاديث، ولأنه أرفق به) [١] .

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢١/٤ .

١٤٩ - ١٨٨ - وَقَالَ أَبُو مُوسَى : دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ : « **لَهُمَا اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا** » (١) .

وفي رواية : عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِالجِعْرَانَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلالٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ : أَلا تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي. فَقَالَ لَهُ : « **أَبْشِرْ** » فَقَالَ : قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ . فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلالٍ كَهَيْئَةِ الغَضْبَانِ، فَقَالَ : « **رَدَّ الْبُشْرَى فَاقْبَلا أَنْتُمَا** » قَالا : قَبِلْنَا . ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ : « **اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا** » فَأَخَذَا القَدَحَ فَفَعَلا، فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ أَنْ أَفْضِلا لِأُمِّكُمَا فَأَفْضَلا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً (٢) .

شرح غريب الحديث :

(بِالجِعْرَانَةِ) - هي : ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب (٣) .

(وَمَجَّ فِيهِ) - أي : صبه وطرحه من فيه (٤) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - من أصناف المدعوين : قوي الإيمان، وضعيفه .

---

(١) - طرفيه :**الأول** : في كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب، برقم١٩٦، ١/٦٤ . الثاني: في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم ٤٣٢٨، ٥/١٢١ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى، برقم٢٤٩٧، ٤/١٩٤٣.

(٢) - كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم ٤٣٢٨، ٥/١٢١ .

(٣) - انظر : معجم البلدان، لياقوت الحموي، برقم٣١٤٢، ٢/١٦٥ .

(٤) - تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٨١ .

ثانياً – من صفات الداعية : الحلم .

ثالثاً – من صفات الداعية : التفاؤل .

رابعاً – بركة رسول الله ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين : قوي الإيمان، وضعيفه :

إن المدعوين أصناف متعددة، وكل صنف له خصائصه وسماته، كما له طريقته وأسلوبه الخاص في الدعوة إلى الله ﷻ، وهذا الحديث فيه إشارة لصنفين من أصناف المدعوين، وهما :

١ – ضعيف الإيمان، ومثاله في هذا الحديث الأعرابي الذي ردَّ بشرى النبي ﷺ، وآذاه بكثرة إلحاحه على إنجاز الوعد، يقول الإمام القرطبي – رحمه الله –: (قول الأعرابي: أكثرت عليَّ من أبشر، قولُ جلفٍ جاهل بحال النبي ﷺ،وبقدر البشرى ، التي بشَّره بها النبي ﷺ، لو قبلها، لكنها عُرضت عليه فحرُمَها، وقُضيت لغيره فقبلها)[1].

٢ – قوي الإيمان، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، المذكورون في هذا الحديث، من أمثال : أبي مُوسَى الأشعري، وَبِلالٍ بن رباح، وأمِّ المؤمنين : أمِّ سلمة رضي الله عنهم أجمعين، ومن سماتهم سرعة الاستجابة، للدعوة، والمبادرة إليها، يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – : لما عرضت البشارة على من عرف قدرها، بادر إليها وقبلها، فنال من البشارة الخير الأكبر، والحظَّ الأوفر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء [2] .

وهكذا فإن المدعوين أصناف مختلفة، وكل صنفٍ منهم له سماته، وخصائصه، والتي ينبغي ألا تغيب عن ذهن الداعية عند اختيار الموقف الدعوي المناسب لهم .

---

(١) – المفهم، ٤٤٧/٦ .

(٢) – انظر : المرجع السابق، ٤٤٨/٦ .

ثانياً - من صفات الداعية : الحلم :

لقد كان موقف رسول الله ﷺ، مع هذا الأعربي بعد أن عرض عليه البشرى، وردَّها عليه، فيه دلالة عظيمة على حلمه ﷺ، ورفقه بالناس وبأحوالهم، وعن ذلك، يقول الإمام الأبي - رحمه الله - : (لو صدر هذا من مسلم، كان رِدة، لأن فيه تهمته ﷺ، واستخفافاً بصدق وعده، وإنما صدر ممن لم يتمكن الإسلام من قلبه، ممن كان يستألف من أشراف العرب) (١) .

إذن فينبغي للداعية، أن يتصف بمثل هذه الصفة المهمة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، لكثرة أصناف المدعوين، واحتمال خطئهم عليه، أو ردّهم لدعوته .

ثالثاً -من صفات الداعية : التفاؤل :

إن رسول الله ﷺ، يقول للإعرابي الذي سأله الوعد : « أَبْشِرْ »، مع أنه لا يملك ما ينجز به الوعد أثناء قوله هذا (٢)، وذلك منه ﷺ، تفاؤلاً بسعة رحمة الله وبركته وفضله عز وجل .

رابعاً - بركة رسول الله ﷺ :

لقد كان من خصائص رسول الله ﷺ: بركته العظيمة، إذ كان الصحابة رضي الله عنهم، يتسابقون على التبرك به ويحرصون على ذلك أشدَّ الحرص، بل إنه إذا توضأ كادوا يقتتلون على فضل وضوئه(٣). وفي هذا الحديث ما يؤكد هذا، وذلك عندما دَعَا النبي ﷺ، بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ فِيهِ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: « **اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا**

---

(١) - إكمال إكمال المعلم، ٤٢٠/٨ . وانظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٤٢٠/٨ .

(٢) - يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (إن النبي ﷺ، كان أمر أن تجمع غنائم حنين بالجعرانه، وتوجه بالعساكر إلى الطائف، فلما رجع منها قسم الغنائم حينئذ بالجعرانه) . فتح الباري، ٦٤٣/٧.

(٣) - انظر : صحيح البخاري، في كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، برقم١٨٩، ٦٣/١.

عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا »، فَأَخَذ أبو موسى وبلال رضي الله عنهما،القَدَحَ فَفَعَلا.

بل ممّا يبين شدّة الحرص على ذلك، أنّ أمَّ سلمة رضي الله عنها، لمّا رأت ذلك نَادَتْ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ أَنْ أَفْضِلا لِأُمِّكُمَا، فَأَفْضَلا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً، وذلك ليصيبها من تلك البشرى والبركة حظٌّ ونصيب (١) .

---

(١) - انظر : المفهم، للقرطبي، ٤٤٨/٦ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٥/٣ .

بَاب (١).

١٥٠ - ١٩٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الجَعْدِ قَالَ:سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ (٢) يَقُولُ: ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ (٣).

وفي رواية : عَنِ الجُعَيْدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ جَلْدًا مُعْتَدِلًا، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مَا مُتِّعْتُ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي، إلا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. إِنَّ خَالَتِي ذَهَبَتْ بِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي شَاكٍ فَادْعُ اللهَ لَهُ. قَالَ : فَدَعَا لِي ﷺ (٤) .

شرح غريب الحديث :

(زِرِّ الحَجَلَةِ) - الحجلة بيت كالقبة يستر بالثياب، ويجعل له باب من جنسه،

---

(١) - هكذا في النسخة المعتمدة من غير اسم، ورقم .

(٢) - هو : السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة، أبو عبد الله، وأبو يزيد الكِندي المدني، قال السائب ﷺ : حج بي أبي مع النبي ﷺ وأنا ابن سبع سنين، حدث عنه : الزهري، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن حميد، وابنه عبد الله، وآخرون، توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل أربع وتسعين . (انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٩٠٢، ١١٦/٤-١١٨ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٣٧/٣-٤٣٨ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٣٠٧١، ١١٧/٤-١١٨).

(٣) - أطرافه : **الأول** : في كتاب المناقب، باب برقم ٢١، رقم الحديث ٣٥٤٠، ١٩٧/٤ . **الثاني: في** كتاب المناقب، باب خاتم النبوة، برقم٣٥٤١، ١٩٧/٤ . **الثالث : في** كتاب المرضى، باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له، برقم٥٦٧٠، ١٢/٧ . **الرابع : في** كتاب الدعوات، باب الدعاء للصبيان بالبركة، برقم٦٣٥٢، ٢٠١/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، برقم٢٣٤٥، ١٨٢٣/٤ .

(٤) - كتاب المناقب، باب برقم ٢١، رقم الحديث ٣٥٤٠، ١٩٧/٤ .

فيه زرٌّ وعروة، ويُشدُّ به إذا أغلق، وقيل : هي من حجل الفرس الذي بين عينيه، وقيل : الحجلة الطير المعروف، وزره، أي : بيضته [١] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً– من خصائص وصفات رسول الله ﷺ : خاتم النبوة، وأنه مستجاب الدعوة.

ثانياً – من أصناف المدعوين : الصبيان .

ثالثاً – من أساليب دعوة الصبيان، الدعاء لهم ومسح رؤوسهم .

رابعاً – مسؤولية الداعية في القيام بحقوق القريب .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من خصائص وصفات رسول الله ﷺ : خاتم النبوة، وأنه مستجاب الدعوة :

إن رسول الله ﷺ، له خصائص وصفات خاصة كثيرة، وقد ألف العلماء فيها التصانيف العظيمة [٢] ، وفي هذا الحديث إشارة إلى شيء منها، وهي :

١ – وجود خاتم النبوة بين كتفيه، إذ يقول الصحابي الجليل السائب بن يزيد رضي الله عنه في هذا الحديث : (ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ) . يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – : (اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قُلل قدر بيضة

---

(١) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٤٠٧ . وإكمال الإكمال، للأبي، ٨٤/٨ . وفتح الباري، لابن حجر، ٦٥٠/٦ . وعمدة القاري، للعيني، ٧٨/٣ .

(٢) – من أشهرها وأفضلها : كتاب : الشمائل المحمدية، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي. انظر : كلام العلماء على فضل هذا الكتاب ومنزلته، في مقدمة الكتاب، لمحققه / محمد عفيف الزعبي، ص٥-١٤، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، ط دار المطبوعات الحديثة، جدة .

الحمامة، وإذا كبر جمع اليد) (١) .

٢ – أنه مستجاب الدعوة، إذ يقول الصحابي الجليل السائب بن يزيد ﷺ في هذا الحديث : (قَدْ عَلِمْتُ مَا مُتِّعْتُ بِهِ سَمْعِي وَبَصَرِي، إلا بِدُعَاءِ رَسُولِ ا لله ﷺ . إنَّ خَالَتِي ذَهَبَتْ بِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ ا لله إِنَّ ابْنَ أُخْتِي شَاكٍ فَادْعُ ا لله لَهُ . قَالَ: فَدَعَا لِي ﷺ)، وعن بركة هذه الدعوة وأثرها، يقول الجُعَيْد بْن عَبْدِالرَّحْمَنِ – رحمه ا لله –: (رَأَيْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ جَلْدًا مُعْتَدِلًا) . يقول الإمام القرطبي – رحمه ا لله –: (إن ا لله ﷻ، قد أكرم محمداً ﷺ، بإجابة دعواته، وأسعفه في كثير من طلاباته، وكل ذلك يدل: على صدق مكانته، وصدق رسالته)(٢).

ثانياً – من أصناف المدعوين : الصبيان :

لقد كان رسول ا لله ﷺ، على عظم منزلته، وكثرة مشاغله، لا ينسى صنف من أصناف المدعوين، قد ينساه بعض الدعاة إلى ا لله ﷻ، في هذا الزمان، وهم : الأطفال، الذين يحتاجون من الدعاة إلى العناية بهم، والرحمة والشفقة عليهم .

ثالثاً – من أساليب دعوة الصبيان، الدعاء لهم ومسح رؤوسهم :

ساق الإمام البخاري – رحمه ا لله – في كتاب الدعوات، على هذا الحديث باباً قال فيه : باب الدعاء للصبيان بالبركة (٣) . وفي هذا بيان لأسلوب يسلكه الداعية إلى ا لله ﷻ، مع الأطفال وهو الدعاء لهم بالبركة، ومسح رؤوسهم لبيان الشفقة عليهم ورحمتهم (٤) .

---

(١) – نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ٦٥١/٦ .

(٢) – المفهم، ٦٨/٦ .

(٣) – صحيح البخاري، ٢٠١/٧ .

(٤) – انظر : عمدة القاري، للعيني، ٧٩/٣ .

رابعاً - مسؤولية الداعية في القيام بحقوق القريب :

مسؤولية الداعية إلى الله ﷻ، تختلف من شخص لآخر، ولكن هذه المسؤولية تكون آكد إذا كان المدعو من ذوي قرابته وأهله، وفي هذا الحديث نجد أن خالة السائب رضي الله عنهما [١]، تقوم بهذه الوظيفة والمسؤولية تجاه ابن أختها رضي الله عنهم أجمعين، لما رأته وجعاً يشكو من المرض، فكان لهذا العمل منها، إن متع ببركة دعوة رسول الله ﷺ، العمر الطويل، يقول الإمام البخاري - رحمه الله - في كتاب المرضى : باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له، ثم ساق هذا الحديث [٢] .

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ، مراعاة مسؤولياته الدعوية تجاه أقاربه أجمعين، وأن يراعي في ذلك الأقرب ثم الأقرب .

---

(١) - يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : لم أقف على اسم خالة السائب بن يزيد، وأما أمه فاسمها: عُلْبة بنت شريح، أخت مخرمة بن شريح . (فتح الباري، ٦٤٩/٦) .

(٢) - صحيح البخاري، ١٢/٧ .

٤٤ - باب وضوء الرجل مع امرأته، وفضل وضوء المرأة

١٥١ - ١٩٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَتَوَضَّئُونَ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَمِيعًا .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – مكانة المرأة في الإسلام .

ثانياً – أهمية الأمر بالمعروف وإنكار المنكرات .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - مكانة المرأة في الإسلام :

يقول الحافظ ابن عبد البر – رحمه الله –: في هذا الحديث دليلٌ واضح على إبطال قول من قال : لا يُتوضأ بفضل المرأة ، لأنه معلوم إذا اغترفا جميعاً من إناء واحد، أن كل واحد منهما متوضئ بفضل صاحبه (١) . ويقول – رحمه الله–: (والأصل في الماء الطهارة، لأن الله قد جعله طهوراً، فهو كذلك حتى يجمع المسلمون أنه نجس بما دخله، والمؤمن لا نجاسة فيه، والنجاسة فيه أعراض داخلة، والمرأة في ذلك كالرجل إذا سلما مما يعرض من النجاسات) (٢) . فلذا لما سئل الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما، عن فضل وضوء المرأة قال : (هنَّ ألطفُ بناناً، وأطيب ريحاً) (٣) . وهذا منه جوابٌ بجواز فضلها على كل حال .

---

(١) – انظر : الاستذكار ، ١٢٦/٢ . وانظر : معالم السنن، للخطابي، ٣٦/١ .

(٢) – الاستذكار، ١٢٨/٢ .

(٣) – المرجع السابق، ١٣٠/٢ .

ثانياً - أهمية الأمر بالمعروف وإنكار المنكرات :

استدل ابن عمر رضي الله عنهما، على جواز فضل وضوء المرأة بذكر حال أُقرت و لم تُغير لا بالفعل ولا بالقول، فقال : (كَانَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَتَوَضَّئُونَ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَمِيعًا)، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : أي أنه لو كان غير طاهر لم يُقروا على فعل غير الجائز في زمن التشريع، فقد استدل أبو سعيد وجابر رضي الله عنهما، على إباحة العزل بكونهم كانوا يفعلونه والقرآن ينزل، ولو كان منهياً لنهى عنه القرآن [١] .

فمن هنا تظهر أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ أنه على أقل تقدير عندما يقوم به الدعاة إلى الله تبارك وتعالى، لا يُظن فيهم أنهم يُقرون المنكرات ويرضون بها .

(١) - انظر : فتح الباري، ١/٣٥٨ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٨٥ .

٤٥ - باب صبّ النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه

١٥٢ - ١٩٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لا أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لِمَنِ المِيرَاثُ، إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلالَةٌ ؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الفَرَائِضِ (١) .

وفي رواية : عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلِمَةَ مَاشِيَيْنِ، فَوَجَدَنِي النَّبِيُّ ﷺ لا أَعْقِلُ شَيْئًا، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ : مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَنَزَلَتْ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (٢) . (٣)

وفي رواية : (.. فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي ؟ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي ؟ فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ (٤) .

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب تفسير القرآن، باب { يوصيكم الله في أولادكم }، برقم٤٥٧٧، ٢١٠/٥ . **الثاني**: في كتاب المرضى، باب عيادة المغمى عليه، برقم ٥٦٥١، ٥/٧ . **الثالث** : في كتاب المرضى، باب عيادة المريض راكباً وماشياً، برقم٥٦٦٤، ١٠/٧ . **الرابع** : في كتاب المرضى، باب وضوء العائد للمريض، برقم٥٦٧٦، ١٤/٧ . **الخامس** : في كتاب الفرائض، باب ميراث الأخوات والأخوة، برقم٦٧٤٣، ٩/٨ . **السادس** : في كتاب الاعتصام، باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه من الوحي فيقول : « لا أدري »، برقم٧٣٠٩، ١٨٨/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، برقم١٦١٦، ١٢٣٤/٣ .

(٢) - سورة النساء، الآية : ١١ .

(٣) - كتاب تفسير القرآن، باب { يوصيكم الله في أولادكم }، برقم٤٥٧٧، ٢١٠/٥ .

(٤) - كتاب المرضى، باب عيادة المغمى عليه، برقم ٥٦٥١، ٥/٧ .

شرح غريب الحديث :

(كَلالَةٌ) - العصبة وبنو العم، وهم من دون الآباء والأولاد من سائر الورثة(١).

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - من صفات الداعية : التواضع .

ثانياً - شدة ملازمة أبي بكر ﷺ لرسول الله ﷺ .

ثالثاً - من أساليب الدعوة : عيادة المرضى .

رابعاً - حرص الصحابة ﷺ على طلب العلم والعمل به .

خامساً - أهمية السؤال والرجوع إلى العلماء فيما يشكل .

سادساً - أهمية قول الداعية لما لا يعلمه : لا أدري، أو السكوت عن الجواب.

سابعاً - عِظمُ بركة رسول الله ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية : التواضع :

يقول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله ﷺ في هذا الحديث : (عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلِمَةَ مَاشِيَيْنِ..)، وعن هذا يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: (إنما أتياه ماشيين مبالغة في التواضع، وفي كثرة أجر المشي) (٢) .

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله ﷻ، متواضعاً في حياته كلها، وخاصة منها ما يتعلق بدعوته، وعبادته .

---

(١) - تفسير غريب ما في الصحيحن، للحميدي، ص٤٤ . وانظر : المفهم، للقرطبي، ٥٧١/٤ .

(٢) - المرجع السابق، ٥٦٩/٤ .

ثانياً - شدة ملازمة أبي بكر ﷺ لرسول الله ﷺ :

لقد كان الصديق ﷺ، شديد الملازمة لرسول الله ﷺ، وهذا الحديث مما يشهد على ذلك، إذ يقول الصحابي الجليل جابر ﷺ : (عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلِمَةَ مَاشِيَيْنِ ..)، وعن هذا يقول الإمام ابن العربي - رحمه الله - : ذكر أبا بكر ﷺ، من باب الإخبار عن كثرة ملازمته لرسول الله ﷺ (١) .

ومن هذا نستفيد أنه ينبغي لطالب العلم أن يلازم العلماء، ويُكثر من مجالستهم ومرافقتهم، فهو من علامات الشرف والرفعة للإنسان .

ثالثاً - من أساليب الدعوة : عيادة المرضى :

من أساليب الدعوة إلى الله ﷻ، التي تُستفاد من هذا الحديث : عيادة المرضى، فرسول الله ﷺ، والصديق ﷺ، ذهبا لعيادة جابر ﷺ، الذي كان على فراش المرض، ومن ذلك وغيره، قال كثير من العلماء - رحمهم الله - : فيه بيان لمشروعية زيارة المريض وسُنيته، وأن هذه الزيارة لا تتوقف على علم المريض بعائده؛ لأن وراء ذلك جبر خاطر أهله، وما يرجى من بركة دعاء العائد، ووضع يده على المريض، والمسح على جسده، والنفث عليه عند التعويذ إلى غير ذلك (٢) .

رابعاً - حرص الصحابة ﷺ على طلب العلم والعمل به :

إن موقف الصحابي الجليل جابر ﷺ -في هذا الحديث- فيه دلالة عظيمة لما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، من الحرص الشديد على طلب العلم والعمل به، إذ جاءه النبي ﷺ، وهو مريض بل مغمى عليه، لا يشعر بمن عنده، فلما أفاق ورأى النبي ﷺ، بادر إلى سؤاله عمّا يجب عليه في ماله، إذ يقول ﷺ : (فَأَفَقْتُ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) - انظر : عارضة الأحوذي، ٤/٤١٤ .

(٢) - انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٥/٥٦٢ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٥/٥٦٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٠/١١٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٨٧ .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ا للهِ كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي ؟ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي ؟) .

وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم الداعية إلى ا لله ﷻ، من الحرص الشديد على تعلم العلم، حتى ولو كان على فراش المرض .

خامساً - أهمية السؤال والرجوع إلى العلماء فيما يشكل :

إن سؤال العلماء والرجوع إليهم له أهمية كبيرة، إذ به يُحصل العلم، ويرتفع الجهل، ويُزال اللبس والإشكال، وفي هذا الحديث نجد أن الصحابي الجليل جابر ابن عبد ا لله رضي الله عنهما ، لما أشكلت عليه مسألته الفرضية، بادر إلى سؤال رسول ا لله ﷺ، لما رآه أمام عينيه بعد إفاقته من مرضه، ومن هنا نخرج بفائدتين تتعلق بهذا الأسلوب، وهما :

١ - حسن السؤال، ويظهر هذا من اختياره للسؤال الذي يناسب حاله التي هو فيها، وهو ماله الذي سيورثه لو مات في مرضه هذا .

٢ - حسن اختيار العالم، وذلك يظهر بوضوح من توجيهه السؤال لرسول ا لله ﷺ، سيد العلماء وإمامهم وقدوتهم، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

سادساً - أهمية قول الداعية لما لا يعلمه : لا أدري، أو السكوت عن الجواب :

عندما يقول الداعية إلى ا لله ﷻ، لما لا يعلمه : لا أعلم، أو : لا أدري، فهذا مما يدل على كمال فقهه وعلمه، فهذا رسول ا لله ﷺ، في هذا الحديث يسأله الصحابي الجليل جابر رضي الله عنه، عن مسألة لا علم عنده فيها، فَلَمْ يُجِبْ ﷺ، بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ المِيرَاثِ ! ولهذا ساق الإمام البخاري - رحمه ا لله - على هذا الحديث في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ترجمةً قال فيها : (باب ما كان النبي ﷺ، يسأل مما لم ينزل عليه من الوحي فيقول : « لا أدري ») [١] .

---

(١) - صحيح البخاري، ١٨٨/٨ .

يقول ابن مسعود ﷺ مؤكداً على هذا المعنى : (يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم. قال الله ﷻ، لنبيه ﷺ : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين ﴾ [(١)]) [(٢)].

سابعاً - عِظَمُ بركة رسول الله ﷺ :

إن هذا الحديث يؤكد على ما سبق ذكره [(٣)] من عظم بركة رسول الله ﷺ، إذ يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن في قول جابر ﷺ : (فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَعَقَلْتُ)، ظهوراً لبركة رسول الله ﷺ، فيما باشره أو لمسَه، وكم له منها وكم ؟ [(٤)] . ويقول العلامة العيني - رحمه الله - عن ذلك : أن فيه دليلاً على أن بركة رسول الله ﷺ، في حياته ، تزيل كل علة بإذن الله ﷻ [(٥)] .

---

(١) - سورة ص، الاية : ٨٦ .

(٢) - صحيح البخاري، كتاب التفسير (سورة ص)، باب قوله : { وما أنا من المتكلفين }، برقم٤٨٠٩، ٣٧/٦ .

(٣) - انظر : ص٧٢٧ و ٧٧٠ ، من هذا البحث .

(٤) - انظر : المفهم، للقرطبي، ٥٧٠/٤ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٥٥/١١ .

(٥) - انظر : العمدة، ٨٧/٣ .

٤٦ - باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة

١٥٣ - ١٩٨ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ قَالَ : أَخبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاهُ فِي الأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ . قَالَ عُبَيْدُ اللهِ : فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ ؟ قُلْتُ : لا . قَالَ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَكَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها تُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ بَعْدَمَا دَخَلَ بَيْتَهُ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ : « **هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ** » وَأُجْلِسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِن تِلْكَ القِرَب، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ (١) .

وفي رواية : عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَى

---

(١) - أطرافه : **الأول والثاني: في** كتاب الأذان، باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة، برقم ٦٦٤، ورقم٦٦٥، ١/١٨٣ . **الثالث : في** كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، برقم ٦٧٩، ١/١٨٦ .**الرابع : في** كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام، برقم ٦٨٣، ١/١٨٨ .**الخامس : في** كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، برقم ٦٨٧، ١/١٨٩ . **السادس : في** كتاب الأذان، باب من أسمع الناس تكبير الإمام، برقم٧١٢، ١/١٩٦ . **السابع : في** كتاب الأذان، باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم، برقم٧١٣، ١/١٩٦ . **الثامن : في** كتاب الأذان، باب إذا بكى الإمام في الصلاة، برقم٧١٦، ١/١٩٧ . **التاسع : في** كتاب فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، برقم٣٠٩٩، ٤/٥٥ . **العاشر : في** كتاب الأنبياء، باب { لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين }، برقم٣٣٨٤، ٤/١٤٦ . **الحادي عشر والثاني عشر : في** كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٢، ورقم٤٤٤٥، ٥/١٦٢ . **الثالث عشر : في** كتاب الطب، باب رقم٢٢، الحديث رقم٥٧١٤، ٧/٢٣ . **الرابع عشر : في** كتاب الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين، برقم٧٣٠٣، ٨/١٨٤ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، برقم٤١٨، ١/٣١١ .

الصَّلاةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا . قَالَتْ : لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ فَأُذِّنَ، فَقَالَ : « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لم يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ : « **إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى، فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ . قِيلَ لِلأَعْمَشِ : وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ ؟ فَقَالَ : بِرَأْسِهِ نَعَمْ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الأَعْمَشِ بَعْضَهُ، وَزَادَ أَبُو مُعَاوِيَةَ : جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا (١) .

وفي رواية : عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ : « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ** » قَالَتْ عَائِشَةُ : قُلْتُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لم يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ : قُولِي لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لم يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَهْ إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ** » فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ : مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا (٢) .

وفي رواية : عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فِي مَرَضِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ . قَالَ عُرْوَةُ : فَوَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ يَؤُمُّ النَّاسَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ اسْتَأْخَرَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ كَمَا أَنْتَ، فَجَلَسَ

---

(١) – كتاب الأذان، باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة، برقم ٦٦٤، ١/١٨٣ .

(٢) – كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، برقم ٦٧٩، ١/١٨٦ .

رَسُولُ اللهِ ﷺ حِذَاءَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى جَنْبِهِ .. [١] .

وفي رواية : (.. عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَلا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَتْ : بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « **أَصَلَّى النَّاسُ** ؟ » قُلْنَا : لا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ . قَالَ : « **ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ** » قَالَتْ: فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ: «**أَصَلَّى النَّاسُ** ؟» قُلْنَا: لا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « **ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ** » قَالَتْ: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : « **أَصَلَّى النَّاسُ** ؟ » قُلْنَا: لا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ . فَقَالَ : « **ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ** » فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : « **أَصَلَّى النَّاسُ** ؟ » فَقُلْنَا : لا هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ - عليه السلام - لِصَلاةِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا : يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ . فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ..) [٢] .

وفيها : فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ : أَلا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : هَاتِ . فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ ؟ قُلْتُ : لا . قَالَ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه .

وفي رواية : (.. قَالَ عُبَيْدُ اللهِ : فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللهِ بِالَّذِي قَالَتْ عَائِشَةُ . فَقَالَ لِي

---

(١) - كتاب الأذان، باب من قام إلى جنب الإمام، برقم ٦٨٣، ١/١٨٨ .

(٢) - كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، برقم ٦٨٧، ١/١٨٩ .

عَبْدُا لله بْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الَّذِي لم تُسَمِّ عَائِشَةُ ؟ قَالَ : قُلْتُ: لا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَكَانَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ ا لله ﷺ لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ قَالَ : « **هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ** » (١) .

وفيها : قَالَتْ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ .

وفي رواية : .. أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَقَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ ا لله ﷺ فِي ذَلِكَ وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إلا أَنَّهُ لم يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا، وَلا كُنْتُ أُرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مَقَامَهُ إلا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ ا لله ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ (٢) .

شرح غريب الحديث :

(مِخْضَبٍ) – المخضب شبه المركن والإجانة التي يُغسل فيها الثياب (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – منزلة عائشة رضي الله عنها، من رسول ا لله ﷺ .

ثانياً – من صفات الداعية : المواظبة على الصلاة جماعةً، والتعظيم لها .

ثالثا – من موضوعات الدعوة : الحث على الصلاة والمواظبة عليها .

رابعاً – عظم منزلة الصديق رضي الله عنه من رسول ا لله ﷺ .

خامساً – من صفات الداعية : العدل .

---

(١) – كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٢، ١٦٢/٥ .

(٢) – كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٥، ١٦٢/٥ .

(٣) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٤٣ . والمفهم، للقرطبي، ٤٩/٢ .

سادساً – أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله ﷻ .

سابعاً – مشروعية استخدام بعض الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله .

ثامناً – من صفات الداعية : الأدب مع الكبير وإكرام الفاضل .

تاسعاً – الحكمة في مرض الأنبياء .

عاشراً – حب الأولاد لآبائهم، والنصح لهم .

الحادي عشر – من أساليب الدعوة : الخطابة بعد الصلاة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – منزلة عائشة رضي الله عنها، من رسول الله ﷺ :

إن استئذان رسول الله ﷺ، من أزواجه لَمَّا ثَقُلَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ : فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بيان لعظم منزلتها من رسول الله ﷺ، يقول الإمام النووي – رحمه الله – : (وفيه فضيلة عائشة رضي الله عنها، ورجحانها على جميع أزواجه الموجودات ذلك الوقت، وكنّ تسعاً، إحداهن عائشة رضي الله عنها، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء، وإنما اختلفوا في عائشة وخديجة رضي الله عنهما) [1] .

إذن فمكانة أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في قلب المؤمن، ومحبته لها، إنما هي من محبته لرسول الله ﷺ، إذ الإنسان يحب ما يحبه حبيبه .

ثانياً – من صفات الداعية : المواظبة على الصلاة جماعةً، والتعظيم لها :

إن هذا الحديث فيه بيان وتأكيد لأمر الصلاة جماعةً مع المسلمين، ومنه استنبط الإمام البخاري –رحمه الله– ترجمة قال فيها:(باب حدّ المريض أن يشهد الجماعة)[2]، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (إنما المعنى ما يحد للمريض أن يشهد معه الجماعة، فإذا جاوز ذلك الحد لم يستحب له شهودها . ومناسبة ذلك من الحديث

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/١٢٩ . وانظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢/٣٠٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٢/١٨٣ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/٩٢ .

(٢) – صحيح البخاري، كتاب الأذان، ١/١٨٣ .

خروجه ﷺ، متوكئاً على غيره من شدة الضعف، فكأنه يشير إلى أن من بلغ إلى تلك الحال يستحب له تكلف الخروج للجماعة إلا إذا وجد من يتوكأ عليه) [١] . وأيضاً يقول - رحمه الله - إن هذا الحديث : (فيه تأكيد أمر الجماعة والأخذ فيها بالأشد، وإن كان المرض يرخص في تركها) [٢] .

كما إن في قول رسول الله ﷺ : « **أَصَلَّى النَّاسُ ؟** »، تأكيداً على أهمية الصلاة وشأنها، وذلك بسؤاله عنها، يقول الإمام الأبي - رحمه الله - عن سؤاله ﷺ: (فيه تأكيد أمر الصلاة، وأنها من أهم ما يسأل عنه، وفيه فضل المبادرة إلى الصلاة أول الوقت) [٣] .

إذن فالمحافظة على الصلاة شأنها عظيم جداً في الدين، وأن الداعية إلى الله تعالى، ينبغي له أن يحافظ عليها أشد المحافظة لكونه قدوة للناس ومحل نظرهم واتباعهم، يقول الإمام الطبري - رحمه الله - عن سبب خروج رسول الله ﷺ للصلاة مع مرضه الشديد الذي يعذر به : (إنما فعل ذلك لئلا يعذر أحد من الأئمة بعده نفسه بأدنى عذر، فيتخلف عن الإمامة) [٤] .

ثالثا - من موضوعات الدعوة : الحث على الصلاة والمواظبة عليها :

في هذا الحديث نجد أن أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في مجلسها الذي تحدث فيه الناس وتدعوهم فيه إلى الله تعالى، كان موضوعها : الصلاة، إذ يقول الأسْوَدُ - رحمه الله - : (كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلاةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا. فقالت ...) .

إذن فمن الموضوعات التي يتحدث فيها الداعية إلى الله تعالى، وتأخذ حيزاً كبيراً

---

(١) - فتح الباري، ٢/١٧٨ .

(٢) - المرجع السابق، ٢/١٨٣ .

(٣) - إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢/٣٠١ . وانظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢/٣٠١ .

(٤) - نقلاً عن : فتح الباري، ٢/١٨٣ .

من دعوته، لأهميتها العظيمة في الدين، هو موضوع : الصلاة والمحافظة عليها جماعة مع المسلمين في المساجد .

رابعاً -عظم منزلة الصديق ﷺ من رسول الله ﷺ :

لقد استخلف رسول الله ﷺ، - في مرضه الذي توفي فيه - الصديق ﷺ، لإمامة الناس في الصلاة، فقال : « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** »، ولَمّا قِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لم يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ ثمَّ قال منكراً عليهم : « **إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** »، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَصَلَّى بالناس. يقول بعض العلماء - رحمهم الله -: إن ذلك من أدل دليل على فضيلة أبي بكر الصديق ﷺ، وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ من غيره، ولذا قال الصحابة ﷺ : رضينا لدنيانا من رضيه ﷺ لديننا (١) .

خامساً - من صفات الداعية : العدل :

في هذا الحديث اسْتَأْذَنَ رسول الله ﷺ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ عائشة ﷺما، وهذه منه ﷺ، كما قال بعض العلماء - رحمهم الله - : لعدله وحسن عشرته وكرم أخلاقه، وتطييبه لنفوسهنّ (٢) .

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم، وخاصة الداعية إلى الله ﷻ، لأنه محل القدوة والاتباع من المدعوين .

سادساً - أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن التشبيه له أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله ﷻ، وذلك لما له من أغراض

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣٧/٤ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٠٢/٢ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٣٠٢/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ١٨٣/٢ .

(٢) - انظر : المفهم، للقرطبي، ٥١/٢ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٣٩/٤ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٠٢/٢ .

كثيرة، فالتشبيه في هذا الحديث عندما قال رسول ﷺ : « مَهْ إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ..» . غرضه الإنكار والتنفير من عملهنَّ، بتشبيه فاعلته من زوجاته بصواحب يوسف ﷺ، اللاتي وصف الله ﷻ، لنا مكرهن في كتابه العظيم [1] .

ولذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الاستفادة من هذا الأسلوب وتوظيفه في دعوته، لما له من أغراض شتى، كالترغيب، أو التعظيم، أو التنفير، أو التحقير .. .

سابعاً - مشروعية استخدام بعض الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله :

لقد كان رسول الله ﷺ، يكبر في صلاته، فيكبر الصديق ﷺ بتكبيره ليسمع الناس، إذ يقول الأعمش - رحمه الله - : (وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ) .

ومن هذا تظهر مشروعية استخدام الداعية إلى الله ﷻ، لكل ما يساعد على إيصال صوته للمدعوين - كمكبرات الصوت، والمذياع - مما هو غير محرم في ذاته، وذلك لتَعُمَّ الفائدة الجميع من غير تعب ولا مشقة . وخاصة في هذا الوقت الذي كثر فيه الناس، واتسعت الأماكن التي يجتمعون فيها وتشعبت وتعددت .

ثامناً - من صفات الداعية : الأدب مع الكبير وإكرام الفاضل :

إن من الدروس التي تستفاد من هذا الحديث : اتصاف الداعية بالأدب مع الكبير واحترام الفاضل، وهذ يستفاد من موقفين في هذا الحديث :

الأول : موقف الداعية إلى الله ﷻ الصديق أبي بكر ﷺ، مع رسول الله ﷺ، عندما جاء وهو يصلي بالناس، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ . فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : وهذا من الصديق ﷺ، تأدباً مع من هو أكبر منه، وهو رسول الله ﷺ [2] .

الثاني : موقف الداعية إلى الله ﷻ، الفاروق عمر ﷺ، مع الصديق ﷺ،

---

(1) - انظر : سورة يوسف، الآيات : 30، 31، 32 .

(2) - انظر : فتح الباري، 2/183 .

عندما قال له الصديق ﷺ : يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ﷺ : أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ .

تاسعاً - الحكمة في مرض الأنبياء :

إن مرض النبي ﷺ، وهو أحب الخلق إلى الله ﷻ، ورسوله إلى الإنس والجن، لحكمة بالغة، إذ يقول بعض العلماء - رحمهم الله -: والحكمة في جواز المرض والمصائب على الأنبياء، تعظيماً لأجرهم، وتسلية للناس بالتأسي بهم، ولئلا يفتتن الناس بهم ويعبدونهم لما يظهر على أيديهم من المعجزات والآيات البينات (١).

عاشراً - حب الأولاد لآبائهم، والنصح لهم :

إن في موقف أمِّ المؤمنين عائشة مع أبيها الصديق ﷺما، بياناً لما ينبغي أن يكون عليه الأولاد مع آبائهم من حبِّ الخير والنصح لهم، فموقفها ﷺا، في هذا الحديث كان بسبب الشفقة عليه مما قد يترتب على قيامه في الناس بعد رسول الله ﷺ، إذ تقول ﷺا : (كُنْتُ أُرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مَقَامَهُ إلا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذلكَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ) .

الحادي عشر - من أساليب الدعوة : الخطابة بعد الصلاة :

لقد جاء في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ، بعد أن صَلَّى بِهِمْ، قام وَخَطَبَهُمْ. وذلك لعلمه ﷺ، بأهمية هذا الأسلوب وعظم تأثيره في الناس .

ولهذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، الاستفادة من هذا الأسلوب الدعوي المهم، وخاصة بعد الصلوات، لاجتماع الناس في المسجد وتهيئهم لسماعها، إذا ظهر له ما يستدعي الخطبة والموعظة فيهم .

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣٦/٤ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٣٠٢/٢ .

١٥٤ - ٢٠١ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ جَبْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ [١] .

شرح غريب الحديث :

(بِالصَّاع) - أربعة أمداد بمد النبي ﷺ [٢] .

(بِالْمُدِّ) - ربع الصاع، وهو رطل وثلث [٣] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - من صفات الداعية : الاقتصاد وعدم الإسراف في الماء .

ثانياً - أهمية القدوة في الدعوة إلى الله .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية : الاقتصاد وعدم الإسراف في الماء :

إن تحديد كمية الماء الذي كان يغتسل به ﷺ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، والذي كان به يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، فيه دليلٌ وحثٌّ على الاقتصاد، وعدم الإسراف، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إنما ذلك إخبار عن القدر الذي كان يكفيه ﷺ، لا أنه حدٌّ لا يجزئ دونه، وإنما قصد به التنبيه على فضيلة الاقتصاد، وترك السرف، والمستحب لمن يقدر الإسباغ بالقليل أن يقلل، ولا يزيد على ذلك، لأن السرف ممنوع في الشريعة[٤].

---

(١) - **وأخرجه** : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، برقم٣٢٥، ١/٢٥٧ .

(٢) - تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٤٣ .

(٣) - المرجع السابق، ص٢٥٦ .

(٤) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/٤ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٣/٤٩ . وفتح =

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الاتصاف بهذه الصفة والمحافظة عليها، اقتداءً برسول الله ﷺ، مع دعوته وحثّه الناس على الاقتصاد وترك الإسراف .

ثانياً - أهمية القدوة في الدعوة إلى الله :

هذا الحديث يروي فعل رسول الله ﷺ، وما كان عليه حاله في غسله ووضوئه، إذ يقول الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه : (كَانَ النَّبِيُّ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ)، وهذا يبين لنا أهمية كون الداعية إلى الله ﷻ، قدوة صالحة للمدعوين، إذ هو محل نظرهم ومراقبتهم في كل ما يصنع .

=

الباري، لابن حجر، ٣٦٥/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٩٥/٢ .

٤٩ - باب المسح على الخفين

١٥٥ - ٢٠٢ - حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الفَرَجِ المِصْرِيُّ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى الخُفَّيْنِ . وَأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : نَعَمْ، إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئًا سَعْدٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلا تَسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَهُ . وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ : أَخْبَرَنِي أَبُو النَّضْرِ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَعْدًا حَدَّثَهُ فَقَالَ عُمَرُ لِعَبْدِ اللهِ نَحْوَهُ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من خصائص الدعوة : التيسير .

ثانياً – أهمية التثبت وعدم الاستعجال .

ثالثاً – أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من خصائص الدعوة : التيسير :

الدين الإسلامي دين اليسر والسماحة، وفي هذا الحديث ما يدل على ذلك، وهو مشروعية المسح على الخفين، يقول الإمام ابن المبارك – رحمه الله – : (ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف، لأن كل من روي عنه منهم إنكاره، فقد روي عنه إثباته) [(١)] .

إذن فالداعية إلى الله ﷻ، يبرز هذه الخصيصة العظيمة في ديننا الحنيف بالعمل بما جاء التيسير فيه، يقول الإمام ابن المنذر – رحمه الله – : اختلف العلماء

(١) – نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ٣٦٥/١ .

أيهما أفضل : المسح على الخفين، أو نزعهما، وغسل القدمين، قال : والذي أختاره : أن المسح أفضل، لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض، قال : وإحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه (١) .

ثانياً - أهمية التثبت وعدم الاستعجال :

إن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، على منزلته العظيمة في الدين وقِدم صحبته لرسول الله ﷺ ، إلا أنه خفي عليه شيء من أمر الدين ، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : ومما يستفاد من هذا الحديث، أن الصحابي القديم الصحبة قد يخفى عليه من الأمور الجلية في الشرع، ما يطلع عليه غيره، لأن ابن عمر رضي الله عنهما، أنكر المسح على الخفين (٢) مع قدم صحبته وكثرة روايته (٣) .

إذن فمن هذا الحديث يظهر لنا، أن التثبت من الأمور وعدم الاستعجال فيها له أهمية كبيرة، فإن الإنسان قد يخفى عليه كثير من العلم، ويطلع عليه غيره ممن هو أقل منه علماً ومكانة .

ثالثاً - أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله تعالى :

إن هذا الحديث يؤكد على ما سبق الإشارة إليه في الأحاديث التي فيها نقل لأفعال رسول الله ﷺ، (٤) من أنها تدل على أهمية كون الداعية إلى الله تعالى، قدوة صالحة للناس، إذ هو يدعوهم بفعله، كما يدعوهم بقوله .

---

(١) - نقلاً عن : فتح الباري، ٣٦٦/١ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٩٨/٣ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٧٦/١ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣٥٦/١ .

(٢) - ورد الإنكار من ابن عمر على سعد رضي الله عنه، في الرواية التي في الموطأ، في كتاب الطهارة، باب ما جاء في المسح على الخفين، برقم٤٢ . ٣٦/١ .

(٣) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٣٦٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ٩٨/٣ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣٥٦/١ .

(٤) - انظر : ص٦٧٤ و٧٦٦ ، ٧٩٣ من هذا البحث .

١٥٦ - ٢٠٤ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ [١]، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ . وَتَابَعَهُ حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ وَأَبَانُ عَنْ يَحْيَى [٢] .

وفي رواية : (.. قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى عِمَامَتِهِ وَخُفَّيْهِ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص السلف على تعليم أبنائهم .

ثانياً – أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثالثاً – من خصائص الدعوة : التيسير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص السلف على تعليم أبنائهم :

فكما سبق ذكره [٣] من أن سلفنا الصالح كانوا يحرصون على تعليم أبنائهم السنة وأحكام الدين، لمعرفتهم بمسؤوليتهم تجاه أبنائهم وأقربائهم، نجد في سند هذا الحديث والذي يليه برقم (٢٠٨) [٤]، ما يُؤكد على ذلك، فعمرو بن أمية الضمري

---

(١) – هو : عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس، أبو أمية الضمري، بعثه رسول الله ﷺ إلى النجاشي، وغزا مع النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث، حدث عنه : ابناه : جعفر وعبد الله، وابن أخيه الزبرقان بن عبد الله، أسلم حين انصرف المشركون من أحد، وكان شجاعاً مقداماً، وأول مشاهده بئر معونة، توفي زمن معاوية ﷺ . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم١٨٩٢، ٢٧٩/٨-٢٨٠ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٧٩/٣-١٨٠ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٥٧٦٠، ٨٥/٧) .

(٢) – طرفه : في كتاب الوضوء، باب المسح على الخفين، برقم٢٠٥، ٦٦/١ .

(٣) – انظر مثلاً : ص٦٨٦ و٦٩٠ و٦٩٤ و٧٥٤ ، من هذا البحث .

(٤) – انظر : ص٧٩٩ ، من هذا البحث .

ﷺ، يُحدث ابنه جعفر [١] - رحمه الله - بهذين الحديثين عن رسول الله ﷺ، لأحقيته ومسؤوليته المباشرة عليه .

ثانياً - أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن هذا الحديث يؤكد على ما سبق الإشارة إليه [٢] من أن مثل هذا الحديث الذي فيه نقل لفعل رسول الله ﷺ، يدل على أهمية كون الداعية إلى الله ﷻ، قدوة صالحة للناس، إذ هو يدعوهم بفعله، كما يدعوهم بقوله .

ثالثاً - من خصائص الدعوة : التيسير :

وكذلك في هذا الحديث ما يشير إلى خصيصة من خصائص الدعوة، وهي : التيسير على الناس، وذلك من شرعه لهم المسح على الخفين [٣] .

---

(١) - هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، المدني، أخو عبد الملك بن مروان من الرضاع، من كبار التابعين، مات سنة خمس وتسعين . (انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٥٣/٣ . وتقريب التهذيب، لابن حجر، ترجمة رقم٩٤٦، ص١٤٠) .

(٢) - انظر : ص٦٧٤ و٧٦٦ و٧٩٣ ، من هذا البحث .

(٣) - انظر : ص٧٤٩ ، ٧٥٦ و٧٩٤ ، من هذا البحث .

٥١ - باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق

١٥٧ - ٢٠٧ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ (١) .

وفي رواية : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ : تَعَرَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَتِفًا، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ . (٢) .

وفي رواية : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : انْتَشَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَرْقًا مِنْ قِدْرٍ فَأَكَلَ، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ (٣) .

١٥٨ - ٢٠٨ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحْتَزُّ مِنْ كَتِفِ شَاةٍ، فَدُعِيَ إِلَى الصَّلاةِ فَأَلْقَى السِّكِّينَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ (٤) .

وفي رواية : .. قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ ذِرَاعًا يَحْتَزُّ مِنْهَا، فَدُعِيَ إِلَى

---

(١) - طرفاه : في كتاب الأطعمة، باب النهس وانتشال اللحم، برقم ٥٤٠٤، ورقم ٥٤٠٥، ٢٤٩/٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار، برقم٣٥٤، ٢٧٣/١ .

(٢) - كتاب الأطعمة، باب النهس وانتشال اللحم، برقم ٥٤٠٤، ٢٤٩/٦ .

(٣) - في كتاب الأطعمة، باب النهس وانتشال اللحم، برقم ٥٤٠٥، ٢٤٩/٦ .

(٤) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الأذان، باب إذا دعي الإمام إلى الصلاة وبيده ما يأكل، برقم ٦٧٥، ١٨٥/١ . **الثاني**: في كتاب الجهاد والسير، باب ما يذكر في السكين، برقم٢٩٢٣، ٣٠٤/٣ . **الثالث**: في كتاب الأطعمة، باب قطع اللحم بالسكين، برقم٥٤٠٨، ٢٥٠/٦ . **الرابع** : في كتاب الأطعمة، باب شاة مسموطة، والكتف والجنب، برقم٥٤٢٢، ٢٥٣/٦ . **الخامس** : في كتاب الأطعمة، باب إذا حضر العشاء فلا يعجل من عشائه، برقم٥٤٦٢، ٢٦٥/٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار، برقم٣٥٥، ٢٧٣/١ .

الصَّلاةِ فَقَامَ فَطَرَحَ السِّكِّينَ فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ (١) .

٥٢ - باب من مضمض من السويق ولم يتوضأ

١٥٩ - ٢١٠ - حَدَّثَنَا أَصْبَغُ قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ عَنْ بُكَيْرٍ عَنْ كُرَيْبٍ عَنْ مَيْمُونَةَ (٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عِنْدَهَا كَتِفًا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ .

شرح غريب الأحاديث :

(تَعَرَّقَ) - ما على العظم من اللحم : إذا أكله (٣) .

(يَحْتَزّ) - أي : يقطع (٤) .

الدراسة الدعوية للأحاديث :

من هذه الأحاديث الثلاثة وأطرافها نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس

---

(١) - كتاب الأذان، باب إذا دعي الإمام إلى الصلاة وبيده ما يأكل، برقم ٦٧٥، ١/١٨٥ .

(٢) - هي : أم المؤمنين، ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بُجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال ابن عامر بن صعصعة، الهلالية . زوج النبي ﷺ، وأخت أم الفضل زوجة العباس، وخالة خالد بن الوليد، وخالة ابن العباس ﷺ أجمعين . تزوجها أولاً : مسعود بن عمرو الثقفي قبل الإسلام، ففارقها . وتزوجها أبو رهم بن عبد العزى، فمات، فتزوج بها النبي ﷺ في وقت فراغه من عمرة القضاء، سنة سبع في ذي القعدة، وبنى بها بسَرِف، كانت من سادات النساء، روت عدة أحاديث، حدث عنها ابن عباس ﷺما ، وأبناء أخواتها : عبد الله بن شداد بن الهاد، وعبد الرحمن بن السائب الهلالي، ويزيد بن الأصم . وحدث عنها : كريب مولى ابن عباس، ومولاها سليمان بن يسار، وأخوه عطاء بن يسار، وآخرون . ماتت سنة إحدى وخمسين، وقيل ماتت في خلافة يزيد سنة إحدى وستين، ولها ثمانون سنة ﷺا . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم ٣٤٩٩، ١٣/١٥٩-١٦٧ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/٢٣٨-٢٤٥ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ١٠٢٣، ١٣/١٣٨-١٤١) .

(٣) - جامع الأصول، لابن الأثير، ٧/٢٢٠ .

(٤) - تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٤٠٨ .

الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من خصائص الدعوة : وفاؤها بحاجات البشر .

ثانياً – من صفات الداعية : المبادرة إلى الصلاة فور النداء .

ثالثاً – أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله ﷻ .

رابعاً – حرص الصحابة ﷺ، على نقل أحوال النبي ﷺ إلى الأمة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من خصائص الدعوة : وفاؤها بحاجات البشر :

إن من خصائص الدعوة الإسلامية التي تُستفاد من هذه الأحاديث : مراعاتها ووفاءها بحاجات الإنسان ورغباته، فمثلاً : النفس تشتهي الطعام وما لذَّ منه وطاب، وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله ﷺ – قدوة العالمين – وهو أزهد الناس وأخشاهم لله، يأكل من اللحم ما يشتهيه، ولكن دون أن يترتب على ذلك ترك للعبادة أو التقصير فيها، إذ أنه لما حانت الصلاة، قام إليها وترك الطعام .

ثانياً - من صفات الداعية : المبادرة إلى الصلاة فور النداء :

من صفات الداعية إلى الله ﷻ، والتي تدل على خشيته لربه ﷻ، واتصاله القوي به، المبادرة إلى الصلاة فور النداء لها، إذ نجد في هذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ، لما دعي للصلاة َقَامَ فَطَرَحَ السِّكِّينَ وترك الأكل فَصَلَّى، وهذا منه ﷺ مصدقاً لقوله : « **وجعلت قرة عيني في الصلاة** » [1] .

ثالثاً - أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله ﷻ :

جاء في هذه الأحاديث وصفٌ لما رآه بعض الصحابة ﷺ، من فعلٍ لرَسُولَ الله ﷺ، وهذا مما يبين لنا أهمية كون الداعية قدوة صالحة للمدعوين، لأن جميع ما يقع منه

(١) – سنن النسائي، في كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، برقم٣٩٣٩، ٦١/٧ . (وقال عنه الألباني: صحيح، انظر : صحيح سنن النسائي، ٨٢٧/٣) .

من أفعال، هي محل نظرهم وقدوتهم (١) .

رابعاً - حرص الصحابة ﷺ، على نقل أحوال النبي ﷺ إلى الأمة :

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ، من أحرص الناس على تتبع أخباره وما يصنع في سائر يومه، وذلك منهم لغرضين :

الأول - لأجل الاقتداء به ﷺ، كما أمر الله ﷻ في قوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (٢) .

الثاني - لنقل العلم إلى الناس، ونشره بينهم ، إذ يقول الله ﷻ مخاطباً أهل بيت رسول الله ﷺ : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ (٣).

وهكذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يكون حريصاً أشد الحرص على تتبع سنة رسول الله ﷺ، الثابتة عنه، للغرضين السابقين، ليفوز بسعادة العاجل والآجل .

---

(١) - انظر : ص ٦٧٤ و٧٦٦ و٧٩٣، من هذا البحث .

(٢) - سورة الأحزاب، الآية : ٢١ .

(٣) - سورة الأحزاب، الآية : ٣٤ .

١٦٠ - ٢٠٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ مَوْلَى بَنِي حَارِثَةَ أَنَّ سُوَيْدَ بْنَ النُّعْمَانِ (١) . أَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ خَيْبَرَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالصَّهْبَاءِ وَهِيَ أَدْنَى خَيْبَرَ، فَصَلَّى العَصْرَ، ثُمَّ دَعَا بِالأَزْوَادِ فَلَمْ يُؤْتَ إلا بِالسَّوِيقِ فَأَمَرَ بِهِ فَثُرِّيَ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى المَغْرِبِ فَمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا، ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ (٢) .

وفي رواية : (.. فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالأَطْعِمَةِ فَلَمْ يُؤْتَ النَّبِيُّ ﷺ إلا بِسَوِيقٍ، فَلُكْنَا فَأَكَلْنَا، وَشَرِبْنَا، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ..) (٣) .

وفي رواية : عَنْ سُوَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أُتُوا بِسَوِيقٍ فَلاكُوهُ (٤) .

٥٣ - باب هل يمضمض من اللبن

١٦١ - ٢١١ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ وَقُتَيْبَةُ قَالا: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ

---

(١) - هو : سويد بن النعمان بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جُشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس، الأنصاري، يكنى أبا عقبة، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وبيعة الرضوان، روى عنه بشير بن يسار . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم ١١٢٤، ٣٠٦/٤ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم ٣٦٠٥، ٣٠٣/٤ - ٣٠٤) .

(٢) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الوضوء، باب الوضوء من غير حدث، برقم٢١٥، ٦٨/١ . **الثاني**: في كتاب الجهاد والسير، باب حمل الزاد في الغزو، برقم ٢٩٨١، ١٧/٤ . **الثالث** : في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، برقم ٤١٧٥، ٧٩/٥ . **الرابع** : في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، برقم٤١٩٥، ٨٥/٥ . **الخامس** : في كتاب الأطعمة، باب { ليس على الأعمى حرج }، برقم٥٣٨٤، ٢٤٣/٦ . **السادس** : في كتاب الأطعمة، باب السويق، برقم٥٣٩٠، ٢٤٥/٦ . **السابع والثامن** : في كتاب الأطعمة، باب المضمضة بعد الطعام، برقم٥٤٥٤، ورقم٥٤٥٥، ٢٦٣/٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار، برقم٣٥٦، ٢٧٤/١ .

(٣) - كتاب الجهاد والسير، باب حمل الزاد في الغزو، برقم ٢٩٨١، ١٧/٤ .

(٤) - كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، برقم ٤١٧٥، ٧٩/٥ .

ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ : شَرِبَ لَبَنًا فَمَضْمَضَ، وَقَالَ: « **إِنَّ لَهُ دَسَمًا** »، تَابَعَهُ يُونُسُ وَصَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنِ الزُّهْرِيِّ (١).

شرح غريب الحديثين :

(سَوِيقٍ) - هو : دقيق الشعير، أو السلت المقلي (٢) .

(فَلاكُوهُ) - أي : مضغوها، واللوك : إدارة الشيء في الفم (٣) .

« **دَسَمًا** » - هو الشيء الذي يظهر على اللبن من الدهن (٤) .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - قلة معيشة رسول الله ﷺ، وصحابته الأخيار ﵃ .

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة .

ثالثاً - أخذ الأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله ﷻ .

رابعاً - أهمية القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - قلة معيشة رسول الله ﷺ، وصحابته الأخيار ﵃ :

في الحديث الأول يظهر لنا مدى ما كان عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه ﵃،

---

(١) - طرفه : في كتاب الأشربة، باب شرب اللبن، برقم٥٦٠٩، ٣٠٨/٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب نسخ الوضوء مما مست النار، برقم٣٥٨، ٢٧٤/١ .

(٢) - فتح الباري، لابن حجر، ٣٧٣/١ .

(٣) - انظر : النهاية في غريب الحديث ـ لابن الأثير، باب اللام مع الواو، ٢٧٨/٤ .

(٤) - انظر : عمدة القاري، للعيني، ١٠٨/٣ .

من قلة المعيشة، وشدة الفقر، إذ أنهم لا يجدون من الطعام إلا القليل من السويق، ومع هذا انطلق رسول الله ﷺ، ومن معه بإيمانهم بالله ﷻ، وتوكلهم عليه، وفتحوا البلاد، وانتصروا على الجيوش العظيمة التي كانت تملك الزاد والعتاد العظيم، وهذا كله يبين لنا أن النصر من الله ﷻ، لا يكون إلا لمن صدّق به وآمن وتوكل عليه، لا بكثرة العدد والرجال، يقول الله ﷻ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (١) .

ثانياً - أخذ الأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله ﷻ :

جاء في حديث سويد بن النعمان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، دعا بالأزواد من الطعام، وفي هذا دلالة على أن أخذ الأسباب وتعاطيها، لاينافي التوكل على الله ﷻ، إذ لو كان ينافيه، لكان رسول الله ﷺ، أبعد الناس عنها، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفيه - أي هذا الحديث - حمل الأزواد في السفر، وأن ذلك لا يقدح في التوكل) (٢) .

ومن هنا يتأكد على الداعية إلى الله ﷻ، المتوكل على الله، الأخذ بالأسباب والسعي فيها، لإتمام العمل وإتقانه .

ثالثاً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة :

إن في هذين الحديثين بياناً لصفة من صفات رسول الله ﷺ، وهي حرصه على النظافة، إذ أنه لّما يأكل السويق، أو يشرب اللبن يغسل يديه ويتمضمض، يقول كثير من العلماء - رحمه الله - : إنه لهذين الحديثين وغيرها، يستحب غسل اليدين والمضمضة بعد الطعام والشراب، والنظافة عامة لأنها محبوبة شرعاً، محثوث عليها ديناً،

---

(١) - سورة محمد، الآية : ٧ .

(٢) - فتح الباري، ٣٧٣/١ . وانظر : الاستذكار، لابن عبد البر، ١٥١/٢٢ .

وذلك حتى لا تتأذى الملائكة وعمرة بيوت الله، وجلساء المسلمين في منافعهم الدينية والدنيوية [١] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الحرص على هذه الصفة الطيبة، اقتداءً برسول الله ﷺ، وعباد الله الصالحين .

رابعاً - أهمية القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله ﷻ :

جاء في هذين الحديثين وصفٌ لما رآه بعض الصحابة ﷺ، من فعلٍ لرَسُول الله ﷺ، وهذا مما يبين لنا أهمية كون الداعية قدوة صالحة للمدعوين، لأن جميع ما يقع منه من أفعال، هي محل نظرهم وقدوتهم [٢] .

---

(١) - انظر : عارضة الأحوذي، لابن العربي، ١/١٢٣ . شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/٤٦ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢/٢٠٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٣/٥٩ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٣٧٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/١٠٨ .

(٢) - انظر : ص ٦٧٤ و٧٦٦ و٧٩٣، من هذا البحث .

٥٤ - باب الوضوء من النوم، ومن لم ير من النعسة والنعستين أو الخفقة وضوءً

١٦٢ - ٢١٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ** » (١) .

١٦٣ - ٢١٣ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُالوَارِثِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قِلابَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ فَلْيَنَمْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ** » .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

أولاً – من خصاص الدعوة : الوسطية .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من خصاص الدعوة : الوسطية :

إن رسول الله ﷺ، يرشد في هذا الحديث أصحابه ﷺ، وسائر أمته، على أن هذا الدين، لا يكلف الإنسان ما لا يطيق، كما أنه لا يتركه هملاً من غير عبادة واتصال بربه، إذ يقول ﷺ : « **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ** »، أي أن الإنسان ينبغي له أن يصلي من الليل، ولكن دون أن يكون ذلك

---

(١) – وأخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، أمر من نعس في صلاته، برقم ٧٨٦، ٥٤٢/١ .

على حساب حاجة الإنسان من الراحة والنوم .

إذن في هذا الحديث بيان لخصيصة من خصائص هذا الدين، وهي الوسطية والاعتدال في العبادة، فهو لا يكلفه بإرهاق نفسه وتحميلها ما لا تطيق من العبادة .

ثانياً - من موضوعات الدعوة : الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة :

من الموضوعات التي ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الحديث عنها وحثّ الناس عليها: الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها، فرسول الله ﷺ، في هذا الحديث يرشد إلى هذا الأمر، ويحثّ عليه وذلك بقوله : « **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ فَلْيَنَمْ حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ** »، أي حتى يستشعر الآيات التي يتلوها ويتدبر معانيها وما فيها من أحكام، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : في هذا الحديث الحثّ على الإقبال على الصلاة بخشوع، وفراغ قلب ونشاط، لأن الناعس لا يحضر قلبه، والخشوع إنما يكون بحضور القلب [١] .

---

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٤/٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٧٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١١١/٣ .

٥٥ - باب الوضوء من غير حدث

١٦٤ - ٢١٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ ح.

وحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ . قُلْتُ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالَ : يُجْزِئُ أَحَدَنَا الوُضُوءُ مَا لم يُحْدِثْ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الحرص على كمال العبادة والإتيان بالسنن .

ثانياً – أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

ثالثاً – أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية : الحرص على كمال العبادة والإتيان بالسنن :

لقد كان رسول الله ﷺ - كما يدل هذا الحديث - يتوضأ عند كل صلاة، وذلك لأنه مما يساعد على تجدد النشاط، وفيه زيادة نظافة، وهذا منه ﷺ، على الاستحباب والسعي في الكمال، ولم يكن من باب الفرض على الجميع، إذ لما سُئل راوي الحديث عن حال الصحابة رضي الله عنهم، مع الوضوء، قال : (يُجْزِئُ أَحَدَنَا الوُضُوءُ مَا لم يُحْدِثْ) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله تبارك وتعالى، الحرص على كمال العبادة، والإتيان بالسنن والمستحبات،وذلك من باب توثيق الصلة با لله عز وجل واقتداءً بإمام الدعاة ﷺ في ذلك.

ثانياً - أهمية السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

في هذا الحديث يذكر الصحابي الجليل أنس بن مالك حال رسول الله ﷺ، مع

الوضوء، بقوله : (كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ) . فعندما سمع ذلك منه عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ - رحمه الله - سأله بقوله : (كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ ؟) .فعن ذلك أجابه الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه بقوله : (يُجْزِئُ أَحَدَنَا الوُضُوءُ مَا لم يُحْدِثْ) . فمن هذا يظهر لنا أهمية السؤال عما يشكل على الإنسان في تحصيل العلم، وتوضيحه للناس، ونشره بينهم، إذ بالسؤال تبين أن الوضوء كان على الاستحباب لا على الوجوب [١] .

ثالثاً - أهمية القدوة الصالحة في الدعوة إلى الله :

إن هذا الحديث ممّا يؤكد على ما سبق ذكره [٢] . من أن أفعال وأحوال رسول الله ﷺ، كانت محل نظر الصحابة رضي الله عنهم، ومتابعتهم، ومنه يظهر أهمية كون الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، قدوة صالحة للمدعوين، إذ كما يدعوهم بقوله، يدعوهم بفعله وحاله.

---

(١) - انظر في حكم الوضوء لكل صلاة : فتح الباري، لابن حجر، ٣٧٧/١، ٣٧٨ . وعمدة القاري، للعيني، ١١٣/٣ .

(٢) - انظر : ص ٦٧٤ و٧٦٦ و٧٩٣، من هذا البحث .

٥٦ - باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله

١٦٥ - ٢١٦ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ** - ثُمَّ قَالَ - **بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ** ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : « **لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا** » (١) .

وفي رواية : .. قَالَ ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ ثُمَّ قَالَ .. (٢) .

وفي رواية : «.. **أَمَّا هَذَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ** » ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ (٣) .

شرح غريب الحديث :

« **النَّمِيمَةِ** » - هي نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر (٤).

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، برقم٢١٨، ٦٩/١ . **الثاني**: في كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر، برقم١٣٦١، ١٢١/٢٢ . **الثالث** : في كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والنميمة، برقم ١٣٧٨، ١٢٥/٢ . **الرابع** : في كتاب الأدب، باب الغيبة، برقم٦٠٥٢، ١١٣/٧ . **الخامس** : في كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، برقم٦٠٥٥، ١١٣/٧.

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، برقم٢٩٢، ٢٤٠/١ .

(٢) - كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والنميمة، برقم ١٣٧٨، ١٢٥/٢ .

(٣) - كتاب الأدب، باب الغيبة، برقم ٦٠٥٢، ١١٣/٧ .

(٤) - النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، باب النون مع الميم، ١٢٠/٥ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠١/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٨١/١ .

(جَرِيدَةٍ) - الجريد سعف النخل، وهي ما ينبت عليه الخوص (١) .

(عَسِيبٍ) - العسيب من النخل كالقصب من سائر الشجر، وهو ما بين الكرب ومنبت الخوص (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - أسلوب الترهيب في الدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً - من الحكمة في الدعوة إلى الله : عدم تسمية من وقع في الخطأ .

ثالثاً - من خصائص رسول الله ﷺ : معرفة أحوال بعض أهل القبور .

رابعاً - من موضوعات الدعوة : بيان أهمية النظافة وتجنب النجاسة .

خامساً- من موضوعات الدعوة: بيان خطورة النميمة، وعدم اجتناب النجاسة.

سادساً - رحمة رسول الله ﷺ بأمته .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أسلوب الترهيب في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن في هذا الحديث أسلوب ترهيب من بعض الأعمال بذكر العذاب المترتب عليها في القبر، إذ يقول ﷺ : « **يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ - ثُمَّ قَالَ - بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ** »، وفي هذا زجر لمن كان يقع في مثل هذه الأعمال وترهيب له، يقول الإمام النووي - رحمه الله -: (المراد بهذا - أي عدهما من الكبائر - الزجر والتحذير لغيرهما، أي لا يتوهم أحد أن

(١) - انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٢٦ . وجامع الأصول، لابن الأثير، ١٦٨/١١ .

(٢) - انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٩٣ . وجامع الأصول، لابن الأثير، ١٦٨/١١ .

التعذيب لا يكون إلا في أكبر الكبائر الموبقات فإنه يكون في غيرها) [(١)] .

ثانياً - من الحكمة في الدعوة إلى الله : عدم تسمية من وقع في الخطأ :

في هذا الحديث ذكر رسول الله ﷺ حال الرجلين في قبريهما، ورواه أصحابه ﷺ عنه، ومع هذا لم يعرف اسم المقبورين ولا أحدهما، وعن هذا يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : الحكمة في عدم بيان اسمي المقبورين، الستر عليهما، والظاهر أن ذلك كان عن عمد من الرواه للغرض السابق، وهذا عمل مستحسن، وينبغي أن لا يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به [(٢)] .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، عدم تسمية من وقع في الخطأ، حتى ولو كان ميتاً، وذلك لسببين، **الأول** : للستر عليه، **والثاني**: أن الغرض هو الزجر عن عمله، وذلك يتحقق بدون ذكر اسمه .

ثالثاً - من خصائص رسول الله ﷺ : معرفة أحوال بعض أهل القبور :

إن هذا الحديث فيه بيان لخصيصة من خصائص رسول الله ﷺ، وهي : معرفة أحوال بعض أهل القبور بإذن الله ﷻ، إذ أنه ﷺ لّما مر بهذين القبرين قال: « **يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ - ثُمَّ قَالَ - بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ** »، وهذا من خصائص رسول الله ﷺ، والتي كشفها الله ﷻ، له من باب الإعجاز، ولتحذير أمته من الوقوع في مثل خطئهما .

رابعاً - من موضوعات الدعوة : بيان أهمية النظافة وتجنب النجاسة :

من موضوعات الدعوة إلى الله ﷻ، والتي ينبغي للدعاة الحديث عنها لأهميتها وخطورتها على العبد، هي النظافة واجتناب النجاسة، إذ يظهر من هذا الحديث أن

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠١/٣ .

(٢) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٤١١/١٢ . وعمدة القاري، للعيني، ٨٧/٢ . ونيل الأوطار، للشوكاني، ١١٣/١ .

الذي لا يستتر من بوله يعذب في قبره، إذ قال ﷺ : « **يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ – ثُمَّ قَالَ – بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ** .. ». يقول بعض العلماء -رحمه الله- : في هذا الحديث التحذير من ملابسة البول وغيره من النجاسات (١) .

خامساً - من موضوعات الدعوة : بيان خطورة النميمة ، وعدم اجتناب النجاسة :

إن في هذا الحديث بياناً من رسول الله ﷺ، لخطورة النميمة، وعظم ذنب فاعلها، إذ عدّها من الكبائر (٢)، يقول الإمام البخاري - رحمه الله - في ترجمته على هذا الحديث في كتاب الأدب : (باب النميمة من الكبائر) (٣) .

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (أبدى بعضهم للجمع بين هاتين الخصلتين - النميمة وعدم التستر من البول - مناسبة، وهي : أن البرزخ مقدمة للآخرة، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة، ومن حقوق العباد الدماء، ومفتاح الصلاة التطهر من الحدث والخبث، ومفتاح الدماء الغيبة والسعي بين الناس بالنميمة بنشر الفتن التي يسفك بسببها الدماء) (٤) .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، الحديث في مثل هذين الموضوعين - النميمة وعدم التستر من النجاسة - لأهميتهما وخطورتهما على الدين والدنيا .

سادساً - رحمة رسول الله ﷺ بأمته :

لقد أخبر رسول الله ﷺ، عن حال الرجلين اللذين كانا في قبريهما، ثم وضع الجريدة الرطبة على قبريهما ،وقال : « **لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَم تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ**

---

(١) - انظر : المفهم، للقرطبي، ٥٥٢ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٢٤/٢ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٢٤/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٨٤/١ .

(٢) - انظر : إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد، ١٠٦/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١١٩/٣ .

(٣) - صحيح البخاري، ١١٣/٧ .

(٤) - فتح الباري، ٤٨٧/١٠ .

يَبْسَا »، وهـذا منه ﷺ لعظم رحمته بأمته، وإشفاقه عليهم من غضب الله ﷻ، وعذابه الذي أعده للعاصين والمذنبين .

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله ﷻ، رحيماً شفوقاً على جميع المدعوين، اقتداءً برسول الله ﷺ، في رحمته بأمته جميعاً، الطائع منهم والعاصي .

٥٨ - باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد

١٦٦ - ٢١٩ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : حَدَّثَنَا هَمَّامٌ أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى أَعْرَابِيًّا يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ : « **دَعُوهُ** »، حَتَّى إِذَا فَرَغَ دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ (١) .

وفي رواية : أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لا تُزْرِمُوهُ** » ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ (٢) .

٥٩ - باب صبّ الماء على البول في المسجد

١٦٧ - ٢٢٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ : قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : « **دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** » (٣) .

وفي رواية : .. فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ .. (٤) .

شرح غريب الحديثين :

« **تُزْرِمُوهُ** » - أي : لا تقطعوا بوله (٥) .

---

(١) - طرفاه : **الأول** : في كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، برقم٢٢١، ٧٠/١ .
الثاني: في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، برقم ٦٠٢٥، ١٠٦/٧ .
وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، برقم٢٨٤، ٢٣٦/١.

(٢) - كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، برقم ٦٠٢٥، ١٠٦/٧ .

(٣) - طرفه : في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ :« يسروا ولا تعسروا »، برقم ٦١٢٨، ١٣٢/٧ .

(٤) - التخريج السابق .

(٥) - جامع الأصول، لابن الأثير، ٨٥/٧ .

« سَجْلًا من ماء – أو ذَنُوبًا ..» – الذنوب : الدلو العظيمة، وكذلك السجل، ويقال : لا تسمى بذلك إلا إذا كان فيها ماء [1] .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين وطرفيهما نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين الأعراب .

ثانياً – رفق رسول الله ﷺ بأمته .

ثالثاً – من فقه الدعوة : دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

رابعاً – حرص الصحابة ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

خامساً – أهمية صيانة المساجد من الأذى .

سادساً – من فقه الدعوة إزالة المفاسد عند زوال الموانع .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من أصناف المدعوين الأعراب :

في هذين الحديثين ذكرٌ لصنف من أصناف المدعوين، وهم : الأعراب، يقول الشيخ : ابن عثيمين- حفظه الله - : (الأعرابي ساكن البادية سواء كان من البدو، أو من الحضر الذين يسكنون البادية كلهم يسمون أعراب، وهذا الأعرابي جاهل بالأمور الشرعية، فلما رأى فسحة في المسجد قام فبال فيها) [2] .

إذن فالداعية إلى الله ﷻ، يتوجه بدعوته إلى عامة الناس، بجميع أصنافهم، العربي والعجمي، الحضري والبدوي، الصغير والكبير، النساء والرجال، وهكذا .

ثانياً - رفق رسول الله ﷺ بأمته :

يكشف لنا هذان الحديثان عن جانب عظيم من أخلاق رسول الله ﷺ، وهو :

---

(1) – انظر : جامع الأصول، لابن الأثير، ٧/٨٥ .

(2) – فتح ذي الجلال والإكرام، ص٧٥ .

لطفه ورفقه بالجاهل، يقول الإمام السفاريني - رحمه الله -: (في هذا الحديث الإبانة عن جميل أخلاق رسول الله ﷺ، وعظم رحمته ولطفه، ورفقه بالجاهل الجافي) [١] .

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية إلى الله ﷻ، من جميل الخلق اقتداءً بمعلم البشر وإمامهم ﷺ، القائل : « **إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** »، وأيضاً لما له من أثر عظيم على المدعوين، يقول الشيخ / ابن عثيمين - حفظه الله- (ويقال : إن هذا الأعرابي هو الذي قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً) [٢] . [٣]

ثالثاً - من فقه الدعوة : دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما :

في هذين الحديثين دليل على قاعدة فقهية دعوية، وهي : دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، أو بعبارة أخرى، ارتكاب أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما، وذلك أن رسول الله ﷺ، ترك الأعرابي يبول في المسجد، وهذه مفسدة، ولكن هذه أخف من مفسدة تأذي الأعرابي بحصر بوله لو أنكر عليه، وكذلك ربما يتلوث شيء أكثر من المسجد، أو ثياب الرجل وغيره، إذ يقول كثير من العلماء -رحمهم الله- : هذين الحديثين فيهما أن أعظم المفسدتين تدفع باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين، بترك أيسرهما [٤] .

رابعاً - حرص الصحابة ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لما بال الأعرابي في المسجد بادر صحابة رسول الله ﷺ، للإنكار عليه، وذلك

---

(١) - شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، ١٥١/٢. وانظر : إحكام الأحكام، لابن دقيق العيد، ١٢٢/١ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٠٨/٢ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١٠٨/٢. وفتح الباري، لابن حجر، ٣٨٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٧/٣ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٢٩٠/١ .

(٢) - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، برقم٦٠١٠، ١٠٢/٧ .

(٣) - فتح ذي الجلال والإكرام، ص٧٥ .

(٤) - انظر : المفهم، للقرطبي، ٥٤٤/١ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٨٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٧/٣.وحاشية الزرقاني على الموطأ، ١٣١/١.وفتح ذي الجلال والإكرام، لابن عثيمين، ص٧٥.

من حرصهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن الاحتراز من النجاسة كان مقرراً في نفوس الصحابة ﵃، ولهذا بادروا إلى الإنكار بحضرة النبي ﷺ، قبل استئذانه، ولما تقرر عندهم أيضاً من طلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) .

وهكذا ينبغي أن يكون شأن الدعاة إلى الله ﷻ، من الحرص على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمبادرة إليه فور وقوعه .

خامساً - أهمية صيانة المساجد من الأذى :

إن هذين الحديثين فيهما دليل على أهمية صيانة المساجد، وتنظيفها من النجاسة والأذى، فرسول الله ﷺ، لما فرغ هذا الأعرابي، قال لأصحابه ﵃ : « **دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ – أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ – فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** »، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : وفي هذا الحديث دليل على تعظيم المساجد وتنزيهها عن الأقذار والنجاسات (٢) .

سادساً - من فقه الدعوة : إزالة المفاسد عند زوال الموانع :

إن من الفقه الدعوي الذي يُستفاد من هذين الحديثين : أنه ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، المبادرة إلى إزالة المفاسد عند زوال الموانع، وذلك أن رسول الله ﷺ، بعد أن فَرَغَ الأعرابي دَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : وفي هذين الحديثين من الفوائد : المبادرة إلى إزالة المفاسد عند زوال المانع (٣) .

---

(١) - إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٠٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٨٨/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٢٧/٣ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ١٣١/١ . وشرح ثلاثيات الإمام أحمد، للسفاريني، ١٥١/٢ .

(٢) - انظر :إحكام الأحكام، لابن دقيق، ١٢٢/١ .وإكمال إكمال المعلم،للأبي، ١١٣/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٨٨/١ .وعمدة القاري،للعيني، ١٢٦/٣ .وفتح ذي الجلال والإكرام،لابن عثيمين،ص٧٥.

(٣) - انظر :المفهم، للقرطبي، ٥٤٤/١ .وفتح الباري،لابن حجر، ٣٨٨/١ .وعمدة القاري، للعيني، ١٢٦/٣ .

٦٠ - باب بول الصبيان

١٦٨ - ٢٢٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِصَبِيٍّ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ (١) .

وفي رواية : عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ صَبِيًّا فِي حَجْرِهِ يُحَنِّكُهُ .. (٢) .

وفي رواية : عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيَدْعُو لَهُمْ فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ (٣) .

١٦٩ - ٢٢٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ يُوسُفَ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ (٤) أَنَّهَا أَتَتْ بِابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ لم يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ (٥) .

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب العقيقة، باب تسمية المولود، برقم٥٤٦٨، ٢٦٧/٦ . **الثاني:** في كتاب الأدب، باب وضع الصبي في الحجر، برقم ٦٠٠٢، ١٠٠/٧ . في كتاب الدعوات، باب الدعاء للصبيان بالبركة، برقم ٦٣٥٥، ٢٠١/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع، برقم٢٨٦، ٢٣٧/١ .

(٢) - كتاب الأدب، باب وضع الصبي في الحجر، برقم ٦٠٠٢، ١٠٠/٧ .

(٣) - كتاب الدعوات، باب الدعاء للصبيان بالبركة، برقم ٦٣٥٥، ٢٠١/٧ .

(٤) - **هي** : أم قيس بنت محصن الأسدية، أخت عكاشة بن محصن، كانت ممن أسلم قديماً بمكة، وبايعت وهاجرت، ويقال : إن اسمها أمية، روى عنها : وابصة بن معبد، ومولاها عدي بن دينار، وأبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة، وعمرة أخت نافع مولى حمنة، وغيرهم، (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم ٣٥٩٧، ٢٦٧/١٣ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم١٤٥١، ٢٦٩/١٣) .

(٥) - طرفه : في كتاب الطب، باب السعوط بالقسط الهندي والبحري، برقم٥٦٩٣، ١٩/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع، برقم٢٨٧، ٢٣٨/١ .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

أولاً – من صفات الداعية : التواضع .

ثانياً – من وسائل الدعوة : ملاعبة الأطفال والدعاء لهم .

ثالثاً – من صفات الداعية : الحلم .

رابعاً – شدة محبة الصحابيات – رضي الله عنهن – لرسول الله ﷺ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : التواضع :

إن هذين الحديثين يبينان لنا جانباً عظيماً ممّا كان عليه رسول الله ﷺ، من حسن الخلق وجميل التعامل، إذ أنه ﷺ، على عظم مكانته وكثرة أشغاله ومسؤولياته، يُحضر له الصبيان ليحنكهم ويبارك عليهم ويدعو لهم، حتى أنه قد يبول عليه أحدهم كما في هذين الحديثين، وهذا كما يقول كثير من العلماء – رحمهم الله – : يدل على عظم تواضع رسول الله ﷺ، لأصحابه ﷺ، وأطفالهم ونسائهم(١).

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ، المحب لرسول الله ﷺ، التحلي بمثل هذا الخلق الجميل، وهو التواضع للناس ليحبهم ويحبونه .

ثانياً – من وسائل الدعوة : ملاعبة الأطفال والدعاء لهم :

إن رسول الله ﷺ، بملاعبته للأطفال ودعائه لهم، يكسب قلوبهم، وقلوب آبائهم وودهم ومحبتهم له، فهذا منه ﷺ، من حسن العشرة، وطيب التعامل، يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (وفي هذا الحديث من الفوائد : الندب إلى حسن

---

(١) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٥/٣ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١١٦/٢ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٧٤/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٩١/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣١/٣، ١٣٣ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ١٢٩/١ .

المعاشرة) [١] .

إذن فمن وسائل الدعوة مع بعض المدعوين : ملاعبة أطفالهم والدعاء لهم، إذ هو من حسن العشرة لهم .

ثالثاً - من صفات الداعية : الحلم :

إن موقف رسول الله ﷺ، في هذا الحديث من الغلام الذي بَالَ عَلَى ثَوْبِهِ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ، يدل على عظيم حلمه ﷺ، يقول العلامة العيني - رحمه الله - : ومن الفوائد في هذين الحديثين : (الرفق بالصغار والشفقة عليهم ، ألا ترى أن سيد الأولين والآخرين، كيف كان يأخذهم في حجره ويتلطف بهم، حتى أن منهم من يبول على ثوبه فلا يؤثر فيه ذلك ولا يتغير) [٢] . ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (ويستفاد منه الرفق بالأطفال والصبر على ما يحدث منهم، وعدم مؤاخذتهم لعدم تكليفهم) [٣] .

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله ﷻ، من الحلم على المدعوين، والصبر عليهم، وخاصة الأطفال منهم، لعدم تكليفهم، ولتوقع الخطأ منهم .

رابعاً - شدة محبة الصحابيات - رضي الله عنهن - لرسول الله ﷺ :

إن نساء الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، لا يَقِلّون عن الرجال محبةً لرسول الله ﷺ، إذ نجد في هذين الحديثين أنهنَّ يحملن أولادهنَّ إلى رسول الله ﷺ، ليحنكهم، ويدعو لهم، ويبارك عليهم، وهذا بلا شك يدل على عِظم حبهنَّ له ﷺ .

---

(١) - فتح الباري، لابن حجر، ٣٩١/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٥/٣ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١١٦/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣١/٣، ١٣٣ .

(٢) - المرجع السابق، ١٣٣/٣ .

(٣) - فتح الباري، ٤٤٨/١٠ .

٦١ - باب البول قائماً وقاعداً

١٧٠ - ٢٢٤ - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ (١) قَالَ : أَتَى النَّبِيُّ ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَجِئْتُهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ (٢) .

وفي رواية : عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ نَتَمَاشَى، فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ فَبَالَ، فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ، فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ (٣) .

وفي رواية : كَانَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ يُشَدِّدُ فِي البَوْلِ، وَيَقُولُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : لَيْتَهُ أَمْسَكَ أَتَى رَسُولُ اللهِ ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا (٤) .

---

(١) - هو : حذيفة بن اليمان، واسم اليمان : حِسل، ويقال : حسيل بن جابر العبسي اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين، وهو صاحب سرّ رسول الله ﷺ . آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمار . ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة، وكان النبي ﷺ قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة. وقد ناشده عمر ﷺ : أأنا من المنافقين ؟ فقال : لا، ولا أزكي أحداً بعدك . حدث عنه : أبو وائل، وزر بن حبيش، وزيد بن وهب، وربعي بن حراش، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى، وأبو إدريس الخولاني، وخلق سواهم، له في الصحيحين : اثنا عشر حديثاً، وفي البخاري ثمانية، وفي مسلم سبعة عشر حديثاً . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم٤٩٥، ٢/٣١٨-٣٢٠ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢/٣٦١-٣٦٩ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم١٦٤٣، ٢/٢٢٣).

(٢) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الوضوء، باب البول عند صاحبه والتستر بالحائط، برقم ٢٢٥، ١/٧١ . **الثاني**: في كتاب الوضوء، باب البول عند سباطة قوم، برقم ٢٢٦، ١/٧١ . **الثالث** : في كتاب المظالم، باب الوقوف والبول عند سباطة قوم، برقم٢٤٧١، ٣/١٤٥ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين، برقم٢٧٣، ١/٢٢٨ .

(٣) - كتاب الوضوء، باب البول عند صاحبه والتستر بالحائط، برقم ٢٢٥، ١/٧١ .

(٤) - كتاب الوضوء، باب البول عند سباطة قوم، برقم ٢٢٦، ١/٧١ .

شرح غريب الحديث :

(سُبَاطَةَ) – هي المزبلة والكُناسة تكون بفناء الدور مرفقاً لأهلها [(١)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية نزول الداعية إلى الميدان للدعوة إلى الله ﷻ .

ثانياً – من صفات الداعية : الحرص على الطهارة .

ثالثاً – من خصائص الدعوة : اليسر والسهولة .

رابعاً – من أساليب الدعوة: المقارنة بين الإسلام وسائر الأديان، لبيان محاسن الإسلام.

خامساً – إنكار الصحابة ﵃ بعضهم على بعض .

سادساً – من قواعد الدعوة : دفع أشد المفسدتين بارتكاب أخفهما، والإتيان بأعظم المصلحتين إذا لم يمكنا معاً .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – أهمية نزول الداعية إلى الميدان للدعوة إلى الله ﷻ :

إن رسول الله ﷺ، كان يطلع على أحوال مجتمعه الذي يعيش فيه، وينتقل من مكان إلى مكان للدعوة إلى الله ﷻ، وزيارة أصحابه ﵃، وعيادتهم، وفي هذا الحديث نجد رسول الله ﷺ، لما حصره البول أتى سباطة قوم فبال فيها، مع أنه كان حريصاً على الابتعاد عن أعين الناس عند قضاء الحاجة، وعن سبب ذلك يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله – : (إنه ﷺ، كان يطيل الجلوس لمصالح الأمة، ويكثر من زيارة أصحابه وعيادتهم، فلما حضره البول وهو في بعض تلك الحالات، لم يؤخره حتى يبعد كعادته، لما يترتب على تأخيره من الضرر، فراعى أهم الأمرين، وقدم

---

(١) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٧٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٩٢/١.

المصلحة في تقريب حذيفة منه ليستره من المارة، على مصلحة تأخيره عنه، إذ لم يمكن جمعهما) [(١)] .

فمن ذلك نعرف أن الداعية ينبغي له النزول إلى الميدان ليدعو إلى الله ﷻ، وليطلع على أحوال مجتمعه، حتى يكون على بينة من أمره، وما ينبغي له أن يتخذه من تصرف، أو موقف مناسب .

ثانياً - من صفات الداعية : الحرص على الطهارة :

إن في هذا الحديث تأكيداً لما سبق ذكره [(٢)] من حرص رسول الله ﷺ، على النظافة والطهارة، والإتيان بالسنن، فهو إذا نقض وضوءه، بادر إلى الوضوء حتى يكون دائماً على طهارة، إذ يقول الصحابي الجليل حذيفة ﷺ : أَتَى النَّبِيُّ ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَجِئْتُهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ .

إذن فالداعية إلى الله ﷻ، ينبغي له الحرص على الإتيان بالسنن والمستحبات، وذلك بالاستعداد لها، وخاصة ما يتعلق بالطهارة والصلاة .

ثالثاً - من خصائص الدعوة : اليسر والسهولة :

إن قول الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ : (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ - أي البول - ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ ..)، بمقارنته بحال ديننا وما شرع لنا في مثل هذه الحالة [(٣)]، يظهر لنا خصيصة من خصائص هذا الدين العظيم، وهي : اليسر والسهولة في الأحكام والتشريعات .

رابعاً - من أساليب الدعوة : المقارنة بين الإسلام وسائر الأديان، لبيان محاسن الإسلام :

من أساليب الدعوة التي تستفاد من هذا الحديث، مشروعية مقارنة ديننا بالأديان

---

(١) - فتح الباري، ٣٩٣/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٦/٣ .

(٢) - انظر مثلاً : ص٦٥٥ و٦٨٣ و٦٩٥ و٧٠٦ من هذا البحث .

(٣) - إزالة النجاسة، وغسل البقعة فقط . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٦/٣ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٧٥/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٩٣/١، ٢٩٤ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣٥/٣) .

الأخرى، لبيان خصائص هذا الدين وكماله وعظمته، ولحثّ الناس على العمل بما شرع لهم فيه، وذلك يؤخذ من قول الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ : (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ ..)، كأنه يقول : جنبوا أنفسكم وملابسكم البول والنجاسة، فدينكم لم يكلفكم بما يشقُّ عليكم كما كان حال من قبلكم، إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه .

خامساً - إنكار الصحابة ﷺ بعضهم على بعض :

لّما علِمَ الصحابي الجليل حذيفة ﷺ، أن أخاه الصحابي الجليل أبا موسى الأشعري ﷺ، كان يُشدِّد في البول ويقول : (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ ..)، أنكر عليه هذا الفعل بقوله : (لَيْتَهُ أَمْسَكَ أَتَى رَسُولُ ا لله ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا)، يقول الإمام النووي - رحمه ا لله - : (مقصود حذيفة ﷺ أن هذا التشديد خلاف السنة، فإن النبي ﷺ، بال قائماً، ولا شك في كون القائم معرضاً للرشيش، و لم يلتفت النبي ﷺ، إلى هذا الاحتمال، و لم يتكلف البول في قارورة، كما فعل أبو موسى ﷺ) (١) .

إذن فاحتساب الدعاة بعضهم على بعض، لا حرج فيه، بل هو من هدي صحابة رسول ا لله ﷺ، الذين زكاهم رسول ا لله ﷺ، وأمرنا بالاقتداء بهم .

سادساً - من قواعد الدعوة : دفع أشد المفسدتين بارتكاب أخفهما، والإتيان بأعظم المصلحتين إذا لم يمكنا معاً :

من القواعد الدعوية المهمة التي ينبغي أن لا تغيب عن ذهن الداعية إلى ا لله ﷻ، إذا كان بين مفسدتين، ولابد من اختيار أحدهما، أو إذا كان بين مصلحتين، و لم يتمكن من الإتيان بهما جميعاً، فعليه إذن أن يدفع أشدّ المفسدتين بارتكاب أخفهما، والإتيان بأعظم المصلحتين إذا لم يمكنا معاً، يقول الحافظ ابن حجر -رحمه ا لله - : (ويستفاد من هذا الحديث دفع أشد المفسدتين بأخفهما، والإتيان بأعظم المصلحتين

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٧/٣ .

إذا لم يمكنا معاً، وبيانه أنه ﷺ، كان يطيل الجلوس لمصالح الأمة، ويكثر من زيارة أصحابه وعيادتهم، فلما حضره البول وهو في بعض تلك الحالات، لم يؤخره حتى يبعد كعادته، لما يترتب على تأخيره من الضرر، فراعى أهم الأمرين، وقدم المصلحة في تقريب حذيفة منه ليستره من المارة، على مصلحة تأخيره عنه، إذ لم يمكن جمعهما)[1] .

---

(١) – فتح الباري، ٣٩٣/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦٦/٣ .

٦٤ - باب غسل الدم

١٧١ - ٢٢٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ هِشَامٍ قَالَ : حَدَّثَتْنِي فَاطِمَةُ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ : أَرَأَيْتَ إِحْدَانَا تَحِيضُ فِي الثَّوْبِ كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : « **تَحُتُّهُ ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ وَتَنْضَحُهُ وَتُصَلِّي فِيهِ** » (١) .

وفي رواية : .. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ إِحْدَاكُنَّ الدَّمُ مِنَ الْحَيْضَةِ فَلْتَقْرُصْهُ ..** » (٢) .

١٧٢ - ٢٢٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ سَلامٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي امْرَأَةٌ أُسْتَحَاضُ فَلا أَطْهُرُ، أَفَأَدَعُ الصَّلاةَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **لا إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ وَلَيْسَ بِحَيْضٍ فَإِذَا أَقْبَلَتْ حَيْضَتُكِ فَدَعِي الصَّلاةَ وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ ثُمَّ صَلِّي** » قَالَ : وَقَالَ أَبِي « **ثُمَّ تَوَضَّئِي لِكُلِّ صَلاةٍ حَتَّى يَجِيءَ ذَلِكَ الْوَقْتُ** » (٣) .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

---

(١) - طرفه : في كتاب الحيض، باب غسل دم الحيض، برقم ٣٠٧، ١/٩١ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب نجاسة الدم وكيفية غسله، برقم٢٩١، ١/٢٤٠ .

(٢) - كتاب الحيض، باب غسل دم الحيض، برقم ٣٠٧، ١/٩١ .

(٣) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الحيض، باب الاستحاضة، برقم٣٠٦، ١/٩١ . **الثاني**: في كتاب الحيض، باب إقبال المحيض وإدباره، برقم٣٢٠، ١/٩٥ . **الثالث** : في كتاب الحيض، باب إذا حاضت في شهر ثلاث حيض، برقم٣٢٥، ١/٩٦ . **الرابع** : في كتاب الحيض، باب إذا رأت المستحاضة الطهر، برقم٣٣١، ١/٩٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب المستحاضة وغسلها وصلاتها، برقم ٣٣٣، ١/٢٦٢ .

أولاً – حرص السلف الصالح على تعليم أولادهم .

ثانياً – أهمية السؤال والرجوع إلى العلماء فيما يشكل .

ثالثاً – حرص نساء الصحابة - رضي الله عنهن - وغيرهنَّ على العلم والتعليم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص السلف الصالح على تعليم أولادهم :

ورد في أحاديث سابقة (١) أن سلفنا الصالح كانوا يحرصون على تعليم أبنائهم السنة وأحكام الدين، لمعرفتهم بمسؤوليتهم تجاه أبنائهم وأقربائهم، نجد أن في سند هذين الحديثين، ما يُؤكد على ذلك :

فالحديث الأول : نجد فيه أن الصحابية الجليلة أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما، تُحدث حفيدتها فاطمة بنت المنذر (٢) - رحمها الله - بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ .

وأيضاً فيه فاطمة بنت المنذر، تحدث زوجها هشام بن عروة - رحمهما الله- بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ .

والحديث الثاني : نجد فيه أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تُحدث ابن أختها عروة ابن الزبير رضي الله عنهما .

وأيضاً نجد في هذا الحديث أن عروة -رحمه الله- وعى هذا الدرس جيداً، وهو الاهتمام بالأقارب والأهل بالدعوة والتعليم، فحرص على تعليم ابنه هشام -رحمه الله- هذا الحديث .

---

(١) – انظر مثلاً : ص٦٨٦ و٦٩٠ و٦٩٤ و٧٥٤ ، من هذا البحث .

(٢) – هي : فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام، الأسدية، زوجة هشام بن عروة، روت عن جدتها أسماء، وأم سلمة، وعمرة بنت عبد الرحمن – رضي الله عنهن – وعنها زوجها هشام، ومحمد ابن سواقه، ومحمد بن إسماعيل بن يسار . (انظر : تهذيب التهذيب، لابن حجر، ٤٧١/١٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٣٩/٣) .

وهكذا لقد كان سلفنا الصالح ﷺ، مثالاً عظيماً في الدعوة إلى الله ﷻ، ونشر سنة رسول الله ﷺ بين الناس جميعاً، وخاصة بين أقاربهم وأهل بيتهم، فلذا ننبه الدعاة إلى الله ﷻ، إلى الاهتمام والعناية بالأهل والأقارب في الدعوة والتعليم .

ثانياً - أهمية السؤال والرجوع إلى العلماء فيما يشكل :

إن سؤال العلماء والرجوع إليهم له أهمية كبيرة، إذ به يُحصل العلم، ويرتفع الجهل، ويُزال اللبس والإشكال، وفي هذين الحديثين نجد أن بعض نساء الصحابة ﷺ جميعاً، لما أشكلت عليهنَّ بعض مسائل الحيض، سألنَ رسول الله ﷺ، ومن هنا نخرج بفائدتين تتعلق بهذا الأسلوب، وهما :

١ - جواز سؤال المرأة بنفسها ومشافهتها للرجل فيما يتعلق بأحوال النساء ومما يستحى من ذكره ، بدون خلوة [(١)] .

٢ - حسن اختيار العالم، وذلك يظهر بوضوح من توجيه الأسئلة لرسول الله ﷺ، سيد العلماء وإمامهم وقدوتهم، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

ثالثاً - حرص نساء الصحابة - رضي الله عنهن - **وغيرهنَّ على العلم والتعليم :**

يكشف لنا هذان الحديثان مدى ما كان عليه سلفنا الصالح من النساء، على طلب العلم وتعليمه، فهنَّ إذا أشكل عليهنَّ شيء ذهبن إلى رسول الله ﷺ، وسألنه عن أمور دينهنَّ، وذلك لمعرفتهنَّ بفضل العلم والتعليم . أو أنهنَّ يسألن العلماء ويحفظن منهم حديث رسول الله ﷺ، وذلك ليتفقهن بدين الله ﷻ، **أولاً**، ثم ليبلغن العلم ويدعون غيرهنَّ إليه، **ثانياً** .

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١/٤٨٨، ٤٨٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/١٤٣ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ١/١٢١ .

٦٥ - باب غسل المني وفركه، وغسل ما يصيب من المرأة

١٧٣ - ٢٢٩ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الله بْنُ المُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ الجَزَرِيُّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كُنْتُ أَغْسِلُ الجَنَابَةَ مِنْ ثَوْبِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلاةِ وَإِنَّ بُقَعَ المَاءِ فِي ثَوْبِهِ (١) .

وفي رواية : عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : سَأَلتُ عَائِشَةَ عَنِ المَنِيِّ يُصِيبُ الثَّوْبَ فَقَالَتْ : كُنْتُ أَغْسِلُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ الله ﷺ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلاةِ وَأَثَرُ الغَسْلِ فِي ثَوْبِهِ بُقَعُ المَاءِ (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - وظيفة الزوجة الصالحة للداعية .

ثانياً - أهمية التصريح ببعض الألفاظ والأحوال التي يستحى منها عند الحاجة .

ثالثاً - أهمية أسلوب السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

رابعاً - من أساليب الدعوة : نقل أحوال المقتدى به .

خامساً - أهمية ذكر الدليل على الحكم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - وظيفة الزوجة الصالحة للداعية :

لقد كانت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، مثالاً رائعاً للزوجة الصالحة للداعية إلى الله

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الوضوء، باب غسل المني وفركه، وغسل ما يصيب من المرأة، برقم ٢٣٠، ١/٧٣ . **الثاني والثالث** : في كتاب الوضوء، باب إذا غسل الجنابة أو غيرها فلم يذهب أثره، برقم٢٣١، ورقم٢٣٢، ١/٧٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب حكم المني، برقم٢٨٩، ١/٢٣٩ .

(٢) - كتاب الوضوء، باب غسل المني وفركه، وغسل ما يصيب من المرأة، برقم ٢٣٠، ١/٧٣ .

ﷻ، التي تخدم زوجها وتُعينه على شؤون الحياة اليومية، إذ نجد في هذا الحديث أنها تقول : (كُنْتُ أَغْسِلُ الجَنَابَةَ مِنْ ثَوْبِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلاةِ وَإِنَّ بُقَعَ المَاءِ فِي ثَوْبِهِ)، يقول كثير من العلماء - رحمهم الله - ويستفاد من هذا الحديث خدمة المرأة لزوجها في غسل ثيابه، ونحو ذلك، خصوصاً إذا كان من أمر يتعلق بها، وهو من حسن العشرة وجميل الصحبة (١) .

ثانياً - أهمية أسلوب السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

إن من الأساليب المهمة في تحصيل العلم ونشره بين الناس، السؤال عنه، ومن ثَمّ نقل الإجابة للآخرين، إذ نجد أن هذا الحديث نقل إلينا بعد سؤال لأم المؤمنين عائشة ﵄، ومن هذا نخرج بفائدتين، هما :

١ - جواز سؤال النساء عمّا يستحيى منه لمصلحة تعلم الأحكام (٢) .

٢ - حسن اختيار العالم، وذلك يظهر من اختيار أمّ المؤمنين عائشة ﵄، والتي هي زوجة رسول الله ﷺ، وأعلم الناس بأحواله فيما يتعلق بالجماع وأحكامه .

ثالثاً - أهمية التصريح ببعض الألفاظ والأحوال التي يستحى منها عند الحاجة :

إن الداعية إلى الله ﷻ، إذا احتاج للتصريح ببعض الألفاظ أو الأحوال التي يستحى منها، فلا حرج عليه في ذلك، بل هو من مصلحة الدعوة والبيان في التبليغ، إذ نجد في هذا الحديث أن أمَّ المؤمنين عائشة ﵄، تذكر بعض الألفاظ والأحوال التي تتعلق بها وبرسول الله ﷺ في الجماع، لمصلحة الدعوة والتعليم (٣)، وذلك عملاً بقول الله ﷻ : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ (٤)، يقول العلامة

---

(١) - انظر : بهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١٦٤/١ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٨٣/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٩٩/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٤٧/٣ .

(٢) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٨٣/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٣٩٩/١ .

(٣) - انظر : بهجة النفوس، لابن أبي جمرة، ١٦٣/١، ١٦٤ .

(٤) - سورة الأحزاب، الآية : ٣٤ .

ابن سعدي - رحمه الله - : (والمراد بآيات الله : القرآن . والحكمة : أسراره، وسنة رسوله ﷺ) (١) .

رابعاً - من أساليب الدعوة : نقل أحوال المقتدى به :

من الأساليب الدعوية المهمة التي تُستفاد من هذا الحديث : نقل أحوال المقتدى به للناس ، ليستنوا بها ، ويعملوا بمثلها ، يقول العلامة العيني -رحمه الله-: ومن الأحكام التي تستفاد من هذا الحديث نقل أحوال المقتدى به، وإن كان يستحى من ذكرها عادة (٢) .

إذن فينبغي للدعاة إلى الله تعالى، ذكر أحوال رسول الله ﷺ، وسلف هذه الأمة الذين أمرنا بالاقتداء بهم، ليستن الناس بهم، ويقلدونهم في أعمالهم، وأقوالهم، وأخلاقهم، وأحوالهم .

خامساً - أهمية ذكر الدليل على الحكم :

إن ذكر الدليل على الحكم، مما يدل على فقه الداعية إلى الله تعالى، وحكمته، وذلك أنه بذكر الدليل على الحكم، يكون أدعى لقبوله والعمل به، وفي هذا الحديث نجد أنَّ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تُجيب عن السؤال بذكر حال رسول الله ﷺ، عندما يحدث له مثل ذلك، وهو من أعظم الأدلة التي تحثُّ على العمل بالفتوى والاستجابة لها، يقول الإمام القرطبي -رحمه الله- عن جوابها ذلك: (أنها إنما ذكرت ذلك مُحتجةً به على فتياها) (٣).

إذن فينبغي للدعاة إلى الله تعالى، الحرص على ذكر الأدلة على أحكامهم وفتاويهم، لأن ذلك أدعى لقبولها، والاستجابة لما يأمرونهم به .

---

(١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٥١/٤ . (ومقصود الشيخ - رحمه الله - بأسراره: أي الأسرار المتعلقة بالتشريع ، التي يؤذن بإفشائها ، أما ماعدا ذلك فغير مقصود) .

(٢) - عمدة القاري، ١٤٧/٣ .

(٣) - المفهم، ٥٤٩/١ .

٦٧ - باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها

١٧٤ - ٢٣٣ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ، أَوْ عُرَيْنَةَ فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ، وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَانْطَلَقُوا . فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ، فَجَاءَ الْخَبَرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جِيءَ بِهِمْ، فَأَمَرَ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسُمِرَتْ أَعْيُنُهُمْ وَأُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَلا يُسْقَوْنَ . قَالَ أَبُو قِلابَةَ فَهَؤُلاءِ سَرَقُوا وَقَتَلُوا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَحَارَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ (١).

وفي رواية : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَهْطًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ابْغِنَا رِسْلًا . قَالَ : « **مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلا أَنْ تَلْحَقُوا بِالذَّوْدِ** » فَانْطَلَقُوا فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا، وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ . فَأَتَى الصَّرِيخُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ، فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أُتِيَ بِهِمْ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَأُحْمِيَتْ

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الزكاة، باب استعمال إبل الصدقة وألبانها لأبناء السبيل، برقم١٥٠١، ١٦٧/٢ . **الثاني**: في كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، برقم ٣٠١٨، ٢٧/٤ . **الثالث والرابع** : في كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، برقم ٤١٩٢، ورقم٤١٩٣، ٨٤/٥ . **الخامس** : في كتاب التفسير، سورة المائدة، برقم٤٦١٠، ٢٢٢/٥ . **السادس**: في كتاب الطب، باب الدواء بألبان الإبل، برقم ٥٦٨٥، ١٦/٧ . **السابع** : في كتاب الطب، باب الدواء بأبوال الإبل، برقم ٥٦٨٦، ١٧/٧ . **الثامن** : في كتاب الحدود، باب المحاربين من أهل الكفر، برقم٦٨٠٢، ٢٤/٨ . **التاسع** : في كتاب الحدود، باب لم يحسم النبي ﷺ من أهل الردة حتى هلكوا، برقم٦٨٠٣، ٢٤/٨ . **العاشر** : في كتاب الحدود، باب لم يُسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا، برقم٦٨٠٤، ٢٤/٨ . **الحادي عشر** : في كتاب الحدود، باب سمر النبي ﷺ أعين المحاربين، برقم٦٨٠٥، ٢٥/٨. **الثانيعشر** : في كتاب الديات، باب القسامة، برقم ٦٨٩٩، ٥٤/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب القسامة، باب حكم المحاربين والمرتدين، برقم١٦٧١، ١٢٩٦/٣ .

فَكَحَلَهُمْ بِهَا وَطَرَحَهُمْ بِالحَرَّةِ يَسْتَسْقُونَ فَمَا يُسْقَوْنَ حَتَّى مَاتُوا (١) .

وفي رواية : أَنَّ أَنَسًا ﷺ حَدَّثَهُمْ أَنَّ نَاسًا مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا المَدِينَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَكَلَّمُوا بِالإِسْلامِ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ وَاسْتَوْخَمُوا المَدِينَةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَوْدٍ وَرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الحَرَّةِ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَرُوا أَعْيُنَهُمْ وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ . قَالَ قَتَادَةُ : بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ يَحُثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَى عَنِ المُثْلَةِ (٢). (٣)

وفي رواية : .. قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو رَجَاءٍ مَوْلَى أَبِي قِلابَةَ، وَكَانَ مَعَهُ بِالشَّأْمِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِالعَزِيزِ اسْتَشَارَ النَّاسَ يَوْمًا قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ القَسَامَةِ ؟ فَقَالُوا : حَقٌّ قَضَى بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَضَتْ بِهَا الخُلَفَاءُ قَبْلَكَ . قَالَ : وَأَبُو قِلابَةَ خَلْفَ سَرِيرِهِ فَقَالَ عَنْبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ : فَأَيْنَ حَدِيثُ أَنَسٍ فِي العُرَنِيِّينَ ؟ قَالَ أَبُو قِلابَةَ: إِيَّايَ حَدَّثَهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ . قَالَ عَبْدُالعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ مِنْ عُرَيْنَةَ، وَقَالَ أَبُو قِلابَةَ : عَنْ أَنَسٍ مِنْ عُكْلٍ ذَكَرَ القِصَّةَ (٤) .

---

(١) - كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، برقم ٣٠١٨، ٢٧/٤ .

(٢) - كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، برقم ٤١٩٢، ٨٤/٥ .

(٣) - بلاغ قتادة وصله أبو داود عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ الْهَيَّاجِ بْنِ عِمْرَانَ أَنَّ عِمْرَانَ أَبَقَ لَهُ غُلَامٌ فَجَعَلَ لِلَّهِ عَلَيْهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَيَقْطَعَنَّ يَدَهُ . فَأَرْسَلَنِي لِأَسْأَلَ لَهُ، فَأَتَيْتُ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنِ الْمُثْلَةِ . فَأَتَيْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنِ الْمُثْلَةِ . (انظر : سنن أبي داود، في كتاب الجهاد، باب في النهي عن المثلة، برقم ٢٦٦٧، ٥٣/٣ . وقال عنه الحافظ ابن حجر : إسناده قوي . انظر : فتح الباري، ٥٢٤/٧) .

(٤) - كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، برقم ٤١٩٣، ٨٤/٥ .

وفي رواية : .. فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ يَكْدِمُ الأَرْضَ بِلِسَانِهِ حَتَّى يَمُوتَ .

قَالَ سَلَّامٌ : فَبَلَغَنِي أَنَّ الحَجَّاجَ قَالَ لِأَنسٍ حَدِّثْنِي بِأَشَدِّ عُقُوبَةٍ عَاقَبَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَدَّثَهُ بِهَذَا، فَبَلَغَ الحَسَنَ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ لم يُحَدِّثْهُ بِهَذَا (١) .

وفي رواية : .. حَدَّثَنِي أَبُو رَجَاءٍ مِنْ آلِ أَبِي قِلابَةَ حَدَّثَنِي أَبُو قِلابَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِالعَزِيزِ أَبْرَزَ سَرِيرَهُ يَوْمًا لِلنَّاسِ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي القَسَامَةِ ؟ قَالَ : نَقُولُ : القَسَامَةُ القَوَدُ بِهَا حَقٌّ وَقَدْ أَقَادَتْ بِهَا الخُلَفَاءُ، قَالَ لِي : مَا تَقُولُ يَا أَبَا قِلابَةَ ؟ وَنَصَبَنِي لِلنَّاسِ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عِنْدَكَ رُءُوسُ الأَجْنَادِ وَأَشْرَافُ العَرَبِ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ خَمْسِينَ مِنْهُمْ شَهِدُوا عَلَى رَجُلٍ مُحْصَنٍ بِدِمَشْقَ أَنَّهُ قَدْ زَنَى لم يَرَوْهُ أَكُنْتَ تَرْجُمُهُ ؟ قَالَ : لا . قُلْتُ : أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ خَمْسِينَ مِنْهُمْ شَهِدُوا عَلَى رَجُلٍ بِحِمْصَ أَنَّهُ سَرَقَ أَكُنْتَ تَقْطَعُهُ وَلَمْ يَرَوْهُ ؟ قَالَ : لا . قُلْتُ : فَوَاللهِ مَا قَتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَدًا قَطُّ إِلا فِي إِحْدَى ثَلاثِ خِصَالٍ : رَجُلٌ قَتَلَ بِجَرِيرَةِ نَفْسِهِ فَقُتِلَ، أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ رَجُلٌ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَارْتَدَّ عَنِ الإِسْلامِ. فَقَالَ القَوْمُ: أَوَلَيْس قَدْ حَدَّثَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَطَعَ فِي السَّرَقِ وَسَمَرَ الأَعْيُنَ، ثُمَّ نَبَذَهُمْ فِي الشَّمْسِ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثَ أَنَسٍ، حَدَّثَنِي أَنَسٌ أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلامِ، فَاسْتَوْخَمُوا الأَرْضَ فَسَقِمَتْ أَجْسَامُهُمْ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « **أَفَلا تَخْرُجُونَ مَعَ رَاعِينَا فِي إِبِلِهِ فَتُصِيبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا** » قَالُوا : بَلَى، فَخَرَجُوا فَشَرِبُوا .. (٢) .

وفيها : .. فَقَالَ عَنْبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ : وَاللهِ إِنْ سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، فَقُلْتُ : أَتَرُدُّ عَلَيَّ حَدِيثِي يَا عَنْبَسَةُ، قَالَ : لا، وَلَكِنْ جِئْتَ بِالحَدِيثِ عَلَى وَجْهِهِ، وَاللهِ لا يَزَالُ هَذَا الجُنْدُ بِخَيْرٍ مَا عَاشَ هَذَا الشَّيْخُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قُلْتُ : وَقَدْ كَانَ فِي هَذَا سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ

---

(١) – كتاب الطب، باب الدواء بألبان الإبل، برقم ٥٦٨٥، ١٦/٧ .

(٢) – كتاب الديات، باب القسامة، برقم ٦٨٩٩، ٥٤/٨ .

الله ﷺ دَخلَ عَلَيْهِ نَفرٌ مِنَ الأنْصَارِ فَتَحَدَّثُوا عِنْدَهُ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَقُتِلَ، فَخرَجُوا بَعْدَهُ فَإذَا هُمْ بِصَاحِبِهِمْ يَتَشَحَّطُ فِي الدَّمِ، فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله صَاحِبُنَا كَانَ تَحَدَّثَ مَعَنَا فَخرَجَ بَيْنَ أَيْدِينا فَإِذَا نَحْنُ بِهِ يَتَشَحَّطُ فِي الدَّمِ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: « **بِمَنْ تَظُنُّونَ أَوْ مَنْ تَرَوْنَ قَتَلَهُ؟** » قَالُوا : نَرَى أَنَّ اليَهُودَ قَتَلَتْهُ فَأَرْسَلَ إِلَى اليَهُودِ فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ: « **آنْتُمْ قَتَلْتُمْ هَذَا ؟** » قَالُوا : لا . قَالَ : « **أَتَرْضَوْنَ نَفلَ خَمْسِينَ مِنَ اليَهُودِ مَا قَتَلُوهُ ؟** » فَقَالُوا : مَا يُبَالُونَ أَنْ يَقْتُلُونَا أَجْمَعِينَ، ثُمَّ يَنْتَفِلُونَ قَالَ : « **أَفَتَسْتَحِقُّونَ الدِّيَةَ بِأَيْمَانِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ ؟** » قَالُوا : مَا كُنَّا لِنَحْلِفَ، فَوَدَاهُ مِنْ عِنْدِهِ . قُلْتُ : وَقَدْ كَانَتْ هُذَيْلٌ خَلَعُوا خَلِيعًا لَهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَطَرَقَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ اليَمَنِ بِالبَطْحَاءِ، فَانْتَبَهَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَحَذَفَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ، فَجَاءَتْ هُذَيْلٌ فَأَخَذُوا اليَمَانِيَّ فَرَفَعُوهُ إِلَى عُمَرَ بِالمَوْسِمِ وَقَالُوا : قَتَلَ صَاحِبَنَا، فَقَالَ : إِنَّهُمْ قَدْ خَلَعُوهُ، فَقَالَ : يُقْسِمُ خَمْسُونَ مِنْ هُذَيْلٍ مَا خَلَعُوهُ، قَالَ: فَأَقْسَمَ مِنْهُمْ تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا، وَقَدِمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنَ الشَّأْمِ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُقْسِمَ فَافْتَدَى يَمِينَهُ مِنْهُمْ بِالفِ دِرْهَمٍ، فَأَدْخَلُوا مَكَانَهُ رَجُلًا آخرَ فَدَفَعَهُ إِلَى أَخِي المَقْتُولِ فَقُرِنَتْ يَدُهُ بِيَدِهِ قَالُوا : فَانْطَلَقَا وَالخَمْسُونَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِنَخْلَةَ أَخَذَتْهُمُ السَّمَاءُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي الجَبَلِ فَانْهَجَمَ الغَارُ عَلَى الخَمْسِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا فَمَاتُوا جَمِيعًا، وَأَفْلَتَ القَرِينَانِ وَاتَّبَعَهُمَا حَجَرٌ فَكَسَرَ رِجْلَ أَخِي المَقْتُولِ فَعَاشَ حَوْلًا ثُمَّ مَاتَ، قُلْتُ : وَقَدْ كَانَ عَبْدُالمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَقَادَ رَجُلًا بِالقَسَامَةِ، ثُمَّ نَدِمَ بَعْدَ مَا صَنَعَ، فَأَمَرَ بِالخَمْسِينَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا فَمُحُوا مِنَ الدِّيوَانِ وَسَيَّرَهُمْ إِلَى الشَّأْمِ .

شرح غريب الحديث :

(عُكْلٍ) – قبيلة من عدنان [1] .

(عُرَيْنَةَ) – قبيلة من قحطان [2] .

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٤٠٢/١ .

(٢) – انظر : المرجع السابق، ٤٠٢/١ .

(فَاجْتَوَوُا) - كرهوا المقام، وقيل : أي لم يوافقهم الطعام [١] .

(بِلِقَاحٍ) - النوق ذوات الألبان [٢] .

(بِالحَرَّةِ) - هي أرض ذات حجارة سوداء معروفة بالمدينة [٣] .

(وَاسْتَوْخَمُوا) - الوخم : الوبيء ، استوخمت البلد، وبلد وخم ووخيم، إذا لم توافق ساكنه [٤] .

(المُثْلَة) - تعذيب المقتول بقطع أعضائه، وتشويه خلقه قبل أن يقتل، أو بعده، وذلك مثل أن يجدع أنفه، أو أذنه، أو يفقأ عينه، أو ما أشبه ذلك من أعضائه [٥] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين الأعراب .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : حرمة دم الإنسان .

ثالثاً – من صفات الداعية : الشورى .

رابعاً – من الأحوال التي يعدل فيها من الرفق إلى الشدة : إقامة الحدود .

خامساً – أهمية مراعاة أحوال المدعوين .

سادساً – أهمية أسلوب المناظرة في العلم .

سابعاً – من تاريخ الدعوة : قصة وفد عكل وعرينة .

---

(١) – انظر : فتح الباري، ١/٤٠٣ .

(٢) – المرجع السابق ١/٤٠٣ .

(٣) – المرجع السابق، ١/٤٠٦ .

(٤) – تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٢٤٩ .

(٥) – معالم السنن، للخطابي، ٢/٢٤٢ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من أصناف المدعوين الأعراب :

في هذا الحديث ذكرٌ لصنف من أصناف المدعوين الذين كانوا يفدون على رسول الله ﷺ، وهم : الأعراب، الذين جاءوا من قبيلتي عُكل وعُرينة، فلما سكنوا المدينة لم تناسبهم واستوخموها، وذلك أنهم كما قالوا : (إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ وَاسْتَوْخَمُوا الْمَدِينَةَ)، أي أنهم تعودوا على حياة البداوة والرعي . وكان من سمات هؤلاء الغدر والخيانة، إذ كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي الإبل وسرقوا .

ثانياً - من موضوعات الدعوة : حرمة دم الإنسان :

إن في هذا الحديث بياناً عظيماً لحرمة الدم في الإسلام، وذلك يظهر من عدة وجوه في هذا الحديث، وهي :

١ - قَتْلُ رسول الله ﷺ، للعرنيين الذين قتلوا الراعي، أي أنه (قتل الجماعة بالواحد، سواء قتلوه غيلة، أو حرابة، إن قلنا : إن قتلهم كان قصاصاً) [(١)].

٢ - قول أبي قِلابة - رحمه الله -: (.. مَا قَتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَحَدًا قَطُّ، إلا فِي إِحْدَى ثَلاثِ خِصَالٍ : رَجُلٌ قَتَلَ بِجَرِيرَةِ نَفْسِهِ فَقُتِلَ، أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ رَجُلٌ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَارْتَدَّ عَنِ الإِسْلامِ ..) .

٤ - قول التابعي الجليل قتادة - رحمه الله - : (بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ يَحُثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُثْلَةِ) .

٣ - كراهية رسول الله ﷺ، أن يُطل دم في الإسلام، وذلك عندما ودى من عنده قتيل الأنصار الذين اتهموا فيه اليهود، حيث جاء في رواية من طريق آخر أن الراوي قال : (فكره رسول الله ﷺ، أن يُطل دمه، فوداه مائة من إبل الصدقة) [(٢)] .

---

(١) - فتح الباري، لابن حجر، ٤٠٧/١ .

(٢) - صحيح البخاري، كتاب الديات، باب القسامة، برقم ٦٨٩٨، ٥٤/٨ .

لذا فليحرص الدعاة إلى الله ﷻ، على أن يكون من موضوعاتهم الدعوية، بيان عظم حرمة الدماء في الإسلام .

ثالثاً - من صفات الداعية : الشورى :

إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - في هذا الحديث، قد ضرب مثالاً رائعاً لما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله ﷻ، من الحرص على الاستشارة، وسماع رأي العلماء فيما يريد أن يفعله، قبل الإقدام عليه، وذلك يؤخذ من الحديث عند قوله : (إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِالعَزِيزِ اسْتَشَارَ النَّاسَ يَوْمًا قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ القَسَامَةِ ؟ ..) .

فهو على منزلته العظيمة، سواء العلمية، أو الاجتماعية، أو السياسية، لم يستبد برأيه، بل أراد أن يسمع من غيره، حتى يكون على بينة من أمره، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله ﷻ، متصفاً بهذه الصفة المهمة في الدعوة إلى الله ﷻ ، التي تحتاج دائماً ، إلى اجتماع الرأي ونضوجه ، وذلك لا يكون إلا بالتأني واستشارة الآخرين من أهل الرأي والمشورة .

رابعاً - من الأحوال التي يعدل فيها من الرفق إلى الشدة : إقامة الحدود :

لقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تحثُّ على الرفق واللين، منها قوله ﷻ :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (١).

وقوله ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه**»(٢)، ومع هذا نجد أن رسول الله ﷺ، يقتل العرنيين، ويصنع بهم ما ورد في هذا الحديث، ولا شك أن في هذا شدة وقسوة، قد يظن بعض الناس أنها تتعارض مع النصوص السابقة .

---

(١) - سورة آل عمران، الآية : ١٥٩ .

(٢) - صحيح مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، برقم٢٥٩٤، ٤/٢٠٠٤ .

ولكن لا تعارض بينهما، إذ يقول بعض العلماء : إن من الأحوال التي يعدل فيها من الرفق واللين إلى الشدة والقسوة : عندما تنتهك محارم الله تبارك وتعالى ، وعند إقامة الحدود [1]، وفعل رسول الله ﷺ في هذا الحديث كان بسبب انتهاكهم لحدود الله تبارك وتعالى ، ومحارمه [2]، إذ يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ [3] . ويقول الله عز وجل : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [4] . يقول الإمام القرطبي - رحمه الله -: (أي لا تمتنعوا من إقامة الحدود شفقة على المحدود، ولا تخفّفوا الضرب من غير إيجاع، هذا قول جماعة أهل التفسير) [5]. ثم قال -رحمه الله - : (ثم قررهم على معنى التثبيت والحضّ بقوله تعالى : ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾، وهذا كما تقول لرجل تحضُّه : إن كنت رجلاً فافعل كذا، أي هذه أفعال الرجال) [6] .

وتقول أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « **ما خُيِّر النبي ﷺ، بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه. والله ما انتقم لنفسه في**

---

(1) - انظر : من صفات الداعية اللين والرفق، للدكتور/ فضل إلهي، ص٣٤ - ٣٨ .

(2) - انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٩٤/٦ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٠٧/١ .

(3) - سورة المائدة، الآية : ٣٣ .

(4) - سورة النور، الآية : ٢ .

(5) - الجامع لأحكام القرآن ، ١٦٥/١٢ .

(6) - المرجع السابق، ١٦٦/١٢ .

شيء يُؤتى إليه قطٌّ، حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله » [١] . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : وفي هذا الحديث الحثُّ على العفو، إلا في حقوق الله [٢].

إذن فاللين والرفق إنما يجوز بالأدلة الشرعية إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله ﷻ، فأما إذا أدَّى إلى ذلك لم يجز .

خامساً -أهمية مراعاة أحوال المدعوين :

إن مما ينبغي أن يتفطن له الدعاة إلى الله ﷻ، أهمية مراعاة أحوال المدعوين أثناء دعوتهم، ومن ذلك : **أنه ليس كل ما يُعلم يقال لكل إنسان**، إذ نجد في هذا الحديث أن الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ، لما حدث بهذا الحديث الحجاج، فَبَلَغَ ذلك الحَسَنَ البصري - رحمه الله - قَالَ : (وَدِدْتُ أَنَّهُ لم يُحَدِّثْهُ بِهَذَا)، أي أنه يخشى على الناس من أن يفهم الحجاج من هذا الحديث غير مراده، ولذا قال الصحابي الجليل أنس ﷺ : (ما ندمت على شيء، ما ندمت على حديث حدثت به الحجاج) [٣] . يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وإنما ندم أنس على ذلك لأن الحجاج كان مسرفاً في العقوبة، وكان يتعلق بأدنى شبهة) [٤] .

سادساً - أهمية أسلوب المناظرة في العلم :

من الفوائد التي تستفاد من هذا الحديث : أسلوب المناظرة في العلم، وأهميته في كشف الغامض وبيان الحق، إذ نجد أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يفتح المجال للعلماء الحاضرين بمجلسه للحوار والمناظرة حول مشروعية القسامة، فيدور حوار بين أبي قلابة، وعنبسة بن سعيد - رحمهما الله - حول هذه المسألة، والتي جاء فيها أن عنبسة قال - بعد أن سمع رأي أبي قلابة -رحمهما الله -: (وَاللهِ إِنْ سَمِعْتُ

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، برقم٦٧٨٦، ٢٠/٨ .

(٢) - انظر : فتح الباري، ٦٦٦/٦ .

(٣) - المرجع السابق، ١٤٩/١٠ .

(٤) - المرجع السابق، ١٤٩/١٠ .

كَالْيَوْمِ قَطُّ) فقال له أبو قلابة - رحمه الله - : (أَتَرُدُّ عَلَيَّ حَدِيثِي يَا عَنْبَسَةُ)، فَقَالَ: (لا، وَلَكِنْ جِئْتَ بِالْحَدِيثِ عَلَى وَجْهِهِ، وَاللهِ لا يَزَالُ هَذَا الجُنْدُ بِخَيْرٍ مَا عَاشَ هَذَا الشَّيْخُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ)، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك : (وفيه إشعار بأنه كان غير ضابط له على ما حدث به أنس، فكان يظن أن فيه دلالة على جواز القتل في المعصية ولو لم يقع الكفر، فلما ساق أبو قلابة الحديث تذكر أنه هو الذي حدثهم به أنس، فاعترف لأبي قلابة بضبطه، ثم أثنى عليه) (١) . فكان هذا هو ثمرة هذه المناظرة التي كان يهدف كلٌّ منهما الوصول للحق لا غير .

سابعاً - من تاريخ الدعوة : قصة وفد عكل وعرينة :

في هذا الحديث ذكرُ شيء من تاريخ الدعوة في زمن رسول الله ﷺ، وهو : وفد عكل وعرينة الذين جاءوا إلى المدينة في شوال سنة ست من الهجرة، قبل الحديبية، فأسلموا، فلما استوخموا المدينة، أمرهم ﷺ، بأن يخرجوا إلى إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها حتى استصحوا، فكان جزاء ذلك منهم أن كفروا بالله ورسوله ﷺ، وقتلوا الراعي، وسرقوا الإبل، فأرسل رسول الله ﷺ في طلبهم ، فأحضروا إليه، فعاقبهم بأن قطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم حتى ماتوا (٢) .

---

(١) - فتح الباري، ٢٥١/١٢ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٦٢/٢٤ .

(٢) - انظر تفصيل القصة وتاريخها : زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، ٢٨٥/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٠٢/١-٤٠٧، ٢٤٢/١٢-٢٥٢.

١٧٥ - ٢٣٤ - حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو التَّيَّاحِ يَزِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي - قَبْلَ أَنْ يُبْنَى الْمَسْجِدُ فِي - مَرَابِضِ الغَنَمِ (١) .

وفي رواية : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ،كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى القَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَقَالَ: « **يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا** » قَالُوا: لا وَا لله لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إلا إِلَى ا لله، فَقَالَ أَنَسٌ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ :

« **اللهمَّ لا خَيْرَ إلا خَيْرُ الآخِرَةْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةْ** » (٢) .

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، برقم ٤٢٨، ١٢٧/١ . **الثاني:** في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مرابض الغنم، برقم٤٢٩، ١٧٢/١ . **الثالث** : في كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، برقم١٨٦٨، ٢٦٩/٢ . **الرابع** : في كتاب البيوع، باب صاحب السلعة أحق بالسوم، برقم٢١٠٦، ٢٣/٣ . **الخامس** : في كتاب الوصايا، باب إذا وقف جماعة أرضاً مشاعاً فهو جائز، برقم٢٧٧١، ٢٥٨/٣ . **السادس** : في كتاب الوصايا، باب وقف الأرض للمسجد، برقم٢٧٧٤، ٢٥٩/٣ . **السابع** :في كتاب الوصايا، باب إذا قال الواقف : لا نطلب ثمنه إلا من ا لله، فهو جائز، برقم٢٧٧٩، ٢٦١/٣ . **الثامن** : في كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، برقم٣٩٣٢، ٣٢٠/٤ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب المساجد، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ، برقم٥٢٤، ٣٧٣/١ .

(٢) - كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، برقم ٤٢٨، ١٢٧/١ .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص الصحابة ﷺ، على الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ .

ثانياً – أهمية بناء المساجد وعمارتها .

ثالثاً – حرص الصحابة ﷺ، على الإنفاق في سبيل الله ﷻ .

رابعاً – تعاون رسول الله ﷺ، مع الصحابة ﷺ، في بناء المسجد .

خامساً – من أساليب الدعوة : الترويح بالرجز والإنشاد .

سادساً – حرص رسول الله ﷺ على الصلاة والمحافظة عليها .

سابعاً – من تاريخ الدعوة : (الهجرة، وبناء المسجد) .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - حرص الصحابة ﷺ، على الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ :

عندما أرسل رسول الله ﷺ - في هذا الحديث - رسولاً إلى بني النجار، يدعوهم إليه، بادروا إلى الاستجابة لذلك، وليس هذا فقط بل جاءوا متقلدي السيوف، لإظهار استعدادهم لنصرة رسول الله ﷺ، وحمايته، هو ومن معه .

وهذا ليس بغريب على الصحابة جميعاً، الأنصار منهم أو المهاجرين ﷺ أجمعين، فينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، التأسي بهم في ذلك، بنصرة سنة رسول الله ﷺ، ودينه وشريعته .

ثانياً - أهمية بناء المساجد وعمارتها :

إن بناء المساجد وعمارتها بالذكر والطاعة، جاءت النصوص الكثيرة التي تحثُّ عليه [(١)]، ومنها هذا الحديث والذي يظهر منه : أن رسول الله ﷺ، بادر إلى بناء

---

(١) – يقول ﷺ : « **مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله ؛ بَنَى الله لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ** »، صحيح البخاري، =

المسجد في المدينة بعد مقدمه إليها بأربع عشرة ليلة، وذلك لأهميته الدعوية، في اجتماع الصحابة برسول الله ﷺ، للتعلم والتعليم، ولإقامة الجمعة والجماعات، ولإظهار شعائر الدين، يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - عن هذا الحديث : (وفي هذا دليلٌ على لزوم بناء المساجد في القرى التي يُستوطن بها، لأجل الجمعة، ولإظهار شعائر الإسلام) (١) .

ثالثاً - حرص الصحابة ﷺ، على الإنفاق في سبيل الله تعالى :

إن صحابة رسول الله ﷺ، قد ضربوا مثلاً عظيماً في البذل والإنفاق في سبيل الله تعالى، إذ نجد في هذا الحديث، أن رسول الله ﷺ، لما عزم على بناء المسجد ووقع اختياره على أرض لبني النجار، قال لهم : « **يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا** »، فكان جوابهم عن ذلك دليلاً على صدقهم وإخلاصهم ومحبتهم لله تعالى، ورسوله ﷺ، إذ قَالُوا: (لا وَاللهِ لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إلا إِلَى اللهِ) .

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية إلى الله تعالى، من المسارعة إلى البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله عز وجل .

رابعاً - تعاون رسول الله ﷺ، مع الصحابة ﷺ، في بناء المسجد :

لم يكن رسول الله ﷺ، عالة على أصحابه، أو الذي كان يُصدر الأوامر والتوجيهات، من غير أن يكون له عمل أو أثر فيما يقول، بل كان ﷺ، يعمل ويتحرك ويجاهد، كان ﷺ، دائماً في مقدمتهم يشاركهم ويعمل معهم ويوجههم، وفي هذا الحديث لما أراد ﷺ، بناء المسجد، كان معهم ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ :

=

كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، برقم٤٥٠، ١/١٣٢ .

ويقول ﷺ :« **مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ، أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** »، سنن ابن ماجة، في كتاب المساجد، باب من بنى لله مسجداً، برقم٧٣٨، ١/٢٤٣ . (وقال عنه الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن ابن ماجة، ١/١٢٤) .

(١) - المفهم، ٢/١٢١ .

« اللهمَّ لا خَيْرَ إلا خَيْرُ الآخِرَةْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةْ »

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله ﷻ، في مقدمة كل عمل دعوي، ليكون قدوة للمدعوين في ذلك العمل، وليحثهم عليه ويوجههم فيه .

خامساً - من أساليب الدعوة : الترويح بالرجز والإنشاد :

إن من أساليب الدعوة، والتي تُستفاد من هذا الحديث، هو : الرجز والإنشاد أثناء القيام ببعض الأعمال، إذ نجد في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام، كانوا أثناء عملهم في بناء المسجد، يرتجزون بهذه الكلمات :

« اللهمَّ لا خَيْرَ إلا خَيْرُ الآخِرَةْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةْ »

وعن هذا يقول كثير من العلماء - رحمهم الله - : فيه جواز الارتجاز وقول الأشعار في حال الأعمال والأسفار ونحوها، لتنشيط النفوس، وتسهيل الأعمال والمشي عليها [(١)] .

سادساً - حرص رسول الله ﷺ على الصلاة والمحافظة عليها :

جاء في هذا الحديث : أن رسول الله ﷺ، كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الغَنَمِ، وهذا منه ﷺ، لشدة حرصه عليها، والمحافظة على الإتيان بها في وقتها، وهذا قبل أن يبنى المسجد، فلما بني صار يصليها فيه .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، التأسي برسول الله ﷺ، في الحرص على الصلاة، وإقامتها، وأدائها في وقتها في المسجد جماعة مع المسلمين .

سابعاً - من تاريخ الدعوة : (الهجرة، وبناء المسجد) :

في هذا الحديث ذكرُ شيءٍ من تاريخ الدعوة إلى الله ﷻ، وهو :

---

(١) - انظر : المفهم ، ١٢٤/٢ . شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/٥ .وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤١٩/٢ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٤١٩/٢ . وزاد المعاد، لابن قيم الجوزية، ٦٢/٣ . وعمدة القاري، للعيني، ١٧٩/٣ .

١ - مقدم رسول الله ﷺ في هجرته على المدينة، حيث نَزَلَ أَعْلَى المَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ،كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ وَمَلأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى القَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ .

٢ - بناء رسول الله ﷺ، لمسجده، حيث أَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ فَأَرْسَلَ إِلَى مَلأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَقَالَ: « **يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا** » قَالُوا : لا وَاللهِ لا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلا إِلَى اللهِ، فَقَالَ أَنَسٌ : فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ المُشْرِكِينَ وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ المُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالخَرِبِ فَسُوِّيَتْ وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ :

« **اللهمَّ لا خَيْرَ إلا خَيْرُ الآخِرَةْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَةْ** »

٦٨ - باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء

١٧٦ - ٢٣٥ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ فَأْرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ، فَقَالَ : « **الْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُوا سَمْنَكُمْ** » (١) .

وفي رواية : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ فَأْرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ فَقَالَ : « **خُذُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ** » قَالَ مَعْنٌ : حَدَّثَنَا مَالِكٌ مَا لا أُحْصِيهِ يَقُولُ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ (٢) .

وفي رواية : عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الدَّابَّةِ تَمُوتُ فِي الزَّيْتِ وَالسَّمْنِ وَهُوَ جَامِدٌ أَوْ غَيْرُ جَامِدٍ، الفَأْرَةِ أَوْ غَيْرِهَا، قَالَ : بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِفَأْرَةٍ مَاتَتْ فِي سَمْنٍ فَأَمَرَ بِمَا قَرُبَ مِنْهَا فَطُرِحَ، ثُمَّ أُكِلَ (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – حرص السلف الصالح على تعليم أقاربهم .

ثانياً – أهمية أسلوب السؤال والجواب في تحصيل العلم .

ثالثاً – أهمية الحذر وأخذ الحيطة .

رابعاً – أهمية أسلوب التكرار في رسوخ العلم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

---

(١) – أطرافه : **الأول** : في كتاب الوضوء، باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء، برقم ٢٣٦، ٧٣/١ . **الثاني والثالث والرابع** : في كتاب الذبائح، باب إذا وقعت الفأرة في السمن الجامد أو الذائب، برقم٥٥٣٨، ورقم ٥٥٣٩، ٢٨٨/٦، ورقم٥٥٤٠، ٢٨٩/٦ .

(٢) – كتاب الوضوء، باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء، برقم ٢٣٦، ٧٣/١ .

(٣) – كتاب الذبائح، باب إذا وقعت الفأرة في السمن الجامد أو الذائب، برقم ٥٥٣٩، ٢٨٨/٦ .

أولاً - حرص السلف الصالح على تعليم أقاربهم :

في هذا الحديث ما يؤكد على أن سلفنا الصالح كانوا يحرصون على تعليم العلم ونشره بين الناس وخاصة بين من هم أحق الناس به [١]، وهم الأهل والأقربون، إذ نجد أن أمَّ المؤمنين ميمونة رضي الله عنها، تحدث بهذا الحديث لابن أختها حبر هذه الأمة ابن عباس رضي الله عنهما .

ثانياً - أهمية أسلوب السؤال والجواب في تحصيل العلم :

أن السؤال له أهمية كبيرة في تحصيل العلم، ورفع الجهل كما سبق بيان ذلك[٢]، وفي هذا الحديث لما أشكل على بعض الصحابة رضي الله عنهم، مسألة وقوع الفأرة في السمن سألوا رسول الله ﷺ، عن حكم ذلك ؟ فقال ﷺ : « **القُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُوا سَمْنَكُمْ** » .

ثالثاً - أهمية الحذر وأخذ الحيطة :

إن قول رسول الله ﷺ، لمن سأله عن حكم الفأرة إذا سقطت في السمن : « **القُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُوا سَمْنَكُمْ** »، فيه دليل على أهمية أخذ الإنسان الحذر والحيطة لدينه، إذ أن رسول الله ﷺ، أمر بطرح ما حول الفأرة لتوقع تنجسه منها.

لذا فليحرص الدعاة إلى الله تبارك وتعالى، على أخذ الحذر والحيطة في جميع أمورهم، بما لا يتعارض مع الشرع .

رابعاً - أهمية أسلوب التكرار في رسوخ العلم :

في هذا الحديث يقول الإمام مَعْنٌ بن عيسى - رحمه الله -: (حَدَّثَنَا مَالِكٌ مَا لا أُحْصِيهِ يَقُولُ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ مَيْمُونَةَ)، فقوله هذا من باب التأكيد على أن

---

(١) - انظر مثلاً : ص٦٨٦ و٦٩٠ و٦٩٤ و٧٥٤ ، من هذا البحث .

(٢) - انظر مثلاً : ص١٤٦ و٣٥٣ و٣٧١ و٤٥٦ و٥٠٠ من هذا البحث .

حفظه مبني على سماعه للحديث مراراً كثيرة، فالسماع أكثر من مرة للكلام، يزيد في حفظ الإنسان له، وضبطه له .

إذن فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على تكرار المسائل المهمة، لتُحفظ وتُضبط، ولا تغيب عن أذهان المدعوين .

١٧٧ - ٢٣٧ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذْ طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ** »(1) .

وفي رواية : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ -وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إلا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ** »(2) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – الترغيب في الجهاد في سبيل الله ﷻ .

ثانياً – أهمية الإخلاص في العمل .

ثالثاً – أهمية أسلوب التشبية في الدعوة إلى الله ﷻ .

رابعاً – من موضوعات الدعوة : الحث على الجهاد في سبيل الله ﷻ .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - الترغيب في الجهاد سبيل الله ﷻ :

إن قول رسول الله ﷺ، في هذا الحديث : « **كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذْ طُعِنَتْ تَفَجَّرُ دَمًا اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالعَرْفُ عَرْفُ**

---

(1) – طرفاه : **الأول** : في كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله عزّ وجلّ، برقم ٢٨٠٣، ٢٦٩/٣ . **الثاني** : في كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم٥٥٣٣، ٢٨٧/٦ .

وأخرجه:الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم١٨٧٦، ١٤٩٥/٣.

(2) – كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله عزّ وجلّ، برقم ٢٨٠٣، ٢٦٩/٣ .

المِسْكِ »، فيه حثٌّ وترغيبٌ على الجهاد في سبيل الله ﷻ، وذلك بذكر فضلها، وما أعده الله ﷻ، لمن يكلم في سبيله (١) .

لذا فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على حثّ وترغيب المدعوين في الجهاد في سبيل الله ﷻ، وذلك لما له من أثر كبير وعظيم في نشر الإسلام وحمايته .

ثانياً - أهمية الإخلاص في العمل :

إن ما ذُكر في هذا الحديث من الأجر والفضل والثواب للمجاهد الذي يكلم، لا يكون إلاّ لمن كان مخلصاً لله ﷻ، لذا قال ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ الله - وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ** - .. »، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : هذا تنبيه على الإخلاص في الغزو، وأن الثواب المذكور فيه، إنما هو لمن أخلص فيه، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٢) .

إذن فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على الإخلاص في كل أعماله، لأن الأجر فيه لا يكون إلا بالإخلاص، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (وهذا الفضل - المذكور في هذا الحديث - وإن كان ظاهره أنه في قتال الكفار، فيدخل فيه من خرج في سبيل الله، في قتال البغاة وقطاع الطريق، وفي إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك) (٣) .

ثالثاً - أهمية أسلوب التشبية في الدعوة إلى الله ﷻ :

يظهر من هذا الحديث أهمية أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ﷻ، وهو :

---

(١) - انظر : الاستذكار، لابن عبد البر، ٩/١٤ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١١/١، ٢٤/٦، ٥٧٨/٩ . وعمدة القاري، للعيني، ١٦٦/٣ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٣/٣ .

(٢) - انظر : الاستذكار، لابن عبد البر، ٩/١٤ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢/١٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١١/١، ٥٧٨/٩ . وحاشية الزرقاني على الموطأ، ٣/٣ .

(٣) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢/١٣ .

التشبيه والتمثيل، إذ شبه رسول الله ﷺ، رائحة الدم برائحة المسك، فقال : « **اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ** »، وذلك لما للمسك من رائحة جميلة فواحة، معروفة لدى المخاطبين، يقول بعض العلماء - رحمهم الله -: وفائدة تشبيه رائحته الطيبة بالمسك، لتنتشر في أهل الموقف، إظهاراً لفضيلته، ولتكون شاهداً له على بذله نفسه في سبيل الله (١) .

رابعاً - من موضوعات الدعوة : الحث على الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى :

إن رسول الله ﷺ، في هذا الحديث يخاطب الصحابة رضي الله عنهم، والأمة من بعدهم عن موضوع ذي أهمية كبيرة لنشر هذا الدين وحفظه، وهو : الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، لذا فليحرص الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، اقتداءً بالمصطفى ﷺ، بالحديث عن الجهاد والترغيب فيه، بذكر ما ورد فيه من الأجر والثواب العظيم، وبذكر ما فيه من خير عظيم على الأمة من حفظها، ونصرها على عدوها .

---

(١) - انظر : الكواكب الدراري، للكرماني، ٩١/٣. وفتح الباري، لابن حجر، ٤١١/١، ٥٧٨/٩ . وعمدة القاري، للعيني، ١٦٦/٣ .

٦٩ - باب البول في الماء الدائم [(١)] .

١٧٨ - ٢٣٨ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الزِّنَادِ أَنَّ عَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ هُرْمُزَ الأَعْرَجَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ ا للهِ ﷺ يَقُولُ : « **نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ** » [(٢)] .

وفي رواية : « **نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمِ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا ا للهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ** » [(٣)] .

وفي رواية : « .. **بَيْدَ كُلُّ أُمَّةٍ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَهَذَا اليَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ** .. » [(٤)] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية،

---

(١) - في النسخة المعتمدة كتب عنوان الباب : باب الماء الدائم . والتصحيح من طبعة فتح الباري السلفية المعتمدة كأصل لهذه النسخة من الدار الناشرة . (انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٤١٢/١) .

(٢) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، برقم ٨٧٦، ٢٣٨/١ . **الثاني**: في كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم، برقم٨٩٦، ٢٤٣/١. **الثالث** : في كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، برقم٢٩٥٦، ٩/٤. **الرابع** : في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم ٥٤، رقم الحديث ٣٤٨٦، ١٨٤/٤ . **الخامس** : في كتاب الأيمان والنذور، باب { لا يؤاخذكم ا لله باللغو في أيمانكم }، برقم٦٦٢٤، ٢٧٦/٧ . **السادس** : في كتاب الديات، باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان، برقم٦٨٨٧، ٥١/٨ . **السابع**: في كتاب التعبير، باب النفخ في المنام، برقم٧٠٣٦، ١٠٤/٨ . **الثامن** : في كتاب التوحيد، باب قول ا لله تعالى : { يريدون أن يبدلوا كلام ا لله }، برقم٧٤٩٥، ٢٤٩/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، برقم٨٨٥، ٥٨٥/٢ .

(٣) - كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، برقم ٨٧٦، ٢٣٨/١ .

(٤) - كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم ٥٤، رقم الحديث ٣٤٨٦، ١٨٤/٤ .

نلخصها في الآتي :

أولاً – بيان فضل أمة محمد ﷺ .

ثانياً–من أساليب الدعوة: مقارنة الإسلام بغيره من الأديان، لبيان فضله وتفوقه عليها.

ثالثاً – خطورة الاختلاف على الدعوة .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - بيان فضل أمة محمد ﷺ :

إن في هذا الحديث بياناً لفضل أمة محمد ﷺ، بخصائص لم تسبق إليها من الأمم السابقة، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : وفي هذا الحديث دليل قوي لمزيد فضل هذه الأمة على الأمم السابقة [١] . وفضل هذه الأمة يظهر في هذا الحديث من أمرين، وهما :

١ – أنها تسبق الأمم يوم القيامة في الحساب ودخول الجنة، إذ يقول ﷺ : « **نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا..**»، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (والمراد أن هذه الأمة، وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة) [٢] .

٢ – دلالة الله ﷻ، لها على يوم الجمعة، والذي لم تسبق إليه من الأمم السابقة، إذ يقول ﷺ : « .. **ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمِ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا الله، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ** »،

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٢/٤١٤ . وعمدة القاري، للعيني، ٦/١٦٤ .

(٢) – فتح الباري، ٢/٤١٣ .

والمراد بفرض اليوم، تعظيمه وعبادة الله ﷻ، فيه [١] .

ثانياً - من أساليب الدعوة: مقارنة الإسلام بغيره من الأديان، لبيان فضله وتفوقه عليها:

إن في هذا الحديث مقارنة بين هذه الأمة والأمم السابقة، إذ يقول ﷺ: « **نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمِ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ** »، وهذه المقارنة، لبيان فضل هذه الأمة، وأنها ما سبقت الأمم الأخرى، إلا بتوفيق الله ﷻ لها، ثم بطاعتها لربها وخشيتها له .

إذن فطرق الدعاة إلى الله ﷻ مثل هذا الأسلوب مما يُشرع لهم ويُسن، وذلك بقصد بيان فضل هذا الدين، وحثّ الناس على التمسك به، والعمل بأحكامه .

ثالثاً - خطورة الاختلاف على الدعوة:

ذكر رسول الله ﷺ، في هذا الحديث سبب عدم توفيق الأمم السابقة ليوم الجمعة، فقال : « .. **ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمِ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، اليَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ** »، أي أنه بسبب اختلافهم لم يوفقهم الله ﷻ، ليوم الجمعة، وفي هذا بيان لخطورة الاختلاف على الأمة في حالها ودينها [٢] .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، الحذر من الاختلاف بينهم، وتحذير الناس منه لشرّه العظيم وخطره الجسيم على الأمة جميعاً .

---

(١) - انظر : المفهم، للقرطبي، ٤٩١/٢ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢١٦/٣ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢١٧/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١٣/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٦٤/٦ .

(٢) - انظر : المفهم، للقرطبي، ٤٩١/٢ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٢١٦/٣ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٢١٧/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤١٣/٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٦٤/٦ .

١٧٩ - ٢٣٩ - وَبِإِسْنَادِهِ [١] قَالَ : « **لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ** » [٢] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من صفات الداعية : الحرص على النظافة العامة .

ثانياً – من موضوعات الدعوة : الغسل وآدابه .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة العامة :

إن رسول الله ﷺ، في هذا الحديث يحثُّ أصحابه ﷺ والأمة جميعاً، على أمر مهم للجميع، وهو أن لايبول الإنسان في الماء الدائم، فيترتب عليه تنجيسه أو تقذيره، وهو ملك للجميع، وفي ذلك دعوة للمحافظة على النظافة العامة، يقول الإمام ابن العربي –رحمه الله–: (نهي رسول الله ﷺ، عن البول في الماء الراكد، تقذراً، وللجماعة: تنجساً، ولأن الماء الذي يُعد للنظافة مناقضه أن تطرح فيه القذارة) [٣] .

إذن فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على النظافة بشكل عام، وخاصة منها ما يتعلق بالآخرين، حتى لا يتقذروا منه، ويكون سبباً في أذاهم .

ثانياً - من موضوعات الدعوة : الغسل وآدابه :

هذا الحديث في موضوع من موضوعات الدعوة إلى الله ﷻ ،والتي ينبغي أن يتعرض لها الدعاة إلى الله ﷻ، في دعوتهم للناس، وهو موضوع : الغسل وآدابه، إذ أن رسول الله ﷺ، يبين لأصحابه أن الإنسان إذا أراد أن يغتسل، فعليه أن لا يفعل ذلك في الماء الدائم، حتى لا ينجسه، ويقذره على غيره .

---

(١) – أي بالسند السابق للحديث الذي قبله برقم٢٣٨ .

(٢) – وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، برقم٢٨٢، ٢٣٥/١.

(٣) – انظر : عارضة الأحوذي، ٩٠/١ .

٧٠ - باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته

١٨٠ - ٢٤٠ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ قَالَ ح .

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ مَسْلَمَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ لا أُغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ : فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ : « **اللهمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ** » ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ قَالَ : وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى « **اللهمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ** »، وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرْعَى فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ (١) .

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى، برقم ٥٢٠، ١٤٩/١ . **الثاني**: في كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين، برقم ٢٩٣٤، ٣٠٧/٣ . **الثالث** : في كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، برقم ٣١٨٥، ٨٥/٤ . **الرابع** : في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، برقم ٣٨٥٢، ٢٨٩/٤. **الخامس** : في كتاب المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش، برقم ٣٩٦٠، ٧/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، =

وفي رواية : عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ، إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : ألا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا المُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلاهَا فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ .. (١) .

وفيها : .. فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلام - وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا حَتَّى الْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ ..

وفيها : « .. **وَعُمَارَةَ بْنِ الوَلِيدِ** » قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ القَلِيبِ لَعْنَةً** » .

وفي رواية : .. فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ فَالقُوا فِي بِئْرٍ غَيْرَ أُمَيَّةَ - أَوْ أُبَيٌّ - فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَلَمَّا جَرُّوهُ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ قَبْلَ أَنْ يُلْقَى فِي البِئْرِ (٢) .

وفي رواية : .. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **اللهمَّ عَلَيْكَ المَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ** .. » (٣) .

وفي رواية : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الكَعْبَةَ فَدَعَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، عَلَى شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ.. (٤) .

وفيها :.. فَأَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْسُ وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا.

=

برقم ١٧٩٤، ١٤١٨/٣ .

(١) - كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى، برقم ٥٢٠، ١٤٩/١ .

(٢) - كتاب الجزية والموادعة، باب طرح جيف المشركين في البئر، برقم ٣١٨٥، ٨٥/٤

(٣) - كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، برقم ٣٨٥٢، ٢٨٩/٤.

(٤) - كتاب المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش، برقم ٣٩٦٠، ٧/٧ .

شرح غريب الحديث :

(بِسَلَى جَزُورٍ) - أي : وعاء الولد في الإبل [١] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أصناف المدعوين : الملأ من المشركين .

ثانياً – من أساليب أعداء الدعوة في الصدِّ عنها : الضحك والسخرية بالداعية .

ثالثاً – من الأحوال التي يُعدل فيها من الرفق واللين، إلى الشدة والقسوة : إذا اشتدَّ العناد والأذى من المدعوين .

رابعاً – من خصائص رسول الله ﷺ، أنه مستجاب الدعوة .

خامساً – أهمية القوة والمنعة والعشيرة للداعية .

سادساً – من سنن الله الثابتة : الابتلاء للدعاة .

سابعاً – من صفات الداعية : الصبر .

ثامناً – من تاريخ الدعوة : (بدايات الدعوة، وقتل المشركين ودفنهم ببدر).

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من أصناف المدعوين : الملأ من المشركين :

إن من أصناف المدعوين، والذين ورد ذكرهم في هذا الحديث، الملأ من المشركين، كأَبِي جَهْلٍ، وعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وكان هؤلاء في كفرهم وأذاهم للدعوة وصاحبها، قد بلغوا الشيء العظيم، إذ وصل بهم الحال كما في الحديث أنهم عندما رأوا النبي ﷺ، يصلي عند الكعبة، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى

---

(١) – انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص٦٥ .

ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ رضي الله عنها، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، وأقبلت عليهم تسبُّهم، فلم يبالوا بذلك، يقول الإمام الأبي - رحمه الله - عن ذلك: (هو على ما جرت به عادة الأشراف من عدم المبالاة بغيرهم) [١] .

ثانياً - من أساليب أعداء الدعوة في الصدِّ عنها : الضحك والسخرية بالداعية :

من أساليب أعداء الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، التي يسلكونها مع أنبياء الله تعالى، ومع كل داعية، الاستهزاء والضحك والسخرية بالداعية ودعوته، يقول الله عز وجل : ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون﴾ [٢] . ويقول تعالى : ﴿ وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون ﴾ [٣]، وفي هذا الحديث مصداق ذلك ، إذ سلك مشركو قريش مع رسول الله ﷺ، ودعوته هذا الأسلوب المشين، فهذا أحدهم يقول : (أَلا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلاهَا فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ..)، ثم بعد ذلك : جَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاجِدٌ لا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ رضي الله عنها، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، يصنعون ذلك والله تعالى، لهم المرصاد إذ يقول لنبيه ﷺ : ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ [٤]، ويقول تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزءين﴾ [٥]، يقول الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه

---

(١) - إكمال إكمال المعلم، ٤/٤٣٩ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٤/٤٣٩ .

(٢) - سورة الحجر، الآية : ١١ .

(٣) - سورة الزخرف، الآية : ٧ .

(٤) - سورة الأنعام، الآية : ١٠ .

(٥) - سورة الحجر، الآية : ٩٥ .

ا لله- عن هذا الحديث : (إن الضحك من الكافر بالمؤمن باب من الأبواب التي يزيد بها بعداً عن ا لله ﷻ، فإن السخرية والاستهزاء من الحق، يذهب كثير من الناس به إلى الكفر والبدعة، وصاحب ذلك يظن أن قوله مقصور على السخرية والاستهزاء فليحذر ذلك المؤمن) [١] .

أيضاً فليصبر الداعية إلى ا لله ﷻ، على هذا الأسلوب الثابت من أعداء الدعوة، لأن العاقبة له بإذن ا لله ﷻ : ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون ﴾ [٢] .

ثالثاً -من الأحوال التي يُعدل فيها من الرفق واللين، إلى الشدة والقسوة: إذا اشتدَّ العناد والأذى من المدعوين:

لقد كان رسول ا لله ﷺ، حليماً رفيقاً ليناً في دعوته، كما قال ا لله ﷻ عنه : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [٣]، وفي هذا الحديث نرى أسلوباً وتعاملاً مع مشركي قريش، فيه شدَّةٌ وقسوة، ما عُرفت في خلق رسول ا لله ﷺ، ودعوته، وجواب ذلك : أن من الأحوال التي يعدل فيها من اللين والرفق إلى الشدة والقسوة: ظهور العناد والأذى والاستهزاء بالدعوة وصاحبها [٤]، وهم في هذا الحديث بلغوا درجة عظيمة من الاستهزاء والسخرية برسول ا لله ﷺ، والأذيّة له، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه ا لله - : (وإنما استحقوا الدعاء حينئذ لما أقدموا عليه من الاستخفاف به ﷺ حال عبادة ربه) [٥]، ويقول العلامة العيني - رحمه ا لله - : إن مما يستفاد من هذا الحديث (جواز الدعاء على الظالم، وقال بعضهم : محله ما إذا كان كافراً، فأما المسلم فيستحب الاستغفار له

---

(١) - الإفصاح عن معاني الصحاح، ٣٤/٢ .

(٢) - سورة الأنعام، الآية : ٥ .

(٣) - سورة آل عمران، الآية : ١٥٩ .

(٤) - انظر : من صفات الداعية اللين والرفق، للدكتور / فضل إلهي، ص٣٩ .

(٥) - فتح الباري، ٤٣٠/١ .

والدعاء بالتوبة) (١) .

إذن فللداعية إلى الله ﷻ، إذ ظهر عناد واستخفاف بالدعوة، أن يختار الأسلوب المناسب لعلاجه، حتى ولو كان فيه شدة وغلظة وقسوة .

رابعاً - من خصائص رسول الله ﷺ، أنه مستجاب الدعوة :

في هذا الحديث بيان لخصيصة من خصائص رسول الله ﷺ، وهي : استجابة الله ﷻ لدعوته، وتحققها في الدنيا، فرسول الله ﷺ، دعا على المشركين الذين آذوه فقال : « **اللهمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ** » ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ سَمَّى فقال : « **اللهمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ** »، وعن رفع رسول الله ﷺ، بصوته أثناء الدعاء عليهم يقول الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه الله - : (فيه دليل على أن رسول الله ﷺ، دعا عليهم دعاءً ظاهراً أسمعهم إياه، حتى إذا أهلكهم الله ﷻ، عرف كل من كان قد سمع ذلك في جواب دعائه، ولا يقول قائل : إن هذا جرى اتفاقاً) (٢) .

يقول الراوي عن هؤلاء الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ : (فَوَالله لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ)، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ القَلِيبِ لَعْنَةً** » .

خامساً - أهمية القوة والمنعة والعشيرة للداعية :

يقول ابن مسعود ﷺ، في هذا الحديث، وهو يرى المشركين يسخرون برسول الله ﷺ، ويؤذونه، يقول عن ذلك المنظر : (وَأَنَا أَنْظُرُ لا أُغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ)، يقول الإمام الأبي - رحمه الله - : (قوله : منعه، أي : من يمنعني من أذاهم، وقد

---

(١) - عمدة القاري، ١٧٥/٣ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥٣/١٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٣٠/١ .

(٢) - الإفصاح عن معاني الصحاح، ٣٤/٢ .

كان يؤذى في الله ، لأنه غريب فيهم، لأنه من هذيل) [1] .

ومما يؤكد على أهمية القوة والمنعة للداعية إلى الله ﷻ، قول نبي الله لوط ﷺ، لقومه : ﴿ لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ ، يقول بعض المفسرين - رحمهم الله -: أي لو أن لي جماعة وعشيرة أقوى بها عليكم ، ولذا قال ﷺ : « **ما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه** » [2]، والثروة الكثرة والمنعة [3].

سادساً - من سنن الله الثابتة : الابتلاء للدعاة :

مما يجب على الدعاة معرفته، وأن يتربوا عليه، أن الابتلاء والمحن للدعوة والدعاة، من سنن الله الثابتة والتي تعرض لها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في دعوتهم لأقوامهم، كما تعرض لها سيدهم نبينا ﷺ، كما يظهر من هذا الحديث عندما وضع سلا الجزور على ظهره وهو ساجد، و ضحكوا به وسخروا منه، ولكن العاقبة دائماً تكون للمؤمنين بصبرهم على الدعوة وما يلاقونه فيها، إذ أهلك الله كل من دعا عليهم في ذاك الموقف .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، أن لا يأخذهم الحماس والتهور في مواجهة الابتلاء والمحن، إلى تصرفات تؤدي بهم، وبمن معهم في النهاية إلى الهلاك والخسران، يقول الله ﷻ : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله

---

(١) - إكمال إكمال المعلم، ٤٣٨/٦ . وانظر : مكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٤٣٨/٦ .

(٢) - سنن الترمذي، في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة يوسف، برقم٣١١٦، ٢٧٤/٥ . وقال عنه: حديث حسن . (وقال عنه الألباني : حسن، انظر : صحيح سنن الترمذي، ٦٤/٣) .

(٣) - انظر : زاد المسير، لابن الجوزي، ١٣٩/٤ . والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٧٨/٥ . وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ٣٨٠/٢ .

قريب ﴾ (١)، ويقول الله ﷻ : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ (٢) .

سابعاً - من صفات الداعية : الصبر :

إن ما جرى لرسول الله ﷺ، مع مشركي قومه، واستمراره في دعوتهم، يدل على عظم صبره ﷺ، يقول الوزير العالم ابن هبيرة - رحمه الله - : (في هذا الحديث ما يدل على شدة صبر رسول الله ﷺ، على أذى المشركين) (٣) .

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يتحلى بالصبر في دعوته، وما يلاقيه في سبيلها، متأسياً في ذلك بسيد الدعاة ﷺ، الذي أوذي في الله وصبر صبراً عظيماً .

ثامناً - من تاريخ الدعوة : (بدايات الدعوة، وقتل المشركين ودفنهم ببدر) :

في هذا الحديث إشارة إلى شيء من تاريخ الدعوة الإسلامية في عصر رسول الله ﷺ، وهو :

١ - ما كان يلاقيه رسول الله ﷺ، من الأذى والابتلاء وهو في مكة، قبل الهجرة، وذلك لقلة أتباعه وضعفهم .

٢ - ما جرى في غزوة بدر الكبرى، من هلاك مشركي قريش الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ، بأسمائهم لمّا آذوه، فهلكوا جميعاً وأُلقي بهم في قليب بدر .

---

(١) - سورة البقرة، الآية ٢١٤ .

(٢) - سورة آل عمران، الآية : ١٤٢ .

(٣) - الإفصاح عن معاني الصحاح، ٣٣/٢ .

٧١ - باب البزاق والمخاط ونحوه في الثوب

١٨١ - ٢٤١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : بَزَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَوْبِهِ . قَالَ أَبُو عَبْد الله : طَوَّلَهُ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ : أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (١) .

وفي رواية : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ : « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ - فَلا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ** » ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : « **أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا** » (٢) .

وفي رواية : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لا يَتْفِلَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ رِجْلِهِ** » (٣) .

وفي رواية : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ**

---

(١) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، برقم ٤٠٥، ١/١٢١ . الثاني: في كتاب الصلاة، باب لا يبصق عن يمينه في الصلاة، برقم ٤١٢، ١/١٢٢ . **الثالث** : في كتاب الصلاة، باب ليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى، برقم ٤١٣، ١/١٢٣ . **الرابع** : في كتاب الصلاة، باب إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه، برقم٤١٧، ١/١٢٣ . **الخامس والسادس:** في كتاب مواقيت الصلاة، باب المصلي يناجي ربه ﷻ، برقم٥٣١، ورقم٥٣٢، ١/١٥٢ - ١٥٣ . **السابع** : الأذان، باب لا يفترش ذراعية في السجود، برقم ٨٢٢، ١/٢٢٥ . **الثامن**: في كتاب العمل في الصلاة، باب ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة، برقم١٢١٤، ٢/٧٩.

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد، برقم٥٥١، ١/٣٩٠ .

(٢) - كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، برقم ٤٠٥، ١/١٢١ .

(٣) - كتاب الصلاة، باب لا يبصق عن يمينه في الصلاة، برقم ٤١٢، ١/١٢٢ .

فَلا يَبْزُقَنَّ بَيْنَ يَدَيْه.. » (١) .

وفي رواية : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ** » (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وأطرافه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – أهمية إنكار المنكرات التي في المساجد .

ثانياً – من وسائل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى : التطبيق العملي .

ثالثاً – من صفات الداعية استغلال المواقف للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

رابعاً – من أساليب الدعوة : تحريك العاطفة عند المدعو .

خامساً– من موضوعات الدعوة : الصلاة، وكيفية أدائها .

سادساً – أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية إنكار المنكرات التي في المساجد فور العلم بها :

إن إنكار المنكرات التي تقع في المساجد والمبادرة في ذلك فور العلم بها، هو من باب التعظيم لها وصيانتها، إذ نجد في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ، رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ : « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ** .. »، فهو ﷺ، أنكر هذا المنكر بيده ولسانه، فور أن علم به ورآه، إذ بين خطيئة من وقع منه ذلك، وأزاله بيده الشريفة، يقول الإمام ابن أبي جمرة –رحمه الله – : (ويترتب على هذا من الفقه أن الإمام إذا دخل المسجد،

---

(١) – كتاب الصلاة، باب ليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى، برقم ٤١٣، ١/١٢٣ .

(٢) – كتاب الأذان، باب لا يفترش ذراعية في السجود، برقم ٨٢٢، ١/٢٢٥ .

يلتفت إليه بنية الاهتمام به، وكرامة أن يحدث فيه حدث فيكون مأجوراً على ذلك، أوأن يلقى أذى فيزيله، فهي نية خير، ومن نوى نية خير كان عليها مأجوراً، فكيف إذا كان ذلك موافقاً لفعله ﷺ) (١) .

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية إلى الله ﷻ، من الحرص على إنكار المنكرات فور العلم بها، وخاصة منها ما يتعلق ببيوت الله ﷻ - المساجد - والتي قال الله ﷻ عنها : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ (٢)، يقول الإمام ابن أبي جمرة - رحمه الله - عن هذه الآية : رفعها صيانتها، وصيانتها توجب النظر لها، والتأمل لئلا يلحقها خلل وأذى (٣) .

ثانياً - من وسائل الدعوة إلى الله ﷻ : التطبيق العملي :

عندما أراد رسول الله ﷺ، أن يُوضح للناس كيفية تخلص الإنسان من بصاقه، طبق الكيفية أمامهم بفعله، إذ أنه أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ ﷺ : « **أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا** »، يقول بعض العلماء - رحمهم الله - : إن في ذلك دليلاً على أن البيان بالفعل والمثال أوقع في نفس السامع، وأبلغ من القول وحده، وذلك من رسول الله ﷺ، من حسن المبالغة في التعليم (٤) .

إذن فليحرص الدعاة إلى الله ﷻ، على هذه الوسيلة التعليمية أثناء دعوتهم، لما لها من قوة في البيان والإبلاغ .

ثالثاً - من صفات الداعية استغلال المواقف للدعوة إلى الله ﷻ .

إن استغلال الفرص والمناسبات للدعوة إلى الله ﷻ، بما يناسبها، مما يدل على

---

(١) - بهجة النفوس، ١/١٨٢،١٨٣ . وانظر : المفهم، للقرطبي، ٢/١٥٩ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٥/٣٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٤/١٤٩ .

(٢) - سورة النور، الآية : ٣٦ .

(٣) - انظر : بهجة النفوس، ١/١٨٢ .

(٤) - انظر : المرجع السابق، ١/١٨٧ . وفتح الباري، لابن حجر، ١/٦٠٦ .

حكمة الداعية وفطنته، وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله ﷺ، لمّا رأى النخامة في قبلة المسجد، أنكر هذا المنكر، ثم قال مستغلاً هذا الموقف : « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ – أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ – فَلا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ** » ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : « **أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا** » .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الحرص على استغلال الفرص والمناسبات للدعوة إلى الله ﷻ، بما يناسب الموقف،ليكون أقوى في التوجيه، والفهم لما يقول، والعمل به.

رابعاً – من أساليب الدعوة : تحريك العاطفة عند المدعو :

إن قول رسول الله ﷺ، في هذا الحديث: « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ** »، قبل موعظته وتوجيهه الذي قال فيه : « **إِذَا كَانَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ** .. »، من باب تحريك العاطفة الإيمانية لديهم للعمل بما يوجههم إليه، والانتهاء عمّا نهاهم عنه، فالإنسان المؤمن، إذا قلت له : لا يفعل هذا الفعل إلا المؤمن، أقدم على فعله، والمحافظة عليه، وإذا قلت له : المؤمن لا يفعل هذا العمل المنهي عنه، سارع إلى الانتهاء عنه، إن كان ممن وقع فيه، أو أنه يحذر من الوقوع فيه .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، الحرص على مثل هذا الأسلوب عند مخاطبة المسلمين المؤمنين، لحثهم على العمل بالطاعة، واجتناب المعصية .

خامساً- من موضوعات الدعوة : الصلاة، وكيفية أدائها :

من موضوعات الدعوة إلى الله ﷻ، المهمة، والتي ينبغي للدعاة الحديث عنها، اقتداءً برسول الله ﷺ، الحثّ على الصلاة، وكيفية أدائها، وإتقانها، إذ نجد أن رسول الله ﷺ، في هذا الحديث يعلم أصحابة معنىً من معاني الصلاة، وهو المناجاة لله ﷻ، فلذا قال : « **فَلا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ** » ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : « **أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا** »، وقال ﷺ : « **اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ** » .

سادساً - أهمية أسلوب التشبيه في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن رسول الله ﷺ، في هذا الحديث يستخدم أسلوب التشبيه للتنفير من بعض الأعمال المنهي عنها، والتي تقع من بعض المصلين، وهي : أن يترك المصلي الاعتدال في السجود [١]، ويبسط ذراعية فيه، إذ شبه من يفعل ذلك بانبساط الكلب، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك : إن الهيئة المنهي عنها في هذا الحديث مشعرة بالتهاون وقلة الاعتناء بالصلاة، فلذا ذكر الحكم هنا مقروناً بعلته، فإن التشبيه بالأشياء الخسيسة يناسب تركه في الصلاة [٢] .

---

(١) - يقول ابن دقيق العيد : (لعل المراد بالاعتدال هنا وضع هيئة السجود على وفق الأمر، لأن الاعتدال الحسي المطلوب في الركوع لا يتأتى هنا، فإنه هناك استواء الظهر والعنق، والمطلوب هنا ارتفاع الأسافل على الأعالي) . نقلاً عن : فتح الباري، لابن حجر، ٣٥٢/٢ .

(٢) - فتح الباري، ٣٥٢/٢ .

٧٢ - باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر

١٨٢ - ٢٤٢ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ** » (١) .

وفي رواية : أَنَّ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ : سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ البِتْعِ، وَهُوَ نَبِيذُ العَسَلِ، وَكَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَشْرَبُونَهُ فَقَالَ .. (٢) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أساليب نشر العلم وتحصيله : السؤال والجواب .

ثانياً – من خصائص رسول الله ﷺ : أنه أوتي جوامع الكلم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من أساليب نشر العلم وتحصيله : السؤال والجواب :

لقد كانت هذه القاعدة المهمة من رسول ﷺ، في المسكرات، جواباً عن سؤال وجه له عن حكم شرب البتع، ومن هذا السؤال والجواب نخرج بمجموعة من الفوائد التي تتعلق بهذا الأسلوب، وهي :

١ – أن مما ينبغي على المدعوين الحرص عليه : السؤال عما يُشكل عليهم، وما يجهلونه من أمور حياتهم، إذ نجد في هذا الحديث : أن هناك من يسأل رسول الله ﷺ، عن حكم مسألة تنتشر بين الناس في عصرهم بين الناس

---

(١) – طرفاه : في كتاب الأشربة، باب الخمر من العسل، برقم ٥٥٨٥، ورقم٥٥٨٦، ٣٠٢/٦ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام، برقم٢٠٠١، ١٥٨٥/٣ .

(٢) – كتاب الأشربة، باب الخمر من العسل، برقم ٥٥٨٦، ٣٠٢/٦ .

باليمن، وهي : البِتْعِ، وَهُوَ نَبِيذُ العَسَلِ .

٢ – أنه يستحب للداعية – إذا رأى أن هناك مصلحة – الزيادة على جواب السؤال، كما فعل رسول الله ﷺ، في هذا الحديث، إذ سئل عن حكم مسألة، فأجاب بقاعدة عامة، يقول الإمام النووي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث : (وفيه أنه يستحب للمفتي إذا رأى بالسائل حاجة إلى غير ما سأل أن يضمه في الجواب إلى المسؤول عنه) (١) .

٣ – الرجوع للعلماء المعتبرين، وهذا يؤخذ من توجيه السؤال إلى رسول الله ﷺ، إمام الدعاة ومعلمهم وقدوتهم .

ثانياً – من خصائص رسول الله ﷺ : أنه أوتي جوامع الكلم :

لقد أوتي رسول الله ﷺ، جوامع الكلم، وذلك يظهر في هذا الحديث من قوله: « **كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ** »، إذ أنه أتى بهذه العبارة، التي يمكن أن تغني عن كثير من الأسئلة والإجابة عنها، يقول بعض العلماء – رحمهم الله – : هذا من جوامع كلمه ﷺ، إذ أن هذه قضية كلية تندرج تحتها جزئيات كثيرة (٢) .

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٩/٩ . وانظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ١٠٨/٧ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٥/١٠ .وحاشية الزرقاني على الموطأ، ١٧٠/٤ .

(٢) – انظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٩/٩ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٠١/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٢٢/١ و ٤٧/١٠ .وعمدة القاري، للعيني، ١٨١/٣ .

٧٣ - باب غسل المرأة أباها الدم عن وجهه

١٨٣ - ٢٤٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَامٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ (١) وَسَأَلَهُ النَّاسُ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ بِأَيِّ شَيْءٍ دُووِيَ جُرْحُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِتُرْسِهِ فِيهِ مَاءٌ وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ، فَأُخِذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ فَحُشِيَ بِهِ جُرْحُهُ (٢) .

وفي رواية : عَنْ سَهْلٍ قَالَ : لَمَّا كُسِرَتْ بَيْضَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ وَأُدْمِيَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَكَانَ عَلِيٌّ يَخْتَلِفُ بِالْمَاءِ فِي الْمِجَنِّ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَغْسِلُهُ فَلَمَّا رَأَتِ الدَّمَ يَزِيدُ عَلَى الْمَاءِ كَثْرَةً، عَمَدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَالصَقَتْهَا عَلَى جُرْحِهِ فَرَقَأَ الدَّمُ (٣) .

وفي رواية : عن أبي حازمٍ قال : اختلف الناسُ بأيّ شيءٍ دُووِي جُرْحُ رسولِ

---

(١) - هو : سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الإمام، الفاضل، المعمر، بقية أصحاب رسول الله ﷺ، أبو العباس الخزرجي الأنصاري الساعدي . وكان أبوه من الصحابة الذين توفوا في حياة النبي ﷺ، روى سهل عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وحدث عنه ابنه عباس، وحدث عنه: أبو حازم الأعرج، والزهري، ويحيى بن ميمون، وغيرهم، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ﷺ، وكان من أبناء المئة . (انظر : الاستيعاب، لابن عبد البر، ترجمة رقم١٠٨٩، ٢٧٧/٤-٢٧٩ . وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٢٢/٣-٤٢٤ . والإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم٣٥٢٦، ٢٧٥/٤).

(٢) - أطرافه : **الأول** : في كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يتترس بترس صاحبه، برقم ٢٩٠٣، ٢٩٩/٣ . **الثاني:** في كتاب الجهاد والسير، باب لبس البيضة، برقم٢٩١١، ٣٠١/٣ . **الثالث** : في كتاب الجهاد والسير، باب دواء الجرح بإحراق الحصير، برقم٣٠٣٧، ٣٣/٤ . **الرابع** : في كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، برقم٤٠٧٥، ٤٥/٥ . **الخامس** : في كتاب النكاح، باب { ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن }، برقم٥٢٤٨، ١٩٨/٦ . **السادس** : في كتاب الطب، باب حرق الحصير ليسد به الدم، برقم٥٧٢٢، ٢٦/٧ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، برقم١٧٩٠، ١٤١٦/٣ .

(٣) - كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يتترس بترس صاحبه، برقم ٢٩٠٣، ٢٩٩/٣ .

ا لله ﷺ يوم أحد ؟ فسألوا سهل .. [١] .

شرح غريب الحديث :

(البيضة) - الخوذة [٢] .

(المِجَنِّ) - الترس [٣] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً - أهمية أسلوب السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره .

ثانياً - حرص الصحابة والتابعين لهم -رضي الله عنهم أجمعين- على سنة رسول ا لله ﷺ.

ثالثاً - شدة الابتلاء لرسول ا لله ﷺ .

رابعاً - التوكل على ا لله لا ينافي بذل الأسباب .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - أهمية أسلوب السؤال والجواب في تحصيل العلم ونشره :

لقد كان من صفات سلفنا الصالح، الحرص على العلم، وذلك بسؤال العلماء عنه، إذ نجد في سند هذا الحديث أن الناس سألوا الصحابي الجليل سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ رضي الله عنه، بِأَيِّ شَيْءٍ دُووِيَ جُرْحُ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَقَالَ: (مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِتُرْسِهِ فِيهِ مَاءٌ وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ، فَأُخِذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ فَحُشِيَ بِهِ جُرْحُهُ)، يقول العلامة العيني - رحمه ا لله - عن ذلك : (وفيه سؤال من لا

---

(١) - كتاب النكاح، باب { ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن }، برقم٥٢٤٨، ١٩٨/٦ .

(٢) - انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الباء مع الياء، ١٧٢/١ .

(٣) - تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، ص١٣٦ .

يعلم عمن يعلم عن أمر خفي عليه) (١) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، الحرص على طلب العلم والزيادة منه، وذلك بالسؤال عما يخفى عليه ممن يعلمه .

ثانياً - حرص الصحابة والتابعين لهم - ﭫ أجمعين - على سنة رسول الله ﷺ :

إن في قول التابعي الجليل أبي حازم : (اختلف الناسُ بأيّ شيءٍ دُووِي جُرْحُ رسولِ الله ﷺ يوم أحد ؟)، وجواب الصحابي الجليل سهل بن سعد ﭬ، فيه دليل على اهتمام الصحابة والتابعين لهم - ﭫ أجمعين - وحرصهم على سنة رسول الله ﷺ، وتتبع أخباره، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن ذلك : (فيه إشعار بأن الصحابة والتابعين، كانوا يتّبعون أحوال النبي ﷺ، في كل شيء، حتى في مثل هذا، فإن الذي يداوى به الجرح لا يختلف الحكم فيه إذا كان طاهراً، ومع ذلك ترددوا فيه حتى سألوا من شاهد ذلك) (٢) .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، توقير الكبار والاهتمام بشؤونهم، وخاصة رسولِ الله ﷺ، وعلماء هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثالثاً - صبر رسول الله ﷺ على الابتلاء :

إن الله ﷻ، قدّر وقضى على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - البلاء ، بل البلاء الشديد، سئل رسول الله ﷺ، أي الناس أشدّ بلاءً ؟ فقال: « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة** » (٣) .

---

(١) - عمدة القاري، للعيني، ٣/١٨٣ .

(٢) - فتح الباري، ٩/٢٥٥ . وانظر : عمدة القاري، للعيني، ٣/١٨٣ .

(٣) - سنن الترمذي، في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم ٢٣٩٨، ٤/٥٢٠ . وقال عنه حسن صحيح . (وقال عنه الألباني: حسن صحيح . انظر :صحيح سنن الترمذي، ٢/٢٨٦).

وفي حديث الدراسة ، يظهر مدى ما لقي النبي ﷺ، من شدة البلاء والأذى من قومه، إذ أنه في غزوة أحدٍ كُسِرَتْ بَيْضَته عَلَى رَأْسِهِ وَأُدْمِيَ وَجْهُهُ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وما زاده ذلك إلا رفعة عند الله، وكثرةً في الدرجات، يقول الإمام النووي - رحمه الله - عن ذلك : (وفي هذا وقوع الانتقام والابتلاء بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لينالوا جزيل الأجر، ولتعرف أممهم وغيرهم، ما أصابهم، ويتأسوا بهم) (١).

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (إن الأنبياء قد يصابون ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ؛ ليعظم لهم بذلك الأجر وتزداد درجاتهم رفعة، وليتأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره، والعاقبة للمتقين) (٢).

إذن فينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يعلم أنه وريث الأنبياء في علمهم ودعوتهم، ومكانتهم عند الله ﷻ، فلذا لا عجب أن يبتلى، ولكن عليه أن يقتدي بمن سبقه من الدعاة إلى الله ﷻ، ويصبر كما صبروا، فإن الله مع الصابرين .

رابعاً - التوكل على الله لا ينافي بذل الأسباب :

ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن يبذل جميع الأسباب التي تُعينه على نجاح دعوته، وتدفع عنه الشرَّ والأذى، وأنَّ هذا لا يتعارض مع توكله على الله ﷻ، فهذا قدوة الدعاة وسيدهم وإمامهم ﷺ، في هذا الحديث يبذل الأسباب مع توكله على الله ﷻ، فهو، أولاً : يلبس البيضة والمجن، ويداوي الجرح الذي أصابه، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وفي هذا الحديث مشروعية التداوي، ومعالجة الجراح، واتخاذ الترس في الحرب، وأن جميع ذلك لا يقدح في التوكل لصدوره من سيد المتوكلين)(٣).

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤٨/١٢ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٤٣٦/٦ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٣/٣ .

(٢) - فتح الباري، ٤٣٢/٧ .

(٣) - المرجع السابق، ٤٢٣/١ ، و٤٣٢/٧ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤٨/١٢ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٣ .

٧٤ - باب السواك

١٨٤ - ٢٤٤ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَوَجَدْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكٍ بِيَدِهِ، يَقُولُ: « أُعْ، أُعْ » وَالسِّوَاكُ فِي فِيهِ كَأَنَّه يَتَهَوَّعُ [(١)] .

١٨٥ - ٢٤٥ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ [(٢)] .

وفي رواية : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ .. [(٣)] .

الدراسة الدعوية للحديثين :

من هذين الحديثين نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي:

أولاً – من صفات الداعية : الحرص على النظافة .

ثانياً – حرص الصحابة ﷺ على مراقبة أحوال رسول الله ﷺ، وتبليغها للأمة.

ثالثاً – من صفات الداعية : الحرص على قيام الليل .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - من صفات الداعية : الحرص على النظافة :

لقد كان رسول الله ﷺ - كما يظهر من هذين الحديثين وغيرهما [(٤)] -

---

(١) – **وأخرجه** : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب السواك، برقم٢٥٤، ٢٢٠/١ .

(٢) – طرفاه : **الأول** : في كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، برقم٨٨٩، ٢٤٠/١ . **الثاني**: في كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، برقم ١١٣٦، ٥٧/٢ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الطهارة، باب السواك، برقم٢٥٥، ٢٢٠/١ .

(٣) – كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، برقم ١١٣٦، ٥٧/٢ .

(٤) – انظر مثلاً : ص٦٥٥ و٦٨٣ و٦٩٥ و٦٩٥ و٧٠٦ من هذا البحث .

حريصاً على النظافة، ومنها نظافة الفم والأسنان، إذ أنه ﷺ، كان يتسوك حتى يسمع صوته كالمتهوع، وذلك كما قال بعض العلماء -رحمهم الله- : من المبالغة في التنظيف [١]. ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عن هذين الحديثين : إنّ فيهما (تأكيد السواك، وأنه لا يختص بالأسنان، وأنه من باب التنظيف والتطيب، لا من باب إزالة القاذورات، لكونه ﷺ، لم يختف به) [٢] .

هذا وقد كان ﷺ، يحرص على السواك في الأوقات التي يتوقع معها تغيُّر رائحة الفم، وقبل أداء العبادة كالصلاة، وتلاوة القرآن والذكر، كما يظهر من هذين الحديثين، يقول ابن دقيق العيد - رحمه الله - : وفي هذا دليل على استحباب السواك عند القيام من النوم، لأن النوم مقتضٍ لتغير الفم، لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة، والسواك آلة تنظيف فيستحب عند مقتضاه [٣] .

لذا فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على النظافة بشكل عام، ومنها نظافة الفم وطيب رائحته، وخاصة عند توقع تغير رائحته، وعند العبادة والمناجاة لله ﷻ .

ثانياً - حرص الصحابة ﷺ على مراقبة أحوال رسول الله ﷺ، وتبليغها للأمة :

لقد كان الصحابة ﷺ، من أشدِّ الناس حرصاً على تتبع أحوال رسول الله ﷺ، للعمل بها، ومن ثَمَّ نقلها إلى الأمة وتبليغها إليهم، وفي هذين الحديثين ما يؤكد على ذلك، إذ نجد أنهم ﷺ، يصفون حال رسول الله ﷺ، مع السواك وصفاً دقيقاً يدل على شدَّة المراقبة، والحرص على تبليغ ما عرفوه من حاله ﷺ .

إذ أن الصحابي الجليل أبا موسى الأشعري ﷺ - في الحديث الأول - يذكر أنه

---

(١) - انظر : فتح الباري، لابن حجر، ٤٢٤/١ . وإرشاد الساري، للقسطلاني، ٣١١/١ . وعون الباري، لصديق حسن، ٣٩٨/١ .

(٢) - فتح الباري، ٤٢٤/١ .

(٣) - إحكام الأحكام، ١٠٨/١ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٩/٩ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٥٨/٢ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٢٤/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٥/٢، ١٨٦ .

جاء إلى النبي ﷺ، فَوَجَدهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكٍ بِيَدِهِ، يَقُولُ : « أُعْ، أُعْ »، ويقول ﷺ : (وَالسِّوَاكُ فِي فِيهِ كَأَنَّه يَتَهَوَّعُ) .

وفي الحديث الثاني، يذكر الصحابي الجليل حذيفة ﷺ، أن النَّبِيَّ ﷺ، كان إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ .

فلذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، الحرص الشديد على تتبع أخبار رسول الله ﷺ، وأحواله عند العلماء، وفي كتب السنة الصحاح، للعمل بها، وتبليغها للناس ودعوتهم إليها، كما كان سلفنا الصالح من الصحابة ﷺ، يفعلون مع رسول الله ﷺ، وسنته .

ثالثاً - من صفات الداعية : الحرص على قيام الليل :

جاء في الحديث الثاني : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ)، وهذا مشعرٌ بأنه يقوم من الليل للصلاة وعبادة الله ﷻ، بل ويستعد لذلك بالسواك، يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (إذا قام للتهجد، أي إذا قام لعادته، وقد تبينت عادته في الحديث الآخر [١]، ولفظ التهجد مع ذلك مشعر بالسهر، ولا شك أن في السواك عوناً على دفع النوم، فهو مشعر بالاستعداد للإطالة) [٢] .

فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، أن لا تشغله هموم الدعوة والعلم والتعليم، عن توثيق صلته بربه ﷻ، وذلك بقيام الليل والدعاء والذكر والمناجاة له ﷻ، طلباً لمغفرته، وشكراً له على نعمه .

---

(١) - انظر : كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، برقم ١١٣٥، ٢/٥٧ .

(٢) - فتح الباري، ٣/٢٥ .

٧٥ - باب دفع السواك إلى الأكبر

١٨٦ - ٢٤٦ - وَقَالَ عَفَّانُ حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ فَجَاءَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا فَقِيلَ لِي كَبِّرْ فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا** » قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ : اخْتَصَرَهُ نُعَيْمٌ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ أُسَامَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ [١] .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة : ذكرُ الرؤيا إذا كان فيها فائدة وموعظة .

ثانياً – من أخلاق الداعية : احترام الكبير .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً – من أساليب الدعوة : ذكرُ الرؤيا إذا كان فيها فائدة وموعظة :

قال رسول الله ﷺ، لأصحابه ﷺ : « **إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها، وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره** » [٢]، ولقد كان رسول الله ﷺ قدوة الدعاة إلى الله، يقول لأصحابه ﷺ : « **هل رأى أحد منكم من رؤيا** »، فيقص عليه من شاء الله أن يقص [٣] . بل كما هو في هذا الحديث الرائي هو رسول الله ﷺ نفسه، يخبر بما رأى تأكيداً وتنبيهاً على أهمية السواك، والأدب في

---

(١) – **وأخرجه** الإمام مسلم في كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، برقم ٢٢٧١، ١٧٧٩/٤ .

(٢) – صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، رقم الحديث ٦٩٨٥، ٨٨/٨ .

(٣) – صحيح البخاري، في كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، رقم الحديث ٧٠٤٧ ، ١٠٨/٨.

التعامل مع الآخرين، بالبدء بالأكبر فالأصغر .

إذن فالرؤى من أساليب الدعوة التي ينبغي أن تُستغل جيداً من الداعية إلى ا لله ﷻ، إذا كان من أهل العلم بالرؤى وتأويلها ، وذلك لما فيها من الترغيب أوالترهيب، يقول ﷺ : « **لم يبق من النبوة إلا المبشرات** » قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « **الرؤيا الصالحة** » [(١)] . وذلك لأن العالم الداعية عندما يرى الرؤيا فيذكرها للمدعوين، يشدُّ انتباههم لمعرفة هذه الرؤيا وتعبيرها، فتكون بما تضمنته إما ترغيباً لهم في شيء، أو ترهيباً من شيء .

ثانياً - من أخلاق الداعية : احترام الكبير :

إن رسول ا لله ﷺ، بقصه هذه الرؤيا على أصحابه ﷺ، يؤكد على خلق من أخلاق المسلم في تعامله مع الآخرين، والذي له أثر كبير في انتشار المحبة والاحترام والودِّ بين المسلمين، وهو احترام الكبير بتقديمه على الصغير، إذ نجد في هذا الحديث أن رسول ا لله ﷺ، لما أراد أن يعطي السواك الصغير من الرجلين « **قِيلَ لِي كَبِّرْ فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا** »، يقول بعض العلماء - رحمهم ا لله - : وفي هذا تقديم ذي السن في السواك، ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام، وهذا ما لم يترتب القوم في الجلوس، فإذا ترتبوا فالسنة حينئذ تقديم الأيمن [(٢)] .

---

(١) - صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، رقم الحديث ٦٩٩٠، ٨٩/٨ .

(٢) - انظر : إكمال إكمال المعلم، للأبي، ٥١١/٧ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ٥١١/٧ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٢٥/١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٧/٣ .

٧٦ - باب فضل من بات على الوضوء

١٨٧ - ٢٤٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الله قَالَ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ: اللهمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ، اللهمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ** » قَالَ : فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ اللهمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ : وَرَسُولِكَ، قَالَ : « **لا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ** » (١) .

وفي رواية : .. فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ .. . (٢) .

وفي رواية : « .. **وَقُلِ اللهمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ** .. » (٣) .

الدراسة الدعوية للحديث :

من هذا الحديث وطرفيه نخرج بمجموعة من الفوائد والدروس الدعوية، نلخصها في الآتي :

أولاً – بيان مكانة التوحيد .

---

(١) – أطرافه : **الأول** : في كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً، برقم ٦٣١١، ١٨٩/٧ . **الثاني**: في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، برقم ٦٣١٣، ١٩١/٧ . **الثالث** : في كتاب الدعوات، باب النوم على الشق الأيمن، برقم٦٣١٥، ١٩٠/٧ . **الرابع** : في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {أنزله بعلمه والملائكة يشهدون }، برقم٧٤٨٨، ٢٤٧/٨ .

وأخرجه : الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم٢٧١٠، ٢٠٨١/٤ .

(٢) – كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً، برقم ٦٣١١، ١٨٩/٧ .

(٣) – كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، برقم ٦٣١٣، ١٩١/٧ .

ثانياً – من أساليب الدعوة : تخفيظ المدعو والرفق به .

ثالثاً – من موضوعات الدعوة : تعليم الأدعية والأذكار، وآداب النوم .

رابعاً – أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله ﷻ .

خامساً – أهمية التقيد باللفظ الوارد شرعاً .

سادساً – العبرة بالخواتيم .

أما الحديث عنها بالتفصيل فهو على النحو الآتي :

أولاً - بيان مكانة التوحيد :

إن هذا الحديث يشتمل على معانٍ عظيمة، إذ أنه يشتمل على أهم موضوع يطرحه الداعية إلى الله ﷻ، وهو التوحيد والمعتقد الصحيح، (فقوله : « **اللهمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ** » أي استسلمت وانقدت، والمعنى جعلت نفسي منقادة لك، تابعة لحكمك، إذ لا قدرة لي على تدبيرها، ولا على جلب ما ينفعها إليها، ولا دفع ما يضرها عنها، وقوله : « **وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ** »، أي توكلت عليك في أمري كله، وقوله : « **وَأَلجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ** »، أي اعتمدت في أموري عليك ؛ لتعينني على ما ينفعني، لأن من استند إلى شيء تقوى به واستعان به، وخصه بالظهر، لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه، وقوله : « **رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ** »، أي رغبة في رفدك وثوابك، « **ورهبة** » أي خوفاً من غضبك وعقابك ... وقوله : «**لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إلا إِلَيْكَ** »، أي لا ملجأ منك إلى أحد إلا إليك، ولا منجا منك إلا إليك . وقوله : « **اللهمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ** »، يحتمل أن يريد به القرآن، ويحتمل أن يريد اسم الجنس، فيشمل كل كتاب أنزل) [١]. وقوله: « **وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ** »، يشمل الإيمان بالجزء الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام، وهو : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمن كان هذا قوله ومعتقده فإنه إن

---

(١) – فتح الباري، لابن حجر، ١١/١١٤ . وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/٣٣ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ٩/١١٥ . والكواكب الدراري، للكرماني، ٣/١٠٩ . وعمدة القاري، للعيني، ٣/١٨٩ .

مات فهو على الفطرة كما قال ﷺ : « **فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ** » .

إذن فنشر مثل هذا الكلام، والدعوة إليه ، هو أعظم ما يقوم به الداعية إلى الله ﷻ، وأهم الموضوعات التي يطرحها للمدعوين ويعلمهم إيّاها ، فقد قدمه رسول الله ﷺ ، ثم جعله هو مسك الختام .

ثانياً - من أساليب الدعوة : تحفيظ المدعو والرفق به :

من أساليب الدعوة إلى الله ﷻ، والتي تُستفاد من هذا الحديث : أسلوب تحفيظ الجاهلِ العلمَ والدعاء والذكر، يقولِ البَرَاءُ بْن عَازِبٍ ﷺ - بعد أن سمع هذا الدعاء والتوجيه من رسول الله ﷺ - : (فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ اللهمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ : وَرَسُولِكَ، قَالَ : « **لا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ** »)، أي أنه ردّد الدعاء على رسول الله ﷺ، ليحفظه ويستذكره كما قال في الرواية الأخرى : (.. فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ..)، وقد كان رسول الله ﷺ، يسمع له، ليتأكد من حفظه، فلما أخطأ صححه وصوبه من غير أن يصرخ فيه ويؤنبه على خطئه، بل كان ذلك بتنبيهه على الخطأ، وذكر الصواب له برفق ولين .

إذن فعلى الداعية، أن يسلك هذا الأسلوب مع المدعوين، وذلك بتحفيظهم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة .

ثالثاً - من موضوعات الدعوة : تعليم الأدعية والأذكار، وآداب النوم :

من موضوعات الدعوة التي ينبغي للداعية طرحها في دعوته للناس، تعليمهم الأدعية والأذكار، وذلك لما فيها من إظهار العبودية لله ﷻ، والتعظيم له، ولما فيها من الخير العظيم على الناس في الدنيا والآخرة، وكذلك يعلمهم آداب النوم، فحياة الإنسان كلها لله ﷻ، ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [1] .

---

(١) - سورة الأنعام، الآية : ١٦٢ .

وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله ﷺ، يُعلم أحد الصحابة ﷺ، وهو البراء بن عازب ﷺ، شيئاً من آداب النوم وذكره، فيقول : « **إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ : اللهمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَاَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً** .. » .

إذن فتعليم الأدعية والأذكار وآداب النوم، من موضوعات الدعوة إلى الله ﷻ، التي يطرحها الداعية ويدعو إليها اقتداءً برسول الله ﷺ .

رابعاً - أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله ﷻ :

إن رسول الله ﷺ - في هذا الحديث - بعد أن علم الصحابي الجليل البراء بن عازب ﷺ، ما يفعله وما يقوله قبل النوم، قال له : « **فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ** » ، وذلك ترغيباً له في هذا العمل، بذكر فضله وثوابه إن حافظ عليه وجاءه الموت وهو على هذه الحال، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (« الفطرة » : أي الإسلام، وإن أصبحت أصبت خيراً، أي حصل لك ثواب هذه السنن، واهتمامك بالخير، ومتابعتك أمر الله ورسوله ﷺ) [1] .

لذ فليحرص الداعية إلى الله ﷻ، على استخدام هذا الأسلوب في دعوته للناس، وذلك بذكر ما ورد في الشرع من الأجر والثواب على بعض الأعمال حثاً لهم على العمل بها، والمحافظة عليها، طمعاً فيما ذُكر من المرغبات، لأن النفوس جُبلت على حبِّ الخير والطمع فيه، يقول الله ﷻ: ﴿ وإنه لحبّ الخير لشديد ﴾ [2].

خامساً - أهمية التقيد باللفظ الوارد شرعاً في الأدعية والأذكار:

مما يُستفاد من هذا الحديث، أنه ينبغي للداعية إلى الله ﷻ، التقيد بالألفاظ الواردة في السنة، وخاصة منها الأذكار والأدعية، إذ نجد أن رسول الله ﷺ، لمّا أخطأ

---

(١) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٣/١٧ .

(٢) - سورة العاديات، الآية : ٨ .

الصحابي الجليل البراء بن عازب ﷺ، في قوله: وَرَسُولِكَ بدلاً من نبيك، قال له : « لا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ »، يقول كثير من العلماء -رحمهم الله-: إن إنكار رسول الله ﷺ، وردّه اللفظ، بسبب أن هذا ذكر ودعاء، ينبغي فيه الاقتصار على اللفظ الوارد بحروفه، إذ أنه قد يتعلق الجزاء بتلك الحروف (١) . وهذا لا يعني أنه لا تصح رواية الحديث بالمعنى، يقول الإمام النووي - رحمه الله - : (واحتج بعض العلماء بهذا الحديث لمنع الرواية بالمعنى، وجمهورهم على جوازها من العارف، ويجيبون عن هذا الحديث بأن المعنى هنا مختلف، ولا خلاف في المنع إذا اختلف المعنى) (٢) .

إذن فليحرص الداعية على حفظ لفظ رسول الله ﷺ للحديث ، وتبليغه للناس كما ورد عنه، وذلك لما في كلام رسول الله ﷺ، من البلاغة والفصاحة، ما لا يوجد عند غيره من البشر.

سادساً - العبرة بالخواتيم :

إن مما يُقال في خاتمة هذه الأحاديث ودراستها : إن العبرة بالخواتيم، إذ نجد أن رسول الله ﷺ، بعد أن علّم الصحابي الجليل البراء بن عازب ﷺ، هذا الدعاء العظيم، يقول له : « وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ »، لذا قال بعض العلماء - رحمهم الله - : إن مما يستفاد من ذلك، أن الإنسان يختم عمله بذكر الله ﷻ، لأنه قد تُقبض روحه في نومه فيكون قد خُتم عمله بالوضوء، والدعاء الذي هو من أفضل

---

(١) - انظر : المعلم بفوائد مسلم، للمازري، ١٨٧/٣ . والمفهم، للقرطبي، ٤٠/٧ . وشرح النووي على صحيح مسلم، ٣٣/١٧ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١١٥/٩ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١١٥/٩ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٩/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٢٧/١، ١١٦/١١ .

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٣/١٧ . وانظر : المعلم بفوائد مسلم، للمازري، ١٨٧/٣ . والمفهم، للقرطبي، ٤٠/٧ . وإكمال إكمال المعلم، للأبي، ١١٥/٩ . ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي، ١١٥/٩ . والكواكب الدراري، للكرماني، ١٠٩/٣ . وفتح الباري، لابن حجر، ٤٢٧/١، ١١٦/١١ .

الأعمال [١] .

إذن فليحرص الداعية إلى ا لله ﷻ، على إتمام عمله وإكماله منذ أن يبدأ فيه إلى أن ينتهي منه، ولا يفسده بالتراجع أو الكسل عنه، أو أي عمل يُؤثر فيه سلباً، إذ العبرة بالخواتيم .

---

(١) – انظر : فتح الباري، لابن حجر، ١١٦/١١ . وعمدة القاري، للعيني، ١٨٦/٣ .

القسم الثاني

المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة :

الفصل الأول

المنهج الدعوي المتعلق بالداعية

الفصل الأول : المنهج الدعوي المتعلق بالداعية

لقد بلغ عدد الفوائد المستخرجة من الأحاديث المقررة في هذه الدراسة : (٨٥٦) ستاً وخمسين وثمانمائة فائدة، منها ما يتعلق بالداعية ، ومنها ما يتعلق بالمدعو، ومنها ما يتعلق بالموضوع ، ومنها ما يتعلق بالوسائل والأساليب .

ولاستخلاص الفوائد المتعلقة بكل ركن من هذه الأركان الأربعة على حدة، توصل الباحث إلى تعريفات إجرائية لتكون أساساً ينطلق منه في كتابة كل فصل من فصول القسم الثاني من هذه الدراسة .

تعريف الداعية :

الداعية في **اللغة**: هو من يدعو إلى دين أو فكرة ، والدعاة : قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ ، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى دين ، أو بدعة، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة . وقيل : الداعية : صريخ الخيل في الحروب ، لدعائه من يستصرخه . يقال : أجيبوا داعية الخيل .

وداعية اللبن : ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده ، ودعَّى في الضرع ، أبقى فيه داعية اللبن [1] .

إذن : الدعاة لفظ عام يشمل :

أ – دعاة الحق .

ب – دعاة الباطل .

كما جاء ذلك في قول الله ﷻ ، على لسان مؤمن آل فرعون : ﴿ويا قوم مالي

---

(١) – انظر : معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، مادة (دعو)، ٢/٢٧٩ –٢٨١ . ولسان العرب ، لابن منظور ، مادة (دعا) ، ١٣٨٦/٣ . والمعجم الوسيط ، لمجموعة من علماء اللغة ، مادة (الداعي) ، و(الداعية) ، ٢٨٦/١، ٢٨٧ .

أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴾ (١) . ويقول الله ﷻ ، حكاية عن المشركين : ﴿ أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ﴾ (٢) .

ومنه حديث رسول الله ﷺ عندما قال للصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنهما، « **ويح عمّار تقتله الفئة الباغية . عمار يدعوهم إلى الله ، ويدعونه إلى النار** » (٣) .

والداعية في **الاصطلاح** هو : (المبلغ للإسلام ، والمعلم له ، والساعي إلى تطبيقه) (٤) .

ومن خلال ما سبق ، توصل الباحث إلى **تعريف إجرائي** ليكون أساساً لتقسيم فوائد الأحاديث المتعلقة بالداعية ، وهو :

(المسلم المسهم في نشر الإسلام) (٥) .

وعلى ضوء هذا التعريف جرى استخلاص الفوائد المتعلقة بالداعية على النحو الآتي :

الفائدة	الصفحة
١- أهمية إصلاح القلب قبل الجوارح	٢٠٤ ، ٣١٣ (٦)

---

(١) - سورة غافر ، الآية : ٤١ .

(٢) - سورة البقرة ، الآية : ٢٢١ .

(٣) - أخرجه البخاري ، في كتاب الجهاد والسير ، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله ، برقم٢٨١٢ ، ٣/٢٧٢ -٢٧٣ .

(٤) - المدخل إلى علم الدعوة ، للدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني ، ص٤٠ .

(٥) - تنبيه : قد تكون بعض الفوائد تندرج تحت أكثر من تعريف ، وذلك يعود إلى إمكانية النظر إلى الفائدة من عدة زوايا ، فلذا اجتهد الباحث - لاطلاعه على الفوائد وكتابته لها - على تقسيمها بحسب ما ظهر له من قربها إلى أحد أركان الدعوة أكثر من الباقي .

(٦) - تنبيه : لا يلزم مطابقة عنوان الفائدة في الجدول ، لما هو مذكور في صلب الدراسة . إنما تم جمع الفوائد التي تتفق في المعنى تحت عنوان واحد ، وهو المذكور في هذا الجدول .

الفائدة	الصفحة
١٥٠-وظيفة الزوجة الصالحة للداعية ، وعظم أثرها عليه	٧٧ ، ٨٣٠

وبعد هذا العرض العام للفوائد المتعلقة بالداعية ، ومما سبق من التفصيل لها في القسم الأول من هذه الدراسة ، يصل الباحث إلى منهج دعوي يتعلق بالداعية ، ويلخصه في الآتي :

أولاً - إن كل مسلم هو داعية إلى الله ﷻ ، حيث نجد أن الداعية الأول المبلغ للإسلام كاملاً ، هو رسول الله ﷺ ، ثم جاء من بعده صحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - الذين بلغوا هذا الدين عنه ، كلٌّ على حسب قُدرته واستطاعته وعلمه، عملاً بقول رسول الله ﷺ : « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** » (١) .

وهكذا سار سلف هذه الأمة - رحمهم الله تعالى - كلٌّ على حسب قدرته وطاقته (٢) .

كما أن الدعوة لا تقتصر على الدعاة من الرجال ، بل وتشمل النساء كذلك ، حيث نجد أن نساء سلف هذه الأمة ﷺ أجمعين ، قد ضربوا في ذلك الصور والأمثلة التي تستحق الإبراز والثناء (٣).

ثانياً - ومما يُؤكد عليه أنه ينبغي أن يُعدَّ الدعاة إلى الله ﷻ ، إعداد جيداً ، وذلك يتم من خلال الآتي :

---

(١) - أخرجه البخاري ، في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، برقم٣٤٦١ ، ١٧٥/٤.

(٢) - انظر مثلاً : ص٦٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٩٥ ، ٦٢١ ، ٦٧١ ، من هذا البحث .

(٣) - انظر مثلاً : ص٧٧ ، ٥٣٥ ، ٧١٦ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ .

١- حسن اختيار الدعاة ، كما كان الأنبياء يختارون من أقوامهم لأفضليتهم في الخَلق والخُلق ، يقول الله ﷻ : ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ (١) . ويقول الله ﷻ لنبيه ﷺ : ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾ (٢) . فلذ كان رسول الله ، يختار دعاته ورسله بدقة وعناية (٣) .

٢- ملازمتهم للعلماء والدعاة الكبار السابقين لهم في الخبرة والميدان (٤) . وذلك للاستفادة من علمهم وخبرتهم وتجاربهم .

٣- مرورهم بمرحلة من الإعداد النفسي والروحي لتحمل هذه المهمة الشاقة (٥) ، والتي من سماتها الثابتة الابتلاء (٦) .

٤- التدرب على الاجتهاد في أمور الدعوة ، وأخذها بقوة ، والصبر عليها ، وذلك لطول طريق الدعوة وصعوبته (٧) .

٥- الاطلاع على أحوال المدعوين ومعرفتها ، لأنه ينبني عليها موضوع الدعوة ، ووسائلها وأساليبها (٨) .

---

(١) - سورة الدخان ، الآية : ٣٢ .

(٢) - سورة طه ، الآية : ١٣ .

(٣) - انظر مثلاً : ص ٦٢ ، ١١٧ ، ٣٥٥ .

(٤) - انظر مثلاً : ص ٧٩ ، ٨٣ ، ٣٨٢ ، ٤٢٧ ، ٧٨٠ .

(٥) - انظر مثلاً : ص ٧٢ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ٨٢ ، ٨٦٤ .

(٧) - انظر مثلاً : ص ٧٦ .

(٨) - انظر مثلاً : ص ٣٢١ .

ثالثاً - ينبغي للداعية أن يتصف بصفات كثيرة منها :

١- الإخلاص ، لأن العمل لا يصح ولا يقبل إلا به [١] .

٢- قوة الصلة بالله ﷻ ، وذلك من خلال المحافظة الشديدة على الفرائض ، والإكثار من النوافل ، واللجوء إلى الله ﷻ ، على كل حال [٢] .

٣- العلم ، الذي به تصح النية ، والمنهج [٣]، وأهم العلوم التي يحتاجها الداعية إلى الله ﷻ، علم الكتاب والسنة، وما يتفرع ويتصل بهما[٤].
وتحصيل العلم لا يتم إلا بالجدِّ والحرص عليه ، والسؤال عنه كما كان حال سلفنا الصالح الذين ضربوا أروع الأمثلة وأعظمها في ذلك الأمر [٥] .

كما أن العلم يحتاج إلى سرعة العمل به ، والاستجابة لأوامره ، والانتهاء عن نواهيه [٦] ، وإلا أصبح الإنسان به ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ [٧] .

وطلب العلم له آداب ينبغي المحافظة عليها والتمسك بها ومراعاتها في مرحلة الطلب ، وقد ذكر شيء منها في القسم الأول من هذه

---

(١) – انظر مثلاً : ص٥١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٦٠٤ ، ٨٥٢ .

(٢) – انظر مثلاً : ص ٦٤٣ ، ٦٦٢ ، ٧٨٧ ، ٨٤٦ ، ٨٧٩ .

(٣) – انظر مثلاً : ص٩٦ ، ٢٨٨ ، ٤٥٥ ، ٤٧٧ ، ٥٢٦ .

(٤) – انظر مثلاً : ص ٢٨٥ ، ٤٣٣ ، ٤٧٤ .

(٥) – انظر مثلاً : ص ٢٩٥ ، ٤٨٦ ، ٥٦٨ ، ٥٨٦ ، ٦٤٤ ، ٦٦٤ ، ٦٧٥ ، ٦٩٧ ، ٧٨٠ ، ٨٧٨ .

(٦) – انظر مثلاً : ص٥١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٥٥٤ ، ٦٧١ ، ٨٤٤ .

(٧) – سورة الجمعة ، الآية : ٥ .

الدراسة [١] .

٤- الورع والتقوى، وذلك لأن الداعية محل نظر المدعوين وقدوتهم [٢] .

٥- حسن الخلق [٣] ، لأنه من أعظم ما يجذب المدعوين إلى الداعية ، وإلى العمل بما يدعو إليه ، وحسن الخلق يشمل عدة فروع ، منها :

أ - الصبر [٤] .

ب - الجود [٥] .

ج - التواضع [٦] .

د - الحلم والأناة [٧] .

هـ - العفو [٨] .

و - الرفق واللين [٩] .

ز - الوفاء [١٠].

ح - الحياء [١١] .

---

(١) - انظر مثلاً : ص ٣١٠ ، ٤٢٩ ، ٤٩٠ ، ٦٢٠ .

(٢) - انظر مثلاً : ص٢٠٥ ، ٣١٣ ، ٤٧٨ ، ٥٥٤ ، ٧٤١ .

(٣) - انظر مثلاً : ص ١٤١ ، ٢٢٨ ، ٣٦٩ ، ٤٤٢ ، ٤٧٨ .

(٤) - انظر مثلاً : ص ٦٢ ، ٢٠٩ ، ٣٧٠ ، ٥٤١ ، ٧١٧ .

(٥) - انظر مثلاً : ص ١٠١ ، ١٤٦ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ٣٦٩ ، ٤٢٠ ، ٥٨٧ ، ٨٢٠ .

(٧) - انظر مثلاً : ص٤٢٨ ، ٥١٠ ، ٥٦٦ ، ٧٧٠ ، ٨٢١ .

(٨) - انظر مثلاً : ص ١٤١ .

(٩) - انظر مثلاً : ص ١٧٧ ، ٣٥٤ ، ٣٩٩ .

(١٠) - انظر مثلاً : ص ١٦٣ ، ٢٤١ .

(١١) - انظر مثلاً : ص ٣٦٧ .

ط - احترام الكبير [١] .

ي - الرحمة [٢] .

ك- الحرص على النظافة [٣] .

٦- الاستشارة ، لأن الآراء عندما تجتمع تنضج وتخرج بصورة جيدة وقليلة الأخطاء [٤] .

٧- الحرص والمبادرة إلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ﷻ [٥] .

٨- المداومة على العمل والمحافظة عليه [٦] .

٩- الفطنة والفراسة [٧] .

١٠- التفاؤل ، الثقة بنصر الله ﷻ ، وحسن الظن به [٨] .

١١- حسن السمت [٩] .

١٢- حسن استغلال الفرص والمواقف [١٠] .

---

(١) - انظر مثلاً : ص ٨٠ ، ٣٦٥ ، ٧٩٠ ، ٨٨١ .

(٢) - انظر مثلاً : ص ٢٧٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٧٣٣ ، ٨١٣ .

(٣) - انظر مثلاً : ص ٦٥٥ ، ٦٨٣ ، ٨٧٧ .

(٤) - انظر مثلاً : ص ٧٩ ، ٣٣٦ ، ٤٩٤ ، ٨٣٩ .

(٥) - انظر مثلاً : ص ٨٨ ، ٢٦٤ ، ٥٣٥ ، ٧٠٢ ، ٧١٦ ، ٨١٧ ، ٨٢٩ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ١٧٩ ، ٨٨٦ .

(٧) - انظر مثلاً : ص ٥٠٦ ، ٥٢٥ ، ٥٩٨ ، ٧٥٢ .

(٨) - انظر مثلاً : ص٢٥٦ ، ٣٠٢ ، ٤٠٥ .

(٩) - انظر مثلاً : ص ٦٩٣ .

(١٠) - انظر مثلاً : ص ٤٧٣ ، ٨٦٨ .

١٣- فصاحة اللسان [١] .

رابعاً - كثرة الفوائد المتعلقة بالداعية ، المستخلصة من هـذه الدراسة ، مما يبين أهمية ومكانة **الداعية في** حلقة العملية الدعوية ، وأنه هـو الشخص المؤثـر في المجهود الدعوي ، وأنه على قدر فقهه وفهمه ووعيه وصفاتـه، كثيراً مـا يرتبط نجاح الدعوة وفشلها، وأن عليه مسؤولية كبيرة في البيـان والإيضـاح للناس .

وفي ختام هذا الفصل أؤكد على أن كل مسلم هـو داعيـة إلى الله ﷻ ، يُبلـغ هذا الدين على قدر استطاعته وعلمه ، ومن خلال ذلك ينبغـي لـه أن يمـر بمرحلـة مـن الإعداد النفسي والروحي والبدني ، التي من خلالها يزداد رسوخاً وتقدماً في تبليغ هـذا الدين ونشره بين الناس ، وكذلك هو مطالب بمجموعة من الصفات والأخـلاق ، الـتي بها ينجح في دعوته ويؤثر في المدعوين .

---

(١) - انظر مثلاً : ص ٦٠٤ ، ٦٨٧ .

الفصل الثاني :

المنهج الدعوي المتعلق بالمدعو

الفصل الثاني : المنهج الدعوي المتعلق بالمدعو :

تعريف المدعو :

إن كلمة (**المدعو**) ، مشتقة من دعاه يدعوه ، فهو مدعو . إذن فهو اسم مفعول ، مشتق من أصل الكلمة (دعا) [1] .

يقول الدكتور / حمود الرحيلي : (والمقصود بالمدعو في **اصطلاح الدعوة** الإسلامية : هو الإنسان المخاطب بدعوة الإسلام) [2] .

ومن خلال ما سبق توصل الباحث ، إلى **تعريف إجرائي** ليكون أساساً لتقسيم فوائد الأحاديث المتعلقة بالمدعو، وهو :

(من وجهت إليه رسالة دعوية) .

وعلى ضوء هذا التعريف جرى استخلاص الفوائد المتعلقة بالمدعو على النحو الآتي :

الفائدة	الصفحة
١- أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ .	٣٨٩
٢- أمور المدعوين محمولة على الظاهر دون الباطن .	٢٠٣
٣- أهمية رجوع المدعوين إلى أهل العلم فيما يُشكل عليهم .	٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٤١٩ ، ٦٤٩ ، ٦٨٠ ، ٧٤٦
٤- أهمية مراعاة أحوال المدعو .	٧٧ ، ١٧٨
٥- اختلاف الناس وتنوعهم في قبول هذا الدين	٤٤٨

(١) – انظر : المدخل إلى علم الدعوة ، للدكتور / محمد أبو الفتح البيانوني ، ص٤١ .

(٢) – أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ، ص٥ ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ط دار العاصمة ، الرياض .

الفائدة	الصفحة
٦- تفاوت الناس في الفهم .	٣٩١
٧- حرص السلف الصالح على تعليم أبنائهم ، وأقاربهم .	٥٩ ، ٢٦٩ ، ٤٨٨ ، ٥١٥ ، ٥٧٦ ، ٦٢٥ ، ٦٤٩ ، ٦٨٦ ، ٦٩٠ ، ٦٩٤، ٧٥٤، ٧٥٩ ، ٧٦٤ ، ٧٧٥، ٧٩١، ٧٩٦ ، ٨٢٨ ، ٨٤٩
٨- حقيقة خوف الكفار من المسلمين، وأن المسلمين نصروا بالرعب .	١٢١
٩- حقيقة عداء الكفار للمسلمين .	٣٢٣
١٠- دعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم .	١٢٣
١١- ذكر بعض أصناف المدعوين : (أصحاب السلطة ، ضعفاء الناس ، أهل الكتاب)	١١٤
١٢- سرعة استجابة الصحابة ﷺ للدعوة وتأثرهم بها .	٢٢٥ ، ٢٦٤ ، ٧٥١
١٣- شدة عداوة اليهود للمسلمين، وإثارتهم للشكوك والشبهات .	٢٦٢
١٤- كراهية كثرة السؤال وتكلف ما لا يعني .	٥٠٦
١٥- مشروعية عرض الدعوة على الناس جميعاً .	٤٤٨
١٦- من آداب المدعوين : الاستماع والإنصات	٩٨
١٧- من أساليب أعداء الدعوة في الصدِّ عنها . الضحك والسخرية بالداعية .	٨٦١
١٨- من أصناف المدعوين : الأعراب ، وذكر بعض سماتهم .	٢٨٧ ، ٣٥٥ ، ٨١٦ ، ٨٣٨
١٩- من أصناف المدعوين : (طلبة العلم ، العوام) .	٦٤١
٢٠- من أصناف المدعوين : (قوي الإيمان، وضعيفه) .	٧٦٩
٢١- من أصناف المدعوين : أشراف الأعراب .	٣٦٩

الفائدة	الصفحة
٢٢- من أصناف المدعوين : الأعاجم .	٧٤٦
٢٣- من أصناف المدعوين : الخدم والمملوكين .	٢٢٥
٢٤- من أصناف المدعوين : الصبيان .	٧٧٤
٢٥- من أصناف المدعوين : المسلمون وبيان شدة تأثرهم بالوعظ .	٣٨٩ ، ٤٧٣
٢٦- من أصناف المدعوين : الملأ من المشركين .	٨٦٠
٢٧- من أصناف المدعوين : صغار السن .	٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٧٧٤
٢٨- من أصناف المدعوين الجن، وثناء الرسول ﷺ عليهم .	٦٩٢
٢٩- من أصناف المدعوين الحريص، ومنهم الحيي، ومنهم المعرض .	٣٨٣
٣٠- من أصناف المدعوين النساء ، وبعض سماتهن .	٢٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٣٦
٣١- من أصناف المدعوين: الملوك وأصحاب السلطة.	١١٤ ، ١١٧ ، ٣٧٤
٣٢- من أصناف المدعوين، اليهود، وبيان أن إعراضهم عن علم ومعرفة .	٢٨٣ ، ٦٠٨
٣٣- من سنن الأمم الظالمة إخراج الدعاة إلى الله من أوطانهم وصعوبة ذلك على نفوسهم.	٨٢
٣٤- من صفات المدعوين الطمع .	١٩٤

وبعد هذا العرض العام للفوائد المتعلقة بالمدعو ، ومما سبق من التفصيل لها في القسم الأول من هذه الدراسة ، يصل الباحث إلى منهج دعوي يتعلق بالمدعو ، ويلخصه في الآتي :

أولاً - المدعوون إلى الله سبحانه وتعالى ، هم الناس جميعاً ، إذ يقول الله عز وجل : ﴿وما

أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (١) . إذن فينبغي للداعية إلى الله تعالى ، أن يتوجه بدعوته للناس جميعاً ويعرضها عليهم ويبلغهم إياها من غير استثناء لأحد منهم (٢) .

ثانياً - يدخل ضمن المدعوين : الجن ، إذ نجد أن رسول الله ﷺ ، توجه لهم بالدعوة، وخاطبهم بها (٣). وذلك لأنهم مطالبون بالإيمان بالله تعالى ، وبرسوله ﷺ، والعمل بشريعته ، يقول الله تعالى :﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٤) ، ويقول عز وجل : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ (٥) ، ويقول جل جلاله : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ (٦) .

ثالثاً - والمدعوون أصناف كثيرة ، وذلك يظهر من خلال التقسيم الآتي :

١ - بحسب العقيدة والدين ، وهم :

أ - المسلمون (٧) .

ب - أهل الكتاب من اليهود والنصارى (٨) .

---

(١) - سورة سبإ ، الآية : ٢٨ .
(٢) - انظر مثلاً : ص ٤٤٨ ، من هذا البحث .
(٣) - انظر مثلاً : ص ٦٩٢ .
(٤) - سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .
(٥) - سورة الأنعام ، الآية : ١٣٠ .
(٦) - سورة الأحقاف ، الآيات : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .
(٧) - انظر مثلاً : ص ٣٨٩ ، ٤٧٣ .

ج - الكفار والمشركون [١] .

٢ - بحسب المكان ، وهم :

أ - أهل الحضر [٢] .

ب - أهل البادية ، وهم الأعراب [٣] .

٣ - بحسب السن والعمر ، وهم :

أ - الأطفال [٤] .

ب - الكبار [٥] .

٤ - بحسب الجنس ، وهم :

أ - الرجال [٦] .

ب - النساء [٧] .

٥ - بحسب القرابة ، وهم :

أ - القريب (الأولاد ، والزوجات ، والأباء ، والإخوة ،

=

(٨) - انظر مثلاً : ص ١١٤ ، ٢٨٣ ، ٦٠٨ .

(١) - انظر مثلاً : ص ١١٤ ، ٣٢٣ ، ٨٦٠ .

(٢) - يقول ابن منظور : (الحَضَرُ : خلاف البدو ، والحاضِرُ : خلاف البادي . والحاضِرُ : المقيم في المدن والقرى ، والبادي : المقيم في البادية ، والحَضَرُ ، والحَضْرَةُ والحاضِرَةُ : خلاف البادية ، وهي المدن والقرى والأرياف ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار) . انظر : لسان العرب ، مادة (حضر) ، ٩٠٦/٢،٩٠٧ .

(٣) - انظر مثلاً : ص ٢٨٨ ، ٣٥٥ ، ٨١٦ ، ٨٣٨ .

(٤) - انظر مثلاً : ص ٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٧٧٤ .

(٥) - انظر مثلاً : ص ٢٢٦ ، ٢٦٥ ، ٧٥١ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ٢٢٦ ، ٤٧٣ ، ٨١٦ .

(٧) - انظر مثلاً : ص ٢٢٢ ، ٥٢٢ ، ٥٣٦ .

والأخوات، وسائر القرابات) [١] .

ب - غير القريب ، وهم سائر المدعوين غير ما ذكر في الفقرة السابقة .

٦ - بحسب اللغة ، وهم :

أ - العربي [٢] .

ب - الأعجمي [٣] .

٧ - بحسب المكانة ، وهم :

أ - الملأ [٤] .

ب - عامة الناس [٥] .

ج - الخدم والمماليك [٦] .

٨ - بحسب الرغبة في العلم والإيمان ، وهم :

أ - الحريص [٧] .

ب - الحيي [٨] .

ج - المعرض [٩] .

---

(١) - انظر مثلاً : ص ٥٩ ، ٢٧٠ ، ٥١٥ ، ٥٧٦ ، ٥٦٢ ، ٦٤٩ ، ٦٨٦ ، ٦٩٠ ، ٦٩٤ ، ٧٦٤ ، ٧٩١ ، ٧٩٦ ، ٨٤٩ .

(٢) - انظر مثلاً : ص٢٦٥ ، ٢٨٨ ، ٣٨٩ .

(٣) - انظر مثلاً : ص ٧٤٦ .

(٤) - انظر مثلاً : ص ١١٤ ، ١١٧ ، ٣٧٤ ، ٨٦٠ .

(٥) - انظر مثلاً : ص١١٤ ، ٤٧٣ ، ٣٨٩ ، ٦٤١ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ٢٢٦ .

(٧) - انظر مثلاً : ص ٣٨٣ .

(٨) - انظر : الإحالة السابقة .

(٩) - انظر : الإحالة السابقة .

٩ – بحسب الإيمان ، وهم :

أ – قوي الإيمان [١] .

ب – ضعيف الإيمان [٢] .

٩ – بحسب العلم ، وهم :

أ – طالب العلم [٣] .

ب – العوام وجهلة الناس [٤] .

ومما لا شك فيه أن كل صنف مما سبق له سمات خاصة قد تختلف عن الآخرين، مما يترتب عليه أن يختار الداعية إلى الله ﷻ ، مع كل صنف ما يناسبه من الوسائل والأساليب الدعوية التي تؤثر فيه [٥] ، كما أن كل صنف له حقوق ومسؤوليات تجاه الداعية قد تختلف عن الآخر .

رابعاً – سمات بعض المدعوين :

١ – سرعة استجابة المؤمن للموعظة والتذكير [٦] .

٢– من سمات المدعوين بشكل عام : طلب المزيد من الخير [٧] .

٣ – من سمات النساء : جحود الإحسان [٨] . وشدة العاطفة عندهن[٩].

---

(١) – انظر مثلاً : ص ٧٦٩ .
(٢) – انظر : الإحالة السابقة .
(٣) – انظر مثلاً : ص ٣٨٣ ، ٦٤١ .
(٤) – انظر مثلاً : ص ٢٨٨ ، ٣٥٥ ، ٦٤١ .
(٥) – انظر مثلاً : ص ١١٧ ، ٢٢٦ ، ٧٧٤ . وللإستزادة انظر : الفصل الثالث من القسم الثاني من هذا البحث .
(٦) – انظر مثلاً : ص ٢٢٦ ، ٢٦٥ ، ٤٧٣ ، ٧٥١ .
(٧) – انظر مثلاً : ص ١٩٤ .
(٨) – انظر مثلاً : ص ٢٢٢ .
(٩) – انظر مثلاً : ص ٥٢٢ .

٤ – من سمات الملأ الغالبة : التكبر ، وشدة التعلق بالدنيا [١] .

٥ – من سمات اليهود : شدة الخصام واللجج [٢] .

٦ – من سمات الأعراب : الجفاء ، وعدم الاهتمام بالمظهر ، ورفع الصوت، والجرأة والعجلة [٣] .

٧ – خوف الكفار وشدة عدائهم للدعوة وصاحبها [٤] .

خامساً - أمور المدعوين محمولة على الظاهر ، دون الباطن [٥] .

سادساً - أهمية إشعار المدعو بأن عليه مسؤولية كبيرة في البحث عن الحق وطلبه، والعمل به متى ماستبان له [٦] ، فلذا ينبغي له السؤال والرجوع إلى العلماء فيما يشكل عليه ، يقول الله ﷻ : ﴿ **فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [٧] .

سابعاً - اختلاف درجات المدعوين في الاستجابة للدعوة ، أو الإعراض عنها [٨] .

ثامناً - تنوع واختلاف أحوال المدعوين ، مما يؤكد أهمية مراعاتها أثناء عرض الدعوة عليهم [٩] .

---

(١) – انظر مثلاً : ص ١١٤ ، ٣٧٤ .
(٢) – انظر مثلاً : ص ٦٠٨ .
(٣) – انظر مثلاً : ص ٢٨٨ ، ٣٥٥ ، ٨١٦ ، ٨٣٨ .
(٤) – انظر مثلاً : ص ١٢١ ، ٣٢٣ ، ٢٦٣ .
(٥) – انظر مثلاً : ص ٢٠٤ .
(٦) – انظر مثلاً : ص ٢٢٢ ، ٢٣٧ ، ٤١٩ ، ٦٤٩ ، ٦٨٠ ، ٧٤٦ .
(٧) – انظر : سورة النحل، الآية : ٤٣ . وسورة الأنبياء، الآية : ٧ .
(٨) – انظر مثلاً : ص ٤٤٨ .
(٩) – انظر مثلاً : ص ٧٧ ، ١٧٩ ، ٣٩١ .

تاسعاً - من سنن الأمم الظالمة إخراج الدعاة إلى ا لله من أوطانهم [١] .

عاشراً - كثرة الفوائد المتعلقة بالمدعو ، المستخلصة من هذه الدراسة ، مما يبين أهمية ومكانة **المدعو** في حلقة العملية الدعوية ، وأنه قطبها ومحورها الذي ترتكز عليه ، وهو هدفها وغايتها .

وفي ختام هذا الفصل : أؤكد على أن المدعوين هم جميع الخلق من الجن والإنس، في كل زمان ومكان ، وأنهم أصناف كثيرة ، ولهم سمات مختلفة ، وأحوالهم وظروفهم أيضاً مختلفة ، وهم في قبول هذا الدين ما بين سريع الاستجابة والتأثر بالدعوة ، والعمل بها ، وبين المعرض عنها ، الذي يكيد للدعوة وصاحبها .

---

(١) - انظر مثلاً : ص ٨٢ .

الفصل الثالث

المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة

الفصل الثالث : المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة

تعريف موضوع الدعوة :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : (الدعوة إلى الله ، هي الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا) [١] ، ويقول – رحمه الله تعالى – : (الدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به ، والنهي عن كل ما نهى الله عنه ، وهذا هو الأمر بكل المعروف ، والنهي عن كل منكر) [٢] ، ويقول – رحمه الله تعالى – في تعريفه للدين : (هو ما بعث الله به رسله ، وهو ما يجب على المرء التصديق به والعمل به) [٣] .

ومن خلال ما سبق توصل الباحث إلى **تعريف إجرائي** لمعنى موضوع الدعوة ليكون أساساً لتقسيم فوائد الأحاديث المتعلقة بالموضوع ، وهو :

(القضايا التي أسهم الداعية إلى الله ﷻ ، في بيانها) .

وعلى ضوء هذا التعريف جرى استخلاص الفوائد المتعلقة بالموضوع على النحو الآتي :

الفائدة	الصفحة
١– أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة	٢٨٣
٢– أهمية التثبت من الأمر والأناة فيه	٢١٤ ، ٤٩١ ، ٦٧٦ ، ٧٩٥
٣– أهمية التقيد باللفظ الوارد شرعاً في الأدعية والأذكار	٨٨٥

---

(١) – مجموع الفتاوى ، ١٥/١٥٧ .

(٢) – المرجع السابق ، ١٥/١٦١ .

(٣) – الحسبة في الإسلام ، ص٤٥ ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط مكتبة الرياض .

الفائدة	الصفحة
٥٧- من أهم موضوعات الدعوة، المحافظة على الضرورات الخمس (الدين والنفس والأعراض والأموال والعقل)	٣٨٨
٥٨- من التنطع والقول على الله بغير علم، الحديث في الغيب الذي لا يُعلم	٦٠٨
٥٩- من الحكمة في الدعوة إلى الله مراعاة الأوليات والبدء بالأهم فالمهم	١١٦ ، ٢٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤١ ، ٣٥١
٦٠- من الحكمة في الدعوة إلى الله صرف السائل إلى ما هو أنفع، وأكثر فائدة	٣٥٣
٦١- من الحكمة في الدعوة إلى الله مراعاة أحوال المدعوين،عند الإجابة عليهم	٢٨٨
٦٢- من الحكمة في الدعوة، الحدِيثُ مع الناس بما يعرفون، وترك ماينكرون	٢٧٩
٦٣- من الحكمة في الدعوة، العدول عن الإجابة إلى ما هو أنفع	٣٠٩
٦٤- من القواعد الدعوية أن اليقين لا يزول بالشك	٦٥٠
٦٥- من القواعد الدعويةأن النفوس تساس بما تأنس إليه، إلا أن يكون حراماً	٦١٢
٦٦- من تاريخ الدعوة (قدوم الرسول ﷺ المدينة، تحويل القبلة)	٢٦٥
٦٧- من تاريخ الدعوة . (إسلام أهل البحرين وشرق الجزيرة)	٣٢٧
٦٨- من تاريخ الدعوة (الهجرة، وبناء المسجد)	٨٤٦
٦٩- من تاريخ الدعوة (بدايات الدعوة، وقتل المشركين ودفنهم ببدر)	٨٦٥
٧٠- من تاريخ الدعوة (بداية دعوة النبي ﷺ)	٨٤ ، ٩٢

الفائدة	الصفحة
٨٧- من قواعد الدعوة : سدّ الذرائع	٣١٥
٨٨- من قواعد الدعوة : مراعاة المصالح والمفاسد	٥٩٦
٨٩- من كرامات الله لأوليائه الصالحين، رؤية رسوله ﷺ	٥٥٥
٩٠- من كمال نصح الداعية إنكاره ما يخشى اعتقاده بين الناس	٢٢٠
٩١- من معجزات رسول الله ﷺ قوة حفظ أبي هريرة ﷺ وعدم نسيانه	٥٩٥
٩٢- من معجزات رسول الله ﷺ التي يثبتها العلم في العصر الحاضر أن في التراب ما يقطع جرثومة لعاب الكلب من الإناء الذي يلغ فيه	٧٢٨
٩٣- من معجزات رسول الله ﷺ وعلامات نبوته نبع الماء من بين أصابعه	٧٢٥
٩٤- من موضوعات الدعوة الأمر بالصلاة	٥٧٧
٩٥- من موضوعات الدعوة التحذير من الاختلاف والتنازع بين المسلمين	٦٠٠
٩٦- من موضوعات الدعوة التحذير من الفتن، وذكر علامات الساعة	٤٦٦ ، ٥٧٧
٩٧- من موضوعات الدعوة التحذير من النفاق ببيان صفات المنافقين	٢٣٩
٩٨- من موضوعات الدعوة الترغيب في قيام رمضان	٢٤٤
٩٩- من موضوعات الدعوة الحث على الجهاد في سبيل الله ﷻ	٨٥٣
١٠٠- من موضوعات الدعوة الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة	٨٠٧

الفائدة	الصفحة
١٠١- من موضوعات الدعوة الحث على الصدقة	٥٢٤
١٠٢- من موضوعات الدعوة الحث على الصلاة والمواظبة عليها	٨٦٩ ، ٧٨٨
١٠٣- من موضوعات الدعوة الحث على النظافة، والبعد عن القذارة	٧٢٩
١٠٤- من موضوعات الدعوة الحث على شهود الجنائز	٢٩٣
١٠٥- من موضوعات الدعوة الحثُّ على صلاة الجماعة ، في المساجد	٧٤٥
١٠٦- من موضوعات الدعوة الحديث عن كف الأذى، وهجر المعاصي	١٤٠
١٠٧- من موضوعات الدعوة الزهد في الدنيا، والاستعداد للآخرة والرحيل	٥٨١
١٠٨- من موضوعات الدعوة الصلاة ، وكيفية أدائها	٨٦٩ ، ٦٤١
١٠٩- من موضوعات الدعوة الغسل وآدابه	٨٥٧
١١٠- من موضوعات الدعوة بيان أهمية النظافة وتجنب النجاسة	٨١٢
١١١- من موضوعات الدعوة بيان خطورة النميمة ، وعدم اجتناب النجاسة	٨١٣
١١٢- من موضوعات الدعوة تسلية المصاب ووعده بالثواب	٥٣٧
١١٣- من موضوعات الدعوة تعليم الأدعية والأذكار، وآداب النوم	٨٨٤ ، ٦٦٢
١١٤- من موضوعات الدعوة تعليم الوضوء	٧٠١ ، ٦٤١ ، ٦٥٨

الفائدة	الصفحة
١١٥- من موضوعات الدعوة حرمة دم الإنسان	٨٣٨
١١٦- من موضوعات الدعوة حرمة مكة، وخصوصية الرسول ﷺ في استحلالها	٥٤٨
١١٧- من موضوعات الدعوة ذكر الساعة و الجنة والنار	٤٥١ ، ٥٠٩
١١٨- من موضوعات الدعوة ذكر يوم الحساب وأهواله	١٩١ ، ٥٤١
١١٩- من موضوعات الدعوة التحذير من الفتن	١٧٢ ، ٢٣١
١٢٠- من موضوعات الدعوة العقدية معرفة الله بأسمائه وصفاته .	١٩١
١٢١- من موضوعات الدعوة المحبة الإيمانية	١٥٠ ، ١٥٩
١٢٢- من موضوعات الدعوة حقوق الزوج	٢٢٢
١٢٣- من موضوعات الدعوة وأولياتها (الإحسان ، الإيمان ، الإسلام ، الساعة وأماراتها)	٣٠٧
١٢٤- من موضوعات الدعوة وأولياتها : (الأركان الخمسة)	١٢٩
١٢٥- من موضوعات الدعوة وأولياتها النهي عن الشرك، ثم التحذير من المعاصي	١٦٨
١٢٦- من موضوعات الدعوة، الحث على قيام ليلة القدر	٣٠٢
١٢٧- من موضوعات الدعوة، الحديث عن الشفاعة	٢٧٩
١٢٨- من موضوعات الدعوة، شدة حرمة المسلم	٢٩٨

وبعد هذا العرض العام للفوائد المتعلقة بالموضوع ، ومما سبق من التفصيل لها في القسم الأول من هذه الدراسة ، يصل الباحث إلى منهج دعوي يتعلق بالموضوع ، ويلخصه في الآتي :

أولاً - أهمية ترتيب موضوعات الدعوة حسب أهميتها الشرعية ، فلا يُقدم موضوعاً على آخر ، هو أهم منه [1] . هذا وإن الأصل في أوليات الدعوة الذي يجب على الدعاة الالتزام به هو ما يأتي :

١ - التوحيد وقضايا العقيدة [2] .

٢ - أركان الإسلام [3] ، وخاصة منها الصلاة [4] ، وما يتصل بها من أحكام كالغسل والوضوء [5] .

٣ - ثم تأتي بقية الموضوعات على حسب أهميتها وتقديم الشارع لها .

ثانياً - أهمية مراعاة القواعد الدعوية عند اختيار الموضوع وطرحه ، وهي :

١ - أن اليقين لا يزول بالشك [6] .

٢ - أهمية التثبت من الأمور والتأكد منها ، وصحتها [7] . وخاصة منها ما يتعلق بكتاب الله ﷻ ، وسنة رسوله ﷺ [8] .

٣ - إتقان العمل وإكماله [9] .

---

(١) - انظر مثلاً : ص ١١٦، ١٢٩، ١٦٩ ، ٢٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤ ، ٣٤١ ، ٣٥١ ، من هذا البحث .
(٢) - انظر مثلاً : ص ١٢٩ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ، ٢١٠ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٧٧ ، ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤ ، ٥٢٧ ، ٦٢١ .
(٣) - انظر مثلاً : ص ١٢٩ .
(٤) - انظر مثلاً : ص ٥٧٧ ، ٦٤١ ، ٧٤٥ ، ٧٨٨ ، ٨٠٧ ، ٨٦٩ .
(٥) - انظر مثلاً : ص٦٤٥ ، ٦٥٨ ، ٧٠١ ، ٨٥٧ ، ٨١٢ ، ٨١٣ .
(٦) - انظر مثلاً : ص ٦٥٠ .
(٧) - انظر مثلاً : ص٢١٥ ، ٤٩١ ، ٦٧٦ ، ٧٩٥ .
(٨) - انظر مثلاً : ص ٢٩٠ ، ٤٧٥ ، ٥٢٤ ، ٥٣٣ ، ٦٦٦ .
(٩) - انظر مثلاً : ص ٢٥٧ ، ٧٠٣ .

٤ – غاية البيان والإعذار في العموم لا يكون إلا بالتبليغ ثلاث مرات [١] .

٥ – من الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ ، مراعاة أحوال المدعوين عند اختيار الموضوع [٢] .

٦ – من قواعد الدعوة إلى الله ﷻ ، مراعاة المصالح والمفاسد التي تترتب على اختيار الموضوع وطرحه للمدعوين [٣] . وأن النفوس تساس بما تأنس إليه، إلا أن يكون حراماً [٤].

٧ – من قواعد الدعوة إلى الله ﷻ ، سدُّ الذرائع [٥] .

ثالثاً – إن الدعوة لها خصائص وسمات ، ينبغي معرفتها ، ومراعاتها ، منها :

١– الشمول [٦]، حيث نجد أنها تشمل موضوعات العقيدة ، كالحديث عن التوحيد [٧] ، ويوم القيامة وما فيه من أهوال [٨] ، وخصائص نبينا محمد ﷺ ، ومعجزاته [٩] .

وتشمل موضوعات الشريعة ، كالحديث عن الصلاة وأحكامها [١٠]. والصيام وأحكامه [١١] . والجهاد وأحكامه [١٢] .

---

(١) – انظر مثلاً : ص ٥١٢ .
(٢) – انظر مثلاً : ص ٢٨٠ ، ٢٨٩ ، ٣٠٧ ، ٣٥٣ .
(٣) – انظر مثلاً : ص ٥٩٦ ، ٦١٣ .
(٤) – انظر مثلاً : ص ٦١٢ .
(٥) – انظر مثلاً : ص ٣١٦ .
(٦) – انظر مثلاً : ص٦٨٨ ، ٧٠٦ ، ٧٢٢ .
(٧) – انظر مثلاً : ص ٢٣٧ ، ٥٢٧ ، ٨٨٣ .
(٨) – انظر مثلاً : ص ٥٠٩ ، ٥٤١ .
(٩) – انظر مثلاً : ص ٣٣٨ ، ٥٩٥ ، ٧٢٥ ، ٧٢٨ ، ٨٦٣ .
(١٠) – انظر مثلاً : ص ٥٧٧ ، ٧٠١ .
(١١) – انظر مثلاً : ص ٢٤٥ ، ٣٠٣ .
(١٢) – انظر مثلاً : ص٨٣٨ ، ٨٥٣ .

وتشمل موضوعات الأخلاق والآداب ، كالحديث عن النظافة واجتناب النجاسة [١] ، والرحمة [٢]، والاحترام [٣] ، والحياء [٤]، والوفاء [٥] .

٢ – التيسير ، ورفع الحرج [٦] .

٣ – العموم [٧] .

٤ – الكمال [٨] .

٥ – وفاؤها بحاجات المدعوين [٩] .

٦ – التوازن [١٠] .

٧ – العدل [١١] .

٨ – الوسطية [١٢] .

٩ – الاستمرار [١٣] .

---

(١) – انظر مثلاً : ص ٧٢٩ .
(٢) – انظر مثلاً : ص ٢٧٣ .
(٣) – انظر مثلاً : ص ٨٠ .
(٤) – انظر مثلاً : ص ٣٦٧ .
(٥) – انظر مثلاً : ص ١٦٣ .
(٦) – انظر مثلاً : ص١٧٩ ، ٢٦٠ ، ٣٤٤ ، ٤٠٠ ، ٤٥٩ ، ٦٥٢ ، ٦٩٨ ، ٧٥٦ ، ٧٦١ ، ٧٦٧، ٧٩٤ ، ٧٩٧ ، ٨٢٤ .
(٧) – انظر مثلاً : ص١٢٤ ، ٢٠٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ .
(٨) – انظر مثلاً : ص ٢٨٣ ، ٤٤٩ .
(٩) – انظر مثلاً : ص ٨٠٠ .
(١٠) – انظر مثلاً : ص ٥٨٩ .
(١١) – انظر مثلاً : ص ٢٢٧ .
(١٢) – انظر مثلاً : ص ٨٠٦ .
(١٣) – انظر مثلاً : ص ٩٨ ، ٤٠٦ .

وفي ختام هذا الفصل أؤكد على أن موضوعات الدعوة يجب أن تكون مما شرع لنا في هذا الدين ، وأن تُرتب في الأهمية والأولية بحسب ما جاء الشارع من ترتيب لها، وعند اختيار الموضوع هناك مجموعة من القواعد الدعوية ، والسمات والخصائص ، التي ينبغي للداعية معرفتها ومراعاتها .

الفصل الرابع

المنهج الدعوي المتعلق بالوسائل والأساليب

الفصل الرابع : المنهج الدعوي المتعلق بالوسائل والأساليب

تعريف الوسائل والأساليب :

أولاً - الوسائل :

في **اللغة** هي : مايُتوصل ويُتقرب به إلى الشئ ، توسل إلى ربه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل، وهي الواسلة، والواصلة، و القربى، وجمعها وسائل و وُسُل ، يقول الله ﷻ : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ [1]. [2]

وفي **الاصطلاح** : (مايتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية) [3] .

وقيل : (هي ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة من أشياء وأمور) [4] .

ومن خلال ما سبق توصل الباحث ، إلى **تعريف إجرائي** ليكون أساساً لتقسيم فوائد الأحاديث المتعلقة بـ (الوسائل) ، وهو :

(الأدوات المادية والمعنوية ، التي استخدمها الداعية في نشر الإسلام) .

وعلى ضوء هذا التعريف جرى استخلاص الفوائد المتعلقة بالوسائل على النحو الآتي :

---

(١) - سورة الإسراء ، الآية : ٥٧ .

(٢) - انظر: لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (وسلت) - ٤٨٣٨/٨ . والمصباح المنير ، للفيومي ، مادة (وسلت) ، ٦٦٠/٢ . والمعجم الوسيط ، لمجموعة من علماء اللغة ، مادة (وسل) ، ١٠٣٢/٢ .

(٣) - المدخل إلى علم الدعوة ، للدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني ، ص٢٨٢ ، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٤) - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ص١٢٦ ، الطبعة الثانية١٤١٣هـ ، ط مطبعة سفير ، الرياض .

الفائدة	الصفحة
١- أهمية إنزال الناس منازلهم، وتقديم الأكبر فالأكبر	٢٨٠
٢- أهمية اختلاط الداعية بالناس وبروزه لهم للتوجيه والإرشاد ، والاحتساب عليهم	٢٧٩ ، ٣٠٤ ، ٦٠٧ ، ٧٠٩ ، ٨٢٣
٣- أهمية اختيار الأوقات المناسبة للحفظ والمذاكرة	١٠٢ ، ٥٧٩
٤- أهمية استخدام اليدين للبيان والتوضيح	٢٧٨ ، ٣٢٤ ، ٤٢٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٧
٥- أهمية استغلال الداعية للفرص والمواقف،وربط الناس بالواقع والأمثلة الحية	٢٨٩ ، ٣٦٤ ، ٣٨٢ ، ٦٤٥ ، ٧١٨
٦- أهمية اصطحاب صغار السن لمجالس العلم والعبادة	٣٦٥ ، ٤٣٦ ، ٥٢٢
٧- أهمية الاستعانة بالوسائل المساعدة على إيصال الخطبة	٤٦٠
٨- أهمية الجهاد في سبيل الله ﷻ	٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢٤٨ ، ٨٥١ ، ٨٥٣
٩- أهمية القوة والمنعة والعشيرة للداعية	٨٦٣
١٠- أهمية القيام أثناء الوعظ والتذكير بعد الصلاة	٥٨٠
١١- أهمية النظر إلى المدعو أثناء الحديث معه	٦٠٣
١٢- أهمية الهجرة إلى الله ﷻ	٣٣٨
١٣- أهمية بناء المساجد وعمارتها ، وصيانتها	٣٨١ ، ٦٣٣ ، ٨١٨ ، ٨٤٤
١٤- أهمية تفريغ المدعو من الشواغل	٦٣
١٥- أهمية الدعاء ، للداعية إلى الله ﷻ .	١٩٢
١٦- أهمية زيارة الصالحين وأهل الفضل ومجالستهم	١٠٣
١٧- أهمية ضرب الموعد للتعليم وتحديده	٣٩٨
١٨- إجازة خبر الواحد الصدوق	٢٦٤
١٩- الإسراع بالصلاة عند خشية الشر	٥٧٦

الفائدة	الصفحة
٢٠- استحباب تجمل الداعية بالملابس ونحوها	٤٨٨
٢١- بذل الوسائل والأسباب من كمال الإيمان	٧٤ ، ٤٢٤ ، ٨٠٤ ، ٨٧٦
٢٢- توظيف الرؤى في الدعوة إلى الله ﷻ	١٩٤
٢٣- جلوس الداعية على مكان مرتفع أثناء التعليم، والتزام التؤدة والوقار والهيئة الحسنة	٩٠
٢٤- سماع القضية من صاحبها أوقع أثراً في زيادة فهم السامع	٨١
٢٥- قطع الصلة بالماضي السيء، وأثره في قوة الإيمان والإحساس بحلاوته	١٦٠
٢٦- من وسائل الدعوة : لبس الثياب الملائمة	٧٥٥
٢٧- مشروعية أخذ الحيطة في الأمور الشرعية	٧٠٥
٢٨- مشروعية استخدام بعض الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله	٧٩٠
٢٩- مشروعية الكتابة، وأهميتها في حفظ العلم	٣٧٤ ، ٥٦٠ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢
٣٠- من القواعد الدعوية : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح	٦١٣
٣١- من عوامل نجاح الخطابة : استخدام كل ما يساعد على إيصال الصوت، ومنع كل ما يؤثر على الإنصات لها	٣٨٧ ، ٥٠٨ ، ٥٦٥
٣٢- من فقه الدعوة : دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما	٤٢٦ ، ٨١٧
٣٣- من فقه الدعوة : إزالة المفاسد عند زوال الموانع	٨١٨
٣٤- من فقه الدعوة : الاستفادة من الوسائل المستخدمة لدى غير المسلمين إذا لم تتعارض مع الدين	٣٧٨

الفائدة	الصفحة
٣٥- من قواعد الدعوة : الإتيان بأعظم المصلحتين إذا لم يمكنا معاً	٢٥١ ، ٨٢٥
٣٦- من وسائل الدعوة : استقبال الوفود، وحسن إجازتهم	٥٧٣
٣٧- من وسائل الدعوة : الاستعانة بالأعوان	٣٢٦ ، ٥٩٩
٣٨- من وسائل الدعوة : بذل المال	٢١٣ ، ٣١٩ ، ٤٠٩
٣٩- من وسائل الدعوة : تفسير القرآن لغير الناطقين بالعربية	١٢٣
٤٠- من وسائل الدعوة : عيادة المرضى	٣٣٤ ، ٧٨٠
٤١- من وسائل الدعوة : ملاعبة الأطفال والدعاء لهم	٨٢٠
٤٢- من وسائل الدعوة : إكرام الضيف	٤٢٣
٤٣- من وسائل الدعوة : التطبيق العملي للموضوع	٩٦ ، ٦٥٩ ، ٧٠٠ ، ٧٦٠ ، ٨٦٨
٤٤- من وسائل الدعوة : إرسال الأبناء إلى أقاربهم الصالحين ، ومبيتهم عندهم	٥٨٦
٤٥- من وسائل الدعوة :تقديم الداعية بين يديه من يعرف به	٨١
٤٦- من وسائل الدعوة : تمكين الداعية بعض تلاميذه من رؤية بعض تصرفاته الخاصة	٦٩١ ، ٦٩٦
٤٧- من وسائل الدعوة مع النساء : الهجر في الفراش	٤٨٩
٤٨- من وسائل الدعوة مع الورثة ، تركهم أغنياء	٣٣٦
٤٩- من وسائل الدعوة :نزول الداعية في سفره على أقاربه	٢٦٢

الفائدة	الصفحة
٥٠- من وسائل الدعوة الرسائل والسفراء،وكيفية الكتابة لأهل الكتاب وغيرهم	١٢١
٥١- منهج التعامل مع الفتن الفرار منها، إذا لم يكن للإنسان أثر في الإصلاح، وإزالة الفتنة	١٧٣

وبعد هذا العرض العام للفوائد المتعلقة بالوسائل ، ومما سبق من التفصيل لها في القسم الأول من هذه الدراسة ، يصل الباحث إلى منهج دعوي يتعلق بالوسائل ، ويلخصه في الآتي :

أولاً - تنقسم الوسائل إلى قسمين ، وهما :

١ - الوسائل المادية [١]، وهي جميع الأدوات المحسوسة ، كالقول [٢] ، والعمل [٣] .

٢ - الوسائل المعنوية [٤] ، كالصلاة [٥] ، والدعاء [٦] ، والتخطيط

---

(١) - ويقصد بها ، الأشياء المحسوسة التي يستخدمها الإنسان في العملية الدعوية بصورة مباشرة ، فمثلاً وسيلة القول : هي عبارة عن أصوات وحروف محسوسة تصاغ بأساليب مختلفة ، تؤثر في المدعوين بشكل مباشر.

(٢) - انظر مثلاً : ص ٢٧٢ ، ٣٧٤ ، ٥٦٠ ، ٥٦٦ ، من هذا البحث .

(٣) - انظر مثلاً : ص ٩٦ ، ١٣٠ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٤٢٣ ، ٥٧٣ ، ٧٠٠ ، ٧٦٠ ، ٨٦٨ .

(٤) - ويقصد بها : الأدوات التي يستخدمها الداعية إلى الله ﷻ ، ويكون أثرها غير مباشر على المدعوين ، فمثلاً عندما يقوم الداعية بالصلاة ، قبل البدء بالدعوة لينصره الله ﷻ، ويعينه على المدعوين والتأثير فيهم ، فهي من هذا الجانب شيء معنوي لعدم الإحساس المباشر بأثرها .

(٥) - انظر مثلاً : ص ٥٧٦ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ١٩٣ .

والتنظيم [1] .

وأيضاً للوسائل تقسيم آخر ، وهو :

1 – الوسائل الأصلية : كالقول ، والعمل .

2 – الوسائل المساعدة : كالمنبر [2] ، ومكبر الصوت [3] . واللباس [4] ، واستغلال المواقف والفرص [5]، والنظر للمدعو أثناء الحديث معه [6]، وضرب الموعد وتحديده للموعظة والتعليم [7] .

ثانياً – استخدام الوسائل ، والسعي في تحصيلها وإتقانها ، لا يتعارض مع التوكل على الله ﷻ [8] .

ثالثاً – ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، عند اختيار الوسيلة مراعاة القواعد الآتية :

1 – أن الوسائل لها حكم الغايات ، فلذا لا بد من مشروعية الوسيلة [9] .

2 – درء المفاسد مقدم على جلب المصالح [10] .

3 – دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما [11] .

---

(1) – انظر مثلاً : ص102 ، 398 ، 579 ، 705

(2) – انظر مثلاً : ص 90 ، 508 .

(3) – انظر مثلاً : ص 387 ، 508 ، 565 .

(4) – انظر مثلاً : ص 488 .

(5) – انظر مثلاً : ص 290 ، 645 .

(6) – انظر مثلاً : ص 603 .

(7) – انظر مثلاً : ص 398 .

(8) – انظر مثلاً : ص 74 ، 804 ، 876 .

(9) – انظر مثلاً : ص 284 ، 378 .

(10) – انظر مثلاً : ص 613 .

(11) – انظر مثلاً : ص 426 ، 437 ، 817 ، 825 .

٤ – الإتيان بأعظم المصلحتين إذا لم يمكنا معاً [١] .

رابعاً - وفي ختام هذا الفصل : أؤكد على أن وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، كثيرة جداً ، وأنه يجوز للداعية إلى الله عز وجل ، استخدام كل وسيلة بشرط أن لا يرد مانع شرعي من استخدامها [٢] .

(١) – انظر مثلاً : ص ٢٥٢ ، ٨٢٥ .

(٢) – انظر مثلاً : ص ٣٧٨ ، ٧٩٠ .

ثانياً - الأساليب :

وهي في **اللغة** : الطريق ، والمذهب . يقال سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه ، وطريقة الكاتب في كتابته . والأسلوب هو الفن . يقال : أخذنا في أساليب من القول : فنون متنوعة . ويقال : هو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم . وجمع أسلوب : أساليب [١] .

وفي **الاصطلاح** : (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته) [٢] .

وقيل : (هي الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته) [٣] .

ومن خلال ما سبق توصل الباحث ، إلى **تعريف إجرائي** ليكون أساساً لتقسيم فوائد الأحاديث المتعلقة بـ (الأساليب) ، وهو :

(الطريقة التي سلكها الداعية في نشر الإسلام) .

وعلى ضوء هذا التعريف جرى استخلاص الفوائد المتعلقة بالأساليب على النحو الآتي :

الفائدة	الصفحة
١- أسلوب التأكيد على صحة نقل الكلام والرواية ، وأن خبر الجماعة أوقع من الواحد	١١٤
٢- أسلوب الترحيب بالمدعوين والدعاء لهم	٣٢١

---

(١) - انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (سلب) ، ٢٠٥٨/٤ . والمصباح المنير ، للفيومي ، مادة (سلب) ، ٢٢٨٤/١ . والمعجم الوسيط ، مادة (سلب) ، ٤٤١/١ .

(٢) - المدخل إلى علم الدعوة ، للدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني ، ص٢٤٢ .

(٣) - خصائص القرآن الكريم، للدكتور/ فهد بن عبدالرحمن الرومي ، ص١٨، الطبعة الثانية١٤٠٩هـ ، ط مكتبة الحرمين ، الرياض .

الفائدة	الصفحة
٣١-أهمية ربط الأحكام بعللها في الدعوة إلى الله ﷻ	٧٠٧ ، ٧٤١
٣٢-أهمية صمت الداعية بعد كل سؤال	٣٨٨
٣٣-أهمية مخاطبة الناس على قدر عقولهم	٦١٥
٣٤-أهمية منهج الردّ على الشبهات	٢٦٣
٣٥-الإجابة بأكثر من السؤال عند الحاجة	٦٣٤
٣٦-إلقاء السلام وأثره الدعوي بين المجتمع	١٤٧ ، ٥١٣
٣٧-استحباب تأنيس وتبشير من حصلت له مخافة،أو أمر أهمه وأشغله ، وذكر أسباب السلامة له	٧٩
٣٨-استحباب تقديم التمهيد والاعتذار لما يستحى منه	٦٢٦
٣٩-استخدام (لو) في التعليم	٤٢٥
٤٠-الانتقال من الرفق واللين إلى الشدة والقسوة للمصلحة	١٧٧ ، ٢٢٧ ، ٤٩٧
٤١-تحدث الداعية بما فيه من فضل للمصلحة الدعوية	١٨٠
٤٢- التزام الصحابة النصيحة لله ورسوله ﷺ	٦٨١
٤٣-التصريح ببعض الألفاظ التي يُستحى منها عند الحاجة	٦٤٢ ، ٧٤٧ ، ٨٣١
٤٤-جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة .	٩٧
٤٥-جواز رفع الصوت بالإنكار والتعليم	٣٥٨
٤٦-درجات تأديب طالب العلم عندما يخطئ	٤٢٨
٤٧-شدُّ انتباه المدعوين واستحضار أفكارهم وفهومهم بتأخير الجواب قليلاً	٣٥٢

الفائدة	الصفحة
٤٨-طرح الأسئلة لشدّ انتباه المدعوين	٣٢٤
٤٩-فوائد تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥٥
٥٠-مشروعية الغضب في الدعوة للمصلحة	٥٠٢ ، ٥٠٧
٥١-مشروعية المبالغة في الإنكار للمصلحة	٤١٩ ، ٦٨١
٥٢-من آداب الوعظ والتذكير البدء بالحمد والثناء على الله، ثم قول (أما بعد)	٤٧٤ ، ٥٤٦
٥٣- من أساليب الأنبياء في الدعوة إلى الله الوعظ	٣٩٥ ، ٤٢٣ ، ٤٩٨ ، ٥٢٣
٥٤-من أساليب الدعوة : استخدام العقل لتوضيح مبهم أو مشكل .	٦٢٨
٥٥-من أساليب الدعوة : الأذان للصلاة	٧٦٥
٥٦-من أساليب الدعوة : الترويح بالرجز والإنشاد	٨٤٦
٥٧-من أساليب الدعوة : التعليم	٥٧٥
٥٨-من أساليب الدعوة : الثناء على المدعو	٤٥٦ ، ٥٢٧
٥٩-من أساليب الدعوة : الجهر بالدعاء للتعليم	٦٦٥
٦٠-من أساليب الدعوة : المزاح والمداعبة	٤٤٠
٦١-من أساليب الدعوة : تأخير جزء من الجواب، للتشويق	٦٥٦
٦٢-من أساليب الدعوة : تحريك العاطفة الإيمانية وتهييجها لدى المدعوين	٥٤٦ ، ٨٦٩
٦٣-من أساليب الدعوة : تخفيظ المدعو والرفق به	٨٨٤
٦٤-من أساليب الدعوة : تفسير الرؤى وتوظيفها دعوياً	٤٥٤
٦٥-من أساليب الدعوة : ذكرُ الرؤيا إذا كان فيها فائدة وموعظة	٨٨٠

الفائدة	الصفحة
بألقابهم وتعظيمهم بما يستحقون	
٨١-من الأحوال التي يعدل فيها من الرفق إلى الشدة إقامة الحدود	٨٣٩
٨٢-من الأحوال التي يُعدل فيها من الرفق واللين، إلى الشدة والقسوة إذا اشتدَّ العناد والأذى من المدعوين	٨٦٢
٨٣-من الأدب اختيار الألفاظ الجميلة بدلاً مما يستحى منه	٦٢٨ ، ٦٥٠ ، ٦٦٣ ، ٦٦٥
٨٤-من الحكمة في الدعوة ذكر البديل	٦٧٠
٨٥- من الحكمة في الدعوة إلى الله إعراض الداعية أحياناًعن السائل للمصلحة	٤٧٩
٨٦-من فقه الإنكار على الأمراء وأصحاب السلطان التلطف معهم والرفق بهم	٥٤٤
٨٧- من فقه الدعوة عدم التصريح باسم المخطئ	٢٤١ ، ٣٥٩ ، ٤٩٨ ، ٦٧٣ ، ٨١٢

وبعد هذا العرض العام للفوائد المتعلقة بالأساليب ، ومما سبق من التفصيل لها في القسم الأول من هذه الدراسة ، يصل الباحث إلى منهج دعوي يتعلق بالأساليب ، ويلخصه في الآتي :

أولاً - كثرة الأساليب وتعددها وتنوعها ، وهي في مجملها تعود إلى ثلاث مجموعات ، وهي :

١ – مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان ، و التي بمجموعها

تمثل المنهج العاطفي، كأسلوب الوعظ والتذكير [(١)]، وأسلوب الترغيب والترهيب[(٢)]، وأسلوب تحريك العاطفة الإيمانية وتهييجها[(٣)]، وأسلوب الدعاء للمدعو [(٤)] .

٢ - مجموعة الأساليب التي تدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار ، والتي بمجموعها تمثل المنهج العقلي، كأسلوب المقارنة بين الحسن والقبيح [(٥)] ، وأسلوب التشبيه [(٦)]، وأسلوب المناظرة [(٧)] ، وأسلوب التوضيح والتعليل العقلي [(٨)] ، وأسلوب الرد على الشبهات [(٩)] .

٣ - مجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب الإنسانية ، والتي بمجموعها تمثل المنهج الحسي ، كأسلوب القدوة الحسنة [(١٠)] ، وأسلوب ذكر الداعية تجاربه وما يظهر عليه [(١١)] ، وأسلوب تحفيظ

---

(١) - انظر مثلاً : ص ٣٩٥ ، ٤٢٣ ، ٤٩٨ ، ٥٢٣ .

(٢) - انظر مثلاً : ص ١٠٣ ، ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ٢٢٠ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩٣ ، ٤٠٥ ، ٥١٦ ، ٦٤٦ ، ٧٠١ ، ٧٠٩ ، ٨١١ ، ٨٨٥ .

(٣) - انظر مثلاً : ص ٥٤٦ ، ٨٦٩ .

(٤) - انظر مثلاً : ص ٣٣٤ ، ٣٤٧ ، ٤٣٢ ، ٧٧٤ ، ٨٢٠ .

(٥) - انظر مثلاً : ص ٨٢٤ ، ٨٥٦ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ٧١ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٣١٣ ، ٣٦٠ ، ٤٥٥ ، ٦٤٦ ، ٧٤٥ ، ٧٨٩ ، ٨٥٢ ، ٨٧٠ .

(٧) - انظر مثلاً : ص ١٣١ ، ٤١٨ ، ٥٤٢ ، ٥٤٧ ، ٨٤١ .

(٨) - انظر مثلاً : ص ٦٢٨ ، ٧٠٧ ، ٧٤١ .

(٩) - انظر مثلاً : ص ٢٦٤ .

(١٠) - انظر مثلاً : ص ١١٨ ،١٣٠، ٢٢١ ، ٢٠٧ ، ٥٨٨ ، ٦٥٤ ، ٦٧٤ ، ٦٩٨ ، ٧١٢ ، ٧٦٦ ، ٧٩٣ ، ٧٩٥ ، ٧٩٧ ، ٨٠٠ ، ٨٠٩ ، ٨٠٥ .

(١١) - انظر مثلاً : ص ١٨٠ ، ٥٩٣ .

المدعو [١] ، وأسلوب الإحسان للمدعوين ومساعدتهم [٢] .

٤ - الأساليب العامة ، والتي تشمل الأساليب السابقة ، أو بعضها ، كأسلوب الخطابة [٣]، وأسلوب القصص [٤] ، وأسلوب التعليم [٥] ، وأسلوب السؤال والجواب [٦] .

ثانياً - لكثرة الأساليب وتنوعها ؛ ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، اختيار الأسلوب المناسب للمدعوين وذلك بالنظر إلى حالهم وزمانهم ومكانهم ، فمثلاً نجد أن رسول الله ﷺ ، يستخدم أسلوب الرفق واللين في بعض المواقف [٧] ، وفي مواقف أخرى يستعمل الشدة والقسوة ، وذلك لحاجة المدعو في هذه الحال لمثل هذا الأسلوب [٨].

ثالثاً - ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، التنويع بين هذه الأساليب وطرحها ، وذلك لأن المدعو فيه ثلاث ركائز ، وهي : العاطفة والعقل والإحساس ، فالداعية الموفق الذي يستخدم الأساليب التي تشبع الركائز الثلاث بشكل متوازن ومتناسق .

رابعاً - هناك بعض الأساليب التي كثر استخدامها في سنة رسول الله ﷺ ، مما يؤكد على أهميتها ، وذلك مثل :

---

(١) - انظر مثلاً : ص ٨٨٤ .

(٢) - انظر مثلاً : ص ٢٢٦ ، ٣٢٩ .

(٣) - انظر مثلاً : ص ٥٠ ، ٣٤٦ ، ٤٠٤ ، ٥٠٧ ، ٥٥٩ ، ٧٩١ .

(٤) - انظر مثلاً : ص ٣٨١ ، ٧٣٢ .

(٥) - انظر مثلاً : ص ٥٧٥ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ٦٠ ، ١٤٥ ، ١٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٥٣ ، ٣٧١ ، ٣٨٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢، ٥٠٠، ٥٤٠ ، ٥٦٠ ، ٦٠٣، ٦١٣ ، ٦٣٠ ، ٦٣٧ ، ٦٤٢ ، ٧١٣ ، ٧٣٥ ، ٧٤٨ ، ٧٨١، ٨٠٨، ٨٢٩ ، ٨٣١ ، ٨٤٩ ، ٨٧٤ .

(٧) - انظر مثلاً : ص ٢٢٦ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٥٤٤ ، ٨٨٤ .

(٨) - انظر مثلاً : ص ١٧٨ ، ٢٢٨ ، ٤٩٧ ، ٨٣٩ ، ٨٦٢ .

١ - أسلوب الترغيب والترهيب [١] .

٢ - أسلوب التشبيه [٢] .

٣ - أسلوب ضرب المثل [٣] .

٤ - أسلوب الرقم والترقيم [٤] .

٥ - أسلوب القسم [٥] .

٦ - أسلوب السؤال والجواب [٦] .

٧ - أسلوب ربط الأحكام بأدلتها الشرعية [٧] .

وفي ختام هذا الفصل أؤكد على أن أساليب الدعوة إلى الله ﷻ ، كثيرة جداً ، فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، عند اختيار بعض هذه الأساليب أن تكون مما لم يرد مانع شرعي من استخدامها ، و أن يكون حكيماً في اختيار الأسلوب المناسب للمدعوين ، كما ينبغي له التنويع بين هذه الأساليب وطرحها .

---

(١) - انظر مثلاً : ص ١٠٣ ، ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ٢٢٠ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩٣ ، ٤٠٥ ، ٥١٦ ، ٦٤٦ ، ٧٠١ ، ٧٠٩ ، ٨١١ ، ٨٨٥ .

(٢) - انظر مثلاً : ص ١٠٣ ، ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ٢٢٠ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩٣ ، ٤٠٥ ، ٥١٦ ، ٦٤٦ ، ٧٠١ ، ٧٠٩ ، ٨١١ ، ٨٨٥ .

(٣) - انظر مثلاً : ص ٦١ ، ٢٥١ ، ٢٩٢ ، ٣١٣ ، ٣٦٦ ، ٣٩٠ ٤٢٥ ، ٤٤٥ .

(٤) - انظر مثلاً : ص١٣٤ ، ١٥٩ ، ٢٤٢ ، ٣٢٣ ، ٥١٥ .

(٥) - انظر مثلاً : ص ١٥٢ ، ٢١٧ ، ٣٧٠ ، ٢٥٢ ، ٢٧٢ ٣٤٧ ، ٥٥٩، ٧٦٠ .

(٦) - انظر مثلاً : ص ٦٠ ، ١٤٥ ، ١٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٥٣ ، ٣٧١ ، ٣٨٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢، ٥٠٠، ٥٤٠ ، ٥٦٠ ، ٦٠٣ ، ٦١٣، ٦٣٠ ، ٦٣٧ ، ٦٤٢ ، ٧١٣ ، ٧٣٥ ، ٧٤٨ ، ٧٨١، ٨٠٨، ٨٢٩ ٨٣١ ، ٨٤٩ ، ٨٧٤ .

(٧) - انظر مثلاً : ص ٢٣٣، ٥٤٥ ، ٦٦٠، ٧١٠ ، ٧١٤، ٧٤٧ ٧٤٩ ، ٧٦١ ، ٨٣٢ .


الخاتمة

الخاتمة

بعد أن منَّ الله ﷻ ، بإكمال هذا البحث على الصورة التي تم بها ، فإنه لا يسعني في ختامه إلا أن أتوجه بالشكر لخالقي ﷻ الذي يسر لي معايشة أصح كتاب بعد كتابه العزيز ، وهو صحيح الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - ومعايشة شروحه العظيمة لأئمة الدين وعلماء الأمة من سلفنا الصالح .

كما أسأل الله ﷻ ، أن يجعل العمل العلمي الذي أنجز خلال هذه المعايشة خالصاً لوجهه الكريم ، ونافعاً للإسلام والمسلمين .

هذا وقد **تجلى في هذا البحث عدة أمور** ، ألخصها في الآتي :

١ - أهمية السنة النبوية لتأصيل علم الدعوة ، وخاصة: صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم - رحمهما الله تعالى - وذلك لإجماع الأمة على صحة وقبول ما فيهما . (١)

٢ - وضوح منهج الرسول ﷺ ، في الدعوة إلى الله ﷻ ، وتطبيقه له في حياته الدعوية التي استمرت ثلاثاً وعشرين سنة ، مما يؤكد على أهمية التزام الدعاة إلى الله ﷻ ، بمنهجه واقتفاء أثره ، والسير على سبيله ، يقول الله ﷻ : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (٢) .

٣ - وجود الحل والعلاج في سنة رسول الله ﷺ ، الصحيحة الثابتة عنه ، لجميع القضايا التي قد يحدث فيها نزاع واختلاف بين الدعاة إلى الله ﷻ .

٤ - عمق فهم سلفنا الصالح لأحاديث رسول الله ﷺ ، ومبادرتهم إلى تطبيقها والعمل بها ، والدعوة إليها ، مما يؤكد على أهمية التمسك بهذا الفهم ، والاقتداء بهذا المنهج ، والسير على خطاه .

---

(١) - انظر : مقدمة شرح النووي على صحيح مسلم، ص١٤. واختصار علوم الحديث، لأبي الفداء ابن كثير، مع شرحه الباعث الحثيث، لأحمد شاكر، ص٢٢ .

(٢) - سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

٥ – أهمية ومكانة **الداعية** في حلقة العملية الدعوية ، وأنه هو الشخص المؤثر في المجهود الدعوي ، فعلى قدر فقهه وفهمه ووعيه وصفاته، كثيراً ما يرتبط نجاح الدعوة وفشلها، وأن عليه مسؤولية كبيرة في البيان والإيضاح للناس.

٦ – كل مسلم: داعية إلى الله ﷻ، يُبلغ هذا الدين على قدر استطاعته وعلمه، ومن خلال ذلك ينبغي له أن يمر بمرحلة من الإعداد النفسي والروحي والبدني ، التي من خلالها يزداد رسوخاً وتقدماً في تبليغ هذا الدين ونشره بين الناس ، وكذلك هو مطالب بمجموعة من الصفات والأخلاق، التي بها ينجح في دعوته ويؤثر في المدعوين.

٧ – أهمية ومكانة **المدعو** في حلقة العملية الدعوية ، وأنه قطبها ومحورها الذي ترتكز عليه ، وهو هدفها وغايتها ، وأن عليه مسؤولية كبيرة في البحث عن الحق وطلبه ، والعمل به متى ماستبان له .

٨ – المدعوون هم : جميع الخلق من الجن والإنس، في كل زمان ومكان ، وأنهم أصناف كثيرة ، ولهم سمات ، وأحوال وظروف مختلفة ، وهم في قبول هذا الدين ما بين سريع الاستجابة والتأثر بالدعوة ، والعمل بها ، وبين المعرض عنها ، الذي يكيد للدعوة وصاحبها .

٩ – إن موضوعات الدعوة كثيرة جداً ، وعند اختيار الداعية لواحد منها يجب عليه مراعاة الآتي :

أ – أن تُرتب في الأهمية والأولية بحسب ما جاء الشارع من ترتيب لها .

ب – مراعاة القواعد الدعوية، والسمات والخصائص التي تُميز هذا الدين عن غيره .

١٠ – إن وسائل الدعوة إلى الله ﷻ ، كثيرة جداً ، وأنه يجوز للداعية إلى الله ﷻ ، استخدام كل وسيلة بشرط أن لا يرد مانع شرعي من استخدامها .

١١ – إن أساليب الدعوة إلى الله ﷻ ، كثيرة جداً ، فلذا ينبغي للداعية إلى الله ﷻ ، عند اختيار بعض هذه الأساليب أن تكون مما لم يرد مانع شرعي من استخدامها ، و أن يكون حكيماً في اختيار الأسلوب المناسب

للمدعوين ، كما ينبغي له التنويع بين هذه الأساليب وطرحها .

التوصيات :

١ - أوصي نفسي وأخواني العاملين في مجال الدعوة إلى الله ﷻ ، بالتمسك بكتاب الله ﷻ ، وسنة رسوله ﷺ ، وذلك على فهم سلفنا الصالح من خير القرون ، ومن تبعهم بإحسان من الأئمة أعلام الدين .

٢ - الالتزام برد التنازع في فيما يقع من خلاف إلى كتاب الله ﷻ ، وسنة رسوله ﷺ ، كما أمر الله ﷻ في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [1] .

٣ - أوصي بتدريس هذا الموضوع في كليات الدعوة ، والأقسام العلمية ذات التخصصات الشرعية، وذلك إما أن يكون على شكل مادة مستقلة بعنوان: (**فقه الدعوة في صحيحي الإمامين : البخاري، ومسلم**) . أو من خلال بعض المواد الشرعية المناسبة .

وأخيراً فإن هذا البحث ما كان فيه من صواب فمن الله ﷻ ، وحده وهو المحمود عليه ، وما فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان . والله ﷻ ، المسؤول أن يتقبل الصالحات ، وأن يغفر الزلات والهفوات ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) - سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

قائمة المراجع :

١ – القرآن الكريم .

٢ – أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ، للإمام أبي سليمان الخطابي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، ط جامعة أم القرى .

٣ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبدا لله بن عمر البيضاوي ،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.

٤ – إحكام الأحكام شرح عدة الأحكام ، لتقي الدين ابن دقيق العيد ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ، ط دار عالم الكتب، بيروت.

٥ – الإحكام في أصول الأحكام ، لسيف الدين علي بن محمد الآمدي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦ – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، لشهاب الدين أحمد القسطلاني، الطبعة السادسة ١٣٠٤هـ ، ط المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، مصر .

٧ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، من دون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار المصحف، القاهرة.

٨ – الإصابة في تمييز الصحابة ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ، ط مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

٩ – إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ، ط دار الفكر، بيروت .

١٠ – الإفصاح عن معاني الصحاح ، للوزير العالم ابن هبيرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، ط رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بقطر .

١١ – إكمال إكمال المعلم ، لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢ – الإمام البخاري وصحيحه ، للدكتور / عبدالغني عبدالخالق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، طبع دار المنارة السعودية بجدة .

١٣ – الإمام البخاري وصحيحيه الجامع ، لأحمد فريد ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار الدعوة السلفية ، الاسكندرية.

١٤ – أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، للدكتور/حمد بن ناصر العمار ، الطبعة الأولى١٤١٦هـ ، ط مركز الدراسات والإعلام ، دار إشبيليا ، الرياض .

١٥ – الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي،الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ط دار قتيبة، بيروت، ودار الوعى القاهرة.

١٦ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر ابن عبد البر النمري الأندلسي ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، ط مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

١٧ – الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، لأحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ط دار الكتب العلمية ببيروت.

١٨ – البحث العلمي ومناهجه النظرية – رؤية إسلامية – د/سعد الدين السيد صالح ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ، ط مكتبة الصحابة جدة .

١٩ – البداية والنهاية ، للحافظ أبي الفداء ابن كثير ، بدون تاريخ ورقم الطبعة ، ط مكتبة المعارف ببيروت .

٢٠ – بذل المجهود في حل أبي داود ، لخليل أحمد السهارنفوري ، بدون تاريخ ورقم الطبعة ، ط دار اللواء الرياض .

٢١ – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز آبادي ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، ط دار النهضة ، القاهرة .

٢٢ – بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني ، لأحمد عبدالرحمن البنا ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٣ – بهجة الناظرين ، شرح رياض الصالحين ، لسليم بن عيد الهلالي ، الطبعة

الأولى١٤١٥هـ ، ط دار ابن الجوزي ، الدمام .

٢٤ - بهجة النفوس ، لابن أبي جمرة ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٥ - البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، للشريف إبراهيم محمد بن كمال الدين، المعروف بابن حمزة، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ ، ط المكتبة العلمية ، بيروت .

٢٦ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، ط دار الكتاب العربي بيروت .

٢٧ - تاريخ الخلفاء ، لجلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٨ - تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ط دار العاصمة ، الرياض.

٢٩ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، لمحمد المباركفوري ، الطبعة الثالث عشرة ١٤٠٧هـ ، ط مكتبة ابن تيمية القاهرة .

٣٠ - تراجم البخاري ، للقاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر .

٣١ - تغليق التعليق على صحيح البخار ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٣٢ - تفسير ابن كثير ، للحافظ أبي الفداء ابن كثير ، تاريخ الطبع ١٤٠٧هـ، ط دار الفكر ببيروت .

٣٣ - تفسير التحرير والتنوير ، للطاهر ابن عاشور ، بدون تاريخ الطبعة ، ولا مكانها .

٣٤ – تفسير غريب ما في الصحيحين ، لمحمد بن أبي نصر الحميدي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ط مكتبة السنة ، القاهرة .

٣٥ – تقريب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،

٣٦ – تقريب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، ط دار الرشيد ، حلب .

٣٧ – تنوير الحوالك شرح على موطأ الإمام مالك ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار الندوة الجديدة ، بيروت.

٣٨ – تهذيب الأسماء واللغات ، للحافظ أبي زكريا محيي الدين النووي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة .

٣٩ – تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ ، ط دار الفكر ، بيروت .

٤٠ – توجيه القاري إلى القواعد والفوائد الأصولية والحديثية والإسنادية في فتح الباري ، لحافظ ثناء الله الزاهدي ، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ ، ط جامعة العلوم الأثرية ، باكستان .

٤١ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي ، طبعة ١٤٠٨هـ ، طبع دار المدني .

٤٢ – جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، طبعة ١٣٩٣هـ ، ط مكتبة الحلواني ، ومطبعة الملاح ، ومكتبة دار البيان.

٤٣ – الجامع الصحيح،لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، ت كمال يوسف الحوت،بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الكتب العلمية، بيروت .

٤٤ – الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، لمحمد ابن إسماعيل البخاري ، تحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز ، طبعة١٤١٤هـ ، ط دار الفكر ، بيروت ، والمكتبة التجارية ، مكة .

٤٥ – الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد ابن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة١٤١٤هـ ط دار ابن كثير ، بيروت .

٤٦ – جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، ط دار الفرقان ، الأردن .

٤٧ – جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي ، بدون تاريخ ورقم الطبعة، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٨ – الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار الشام للتراث ، بيروت .

٤٩ – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، طبع ١٤٠٣هـ ، ط المعارف ، الرياض .

٥٠ – جريدة مرآة الجامعة ، التي تصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد رقم ٢٠١ ، بتاريخ ١٤١٦/٦/١٣هـ .

٥١ – جواهر البخاري شرح الإمام ابن حجر العسقلاني ، اختيار وتعليق عبدالعزيز عز الدين السيروان ، وبهيج عبد القادر غزاوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، ط دار إحياء العلوم ، بيروت .

٥٢ – حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، للشيخ عبدالرحمن بن قاسم ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .

٥٣ – الحسبة في الإسلام ، ص٤٥ ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط مكتبة الرياض .

٥٤ – الحطة في ذكر الصحاح الستة ، لأبي الطيب السيد صديق حسن القنوجي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٥ – الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الطبعة الثانية١٤١٣هـ ، ط مطبعة سفير ، الرياض .

٥٦ – حياة البخاري ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى١٤١٢هـ ، ، ط دار النفائس، بيروت .

٥٧ – خصائص القرآن الكريم، للدكتور/ فهد بن عبدالرحمن الرومي ، ص١٨، الطبعة الثانية١٤٠٩هـ ، ط مكتبة الحرمين ، الرياض .

٥٨ – دروس وفتاوى في الحرم المكي للشيخ / محمد بن صالح بن عثيمين ، إعداد بهاء الدين آل دحروج ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ط مكتبة شمس، الرياض .

٥٩ – دعوة إلى السنة ، للدكتور/ عبدالله الرحيلي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ط دار القلم ، بيروت .

٦٠ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، طبعة ١٤٠٨هـ ، ط دار الفكر بيروت .

٦١ – زاد المعاد في هدي خير العباد ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، ابن قيم الجوزية ، الطبعة الخامس عشر ١٤٠٧هـ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٦٢ – سبل السلام شرح بلوغ المرام ، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت

٦٣ – سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٦٤ – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، للدكتور / مصطفى السباعي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٦٥ – سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار ابن كثير ، بيروت .

٦٦ – سنن ابن ماجة ، للحافظ أبي عبد الله بن يزيد القزويني ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ ورقم الطبعة ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٧ – سنن النسائي، للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، ط دار البشائر ، لبنان .

٦٨ – سير أعلام النبلاء ، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، الطبعة الرابعة ، طبع مؤسسة الرسالة .

٦٩ – سيرة الإمام البخاري ، لعبد السلام المباركفوري ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ، ط الدار السلفية ، بومباي ، الهند .

٧٠ – سيرة الرسول ﷺ ، لمحمد عزة دروزة ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط إدارة إحياء التراث العربي ، قطر .

٧١ – الشباب والمزاح ، لعادل بن محمد العبدالعالي ، الطبعة الأولى١٤١٢ هـ، ط دار المنار ، الخرج .

٧٢ – شرح البدخشي لمنهاج الوصول في علم الأصول (للقاضي البيضاوي)، لمحمد بن الحسن البدخشي ، بدون تأريخ طبع ، ط مطبعة محمد علي صبيح ، مصر .

٧٣ – شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، لسيدي محمد الزرقاني ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار الفكر ، بيروت.

٧٤ – شرح السنة ، للإمام الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، و محمد زهير الشاويش ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت.

٧٥ – شرح السندي على سنن النسائي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، ط دار البشائر بيروت .

٧٦ – شرح السيوطي على سنن النسائي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، ط دار البشائر ، لبنان .

٧٧ – شرح الطّيبي على مشكاة المصابيح ، لشرف الدين الحسين بن عبدالله ابن محمد الطيبي ، تحقيق / د – عبدالحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ط مكتبة زار مصطفى الباز ، مكه المكرمه .

٧٨ – شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٧٩ – شرح القواعد الفقهية ، لأحمد الزرقاء ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ، ط دار القلم ، دمشق .

٨٠ – شرح المختار من صحيح مسلم بن الحجاج ، محمد بن محمد أبو شهبة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ط مكتبة العلم ، القاهرة .

٨١ – الشرح الممتع على زاد المستقنع ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، الطبعة الأولى ، ط مؤسسة آسام ، الرياض .

٨٢ – شرح تراجم أبواب صحيح البخاري ، لأحمد عبد الرحيم الدهلوي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد .

٨٣ – شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، للعلامة محمد السفاريني الحنبلي ، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٨٤ – شرح رياض الصالحين ، لمحمد بن صالح العثيمين ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ط دار الوطن ، الرياض .

٨٥ – شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، لعبدالله الغنيمان ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ، ط مكتبة لينه مصر ، دمنهور .

٨٦ – شرح معاني الآثار ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، تحقيق محمد زهري النجار ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت .

٨٧ – الشمائل المحمدية، للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي ، تحقيق محمد عفيف الزعبي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ، ط دار المطبوعات الحديثة ، جدة .

٨٨ – صحيح ابن خزيمة ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٨٩ – صحيح سنن أبي داود ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٩٠ – صحيح سنن ابن ماجة ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٩١ – صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٩٢ – صحيح سنن النسائي ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٩٣ – ضعيف سنن أبي داود ، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

٩٤ – ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ، ط دار القلم دمشق .

٩٥ – عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، لمحمد بن عبد الله ، ابن العربي المعافري ، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار ، طبع ١٤١٥هـ ، ط دار الفكر بيروت .

٩٦ – عشرون حديثاً من صحيح البخاري ، (دراسة أسانيدها وشرح متونها) ، لعبد المحسن بن حمد العباد ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ ، ط مطابع الرشيد ، المدينة المنورة .

٩٧ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، لبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ، بدون تاريخ ورقم الطبعة ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٩٨ – عون الباري لحل أدلة البخاري ، لصديق حسن القنوجي البخاري ، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ ، ط المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة .

٩٩ – عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد العظيم آبادي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، ط دار الكتب العلمية بيروت .

١٠٠ – غريب الحديث ، لأبي عبيد الهروي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠١ – الفتاوى ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، بدون تاريخ ورقم الطبعة ، طبع مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب .

١٠٢ – فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب : الشيخ/ أحمد عبدالرزاق الدويش ، الطبعة الأولى١٤١١هـ .

١٠٣ – فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ص٥٠١ ، طبع المكتبة السلفية ، القاهرة .

١٠٤ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ زين الدين أبي الفرج ابن رجب الحنبلي ، تحقيق جماعة من العلماء ، الطبعة الأولى١٤١٧هـ ، ط مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة .

١٠٥ – فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي ، لعبد الله حجازي الشرقاوي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار المعرفة ، بيروت .

١٠٦ – فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، بدون رقم الطبعة أو تاريخها ، ط مكتبة ابن تيمية ، القاهرة.

١٠٧ – فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ، لابن عثيمين ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ط دار المسلم ، الرياض .

١٠٨ – فصول في الدعوة الإسلامية ، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ ، طبع دار الثقافة، قطر، الدوحة.

١٠٩ – فقه الإمام البخاري من جامعه الصحيح ، إعداد الدكتور/ نزار عبدالكريم بن سلطان الحمداني ، طبع ١٤١٢هـ ، ط مركز بحوث الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

١١٠ – فيض الباري مختصر شرح صحيح البخاري للإمام النووي ، اختصار محمد بن ياسين بن عبد الله ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط المكتبة التجارية ، مكة المكرمة .

١١١ – فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق أحمد عبد السلام ، الطبعة الأولى١٤١٥هـ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٢ – قرة العينين في أطراف الصحيحين، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ط دار الحديث ، القاهرة .

١١٣ – القول المفيد على كتاب التوحيد ، لمحمد بن صالح العثيمين ، الطبعة

الأولى ١٤١٥هـ ، ط دار العاصمة ، الرياض .

١١٤ – الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، لشمس الدين محمد ابن يوسف بن علي الكرماني البغدادي ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١١٥ – لسان العرب ، لابن منظور ، ط دار المعارف ، بيروت .

١١٦ – ما تمس إليه حاجة القاري لصحيح الإمام البخاري، للحافظ أبي زكريا محيي الدين النووي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٧ – المتواري على تراجم البخاري، لناصر الدين أحمد بن محمد، المعروف بـ (ابن المنير) ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، ط مكتبة المعلا ، الكويت .

١١٨ – المدخل إلى علم الدعوة ، للدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني ، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١١٩ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للملا علي القاري، تحقيق صدقي محمد جميل العطار ، ط ١٤١٤هـ ، دار الفكر ، بيروت .

١٢٠ – المسجد ودوره في التربية والتوجيه وعلاقته بالمؤسسات الدعوية في المجتمع ، للدكتور / صالح بن غانم السدلان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ط دار بلنسية ، الرياض .

١٢١ – المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، الطبعة الأولى١٤١٣هـ ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت .

١٢٢ – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد الفيومي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط المكتبة العلمية ببيروت .

١٢٣ – معالم السنن شرح سنن أبي داود ، لأبي سليمان حمد بن محمد لخطابي البستي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٢٤ – معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، الطبعة الأولى١٤١٠ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢٥ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ومجموعة من المستشرقين ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار الدعوة، استانبول .

١٢٦ – المعجم الوسيط ، لمجموعة من علماء اللغة ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الدعوة ، استانبول.

١٢٧ – مفتاح السنة ، محمد عبدالعزيز الخولي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ ، ط دار الكتب العلمية ببيروت .

١٢٨ – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ، تحقيق محيي الدين مستو ومجموعة من العلماء ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، ط دار ابن كثير ، ودار الكلم الطيب ، دمشق .

١٢٩ – مكانة الصحيحين ، لخليل إبراهيم ملا خاطر ، الطبعة الثانية ١٤١٥ ، ط دار القبلة للثقافة الإسلامية .

١٣٠ – مكمل إكمال الإكمال ، لمحمد بن محمد السنوسي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٣١ – من أسرار البيان النبوي ، للدكتور/ أحمد محمد علي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، ط دار الصحوة ، القاهرة .

١٣٢ – من صفات الداعية اللين والرفق ، للدكتور/ فضل إلهي ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ، ط إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان .

١٣٣ – منار القاري في شرح مختصر البخاري ، لحمزة محمد قاسم ، مراجعة عبد القادر الأرناؤوط، طبع ١٤١٠هـ ، ط مكتبة المؤيد ، الطائف .

١٣٤ – منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، تحقيق د/محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، ط جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية .

١٣٥ - المنهل العذب الفرات من الأحاديث الأمهات من صحيح الإمام البخاري ، للدكتور عبد العال أحمد عبد العال ، طبع١٤١٠هـ ، ط المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

١٣٦ - الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها ، ط دار الحديث ، القاهرة .

١٣٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري ، ابن الأثير ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط أنصار السنة المحمدية، باكستان .

١٣٨ - نيل الأوطار، لمحمد بن إسماعيل الشوكاني، طبعة ١٩٧٣، ط دار الفكر ، بيروت .

١٣٩ - هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري ، لعبد الرحيم عنبر الطهطاوي ، الطبعة الثالثة١٣٥٣ ، ط دار المعرفة ، بيروت .

١٤٠ - الوابل الصيب في الكلم الطيب - ضمن مجموعة الحديث النجدية لمحمد رشيد رضا - لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، ابن قيم الجوزية ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ .

المراجع الشخصية :

١ - فضيلة الشيخ / أ . د - صالح بن غانم السدلان ، الأستاذ بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢ - فضيلة الشيخ / د - سعود بن محمد البشر ، الأستاذ المشارك بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٣ - فضيلة الشيخ / د - فضل إلهي بن ظهور شيخ إلهي ، الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الفهارس

فهرس الآيات

السورة	الآية ورقمها	الصفحة
آل عمران	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ ١٥٦	٤٢٥
آل عمران	﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . . ﴾ ١٥٩	٣٥٥ ، ٨٣٩ ٨٦٢
آل عمران	﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ ١٧٩	١٧٣
آل عمران	﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ ١٨٧	٣٩٠
آل عمران	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ ١٩٠	٥٨٤
النساء	﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً . . ﴾ ١	٢
النساء	﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾ ١١	٧٧٨
النساء	﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾ ٣٤	٤٩٠
النساء	﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ ٤٠	١٨٧
النساء	﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ ٤٨	٢٣٧
النساء	﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ ٥٩	٦ ، ١١، ١٥٥ ٦٧٣

الصفحة	الآية ورقمها	السورة
٢٩٣،٢٣٦ ٥٣٢	﴿ ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ ٨٣	النساء
٢١٥	﴿ ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفلٌ منها وكان الله على كل شيء مقيتا ﴾ ٨٥	النساء
٣٩٦	﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً ﴾ ١٤٧	النساء
٢٨٣ ,٢٨١	﴿ اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ٣	المائدة
٧٤٢	﴿ يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين ﴾ ٤	المائدة
٧٥٦	﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا ﴾ ٦	المائدة
٧٥٨	﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ ٦	المائدة
٧٤٣	﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ ٦	المائدة
٢٥٩	﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ ٦	المائدة
٥٤٧	﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ ٢٣	المائدة
٨٤٠	﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا ﴾ ٣٣	المائدة
١٧٤	﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ﴾ ٤١	المائدة
٥٠٦ ، ٥٠٤ ٥٤١ ، ٥٠٧	﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ ١٠١	المائدة
٨٦١	﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ﴾ ١٠	الأنعام

السورة	الآية ورقمها	الصفحة
الأنعام	﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته ﴾ ٢١	٥٥٣
الأنعام	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ٨٢	٣٧ ، ٢٣٤
الأنعام	﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ ١٠٨	٣١٥
الأنعام	﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ ١١٥	٢٨٢
الأنعام	﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ ١٥٨	٤٦٥, ٤٦٦
الأنعام	﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له . . ﴾ ١٦٢ ، ١٦٢	٨٨٤
الأعراف	﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ ٢٦	١٩٦
الأعراف	﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ ٣١	٧٢٠
الأعراف	﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ ٦٨	٣٤٧
الأعراف	﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً . . ﴾ ٧٤	٣٩٦
الأعراف	﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ ٧٩	٣٤٧
الأعراف	﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ ٩٩	٦٢٣
الأعراف	﴿ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ﴾ ١٥٥	١٧٤
الأنفال	﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ٢٥	١٧٣
الأنفال	﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة ﴾ ٤٢	٤٤٨
الأنفال	﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ ٤٦	٧١٨
التوبة	﴿ وأذان من الله ورسوله ﴾ ٣	٧

الصفحة	الآية ورقمها	السورة
٢٠٠ ، ٢٠١ ٢٠٤	﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ ٥	التوبة
٢٠١	﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ ١١	التوبة
١٣٥	﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ ٢٤	التوبة
٢٠٢	﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ ٢٩	التوبة
٢١٤	﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ ٦٠	التوبة
٤٤١	﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ٦٥،٦٦	التوبة
٥٠٢	﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ ٧٣	التوبة
٣٤٠, ٣٤٢	﴿ إذا نصحوا لله ورسوله ﴾ ٩١	التوبة
٦٥٥	﴿ والله يحب المطهرين ﴾ ١٠٨	التوبة
٣	﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ ١٢٢	التوبة
٣٩٦	﴿ يا أيها الناسُ قد جاءتْكُم موعظةٌ من رَبِّكم وشفاءٌ لما في الصُدورِ وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ ٥٧	يونس
٥٢٨	﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ٥٠،٦١،٨٤	هود
٨٤	﴿ لو أنَّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ ٨٠	هود

الصفحة	الآية ورقمها	السورة
٤٤٨	﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ ١١٨، ١١٩	هود
٧٣٢	﴿ وكلاًّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ ١٢٠	هود
٤، ٦، ١٠، ٥١، ٨٤، ٩٠، ١٠٨، ١٥٣، ١٦٢، ٢٨٧، ٣٩٥، ٤٠٤، ٤٤٢	﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ ١٠٨	يوسف
٤٧٢	﴿ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴾ ١٣	الرعد
٨٦١	﴿ وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ﴾ ١١	الحجر
٨٦١	﴿ إنا كفيناك المستهزءين ﴾ ٩٥	الحجر
٥٢٨	﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ٣٦	النحل
٣٥٣، ٥٠٦، ٦٠٣، ٦١٤، ٦٣٠، ٩١٤	﴿ فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ٤٣	النحل
٣٩٦	﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ ١٢٥	النحل
٥٣٢	﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ ٣٦	الإسراء
٤٧٢	﴿ وما نرسلُ بالآيات إلا تخويفاً ﴾ ٥٩	الإسراء
٧٤٧	﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ٧٨	الإسراء
٢٧٤، ٢٧٧	﴿ عسى ربك أن يبعثك مقاماً محموداً ﴾ ٧٩	الإسراء
٦٠٦، ٦٠٨	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ٨٥	الإسراء

السورة	الآية ورقمها	الصفحة
الإسراء	﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾ ٨٩	٤٤٩
الكهف	﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ ٦	٥١٢
الكهف	﴿ وزدناهم هدى ﴾ ١٣	٢٧٣
الكهف	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ ﴾ ٦٠	٤١٦
الكهف	﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ ٦١	٤١٣
الكهف	﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ٦٢	٤١٦،٤١٣
الكهف	﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ ﴾ ٦٣	٤١٣ ، ٤١٢
الكهف	﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ ٦٤	٤١٣ ، ٤١٢
الكهف	﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ ٦٦	٤١٣ ،٤١١ ٤٢٩
الكهف	﴿ إنك لن تستطيع معي صبراً * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾ ٦٨،٦٧	٤٢٨،٤١٣
الكهف	﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ ٦٩	٤١٤
الكهف	﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ ٧٤	٤١٤
الكهف	﴿ لقد جئت شيئاً نكراً ﴾ ٧٤	٤٢٠
الكهف	﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ ٧٧	٤١٤
الكهف	﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ ٧٧ ، ٧٨	٤٢٣،٤١٤
الكهف	﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ ٧٩	٤٢٧
الكهف	﴿ فأراد ربك ﴾ ٨٢	٤٢٧

السورة	الآية ورقمها	الصفحة
طه	﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ ٤٣، ٤٤	١٥٨ ، ٣٥٥
طه	﴿ وقل ربّ زدني علماً ﴾ ١١٤	٣٦٨
الأنبياء	﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ ٢٢	٤٢٦
الأنبياء	﴿ كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ٣٥	١٧٣،٥٣٧
الأنبياء	﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ١٠٧	١٠
المؤمنون	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ ٦٠	٢٩٨
النور	﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . ﴾ ٢	٨٤٠
النور	﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ ٣٦	٨٦٨
النور	﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ ٥٤	٩ ،١٠
النور	﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ ٥٤	٤٤٨ ، ٥٤٨ ٧٣٥
الفرقان	﴿ قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ ٧٧	١٢٦
الشعراء	﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ٨٨،٨٩	٣١٤
الشعراء	﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ٢١٤	٥٩ ، ٦٤٩
القصص	﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ ٥٦	٥٤٨
القصص	﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ ٧٧	٥٨٩
القصص	﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ﴾ ٨٣	١٥١
العنكبوت	﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ﴾ ٢	١٧٣،٥٣٧

السورة	الآية ورقمها	الصفحة
الطارق	﴿ إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر ﴾ ٨ ، ٩	٢٠٥
البينة	﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ ٥	٥٢ ، ٥٢٨
الزلزلة	﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ٧،٨	١٨٧

٢ - فهرس أحاديث متن الدراسة

(أ)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ع)

(ك)

(ل)

(م)

٣ - فهرس الأحاديث الواردة في الشرح

٤ - فهرس الأعلام

العلم	الصفحة

العـلـم	الصفحة

٥ - فهرس الغريب

١- الكلمة	الصفحة

١- الكلمة	الصفحة

١- الكلمة	الصفحة

١- الكلمة	الصفحة

١- الكـلـمـة	الصفحة
٩٦- حَمِيَّةً	٦٠٢
٩٧- حَمِيلِ السيل	١٨٥
٩٨- الْحَنْتَمَة	٣١٨
٩٩- الْحِنْثَ	٥٣٥
١٠٠- الْحَيَاءُ	١٣٤
١٠١- الخَبَائِثِ	٦٦٤
١٠٢- الخُبُثِ	٦٦٤
١٠٣- خَربِ	٦٠٦
١٠٤- خَرْبَةٍ	٥٤٤
١٠٥- خَرْدَلٍ	١٨٥
١٠٦- الْخُرْصَ	٥٢١
١٠٧- خَزَقَ	٧٣٩
١٠٨- خَصْلَةٌ	٢٣٩
١٠٩- خَضِرٌ	٤١٧
١١٠- خَطَاطِيفُ	١٨٥
١١١- خِطَامِهِ	٣٨٥
١١٢- خَطِيطَهُ	٥٨٥
١١٣- الْخَلاءَ	٦٧ ، ٤٣٠
١١٤- خَنِينٌ	٥٠٥
١١٥- الدُّبَّاء	٣١٨
١١٦- دَجَّالُونَ	٤٦٥
١١٧- دسكرة	١١٢
١١٨- دَسَمًا	٨٠٣
١١٩- الدُّلْجَةِ	٢٥٣

١- الكلمة	الصفحة

١- الكلمة	الصفحة

١- الـكـلـمـة	الصفحة

١- الكلمة	الصفحة

١- الكلمة	الصفحة
٢١٦- مَجَّ فِيهِ	٧٦٨
٢١٧- مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ	٤١٧
٢١٨- المِجَنِّ	٨٧٤
٢١٩- مُحَجَّلِينَ	٦٤٤
٢٢٠- مَخْدُوشٌ	١٨٦
٢٢١- مِخْضَبٍ	٧٨٦
٢٢٢- المُدِّ	٧٩٢
٢٢٣- مَذَّاءً	٦٢٩
٢٢٤- مَرَاحِيض	٦٦٧
٢٢٥- المرجئة	٢٩٦
٢٢٦- الْمُزَفَّتِ	٣١٨
٢٢٧- الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ	٤٧٠
٢٢٨- المشربة	٤٨٥
٢٢٩- مُضَرَ	٣١٨
٢٣٠- مُضْغَةً	٣١١
٢٣١- المِعْرَاضِ	٧٤٠
٢٣٢- المَقَاعِدِ	٧٠٠
٢٣٣- الْمُقَيَّرِ	٣١٨
٢٣٤- مِكْتَلٍ	٤١٧
٢٣٥- مَكْدُوسٌ	١٨٦
٢٣٦- الْمَكْرَهِ	١٦٧
٢٣٧- المَنَاصِعِ	٦٧٩
٢٣٨- الْمَنْشَطِ	١٦٧
٢٣٩- مَهْ	٢٦٨

١- الكلمة	الصفحة

١- الكلمة	الصفحة
٢٦٤- وَيْلٌ	٣٥٧
٢٦٥- يَتَبَوَّأُ	٥٥٢
٢٦٦- يَتَخَوَّلُنَا	٣٩٣
٢٦٧- يتردى	٦٩
٢٦٨- يتفصد عرقاً	٥٨
٢٦٩- يَحْتَزّ	٧٩٩
٢٧٠- يَرْتَعْ	٣١١
٢٧١- يُشَادَّ	٢٥٣
٢٧٢- يُعَالِجُ	٩٥
٢٧٣- يَعْضِدَ	٥٤٣
٢٧٤- يُعْقَلَ	٥٦٤
٢٧٥- يفصم عني	٥٨
٢٧٦- يَكُبُّهُ	٢١٢
٢٧٧- يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ	٢١٨
٢٧٨- يَلِج	٥٥٢
٢٧٩- يَلَمْلَمَ	٦٣٣
٢٨٠- يُلِيطُ حِوْضَه	٤٦٥
٢٨١- يَنْسَلِخَ	١٠٠
٢٨٢- ينشب	٦٩

٦ - فهرس المحتويات

عنوان المؤلف :
خالد بن عبد الرحمن القريشي
الرياض – الرمز البريدي ١١٥٩٣
ص. ب. ٥٣٩٦٩
المملكة العربية السعودية